

حاشية العلامة الصاوي

على

تفسير الجلالين

جلال الدين السيوطي
(ت: ٩١١ هـ)

جلال الدين المحلي
(ت: ٨٦٤ هـ)

تأليف

العالم العلامة القاري بالله تعالى

الشيخ أحمد بن محمد الصاوي المخلوتي
(١١٧٥ - ١٢٤١ هـ)

مُحَقَّقٌ عَلَى نَسْخِ خُطْبَةِ نَفِيسَةٍ

وَمَطْبُوعَةٍ قَدِيمَةٍ سَلِيمَةٍ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالْبَدِيلِ

رَاجِعًا وَقَدَّمَ لَهَا

الدكتور عبد القادر الحسين

شَرَفَ بِمُحَرَّرِهَا

مرعي حسن الرشيد

الجزء الثالث

سُورَةُ الْأَنْفَالِ - سُورَةُ النَّحْلِ

دَاخِلُ تَحْقِيقِ الْكِتَابِ
لِلطَّبَاةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوَرُّغِ

حاشية العلامة الصافي

تفسير الجلالين

دار تحقّق الكتاب

Title: Hāshiyat al-Şāwī 'alā Tafsīr
al-Jalālayn

Autor: Aḥmad Şāwī, Ġalāl-ad-Dīn
Maḥallī, Ġalāl-ad-Dīn Suyūṭī,

Editor: Mar'ī al-Rashīd

Publisher: Dar Tahkik Al Kitab

Pages: 615 (vol.3)

Year: 2024

Printed in: Lebanon

Edition: 1

الكتاب: حاشية الصّاوي على تفسير الجلالين.

المؤلف: أحمد الصاوي، جلال الدين المحلي، جلال
الدين السيوطي.

تحقيق: مرعي الرشيد

الناشر: دار تحقيق الكتاب

عدد الصفحات: 615 (المجلد الثالث)

سنة الطباعة: 2024

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى (لونان، ورق شاموا)

©Yayın Hakları DAR TAHKİK AL KİTAB 'a Aittir.

Bu kitabın her türlü yayın hakları Fikir ve Sanat Eserleri Yasası gereğince Dar Tahkik Al Kitab'a aittir.

Dar Tahkik Al Kitab'ın yazılı izni olmadan bu kitabın hiçbir bölümü kopyalanamaz ya da yeniden
üretim sistemine dâhil edilemez(elektronik, fotokopi vd.).

All Rights Reserved. Published by DAR TAHKİK AL KİTAB

No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any
form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without
written permission of the publisher.

دار تحقّق الكتاب

جميع الحقوق الملكية والفكرية محفوظة لـ دار تحقّق الكتاب
يمنع طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزئاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو
إدخاله على الحاسب أو نسخه على اسطوانات ليزرية إلا بموافقة الناشر خطياً.

مؤسسة محمد نوري ناص

MEHMET NURI NAS
PUBLISHER OF ISLAMIC BOOKS
1948

ISBN 978-9933-638-15-3



9 789933 638153

DAR TAHKİK AL KİTAB

Büyük Reşit Paşa Caddesi Yümni İş Merkezi

No:16/B D:8 Vezneciler/Fatih/Istanbul/Turkey ☎ : +9 (0212)5190979

Merkez :1.Cadde No:66 MİDYAT/MARDİN ☎ : +9 (0482)4622775

www. tahkikalkitab.com

✉ : info@tahkikalkitab.com



Dar Tahkik Al Kitab, Nursabah Yayıncılık

Matbaacılık Ltd.Şti'nin Tescilli Markasıdır

دار تحقيق الكتاب هي دار تابعة لمؤسسة دار نور الصباح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

مَدَنِيَّةٌ، أَوْ إِلَّا ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ...﴾ الْآيَاتِ السَّبْعِ فَمَكِيَّةٌ، خَمْسٌ أَوْ سِتُّ أَوْ سَبْعٌ وَسَبْعُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمَّا اخْتَلَفَ الْمُسْلِمُونَ فِي غَنَائِمِ بَدْرَ فَقَالَ الشُّبَّانُ: هِيَ لَنَا لِأَنَّا بَاشَرْنَا الْقِتَالَ، وَقَالَ الشُّيُوخُ: كُنَّا رِءَاءَ لَكُمْ تَحْتَ الرَّايَاتِ، وَلَوْ انْكَشَفْتُمْ لَفِثْتُمْ إِلَيْنَا فَلَا تَسْتَأْثِرُوا بِهَا، نَزَلَ:

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

مبتدأ، ومضاف إليه، و(مدنيّة) خبر أول، و(خمس... إلخ) خبر ثانٍ.

قوله: (أَوْ إِلَّا) (أَوْ): لحكاية الخلاف؛ فإنه اختلف هل هي مدنية كلّها وهو الصحيح، أَوْ إِلَّا سَبْعَ آيَاتٍ أَوَّلَهَا: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وآخرها قوله: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ فمكيات وهو ضعيف؟ ولا يلزم من كونها في شأن أهل مكة أنها نزلت بها، بل نزلت بالمدينة حكاية عمّا وقع في مكة.

قوله: (في غنائم بدر) أي: لأنها أول غنيمة في الإسلام.

قوله: (وقال الشيوخ) أي: وكانوا مُحَدِّقِينَ برسول الله؛ خوفاً عليه من العدو.

قوله: (كُنَّا رِءَاءَ) أي: عوناً لكم.

قوله: (ولو انكشفتم) أي: انهزمتم.

قوله: (لفثتم) أي: رجعتهم.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾

﴿١﴾ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿عَنِ الْأَنْفَالِ﴾: الْغَنَائِمُ لِمَنْ هِيَ؟ ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ يَجْعَلَانِهَا حَيْثُ شَاءَ، فَقَسَمَهَا ﷺ بَيْنَهُمْ عَلَى السَّوَاءِ، رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»، ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أَي: حَقِيقَةً مَا بَيْنَكُمْ بِالْمَوَدَّةِ وَتَرْكِ النَّزَاعِ، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ حَقًّا.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ السؤال إن كان عن تعيين الشيء وتبيينه.. تعدى للمفعول الثاني بد(عن) كما هنا، وإن كان بمعنى طلب الإعطاء.. تعدى للمفعولين بنفسه ك(سألت زيدا مالا)، خلافاً لمن فهم أن ما هنا من الثاني وأدعى زيادة (عن).

قوله: ﴿عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ جمع نَفْلٍ، مثل: سَبَبٌ وأسباب، ويقال: نَفْلٌ بسكون الفاء أيضاً، وهي: الزيادة؛ لزيادة الأمة بها عن الأمم السابقة؛ فإنها لم تكن حلالاً لهم، بل كانوا إذا غَنِمُوا غنيمَةً.. وضعوها في مكان؛ فإن قبلها الله منهم.. أنزل عليها ناراً أحرقتها، وإلا.. بقيت.

قوله: ﴿لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ قيل: إن معنى ذلك: أنها مملوكة لله وأعطاه ملكاً لرسوله يتصرف فيها كيف شاء، وعلى هذا فقوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ...﴾ الآية ناسخة لها، وقيل: إن ما يأتي توضيح لما هنا وتفصيل له، والآية محكمة، فيكون المعنى: لله والرسول من حيث قسمتها على المجاهدين.

قوله: (يجعلانها حيث شاء) أي: فامثلوا ما يأمركم به.

قوله: ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ أي: امثلوا أمره وأمر نبيه.

قوله: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي: الحالة التي بينكم، وهي الوُضْلَةُ الإسلامية؛ فالمعنى: اتركوا النزاع والشحناء، والتزموا المودة والمحبة بينكم؛ ليحصل النصر والخير لكم.

قوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: فيما يأمركم به.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ شرطٌ حذف جوابه؛ لدلالة ما قبله عليه.

قوله: (حقاً) أي: كاملين في الإيمان، فعلمة كمال الإيمان: طاعة الله والرسول، وعدم وجود الحرج في النفس، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا
.....

﴿٢﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿الكاملون الإيمان﴾ ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ أي: وَعِيدُهُ ﴿وَجِلَتْ﴾: خَافَتْ ﴿قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾: تَصَدِّيقًا، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: بِهِ يَتَّقُونَ لَا بَغِيرَهُ.

﴿٣﴾ ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾: يَأْتُونَ بِهَا بِحَقِّهَا، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾: أُعْطَيْنَاهُمْ ﴿يُنْفِقُونَ﴾ فِي طَاعَةِ اللَّهِ.

﴿٤﴾ ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الْمَوْصُوفُونَ بِمَا ذُكِرَ ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾:
.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ استئنافٌ مسوقٌ لبيان صفات المؤمنين، فهو كالدليل لما قبله.

قوله: (الكاملون الإيمان) بالنصب على نزع الخافض؛ أي: فيه، وفي بعض النسخ بحذف النون، فيكون مضافاً لـ (الإيمان).

قوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ وصل ﴿الَّذِينَ﴾ بثلاث صلوات كلها متعلقة بالقلب.

قوله: ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: فَرَزَتْ لاسْتِيلاءِ هَيْبَتِهِ عَلَى قُلُوبِهِمْ.

قوله: (تصديقاً) أشار بذلك إلى أن التصديق يقبل الزيادة؛ إذ لا يصح أن يكون إيمان الأنبياء كإيمان الفساق، وما قَبِلَ الزيادة قَبِلَ النقص^(١)، وبذلك أخذ مالك والشافعي وجمهور أهل السنة.

قوله: (به يثقون) أشار بذلك إلى أن (على) بمعنى الباء، و﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾ بمعنى (يثقون)، وقوله: (لا بغيره) حصرٌ أُخِذَ من تقديم المعمول، والمعنى: أن يُقْتَتَمَ بالله لا بغيره؛ فلا يَعْتَمِدُونَ على عمل ولا على مال، ولا يخافون من غيره.

قوله: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي: يُلَازِمُونَهَا فِي أَوْقَاتِهَا مُسْتَوْفِيَةً الشُّرُوطَ وَالْأَرْكَانَ وَالْآدَابَ.

قوله: ﴿يُنْفِقُونَ﴾ أي: النفقة الواجبة كالزكاة، أو المندوبة كالصدقة.

قوله: ﴿حَقًّا﴾ صفة لمصدر محذوف؛ أي: إيماناً حَقًّا.

(١) والتحقيق: أن إيمان الأنبياء يقبل الزيادة ولا يقبل النقصان، بخلاف عامة المؤمنين.

لَهُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾

صِدْقًا بِلا شَكٍّ، ﴿لَهُمْ دَرَجَتٌ﴾: مَنَازِلُ فِي الْجَنَّةِ ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ فِي الْجَنَّةِ.

﴿٥﴾ ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ - مُتَعَلِّقٌ بِـ(أَخْرَجَ) - ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾ الْخُرُوجَ، - وَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِنْ كَافٍ ﴿أَخْرَجَكَ﴾، وَ﴿كَمَا﴾: خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ - حَاشِيَةُ الصَّائِلِ.

قوله: (بلا شك) أي: لظهور علامة الإيمان الكامل فيهم.

قوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ العندية عندية مكانة لا مكان.

قوله: ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي: غفران لذنوبهم.

قوله: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي: دائم مستمر، لا نكد فيه ولا تعب، مقرون بالتعظيم والتكريم.

قوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ﴾ الكاف بمعنى: مثل، و(ما) مصدرية، خبر لمحذوف، والتقدير: قَسَمُ الْغَنَائِمِ عَمُومًا وَالْحَالُ أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ كَارِهُونَ لِذَلِكَ.. مِثْلُ إِخْرَاجِكَ مِنْ بَيْتِكَ وَالْحَالُ أَنَّهُمْ كَارِهُونَ لِذَلِكَ، فَهُوَ تَشْبِيهُ حَكَمٍ بِحَكَمٍ، أَوْ قِصَّةُ بَقِصَّةٍ، وَهَذَا أَحْسَنُ الْأَعَارِيبِ؛ وَلِذَا دَرَجَ عَلَيْهِ الْمَفْسِّرُ؛ فَالْمَشَبَّهُ: قِسْمُ الْغَنَائِمِ، وَالْمَشَبَّهُ بِهِ: الْخُرُوجُ لِقِتَالِ ذِي الشُّوْكَ؛ بِجَامِعٍ أَنَّ كَلًّا كَانَ فِيهِ كِرَاهَةٌ لِبَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ بِحَسَبِ الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ، وَفِي الْوَاقِعِ نَفْسُ الْأَمْرِ خَيْرٌ وَمَصْلَحَةٌ لِلْعُمُومِ فِي كُلِّ؛ لِأَنَّ الْأَوَّلَ تَرْتَّبٌ عَلَيْهِ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَالثَّانِي تَرْتَّبٌ عَلَيْهِ عِزُّ الْإِسْلَامِ وَنَصْرُهُ.

قوله: ﴿مِنْ بَيْتِكَ﴾ أي: الكائن بالمدينة، أو المراد بالبيت: نفس المدينة.

قوله: (متعلق بـ«أخرج»): أي: والباء سببية، والمعنى: أَخْرَجَكَ مِنْ بَيْتِكَ بِسَبَبِ الْحَقِّ؛ أَيْ: إِظْهَارِ الدِّينِ وَرَفْعِ شَأْنِهِ، وَيَصَحُّ أَنَّ الْبَاءَ لِلْمَلَابَسَةِ، وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ حَالٌ مِنَ الْكَافِ فِي (إِخْرَاجِكَ) أَيْ: أَخْرَجَكَ مُلْتَبِسًا بِالْحَقِّ؛ أَيْ: الْوَحْيِ، لَا عَنْ هَوَى نَفْسِكَ.

قوله: (والجملة حال) أي: مقدرة؛ لأنهم وقت الخروج لم يكونوا كارهين، وإنما طرأت الكراهة عند الأمر بقتال ذي الشوكة.

أي: هذه الحال في كراهتهم لها مثل إخراجك في حال كراهتهم، وقد كان خيراً لهم، فكذاك أيضاً، وذلك أن أبا سفيان قدّم بعير من الشام، فخرّج النبي ﷺ وأصحابه ليغنموها، فعلمت قريش فخرّج أبو جهل ومقاتلو مكة ليذبوا عنها وهم النفير، وأخذ أبو سفيان بالعير طريق الساحل فنجّت، فقبل لأبي جهل: ارجع فأبى وسار إلى بدر، فشاوَرَ ﷺ أصحابه وقال: «إن الله وعدني إحدى الطائفتين»، فوافقوه على قتال النفير، وكره بعضهم ذلك وقالوا: لم نستعد له كما قال تعالى:

حاشية الصاوي

قوله: (أي: هذه الحال) أي: وهي قسم الغنائم على العموم.

قوله: (في كراهتهم لها) هذا هو وجه المماثلة والمشابهة بينهما.

قوله: (فكذاك أيضاً) أي: قسم الغنائم كان خيراً انتهاء؛ لما فيه من إصلاح ذات البين.

قوله: (قدم بعير) أي: إبل حاملة تجارة، وكان فيها أموال كثيرة ورجال قليلة نحو الأربعين.

قوله: (فعلمت قريش) أي: بإخبار ضمضمة بن عمرو الغفاري الذي اكتراه أبو سفيان؛ ليُعلم قريشاً بذلك.

قوله: (ومقاتلو مكة) أي: وكانوا ألفاً إلا خمسين.

قوله: (وأخذ أبو سفيان) أي: عدل عن الطريق المعتاد للمدينة، وسار بساحل البحر.

قوله: (فشاوَرَ ﷺ أصحابه) أي: في المضي إلى بدر؛ لقتال النفير.

قوله: (فوافقوه) أي: آخرأ بعد أن توقّف بعضهم محتجاً بعدم النهي، وكان إذ ذاك ﷺ بوادي دثّران - بدال وقاف وراء؛ بوزن سلمان: واد قريب من الصفراء - وعند المشاورة قام أبو بكر وعمر فأحسنا في القول، ثم قام سعد بن عباد فقال: انظر أمرك فامض فيه؛ لو سرت إلى عدن ما تخلف عنك رجل من الأنصار، ثم قال مقداد بن عمرو: امض كما أمرك الله؛ فإننا معك حيثما أحببت، لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكم مقاتلون، فبَسَم رسول الله ﷺ ثم قال: «أيها الناس؛ أشيروا عليّ» وهو يريد الأنصار، فقام سعد بن معاذ فقال: لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أجل»، قال: إنا قد آمنا بك وصدّقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق؛ فامض يا رسول الله لما أردت؛ فإننا لا نكره أن تلقى بنا عدونا، وإنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك

يُجَدِّلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾

﴿٦﴾ يُجَدِّلُونَكَ فِي الْحَقِّ : الْقِتَالِ ﴿بَعْدَمَا بَيَّنَّ﴾ : ظَهَرَ لَهُمْ ، ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ : إِلَيْهِ عِيَانًا فِي كَرَاهَتِهِمْ لَهُ .

﴿٧﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ : الْعَيْرَ أَوِ النَّفِيرَ ﴿أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ﴾ : تُرِيدُونَ ﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ﴾ : أَيِ : الْبَاسِ وَالسَّلَاحِ وَهِيَ الْعَيْرُ ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ : لِقَلَّةٍ عَدَدَهَا وَعُدْدُهَا ، بِخِلَافِ النَّفِيرِ ، ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ﴾ : يُظْهِرَهُ ﴿بِكَلِمَتِهِ﴾ : السَّابِقَةِ بِظُهُورِ الْإِسْلَامِ ، ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ : آخِرَهُمْ بِالِاسْتِصْصَالِ ، فَأَمْرُكُمْ بِقِتَالِ النَّفِيرِ .

حاشية الصاوي

مَنَا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «سَيَرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ وَأَبْشَرُوا؛ فَإِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللَّهُ لَكَانِي أَنْظِرَ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ»^(١).

قوله: ﴿يُجَدِّلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ (أي: يُقيمون حجة قُبَالَةَ حجة، فليس المراد بالجدال الجدال في الباطل).

قوله: (ظهر لهم) أي: تحتم القتال.

قوله: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ (أي: كأنهم مثل من يُسَاقُ إِلَى الْقَتْلِ وَهُوَ يَنْظُرُ بَعِيْنَهُ أَسْبَابَهُ).

قوله: (في كراهتهم له) هذا هو وجه المشابهة، وبسبب تلك الكراهة قَلَّةُ عَدَدِهِمْ وَعُدْدُهُمْ؛ فَقَدْ وَرَدَ: أَنَّهُمْ كَانُوا ثَلَاثَ مِئَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ، وَالْكَلَّ رِجَالٌ وَلَيْسَ فِيهِمْ إِلَّا فَرَسَانِ^(٢).

قوله: (بخلاف النفير) أي: فإنه كثير العدد والمدد.

قوله: (يظهره) جواب عما يقال: إن فيه تحصيل الحاصل، وكذا يقال في قوله: ﴿وَيَبْطُلُ الْبَطْلُ﴾.

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/٣١)، وانظر الخبر بتمامه في «سبل الهدى والرشاد» (٤/٢٦).

(٢) انظر «سبل الهدى والرشاد» (٤/٧٤).

لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿٩﴾

﴿٨﴾ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ: يَمَحَقَ ﴿الْبَاطِلَ﴾: الْكُفْرَ، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾: الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ.

﴿٩﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾: تَطْلُبُونَ مِنْهُ الْغُوثَ بِالنَّصْرِ عَلَيْهِمْ، ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي﴾ أَي: بِأَنِّي ﴿مُمِدُّكُمْ﴾: مُعِينُكُمْ ﴿بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾: مُتَتَابِعِينَ يُرَدِّفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَعَدَّهُمْ بِهَا أَوَّلًا ثُمَّ صَارَتْ ثَلَاثَةَ آلَافٍ، ثُمَّ خَمْسَةٌ كَمَا فِي (آلِ عِمْرَانَ).....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ﴾ ليس مكرراً مع ما قبله؛ لأنَّ المراد بالأول: تثبيت ما وعد به في هذه الواقعة من النصر والظفر بالأعداء، والمراد بالثاني: تقوية الدين وإظهار الشريعة مدى الأيام.

قوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ﴾ إما خطاب للنبي ﷺ فقط، فيكون الجمع للتعظيم، أو خطاب للنبي وأصحابه، روي عن ابن عباس قال: (حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر.. نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاث مئة وبضعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله القبله ثم مَدَّ يَدَيْهِ، فجعل يَهْتَفُ بِرَبِّهِ ويقول: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام.. لا تُعبد في الأرض»، فما يزال يَهْتَفُ بِرَبِّهِ مَا دَا يَدَيْهِ حَتَّى سَقَطَ رِداؤُهُ عَنْ مَنْكَبِهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِداؤه، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكَبِهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ؛ كَفَاكَ مُنَاشِدَتَكَ رَبِّكَ؛ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فنزلت هذه الآية^(١).

قوله: (تطلبون منه الغوث) أشار بذلك إلى أن السنين والتاء للطلب.

قوله: ﴿مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ﴾ وَرَدَ: أَنَّ جَبْرِيلَ نَزَلَ بِخَمْسِ مِائَةٍ وَقَاتَلَ بِهَا فِي يَمِينِ الْعَسْكَرِ وَفِيهِ أَبُو بَكْرٍ، وَنَزَلَ مِيكَائِيلُ بِخَمْسِ مِائَةٍ وَقَاتَلَ بِهَا فِي يَسَارِ الْجَيْشِ وَفِيهِ عَلِيٌّ^(٢)، وَلَمْ يَثْبُتْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ قَاتَلَتْ فِي وَقْعَةٍ إِلَّا فِي بَدْرٍ، وَأَمَّا فِي غَيْرِهَا.. فَكَانَتْ تَنْزِلُ لَتَكْثِيرِ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَقَاتَلَ.

قوله: (يردف بعضهم بعضاً) أي: يَعْقِبُهُ فِي الْمَجِيءِ.

قوله: (وَعَدَّهُمْ بِهَا أَوَّلًا) أشار بذلك إلى الجمع بين ما هنا وما في (آلِ عِمْرَانَ).

(١) رواه مسلم (١٧٦٣).

(٢) رواه المحاملي في «أماله» (١٤٦)، وانظر «سبل الهدى والرشاد» (٤٠/٤).

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً

- وَقُرِئَ: (بِالْف) ك(أَفْلَس) جَمْع ..

﴿١٠﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ ﴿١٠﴾ أَي: الإمداد ﴿١٠﴾ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ .

﴿١١﴾ اذْكُرْ ﴿١١﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً ﴿١١﴾ : أَمَنًا مِمَّا حَصَلَ لَكُمْ

حاشية الصاوي

قوله: (وَقُرِئَ) أي: شذوذاً، قوله: (كَأَفْلَسَ) أي: فأبدلت الهمزة الثانية ألفاً.

قوله: (﴿١٠﴾ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿١٠﴾) أي: فلا يتوقف على تهيؤ بعدد ولا عدد.

قوله: (﴿١١﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ ﴿١١﴾) أي: دُفْعَةً واحدة، فناموا كُلُّهُمْ، وهذا على خلاف العادة، فهي معجزة لرسول الله؛ حيث غشي الجميع النَّوْمُ في وقت الخوف، وفيه ثلاث قراءات سبعة: (يُغَشَّاكُم) ك(يلقاكم)، و(النعاس) مرفوع على الفاعلية، و(يُغَشِّيكُم) بتشديد الشين وضم ياء المضارعة، و(يُغَشِّيكُم) بتخفيف الشين وضم ياء المضارعة، و(النعاس) منصوب على المفعولية في هاتين القراءتين^(١).

قوله: (﴿أَمَنَةً﴾) منصوب على الحال على القراءة الأولى، والمفعول لأجله على القراءتين الأخيرتين، قال عبد الله بن مسعود: (والنعاسُ في القتال أمانة من الله، وفي الصلاة من الشيطان)^(٢)، قيل: إنهم لما خافوا على أنفسهم لكثرة عدد العدو وعُددهم، وقلة المسلمين، وعطشوا عطشاً شديداً.. ألقى الله عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة، وزال عنهم العطش، وتمكّنوا من قتال عدوهم، فكان ذلك النوم نعمة في حقهم؛ لأنه كان خفيفاً؛ بحيث لو قصدهم العدو.. لتنبهوا له، وقدروا على دفعه.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «يُغَشَّاكُم النعاسُ»، ونافع: «يُغَشِّيكُم» بضم الياء وكسر الشين خفيفة، و«النعاس» نصباً، والباقون: «يُغَشِّيكُم» كالذي قبله، إلا أنه بتشديد الشين، فالقراءة الأولى مِنْ غَشِيَ يَغْشَى، و«النعاس» فاعل، والثانية مِنْ «أغشى»، وفاعله ضميرُ الباري تعالى، وكذا في الثالثة مِنْ «غَشَى» بالتشديد. و«النعاس» فيهما مفعول به. انظر «الدر المصون» (٥/٥٧٤).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/٢٨٨)، وعبدُ الرزاق في «مُصنّفه» (٤٢١٩).

مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَتْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلرَّعْبَ

مِنَ الْخَوْفِ، ﴿مِّنْهُ﴾ تَعَالَى، ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ مِنْ الْأَحْدَاثِ وَالْجَنَابَاتِ، ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾: وَسَوَّيْتَهُ إِلَيْكُمْ بِأَنَّكُمْ لَوْ كُنْتُمْ عَلَى الْحَقِّ مَا كُنْتُمْ ظَمَأَى مُحْدِثِينَ وَالْمُشْرِكُونَ عَلَى الْمَاءِ، ﴿وَلِيَرْبِطَ﴾: يَحْبِسَ ﴿عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ بِالْيَقِينِ وَالصَّبْرِ، ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ أَنْ تَسُوخَ فِي الرَّمْلِ.

﴿١٢﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأَةِ الَّذِينَ أَمَدَّ بِهِمُ الْمُسْلِمِينَ ﴿أَنِّي﴾ أَي: بِأَنِّي ﴿مَعَكُمْ﴾ بِالْعَوْنِ وَالنَّصْرِ، ﴿فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بِالْإِعَانَةِ وَالتَّبَشِيرِ، ﴿سَأَلَتْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلرَّعْبَ﴾: الْخَوْفَ

حاشية الصاوي

قوله: (من الخوف) بيان ل(ما).

قوله: ﴿لِّيُطَهِّرَكُم﴾... إلخ) أي: وذلك أنهم وقفوا في كتيب رمل، فشق المشي عليهم فيه من لينه ونعومته، واشتدَّ عليهم الخوف من أن يأتيهم العدو في تلك الحالة، فألقى الله عليهم النعاس، فاحتلم معظمهم، فاشتدَّ احتياجهم إلى الماء، فوسوس لهم الشيطان بما ذكره المفسر، فردَّ الله كيده بإنزال المطر الكثير عليهم، فشربوا وتطهروا وملؤوا القرب، وتلبَّد الرمل حتى سهل المشي عليه.

قوله: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ﴾ معمول لمحذوف؛ أي: (اذكر)، ولم يُقدِّره المفسر اتكالاً على تقديره فيما سبق في قوله: ﴿أَنِّي مُدِّدُكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَأَةِ﴾ كما أشار إليه المفسر.

قوله: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾ الجملة في محل نصب مفعول لـ ﴿يُوحِي﴾.

قوله: ﴿فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: قوُّوا قلوبهم، واختُلف في كيفية هذه التقوية؛ ف قيل: إن الشيطان كما أنَّ له قوَّةً في إلقاء الوسوسة في قلب ابن آدم في السوء؛ كذلك الملك له قوَّةٌ في إلقاء الإلهام في قلب ابن آدم بالخير، ويُسمَّى ما يلقيه الملك: إلهاماً، وقيل: إنَّ ذلك التثبيت حضورهم القتال معهم، ومعاونتهم لهم بالقتال بالفعل، وقيل: معناه: بشروهم بالنصر والظفر، فكان الملك يمشي في صفة رجل أمام الصف ويقول: أبشروا؛ فإنَّ الله ناصرهم عليهم.

قوله: ﴿سَأَلَتْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كالتفسير لقوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾، وقوله:

فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾

﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ أي: الرُّؤُوسَ، ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي: أطراف اليدين والرجلين، فكان الرجلُ يَقْصِدُ ضَرْبَ رَقَبَةِ الْكَافِرِ فَتَسْقُطُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ سَيْفُهُ، وَرِمَاهُمْ ﷺ بِقَبْضَةٍ مِنَ الْحَصَى فَلَمْ يَبْقَ مُشْرِكٌ إِلَّا دَخَلَ فِي عَيْنَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، فَهَزِمُوا. ﴿ذَلِكَ﴾ الْعَذَابُ الْوَاقِعُ بِهِمْ ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُوا﴾: خَالَفُوا ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ لَهُ.

حاشية الصاوي

﴿فَاضْرِبُوا﴾... إلخ) كالتفسير لقوله: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾، فهو لفٌّ ونشْرٌ مرتَّب.

قوله: (الرُّؤُوس) تفسير للفظ ﴿فَوْقَ﴾، وقد تَوَسَّعَ فيه؛ حيث استعملوه مفعولاً به وإن كان أصله ظرف مكان ملازم للظرفية^(١)، وقيل: إن لفظه ﴿فَوْقَ﴾ زائدة، وقد أشار له المفسر بقوله: (يقصد ضرب رقبة الكافر... إلخ)؛ فقد أشار المفسر إلى قولين، وقيل: إن (فوق) باقية على ظرفيتها والمفعول محذوف؛ أي: فاضربوهم فوق الأعناق، وقيل: إن (فوق) بمعنى (على) والمفعول محذوف أيضاً؛ أي: فاضربوهم على الأعناق.

قوله: (أي: أطراف اليدين والرجلين) في «المصباح»: (البَنَان: الأصابع، وقيل: أطرافها، والواحدة: بنانة)^(٢).

قوله: (إلا دخل في عينيه) أي: وفي فمه وأنفه.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب) أي: من إلقاء الرعب والقتل والأسر، وقوله: (بأنهم) الباء سببية.

قوله: (خالفوا ﷻ) أصل معناها: المجانبة؛ لأنهم صاروا في شقٍّ وجانب عن النبي

والمؤمنين.

قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾) أي: وما نزل بهم في هذا اليوم قليلٌ بالنسبة لما أدخر لهم

عند الله.

(١) كذا في الأصول، ولو قال: (ملازماً للظرفية)... لكان أوضح.

(٢) «المصباح المنير»، مادة: (ب ن ن).

ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ

﴿١٤﴾ ذَٰلِكُمْ العَذَابُ فَذُوقُوهُ أَيُّهَا الْكُفَّارُ فِي الدُّنْيَا، ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾
فِي الْآخِرَةِ ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾.

﴿١٥﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا أَي: مُجْتَمِعِينَ كَأَنَّهُمْ لِكَثْرَتِهِمْ
يَزْحَفُونَ، ﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ مُنْهَزِمِينَ.

﴿١٦﴾ وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ أَي: يَوْمَ لِقَائِهِمْ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ العذاب اسم الإشارة مبتدأ، خبره محذوف قدره المفسر، وقوله: (فذوقوه)
لا تعلق له بما قبله من جهة الإعراب.

قوله: ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ عطفٌ على ﴿ذَٰلِكُمْ﴾، أو نصب على المفعول معه.

قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ﴾ خطابٌ لكلِّ مَنْ يَحْضُرُ الْقِتَالَ.

قوله: ﴿زَحَفًا﴾ حال من المفعول به وهو ﴿الَّذِينَ﴾، فهو مؤول بالمشتق؛ أي: حال كونهم
زاحفين.

قوله: (أي: مجتمعين... إلخ) أي: فالمعنى على التشبيه بالزاحفين على أدبارهم في بُطء
السير؛ وذلك لأن الجيش إذا كثرت التحم بعضه ببعض... يتراءى أن سيره بطيء وإن كان في نفس
الامر سريعاً، وفي «المصباح»: (زحف القوم زحفاً من باب: «نفع»^(١)).

قوله: ﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ يُطْلَقُ الدِّبْرُ عَلَى مُقَابِلِ الْقَبْلِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الظَّهْرِ وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا،
وَالْمَقْصُودُ: مَلْزُومُ تَوَلِّيَةِ الظَّهْرِ وَهُوَ الْإِنْهَازُ، فَهَذَا اللَّفْظُ اسْتَعْمِلَ فِي مَلْزُومِ مَعْنَاهُ؛ كَمَا أَشَارَ لَهُ الْمَفْسِّرُ
بِقَوْلِهِ: (مُنْهَزِمِينَ)، و﴿الْأَدْبَارَ﴾: مَفْعُولُ ثَانٍ لـ ﴿تُولُوهُمْ﴾، وَكَذَا ﴿دُبُرُهُ﴾ مَفْعُولُ ثَانٍ لـ ﴿يُولِيهِمْ﴾.
وَفِي الْآيَةِ تَعْرِیْضٌ؛ حَيْثُ ذَكَرَ لَهُمْ حَالَةُ تُسْتَهْجَنٍ مِنْ فَاعِلِهَا فِي تَعْبِيرِهِ بِلَفْظِ الدُّبْرِ دُونَ الظَّهْرِ.

قوله: (أي: يوم لقائهم) حلٌّ معنًى، وإلَّا... فمقتضى التنوين في (إِذٍ) أَنْ يَقُولَ: يَوْمَ لَقِيتُمُوهُمْ؛
لأنه عوضٌ عن جملة.

(١) «المصباح المنير»، مادة: (زح ف).

دُبْرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَهُ جَهَنَّمُ
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ

﴿دُبْرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾: مُنْعِطِفًا ﴿لِقِنَالٍ﴾: بِأَنْ يُرِيَهُمُ الْفَرَّةَ مَكِيدَةً وَهُوَ يُرِيدُ الْكُرَّةَ، ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا﴾: مُنْضَمًّا ﴿إِلَى فِتْنَةٍ﴾: جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَسْتَنْجِدُ بِهَا، ﴿فَقَدْ بَاءَ﴾: رَجَعَ ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: الْمَرْجِعُ هِيَ، وَهَذَا مَخْصُوصٌ بِمَا إِذَا لَمْ يَزِدِ الْكُفَّارَ عَلَى الضَّعْفِ.

﴿١٧﴾ ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ بِبَدْرِ بِقُوَّتِكُمْ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾ في نصبه مع ما عطف عليه وجهان: أحدهما: أنه حال، والثاني: أنه مستثنى من ضمير المؤمنين.

قوله: (الفرّة) بفتح الفاء، وهي المرة من الفرّ بمعنى: الفرار؛ أي: الهرب، وقوله: (مكيدة) أي: خديعة ومكرًا، وقوله: (وهو يريد الكرّة) أي: الرجعة؛ لأنّ الكرّة: المرة من الرجوع، والكرّ: الرجوع، وهذا أحد أبواب الحرب ومكايدها.

قوله: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا﴾ والتحوّز: الانضمام، وأصل تحيّز: (تَحْيُوزٌ)؛ اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياءً، وأدغمت الياء في الياء.

قوله: (يستنصر) أي: يستنصر ويستعين.

قوله: ﴿فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ﴾ جواب الشرط، وهو (من)، والباء للملابسة؛ أي: مُلْتَبَسًا ومصحوبًا بغضب.

قوله: ﴿وَمَأْوَهُ﴾ أي: مَسْكَنُهُ، وفي الآية وعيدٌ عظيمٌ؛ ولذلك قيل: إن الفرار أكبر الكبائر بعد الكفر.

قوله: (مخصوص) أي: مقصور؛ أي: فإن زادت عن الضعف؛ كما إذا كان المسلمون ربع الكفار.. فلا يحرم الفرار.

قوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ نزلت هذه الآية لما افتخر المسلمون بعد رجوعهم من بدر؛ فكان الواحد منهم يقول: أنا قتلْتُ كذا، أسرت كذا، فعلمهم الله الأدب بقوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ...﴾ إلخ، والفاء واقعة في جواب شرط مقدّر؛ أي: إن افتخرتم بقتلهم.. فلم تقتلوهم.

وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بِنَصْرِهِ إِيَّاكُمْ، ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ أَعْيُنَ الْقَوْمِ ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ بِالْحَصَى؛ لِأَنَّ كَفًّا مِنَ الْحَصَى لَا يَمْلَأُ عُيُونَ الْجَيْشِ الْكَثِيرِ بِرَمِيَةِ بَشَرٍ، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ بِإِيصَالِ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ، فَعَلَ ذَلِكَ لِيَقْهَرَ الْكَافِرِينَ، ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ﴾: عَطَاءٌ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ قرئ بتشديد (لكن) وتخفيفها؛ فعلى التخفيف: تكون مهملة، ولفظ الجلالة مرفوعٌ على الابتداء، وعلى التشديد: تكون عاملة عمل (إن)، ولفظ الجلالة منصوبٌ على أنه اسمها، وهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ ظاهره التناقض؛ حيث جمَعَ بين النفي والإثبات، والجواب: أن المنفي الرمي بمعنى: إيصال الحصى لأعينهم، والمثبت فعلُ الرمي؛ كما أشار لهذا الجواب المفسر بقوله: (إيصال ذلك إليهم).

قوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ فيه القراءتان المتقدمتان، وقد علمت أن حكمة قوله تعالى: ﴿قَلَّمَ تَقَاتُلَهُمْ﴾ التَّادِيْبُ لبعض المؤمنين، وأما حكمة قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾: إثباتُ أنها معجزةٌ من الله لنبيه؛ لتذكر من جملة مُعْجَزَاتِهِ التي أُمِرَ بالتحدث بها، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْعَمَ عَلَيْكَ فَقَدْ حَدَّثَ﴾ [الضحى: ١١]، وقال البوصيري^(٢): [الخفيف]

ورمى بالحصى فأقصد جيشاً ما الحصى عنده وما الإلقاء

قوله: (فعل) أي: الله (ذلك) أي: القتل والرمي، وقوله: (ليقهر... إلخ) قدره ليعطف عليه: ﴿وَلِيُبْلِيَ﴾.

قوله: (عطاء) أي: فالمراد من الإبلاء: الإعطاء، فهو إبلاء بخير لا بشر؛ فإنَّ البلاء يقع على النعمة وعلى المحنة؛ لأن أصله: الاختبار، وذلك كما يكون بالمحنة لإظهار الصبر، يكون بالنعمة؛ لإظهار الشكر.

(١) قرأ ابن عامر وحزمة والكسائي: (وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ)، بكسر النون مخففةً، ورفع الهاء من اسم (الله)، والباقون بفتح النون مشددةً ونصب الهاء. انظر «السراج المنير» (١/٥٦٢).

(٢) من قصيدته المشهورة بالهمزية. انظر «المنح المكية» (ص ٣٣١)، وفيه: (ما العصا) بدل (ما الحصى) يعني: عصا سيدنا موسى، قال الإمام ابن حجر رحمه الله: (أي: لا تقاس معجزة نبينا ﷺ في إلقاء ذلك الحصى بمعجزة موسى عليه الصلاة والسلام في إلقاء عصاه على ما ذكر؛ لأن معجزة نبينا أظهر وأبهر؛ إذ إلقاء موسى لعصاه حاكي إلقاء السحرة لإعصيتهم وحبالهم، ومعجزة نبينا لم تحاك قط).

حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكَمُ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كِيدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَفِئُوا
فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ

﴿حَسَنًا﴾ هو الغنيمَةُ، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالِهِمْ، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِأَحْوَالِهِمْ.

﴿١٨﴾ ﴿ذَلِكَمُ﴾ الإبلاءُ حَقٌّ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ﴾: مُضْعِفٌ ﴿كِيدِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿١٩﴾ ﴿إِنْ تَسْتَفِئُوا﴾ أَيُّهَا الْكُفَّارُ، أَي: تَطْلُبُوا الْفَتْحَ أَي: الْقَضَاءَ، حَيْثُ قَالَ أَبُو جَهْلٍ
مِنْكُمْ: اللَّهُمَّ أَتَيْنَاكَ قَدْ أَقْطَعْنَا لِلرَّجْمِ وَأَتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُ فَأَجِنُهُ الْغَدَاةَ أَي: أَهْلِكْهُ، ﴿فَقَدْ
جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾: الْقَضَاءُ بِهَلَاكِ مَنْ هُوَ كَذَلِكَ وَهُوَ أَبُو جَهْلٍ وَمَنْ قُتِلَ مَعَهُ دُونَ النَّبِيِّ ﷺ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿ذَلِكَمُ﴾ مبتدأ، خبره محذوف قدره المفسر بقوله: (حَقٌّ)، وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ يجوز
أن يكون معطوفاً على ﴿ذَلِكَمُ﴾ فيكون في محل رفع بالابتداء وخبره محذوف أيضاً، والمعنى: ذلكم
الإبلاء للمؤمنين حَقٌّ، وتوهين كيد الكافرين حَقٌّ. و﴿مُوهِنٌ﴾ بفتح الواو وتشديد الهاء والتنوين،
ف(كَيْدٌ) منصوب على المفعولية به، ويُقرأ بسكون الواو وتخفيف الهاء من (أَوْهِنَ) ك(أَكْرَمَ) مَنُونًا،
أو مضافاً إلى (كَيْدِ)، فالقراءات ثلاث، وكلها سبعة^(١).

قوله: (أَيُّهَا الْكُفَّارُ) أَي: فهو خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم؛ لأنهم الذين وقع بهم
الهلاك، والفتح وقع لغيرهم.

قوله: (أَي: الْقَضَاءُ) أَي: الْحُكْمَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ بِنَصْرِ الْمُحَقِّ وَخِذْلَانِ الْمُبْطِلِ.

قوله: (حَيْثُ قَالَ أَبُو جَهْلٍ) أَي: وغيره من قريش حين أرادوا الخروج إلى بدر؛ تعلّقوا بأستار
الكعبة، ودعوا بما ذكره المفسر.

قوله: (أَتَيْنَاكَ) أَي: الْفَرِيقَيْنِ، يعني: نَفْسَهُ وَمَنْ مَعَهُ، وَمُحَمَّدٌ وَمَنْ مَعَهُ، وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّ مُحَمَّدًا هُوَ
الْقَاطِعُ لِلرَّحِمِ حَيْثُ خَرَجَ مِنْ بَلَدِهِ وَتَرَكَ أَقَارِبَهُ.

قوله: (فَأَجِنُهُ الْغَدَاةَ) الْحَيْنُ بِالْفَتْحِ: الْهَلَاكُ، يُقَالُ: حَانَ الرَّجُلُ: هَلَكَ، وَأَحَانَهُ اللَّهُ: أَهْلَكَهُ،
و(الْغَدَاةُ): ظَرْفٌ لِلْحَيْنِ؛ أَي: أَهْلَكَهُ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ.

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الواو، وتشديد الهاء، وتنوين النون، ونصب الدال، وقرأ حفص بسكون الواو،
وتخفيف الهاء، وعدم تنوين النون، وخفض الدال، والباقيون بسكون الواو، وتخفيف الهاء مع تنوين النون، ونصب
الدال. انظر «السراج المنير» (١/٥٦٣).

وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ

﴿٢٣﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا: صَاحِبًا بِسَمَاعِ الْحَقِّ ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ سَمَاعَ تَفْهَمَ، ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ فَرَضًا وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ لَا خَيْرَ فِيهِمْ ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ عَنْهُ ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عَنْ قَبُولِهِ عِنَادًا وَجُحُودًا.

﴿٢٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ بِالطَّاعَةِ ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ هذا تسليّة للنبي ﷺ على عدم إيمانهم. و(لو): حرف امتناع لامتناع، والمعنى: امتنع سماعهم الخير سماعَ تفْهَمَ؛ لامتناع عِلْمِ الخير فيهم.

قوله: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ هذا تَرْقُّ في التسليّة، والمعنى: لو فَرَضَ أَنَّ اللَّهَ أَسْمَعَهُمْ سَمَاعَ تَفْهَمَ.. لتَوَلَّوْا وهم مُعْرِضُونَ عنه عِنَادًا، فلا تحزن على كفرهم؛ فَإِنَّ كفرهم ثابتٌ مطلقًا، فهُمُوا الحقُّ أو لا، هذا حاصل معنى الآية.

واستشكل ظاهرها: بأن الآية دَلَّتْ على قياس حاصِله: لو علم الله فيهم خيرًا.. لأسمعهم، ولو أسمعهم لتولَّوْا، يَنْتِج: لو علم الله فيهم خيرًا لتولَّوْا، وهو فاسد؛ إذ لو علم الله الخير فيهم لآمنوا ولم يكفروا.

وأجيب بجوابين: الأول: أن الحدَّ المكرَّر لم يَتَّحِدْ معْنَى، وشرط الإنتاج اتِّحَادُهُ معْنَى؛ لأنَّ المراد بالإسماع الأول: الموجبُ للفهم والإذعان، والإسماعُ الثاني للفهم من غير إذعان.

الثاني: أن الكلام تَمَّ عند قوله: ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾، وقوله: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ تَرْقُّ في التشنيع عليهم، فالمعنى: هم لم يؤمنوا ولم ينقادوا عند التفهم على فرض حصوله، فإيمانهم عند عدمه أولويٌّ؛ نظير: لو لم يخف الله لم يعصه، ولكن تولَّيهم عند ظهور الحق عِنَادًا وجُحُودًا، وعند عدمه جهلٌ.

قوله: ﴿أَسْتَجِيبُوا﴾ السين والتاء زائدتان للتوكيد.

قوله: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ أفرد؛ لأنَّ دعوة الرسول في الحقيقة هي لله، وذكر الرسول أولًا؛ لأنه المبلِّغ عن الله، فعدم طاعته مخالفة لله.

قوله: ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (ما): إما نكرة، وجملة ﴿يُحْيِيكُمْ﴾ صفة، أو اسم موصول وما بعدها صلة، والمعنى: لما فيه حياتكم الأبدية.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

من أمر الدين؛ لأنه سبب الحياة الأبدية، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته، ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم. ﴿٢٥﴾ ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ إن أصابتكم ﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ بل تعمهم وغيرهم، واتقوا بها إنكار موجبها من المنكر، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالفه. حاشية الصاوي

قوله: (من أمر الدين) أي: وهو الإيمان والإسلام، وقيل: هو القرآن؛ لأنه حياة القلوب، وبه النجاة من أهوال الدنيا والآخرة، وقيل: هو الحق مطلقاً، وقيل: الجهاد في سبيل الله، وأتمها ما قاله المفسر.

قوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ أي: يفصل بينهما بتصاريفه وأحكامه، وذلك كناية عن كونه أقرب للشخص من قلبه، ومن قلبه لذاته، بل هو أقرب من السمع للأذن، ومن البصر للعين، ومن اللمس للجسد، ومن الشمم للأنف، ومن الذوق للسان؛ فشبه القرب بالحيولة، واستعير اسم المشبه به - وهو الحيولة - للمشبه - وهو القرب - واشتق من الحيولة (يحول) بمعنى: يقرب على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

قوله: (فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته) تقدم أنه لا مفهوم للكفر والإيمان، بل السمع والبصر والشم والذوق واللمس في قبضة الله سبحانه؛ إن شاء أبقيه، وإن شاء أذهبه، وإنما خص الإيمان والكفر؛ لأنه مناط السعادة والشقاوة.

قوله: (فيجازيكم بأعمالكم) أي: إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

قوله: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ أي: سبب فتنة، وهي المعاصي؛ فإنها سبب لنزول المصائب الدنيوية.

قوله: ﴿لَا تُصِيبَنَّ﴾ الجملة صفة لـ ﴿فِتْنَةً﴾، و﴿لَا﴾ نافية، و﴿تُصِيبَنَّ﴾ فعل مضارع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وهو واقع في جواب شرط مقدم، قدره المفسر بقوله: (إن أصابتكم)، وليس جواباً للأمر؛ لأن المترتب على تقواها عدم إصابتها أحداً، لا خصوصاً ولا عموماً، وإنما أكد الفعل المضارع المنفي بالنون؛ إجراء له مجرى النهي.

قوله: (بل تعمهم وغيرهم) أي: فالظالم لظلمه، وغير الظالم لإقراره وسكوته، وعدم نهيه

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ

﴿٢٦﴾ وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ: أَرْضٍ مَكَّةَ ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾: يَأْخُذُكُمُ الْكُفَّارُ بِسُرْعَةٍ، ﴿فَآوَاكُمْ﴾ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴿وَأَيَّدَكُمْ﴾: قَوَّاهُمْ ﴿بِصَرِّهِ﴾: يَوْمَ بَدْرٍ بِالْمَلَائِكَةِ، ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: الْغَنَائِمُ

حاشية الصاوي

عن المنكر، وفي الحديث ما معناه: «مثل الظالم كمثل جماعة في أسفل مركب، ومثل غير الظالم الراضي كمثل جماعة في أعلى المركب، فأراد أهل الأسفل أن يخرقوا خرقاً يستقون منه؛ فإن سلم لهم أهل الأعلى.. هلكوا جميعاً، وإن قاموا عليهم.. نجوا جميعاً»^(١).

قال ابن عباس: (أمر الله المؤمنين ألا يُقِرُّوا المنكر بين أظهرهم؛ فيعظمهم الله بالعذاب، فيصيب الظالم وغير الظالم)^(٢)، وفي الحديث: «إن الله لا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ حَتَّى يَرَوْا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانِهِمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ فَلَا يُنْكِرُوهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ.. عَذَّبَ اللَّهُ الْعَامَّةَ وَالْخَاصَّةَ»^(٣)، وَوَرَدَ: «إِذَا عَمَّتِ الْخَطِيئَةُ فِي الْأَرْضِ.. كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَأَنْكَرَهَا كَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيهَا.. كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا»^(٤) إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ.

فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ.. فَلَا تَشْكَلْ هَذِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]؛ لِمَا عَلِمْتَ أَنَّ السَّائِكَتَ عَلَى الْمُنْكَرِ مُوَآخِذٌ يُوْزَرُ نَفْسُهُ، لَا يُوْزَرُ الْمُبَاشِرُ.

قوله: ﴿وَأَذْكُرُوا﴾ خطاب للنبي وأصحابه، نزلت بعد غزوة بدر^(٥).

قوله: ﴿مُسْتَضْعَفُونَ﴾ أي: مُظْهِرُونَ الضَّعْفِ؛ لِعَدَمِ أَمْرِكُمْ بِالْقِتَالِ.

قوله: (الغنائم) أي: فَلَمَّا هَاجَرُوا وَأَمَرُوا بِالْقِتَالِ.. تَرَكُوا التَّجَارَةَ، وَصَارَ رِزْقُهُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رَمْحِي»^(٦).

(١) رواه البخاري (٢٤٩٣) عن سيدنا النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٣٠٤/٢).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٢٥٨/٢٩) عن سيدنا عميرة بن فروة رضي الله عنه، وقوله: (فلا ينكروه) بحذف النون لغة معروفة.

(٤) رواه أبو داود (٤٣٤٥) عن سيدنا العرس بن عميرة رضي الله عنه.

(٥) انظر «زاد المسير» (٢٠٢/٢).

(٦) رواه أحمد في «المسند» (١٢٣/٩) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنه، وأورده البخاري تعليقاً، كتاب: الجهاد

والسير، باب: ما قيل في الرماح.

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نِعَمَهُ .

﴿٢٧﴾ وَنَزَلَ فِي أَبِي لُبَابَةَ مَرْوَانَ بْنِ عَبْدِ الْمُنْذِرِ وَقَدْ بَعَثَهُ ﷺ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ لِيَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِهِ، فَاسْتَشَارُوهُ فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ الذَّبْحُ لِأَنَّ عِيَالَهُ وَمَالَهُ فِيهِمْ:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: فتزدادوا من النعم؛ لأن بالشكر تزداد النعم، قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] .

قوله: (ونزل في أبي لبابة) اسمه: مروان كما في بعض النسخ، وقيل: رفاعة.

قوله: (وقد بعثه... إلخ) حاصل قصته: أن رسول الله حاصر قريظة خمسا وعشرين ليلة - وقيل: خمسة عشر، وقيل: بضعة عشر يوما - فلما اشتد عليهم الأمر.. قام عليهم رئيسهم كعب بن أسد وعرض عليهم الإيمان، فقال: يا معشر اليهود؛ قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإنني أعرض عليكم خصالا ثلاثا؛ فخذوا بما شئتم، قالوا: وما هي؟ قال: تُبايع هذا الرجل ونصدقه؛ فوالله لقد تبين أنه نبي مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم؛ فتأمنون على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، فأبوا، فقال: هلم نقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مجردين السيوف من أغمادها، لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فقالوا: أي عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا؟ فقال: إن هذه الليلة ليلة السبت، وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمثوا فيها، فانزلوا لعلنا نصيبهم، فقالوا: نُفسد سبتنا وقد علمت مسخ من خالف السبت، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ؛ أن ابعث لنا أبا لبابة نستشير في أمرنا، فأرسل إليهم، فلما رأوه.. قام إليه الرجال، وفزع النساء والصبيان يَبكون في وجهه، فرق لهم، قالوا: يا أبا لبابة؛ أترى أن ننزل على حكم محمد، قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح، فقال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفتُ أنني خُنتُ الله ورسوله، ثم انطلق وسلك طريقا أخرى ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عُمدِهِ، وقال: لا أبرح من مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ مما صنعتُ، فلما بلغ خبره رسول الله ﷺ وقد استبطأه.. قال: «أما لو جاءني.. لاستغفرتُ له، وأما إذ فعل ما فعل.. فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه»، فأقام أبو لبابة مرتبطا بالجذع ست ليال - وقيل: بضعة عشر ليلة - حتى ذهب سمعه، وكاد يذهب بصره، وكانت امرأته تأتيه في وقت كل صلاة، فتحلله للصلاة ثم تربطه، ثم نزلت توبته في بيت أم سلمة على رسول الله ﷺ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا
أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَ﴾ لا ﴿تَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ﴾: ما ائتمنتم عليه من الدين وغيره ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لَكُمْ صَادَّةٌ عَنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

حاشية الصاوي

سَحَرًا، فقام يضحك، فقالت أم سلمة: ممّ تضحك؟ أضحك الله سنك، قال: «تيب على أبي لبابة»، قالت: أفلا أبشّره يا رسول الله؟ قال: «بلى إن شئت»، فقامت على باب حُجرتها - وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب - فقالت: يا أبا لبابة؛ أبشّر فقد تاب الله عليك، فتسارع إليه الناس ليُطلقوه، فقال: لا والله حتى يكون رسول الله هو الذي يُطلقني بيده، فلما أصبح الصبح.. أطلقه.

فلما اشتد الحصار على بني قريظة.. أطاعوا وانقادوا أن ينزلوا على حكم رسول الله، فحكم فيهم سعد بن معاذ وكان في خيمة في المسجد الشريف لامرأة من أسلم يقال لها: رُفيدة، وكانت تداوي الجرحى حسبةً، فأتي به، فلما حضر.. قال رسول الله ﷺ: «قوموا لسيدكم»، فقاموا إليه فقالوا: إن رسول الله ولّاك أمر مَواليك لتحكم فيهم، فقال سعد: إني أحكم فيهم أن تُقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتُسبى الذراري والنساء، فقال عليه الصلاة والسلام: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»، والرقيع: السماء، ففعل بهم كما قال سعد^(١).

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إنما عمّم الخطاب؛ إشارةً إلى الستر عليه، وأنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قوله: ﴿وَتَخُونُوا﴾ معطوف على الفعل قبله، فهو في حيّز النهي؛ ولذا قدّر المفسّر (لا)، فهو نهْيٌ عن الخيانتين.

قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿تَخُونُوا﴾.

قوله: (صَادَّةٌ) أي: مانعة.

(١) انظر خبر أبي لبابة وحكم سعد ﷺ في «تفسير الخازن» (٣/٤٢٠)، و«زاد المسير» (٢/٢٠٣).

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا

فلا تُفَوِّتُوهُ بِمُرَاعَاةِ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَالْخِيَانَةِ لِأَجْلِهِمْ . وَنَزَلَ فِي تَوْبَتِهِ :

﴿٢٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ ﴿بِالْإِنَابَةِ وَغَيْرِهَا﴾ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مَا تَخَافُونَ فَتَتَجَبَّحُونَ﴾ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴿ذُنُوبَكُمْ﴾ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

﴿٣٠﴾ اذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ ﴿إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وَقَدْ اجْتَمَعُوا لِلْمُشَاوَرَةِ فِي شَأْنِكَ

حاشية الصاوي

قوله : (فلا تفوتوه بمراعاة الأموال... إلخ) أي : لأنها أمور زائلة فانية، وسعادة الآخرة لا نهاية لها، فهي أولى بتقديمها على ما يقنى .

قوله : ﴿فُرْقَانًا﴾ أي : نجاة مما تخافون، وقد أشار لهذا المفسر بقوله : (فتتجبحون)، وقيل : المراد بالفرقان : النور الكائن في القلب الذي يفرق بين الحق والباطل، وهو أولى .

قوله : ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ أي : يمحوها، فقوله : ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ عطف مرادف عليه .

قوله : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ﴾ (إذ) : ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله : (اذكر)، وهذا تذكير لنعمة الله على نبيه إثر تذكير نعمة الله على المؤمنين بقوله : ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال : ٢٦]، والمكر : الاحتياؤ على إيصال الضرر للغير .

وحاصل ذلك : أن قريشاً عرفوا لما أسلم الأنصار أن أمر رسول الله يتفاخم ويظهر، فاجتمع نفر من كبار قريش في دار الندوة؛ ليتشاوروا في أمر رسول الله ﷺ، وكان رؤساءهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل وأبو سفيان وطعمة بن عدي، والنضر بن الحارث وأبو البختري^(١) بن هشام، وزمعة بن الأسود، فجاءهم إبليس في صورة شيخ نجد، فلما رأوه... قالوا له : من أنت؟ قال : أنا شيخ من نجد، سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم، ولن تعدموا مني رأياً ونصحاً، فقالوا : ادخل، فدخل، فقال أبو البختري : أمّا أنا فأرى أن تأخذوا محمداً وتحبسوه في بيت مقيداً، وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها طعامه وشرابه حتى يهلك، فصرخ ذلك الشيخ النجدي وقال : بش الرأي، إن أصحابه يُقاتلونكم ويخرجونه قهراً عليكم، فقالوا : صدق الشيخ النجدي .

(١) كذا في الأصول، وفي كتب السيرة النبوية : (أبو البختري) .

لِيُنْثِيَتْكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمَكُرُونَ

بِدَارِ النَّدْوَةِ ﴿لِيُنْثِيَتْكَ﴾: يُوثِقُوكَ وَيَحْبِسُوكَ، ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ كُلُّهُمْ قِتْلَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ، ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ مِنْ مَكَّةَ، ﴿وَيَمَكُرُونَ﴾ بِكَ

حاشية الصاوي

فقال هشام بن عمرو: إني أرى أن تحملوه على بعير فتخرجوه من بين أظهركم فلا يضرّكم ما صنع، فقال ذلك الشيخ النجدي: ما هذا برأي؛ تَعمدون إلى رجل قد اتبعه سفهاؤكم، فتخرجوه إلى غيركم فيفسدهم، ألم تروا إلى حلاوة منطقته وطلاقة لسانه؟ لئن فعلتم ذلك يذهب ويستميل قلوب قوم آخرين، فيسير بهم إليكم، فيخرجكم من بلادكم.

فقال أبو جهل: إني أرى أن تأخذوا من كل بطنٍ من قريش شاباً نسيباً، ويعطى كل شاب سيفاً صارماً، ثم يضربونه ضربة واحدة، فإذا قتل.. تفرّق دمه في القبائل، ولا أظن أن هذا الحيّ من بني هاشم يَفْقَوْنَ على حرب قريش كلّها، غايته يطلبون ديتة، وهو أمرٌ سهلٌ، فقال إبليس: إنه أجودكم رأياً، فتفرقوا على ذلك، فأتى جبريل عليه السلام وأخبر رسول الله بذلك، وبأن الله أذن له في الخروج إلى المدينة، فلمّا كان الليل.. اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام، فأمر رسول الله عليّاً أن يبيت بمضجعه وقال له: «تسجّ ببردتي فإنه لن يخلّص إليك منهم أمرٌ تكرهه»، ثم خرج رسول الله ﷺ عليهم وقد أخذ الله أبصارهم، فلم يره منهم أحدٌ، ونثر على رؤوسهم التراب وهو يتلو قوله تعالى: ﴿يَسْ﴾... إلى قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩]، ثم أتاهم آت فقال لهم: إن محمداً خرج عليكم ووضع التراب على رؤوسكم، فما من رجلٍ منهم أصابه ذلك التراب إلا قُتل يوم بدر كافراً^(١).

قوله: (بدار الندوة) أي: بالدار التي يقع فيها الحديث والاجتماع، وهي أول دار بُنيت بمكة، فلمّا حجّ معاوية.. اشتراها من الزبير العبدري بمئة ألف درهم، ثم صارت كلّها بالمسجد الحرام، وهي في جانيه الشمالي.

قوله: ﴿لِيُنْثِيَتْكَ﴾ هذا إشارة لرأي أبي البحتري.

قوله: ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ أي: شبان القبائل (كُلُّهُمْ قِتْلَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ)، وهو إشارة لرأي أبي جهل.

قوله: ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ هو إشارة لرأي هشام بن عمرو.

وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾

﴿وَيَمَكُرُ اللَّهُ﴾ بِهِمْ بِتَدْبِيرِ أَمْرِك؛ بِأَن أَوْحَى إِلَيْكَ مَا دَبَّرُوهُ وَأَمَرَكَ بِالْخُرُوجِ، ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ أَعْلَمُهُمْ بِهِ.

﴿٣١﴾ ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾: الْقُرْآنُ ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ قَالَهُ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْتِي الْحِيرَةَ يَتَجَرَّ، فَيَشْتَرِي كُتُبَ أَخْبَارِ الْأَعَاجِمِ وَيُحَدِّثُ بِهَا أَهْلَ مَكَّةَ، ﴿إِنْ﴾: مَا ﴿هَذَا﴾ الْقُرْآنُ ﴿إِلَّا أَسْطِيرُ﴾: أَكَاذِيبُ ﴿الْأَوَّلِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (بتدبير أمرك) جوابٌ عما يقال: إن حقيقة المكر محالةٌ على الله تعالى؛ لأنه الاحتيالُ على الشيء من أجل حصول العجز عنه، وأجيب أيضاً: بأن المراد بمكر الله: مُعاملتهُ لهم معاملةً الماكر؛ حيث خَيَّبَ سَعِيهِمْ، وَضَيَّعَ أَمْلَهُمْ، أَوِ المراد: جازاهم على مكرهم، فَسَمَّى الْجَزَاءَ مَكْرًا؛ لَأنَّهُ فِي مُقَابَلَتِهِ.

قوله: (أعلمهم به) دفع بذلك ما يقال: إنَّ المكر لا خير فيه، وأجيب أيضاً: بأن اسم التفضيل ليس على بابه.

قوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ هذا من جملة قبائح أهل مكة.

قوله: ﴿مِثْلَ هَذَا﴾ تنازعه كلٌّ من ﴿سَمِعْنَا﴾ و﴿قُلْنَا﴾.

قوله: (الحيرة) بلدة بقرب الكوفة، قوله: (أخبار الأعاجم) أي: كالفرس والروم.

قوله: ﴿إِلَّا أَسْطِيرُ﴾ جمع أسطورة كـ (أكاذيب) جمع أكذوبة وزناً ومعنى، وقد ردَّ الله عليهم

تلك المقالة بقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ﴾ [هود: ١٣]، وقال أيضاً: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورٍ مِثْلِهِ﴾

[يونس: ٣٨] فَعَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ، وَقَالَ الْبُوصِيرِيُّ^(١): [الخفيف]

سُورٌ مِنْهُ أَشْبَهَتْ صُوراً مِنْهُ ۖ وَمِثْلُ السَّطَائِرِ النَّظَرَاءِ

(١) في همزته، انظر «المنح المكية» (ص ٣٩٥).

وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ
أَوْ أَثْنِنا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ

﴿٣٢﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الَّتِي يَقْرؤُهُ مُحَمَّدٌ ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ الْمُنْزَلُ ﴿مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أَثْنِنا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤَلِّمٌ عَلَى انْكَارِهِ، قَالَهُ النَّضْرُ وَغَيْرُهُ اسْتِهْزَاءً وَإِيهَامًا أَنَّهُ عَلَى بَصِيرَةٍ وَجَزْمٍ يُبْطِلَانِهِ.

﴿٣٣﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ بِمَا سَأَلُوهُ ﴿وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ لِأَنَّ الْعَذَابَ إِذَا نَزَلَ عَمَّ، وَلَمْ تُعَذَّبْ أُمَّةٌ إِلَّا بَعْدَ خُرُوجِ نَبِيِّهَا وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْهَا، ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ...﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ القراء السبعة على نصب ﴿الْحَقُّ﴾ خبراً لـ ﴿كَانَتْ﴾، و﴿هُوَ﴾ ضميرُ فصل لا محلَّ له من الإعراب، وقرئ شذوذاً برفعه على أنه خبر للضمير، والجملة خبرٌ لـ ﴿كَانَ﴾^(١).
قوله: ﴿مِنْ عِنْدِكَ﴾ حال من ﴿الْحَقِّ﴾.

قوله: ﴿حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: من سجيل مُسَوِّمة كما أرسلتها على أصحاب الفيل.

قوله: ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: كالصيحة والحسف.

قوله: (قاله النضر) أي: ابن الحارث، وقوله: (أو غيره) أي: وهو أبو جهل، ولا مانع من أن كلاً قال ذلك.

قوله: (استهزاء) أي: سُخْرِيَةٌ بِهِ ﷺ.

قوله: (وإيهاماً أنه على بصيرة) أي: لأنَّ أَصْعَبَ الْإِيمَانِ الدَّعَاءُ عَلَى النَّفْسِ.

قوله: (بما سألوه) أي: وهو الحجارة، أو العذاب الأليم، ولا بِالْعَذَابِ الْعَامِ؛ لِرَفْعِهِ بِرُكْنِهِ ﷺ.

قوله: ﴿وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ أي: في بلادهم؛ فَإِنْ خَرَجْتَ مِنْهَا أَنْتَ وَالْمُؤْمِنُونَ.. عَذَّبَهُمُ اللَّهُ عَلَى أَيْدِيكُمْ عَذَابًا خَاصًّا بِهِمْ.

قوله: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ﴾ أي: عَذَابًا عَامًّا وَلَا خَاصًّا.

(١) قرأ الجمهور بالنصب، وقرأ الأعمش وزيد بن علي بالرفع، وهي جائزة في العربية، وهي لغة تميم يرفعون بعد (هو) التي هي فصل في لغة غيرهم. انظر «البحر المحيط» (٥/٣١٠).

وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ

وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ حَيْثُ يَقُولُونَ فِي طَوَافِهِمْ: غُفْرَانُكَ غُفْرَانُكَ، وَقِيلَ: هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُسْتَضَعْفُونَ فِيهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥].

﴿٣٤﴾ وَمَا لَهُمْ أَنْ ﴿لَا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ بِالسَّيْفِ بَعْدَ خُرُوجِكَ وَالْمُسْتَضَعْفِينَ، وَعَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ هِيَ نَاسِخَةٌ لِمَا قَبْلُهَا، وَقَدْ عَذَّبَهُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَغَيْرِهِ،
حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ الجملة حالية من الضمير في ﴿مُعَذِّبَهُمُ﴾، والمعنى: أن الله لا يعذبهم والحال أنهم يستغفرون، فاستغفارهم نافع لهم بعدم نزول العذاب عليهم.
إن قلت: يُشْكَلُ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا دُعَتُوا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٥٠].

أجيب: بأن استغفارهم نافع في الدنيا فقط، وأما هاتان الآيتان.. فالمراد منهما ما يحصل في الآخرة، فأعمال الكفار الصالحة التي لا تفتقر إلى نية كالصدقات وفعل المعروف والاستغفار.. تنفعهم في الدنيا، وتمنع عنهم العذاب فيها، ولا تنفعهم في الآخرة.

قوله: (وقيل: هم المؤمنون) أي: فضمير ﴿مُعَذِّبَهُمُ﴾ يعود إلى أهل مكة، وقوله: ﴿وَهُمْ﴾ الضمير عائد على أهل مكة باعتبار مجموعهم، وهم المؤمنون.

قوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ أي: تميز المؤمنون عن الكفار.

قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أي شيء ثبت لهم في عدم تعذيب الله لهم؟ أي: لا مانع لهم منه.

قوله: (والمستضعفين) أي: وخروج المستضعفين أيضاً.

قوله: (وعلى القول الأول) أي: وهو كون الضمير عائداً على الكفار.

قوله: (هي ناسخة لما قبلها) أي: وهي قوله: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾؛ لأنه أخبر أولاً أنه لا يعذبهم مع استغفارهم، وأخبر ثانياً أنه يعذبهم ولا يُبَالِي باستغفارهم، والوجه: أنها ليست منسوخة؛ لأنها خبر، والأخبار لا تُنسخ، وأيضاً: استغفارهم قد انقطع بخروجهم للمقاتلة لارتباط استغفارهم بالبيت.

وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُٗٓ إِنِ أَوْلِيَائُوهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾

﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾: يَمْنَعُونَ النَّبِيَّ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أَنْ يَطُوفُوا بِهِ، ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُٗٓ﴾ كَمَا زَعَمُوا، ﴿إِن﴾: مَا ﴿أَوْلِيَائُوهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَنْ لَا وِلَايَةَ لَهُمْ عَلَيْهِ.

﴿٣٥﴾ ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً﴾: صَفِيرًا ﴿وَتَصَدِيَةً﴾: تَصْفِيْقًا، أَي: جَعَلُوا ذَلِكَ مَوْضِعَ صَلَاتِهِمُ الَّتِي أُمِرُوا بِهَا، ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ بِبَدْرِ ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ الجملة حالية من ضمير ﴿يُعَذِّبُهُمْ﴾.

قوله: (أَنْ يَطُوفُوا بِهِ) أَي: النَّبِيُّ وَالْمُؤْمِنُونَ.

قوله: ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُٗٓ﴾ ردُّ لقولهم: نحن وُلاة البيت، فنصدُّ من نشاء، ونُدخل من نشاء.

قوله: ﴿إِنِ أَوْلِيَائُوهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ أَي: الْمُجْتَنِبُونَ الشَّرْكَ.

قوله: (أَنْ لَا وِلَايَةَ لَهُمْ عَلَيْهِ) أشار بذلك إلى أَنْ مَفْعُولٌ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ محذوف.

قوله: ﴿إِلَّا مُكَاءً﴾ استثناء من الصلاة على حَسَبِ زَعْمِهِمْ؛ حَيْثُ ادَّعَوْا أَنَّ الْمَكَاءَ وَالتَّصَدِيَةَ مِنْ جِنْسِ الصَّلَاةِ، فَالاستثناءُ زِيَادَةٌ فِي التَّشْنِيعِ عَلَيْهِمْ.

قوله: (صَفِيرًا) أَي: فَكَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ يُشَبِّكُ أَصَابِعَ إِحْدَى كَفَّيْهِ بِأَصَابِعِ الْآخَرَى وَيَضْمُهُمَا، وَيَنْفَخُ فِيهِمَا، فَيُظْهِرُ مِنْ ذَلِكَ صَوْتَ.

قوله: (تَصْفِيْقًا) أَي: ضَرْبًا لِإِحْدَى الْيَدَيْنِ عَلَى الْآخَرَى.

قوله: (أَي جَعَلُوا ذَلِكَ... إلخ) جواب عما يقال: إِنْ الْمَكَاءَ وَالتَّصَدِيَةَ لَيْسَا مِنْ جِنْسِ الصَّلَاةِ، فَكَيْفَ يَصِحُّ اسْتِثْنَاؤُهُمَا مِنْهَا؟ فَأَجَابَ: بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمَا مِنْ جِنْسِهَا، فَجَرَى الْاسْتِثْنَاءُ عَلَى مُعْتَقَدِهِمْ، وَكَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ حِينَ يَشْتَغِلُ النَّبِيُّ وَالْمُؤْمِنُونَ بِالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦].

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا

﴿٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ﴿٣٦﴾ فِي حَرْبِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿٣٦﴾ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿٣٦﴾ سَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ ﴿٣٦﴾ فِي عَاقِبَةِ الْأَمْرِ ﴿٣٦﴾ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ﴿٣٦﴾: نَدَامَةٌ لِفَوَاتِهَا وَقَوَاتٍ مَا قَصَدُوهُ، ﴿٣٦﴾ ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴿٣٦﴾ فِي الدُّنْيَا، ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٣٦﴾ مِنْهُمْ ﴿٣٦﴾ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴿٣٦﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿٣٦﴾ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾: يُسَاقُونَ.

﴿٣٧﴾ لِيَمِيزَ ﴿٣٧﴾ - مُتَعَلِّقٌ بِ﴿تَكُونُ﴾ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ - أَي: يَفْصِلُ ﴿٣٧﴾ اللَّهُ الْخَبِيثَ ﴿٣٧﴾: الْكَافِرَ ﴿٣٧﴾ مِنَ الطَّيِّبِ ﴿٣٧﴾: الْمُؤْمِنِ، ﴿٣٧﴾ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا ﴿٣٧﴾: يَجْمَعُهُ مُتْرَاكِبًا بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾) نزلت في كفار مكة، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ فَإِنَّ الْمَشَاهِدَ فِي الْكُفَارِ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(١).

قوله: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا﴾) أي: يَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ إِنْفَاقِهَا.

قوله: ﴿ثُمَّ تَكُونُ﴾) فِي عَاقِبَةِ الْأَمْرِ) أي: وَهِيَ عَدَمُ وُصُولِهِمْ لِمَقْصُودِهِمْ.

قوله: ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾) التَّعْبِيرُ بِ(ثُمَّ) إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُمْ يُمَهَّلُونَ؛ اسْتِدْرَاجًا لَهُمْ، وَزِيَادَةً حَسْرَةً لَهُمْ فِي الْعَاقِبَةِ.

قوله: (بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ) أي: فَهَمَا قِرَاءَتَانِ سَبْعَتَانِ^(٢).

قوله: ﴿جَمِيعًا﴾) إِمَّا حَالٌ مِنَ الْهَاءِ فِي ﴿فَيَرْكُمُهُ﴾، أَوْ تَوْكِيدٌ لَهَا.

قوله: (يَجْمَعُهُ مُتْرَاكِبًا بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ) ظَاهِرُ الْآيَةِ: أَنَّ هَذَا الْجَمْعَ قَبْلَ دُخُولِهِمُ النَّارَ، وَحِينَئِذٍ: فَيَكُونُ بَيَانًا لِحَالِهِمْ فِي الْمَوْقِفِ؛ لَمَّا تَقَدَّمَ أَنَّهُ يَكُونُ سَبْعُونَ أَلْفَ قَدَمٍ عَلَى قَدَمٍ.

(١) انظر «زاد المسير» (٢/٢١٠).

(٢) وقرأ: (لِيَمِيزَ) حمزة والكسائي بضم الياء الأولى، وفتح الميم، وتشديد الياء الثانية مع الكسر، والباقون بفتح الياء الأولى، وكسر الميم، وسكون الياء الثانية. انظر «السراج المنير» (١/٥٧٠).

فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِ ﴿٣٨﴾

﴿فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿٣٨﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٣٧﴾ كَأَبِي سَفِيَانَ وَأَصْحَابِهِ: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ عن الكُفْرِ وَقِتَالِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، ﴿وَإِنْ يَعُودُوا﴾ إِلَى قِتَالِهِ ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِ﴾ أَي: سُنَّتُنَا فِيهِمْ بِالْإِهْلَاكِ، فَكَذَا نَفْعَلُ بِهِمْ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي: الخائبون في الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أمرٌ للنبي ﷺ أَنْ يُبَلِّغَ الْكُفَّارَ مَا ذَكَرَ.

قوله: (كأبي سفيان وغيره) إنما خصَّهم؛ لأنهم هم الباقون من كفار مكة؛ لأن الآية نزلت بعد بدر، وفيها قُتِلَ مَنْ قَتَلَ مِنْ صَنَادِيدِهِمْ، وبقي من بقي، فالخطابُ لمن بقي.

قوله: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ عن الكفر) أي: بأن ينطقوا بالشهادتين صادقين مصدِّقين، فكلمة التوحيد سبب لانتقال من ديوان الأشقياء لديوان السعداء.

إذا علمت أن هذا الفضل لمن سبق له الكفر. . فما بالك بمن لم يسبق له الكفر وعاش مؤمناً ومات كذلك؟! قال السنوسي: (فعلى العاقل أن يُكثِرَ من ذكرها، مُستحضراً لما احتوت عليه من المعاني حتى تمتزج مع معناها بلحمه ودمه؛ فإنه يرى لها من الأسرار والعجائب ما لا يدخل تحت حصر^(١)).

قوله: (من أعمالهم) أي: السيئة، وأعظمها الكفر.

قوله: ﴿وَإِنْ يَعُودُوا﴾ أصل العود: الرجوع عن الشيء بعد التلبُّس به، وحينئذ فيكون المعنى: وإن يرتدوا عن الإسلام بعد تلبُّسهم به، ويصحُّ أن يفسَّرَ العودُ بالاستمرار على الكفر.

قوله: ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِ﴾ أي: كعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ممَّن هلك.

إن قلت: إن هؤلاء قد أصابهم الهلاك العام، وأمَّا أمة محمد ﷺ فمَحْفُوظَةٌ منه.

وأجيب: بأن التشبيه في مُطلق هلاك وإن كان عاماً، وهذا خاص، والأقرب: أن يراد

وَقَتْلُهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ فَإِنْ أُنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا
يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ يَغْمُ الْمَوْلَى

﴿٣٩﴾ ﴿وَقَتْلُهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ﴾ : تَوَجَّدَ ﴿فِتْنَةٌ﴾ : شِرْكٌ، ﴿وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ﴾ : وحده ولا يُعْبَدَ غَيْرُهُ، ﴿فَإِنْ أُنْتَهَوْا﴾ : عن الكُفْرِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ : فيجازيهم به .

﴿٤٠﴾ ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ : عن الإيمان ﴿فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ﴾ : ناصركم ومُتَوَلِّي أُمُورِكُمْ، ﴿يَغْمُ الْمَوْلَى﴾ :

حاشية الصاوي

بالأولين : مَنْ سَبَقَ قَبْلَهُمْ مِنْ أَوْلَادِ عَمَّتِهِمْ وَأَقَارِبِهِمْ مِمَّنْ قُتِلَ فِي بَدْرٍ، وَجُمْلَةٌ ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ تَعْلِيلٌ لِمَحْذُوفٍ، وَلَا يَصْلَحُ لِلْجَوَابِ، وَتَقْدِيرُ الْجَوَابِ : وَإِنْ يَعُودُوا . . نُهْلِكُهُمْ كَمَا أَهْلَكْنَا الْأَوَّلِينَ .

قوله : ﴿وَقَتْلُهُمْ﴾ (أي : الكفار مطلقاً، مُشْرِكِينَ أَوْ غَيْرَهُمْ .

قوله : ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ (أي : شوكة لأهل الشرك؛ أي : بأن ينقرضوا رأساً، أو بدخولهم في الإسلام، أو بأن يؤذوا الجزية؛ بدليل قوله تعالى : ﴿قَتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إِلَى أَنْ قَالَ : ﴿حَتَّى يُقْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ [التوبة : ٢٩] فَاَلْمَكْلَفُ بِهِ مَاخُذٌ مِنْ مَجْمُوعِ الْآيَاتِينَ .

قوله : (توجد) أشار بذلك إلى أن (كان) تامة، و﴿فِتْنَةٌ﴾ بالرفع فاعلها .

قوله : ﴿وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ﴾ (يكون) : ناقصة، و﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اسمها، و﴿لِلَّهِ﴾ متعلق بمحذوف، خبرها .

قوله : ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (القراء السبعة على الياء التحتية، وقرأ يعقوب من العشرة بالتاء الفوقية^(١) .

قوله : (فيجازيكم به) أي : بالذي تعملونه من خير وشر .

قوله : ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ (أي : أعرضوا ولم يمثّلوا .

قوله : ﴿يَغْمُ الْمَوْلَى﴾ (هذا ثناء من الله على نفسه، فهو حمدٌ قديمٌ لقديم، والمعنى : أن الله ينصر العبد ويشكره ولا يضيعه، بخلاف الناصر من الخلق ينصر ويمنُّ بذلك النصر .

وَنِعَمَ النَّصِيرُ ﴿٤١﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ

هو ﴿وَنِعَمَ النَّصِيرُ﴾ أي: الناصر لكم.

﴿٤١﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾: أَخَذْتُمْ مِنَ الْكُفَّارِ قَهْرًا ﴿مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ يَأْمُرُ فِيهِ
بِمَا يَشَاءُ، ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾: قَرَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ،
﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾: أَطْفَالُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ هَلَكَ آبَاؤُهُمْ وَهُمْ فُقَرَاءُ، ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾: ذَوِي الْحَاجَةِ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: الْمُنْقَطِعُ فِي سَفَرِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَي: يَسْتَحِقُّهُ النَّبِيُّ ﷺ
حاشية الصاوي

قوله: (هو) أشار بذلك إلى أن المخصوص بالمدح محذوف.

قوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾ تقدم أن الحق: أن هذه الآية مفصلة لآية ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾
[الأنفال: ١].

قوله: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ بيان لـ(ما)، ونكره؛ ليشمل الجليل والحقير، والشريف والوضع.

قوله: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ بفتح الهمزة، خبر لمحذوف، والتقدير: فحكمه أن خمس لله.

قوله: (يأمر فيه بما يشاء) أي: فالخمس يُقسم ستة أقسام: قسم لله يصرف في الكعبة،
والخمسة أقسام للنبي ولآله واليتامى والمساكين وابن السبيل، وبذلك قال بعض الأئمة غير الأربعة،
وقال الأئمة الأربعة: إنه يُقسم خمسة أقسام فقط للخمس المذكورين، وذكر الله للتعظيم، وهذا ما
كان في زمنه، وأما بعد وفاته.. فالخمس الذي كان يأخذه النبي يوضع في بيت المال، يُصرف
في مصالح المسلمين، وهو كواحد منهم، وبهذا قال الشافعي، وقال مالك: النظر فيه للإمام، وقال
أبو حنيفة: سقط سهمه وسهم القريب بوفاته، وصار الكل للثلاثة فقط.

قوله: (من بني هاشم والمطلب) هذا مذهب الشافعي، وعند مالك: الآل: بنو هاشم فقط،
وعند أبي حنيفة: فرق خمسة: آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل العباس، وآل الحارث.

قوله: ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ المراد بهم: ما يشمل الفقراء.

قوله: (المنقطع في سفره) أي: المحتاج ولو غنياً يبلده.

قوله: (أي: يستحقه النبي) إنما لم يقل: (الله والنبي)؛ إشارة إلى أن ذكر اسم (الله) للتعظيم
والتبرك كما هو التحقيق.

إِنْ كُنتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَى عَبْدِنَا عَلَى الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى

والأصناف الأربعة على ما كَانَ يَقْسِمُهُ مِنْ أَنَّ لِكُلِّ خُمْسِ الْخُمْسِ، والأخماس الأربعة الباقية لِلْغَانِمِينَ، ﴿إِنْ كُنتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾ فاعلمُوا ذَلِكَ، ﴿وَمَا﴾ - عطف على ﴿بِاللَّهِ﴾ - ﴿أُنزِلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْآيَاتِ ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ أي: يَوْمَ بَدَرَ الْفَارِقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ الْمُسْلِمُونَ وَالْكَفَّارَ، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وَمِنْهُ نَصْرُكُمْ مَعَ قِلَّتِكُمْ وَكَثْرَتِهِمْ.

﴿٤٢﴾ - ﴿إِذْ﴾ - بَدَلٌ مِنْ ﴿يَوْمٍ﴾ - ﴿أَنْتُمْ﴾ كَانْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا: الْقُرْبَى مِنَ الْمَدِينَةِ، وَهِيَ بِضَمِّ الْعَيْنِ وَكَسْرِهَا: جَانِبُ الْوَادِي، ﴿وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾: الْبُعْدَى مِنْهَا، حاشية الصاوي.

قوله: (من أن لكل) أي: من الأصناف الخمسة.

قوله: (والأخماس الأربعة) بيان لمفهوم قوله: (خمسة).

قوله: (فاعلموا ذلك) أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف؛ لدلالة ما قبله عليه، وذلك مع العمل بمقتضاه؛ لأنَّ الْعِلْمَ الْمَجْرَدَ لَا ثَمَرَةَ لَهُ.

قوله: (عطف على ﴿بِاللَّهِ﴾) أي: على مَدْخُولِ الْبَاءِ، وهو لَفْظُ الْجَلَالَةِ.

قوله: (من الملائكة... إلخ) بيان لـ(ما).

قوله: (الفارق بين الحق) أي: بظهوره واتّضاحه، وقوله: (والباطل) أي: بِخُموده وذهابه.

قوله: ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿يَوْمٍ﴾ الْأَوَّلِ.

قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ كالتذييل والدليل لما قبله.

قوله: (بَدَلٌ مِنْ ﴿يَوْمٍ﴾) أي: الثاني بَدَلٌ اشْتِمَالِ.

قوله: (بضم العين وكسرهما) أي: فهما قراءتان سبعتان^(١)، والعُدْوَةُ: الشاطئ، والشفير، والجانب، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ السَّيْلَ يَعْدُوها وَيَتَجَاوَزها؛ لِغُلُوها عَنِ الْوَادِي، والمعنى: أَنْتُمْ بِالْجَانِبِ الْقَرِيبِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَهُمْ بِالْجَانِبِ الْآخَرِ، وَبَيْنَهُمَا مِقْدَارُ الرَّمِي.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر العين، والباقون بضمها. انظر «السراج المنير» (١/٥٧٢).

وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَدِ وَلَكِنَّ اللَّهَ لِيَقْضِيَ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ

﴿وَالرَّكْبُ﴾: العِيرُ كَانْتُون بِمَكَانٍ ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ مِمَّا يَلِي الْبَحْرَ، ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ﴾ أَنْتُمْ وَالنَّفِيرُ لِلْقِتَالِ ﴿لَأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَدِ وَلَكِنْ﴾ جَمَعَكُمْ بِغَيْرِ مِيعَادٍ؛ ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا﴾ فِي عِلْمِهِ، وَهُوَ نَصْرُ الْإِسْلَامِ وَمَحَقُّ الْكُفْرِ، فَعَلْ ذَلِكَ ﴿لِيَهْلِكَ﴾: يَكْفُرُ ﴿مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ أَي: بَعْدَ حُجَّةٍ ظَاهِرَةٍ قَامَتْ عَلَيْهِ، وَهِيَ نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ قِلَّتِهِمْ عَلَى الْجَيْشِ الْكَثِيرِ، ﴿وَيَحْيَى﴾: يُؤْمِنُ ﴿مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (كانتون بمكان) ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ أشار المفسر إلى أن (الركب) مبتدأ، خبره محذوف، وقوله: (﴿أَسْفَلَ﴾) ظرف، صفة لمحذوف، والمعنى: أن الركب في مكان أسفل منكم^(١)؛ بحيث لو استغاثوا بقومهم.. لأغاثوهم.

قوله: (﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ﴾) أي: أعلم كل منكم الآخر بالخروج للقتال.

قوله: (﴿لَأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَدِ﴾) أي: لأمكن اختلافكم في التواعد؛ بمعنى: أنكم لم تُوفوا بذلك، بل قد تتخلفون عن الخروج.

قوله: (﴿لِيَهْلِكَ﴾) علة لمحذوف قدره المفسر بقوله: (فعل ذلك)، وهو جمعهم بغير ميعاد، وإخراجهم بغير تأهل.

قوله: (يكفر) أي: يستمر على كفره.

قوله: (أي: بعد حجة) أشار بذلك إلى أن (عن) بمعنى (بعد) على حد قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩]، والمعنى: أنه لم يبق لهم عذر في عدم إيمانهم، بل صار كفرهم عناداً.

قوله: (﴿وَيَحْيَى﴾) أي: يستمر على الحياة، وهي الإيمان.

قوله: (﴿مَنْ حَيَّ﴾) بالفك والإدغام، قراءتان سبعيتان^(٢).

(١) عبارة السمين في «الدر المصون» (٥/٦١٢): (و«أسفل» منصوبٌ على الظرف النائب عن الخبر، وهو في الحقيقة صفةٌ لظرف مكانٍ محذوف؛ أي: والركب في مكان أسفل من مكانكم).

(٢) قرأ نافع والبرقي وشعبة بياضين: الأولى مكسورة، والثانية مفتوحة، والباقون بياء واحدة مشددة. انظر «السراج المنير» (٥٧٢/١).

وَأَنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرٰنٰكُمْ كَثِيرًا
لَفَسَلْتُمْ وَلِنَنْزَعْنَكُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ
يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّفَقْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا

وَأَنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾.

﴿٤٣﴾ اذْكُرْ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ ﴿٤٢﴾ أَي: نَوْمِكَ ﴿قَلِيلًا﴾ فَأَخْبَرْتَ بِهِ أَصْحَابَكَ
فَسُرُّوْا، ﴿وَلَوْ أَرٰنٰكُمْ كَثِيرًا لَفَسَلْتُمْ﴾: جُبْنْتُمْ ﴿وَلِنَنْزَعْنَكُمْ﴾: اخْتَلَفْتُمْ ﴿فِي الْأَمْرِ﴾:
أَمْرِ الْقِتَالِ، ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ كُمْ مِنَ الْفَشْلِ وَالتَّنَازُعِ؛ ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾:
بِمَا فِي الْقُلُوبِ.

﴿٤٤﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ إِذِ اتَّفَقْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا ﴿٤٤﴾ نَحْوَ سَبْعِينَ أَوْ مِائَةً

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ﴾ (أَي: بأقوالكم) ﴿عَلِيمٌ﴾ (بأحوالكم، فيجازيكم عليها).

قوله: ﴿قَلِيلًا﴾ (مفعول ثالث؛ لأن (رأى) الحلمية تَنْصِبُ مفعولين بلا همز، فإذا دخلت
عليها الهمزة.. نصبت ثلاثة، والمعنى: اذكر يا محمد هذه النعمة العظيمة، وهي رؤيتك إياهم
في المنام قليلاً؛ تشجيعاً لأصحابك، وتثبيتاً لهم، وإشارة إلى ضعف الكفار، وأنهم يهزمون، وبهذا
اندفع ما يقال: إن رؤيا الأنبياء حق، فكيف يراهم قليلاً مع كثرتهم؟!.

قوله: ﴿وَلَوْ أَرٰنٰكُمْ كَثِيرًا﴾ (أَي: وأخبرت أصحابك بذلك).

قوله: ﴿وَلِنَنْزَعْنَكُمْ﴾ (عطف على ﴿فَسَلْتُمْ﴾ عطف سبب على مسبب).

قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ (مفعوله محذوف، قدره المفسر، وقوله: (من الفشل... إلخ)
مُتَعَلِّقٌ بِ﴿سَلَّمَ﴾.

قوله: (بما في القلوب) (أَي: بالخطرات والسرائر التي احتوت عليها القلوب، فالمراد:
بصاحبات الصدور السرائر، والصدور: القلوب، من باب: تسمية الحال باسم محلّه).

قوله: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ (هذه الرؤية بصرية، فت نصب مفعولاً واحداً إن لم تدخل عليها الهمزة،
وإلا.. نصبت مفعولين، فالكاف مفعول أول، والهاء مفعول ثان، و﴿قَلِيلًا﴾ حال.

قوله: (أيها المؤمنون) تفسير للكاف.

وَيَقْلِلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيَتْهُمْ فَتَكَّةً فَأَنْشَبُوا وَآذَكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا

وَهُم أَلْفٌ لِيُقَدِّمُوا عَلَيْهِمْ، ﴿وَيَقْلِلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ لِيُقَدِّمُوا وَلَا يَرْجِعُوا عَنْ قِتَالِكُمْ، وهذا قَبْلَ التَّحَامِ الْحَرْبِ، فَلَمَّا التَّحَمَّ أَرَاهُمْ إِيَّاهُمْ مِثْلِيهِمْ كَمَا فِي (آلِ عِمْرَانَ)؛ ﴿لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ﴾: تَصِيرُ ﴿الْأُمُورُ﴾.

﴿٤٥﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيَتْهُمْ فَتَكَّةً﴾: جَمَاعَةٌ كَافِرَةٌ ﴿فَأَنْشَبُوا﴾ لِقِتَالِهِمْ وَلَا تَنْهَزُمُوا، ﴿وَآذَكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾: ادْعُوهُ بِالنَّصْرِ،

حاشية الصاوي

قوله: (وهم ألف) أي: في الواقع ونفس الأمر.

قوله: (لتقدموا عليهم) علة لقوله: ﴿يُرِيكُمُوهُمْ...﴾ إلخ.

قوله: (ليقدموا) علة لقوله: ﴿وَيَقْلِلُكُمْ﴾.

قوله: (وهذا) أي: لتقليلكم في أعينهم.

قوله: (أراهم) أي: الكفار (إياهم) أي: المسلمين (مثلهم) أي: مثلي الكفار وكانوا ألفاً، فرأوا المسلمين قدر ألفين؛ لتضعف قلوبهم، ويتمكن المسلمون منهم، فلا تنافي بين ما هنا وبين ما تقدم.

قوله: ﴿لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا﴾ علة لمحذوف، تقديره: فعل ذلك ليقضي... إلخ.

قوله: ﴿تُرْجَعُ﴾ بالبناء للفاعل أو للمفعول، قراءتان سبعيتان، و﴿الْأُمُورُ﴾ فاعل على الأول، ونائب فاعل على الثاني^(١).

قوله: (نصير) هذا على قراءة البناء للفاعل، وأما على قراءة البناء للمفعول... فمعناه: تُرَدُّ.

قوله: ﴿إِذَا لَقِيَتْهُمْ فَتَكَّةً﴾ أي: حاربتهم جماعة، والفتة: اسم جمع لا واحد له من لفظه.

قوله: ﴿فَأَنْشَبُوا﴾ أمرٌ للمؤمنين في أي زمان.

قوله: (ادعوه بالنصر) أي: فالمراد بالذكر: ما يشمل الدعاء، ويصح أن يبقى الذكر على إطلاقه؛ فيشمل ملاحظته تعالى بالقلوب، وأنه معهم بالعون والنصر.

(١) قرأ حمزة والكسائي ونافع بينائه للفاعل، والباقون بينائه للمفعول. انظر «الدر المصون» (٢/٣٦٥).

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تَفُوزُونَ.

﴿٤٦﴾ ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا﴾: تَخْتَلِفُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ، ﴿فَتَفْشَلُوا﴾: تَجِبُنُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ، قُوتُكُمْ وَدَوْلَتُكُمْ، ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بِالنَّصْرِ وَالْعَوْنِ. ﴿٤٧﴾ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ لِيَمْنَعُوا عِيَرَهُمْ وَلَمْ يَرْجِعُوا بَعْدَ نَجَاتِهَا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الترجي بمنزلة التحقيق؛ لأنه وعد، ووعد الله لا يخلف.

قوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: فيما يأمركم به.

قوله: ﴿فَتَفْشَلُوا﴾ عطف مسبب على سبب.

قوله: (تجبنا) أي: عن الحرب.

قوله: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ عطف مسبب على سبب أيضاً، وهذا على الترتيب؛ فالاختلاف ينشأ عنه الجبن، والجبن ينشأ عنه ذهابُ الريح.

قوله: (قوتكم) أي: ويُطلق على الغلبة والرحمة والنصرة.

قوله: (ودولتكم) الدولة في الحرب بفتح الدال، وجمعها (دُول) بكسر الدال، وأما دولة المال.. فبضم الدال، وجمعها (دُول) بضم الدال.

قوله: ﴿وَأَصْبِرُوا﴾ أي: على قتالهم.

قوله: ﴿كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ أي: وهم أبو جهل ومن معه، وذلك أنهم لما بلغوا الجحفة.. وافاهم رسولُ أبي سفيان وقال لهم: ارجعوا فقد سلمت عيركم، فقال أبو جهل: لا والله حتى نقدم بدرًا، ونشرب الخمر، وننحرَ الجزور، ونضرب علينا القيان، فيتسامع بذلك الناس ويهابُوننا^(١).

قوله: (ليمنعوا عيرهم) أي: ليمنعوا المسلمين عن قافلته التي كانت مع أبي سفيان.

قوله: (ولم يرجعوا بعد نجاتها) قدره المفسر؛ إشارةً إلى أن (بطراً) وما عطف عليه علة

بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ

﴿بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ﴾ حيثُ قالوا: لا نَرْجِعُ حَتَّى نَشْرَبَ الْخَمْرَ وَنَنْحَرَ الْجُزُورَ وَتَضْرِبَ عَلَيْنَا الْقِيَانُ بِبَدْرِ، فَيَتَسَامَعَ بِذَلِكَ لِلنَّاسِ، ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ النَّاسَ ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ - بِالْبَاءِ وَالتَّاءِ - ﴿مُحِيطٌ﴾ عِلْمًا، فَيُجَازِيهِمْ بِهِ.

﴿٤٨﴾ ﴿وَوَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ إِبْلِيسُ ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ بِأَنْ شَجَّعَهُمْ عَلَى إِقَاءِ

حاشية الصاوي

لمحذوف، لا لقوله: ﴿خَرَجُوا﴾؛ لأنْ خُرُوجَهُمْ لَيْسَ لِلْبَطْرِ، بَلْ لَمَنْعِ النَّاسِ عَنِ الْعِيرِ، وَالْبَطْرُ عِلَّةٌ لِعَدَمِ رَجُوعِهِمْ بَعْدَ نَجَاتِهَا.

قوله: ﴿بَطْرًا﴾ هو وما بعده مفعول لأجله، والبطر: كُفْرَانُ النِّعْمَةِ، وَعَدَمُ شُكْرِهَا.

قوله: (الْقِيَانُ) جمع قَيْنَةٍ، وَهِيَ: الْجَارِيَةُ الْمَغْنِيَّةُ، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ^(١): [الرجز]

فَعَلٌ وَفَعْلَةٌ فَعَالٌ لِهَمَا

قوله: (فَيَسْمَعُ النَّاسُ) أَي: الْقِبَائِلُ فِيهَا بُونَنَا، وَقَدْ بَدَّلَهُمُ اللَّهُ شَرْبَ الْخَمْرِ بِشَرْبِ كَأْسِ الْمَوْتِ، وَضَرَبَ الْقِيَانُ بَنُوْحَ النَّائِحَاتِ، وَنَحَرَ الْجُزُورَ بَنَحَرِ رِقَابِهِمْ.

قوله: ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ عَطَفَ عَلَى ﴿بَطْرًا﴾، فَهُوَ فِي قُوَّةِ الْمَصْدَرِ؛ أَي: وَصَدًّا، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ^(٢): [الرجز]

وَاعْطِفَ عَلَى اسْمٍ شَبِهَ فِعْلَ فِعْلًا

قوله: (بِالْبَاءِ وَالتَّاءِ) ظَاهِرُهُ: أَنَّهُمَا سَبْعِيَّتَانِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلِ التَّاءُ الْفَوْقِيَّةُ لَمْ يَقْرَأْ بِهَا السَّبْعَةُ^(٣).

قوله: ﴿وَإِذْ زَيْنَ﴾ عَطَفَ عَلَى ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ عَطَفَ قِصَّةٌ عَلَى قِصَّةٍ، وَ(إِذْ) ظَرْفٌ مَعْمُولٌ لِمَحْذُوفٍ، قَدَّرَهُ بِقَوْلِهِ: (اذْكُرْ).

(١) «الخلاصة»، باب (جمع التكسير).

(٢) «الخلاصة»، باب (عطف النسق).

(٣) قرأ العامة بِالْقَيْنَةِ، وَهِيَ وَاضِحَةٌ، وَقَرَأَ الْحَسَنُ بِالْخَطَابِ: إِثْمًا عَلَى الْإِلْفَاتِ، وَإِثْمًا عَلَى إِضْمَارِ: «قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ». انظر «الدر المصون» (٣/٣٧٨).

وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ

المُسْلِمِينَ لَمَّا خَافُوا الْخُرُوجَ مِنْ أَعْدَائِهِمْ بَنِي بَكْرٍ، ﴿وَقَالَ﴾ لَهُمْ: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ﴾ مِنْ كِنَانَةٍ، وَكَانَ أَتَاهُمْ فِي صُورَةِ سُرَاقَةٍ بِنِ مَالِكِ سَيِّدِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ، ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ﴾: التَّقَتْ ﴿الْفِئَتَانِ﴾ الْمُسْلِمَةُ وَالْكَافِرَةُ وَرَأَى الْمَلَائِكَةُ وَكَانَ يَدُهُ فِي يَدِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ﴿نَكَصَ﴾: رَجَعَ ﴿عَلَى عَقَبَيْهِ﴾ هَارِباً، ﴿وَقَالَ﴾ لَمَّا قَالُوا لَهُ: أَتَخَذُلُنَا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ؟: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ﴾: مِنْ جَوَارِكُمْ؛ ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ أَنْ يُهْلِكَنِي،

حاشية الصاوي

قوله: (لما خافوا الخروج) أي: خافوا من أعدائهم حين الخروج من مكة لقتالهم.

قوله: (بني بكر) أي: وهم قبيلة كِنَانَة، وكانت قريبة من قريش، وبينهم الحروب الكثيرة.

قوله: ﴿وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ﴾ أي: مُجِيرٌ وَمَعِينٌ.

قوله: (وكان أتاهم... إلخ) قال ابن عباس: (جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين معه راية، في صورة رجل من رجال بني مدلج؛ سُراقَة بن مالك، فقال للمشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس)^(١).

قوله: (ورأى الملائكة) أي: نازلين من السماء.

قوله: (أتخذلنا) أي: تترك نُصرتنا في هذه الحالة، ف(على) بمعنى (في).

قوله: (أن يهلكني) أي: بتسليط الملائكة عليّ.

إن قلت: إنه من المُنْظَرِينَ، فكيف يخاف الهلاك حينئذ؟!

أجيب: بأنه لشدة ما رأى من الهول نسي الوعد بأنه من المنظرين، وما أشار له المفسر جواب عما يقال: إن الشيطان لا خوف عنده، وإلا... لما كفر وأضلّ غيره، وأجيب أيضاً: بأن قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ كَذِبٌ، ولا مانع من ذلك.

وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ

﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿٤٩﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ: ضَعْفُ اعتقاد: ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ﴾ أي: الْمُسْلِمِينَ ﴿دِينُهُمْ﴾ إِذْ خَرَجُوا مَعَ قَلَّتِهِمْ يُقَاتِلُونَ الْجَمْعَ الْكَثِيرَ، تَوَهُمًا أَنَّهُمْ يُنْصَرُونَ بِسَبَبِهِ، قَالَ تَعَالَى فِي جَوَابِهِمْ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: يَثِقْ بِهِ يَغْلِبْ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي صُنْعِهِ.

﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَى: يَا مُحَمَّدُ ﴿إِذْ يَتَوَفَّى﴾ - بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ - ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ يصح أن يكون من جملة قول الشيطان واعتذاره، أو مُستأنف^(١) تهديد له من كلام الله تعالى.

قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ﴾ أي: الكائنون بالمدينة، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي: الكائنون بمكة؛ إذ لم يحضر وقعة بدر منافق إلا عبد الله بن أبيّ فقط، ولم يكن فيها ضعيف إيمان. قوله: (توهمًا) مفعول لـ ﴿خَرَجُوا﴾، والضمير في (بسببه) عائد على (الذين).

قوله: (يَغْلِبُ) قُدْرُهُ؛ إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف، وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ دليل عليه.

قوله: ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ الرؤية بصرية، ومفعولها محذوف، تقديره: حال الكفار وقت الموت، و(لو) حرف شرط تقلب المضارع ماضياً، عكس (إن).

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢)؛ فعلى الياء الأمر ظاهر، وعلى التاء: فلأن الجمع يجوز تذكيره وتأنينه.

قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قيل: المراد جميع الكفار؛ من وُجِدَ، ومن سُيُوجِدَ، وقيل: المراد:

(١) كذا في الأصول، ولعل التقدير: أو هو مُستأنف.

(٢) قرأ ابن عامر والأعرج بتاء التأنيث، والباقيون بياء القية. انظر «الدر المصون» (٥/٦١٨).

يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَ هُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ

يَضْرِبُونَ ﴿٥٠﴾ - حال - ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَ هُمْ﴾ بِمَقَامِعٍ مِنْ حَدِيدٍ، ﴿و﴾ يَقُولُونَ لَهُمْ: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أَي: النَّارَ، وَجَوَابُ (لَوْ): لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا.

﴿٥١﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ التَّعْذِيبُ ﴿بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ﴾ عَبَّرَ بِهَا دُونَ غَيْرِهَا لِأَنَّ أَكْثَرَ الْأَفْعَالِ تُزَاوِلُ بِهَا، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ﴾

حاشية الصاوي

الكفار الذين قُتِلُوا ببدر، واختلف أيضاً في وقت الضرب؛ فقليل: عند الموت؛ تعجيلاً للمساءة، وقيل: ذلك يوم القيامة، ولا مانع من الجميع.

قوله: (حال) أي: من ﴿الْمَلَكَةِ﴾.

قوله: ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَ هُمْ﴾ المراد: أمامهم وخلفهم؛ فيعمون جميع أجسادهم بالضرب.

قوله: (بمقامع من حديد) جمع مقمعة بكسر الميم، وهي: العصا من الحديد المحمّاة بالنار، لو وضعت على جبال الدنيا.. لَدُغَّتْ.

قوله: ﴿وَذُوقُوا﴾ قَدَّرَ المفسِّر (يقولون)؛ إشارةً إلى أنه معطوف على ﴿يَضْرِبُونَ﴾، فهو حال أيضاً.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ اسم الإشارة مبتدأ، وقوله: ﴿بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ حَالٍ، والباء سببية.

قوله: (عبَّرَ بها... إلخ) دفع بذلك ما يقال: إن إذاقة العذاب حاصلة بسبب ما فعلوا بجميع أعضائهم، فلم خُصَّتْ الأيدي؟ فأجاب بما ذكر، وبعضهم فسَّرَ الأيدي بالقُدْرِ - جمع قدرة - فيكون المعنى: ذلك بسبب ما قَدَّمْتَهُ قُدْرَتُكُمْ وكسبكم؛ فَإِنَّ الْيَدَ تُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهَا الْقُدْرَةُ، قال تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ تَوْفُ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ معطوف على ﴿بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ﴾، والمعنى: ذلك بسبب ما قَدَّمْت أَيْدِيَكُمْ، وبسبب أن الله ليس بظلامٍ لِلْعَبِيدِ، ونفي الظلم عن الله كناية عن العدل، فكأنه قال: ذلك سبب الذي قَدَّمْتَهُ أَيْدِيَكُمْ، وبسبب عدل الله فيكم.

لِلْعَيْدِ ﴿٥١﴾ كَذَابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ
إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ.....

أي: بِذِي ظُلْمٍ ﴿لِلْعَيْدِ﴾ فَيُعَذِّبُهُمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ.

﴿٥٢﴾ دَابُّ هَؤُلَاءِ ﴿كَذَابٍ﴾: كَعَادَةِ ﴿ءَالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِالْعِقَابِ﴾ بِذُنُوبِهِمْ - جُمْلَةٌ ﴿كَفَرُوا﴾ وما بعدها مُفَسَّرَةٌ لِمَا قَبْلُهَا -، ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ على ما يُرِيدُهُ، ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿٥٣﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ أي: تَعَذِيبُ الْكَفَرَةِ ﴿بِأَنَّ﴾ أي: بِسَبَبِ أَنَّ ﴿اللَّهُ﴾.....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: بذى ظلم) دفع بذلك ما يُتوهم من ظاهر الآية: أن أصل الظلم ثابت لله، والمنفي كثرته، فأجاب المفسر: بأن هذه الصيغة ليست للمبالغة، بل للنسبة كما قال ابن مالك^(١): [الرجز]

ومع فاعلٍ وفعلٍ فِعْلٌ في نَسَبٍ أغنى عن الياء فُقِلَ
وحينئذ: فقد انتفى أصلُ الظلم، بل لا يُريده أصلاً، قال تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١]؛ لأن الإرادة لا تتعلق إلا بالجائز، والظلم من الله مُستحيل عقلاً؛ لأن حقيقة: التصرف في ملك الغير من غير إذنه، ولا يتصور العقل ملكاً لغير الله.

قوله: ﴿كَذَابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ﴾ الكاف متعلّقة بمحذوف، خبر لمبتدأ محذوف، قدّره المفسر بقوله: (دأب هؤلاء)، وهذا تسليّة له ﷺ.

قوله: ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ تفصيلٌ للدأب وتفسيرٌ له كما قال المفسر.

قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أهلكتهم، لكن هلاك غير هذه الأمة بالرجفة والزلزلة والخسف والمسح من كل عذاب عام، وهلاك كفار هذه الأمة بالسيف، فالمماثلة في مُطلق الهلاك.

قوله: ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ الباء سببيّة.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ كالدليل لما قبله.

قوله: (أي: تعذيب الكفرة) أي: بسبب ما قدّمت أيديهم.

قوله: ﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف، خبر عن اسم الإشارة، والجملة تعليل لمجموع المعلول وعلته السابقين.

لَمْ يَكْ مُغِيرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغِيرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَابٍ
 آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ
 وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾

لَمْ يَكْ مُغِيرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ: مُبَدَّلًا لَهَا بِالنِّقْمَةِ ﴿حَتَّى يُغِيرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾: يُبَدِّلُوا نِعْمَتَهُمْ
 كُفْرًا، كَتَبَدِيلِ كُفَّارٍ مَكَّةَ إِطْعَامَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمْنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ وَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ بِالْكَفْرِ
 وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَقِتَالِ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿٥٤﴾ ﴿كَذَابٍ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا
 آلَ فِرْعَوْنَ﴾: قَوْمَهُ مَعَهُ، ﴿وَكُلُّ﴾ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَمْ يَكْ﴾ مجزوم بسكون النون المحذوفة تخفيفاً، قال ابن مالك^(١): [الجز]

وَمِنْ مُضَارِعٍ لِكَانَ مُنْجَزِمٌ تُحَذَفُ نُونٌ، وَهُوَ حَذَفُ مَا التَّزِمَ

وأصله: (يكون)، دخل الجازم فسكنت النون، فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتقائهما،

ثم حذفت النون تخفيفاً.

قوله: (يبدلوا نعمتهم كُفْرًا) أي: يتركوا ما يجب للنعم من شكرها والقيام بحقوقها، ويرتكبوا عدم
 الشكر وعدم القيام بحقوقها، والمعنى: يُبَدِّلُوا مَا بِهِمْ مِنَ الْحَالِ إِلَى حَالٍ أَسْوَأَ مِنْهُ، فَتَغَيَّرَتْ نِعْمَةٌ
 إِمهالهم بمعالجة العذاب لهم.

قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ أي: لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم.

قوله: ﴿كَذَابٍ آلِ فِرْعَوْنَ﴾... إلخ) كَرَّرَهُ تَفْصِيلاً لِمَا قَبْلَهُ؛ لِأَنَّهُ مَقَامُ ذَمٍّ، وَهُوَ كَالْمَدْحِ،
 الْبَلَاغَةُ فِيهِ الْإِطْنَابُ.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: كَقَوْمِ نُوحٍ، وَقَوْمِ هُودٍ، وَقَوْمِ صَالِحٍ وَغَيْرِهِمْ.

قوله: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: بِسَبَبِهَا.

قوله: (قومه معه) أشار بذلك إلى أن المراد بـ(آل فرعون): هو وآله.

قوله: ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ فيه مُرَاعَاةٌ مَعْنَى (كُلُّ)، وَلَوْ رُوعِي لَفْظُهَا.. لِقِيلٍ: (وَكُلُّ كَانَ ظَالِمًا)،
 وَكُلٌُّ صَحِيحٌ، وَإِنَّمَا رُوعِي مَعْنَاهَا مُرَاعَاةٌ لِلْفَوَاصِلِ.

(١) «الخلاصة»: باب (كان وأخواتها).

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْوَةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فِيمَا تَثَقَّفَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ ﴿٥٧﴾

﴿٥٥﴾ وَنَزَلَ فِي قُرَيْظَةَ: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿٥٦﴾ ﴿الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ﴾ أَنْ لَا يُعِينُوا الْمُشْرِكِينَ ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْوَةٍ﴾ عَاهَدُوا فِيهَا، ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ اللَّهُ فِي غَدَرِهِمْ.

﴿٥٧﴾ ﴿فِيمَا﴾ - فِيهِ إِدْغَامُ نُونِ (إِنْ) الشَّرْطِيَّةِ فِي (مَا) الْمَزِيدَةِ - ﴿تَثَقَّفَتْهُمْ﴾: تَجِدْنَهُمْ ﴿فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ﴾: فَرَّقَ ﴿بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ﴾ مِنَ الْمُحَارِبِينَ بِالتَّنْكِيلِ بِهِمْ وَالْعُقُوبَةِ، ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أَي: الَّذِينَ خَلَفَهُمْ ﴿يَدْكُرُونَ﴾: يَتَّعِظُونَ بِهِمْ.

حاشية الصاوي

قوله: (ونزل في قُرَيْظَةَ) أي: حين قدم رسول الله المدينة وعاهدهم ألا يُحاربوا ولا يعاونوا عليه، فنقضوا عهده، وأعانوا عليه مشركي مكة بالسلاح، ثم قالوا: نسينا وأخطأنا، فعاهدهم الثانية، فنقضوا أيضاً وتمالؤوا مع الكفار على قتال رسول الله يوم الخندق^(١).

قوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ في ذلك إشارة إلى أنهم بمعزل من جنسهم، وإنما هم من جنس التراب، ومع ذلك هم شر من جميع أفرادها، قال تعالى: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الفرقان: ٤٤].

قوله: ﴿الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ﴾ بدل من الموصول قبله، أو نعت، أو عطف بيان.

قوله: (ألا يعينوا المشركين) أي: كفار مكة، فنقضوا أولاً وثانياً.

قوله: ﴿فِيمَا تَثَقَّفَتْهُمْ﴾ أي: تظفرون بهم.

قوله: ﴿فَشَرَّدَ بِهِمْ﴾ الباء سببية، والكلام على حذف مضاف؛ أي: بسبب عقوبتهم وتنكيلهم.

قوله: ﴿مَنْ خَلَفَهُمْ﴾ مفعول لـ (شرَّد)، والمراد بمن خلفهم كفار مكة، والمعنى: إذا ظفرت بقريظة.. فعاقبهم؛ ليتفرق كفار مكة وغيرهم ممن نقض عهدهم، ويتعظوا بهم، فصيرهم عبرة لغيرهم حتى لا يكون لهم قوة على محاربتك.

(١) انظر «الدر المنثور» (٨١/٤).

وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْذِرْهُمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾

﴿٥٨﴾ وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ عَاهِدُوكَ ﴿خِيَانَةً﴾ فِي عَهْدٍ بِأَمَارَةٍ تَلُوحُ لَكَ ﴿فَأَنْذِرْ﴾: اطْرَحْ عَهْدَهُمْ ﴿إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ - حال -، أي: مُسْتَوِيًّا أَنْتَ وَهُمْ فِي الْعِلْمِ بِنَقْضِ الْعَهْدِ، بِأَنْ تُعَلِّمَهُمْ بِهِ لِقَلَّا يَتَّهِمُوكَ بِالْغَدْرِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾.

﴿٥٩﴾ وَنَزَلَ فِيمَنْ أَفْلَتَ يَوْمَ بَدْرٍ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ اللَّهُ أَي: فَاتَوْهُ، ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾: لَا يَقْوَتْونَهُ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ﴾ خطابٌ عامٌّ للمسلمين وولاية الأمور وإن كان أصلُ نزولها في قُرَيْظَةَ.

قوله: ﴿فَأَنْذِرْهُمْ﴾ أي: أَعْلِمَهُمْ بِأَنْ لَا عَهْدَ لَهُمْ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَشَبَّهَ الْعَهْدَ بِالشَّيْءِ الَّذِي يَرْمَى، وَطَوَّى ذِكْرَ الْمَشَبَّهِ بِهِ، وَرَمَزَ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ لَوَازِمِهِ وَهُوَ النَّبَذُ، فَإِثْبَاتُهُ تَخْيِيلٌ.

قوله: (بأن تُعَلِّمَهُمْ بِهِ) أي: إن لم يكن غَدْرُهُمْ ظَاهِرًا ظَهُورًا بَيِّنًا، وَإِلَّا... فلا يحتاج للإعلام، والحاصل: أنه إذا ظَهَرَتْ أَمَارَاتُ نَقْضِ الْعَهْدِ... وَجِبَ عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَنْبِذَ عَهْدَهُمْ، وَيَعْلَمَهُمْ بِالْحَرْبِ قَبْلَ الرُّكُوبِ عَلَيْهِمْ؛ بَحِيثٌ لَا يَعُدُّ الْإِمَامُ غَادِرًا لَهُمْ، وَإِنْ ظَهَرَتْ الْخِيَانَةُ ظَهُورًا مُقْطُوعًا بِهِ... فلا حاجة إلى نَبَذِ الْعَهْدِ، وَلَا الْإِعْلَامِ، بَلْ يُبَادِرُهُمْ بِالْقِتَالِ.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ تعليلٌ للأمر بِنَبَذِ الْعَهْدِ.

قوله: (ونزل فيمن أفلت) أي: في الكفار الذين خَلَصُوا وَهَرَبُوا، وَهَذَا تَسْلِيَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ وَأَصْحَابِهِ؛ حَيْثُ حَزَنُوا عَلَى نَجَاةِ مَنْ نَجَا مِنَ الْكُفَّارِ، وَكَانَ غَرَضُهُمْ اسْتِصْالَهُمْ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ^(١).

قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ الخطابُ لِرَسُولِ اللَّهِ، وَالْمَعْنَى: لَا تَظَنَّ يَا مُحَمَّدُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَاتَتَيْنِ اللَّهَ وَفَارَيْنِ مِنْ عِقَابِهِ؛ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَهُ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ فِي أَهْلِ بَدْرٍ إِلَّا أَنَّ الْعَبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ. وَ(حَسِبَ) تَعَدَّى لِلْمَفْعُولِينَ: الْأَوَّلُ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وَالثَّانِي جُمْلَةُ ﴿سَبَقُوا﴾، وَهَذَا عَلَى قِرَاءَةِ التَّاءِ الْفَوْقِيَّةِ، وَأَمَّا عَلَى قِرَاءَةِ الْيَاءِ التَّحْتِيَّةِ: فَ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فاعِلٌ، وَالْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: أَنْفُسُهُمْ كَمَا قَالَ الْمَفْسِّرُ، وَالْمَفْعُولُ الثَّانِي جُمْلَةُ ﴿سَبَقُوا﴾^(٢).

(١) انظر «التفسير الوسيط» للواحيدي (٢/٤٦٨).

(٢) قرأ ابن عامر وحمزة وحفص (يحسين) بالياء على الغيبة، على أن الفعل للذين كفروا، والباقيون بالتاء على الخطاب للنبي ﷺ. انظر «السراج المنير» (١/٥٧٨).

وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ

- وفي قراءةٍ بِالتَّحْتَانِيَّةِ، فَاَلْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ مَحْذُوفٌ، أَي: أَنْفُسَهُمْ، وفي أُخْرَى يَفْتَحُ (أَنَّ) عَلَى تَقْدِيرِ اللَّامِ ..

﴿٦٠﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ: لِقِتَالِهِمْ ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، قَالَ ﷺ: «هِيَ الرَّمْيُ»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ، ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ - مَصْدَرٌ - بِمَعْنَى حَبْسِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ،
حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة بفتح «أَنَّ») أي: مع الإياء التحتية لا غير، فالقراءات ثلاثٌ، خلافاً لما يؤهمه المفسر من أنها أربع، وحاصلها: أن الإياء فيها وجهان: فتحُ (أَنَّ)، وكسرُها، والتاء فيها وجهٌ واحدٌ وهو فتحُ (أَنَّ) لا غير^(١).

قوله: (على تقدير اللام) أي: التي للتعليل.

قوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ أي: للكفار مطلقاً، أو لإناضي العهد.

قوله: ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾ بيانٌ لـ ﴿مَا﴾.

قوله: (هي الرمي) هذا الحديث رواه عُبَيْدُ بْنُ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وهو على المنبر يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيَ ثلاثاً، أخرجه مسلم^(٢)، وقيل: المراد بالقوة: جميع ما يُتَّقَوَّى به في الحرب على العدو؛ من سلاح، ورمي، وخيل، ورجال، ودروع وغير ذلك، ولا مُنافاة بين هذا وبين قوله عليه الصلاة والسلام: «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيَ»؛ لأنَّ المراد: معظمُ القوة الرمي، على حدِّ: «الحج عرفة»^(٣)، و«الندم توبة»^(٤)، وهذا هو الأحسن.

قوله: (مصدر) أي: سماعيٌّ، وإلَّا .. فالقياسيُّ لما يقتضي الاشتراك؛ ك(قاتل) و(خاصم) و(ضارب)^(٥).

(١) في هامش (أ): (صوابه: وهو الكسر، حاصله: أن «لا تحسن» فيها قراءتان: الغيبة والخطاب؛ فابنُ عامرٍ من جملة من يقرأ بالغيبة ويفتح «أَنَّ» ولا أحد يفتحها غيره. اهـ)، وانظر «زاد المسير» (٢/٢٢٠).

(٢) «صحيح مسلم» (١٩١٧).

(٣) رواه الترمذي (٨٨٩)، والنسائي في «المجتبى» (٢٥٦/٥)، وابن ماجه (٣٠١٥) عن سيدنا عبد الرحمن بن يعمر الديلي رحمه الله.

(٤) رواه أحمد في «المسند» (٣٧/٦)، وابن ماجه (٤٢٥٢) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه.

(٥) أي: وزن (فَعَال) قياسيٌّ إذا كان الفعل يقتضي الاشتراك، وهنا ليس كذلك.

تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ

﴿تَرْهَبُونَ﴾: تُخَوِّفُونَ ﴿بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي: كُفَّار مَكَّةَ، ﴿وَأَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ أي: غَيْرِهِمْ وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ أَوْ الْيَهُودُ ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جَزَاؤُهُ، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: تُنْقَصُونَ مِنْهُ شَيْئاً.
﴿٦١﴾ ﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾: مَالُوا ﴿لِلسَّلَامِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿تَرْهَبُونَ بِهِ﴾ أي: بالرباط الذي هو بمعنى: الربط.

قوله: (أي: كفار مكة) هذا باعتبار سبب نزول الآية، وإلا... فالعبرة بعموم اللفظ، فالمراد: جميع الكفار في أي زمانٍ.

قوله: (وهم المنافقون) أورد عليه: أن المنافقين لا يُقَاتِلُونَ، أجب: بأن المراد بإرهابهم: إدخال الرعب والحزن في قلوبهم؛ لأنهم إذا شاهدوا قوة المسلمين وشهامتهم... كان ذلك مُرْهِباً ومُخَوِّفاً لهم.

قوله: (أو اليهود) (أو): مانعةٌ خلوةً، فتجوزُ الجمعَ.

قوله: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾ أي: لا تعلمون بواطنهم وما انطووا عليه.

قوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: جهاد الكفار.

قوله: ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جَزَاؤُهُ أي: فالحسنة بسبع مئة، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبًّا...﴾ [البقرة: ٢٦١] الآية.

قوله: (تنقصون منه شيئاً) أي: وسَمَاءَ ظُلماً؛ لأنَّ وعده بالخير لا يتخلف، فكأنه واجبٌ، وضيده مستحيلٌ، وليس المراد: الظلم الحقيقي؛ لأنه التصرف في ملك الغير، ولا ملك لأحدٍ معه.

قوله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾ أي: الكفار مطلقاً، أو بنو قريظة، وعلى هذين القولين يتخرج القول بالنسخ، والقول بالتخصيص الذي أشار له المفسر

فَاجْتَنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَيَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ

- بِكسر السين وفتحها -: الصُّلْحُ ﴿فَاجْتَنَحْ لَهَا﴾ وعاهدُهم، وقال ابن عباس: هذا مَنْسُوخٌ بِآيَةِ السَّيْفِ، ومُجَاهِدٌ: مَخْصُوصٌ بِأَهْلِ الْكِتَابِ إِذْ نَزَلَتْ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: ثِقْ بِهِ؛ ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ لِلْقَوْلِ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِالْفِعْلِ.
﴿٦٢﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ بِالصُّلْحِ لِيَسْتَعِدُّوا لَكَ؛ ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ﴾: كَافِيكَ ﴿اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَيَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿٦٣﴾ وَالْفَ: جَمَعَ ﴿بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ بَعْدَ الْإِخْنِ،

حاشية الصاوي

بقوله: (قال ابن عباس... إلخ)^(١)، وهذا مبني على أن المراد بالصلح: عقد الجزية، وأما إن أريد بالصلح غيره من الهدنة والأمان... فلا نسخ؛ إذ يصح عقد ذلك لكل كافر، وهذا التقدير مرور على مذهب الشافعي من أن الجزية لا تضرب إلا على أهل الكتاب فقط، وقال مالك: إن الجزية تضرب على كل كافر صحَّ سبأؤه، كان من أهل الكتاب أو لا؛ فعلى مذهبه: ليس في الآية نسخ أصلاً.

قوله: (بكسر السين وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: فَوَضَّ أُمُورَكَ إِلَيْهِ.

قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ تعليل لما قبله.

قوله: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ شرطُ حُذْفِ جَوَابِهِ، تقديره: فصالحهم، ولا تخف من غدرهم.

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَيَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: قَوَّاكَ بِأَسْبَابِ بَاطِنِيَّةٍ، وهي نصره لك من غير واسطة، وبأسباب ظاهريَّة، وهم المؤمنون.

قوله: (بعد الإخْن) جمع (إخْنَة)، وهي: العداوة والشَّحناء التي كانت بين الأوس والخزرج.

قوله: ﴿وَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: بعد أن كان ما كان بينهم من البغضاء والعداوة والحروب العظيمة مئة وعشرين سنة؛ حتى لو أنَّ رجلاً من قَبِيلَةِ لُطَمَ لَطَمَ وَاحِدَةً.. لقاتل عنه أهل قَبِيلَتِهِ حتى يدركوا ثأرهم، فلمَّا آمنوا برسول الله.. زالت تلك الحالة، وانقلبت العداوة محبةً في الله ورسوله، فكان معجزةً عظيمةً لرسول الله ﷺ.

(١) انظر «الدر المثور» (٩٩/٤).

(٢) قرأ أبو بكر عن عاصم بكسر السين، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٣٥٨/٢).

لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرِضٌ
الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ

﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ بِقُدْرَتِهِ،
﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ﴾: غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، ﴿حَكِيمٌ﴾: لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ حِكْمَتِهِ.

﴿٦٤﴾ ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَ﴿مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿٦٥﴾ ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرِضٌ﴾: حُتٌّ ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ لِلْكَفَّارِ؛ ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ﴾... إلخ) هذا امتحانٌ من الله على نبيه بتلك النعمة العظيمة.

قوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ قيل: نزلت ببدر، فالمراد به (المؤمنين): الذين كانوا حاضرين وقتها، فيكون في ذلك مدحٌ عظيمٌ لهم، ودليلٌ على شرفهم، ويُؤخذ من ذلك: أن المؤمنين إذا اجتمعت قلوبهم مع شخص.. لا يُخذلون أبداً، وليس في ذلك اعتمادٌ على غير الله؛ لأن المؤمنين ما التفت لهم إلا لإيمانهم، وكونهم حزب الله، فرجع الأمر لله.

وقيل: نزلت في إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد إسلام ثلاثة وثلاثين رجلاً وست نسوة، فيكون هو متمماً للأربعين؛ فعلى الأول: الآية مدنية كبقية غيرها، وعلى الثاني: تكون الآية مكية أثناء سورة مدنية، ولا مانع أنها نزلت مرتين: مرة بمكة يوم إسلام عمر، ومرة بالمدينة في أهل بدر^(١).

قوله: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ﴾ معطوف على لفظ الجلالة^(٢).

قوله: ﴿حَرِضٌ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ أي: أوامرهم أمراً أكيداً، ورغبهم فيه.

قوله: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ﴾ إمّا تامة وفاعلها ﴿عَشْرُونَ﴾، و﴿مِنْكُمْ﴾ حال، وإمّا ناقصة ﴿عَشْرُونَ﴾ اسمها، و﴿مِنْكُمْ﴾ خبرها، وهكذا يقال فيما بعدها، و﴿يَكُنْ﴾ وقع هنا خمس مرات:

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/٣٢٥).

(٢) أي: يكفيك الله والمؤمنون، وبهذا فسر الحسن البصري وجماعة، وهو الظاهر، ولا محذور في ذلك من حيث المعنى وإن كان بعض الناس استصعب كون المؤمنين يكونون كافين النبي ﷺ، وقيل: (مَنْ) مجرورة المحل عطفاً على الكاف في (حَسْبُكَ)، وهو رأي الكوفيين، وبهذا فسر الشعبي وابن زيد، قالوا: معناه: وحسب مَنْ اتَّبَعَكَ، وقيل: إن محله نصبٌ على المعية. «الدر المصون» (٥/٦٣١).

عِشْرُونَ صَكْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ

عِشْرُونَ صَكْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ مِنْهُمْ، ﴿وَإِنْ يَكُنْ﴾ - بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ - ﴿مِنْكُمْ مِائَةٌ﴾ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ ﴿أَيَ﴾: بِسَبَبِ أَنَّهُمْ ﴿قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾، وهذا خبرٌ بِمَعْنَى الأمر، أي: لِيُقَاتِلَ الْعِشْرُونَ مِنْكُمْ الْمِائَتَيْنِ، وَالْمِائَةُ الْأَلْفَ، وَيَثْبُتُوا لَهُمْ، ثُمَّ نُسِخَ لَمَّا كَثُرُوا بِقَوْلِهِ:

﴿٦٦﴾ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا - بِضَمِّ الضَّادِ وَفَتْحِهَا - عَنْ قِتَالِ عَشْرَةِ أَمْثَالِكُمْ، ﴿فَإِنْ يَكُنْ﴾ - بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ - ﴿مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ مِنْهُمْ، حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

الأول والرابع بالياء لا غير، والثاني والثالث والخامس بالياء والتاء كما سيأتي للمفسر، فما سكت عنه.. فبالياء لا غير، وما نبّه عليه.. ففيه الوجهان.

قوله: ﴿صَكْرُونَ﴾ أي: مُحْتَسِبُونَ أَجْرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، وهذا خبرٌ بِمَعْنَى الأمر؛ لِقَلَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَكَثْرَةِ الْكَافِرِينَ، وَحِكْمَةُ ذَلِكَ التَّكْلِيفِ: أَنَّ الْمُسْلِمِينَ وَلِيُّهُمْ اللَّهُ، فَهُمْ مُعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ، وَمَتَوَكِّلُونَ عَلَيْهِ؛ فَبِذَلِكَ الْوَصْفِ كَانَ الْوَاحِدُ مَكْلَفًا بِقِتَالِ عَشْرَةٍ، وَأَمَّا الْكَفَارَةُ.. فلا ناصرَ لَهُمْ، وَهُمْ مُعْتَمِدُونَ عَلَى قُوَّتِهِمْ، وَذَلِكَ دَاعٍ لِلضَّعْفِ وَالْهَزِيمَةِ.

وفي الآية من المحسنات البديعية: الاحتباك، وهو: الحذف من كلِّ نظيرٍ ما أثبت في الآخر؛ فقد أثبت (صابرون) في الأول، وحذف (الذين كفروا) منه، وأثبت (الذين كفروا) في الثاني، وحذف لفظ (الصبر) منه.

قوله: (وهذا خبرٌ بِمَعْنَى الأمر) أي: وقد كان هذا في صدر الإسلام، وكان فرار المئة من الألف حراماً، ثم نُسِخَ.

قوله: (بضم الضاد وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١)، والمراد بالضعف^(٢): في الأبدان؛

(١) قرأ عاصم وحمة بفتح الضاد، والباقون بضمها. انظر «الدر المصون» (٥/٦٣٦).

(٢) في (ط ٢): (والمراد: الضعف...)، والمثبت هو المصحح بخط المصنف في هامش (١).

وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَعْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ

﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَعْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ : بِإِرَادَتِهِ، - وَهُوَ خَبَرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ -
أَي: لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ مِثْلِيكُمْ وَتَثْبُتُوا لَهُمْ، ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِرِينَ﴾ بِعَوْنِهِ.
﴿٦٧﴾ وَنَزَلَ لَمَّا أَخَذُوا الْفِدَاءَ مِنْ أَسْرَى بَدْرٍ: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ﴾

حاشية الصاوي

لِكثْرَةِ الْعِبَادَةِ وَالتَّعَبِ، فَرحمهم الله وأكرمهم، وأيضاً: عَلِمَ الله ضعف مَنْ يَأْتِي بَعْدَ الصَّدْرِ الْأَوَّلِ
عَنِ الْقِتَالِ، فَخَفَّفَ اللَّهُ عَنِ الْجَمِيعِ.

قوله: (وهو خبرٌ بمعنى الأمر) أي: وقد استمرَّ ذلك الأمرُ إلى يومِ القيامةِ.

قوله: (ونزل لما أخذوا الفداء من أسرى بدر) أي: وكانوا سَبْعِينَ مِنْ صَنَادِيدِهِمْ، رَوَى: أَنَّهُ
لَمَّا جِيءَ بِالْأَسْرَى.. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَؤُلَاءِ؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛
أَهْلُكُمْ وَقَوْمُكُمْ، اسْتَبَقِيهِمْ؛ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، وَخُذْ مِنْهُمْ فِدَاءً؛ يَكُونُ لَنَا قُوَّةٌ عَلَى الْكُفَّارِ،
وَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ كَذَّبُوكَ وَأَخْرَجُوكَ، قَدَّمَهُمْ نَضْرِبُ أَعْنَاقَهُمْ، وَمَكَّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبُ
عُنُقَهُ، وَمَكَّنَ حَمْزَةَ مِنَ الْعَبَّاسِ يَضْرِبُ عُنُقَهُ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أُمَّةُ الْكُفْرِ، وَقَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ: انْظُرْ وَادِيًّا
كَثِيرَ الْحَطَبِ، فَأَدْخِلْهُمْ فِيهِ، ثُمَّ أَضْرَمْهُ عَلَيْهِمْ نَارًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يُجِبْهُمْ، ثُمَّ دَخَلَ،
فَقَالَ نَاسٌ: يَأْخُذُ بِقَوْلِ أَبِي بَكْرٍ، وَقَالَ نَاسٌ: يَأْخُذُ بِقَوْلِ عُمَرَ، وَقَالَ نَاسٌ: يَأْخُذُ بِقَوْلِ ابْنِ رَوَاحَةَ،
ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَلْبِسُ قُلُوبَ رَجَالٍ حَتَّى تَكُونَ أَلْبِنَ مِنَ اللَّبَنِ،
وَيَشُدُّ قُلُوبَ رَجَالٍ حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الْحِجَارَةِ، وَإِنْ مِثْلُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ مِثْلُ إِبْرَاهِيمَ؛ قَالَ: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي
فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ كَفُّورٌ رَجِيمٌ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٣٦]، وَمِثْلُ عِيسَى؛ قَالَ: ﴿إِنْ تُمَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ
تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الْمَائِدَةُ: ١١٨]، وَمِثْلُكَ يَا عُمَرُ مِثْلُ نُوحٍ؛ قَالَ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ
مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نُوحٍ: ٢٦]، وَمِثْلُ مُوسَى؛ قَالَ: ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ...﴾
[يُونُسَ: ٨٨] الْآيَةُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «الْيَوْمَ أَنْتُمْ عَالَةٌ، فَلَا يَفْلَتَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا بِفِدَاءٍ، أَوْ بِضَرْبِ
عُنُقِهِ»، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ
الْفِدَاءَ، وَهُوَ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ عَشْرُونَ أَوْقِيَّةً مِنَ الذَّهَبِ، وَقِيلَ: أَرْبَعُونَ أَوْقِيَّةً إِلَّا الْعَبَّاسُ فَأُخِذَ مِنْهُ
ثَمَانُونَ أَوْقِيَّةً عَنْ نَفْسِهِ، وَعَنْ ابْنِي أَخِيهِ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَنُوفَلِ بْنِ الْحَارِثِ ثَمَانُونَ، وَأَخَذَ مِنْهُ
وَقْتُ الْحَرْبِ عَشْرُونَ، فَجُمِلَ مَا أَخَذَ مِنْهُ: مِثَّةٌ وَثَمَانُونَ أَوْقِيَّةً.

لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُنْخِجَ فِي الْأَرْضِ فَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾

- بِالنَّاءِ والياء - ﴿لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُنْخِجَ فِي الْأَرْضِ﴾: يُبَالِغُ فِي قَتْلِ الْكُفَّارِ، ﴿فَرِيدُونَ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿عَرَضَ الدُّنْيَا﴾: حُطَامُهَا بِأَخْذِ الْفِدَاءِ، ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ﴾ لَكُمْ ﴿الْآخِرَةَ﴾ أَي: ثَوَابَهَا بِقَتْلِهِمْ، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، وَهَذَا مَنْسُوخٌ بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد: ٤].

حاشية الصاوي

قال عمر: فلما كان من الغد.. جئت؛ فإذا رسول الله وأبو بكر يكيان، قلت: يا رسول الله؛ أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؛ فإن وجدت بكاء.. بكيت، وإن لم أجد.. تباكيت لبكائكما؟ فقال رسول الله: «أبكي للذي عرض لأصحابي من أخذهم الفداء؛ فقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة» لشجرة قريبة منه ﷺ فنزلت الآية^(١)، وهذا من باب: حسنات الأبرار سيئات المقربين، فرسول الله لم يفعل إلا ما أبيض له، وإنما عتابه تعليمًا^(٢) لمن يتولى الأمور من أمته حسن السياسة من أنه لا يقبل الفداء من الكفار حتى يكون قادراً عليهم وظافراً بهم.

قوله: (بالنَّاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيتان، لكن على الفوقية تتعين الإمامة في (أسرى)، وعلى التحتية تجوز الإمامة وعدمها^(٣).

قوله: ﴿حَتَّى يُنْخِجَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: حتى تظهر شوكة الإسلام وقوته، وذلل الكافرين.

قوله: ﴿عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ أي: متاعها، سمي عرضاً ليزواله وعدم ثباته.

قوله: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ أي: يرضاها لكم.

قوله: (وهو منسوخ) أي: قوله: ﴿مَا كَانَتْ لِيَنَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى﴾، هكذا مشى المفسر على هذا القول، وهو ضعيف، بل ما هنا مقيّد بالإثخان؛ أي: كثرة القتال المترتب عليها عز الإسلام وقوته،

(١) رواه أحمد في «المسند» (١٣٦/٦)، وأصله في «صحيح مسلم» (١٧٦٣)، وانظر «تفسير الخازن» (٣٢٦/٢)، وللعلامة الشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله كلام نفيس حول قضية أسرى بدر بسطه في كتابه «سيدنا محمد رسول الله» بين فيه تسديده عليه الصلاة والسلام بالحق والصواب في جميع أحواله.

(٢) كذا في الأصول، ولعل الصواب: وإنما عتابه تعليمًا، أو أن الخبر محذوف جوازاً، والتقدير: حاصل تعليمًا.

(٣) قرأ أبو عمرو: «تكون» بالتأنيث؛ مراعاةً لمعنى الجماعة، والباقون بالتذكير مراعاةً للفظ الجمع. انظر «الدر المصون» (٦٣٧/٥).

لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ

﴿٦٨﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ ﴿بِإِحْلَالِ الْغَنَائِمِ وَالْأَسْرِ لَكُمْ﴾، ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾
مِنَ الْفِدَاءِ ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿٦٩﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ.

﴿٧٠﴾ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ

حاشية الصاوي

وما يأتي في (سورة القتال) من التخيير محلّه: بعد ظهور شوكة الإسلام؛ حيث قال: ﴿إِذَا أَنْتُمْ مُوْمِنُونَ
فَقُدُّوا أَلْوَفَاكُمْ﴾ [محمد: ٤]، فإذا علمت ذلك.. فالآيتان متوافقتان في أن كلاً يدلُّ على أنه لا بدّ
من تقديم الإثخان، ثم بعده الفداء.

قوله: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ﴾ ﴿لَوْلَا﴾: حرف امتناع لوجود، و﴿كِتَابٌ﴾ مبتدأ، وجملة ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ صفة
له، وكذا قوله: ﴿سَبَقَ﴾، والخبر محذوف، تقديره: موجود، والمعنى: لولا وجود حكم من الله
مكتوب بإحلال الغنائم لمسكم... إلخ، فهو عتابٌ على ترك الأولى، لا على فعل منهّي عنه؛
تنزيهاً لرسول الله عن مثل ذلك.

قوله: ﴿فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ أي: بسبب ما أخذتم، ذ(في) للسببية.

قوله: ﴿حَلَالًا﴾ أي: أكلاً حلالاً^(١).

قوله: ﴿طَيِّبًا﴾ أي: خالصاً لا شبهة فيه.

قوله: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرِ﴾ (نزلت في العباس عمّ رسول الله، وكان
أحد العشرة الذين ضمنوا أن يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة لبدر، وكان معه عشرون أوقيةً
من ذهب، فلما أخذ أسيراً.. أخذت منه، فكلم ﷺ أن يحسبها من فدائه، فأبى وقال له: «شيء
خرجت به لتستعين به علينا، فلا نتركه لك»، فقال العباس: يا محمد؛ أتركني أتكفّف قريشاً
ما بقيت؟ فقال رسول الله: «فأين الذهب الذي وضعته عند أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت
لها: إني لا أدري ما يُصيبني في وجهي هذا؛ فإن حدث لي حادث.. فهذا المال لك ولعبد الله

(١) أو نصب على الحال من المغنوم عند مَنْ لا يرى نيابة الصفة عن المصدر.

مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُّؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ

مِنَ الْأَسْرَىٰ - وفي قراءة: ﴿الْأَسْرَىٰ﴾ - ، ﴿إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾: إيماناً وإخلاصاً ﴿يُّؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ من الفداء، بِأَنْ يُضَعِّفَهُ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَيُثَبِّتَكُمْ فِي الْآخِرَةِ، ﴿وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ ذُنُوبَكُمْ، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿٧١﴾ ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا﴾ أي: الأسرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ بِمَا أَظْهَرُوا مِنَ الْقَوْلِ؛ ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾: قَبْلَ بَدْرِ الْكُفْرِ، ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ بِبَدْرِ قَتْلًا وَأَسْرًا،

حاشية الصاوي

ولعبيد الله وللفضل؟!»، فقال العباس: وما يُدريك يا ابن أخي؟ فإني أعطيْتُها إِيَّاهُ في سواد الليل، ولم يطلع عليه أحدٌ إلا الله، فقال: «أخبرني به ربي»، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك عبده ورسوله، وأنت صادق، وأمر ابني أخيه عَقِيلًا وَتَوْفَلَ بن الحارث، فأسلمما، فنزل قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ...﴾ الآية، فكان العباس يقول: أبدلني الله خيراً مما أخذ مني عشرين عبداً تجاراً يَضْرِبُونَ بِمَالٍ كَثِيرٍ، أَدْنَاهُمْ يَضْرِبُ بِعَشْرِينَ أَلْفًا مَكَانَ الْعَشْرِينَ أَوْقِيَّةً، وَأَعْطَانِي زَمْزَمَ، وَمَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهَا جَمِيعَ أَمْوَالِ أَهْلِ مَكَّةَ، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْمَغْفِرَةَ مِنْ رَبِّي^(١).

قوله: ﴿مِنَ الْأَسْرَىٰ﴾ بالإمالة لا غير.

قوله: (وفي قراءة: ﴿الْأَسْرَىٰ﴾) أي: بالإمالة وتركها، فالقراءات ثلاث، وكلُّها سَبْعِيَّةٌ^(٢).

قوله: (من الفداء) بيان لـ(ما).

قوله: ﴿خِيَانَتَكَ﴾ أي: بِنَقْضِ الْعَهْدِ الَّذِي عَاهَدُواكَ عَلَيْهِ، وَهُوَ أَلَّا يَحَارِبُوكَ وَلَا يُعَاوَنُوا عَلَيْكَ الْمُشْرِكِينَ.

قوله: (بما أظهروا من القول) أي: قولهم: رضينا بالإسلام.

(١) رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٣/٣٢٤). وَانْظُرْ «تَفْسِيرَ الْخَازَنِ» (٢/٣٢٩).

(٢) قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَفَتْحِ السِّينِ بَعْدَهَا أَلْفٌ، وَالباقون بفتح الهمزة وسكون السين ولا ألف بعدها، وأمال الألف بعد الراء أبو عمرو وحمزة والكسائي مَحْضَةً، وَوَرِثَ بَيْنَ بَيْنَ. انْظُرْ «السَّراجُ الْمُنِيرُ» (١/٥٨٣).

وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلِيَّتِهِم

فَلْيَتَوَقَّعُوا مِثْلَ ذَلِكَ إِن عَادُوا، ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بِخَلْقِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي صُنْعِهِ.

﴿٧٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَهُمْ الْمُهَاجِرُونَ، ﴿وَالَّذِينَ ءَاوُوا﴾ النَّبِيَّ ﷺ ﴿وَنَصَرُوا﴾ وَهُمْ الْأَنْصَارُ، ﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ فِي النُّصْرَةِ وَالْإِرْثِ، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلِيَّتِهِمْ﴾ - بِكَسْرِ الْوَاوِ وَفَتْحِهَا -

حاشية الصاوي

قوله: (فليتوقعوا) هذا في الحقيقة جواب الشرط الذي هو قوله: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ أي: سبق لهم الإيمان والانتقال مع رسول الله من مكة إلى المدينة، وهم السابقون الأولون الذين حضروا الغزوات قبل الفتح، الذين قال الله فيهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

قوله: ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ متعلق بـ﴿جَاهَدُوا﴾ أي: بذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَاوُوا﴾ النبي أي: والمهاجرين، ولم يذكرهم المفسر؛ لأنهم تبع لرسول الله.

قوله: (وهم الأنصار) أي: الذين قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

قوله: (في النصرة والإرث) أي: فكان الأنصار ينصرون المهاجرين وبالعكس، وكان المهاجري يرث الأنصاري الذي آخاه معه رسول الله وبالعكس.

قوله: ﴿وَلَمْ يُهَاجِرُوا﴾ أي: بأن أقاموا بمكة.

قوله: (بكسر الواو وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

(١) قرأ حمزة والكسائي بكسر الواو، والباقون بفتحها؛ ف قيل: هما لغتان. وقيل: بالفتح من المولى، يقال: مولى بين الولاية، وبالكسر من ولاية السلطان، وقيل: بالفتح من النصرة والنسب، وبالكسر من الإمارة؛ لأن في تولي بعض القوم بعضاً جنساً من الصناعة والعمل، وكل ما كان من جنس الصناعة مكسوراً مثل الخياطة والقيصرة. انظر الدر المصون، (٦٤٠/٥).

مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَهْدِهِمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾

﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ فلا إرث بينكم وبينهم، ولا نصيب لهم في الغنيمة، ﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ وهذا منسوخ بإخِرِ السُّورَةِ، ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ لهم على الكفار، ﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾: عهد؛ فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿٧٣﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَهْدِهِمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ﴾ في النصرة والإرث، فلا إرث بينكم وبينهم، ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: تولي المسلمين وقطع الكفار ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ بقوة الكفر وضعف الإسلام.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ (مِنْ): زائدة، و﴿شَيْءٍ﴾ مبتدأ، خبره الجار والمجرور قبله.

قوله: (فلا إرث بينكم وبينهم) أي: لا إرث بين المهاجرين والأنصار وبين الذين لم يهاجروا.

قوله: (ولا نصيب لهم في الغنيمة) اعترض: بأن الغنيمة لا يأخذها إلا مَنْ قاتل، وهؤلاء لم يقاتلوا، فالأولى: حذف هذه العبارة.

قوله: (وهذا منسوخ) اسم الإشارة عائد على ما تقدّم من أنّ الإرث بين المهاجرين والأنصار ثابت بالإيمان والهجرة، ومنفي بين مَنْ لم يهاجر وبين الأنصار والمهاجرين.

قوله: (بآخر السورة) أي: وهو قوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥].

قوله: ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ أي: طلبوا منكم النصرة لأجل إعزاز الدين، والضمير عائد على الذين آمنوا ولم يهاجروا.

قوله: ﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ أي: من الكفار، وهم أهل مكة.

قول: (وتنقضوا عهدهم) أي: الصلح الكائن بالحديبية سنة ست على ترك القتال عشر سنين.

قوله: (في النصرة والإرث) أي: فهما ثابتان بين الكفار بعضهم لبعض.

قوله: (فلا إرث بينكم وبينهم) أي: ولا نصرة.

قوله: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ (إِنْ): شرطية مُدْغَمَةٌ في (لا) النافية، و﴿تَفْعَلُوهُ﴾ فعل الشرط،

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ

﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ فِي الْجَنَّةِ .

﴿٧٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ أَي: بَعْدَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهَجْرَةِ ﴿وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ،

حاشية الصاوي

﴿وَتَكُنْ﴾ جواب الشرط، والمعنى: إن لم تفعلوا ما ذكر من تولي المؤمنين وقطع الكفار، بل توليتم الكفار وقطعتم المؤمنين.. تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ، وفسادٌ كبيرٌ؛ لأنه يترتب على ذلك قُوَّةُ الكفار، وضعفُ المسلمين، وهذا ما حلَّ به المفسر، ويحتمل أن (لا) زائدة، والمعنى: إن تفعلوا ما نهيتهم عنه من موالاته الكفار وقطع المؤمنين.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾... إلخ ليس مكرراً مع ما تقدّم؛ لأنَّ ما هنا بيانٌ لفضلهم، وما تقدّم بيانٌ لكونهم أولياء بعض، وأيضاً: ما تقدّم في الهجرة قبل عام الحديبية، وما هنا في الهجرة قبل الفتح، كان قبل الحديبية أو بعدها.

قوله: ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ أي: الكاملون في الإيمان بلا شك.

قوله: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ أي: لذنوبهم.

قوله: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي: لا تعب فيه ولا مشقة، ويُؤخذ من هذه الآية: أنَّ جميع المهاجرين والأنصار مُبَشَّرُونَ بِالْجَنَّةِ من غير سابقة عذاب، وأمّا ما ورد من أن المبشرين عشرة.. فلأنهم جُمِعُوا فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ^(١).

قوله: ﴿مِنْ بَعْدُ﴾ أي: بعد الحديبية وقبل الفتح؛ لأنه بعد الفتح لا هجرة.

قوله: ﴿فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ أي: محسوبون منكم، وفي الآية: دليلٌ على أن المهاجرين الأولين أعلى وأجلُّ من المتأخرين بالهجرة؛ لأنَّ الله ألحقهم به، ومن المعلوم: أنَّ المفضول يُلْحَقُ بِالْفَاضِلِ.

(١) رواه أبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٤٨)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٦٢)، وابن ماجه (١٣٣) عن سيدنا سعيد بن زيد رضي الله عنه.

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٥)

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾: ذُوو الْقَرَابَاتِ ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ فِي الْإِرْثِ مِنَ التَّوَارِثِ بِالْإِيمَانِ وَالْهَجْرَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ، ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وَمِنْهُ حِكْمَةُ الْمِيرَاثِ.



حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ هذه الآية نزلت بعد الفتح، وهي ناسخة للآية المتقدمة، وهي ميراث المهاجرين للأنصار^(١).

قوله: (من التوارث) متعلق بـ﴿أُولَىٰ﴾.

قوله: (أي: اللوح المحفوظ) وقيل: المراد به القرآن؛ لأنَّ قِسْمَةَ الْمَوَارِثِ مَذْكُورَةٌ فِي (سُورَةِ النِّسَاءِ) مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَهُوَ الْقُرْآنُ.

قوله: (ومنه: حكمة الميراث) أي: التَّوَارِثِ بِمَقْتَضَى الْإِيمَانِ وَالْهَجْرَةِ بِدُونِ قَرَابَةٍ وَنَسَبِهِ، وَالتَّوَارِثُ بِالْقَرَابَةِ.



(١) انظر «الدر المنثور» (٤/١١٥).



مَدِينَةٍ أَوْ إِلَّا الْآيَتَيْنِ آخِرَهَا، مائةٌ وثلاثونَ أو إِلَّا آيَةً. وَلَمْ تُكْتَبْ فِيهَا الْبَسْمَلَةُ لِأَنَّهُ ﷺ لَمْ يَأْمُرْ بِذَلِكَ كَمَا يُؤْخَذُ مِنْ حَدِيثِ رَوَاهُ الْحَاكِمُ، وَأَخْرَجَ فِي مَعْنَاهُ عَنْ عَلِيٍّ أَنَّ الْبَسْمَلَةَ أَمَانٌ وَهِيَ نَزَلَتْ لِرَفْعِ الْأَمْنِ بِالسَّيْفِ، وَعَنْ حُذَيْفَةَ: إِنَّكُمْ تُسَمُّونَهَا سُورَةَ التَّوْبَةِ وَهِيَ سُورَةُ الْعَذَابِ، وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ الْبَرَاءِ

حاشية الصاوي

سُورَةُ التَّوْبَةِ

مبتدأ، و(مدنية) خبر أول، و(مئة... إلخ) خبر ثانٍ.

قوله: (أو إلا الآيتين) إشارة إلى قول آخر.

قوله: (آخرها) حال من (آيتين)، وأولهما: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾؛ فعلى أنهما مكّيتان: يكون معنى قوله: ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾: اكتفِ بالله، واترك قتالهم، ويكون منسوخاً بآية السيف، وعلى أنهما مدنيّتان: يكون المعنى: كن مُستعيناً بالله، واثقاً به في قتالهم، ولا نسخ. وهذه السورة من آخر القرآن نزولاً؛ لأنها نزلت بعد عزة الإسلام وانتشاره.

قوله: (ولم تكتب فيها البسملة... إلخ) جوابٌ عما يقال: إن كلَّ سورةٍ مبتدأةٌ بالبسملة إلا هذه السورة فما الحكمة في ذلك؟ فأجاب: بأن رسول الله لم يأمر بذلك؛ أي: لكونه لم يُنزل عليه وحياً بها، وهذا أصح الأقوال؛ ولذا صدّر به المفسّر، وحاصل الخلاف في حكمة عدم الإتيان بالبسملة خمسة أقوال: أولها: ما قاله المفسّر، الثاني: أنه سُئل عثمان عن ذلك، فأجاب: (بأنه ظنَّ أنها مع «الأنفال» سورة؛ لأن قصّتها تُشبه قصّتها)^(١)، وعلى هذا القول: تكون مع (الأنفال) تمام السبع الطوال.

الثالث: أنها نزلت لِنَقْضِ عهد الكفار، وفضيحة المنافقين، فهي سورةٌ عذابٍ، والبسملةُ رحمةٌ، ولا تجتمع رحمةٌ مع عذابٍ، وتسمّى أيضاً: (الفاضة)؛ لفضيحة المنافقين بها، و(سورة العذاب)، و(سورة التوبة)؛ لاشتimalها على ذكرها وغير ذلك من أسمائها.

(١) رواه أبو داود (٧٨٦)، والترمذي (٣٠٨٦)، والنسائي في «الكبرى» (٧٩٥٣) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١)

أَنَّهَا آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ.

١ هَذِهِ ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وَاصِلَةٌ ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ عَهْدًا مُّطْلَقًا، أَوْ دُونَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ أَوْ فَوْقَهَا، وَنَقُضُ الْعَهْدِ بِمَا يُذَكَّرُ فِي قَوْلِهِ:

حَاشِيَةُ الصَّائِي

الرابع: تركت البسملة؛ لاختلاف الصحابة في أن (الأنفال) و(براءة) سورة واحدة أو سورتان، فتركت البسملة لقول مَنْ قَالَ: هما سورة واحدة، وتركت بينها فرجة لقول مَنْ قَالَ: هما سورتان. الخامس: أن ذلك على عادة العرب في الجاهلية؛ إذا كان بينهم وبين قوم عهد فأرادوا نقضه.. كتبوا إليهم كتاباً ولم يكتبوا فيه البسملة، وهذه السورة نزلت لِنَقْضِ عَهْدِ الْمُشْرِكِينَ فلم تُكْتَبْ فِيهَا. ثم اختلف العلماء في ابتداء تلك السورة بها؛ فقال ابن حجر من الشافعية بالحرمة، وقال الرملي بالكراهة، وفي الأثناء يُكره عند الأول، ويجوز عند الثاني، ومذهب مالك كذلك^(١)، وقد أشار لذلك صاحب «الشاطبية» بقوله^(٢): [الطويل]

وَمَهْمَا تَصِلْهَا أَوْ بَدَأَتْ بَرَاءَةً لِّتَنْزِيلِهَا بِالسَّيْفِ لَسْتَ مُبَسِّمًا

وَلَا بُدَّ مِنْهَا فِي ابْتِدَائِكَ سُورَةً سِوَاهَا وَفِي الْأَجْزَاءِ خَيْرَ مَنْ تَلَا

قوله: (أنها آخر سورة نزلت) أي: من الآخر، وإلا.. ف(المائدة) متأخرة عنها، وهذه السورة نزلت كاملة؛ لما ورد: أن رسول الله ﷺ قال: «ما أنزل عليّ القرآن إلا آية آية، وحرفاً حرفاً إلا سورة براءة، وسورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فإنهما نزلتا ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة»^(٣).

قوله: ﴿بَرَاءَةٌ﴾ أشار المفسر إلى أن ﴿بَرَاءَةٌ﴾ خبر لمحذوف، قدره بقوله: (هذه).

قوله: ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم﴾ متعلق بمحذوف صفة لـ ﴿بَرَاءَةٌ﴾، قدره المفسر بقوله: (واصلة)، والمعنى: هذه قطعٌ وُضِلَتْ صادرةٌ من الله ورسوله، واصلهٌ إلى الذين عاهدتم من المشركين. قوله: (ونقض العهد) أي: في الصُّور الثلاثة.

(١) «تحفة المحتاج» (٣٣/٢)، و«نهاية المحتاج» (٤٧٦/١)، وانظر: «بُلْغَةُ السَّالِكِ لِأَقْرَبِ الْمَسَالِكِ» (٣/١).

(٢) «حرز الأمان» (ص ٩).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٥/٥) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾
وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.....

﴿٢﴾ ﴿فَيَسِيحُوا﴾: سِيرُوا آمِنِينَ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ ﴿فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾: أَوَّلُهَا سُؤَالٌ بِدَلِيلٍ مَا سَيَأْتِي، وَلَا أَمَانٌ لَكُمْ بَعْدَهَا، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾: أَي: فَاتَّبِعِي عَذَابِهِ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكَافِرِينَ﴾: مُذِلُّهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالْأُخْرَى بِالنَّارِ.

﴿٣﴾ ﴿وَأَذِّنْ﴾: إِعْلَامٌ ﴿مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾: يَوْمَ النَّحْرِ ﴿أَنَّ﴾: أَي: بِأَنَّ ﴿اللَّهُ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وَعُهُودِهِمْ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿فَيَسِيحُوا﴾﴾ أمرٌ بإباحةٍ للمشركين، وهو مقولٌ لقولٍ محذوفٍ، والتقدير: فقولوا لهم: سِيحُوا، وهذا بيانٌ لعقد الأمان لهم أربعة أشهرٍ، وإنما اقتصر عليها؛ لقوة الإسلام وكثرة المسلمين، بخلاف صلح الحديبية، فكان عشرَ سنين؛ لضعف المسلمين إذ ذاك.

قوله: ﴿(أَوَّلُهَا سُؤَال)﴾ أَي: وَآخِرُهَا الْمُحَرَّم، وقيل: أَوَّلُهَا عَشْرُ ذِي الْعَقْدَةِ، وَآخِرُهَا الْعَاشِرُ مِنْ ربيع الأول؛ لِأَنَّ الْحَجَّ فِي تِلْكَ السَّنَةِ كَانَ فِي الْعَاشِرِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ بِسَبَبِ النِّسْيَاءِ، ثُمَّ صَارَ فِي السَّنَةِ الْقَابِلَةِ فِي الْعَاشِرِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَفِيهَا حَجَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَهُ اللَّهُ...» الْحَدِيثُ^(١)، وَقِيلَ: أَوَّلُهَا عَاشِرُ ذِي الْحِجَّةِ، وَآخِرُهَا عَاشِرُ ربيع الثاني.

قوله: (بدليل ما سيأتي) أَي: فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ﴾.

قوله: ﴿﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ﴾﴾... إلخ) أَي: فَلَا تَغْتَرُّوا بِعَقْدِ الْأَمَانِ لَكُمْ.

قوله: ﴿﴿وَأَذِّنْ﴾﴾ معطوف على قوله: ﴿﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾﴾ عطفٌ مفصّل على مجمل.

قوله: (إعلام) أَي: فَالْمُرَادُ: الْأَذَانُ اللَّغْوِي، لَا الشَّرْعِي الَّذِي هُوَ: الْإِعْلَامُ بِالْفَافِ مَخْصُوصَةٌ.

قوله: (يوم النحر) إِنَّمَا سُمِّيَ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ؛ لِأَنَّ مُعْظَمَ أَفْعَالِ الْحَجِّ يَكُونُ فِيهِ؛ كَالطَّوَافِ وَالرَّمْيِ وَالنَّحْرِ وَالْحَلْقِ، وَاحْتَرَزَ بِالْحَجِّ الْأَكْبَرِ عَنِ الْعُمْرَةِ، فَهِيَ الْحَجُّ الْأَصْغَرُ؛ لِأَنَّ أَعْمَالَهَا أَقَلُّ مِنْ أَعْمَالِ الْحَجِّ؛ لِأَنَّهُ يَزِيدُ عَلَيْهَا بِأُمُورِ كَالرَّمْيِ وَالْمَيْتِ وَالْوُقُوفِ.

قوله: ﴿﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ﴾﴾... إلخ) هَذِهِ الْجُمْلَةُ خَبَرٌ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿﴿وَأَذِّنْ﴾﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿﴿يَوْمَ الْحَجِّ﴾﴾

(١) رواه البخاري (٤٦٦٢)، ومسلم (١٦٧٩) عن سيدنا أبي بكرة رضي الله عنه.

وَرَسُولُهُ.....

﴿وَرَسُولُهُ﴾ بَرِيءٌ أَيْضاً، وَقَدْ بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا مِنَ السَّنَةِ وَهِيَ سَنَةُ تِسْعٍ، فَأَذَّنَ يَوْمَ النَّحْرِ

حاشية الصاوي

الْأَكْبَرُ ﴿ظَرْفٌ لِّلْأَذَانِ﴾، وَالْمَعْنَى: وَإِعْلَامٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ كَائِنٌ فِي يَوْمِ الْحَجِّ بِأَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ... إلخ.

قوله: ﴿وَرَسُولُهُ﴾ القُراء السبعة بل العشرة على الرفع، عطف على الضمير المستتر في ﴿بَرِيءٌ﴾، ووُجد الفاصل وهو قوله: ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، ويصح أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره: بَرِيءٌ مِنْهُمْ أَيْضاً، وقرئ شاذاً بالنصب، ووُجِّهَتْ بوجهين: الأول: أن الواو بمعنى (مع)، و(رسوله) مفعول معه، الثاني: أنه معطوف على اسم (أَنَّ) وهو لفظ الجلالة، وقرئ شاذاً أيضاً بالجَرِّ، ووُجِّهَتْ: بأن الواو للقسم، واستبعدت تلك القراءة؛ لإيهام عطفه على (المشركين)^(١)؛ حتى إن بعض الأعراب سمع رجلاً يقول بها، فقال الأعرابي: إن كان الله بريئاً من رسوله... فأنا بريء منه، فلبَّيه القارئ إلى عمر، فحكى الأعرابي الواقعة، فأمر عمر بتعليم العربية، وتحكى هذه أيضاً عن عليٍّ وأبي الأسود الدؤلي^(٢).

قوله: (وقد بعث... إلخ) حاصل ذلك: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَاهَدَ قَرِيشاً يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ عَلَى أَنْ يَضَعُوا الْحَرْبَ عَشْرَ سَنِينَ يَأْمَنُ فِيهَا النَّاسُ، وَدَخَلَتْ خُزَاعَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَدَخَلَتْ بَنُو بَكْرٍ فِي عَهْدِ قَرِيشَ، ثُمَّ عَدَّتْ بَنُو بَكْرٍ عَلَى خُزَاعَةٍ، وَأَعَانَتْهُمْ قَرِيشٌ بِالسَّلاحِ، فَلَمَّا تَظَاهَرَتْ بَنُو بَكْرٍ وَقَرِيشٌ عَلَى خُزَاعَةٍ وَنَقَضُوا عَهْدَهُمْ... خَرَجَ عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ الْخُزَاعِيُّ، وَوَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «لَا نُصِرْتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرْكُمْ»، وَتَجَهَّزَ إِلَى مَكَّةَ، فَفَتَحَهَا سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، فَلَمَّا كَانَ سَنَةَ تِسْعٍ... أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَحْجَّ؛ فَقِيلَ: إِنْ الْمُشْرِكِينَ يَحْضُرُونَ وَيَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ عُرَاةً، فَقَالَ: لَا أَحِبُّ أَنْ أَحْجَّ حَتَّى لَا يَكُونَ ذَلِكَ، فَبَعَثَ أَبَا بَكْرٍ تِلْكَ السَّنَةَ أَمِيراً عَلَى الْمَوْسِمِ؛ لِيُقِيمَ لِلنَّاسِ الْحَجَّ، وَبَعَثَ مَعَهُ أَرْبَعِينَ آيَةً مِنْ صَدْرِ (بِرَاءةٍ) آخِرَهَا: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾، ثُمَّ بَعَثَ بَعْدَهُ عَلِيًّا عَلَى نَاقَتِهِ الْعُضْبَاءِ؛ لِيَقْرَأَ عَلَى النَّاسِ صَدْرَ (بِرَاءةٍ)، فَلَحَقَ أَبَا بَكْرٍ

(١) قرأ ابن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وزيد بن علي: (ورسوله) بالنصب، وقرئ بالجَرِّ شاذاً، ورُويَت عن الحسن.

انظر «البحر المحيط» (٣٧٦/٥).

(٢) انظر «الدر المنثور» (١٢٩/٤).

بِمَنْى بِهذه الآيات، وأن لا يَحُجَّ بعدَ العام مُشْرِكٌ ولا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُريَانٌ، رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ،

حاشية الصاوي

بالمرج - بفتح العين، وسكون الراء: قرية جامعة بينها وبين المدينة ستة وسبعون ميلاً - فلماً تلاقيا . .
ظنَّ أبو بكر أنه معزولٌ، فَرَجَعَ إلى رسول الله، فقال: يا رسول الله؛ أنزل في شأني شيء؟ فقال:
«لا، ولكن لا يَنْبَغِي لأحدٍ أن يبلغَ هذا إلا رجل من أهلي، أما ترضى يا أبا بكر أنك كنتَ معي
في الغار، وأنتَ معي على الحَوْضِ؟»، فقال: بلى يا رسول الله، فسار أبو بكر أميراً على الحاج
وعليُّ بن أبي طالب يُؤذَنُ بـ(براءة)، فلماً كان قبل يوم التروية بيوم . . قام أبو بكر، فخطب الناس
وحدَّثهم عن مناسكهم، وأقام للناس الحج، حتى إذا كان يوم النحر . . قام علي فأذن بما أمر به
وهو: (لا يَطُوفُ بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبي عهد . . فهو مَنقُوض، ومن لم يكن له
عهد . . فأجله أربعة أشهر، ولا يدخل الجنة إلا نفسٌ مؤمنةٌ، ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد
عامهم هذا في الحج)، ثم حجَّ رسول الله سنة عشر حجة الوداع^(١).

إذا علمتَ ذلك . . تعلم أن هذه الآيات نزلت بعد فتح مكة في نقض عهود ما عدا قريش^(٢)؛
فإن قريشاً تمَّ أمرهم بفتح مكة، وفي ذلك قال المفسِّرون: (لما خرج رسول الله إلى تبوك، فكان
المنافقون يرجفون الأراجيف، وجعل المشركون يَنْقُضُونَ عهوداً كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ،
فأمر الله عز وجل بِنَقْضِ عهودهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْذَرِ إِلَيْهِمْ عَلَى
سَوَاءٍ...﴾ [الأنفال: ٥٨] الآية، ففعل رسول الله ما أمَرَ به، ونَبَذَ لهم عهدهم^(٣).

قوله: (بهذه الآيات) أي: وهي ثلاثون أو أربعون آية، آخرها: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

قوله: (وَأَلا يحج) أي: وبأَلا يحجَّ، فهو وما بعده من جملة ما أذَّن به.

(١) انظر الخبر بتمامه في «تفسير الخازن» (٣/٣٣٤)، وأصله عند «البخاري» (٢٥٤٨)، ومسلم (١٣٤٧) عن سيدنا
أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) كذا في الأصول، وهو وجهُ أجازة الكسائي على جعل (ما) زائدة، وجعل (عدا) حرف جر، وحكاة الجرمي عن
بعض العرب. انظر «شرح ابن عقيل» (١/٥٦٤).

(٣) انظر «تفسير البغوي» (٢/٣١٤).

فَإِنْ بُنْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَكُمْ

﴿فَإِنْ بُنْتُمْ﴾ مِنَ الْكُفْرِ ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عَنِ الْإِيمَانِ ﴿فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ﴾: أَخْبِرِ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾: مُؤْلِمٌ، وَهُوَ الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ فِي الدُّنْيَا، وَالنَّارُ فِي الْآخِرَةِ.

﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ مِنْ شُرُوطِ الْعَهْدِ، ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا﴾: يُعَاوِنُوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ مِنَ الْكُفَّارِ، ﴿فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَكُمْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَهُوَ﴾ أي: التوبة المفهومة من قوله: ﴿بُنْتُمْ﴾.

قوله: ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: من بقائكم على الكفر الذي هو خيرٌ في زعمكم، أو اسم التفضيل ليس على بابِه.

قوله: ﴿أَخْبِرِ﴾ أشار بذلك إلى أن المراد بالبشارة: مُطلق الإخبار، وعبر عنه بالبشارة تهكُّماً بهم.

قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾ استثناء من ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ في قوله: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وهو مُنْقَطِعٌ، والتقدير: لكن الذين عاهدتم فأتوا إليهم عهدهم، وهذا أولى من جعله متصلاً؛ لما يلزم عليه من الفصل بين المستثنى والمستثنى منه.

قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ﴾ قرأ الجمهور بالصاد المهملة، من: النقصان، وهو يتعدى لواحد واثنين، فالكاف مفعول أول، و﴿شَيْئًا﴾ إما مفعول ثان، أو مصدر؛ أي: لا قليلاً ولا كثيراً من النقصان، وقرئ شذوذاً بالضاد، والمعنى: يَنْقُصُوا عهدكم، وهي مناسبة لذكر العهد، والقراءة الأولى مناسبة لذكر التمام في مقابلتها^(١).

قوله: ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا﴾ أي: هؤلاء المشركون، وهم بنو ضمرة، حيٌّ من كنانة.

(١) قرأ عطاء بن السائب الكوفي وعكرمة وابن السَّمِيعِ وأبو زيد: «يَنْقُصُوكُمْ» بالضاد المعجمة. انظر «الدر المصون» (١٠/٦).

إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ

إِلَىٰ انْقِضَاءِ ﴿مُدَّتِهِمْ﴾ الَّتِي عَاهَدْتُمُوهُمْ عَلَيْهَا، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ بِإِتِمَامِ الْعُهُودِ.

﴿٥﴾ ﴿فَإِذَا أُنْسِلَخَ﴾: خَرَجَ ﴿الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ وَهِيَ آخِرُ مُدَّةِ التَّاجِيلِ، ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ فِي حِلٍّ أَوْ حَرَمٍ، ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ بِالْأَسْرِ ﴿وَأَحْضُرُوهُمْ﴾ فِي الْقِلَاعِ وَالْحُصُونِ حَتَّى يُضْطَرُّوا إِلَى الْقَتْلِ أَوْ الْإِسْلَامِ، ﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾: طَرِيقَ يَسْلُكُونَهُ، وَنَصْبُ ﴿كُلِّ﴾ عَلَى نَزْعِ الْخَافِضِ، ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ مِنَ الْكُفْرِ ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ وَلَا تَتَعَرَّضُوا لَهُمْ، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لِمَنْ تَابَ.

﴿٦﴾ ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ - مَرْفُوعٌ بِفِعْلِ يُفْسِّرُهُ - ﴿اسْتَجَارَكَ﴾: اسْتَأْمَنَكَ مِنَ الْقَتْلِ، ﴿فَأَجِرْهُ﴾: أَمْنُهُ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ (أَي: وَكَانَ قَدْ بَقِيَ مِنْ مُدَّتِهِمْ تِسْعَةُ أَشْهُرٍ).

قوله: ﴿فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ (أَي: انْقَضَتْ وَفَرِغَتْ، وَتَقَدَّمَ لِلْمَفْسَّرِ: أَنَّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَوَّلَ الْمُدَّةِ شَوَالٌ، وَهُوَ أَحَدُ أَقْوَالِ ثَلَاثَةِ تَقَدَّمَتِ).

قوله: ﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ (أَي: فِي أَيِّ مَكَانٍ).

قوله: ﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ (أَي: لثَلَا يَنْتَشِرُوا فِي الْبِلَادِ).

قوله: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾... إلخ) المراد: أَتَوْا بِأَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَإِنَّمَا اقْتَصَرَ عَلَى الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ؛ لِأَنَّهُمَا رَأْسُ الْأَعْمَالِ الْبَدَنِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ.

قوله: (وَلَا تَتَعَرَّضُوا لَهُمْ) أَي: لَا لِأَنْفُسِهِمْ وَلَا لِأَمْوَالِهِمْ؛ فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُمْ جَزِيَّةً وَلَا أَعْشَاراً وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ.

قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (إِنْ): حَرْفُ شَرْطٍ جَازِمٍ، وَ﴿أَحَدٌ﴾: فَاعِلٌ بِفِعْلِ مُحذُوفٍ يُفْسِّرُهُ قَوْلُهُ: ﴿اسْتَجَارَكَ﴾، وَهُوَ فِعْلُ الشَّرْطِ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَجِرْهُ﴾: جَوَابُ الشَّرْطِ، وَإِنَّمَا أُعْرِبَ ﴿أَحَدٌ﴾ فَاعِلاً بِفِعْلِ مُحذُوفٍ؛ لِأَنَّ أَدَوَاتِ الشَّرْطِ لَا يَلْبِهَا إِلَّا الْأَفْعَالُ لَفْظاً أَوْ تَقْدِيرًا سَيِّماً (إِنْ).

حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبَعَهُ مَأْمَتُهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ
لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا
اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ

﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾: القرآن، ﴿ثُمَّ اتَّبَعَهُ مَأْمَتُهُ﴾ أي: موضع أمنيته، وهو دار قومه إن لم
يؤمن لينظر في أمره، ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ دين الله، فلا بُدَّ لَهُمْ مِنْ
سَمَاعِ الْقُرْآنِ لِيَعْلَمُوا.

﴿٧﴾ ﴿كَيْفَ﴾ أي: لا ﴿يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾ وهم كافرون
بهما غادرون؟ ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَهُمْ قُرَيْشُ
الْمُسْتَثْنُونَ مِنْ قَبْلُ، ﴿فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ﴾: أقاموا على العهد ولم ينقضوه ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾
حاشية الصاوي

قوله: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ أي: فيتدبره، ويعلم كيفية الدين وما انطوى عليه من المحاسن.
قوله: ﴿ثُمَّ اتَّبَعَهُ مَأْمَتُهُ﴾ أي: إن أراد الانصراف ولم يُسلم.. وصله إلى قومه؛ ليتدبر
في أمره، ثم بعد ذلك يجوز لك قتالهم؛ لإقيام الحجة عليهم.

قوله: (المذكور) أي: من الإجارة والإبلاغ.

قوله: (ليعلموا) أي: ما لهم من الثواب إن آمنوا، وما عليهم من العقاب إن لم يؤمنوا.
قوله: (أي: لا يكون) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام للتعجب بمعنى النفي، وهذا تأكيد لإبطال
عهدهم ونقضه.

قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾ يصحُّ أن يكون الاستثناء منقطعاً أو متصلاً؛ فعلى الانقطاع:
يكون الموصول مبتدأ، خبره: جملة الشرط، وهي قوله: ﴿فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ...﴾ إلخ،
وعلى الاتصال: يكون الموصول منصوباً على الاستثناء.

قوله: (يوم الحديبية) اسم مكان بينه وبين مكة ستة فراسخ.

قوله: (وهم قريش المستثنون من قبل) أي: في قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ
يَنْقُضُوكُمْ شَيْئاً﴾، وقد تبع المفسر في ذلك ابن عباس^(١)، وهو مُشْكَلٌ؛ لأنَّ هذه الآيات نزلت

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ

على الوفاء به، - و(ما) شرطية - ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾، وقد استقام ﷺ على عهدهم حتى نقضوا بإعانة بني بكر على خزاعة.

﴿٨﴾ ﴿كَيْفَ﴾ يَكُونُ لَهُمْ عَهْدٌ ﴿وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾: يَظْفَرُوا بِكُمْ ﴿لَا يَرْقُبُوا﴾: يُرَاعُوا ﴿فِيكُمْ إِلَّا﴾: قَرَابَةٌ ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾: عَهْدًا؟ بل يُؤْذُوكم ما استطاعوا، - وجملَةُ الشَّرْطِ حَالٌ - ﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بِكَلَامِهِمُ الْحَسَنَ

حاشية الصاوي

في شوال في السنة التاسعة، وقريش إذ ذاك مسلمون؛ لأنها كانت نقضت في السنة السابعة، وحصل الفتح في الثامنة؛ فلذا قال الخازن: (إن ذلك محمولٌ على بني ضمرة الذين دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية مع جملة من القبائل، فكلهم نقضوا إلا بني ضمرة فلم ينقضوا؛ فلذا أمر رسول الله بإتمام عهدهم إلى مدتهم)^(١).

قوله: (و«ما»: شرطية) أي: بمعنى (إن)، ويصح كونها مصدرية ظرفية؛ أي: فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم.

قوله: (حتى نقضوا بإعانة بني بكر على خزاعة) هذا مبنيٌّ على ما فهمه أولاً، ولو مشى على الصواب لقال: حتى فرغت مدتهم.

قوله: ﴿كَيْفَ﴾ يكون لهم عهد) كرر الاستفهام؛ زيادةً في التأكيد.

قوله: ﴿إِلَّا﴾ مفعول لـ ﴿يَرْقُبُوا﴾، وجمعه: (إلال) ك(قداح).

قوله: (قراية) وقيل: المراد به: العهد، وقيل: المراد به: الله تعالى، وقيل: الجوار، وهو: رفع الصوت عند المحالفة؛ لأنهم كانوا يفعلون ذلك عند المحالفة، والأقرب: ما قاله المفسر.

قوله: (عهداً) أي: فالعطف للتفسير على تفسير (الإل) بالعهد.

قوله: ﴿يُرْضُونَكُمْ﴾ هذا بيانٌ لحالهم عند عدم الظفر بالمسلمين إثر بيان حالهم عند الظفر

بهم.

وَتَأْنِي قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَسِقُوتٌ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ
 إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ
 الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾

﴿وَتَأْنِي قُلُوبُهُمْ﴾: الِوَفَاءُ بِهِ، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَسِقُوتٌ﴾: نَاقِضُونَ لِلْعَهْدِ.
 ﴿٩﴾ ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: الْقُرْآنِ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: مِنَ الدُّنْيَا، أَي: تَرَكُّوْا اتِّبَاعَهَا
 لِلشَّهَوَاتِ وَالْهَوَى، ﴿فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ﴾: دِينِهِ، ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ﴾: بِئْسَ ﴿مَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ﴾: عَمَلُهُمْ هَذَا.
 ﴿١٠﴾ ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾.
 ﴿١١﴾ ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ﴾: أَي: فَهُمْ إِخْوَانُكُمْ ﴿فِي الدِّينِ
 وَنُفَصِّلُ﴾: نُبَيِّنُ ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يَتَدَبَّرُونَ.
 حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: ﴿وَتَأْنِي قُلُوبُهُمْ﴾ (أي: تَمَتَّعَ مِنَ الْإِذْعَانِ وَالْوَفَاءِ بِمَا أَظْهَرُوهُ.
 قوله: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ (أي: اسْتَبَدَّلُوا آيَاتِ اللَّهِ بِالْأَعْرَاضِ الْفَانِيَةِ، وَالشَّهَوَاتِ الزَّائِلَةِ.
 قوله: ﴿فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (أي: مَنَعُوا النَّاسَ مِنْ اتِّبَاعِ دِينِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ.
 قوله: ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (أي: لِضَلَالَتِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، وَإِضْلَالَتِهِمْ غَيْرِهِمْ.
 قوله: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ﴾ كَرَّرَ ذَلِكَ لِمَزِيدِ التَّشْنِيعِ وَالتَّقْبِيحِ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنِّ مَقَامَ الدِّمِّ كَمَقَامِ
 الْمَدْحِ؛ الْبَلَاغَةُ فِيهِ الْإِطْنَابُ.
 قوله: ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾... إلخ) لَيْسَ فِيهِ تَكَرُّارٌ مَعَ مَا تَقَدَّمَ؛ لِاخْتِلَافِ جَوَابِ الشَّرْطِ؛ لِأَنَّ الْأَوَّلَ
 أَفَادَ تَخْلِيَةَ سَبِيلِهِمْ، وَهَذَا أَفَادَ أَنَّهُمْ إِخْوَانُنَا فِي الدِّينِ.
 قوله: (أي: فَهُمْ إِخْوَانُكُمْ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ (إِخْوَانَكُمْ) خَبَرٌ لِمُحْذُوفٍ، وَالْجُمْلَةُ فِي مَحَلِّ
 جَزْمِ جَوَابِ الشَّرْطِ.
 قوله: (يَتَدَبَّرُونَ) أَي: يَتَعَذَّبُونَ فَيُؤْمِنُونَ، وَإِنَّمَا فَسَّرَ الْعِلْمَ بِالتَّدْبِيرِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ: عِلْمٌ يَحْصُلُ
 مَعَهُ الْإِذْعَانُ، لَا مُطْلَقٌ عِلْمٌ.

وَأِنْ تَكُونُوا أَيْمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ

﴿١٢﴾ وَإِنْ تَكُونُوا: نَقَضُوا ﴿أَيْمَنَهُمْ﴾: مَوَائِقَهُمْ ﴿مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ﴾: عَابُوهُ، ﴿فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ﴾: رُؤَسَاءَهُ، - فِيهِ وَضَعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ - ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾: عُهْدَهُ ﴿لَهُمْ﴾،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَإِنْ تَكُونُوا﴾ النَّكَثُ فِي الْأَصْلِ: الرَّجُوعُ إِلَى خَلْفٍ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي النِّقْضِ مَجَازًا؛ بِجَامِعٍ أَنَّ كُلًّا مَتَأَخَّرَ عَنْ مَطْلُوبِهِ، وَهُوَ مُقَابِلُ قَوْلِهِ: ﴿فَإِنْ تَابُوا...﴾، إلخ، والمعنى: فَإِنْ أَظْهَرُوا مَا فِي ضَمَائِرِهِمْ مِنَ الشَّرِّ فَقَاتِلُوا... إلخ.

قوله: ﴿وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ عَطَفُ تَفْسِيرٍ، أَوْ سَبَبٍ عَلَى مُسَبَّبٍ، وَالْأَقْرَبُ: الْأَوَّلُ.

قوله: ﴿فَقَاتِلُوا﴾ أَمْرٌ لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَأُمَّتِهِ.

قوله: ﴿أَيْمَةَ الْكُفْرِ﴾ بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ، وَإِدْخَالِ أَلْفٍ بَيْنَهُمَا، وَتَرْكِهِ، وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ مَعَ إِدْخَالِ أَلْفٍ بَيْنَهُمَا، وَتَرْكِهِ، فَهَذِهِ خَمْسُ قَرَاءَاتٍ شَاذَةٌ هُنَا، وَفِي (الْأَنْبِيَاءِ)، وَمَوْضِعِي (الْقَصَصِ)، وَ(السَّجْدَةِ)، وَقُرِئَ بِإِبْدَالِ الْهَمْزَةِ الثَّانِيَةِ يَاءٍ مَعَ أَلْفٍ بَيْنَ الْهَمْزَةِ وَالْيَاءِ وَبِدُونِهَا^(١)، وَأَصْلُهُ: (أَأَيْمَةُ) بِوَزْنِ (أَفْعَلَةٍ) أُرِيدَ إِدْغَامُ أَحَدِ الْمِيمَيْنِ فِي الْآخَرَى، فَتُنْقَلَتْ حَرَكَةُ الْمِيمِ الْأُولَى لِلْسَّاكِنِ قَبْلُهَا وَهُوَ الْهَمْزَةُ الثَّانِيَةُ.

قوله: (فِيهِ وَضَعُ الظَّاهِرِ) أَي: زِيَادَةُ فِي التَّقْيِيقِ عَلَيْهِمْ؛ حَيْثُ وَصَفَهُمْ بِكَوْنِهِمْ رُؤَسَاءَ فِي الْكُفْرِ، وَكَانَ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ: (فَقَاتِلُوهُمْ).

قوله: ﴿لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ، جَمْعُ (يَمِينٍ) بِمَعْنَى: الْحَلْفِ، وَالْمَعْنَى: لَا عُهْدَ لَهُمْ مُتَّمَّةً.

(١) قَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٌ وَأَبُو عَمْرٍو: «أَيْمَةُ» بِهَمْزَتَيْنِ ثَانِيَتُهُمَا مُسَهَّلَةٌ بَيْنَ بَيْنَ وَلَا أَلْفَ بَيْنَهُمَا، وَالْكَوْفِيُّونَ وَابْنُ ذَكْوَانَ عَنْ ابْنِ عَامِرٍ بِتَخْفِيفِهَا مِنْ غَيْرِ إِدْخَالِ أَلْفٍ بَيْنَهُمَا، وَهَشَامٌ كَذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ أَدْخَلَ بَيْنَهُمَا أَلْفًا، وَحَقَّقَهُمَا الْبَاقُونَ، وَنَقَلَ عَنْ نَافِعٍ وَمَنْ مَعَهُ: أَنَّهُمْ يُبَدِّلُونَ الثَّانِيَةَ يَاءً صَرِيحَةً، وَأَنَّهُ قَدْ نُقِلَ عَنْ نَافِعٍ الْمَدُّ بَيْنَهُمَا. انْظُرْ «الدَّرُ الْمَصُون» (٦/٢٣)، وَ«السَّرَاحُ الْمُنِير» (١/٥٩٢).

لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَّا تَقْلِيلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ
وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أُولَئِكَ مَرْءٌ

- وفي قراءة بالكسر - ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ عن الكفر.

﴿١٣﴾ - ﴿أَلَّا﴾ - لِلتَّحْضِيضِ - ﴿تَقْلِيلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا﴾ : نَقَضُوا ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾ : عَاهَدَهُمْ
﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ مِنْ مَكَّةَ لَمَّا تَشَاوَرُوا فِيهِ بِدَارِ النَّدْوَةِ، ﴿وَهُمْ بَدَءُوكُمْ﴾
بِالْقِتَالِ ﴿أُولَئِكَ مَرْءٌ﴾ حَيْثُ قَاتَلُوا خُزَاعَةَ حُلَفَاءَكُمْ مَعَ بَنِي بَكْرِ،

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة بالكسر) أي: فيكون مصدر (آمن) بمعنى: أعطاه الأمان، أو من: الإيمان،
وهو التصديق^(١).

قوله: ﴿أَلَّا﴾ للتَّحْضِيضِ أي: وهو الطلب بحث وإزعاج؛ لا تُصَافَهُمْ بصفات ثلاثة؛ كلُّ واحدٍ
منها يقتضي القتال.

قوله: ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ إنما اقتصر على الإخراج مع أنه وقع منهم الهمُّ بالقتل
والهمُّ بالإيثاق أيضاً؛ لأنَّ أثر الإخراج ظهر عقبه، وهو خروجه منها بإذن ربِّه، لا خوفاً منهم؛
ولذا ورد: «اللهمَّ كما أخرجتني من أحبِّ البلاد إليَّ.. فأسكنني في أحبِّ البلاد إليك»^(٢).

قوله: (بدار الندوة) تقدَّم أنها مكان اجتماع القوم لِلْمُشَاوَرَةِ والحديث، والبناني لها قُصِي،
وقد أدخلت الآن في المسجد، فهي في مقام الحنفي^(٣).

قوله: (حيث قاتلوا خزاعة) أي: أعانوهم بالسلاح.

ثم أعلم: أن صريح المفسِّر حمل ذلك على قریش، وهو منافٍ لما تقدَّم من أنَّ السورة نزلت
سنة تسع، وقریش إذ ذاك مُسلمون^(٤).

(١) قرأ ابن عامر بكسر الهمزة. انظر «السراج المنير» (١/٥٩٢).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرک» (٤/٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) بين الركن الشامي والغربي مما يلي الحطيم، ولكل من المذاهب الأربعة مقام؛ فإن مقام الشافعي خلف مقام إبراهيم
عليه السلام، والمالكي بين الركن الغربي واليماني، والحنبلي تجاه الحجر الأسود. انظر «تاريخ مكة المشرفة
والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف» لابن الضياء (ص ١٦٢).

(٤) انظر (٣/٦٤).

أَتَخَشَّوْنَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِّكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ

فَمَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُقَاتِلُوهُمْ؟ ﴿أَتَخَشَّوْنَهُمْ﴾: أَتَخَافُونَهُمْ؟ ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾: فِي تَرْكِ قِتَالِهِمْ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿١٤﴾ ﴿قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾: يَقْتُلُهُمْ ﴿بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ﴾: يُذِلُّهُمْ بِالْأَسْرِ وَالْقَهْرِ، ﴿وَيَنْصَرِّكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾: بِمَا فَعَلَ بِهِمْ، هُمْ بَنُو خُزَاعَةَ.

﴿١٥﴾ ﴿وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾: كَرَبَّهَا، ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾: بِالرُّجُوعِ إِلَى الْإِسْلَامِ كَأَبِي سُفْيَانَ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿١٦﴾ ﴿أَمْ﴾ - بِمَعْنَى هَمْزَةِ الْإِنْكَارِ - ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا﴾: لَمْ ﴿يَعْلَمِ اللَّهُ﴾: عِلْمَ ظُهُورِ ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (فَمَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُقَاتِلُوهُمْ) أشار بذلك إلى أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ التَّحْضِيضِ: الْأَمْرُ مَعَ التَّوْبِيخِ.

قوله: (فِي تَرْكِ قِتَالِهِمْ) متعلق بقوله: ﴿أَتَخَشَّوْنَهُمْ﴾.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ شرط حذف جوابه؛ لدلالة ما قبله عليه.

قوله: ﴿قَتَلُوهُمْ﴾ هذا أمرٌ، ذُكِرَ فِي جَوَابِهِ خَمْسَةُ أُمُورٍ.

قوله: (بَنُو خُزَاعَةَ) يُؤْخَذُ مِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ إِذْ ذَاكَ.

قوله: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ﴾ بِالرَّفْعِ اسْتِثْنَاءً، وَلَمْ يَجْزَمْ؛ لِأَنَّ التَّوْبَةَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ لَيْسَتْ جَزَاءً

عَلَى قِتَالِ الْكُفَّارِ.

قوله: (بِمَعْنَى هَمْزَةِ الْإِنْكَارِ) الْحَقُّ: أَنَّهَا بِمَعْنَى (بَلْ) وَالْهَمْزَةُ مَعاً كَمَا تَقَدَّمَ لَهُ.

قوله: ﴿وَلَمَّا تُتْرَكُوا﴾ أَي: يَتْرَكُكُمْ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ.

قوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ الْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ.

قوله: (عِلْمَ ظُهُورِ) دَفَعَ بِذَلِكَ مَا يَقَالُ: كَيْفَ يُتَمَّى عِلْمُ اللَّهِ مَعَ أَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِكُلِّ شَيْءٍ؛ وَجَدَ أَوْ لَمْ

يُوجَدُ؟

وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ.....

بإخلاص ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ﴾ : بَطَانَةٌ وَأَوْلِيَاءُ، الْمَعْنَى: وَلَمْ يَظْهَرِ الْمُخْلِصُونَ وَهُمْ الْمَوْصُوفُونَ بِمَا ذُكِرَ مِنْ غَيْرِهِمْ، ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ - بِالْإِفْرَادِ وَالْجَمْعِ - بِدُخُولِهِ وَالْقُعُودِ فِيهِ، ﴿شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ﴾.....

حاشية الصاوي

قوله: (بإخلاص) أي: مع إخلاص.

قوله: ﴿وَلِجَنَّةٍ﴾ (من: الولوج، وهو: الدخول، والمعنى: بل أظننتم أن تتركوا من غير قتال بمجرد قولكم: آمناً، بل حتى يظهر المجاهد منكم مع الإخلاص من غيره، ولم تتخذوا في الله ولا رسوله ولا المؤمنين شيئاً تدخلونه في قلوبكم غير محبة الله ورسوله والمؤمنين؟

قوله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾... إلخ) سبب نزول هذه الآية وما بعدها: أن جماعة من رؤساء قريش أسروا يوم بدر؛ منهم: العباس عم رسول الله، فأقبل عليهم نفرٌ من أصحاب رسول الله يُعَيِّرُونَهُمْ بالشرك، وجعل علي بن أبي طالب يُوبِّخُ العباس بسبب قتال رسول الله، وقطيعه الرحم، فقال العباس: ما لكم تذكرون مساوئنا وتكتمون محاسننا؟! ف قيل له: وهل لكم محاسن؟ قال: نعم، نحن أفضل منكم؛ نعمر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة - أي: نخدمها - ونسقي الحجيج، ونفك العاني^(١).

قوله: (بالإفراد والجمع) أي: فهما قراءتان سبعيتان؛ فالإفراد على أن المراد: المسجد الحرام، أو على أن المسجد اسم جنس، فيدخل فيه جميع المساجد، والجمع إما على أن كل بقعة من المسجد الحرام يقال لها: مسجد، أو الجمع باعتبار أنه قبلة لسائر المساجد^(٢).

قوله: ﴿شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ﴾) قيل: المراد به: السجود للأصنام؛ لأن كفر قريش كانوا قد نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد، وكانوا يطوفون بالبيت عراة؛ كلما طافوا طوفة.. سجدوا للأصنام، فلم يزدادوا بذلك إلا بعداً من الله.

(١) انظر «زاد المسير» (٢/٢٤٢).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «مسجد الله» بالإفراد، وقرأ الباقون: «مساجد» بالجمع. انظر «الدر المصون» (٦/٢٩).

أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَن
يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

أُولَئِكَ حِطَّتْ: بَطَلَتْ ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾ لِعَدَمِ شَرْطِهَا، ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

﴿١٨﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ
وَلَمْ يَخْشَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ.

﴿١٩﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَي: أَهْلَ ذَلِكَ ﴿كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ﴾ أي: الحسنة التي افتخروا بها؛ من خدمة المساجد، وفكِّ
الأسير، وسقاية الحاج، وغير ذلك.

قوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ بالجمع باتِّفاق السبعة^(١)، وعمارتها تكون بينائها من المال
الحلال، والصلاة فيها، وغير ذلك.

قوله: ﴿أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ أي: أَن يَحْشَرُوا فِي زَمَرَتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ رَدُّ عَلَى الْعَبَّاسِ وَغَيْرِهِ كَمَا يَأْتِي لِلْمُفَسِّرِ؛ حَيْثُ افْتَخَرُوا بِذَلِكَ
وَقَالُوا: إِنَّ هَذَا شَرَفٌ لَا يُضَاهِي.

والسقاية في الأصل هي: المحلُّ الذي يجعل فيه الشراب في الموسم، كانوا يَنْبِذُونَ الزَّبِيبَ
فِي مَاءِ زَمْزَمَ، وَيَسْقُونَهُ النَّاسُ أَيَّامَ الْحَجِّ، وَكَانَ الْفَاعِلُ لِذَلِكَ الْعَبَّاسُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَاسْتَمَرَّتْ مَعَهُ
السَّقَايَةُ فِي الْإِسْلَامِ، فَهِيَ لَالُ الْعَبَّاسِ أَبَدًا.

قوله: (أَي: أَهْلَ ذَلِكَ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ فِي الْكَلَامِ حَذْفَ مُضَافٍ، وَالتَّقْدِيرُ: أَجَعَلْتُمْ أَهْلَ
سِقَايَةِ الْحَاجِّ... إلخ، وَقَدْ دَفَعَ بِذَلِكَ مَا يَقَالُ: كَيْفَ يُشَبِّهُ الْمَعْنَى - وَهُوَ السَّقَايَةُ - بِالذَّاتِ،
وَهُوَ مَنْ آمَنَ؟

(١) جمهورُ القراء من السبعة وغيرهم على الجمع، وقرأ الجحدري وحماد بن أبي سلمة عن ابن كثير بالإفراد. انظر

«الدر المصون» (٦/٣١).

الْآخِرِ وَجَهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِرُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَعَلَتْ لَهُمْ فِيهَا نِعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾

الْآخِرِ وَجَهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ﴿١٩﴾ فِي الْفَضْلِ، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الْكَافِرِينَ. نَزَلَتْ رَدًّا عَلَى مَنْ قَالَ ذَلِكَ وَهُوَ الْعَبَّاسُ أَوْ غَيْرُهُ.

﴿٢٠﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً ﴿٢٠﴾: رُتَبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ غَيْرِهِمْ، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِرُونَ﴾: الظَّافِرُونَ بِالْخَيْرِ.

﴿٢١﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَعَلَتْ لَهُمْ فِيهَا نِعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾: دَائِمٌ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (في الفضل) أي: الأَخْرَوِي؛ لِأَنَّ فَضْلَ السَّقَايَةِ وَالْعِمَارَةِ دَنِيوِيٌّ.

قوله: (أو غيره) أو: بمعنى الواو؛ لِأَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ كَانُوا يَفْتَخِرُونَ بِذَلِكَ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ هَذَا فَخْرٌ لَا يَضَاهِي.

قوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: اتَّصَفُوا بِالْإِيمَانِ وَمَا عَظِفَ عَلَيْهِ، وَهُوَ الْهَجْرَةُ وَالْجِهَادُ.

قوله: (من غيرهم) يَدْخُلُ فِيهِ أَهْلُ السَّقَايَةِ وَالْعِمَارَةِ مِنَ الْكُفَّارِ؛ فَمُقْتَضَاهُ: أَنَّ لَهُمْ دَرَجَةً، لَكِنَّا لَيْسَتْ أَعْظَمُ، وَالْجَوَابُ: أَنَّ ذَلِكَ إِمَّا بِاعْتِبَارِ مَا يَعْتَقِدُونَهُ مِنْ أَنَّ لَهُمْ دَرَجَةً وَرُتَبَةً، أَوْ اسْمَ التَّفْضِيلِ بِاعْتِبَارِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَكْمِلُوا الْأَوْصَافَ الثَّلَاثَةَ.

قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِرُونَ﴾ أي: الْكَامِلُونَ فِي الْفُوزِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُؤْمِنِ الَّذِي لَمْ يَسْتَكْمِلِ الْأَوْصَافَ الثَّلَاثَةَ، أَوِ الْمُرَادُ: الَّذِينَ لَهُمْ أَصْلُ الْفُوزِ بِالنِّسْبَةِ لِأَهْلِ السَّقَايَةِ وَالْعِمَارَةِ.

قوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ (إلخ) ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ جَزَاءً عَلَى الصِّفَاتِ الثَّلَاثَةِ: فَالْرَحْمَةُ فِي مُقَابَلَةِ الْإِيمَانِ؛ لِتَوْقُفِ الرَّحْمَةِ عَلَيْهِ، وَالرِّضْوَانُ فِي مُقَابَلَةِ الْجِهَادِ؛ لِأَنَّهُ بِذَلِكَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَالرِّضْوَانُ نَهَايَةُ الْإِحْسَانِ؛ فَكَانَ فِي مُقَابَلَتِهِ، وَالْجَنَّةُ فِي مُقَابَلَةِ الْهَجْرَةِ؛ لِأَنَّ فِي الْهَجْرَةِ تَرْكَ الْأَوْطَانِ فَبَدَّلُوا وَطَنًا فِي الْآخِرَةِ أَعْلَى وَأَجَلَ مِمَّا تَرَكَوهُ، وَإِنَّمَا قُدِّمَتِ الرَّحْمَةُ وَالرِّضْوَانُ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُمَا يَكُونَانِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأُخِّرَتِ الْجَنَّةُ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهَا مَخْتَصَّةٌ بِالْآخِرَةِ، وَلِأَنَّهَا آخِرُ الْعَطَايَا.

خَلِيدٍ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ

﴿٢٢﴾ خَلِيدٍ - حالٌ مُقدَّرة - ﴿فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ .

﴿٢٣﴾ وَنَزَلَ فِيمَنْ تَرَكَ الْهَجْرَةَ لِأَجْلِ أَهْلِهِ وَتِجَارَتِهِ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا﴾ : اختاروا ﴿الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ .

﴿٢٤﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ: ﴿أَقْرَبَاؤُكُمْ﴾ - وفي قراءة: ﴿عَشِيرَاتُكُمْ﴾ -

حاشية الصاوي

قوله: (حال مُقدَّرة) أي: لأنهم حين الدخول ليسوا خالدين، وإنما هم مُنتظرون.

قوله: (ونزل فِيمَنْ تَرَكَ الْهَجْرَةَ) قال ابن عباس: لما أمر النبي ﷺ الناس بالهجرة إلى المدينة.. فمنهم من تعلَّق به أهله وأولاده يَقُولُونَ: نَنشُدُكَ بِاللَّهِ أَلَا تَضِيعُنَا، فيرْقُ لَهُمْ، فيُقيم عليهم ويدع الهجرة، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١).

قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ﴾ نزلت لما قال الذين أسلموا ولم يهاجروا: (نحن إن هاجرنا.. ضاعت أموالنا، وذَهَبَتْ تجارتنا، وتخرَّبت ديارنا، وتَقَطَّعت أرحامنا)^(٢)، ويؤخذ من ذلك: أنه إذا تعارض أمرٌ من أمور الدين مع مصالح الدنيا.. يقدِّم أمر الدين ولو لزم عليه تعطيل أمر الدنيا.

قوله: ﴿وَإِخْوَانُكُمْ﴾ أي: حواشيكم، والمراد بهم هنا: إخوان النسب وإن شاع جمعُ (أخ) النَّسَبِ على (إخوة)، وأخ الدين على (إخوان).

قوله: (أقرباؤكم) وقيل: هم مَنْ بَيْنَكَ وبينهم معاشرةٌ مطلقاً ولو غير قريب، فهو عطفٌ عامٌ على ما قبله على كلِّ حال.

قوله: (وفي قراءة: «عشيراتكم») أي: وهي سبعية، وقرأ الحسن: (عشائرکم)^(٣).

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/٣٤٤).

(٢) انظر «زاد المسير» (٢/٢٤٥).

(٣) قرأ الجمهور: (عشيرتكم) بالإنفراد، وأبو بكر عن عاصم: (عشيراتكم). انظر «الدر المصون» (٦/٣٤).

وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ

﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾: اكتسبتموها ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾: عدم نفاقها، ﴿وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾: فقعدتم لأجله عن الهجرة والجهاد، ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾: انتظروا ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾: تهديد لهم، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿٢٥﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ لِلْحَرْبِ ﴿كَثِيرَةٍ﴾ كَبَدِرٍ وَقَرِيظَةَ وَالنَّضِيرَ، ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿يَوْمَ حُنَيْنٍ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿تَرْضَوْنَهَا﴾ أي: تَرْضَوْنَ الإقامة فيها.

قوله: ﴿أَحَبُّ إِلَيْكُمْ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾، واسمها ﴿أَبَاؤُكُمْ﴾ وما عُظِفَ عليه.

قوله: ﴿فَقَعَدْتُمْ لِأَجَلِهِ﴾ قدره ليرتب عليه قوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾، وجملة ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾: جواب الشرط.

قوله: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ قال ابن عباس: (هو فتح مكة)^(١)، إذا علمت ذلك.. تعلم أن هذا مشكلٌ مع ما تقدّم ومع ما يأتي من أن السورة نزلت بعد الفتح؛ إلا أن يقال: إن بعض السورة نزل قبل الفتح بحسب الوقائع، والسورة بتمامها نزلت بعد الفتح، ولا غرابة في ذلك، فتدبر. قوله: (تهديدٌ له) أي: تخويفٌ.

قوله: ﴿الْفَاسِقِينَ﴾ عبّر عنهم أولاً بـ﴿الظَّالِمِينَ﴾؛ إشارةً إلى أن الكفار موصوفون بكلِّ وصفٍ قبيحٍ.

قوله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ﴾ الخطاب للنبي وأصحابه بتعداد النعم عليهم.

قوله: ﴿فِي مَوَاطِنَ﴾ جمع مَوطِن (مواعد) و(موعد)، ويُرادفه: الوطن، وهو: محلُّ السكنى.

قوله: (وقريظة والنضير) الكلام على حذف مضاف؛ أي: ومَوطِن قريظة، ومَوطِن النضير.

قوله: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ ظرفٌ لمحذوف، قدره المفسّر بقوله: (اذكر)، وقيل: معطوف

إِذْ أَعْجَبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ فَلَمْ تُعْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ
ثُمَّ وَلَيْتُمْ مُدِيرِينَ ﴿٢٥﴾

وَادٍ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، أَي: يَوْمَ قِتَالِكُمْ فِيهِ هَوَازِنَ، وَذَلِكَ فِي شَوَّالِ سَنَةِ ثَمَانٍ، ﴿إِذْ﴾ - بَدَلٍ مِنْ (يَوْمٍ) - ﴿أَعْجَبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ﴾ فَقُلْتُمْ: لَنْ نُغْلِبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ، وَكَانُوا اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا وَالْكَفَّارُ أَرْبَعَةُ أَلْفٍ، ﴿فَلَمْ تُعْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ - (مَا) مَصْدَرِيَّةٌ - أَي: مَعَ رُحْبِهَا أَي: سَعَتِهَا، فَلَمْ تَجِدُوا مَكَانًا تَطْمَئِنُّونَ إِلَيْهِ لِشِدَّةِ مَا لَحِقَكُمْ مِنَ الْخَوْفِ، ﴿ثُمَّ وَلَيْتُمْ مُدِيرِينَ﴾: مُنْهَزِمِينَ وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ

حاشية الصاوي

عَلَى ﴿مَوَاطِنَ﴾ مِنْ عَطَفَ ظَرْفَ الزَّمَانِ عَلَى ظَرْفِ الْمَكَانِ، وَرَدَّ: بِأَنَّهُ يَقْتَضِي أَنْ قَوْلَهُ: ﴿إِذْ أَعْجَبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ﴾ يَرْجِعُ لِقَوْلِهِ: (مَوَاطِنَ) أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ (يَوْمٍ حُنِينٍ)، وَلَا يَصِحُّ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ كَثَرَتْهُمْ لَمْ تُعْجِبْهُمْ فِي جَمِيعِ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ، بَلْ فِي خُصُوصِ حُنِينٍ، فَتَعَيَّنَ مَا قَدَّرَهُ الْمَفْسِّرُ. قَوْلُهُ: (وَادٍ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ) أَي: وَبَيْنَهُمَا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِيلًا، وَفِي بَعْضِ الْعِبَارَاتِ: (ثَلَاثَ لِيَالٍ).

قوله: (هَوَازِن) أَي: وَهُمْ قَبِيلَةُ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ.

قوله: (سنة ثمان) أَي: مِنْ الْهَجْرَةِ، وَهِيَ سَنَةُ فَتْحِ مَكَّةَ؛ لِأَنَّ مَكَّةَ فَتَحَتْ فِي رَمَضَانَ، وَغَزْوَةُ هَوَازِنَ فِي شَوَّالِ عَقْبِهِ.

قوله: (مِنْ قِلَّةٍ) أَي: مِنْ عَدَدٍ قَلِيلٍ.

قوله: (وَكَانُوا اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا) عَشْرَةُ أَلْفٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَأَلْفَانِ مِنَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا فِي مَكَّةَ بَعْدَ فَتْحِهَا.

قوله: (وَالْكَفَّارُ أَرْبَعَةُ أَلْفٍ) الَّذِي فِي «شرح المواهب»: (أَنَّهُمْ أَكْثَرُ مِنْ عَشْرِينَ أَلْفًا)^(١).

قوله: ﴿فَلَمْ تُعْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ أَي: لَمْ تَنْفَعَكُمْ، وَلَمْ تَدْفَعْ عَنْكُمْ شَيْئًا.

قوله: (أَي: مَعَ رُحْبِهَا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْبَاءَ بِمَعْنَى (مَعَ)، وَالْجُمْلَةُ حَالٌ؛ أَي: مُلْتَبَسَةٌ بِرُحْبِهَا. وَالرُّحْبُ بِالضَّمِّ: السَّعَةُ، وَبِالْفَتْحِ: الْوَاسِعُ.

ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا.....

وليس معه غير العباس وأبو سفيان أخذ بركابه.

﴿٢٦﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ: ﴿عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فَرُدُّوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا نَادَاهُم الْعَبَّاسُ بِإِذْنِهِ وَقَاتِلُوا، ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾: مَلَائِكَةٌ ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِالْقَتْلِ.....

حاشية الصاوي

قوله: (وليس معه غير العباس) أي: وقد كان أخذاً بلجام بغلته^(١).

قوله: (وأبو سفيان) أي: ابن الحارث بن عبد المطلب، وقد أسلم هو والعباس يوم الفتح، في بعض السير: (أن الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ في حنين مئة: ثلاثة وثلاثون من المهاجرين، وستة وستون من الأنصار)^(٢)، ويجمع بين ما قاله المفسر وغيره: أنه لم يبق متصلاً بالبغلة إلا اثنان، والباقون مُشغَلون بالحرب لم يَفِرُوا.

قوله: (فردوا) أي: رجعوا جميعاً كالْفَصِيل الضال عن أمه إذا وجدها.

قوله: (لما ناداهم العباس) أي: وكان صيِّتاً، يُسْمَعُ صوته من نحو ثلاثة أميال.

قوله: ﴿لَمْ تَرَوْهَا﴾ قيل: كانوا خمسة آلاف، وقيل: ثمانية آلاف، وقيل: ستة عشر ألفاً، ولم يقاتلوا بل تركوا لِتَقْوِيَةِ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ، وروى عن رجل كان في المشركين يوم حنين قال: (التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين، لم يقوموا لنا حلب شاة، فلمَّا لَقِينَاهُمْ.. جعلنا نَسْقُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى صَاحِبِ الْبَغْلَةِ الْبَيْضَاءِ؛ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَتَلَقَّانَا عِنْدَهُ رِجَالٌ بَيْضُ الْوُجُوهِ، حَسَنَانَّ، فَقَالُوا لَنَا: شَاهَتِ الْوُجُوهُ، ارْجِعُوا، قَالَ: فَانْهَزْمْنَا، وَرَكِبُوا أَكْتَفَانَا)^(٣)، وروى: (أن الملائكة الذين نزلوا يوم حنين عليهم عمام حُمْر، رَاكِبِينَ خَيْلاً بَلَقَاءً)^(٤).

قوله: (بالقتل) أي: لبعضهم، وهم أكثر من سبعين.

(١) رواه مُسْلِم (١٧٧٥).

(٢) انظر «المغازي» للواقدي (٩٠١/٣)، و«سبل الهدى والرشاد» (٣٣٠/٥).

(٣) انظر «الدر المنثور» (١٦٣/٤).

(٤) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥٧/٣).

وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ

والأسرى، ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿٢٧﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴿مِنْهُمْ بِالْإِسْلَامِ﴾، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿٢٨﴾ يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ: قَدَّرَ لِحُبِّهِ بَاطِنُهُمْ،

حاشية الصاوي

قوله: (والأسرى) أي: للنساء والذراري، وكانوا ستة آلاف، ولم تقع غنيمة أعظم منها؛ فقد كان فيها من الإبل اثني عشر ألفاً، وقيل: أربعة وعشرون ألفاً، ومن الغنم ما لا يحصى، وكان فيها غير ذلك، ولما هزمهم.. قصد إلى الطائف وأمر بجعل الغنائم في الجعرانة حتى يأتي إليهم، فلما رجع ﷺ من الطائف.. انتظر هوازن بضعة عشر يوماً؛ ليقدموا عليه مسلمين، ثم أخذ في قسمة الغنائم، وكان في السبي أخت رسول الله من الرضاع، وهي بنت خليمة السعدية، فأطلقها رسول الله وأكرمها وردّها لِقَوْمِهَا، فأعلمتهم بما وقع لها من رسول الله من الإكرام، فكان ذلك باعثاً على إسلامهم، فأتى منهم جماعة وقالوا: يا رسول الله؛ أنت خير الناس وأبرهم؛ فاردّد علينا أموالنا وأهلينا، فقال لهم: «إن خير القول أصدقه، اختاروا؛ إما أموالكم، وإما ذراريكم ونساءكم»، قالوا: ما كُنَّا نعدل بالأحساب شيئاً، فقال لهم: «أمّا ما كان لي ولبنّي عبد المطلب.. فهو لكم، وأمّا ما كان لغيرهم.. فسأطلب فيه معروفهم»، ثم قال لهم: «إذا أنا صليت.. فتقدّموا إلي وأخبروني بذلك»، ففعلوا كما أمرُوا، فقال ﷺ: «مَنْ طابت نفسه بشيء أن يرّده.. فليفعل»، فقالوا: رَضِينَا بِذَلِكَ، وَسَلَّمُوهُ الْأَمْوَالِ وَالْأَسَارَى^(١).

قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ القراءة السبعية بفتحيتين^(٢)، وفيه لغات أخرى؛ كـ(كَتِف)، و(عَضْد)، والمعنى: أنهم نجسٌ نجاسةً معنويةً، لا حسيّة، وقال ابن عباس: أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير، وقال الحسن: مَنْ صافح مشركاً.. تَوْضَأَ، وأهل المذاهب على خلاف ذلك^(٣)؛ فإنهم طاهرون؛ لأنهم داخلون في آية: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].

(١) انظر «تفسير الطبري» (٤/١٣٨)، وأصل الخبر في «صحيح البخاري» (٢٣٠٧).

(٢) انظر «الكشاف» (٢/٢٦١).

(٣) انظر «الدر المصون» (٦/٣٧).

فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾

﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ أي: لا يَدْخُلُوا الْحَرَمَ ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ عامَ تِسْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾: فَقَرَأَ بِانْقِطَاعِ تِجَارَتِهِمْ عَنْكُمْ ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾، وقد أَغْنَاهُمْ بِالْفَتْوحِ وَالْجِزْيَةِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

حاشية الصاوي.

قوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾... إلخ قال العلماء: جُمْلَةُ بِلَادِ الْإِسْلَامِ فِي حَقِّ الْكَفَّارِ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

أحدها: الْحَرَمُ؛ فلا يجوز للكافر أن يَدْخُلَهُ بِحَالٍ، وَجُوزَ أَبُو حَنِيفَةَ دُخُولُهُ لِلْمُعَاهَدِ.

الثاني: الْحِجَازُ؛ فلا يجوز للكافر دُخُولُهُ إِلَّا بِإِذْنٍ، وَلَا يُقِيمُ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ؛ لِمَا فِي الْحَدِيثِ: «لَا يَبْقِيَنَّ دِينَانَ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ»^(١)، وَحَدَّثَهَا طَوْلًا: مِنْ أَقْصَى عَدَنَ إِلَى رَيْفِ الْعِرَاقِ، وَعَرْضًا: مِنْ جُدَّةَ وَمَا وَالَاهَا مِنْ سَاحِلِ الْبَحْرِ إِلَى أَطْرَافِ الشَّامِ.

الثالث: سَائِرُ بِلَادِ الْإِسْلَامِ؛ يَجُوزُ لِلْكَافِرِ أَنْ يَقِيمَ فِيهَا بِذِمَّةٍ أَوْ أَمَانٍ، لَكِنْ لَا يَدْخُلُ الْمَسَاجِدَ إِلَّا لِفَرْضٍ شَرْعِيٍّ.

قوله: (عام تسع) أي: وهو عام نزول جملة السورة على الصحيح، وما يُوهَمُ خِلَافَ ذَلِكَ يَجِبُ تَأْوِيلُهُ.

قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾... إلخ سبب نزولها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أَمَرَ عَلِيًّا أَنْ يَقْرَأَ عَلَى الْمَشْرِكِينَ أَوَّلَ (بِرَاءة) .. خَافَ أَهْلَ مَكَّةَ الْفَقْرَ وَضِيقَ الْعَيْشِ؛ لِامْتِنَاعِ الْمَشْرِكِينَ مِنْ دُخُولِ الْحَرَمِ وَاتِّجَارِهِمْ فِيهِ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَنَزَلَتْ^(٢).

قوله: (فقرأ) في «المصباح»: (العَيْلَةُ بِالْفَتْحِ: الْفَقْرُ، وَهِيَ مَصْدَرٌ: عَالٌ يَعِيلُ، مِنْ بَابٍ: سَارَ، فَهُوَ عَائِلٌ، وَالْجَمْعُ: عَالَةٌ)، وَفِي «المختار»: (وَعِيَالُ الرَّجُلِ: مَنْ يَعُولُهُمْ، وَوَاحِدُ الْعِيَالِ: عَيْلٌ كَجَيْدٍ، وَالْجَمْعُ: عِيَالٌ كَجِيَانِدٍ، وَأَعَالُ الرَّجُلِ: كَثُرَتْ عِيَالُهُ)^(٣).

قوله: (وقد أغناهم بالفتوح) أي: فَأَسْلَمَ أَهْلُ صَنْعَاءَ وَجُدَّةَ وَتَبَالَةَ؛ بِفَتْحِ النَّاءِ، وَجُرَشَ؛ بِضَمِّ

(١) رواه مالك في «الموطأ» (٢/٨٩٢)، وأحمد في «المسند» (٤٣/٣٧١).

(٢) انظر «زاد المسير» (٢/٢٤٩).

(٣) «المصباح المنير»، و«مختار الصحاح»، مادة: (ع ي ل).

قَتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ

﴿٢٩﴾ قَتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿٢٩﴾ وَلَا لَأَمَنُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴿٢٩﴾ كَالْخَمْرِ، ﴿٢٩﴾ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ ﴿٢٩﴾:

حاشية الصاوي

الجيم، وفتح الراء بعدها شين معجمة: قريتان من قرى اليمن، وجلبوا إليهم الميرة، وصاروا في أرغد عيش.

قوله: ﴿قَتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (شروع في ذكر قتال أهل الكتابين إثر بيان قتال مشركي العرب، وهذه الآية نزلت حين أمر رسول الله ﷺ بقتال الروم، فلما نزلت توجه رسول الله ﷺ لغزوة تبوك^(١)).

قوله: (وَالَا . . . لَأَمَنُوا بِالنَّبِيِّ) جواب عما يقال: إن ظاهر الآية يقتضي نفى إيمانهم بالله واليوم الآخر مع أنهم يزعمون الإيمان بالله واليوم الآخر، وفي كلام المفسر إشارة لقياس استثنائي، وتقديره أن يقال: لو آمن اليهود والنصارى بالله واليوم الآخر . . . لَأَمَنُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ، لكنهم لم يؤمنوا بالنبي، فلم يؤمنوا بالله ولا باليوم الآخر.

وأيضاً: دعواهم الإيمان بالله باطلة؛ لأنهم يعتقدون التجسيم والتشبيه، ولا شك في كونه كفراً، وكذلك دعواهم الإيمان باليوم الآخر باطلة؛ لأنهم يعتقدون بعثة الأرواح دون الأجساد، وأن أهل الجنة لا يأكلون فيها ولا يشربون ولا ينكحون، فتحصل: أن كفرهم بهذه الأمور وبتكذيبهم النبي، ومن كذب نبياً . . . فقد كفر بالله واليوم الآخر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

قوله: (كالخمر) أي: والخنزير والربا وكل محرّم في شرعنا؛ فإنهم مخاطبون بفروع الشريعة، ويُعذّبون عليها زيادةً على عذاب الكفر.

قوله: ﴿دِينَ الْحَقِّ﴾ من إضافة الموصوف لصفته.

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣١٢/٩)، وانظر «تفسير البغوي» (٣٣٥/٢).

مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ

الثَّابِتُ النَّاسِخُ لِغَيْرِهِ مِنَ الْأَدْيَانِ وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، ﴿مِنْ﴾ - بَيَانٌ لِمَنْ ﴿الَّذِينَ﴾ - ﴿الَّذِينَ﴾ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴿أَيَ﴾: الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾: الْخَرَاجُ الْمَضْرُوبُ عَلَيْهِمْ كُلَّ عَامٍ ﴿عَنْ يَدٍ﴾ حَالٌ، أَي: مُنْقَادِينَ، أَوْ بِأَيْدِيهِمْ لَا يُوَكِّلُونَ بِهَا، ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾: أَذِلَّةٌ مُنْقَادُونَ لِحُكْمِ الْإِسْلَامِ.

﴿٣٠﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ

حاشية الصاوي

قوله: (الناسخ لغيره) أي: الماحي له؛ فَمَنْ اتَّبَعَ غَيْرَ الْإِسْلَامِ.. فهو كافر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ويصح أن يراد به (الحق): الله سبحانه وتعالى؛ لأنَّ من أسمائه الحقُّ، والمراد بدين الله: الإسلام.

قوله: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾) غاية لقتالهم، وسميت جزية؛ لأنها جزاء لكف القتال عنهم وتأمينهم.

قوله: (الخراج المضروب عليهم) أي: الذي يجعله الإمام على ذكورهم الأحرار البالغين المومنين.

قوله: (أي: منقادين) تفسير باللازم؛ أي: فاليد كناية عن الانقياد.

قوله: (لا يوكلون بها) أي: فاليد على حقيقتها، وهذا التفسير يُناسب مذهب مالك؛ لأنَّ عنده لا يجوز التوكيل في دفعها، بل كل واحد يدفع جزيته بيده، وحين دَفَعَهَا يبسط الكافر يده بها، ويأخذها المسلم من يده؛ لتكون يدُ المسلم هي العليا، ثم بعد أخذها يصفعه المسلم على قفاه، وعند الشافعي: يجوز التوكيل في دفعها^(١).

قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾... إلخ) هذا من تفصيل عدم إيمانهم بالله واليوم الآخر. وعُزَيْرٌ بالصرف وعدمه: قراءتان سبعيتان؛ فالصرف على أنه عربي؛ فلم توجد فيه إلا علة واحدة، وعدمه على أنه أعجمي؛ ففيه العِلَّتَانِ^(٢).

﴿وَأَبْنُ﴾: خبر، فيرسم بالألف؛ لأنه ليس صفة للعلم.

(١) انظر «بلغة السالك لأقرب المسالك» (٣١٢/٢)، و«منهاج الطالبين» (ص ٣١٣).

(٢) قرأ عاصم والكسائي بتونين «عُزَيْرٌ»، والباقون من غير تنوين. انظر «الدر المصون» (٣٨/٦).

وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم

وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم

حاشية الصاوي

وسبب تلك المقالة على ما قال ابن عباس: أن عُزَيْرًا كان فيهم، وكانت التوراة عندهم، والتابوت فيهم، فأضاعوا التوراة، وعملوا بغير الحق، فرفع الله عنهم التابوت، وأنساهم التوراة، ومسحها من صدورهم، فدعا الله عُزَيْرٌ وابتهل إليه أن يرُدَّ إليه التوراة، فبينما هو يُصلي مبتهلاً إلى الله.. نزل نور من السماء، فدخل جوفه، فعادت إليه، فأذن في قومه وقال: يا قوم قد آتاني الله التوراة وردّها عليّ، فعلقوا به يعلمهم، ثم مكثوا ما شاء الله، ثم إن التابوت نزل بعد ذهابه منهم، فلما رأوا التابوت.. عرّضوا ما كان يعلمهم عُزَيْرٌ على ما في التابوت فوجدوه مثله، فقالوا: ما أوتي عُزَيْرٌ هذا إلا لأنه ابن الله^(١).

قوله: ﴿وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ المسيح: لقبٌ له؛ إما لأنه ما مسح على ذي عاهة إلا برئ، أو لأنه ممسوح بالبركة، وسبب مقاتلتهم: أنهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام إحدى وثمانين سنة؛ يُصَلُّون إلى القبلة ويصومون حتى وقع بينهم وبين اليهود حربٌ، وكان في اليهود رجلٌ شجاع يقال له: بولص قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام، ثم قال بولص لليهود: إن كان الحق مع عيسى.. فقد كفرنا، والنار مصيرنا، فنحن مغبونون إن دخلنا النار ودخلوا الجنة؛ فإني سأحتال وأضلُّهم حتى يدخلوا النار معنا، ثم إنه عمد إلى فرس كان يُقاتل عليه، فعرّقه^(٢)، وأظهر الندامة والتوبة، ووضع التراب على رأسه، ثم إنه أتى إلى النصاري فقالوا له: مَنْ أنت؟ قال: أنا عدوكم بولص، قد نُوديت من السماء: إنه ليس لك توبة حتى تنتصر، وقد تُبِّتُ وأتيتكم، فأدخلوه الكنيسة ونصروه، ودخل بيتاً فيها فلم يخرج منه سنة حتى تعلَّم الإنجيل، ثم خرج وقال: قد نُوديت: إن الله قد قَبِلَ توبتك، فصَدَّقوه وأحبُّوه، وعلا شأنه فيهم.

ثم إنه عهد إلى ثلاثة رجال؛ اسم واحد نسطورا، والآخر يعقوب، والآخر ملكان، فعلم نسطورا أن عيسى ومريم والله آلهة ثلاثة، وعلم يعقوب أن عيسى ليس بإنسان، وأنه ابن الله، وعلم ملكان أن عيسى هو الله لم يزل ولا يزال، فلمَّا تمكن ذلك فيهم.. دعا كل واحد منهم في الخلوة

(١) انظر «الدر المشور» (١٧١/٤).

(٢) عرقب الدابة: قطع عُرقوبها، وهو: الوتر الذي خلفت الكعيبين بين مفصل القدم والساق من ذوات الأربع.

يَا أَفْرَاهِمَ يُضْهِتُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَفَ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾
أَتَّخِذُوا أَجْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ

يَا أَفْرَاهِمَ ﴿٣٠﴾ لَا مُسْتَنَدَ لَهُمْ عَلَيْهِ، بَلِ ﴿يُضْهِتُونَ﴾: يُشَابِهُونَ بِهِ ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ مِنْ آبَائِهِمْ تَقْلِيداً لَهُمْ، ﴿قَتَلَهُمُ﴾: لَعَنَهُمُ ﴿اللَّهُ أَفَ﴾: كَيْفَ ﴿يُؤْفَكُونَ﴾: يُصَرِّفُونَ عَنِ الْحَقِّ مَعَ قِيَامِ الدَّلِيلِ؟

﴿٣١﴾ ﴿أَتَّخِذُوا أَجْبَارَهُمْ﴾: عُلَمَاءُ الْيَهُودِ ﴿وَرُهْبَنَهُمْ﴾: عُبَادَ النَّصَارَى ﴿أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

حاشية الصاوي

وقال له: أنت خالستي وادع الناس لما علمتك، وأمره أن يذهب إلى ناحية من البلاد، ثم قال لهم: إني رأيت عيسى في المنام، وقد رضي عني، وقال لكل واحد منهم: إني سأذبح نفسي تقرباً إلى عيسى، ثم ذهب إلى المذبح، فذبح نفسه، وتفرق أولئك الثلاثة، فذهب واحد إلى الروم، وواحد إلى بيت المقدس، والآخر إلى ناحية أخرى، وأظهر كل منهم مقالته، ودعا الناس إليها، فتبعه على ذلك طوائف من الناس، فتفرقوا واختلفوا^(١).

قوله: ﴿يَا أَفْرَاهِمَ﴾ من المعلوم أن القول لا يكون إلا بالأفواه، فذكرها مبالغة في الرد عليهم.

قوله: ﴿يُضْهِتُونَ﴾ بضم الهاء بعدها واو، ويكسر الهاء بعدها همزة مضمومة ثم واو، قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: ﴿قَتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أبعدهم عن رحمته، فهو دعاء عليهم.

قوله: ﴿أَفَ يُؤْفَكُونَ﴾ استفهام تعجب، والاستفهام راجع إلى الخلق؛ لأن الله يستحيل عليه التعجب.

قوله: ﴿أَتَّخِذُوا﴾ أي: اليهود والنصارى.

قوله: ﴿أَجْبَارَهُمْ﴾ جمع (حبر) بالفتح والكسر، والثاني أفصح: العالم الماهر.

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/٣٥٢).

(٢) قرأ عاصم بكسر الهاء وبعدها همزة مضمومة، والباقون بضم الهاء ولا همز بعدها. انظر «السراج المنير» (١/٦٠٤).

وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ أَنْ
 يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ

حَيْثُ اتَّبَعُوهُمْ فِي تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ وَتَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ، ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا﴾
 فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا﴾ أَي: بِأَنْ يَعْبُدُوا ﴿إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 سُبْحَنَهُ﴾ تَنْزِيهًا لَهُ ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿٣٢﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ: شَرَعَهُ وَبَرَاهِينَهُ ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: بِأَقْوَالِهِمْ فِيهِ،
 ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ﴾: يُظْهِرُ ﴿نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ذَلِكَ.

﴿٣٣﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ ﴿بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (حَيْثُ اتَّبَعُوهُمْ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَتَّخِذُوهُمْ أَرْبَابًا حَقِيقَةً، بَلِ الْمَعْنَى: كَالْأَرْبَابِ
 فِي شِدَّةِ امْتِثَالِهِمْ أَمْرَهُمْ.

قوله: ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ بِالنَّصْبِ عَطْفٌ عَلَى (أَحْبَارِهِمْ)، وَالْمَفْعُولُ الثَّانِي مَحْذُوفٌ؛
 لِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ عَلَيْهِ، تَقْدِيرُهُ: رَبًّا.

قوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا... إلخ﴾ الْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ.

قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ صِفَةُ ثَانِيَةٌ لـ ﴿إِلَهًا﴾.

قوله: (شَرَعَهُ وَبَرَاهِينَهُ) أَي: الدَّالَّةُ عَلَى صِدْقِهِ ﷺ، وَهِيَ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ: أَحَدُهَا: الْمَعْجَزَاتُ
 الظَّاهِرَاتُ، ثَانِيهَا: الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، ثَالِثُهَا: كَوْنُ دِينِهِ الَّذِي أَمَرَ بِاتِّبَاعِهِ وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ.. لَيْسَ فِيهِ
 شَيْءٌ سِوَى تَعْظِيمِ اللَّهِ وَالْإِنْقِيَادِ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَالتَّبَرُّؤِ مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ، فَهَذِهِ أُمُورٌ نَبِيْرَةٌ وَاضِحَةٌ
 فِي صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ ﷺ؛ فَمَنْ أَرَادَ إِبْطَالَ ذَلِكَ.. فَقَدْ خَابَ شَأْنُهُ.

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ أَي: يُعْلِيهِ وَيَرْفَعُ شَأْنَهُ.

قوله: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ شَرْطٌ حَذَفَ جَوَابُهُ؛ لِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ عَلَيْهِ، وَالتَّقْدِيرُ: وَلَوْ كَرِهَ
 الْكَافِرُونَ إِيْتَامَهُ.. لِأَتَمَّهُ وَلَمْ يُبَالِ بِهِمْ.

قوله: ﴿بِالْهُدَى﴾ أَي: الْقُرْآنَ، قَوْلُهُ: ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ أَي: دِينِ الْإِسْلَامِ.

لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كُلِّهِمْ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

لِيُظْهِرَهُ: ﴿عَلَى الَّذِينَ كُلِّهِمْ﴾: جَمِيعُ الْأَدْيَانِ الْمُخَالَفَةِ لَهُ، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ذَلِكَ.

﴿٣٤﴾ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ: يَأْخُذُونَ ﴿أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ كَالرُّشَا فِي الْحُكْمِ، ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ النَّاسَ ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دِينِهِ،
حاشية الصاوي

قوله: (جميع الأديان المخالفة له) أي: بنسخه لها.

قوله: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾: تكرر لمزيد التهكم بهم والرد عليهم، ووصفهم أولاً بالكفر، وثانياً بالإشراك؛ إشارة إلى أنهم اتصفوا بكل منهما.

قوله: ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ﴾... إلخ) لما بين عقائد الأتباع وسماتهم... شرع في بيان صفات الرؤساء. والأخبار: علماء اليهود، والرهبان: عبادة النصارى، وفي قوله: ﴿كثيراً﴾ إشارة إلى أن الأقل من الأخبار والرهبان لم يكونوا كذلك كعبد الله بن سلام وأضرابه من الأخبار، والتجاشي وأضرابه من الرهبان.

قوله: (يأخذون) أشار بذلك إلى أن المراد بالأكل: الأخذ، فأطلق الخاص وأريد العام؛ من باب: تسمية الشيء باسم جزئه الأعظم؛ لأن معظم المقصود من أخذ الأموال: أكلها.

قوله: ﴿بِالْبَاطِلِ﴾: قيل: هو تخفيف الشرائع والتساهل فيها لسفلتهم، وقيل: هو تغيير صفات المصطفى ﷺ الكائنة في التوراة والإنجيل، وقيل: ما هو أعم، وهو الأحسن، والباعث لهم على ذلك حب الرئاسة، وأخذ الأموال.

قوله: (كالرُّشَا) بضم الراء وكسرهما جمع (رشوة) بالضم على الأول، والكسر على الثاني، وفي «القاموس»: (الرشوة: مُثْلَةٌ^(١))، وهي: الجعل على الحكم، وهي حرام ولو على الحكم بالحق، فما بالك بأخذها على الحكم بالباطل؟! وأما جيل الاستقاء... فيقال فيه: (رشاء) بالكسر والمد.

قوله: ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: يمنعون الناس عن الدخول في دين الإسلام.

(١) «القاموس المحيط» (١/١٢٨٨)، مادة: (الرشوة).

وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكْوَىٰ.....

﴿وَالَّذِينَ﴾ - مُبْتَدَأٌ - ﴿يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا﴾ أي: الكُنُوز ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لا يُؤَدُّونَ مِنْهَا حَقَّهُ مِنَ الزَّكَاةِ، وَالْخَبَرُ: ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾: أَخْبِرْهُمْ ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤَلِمٌ.

﴿٣٥﴾ يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكْوَىٰ: تُحْرَقُ.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ﴾ الكَنْز في الأصل: جمع المال ودفنه، وعدم الإنفاق منه، واختلف في المراد بـ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾؛ فقيل: المراد بهم: أهل الكتاب؛ لأن شأنهم الحرصُ وكنزُ المال، وقال ابن عباس: نزلت في مانعي الزكاة من المسلمين والحقوق الواجبة، وقال أبو ذر: نزلت في أهل الكتاب والمسلمين الذين يمنعون الزكاة والحقوق الواجبة^(١).

روي: أن أبا ذرٍ اختلف مع معاوية في هذه الآية، فقال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، وقال أبو ذر: نزلت فينا وفيهم، فكتب معاوية وكان أميراً على الشام إلى عثمان يشكوه، فكتب عثمان إلى أبي ذر أن اقدم المدينة، فقدم، فازدحم عليه الناس حتى كأنهم لم يروه قبل ذلك، فأخبر عثمان بذلك، فقال: إن شئت تنحيت فكنت قريباً منّا، فنزل بالربذة، وقال: ولو أمروا عليّ عبداً حبشياً.. لسمعت وأطعت^(٢).

قوله: (أي: الكنوز) أي: المدلول عليها بقوله: ﴿يَكْنِزُونَ﴾، ودفع بذلك ما يقال: إن المتقدم شيان: الذهب والفضة، فكان مقتضاه تشية الضمير، فلم أفرد؟ فأجاب: بأنه عائد على الكنوز المفهومة من السياق.

قوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ إنما سمي بشارَةً؛ تهكماً بهم، وإشارة إلى أنه بمنزلة الوعد في عدم تخلُّفه.

قوله: ﴿يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا﴾ ظرف لقوله: ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، و(يخمى) يجوز أن يكون من: حميته وأحميته ثلاثياً ورباعياً، يقال: حميت الحديد، وأحميتها: أوقدت عليها لتحمي، والفاعل

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/٣٥٤).

(٢) رواه البخاري (١٤٠٦).

بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَزَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْزِرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا

﴿بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ وتوسّع جلودهم حتى توضع عليها كلها ويُقال لهم: ﴿هَذَا مَا كَزَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْزِرُونَ﴾ أي: جزاءه.

﴿٣٦﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ الْمُعْتَدَّةَ بِهَا لِلْسَّنَةِ ﴿عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾

حاشية الصاوي

محذوف تقديره: يوم نحми النار عليها؛ أي: تتقد على تلك الكنوز، فتكوى بها جباههم... إلخ، فلما حذف الفاعل.. ذهبت علامة التأنيث؛ ولذلك قرئ بالتاء من فوق^(١)، وأنيب الجار والمجرور منابه، ولتضمنه معنى الإيقاد عددي به (على).

قوله: ﴿جِبَاهُهُمْ﴾ المراد بها: جهة الأمام بدليل المقابلة.

قوله: (وتوسّع جلودهم) أي: حتى لا يوضع دينار على دينار، ولا درهم على درهم، وذلك بعد جعلها صفائح من نار.

قوله: (أي: جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف؛ لأن المكنوز لا يُذاق، وهذا عذابه في الآخرة، وورد: (أنه يُصور ماله في قبره بصورة شجاع أقرع له زبيبتان يأخذ بلهزمتيه - أي: شديقيه - ويقول له: أنا كترُك، أنا مالك)^(٢)، فلا مانع من حصول الجميع له، أجازنا الله من أسباب ذلك.

قوله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾... إلخ المقصود من ذلك: الرّد على الجاهلية حيث يزيدون في الأشهر بحسب أهوائهم الفاسدة؛ فراراً من القتال في الأشهر الحرم؛ فإنهم كانوا يُعظمون الأشهر الحرم فلا يقاتلون فيها، فكانوا إذا اضْطُروا للقتال فيها.. ادّعوا أنها لم تأت وقاتلوا فيها، فربما جعلوا السنة أربعة عشر شهراً أو أزيد بحسب ما تُسوّله عقولهم الفاسدة.

قوله: ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ ظرف متعلق بمحذوف صفة لـ ﴿الشُّهُورِ﴾.

قوله: ﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ وهذه شهور السنة القمرية العربية التي يعتد بها المسلمون في عباداتهم كالصيام والحج وسائر أمورهم، وأيام هذه الشهور ثلاث مئة وخمسة وخمسون يوماً، والسنة الشمسية - وتسمى القبطية - هي: عبارة عن دور الشمس في الفلك دورة تامة، وهي ثلاث مئة

(١) قرأ الحسن: «تُخَمَى» بالتاء من فوق. انظر «الدر المصون» (٤٣/٦).

(٢) رواه البخاري (١٤٠٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْفِئَةُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتِّلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

فِي كِتَابِ اللَّهِ: اللُّوحُ الْمَحْفُوظُ، ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا﴾ أَي: الشُّهُورُ ﴿أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾: مُحَرَّمَةٌ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبٌ، ﴿ذَلِكَ﴾ أَي: تَحْرِيمُهَا ﴿الَّذِينَ أَلْفِئَةُ﴾: الْمُسْتَقِيمُ ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ﴾ أَي: الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ بِالْمَعَاصِي؛ فَإِنَّهَا فِيهَا أَعْظَمُ وَزَرًا، وَقِيلَ: فِي الْأَشْهُرِ كُلِّهَا، ﴿وَقَتِّلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾: جَمِيعًا فِي كُلِّ الشُّهُورِ ﴿كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بِالْعَوْنِ وَالنَّصْرِ.

حاشية الصاوي

وخمسة وستون يوماً وربع؛ فتنقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية إما عشرة أيام أو أحد عشر يوماً: خمسة أيام نقص الشهور العربية، وخمسة أيام النسيء إن كانت السنة بسيطة، وستة أيام إن كانت كبيسة؛ فكل أربع سنين تأتي فيها سنة كبيسة، فيسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية، فيقع الصوم والحج تارة في الشتاء، وتارة في الصيف.

قوله: ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ صفة لـ ﴿أَتْنَا عَشَرَ﴾.

قوله: (محرمه) أي: مُعَظَمَةٌ مُحَرَّمَةٌ، تتضاعف فيها الطاعات.

قوله: (ذو القعدة) بفتح القاف وكسرهما، والفتح أفصح، عكس (الحجة).

قوله: (بالمعاصي) أي: فظلم النفس يكون بمخالفة الله؛ لأنه بسبب ذلك تعرض لغضب الله الموجب لدخول النار.

قوله: (فإنها فيها أعظم وزراً) أي: أشد إثمًا منه في غيرها.

قوله: ﴿وَقَتِّلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ هذه الآية ناسخة لآية (البقرة) المفيدة حرمة القتال في الأشهر الحرم، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفُسِ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا قُلُوبٌ فِيهِ كَبِيرٌ...﴾ [البقرة: ٢١٧] الآية، وقوله: ﴿كَافَّةً﴾ مصدر في موضع الحال من فاعل (قاتلوا)، أو من ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾، ولا يُشْتَى ولا يجمع، ولا تدخل عليه (أل)، ولا يتصرف فيه بغير الحال.

قوله: (بالعون والنصر) أي: فَمَعِيَّتُهُ مع المتقين زائدة على مَعِيَّتِهِ مع الخلق أجمعين المشار لها

إِنَّمَا النَّسِيءُ

﴿٣٧﴾ إِنَّمَا النَّسِيءُ ﴿٣٧﴾ أَي: التَّأْخِيرُ لِحُرْمَةِ شَهْرٍ إِلَى آخَرٍ، كَمَا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَفْعَلُهُ مِنْ تَأْخِيرِ حُرْمَةِ الْمُحَرَّمِ

حاشية الصاوي

بقوله تعالى: ﴿وَلَا أَتَى مِنَ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنِّي مَا كَآتُوكُمْ﴾ [المجادلة: ٧]؛ لأنها معيَّةٌ تصريفٌ وتدييرٌ، وذلك لا يختصُّ بالإنسان، بل مع كل مخلوق؛ حيواناً وجماداً.

قوله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ فعيل: بمعنى (مفعول)، والمراد به: تأخيرهم حُرْمَةَ المحرم إلى صفر كما في «المختار»^(١)، وهذا قراءة الجمهور بهمزة بعد الياء، وفي قراءة سبعية بإبدال الهمزة ياء، وإدغام الياء فيها، وقُرئ شذوذاً بسكون السين وفتح النون، وبضم السين بوزن (فُعول)^(٢).

قوله: (كما كانت الجاهلية تفعله) أي: لأن الجاهلية كانت تعتقد حُرْمَةَ الأشهر الحرم وتعظيمها، وكانت معاشيهم من الغزو، وكان يشقُّ عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر متوالية، فأخروا تحريم شهر إلى شهر آخر، فكانوا يؤخِّرون تحريم المحرم إلى صفر، فإذا احتاجوا إلى القتال.. أخروا التحريم إلى ربيع الأول، وهكذا حتى استدار التحريم على السنة كلّها، وكانوا يحجُّون في كلّ شهر عامين، فحجوا في ذي الحجة عامين، والمحرم كذلك، وهكذا باقي الشهور، فوافقت حجة أبي بكر في السنة التاسعة ذا القعدة، ثم حج رسول الله ﷺ حجة الوداع، فوافقت شهر الحج المشروع وهو ذو الحجة، فوقف بعرفة في اليوم التاسع، وخطب الناس في اليوم العاشر بمنى حيث قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً؛ منها أربعة حُرُم، ثلاث متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان، أيُّ شهر هذا؟»، قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيُسَمِّيهِ بغير اسمه، قال: «أليس ذا الحجة؟»، قلنا: بلى، قال: «أيُّ بلد هذا؟»، قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيُسَمِّيهِ بغير اسمه، قال: «أليس البلدة؟»، قلنا: بلى، قال: «أيُّ يوم هذا؟»، قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيُسَمِّيهِ بغير اسمه، قال: «أليس يوم النحر؟»، قلنا: بلى، قال: «فإن دماءكم

(١) «مختار الصحاح»، مادة: (نسا).

(٢) قرأ ورش عن نافع: (النَّسِيءُ) بإبدال الهمزة ياءً، وإدغام الياء فيها، ورُويت هذه عن أبي جعفر والزهري وحמיד، وقرأ السلمي وطلحة والأشهب وشبل: (النَّسَاءُ) بإسكان السين، وقرأ مجاهد والسلمي وطلحة أيضاً: (النَّسُوءُ) بزنة (فُعول) بفتح الفاء. انظر «الدر المصون» (٦/٤٧).

زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ

إذا هَلَّ وَهُمْ فِي الْقِتَالِ إِلَى صَفَرٍ، ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ لِكُفْرِهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ فِيهِ، ﴿يُضَلُّ﴾ بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِهَا - ﴿بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ﴾ أَي: النَّسِيءُ ﴿عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا﴾: يُوَافِقُوا بِتَحْلِيلِ شَهْرٍ وَتَحْرِيمِ آخَرَ بِدَلِّهِ ﴿عِدَّةٌ﴾: عَدَدٌ ﴿مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ مِنَ الْأَشْهُرِ، فَلَا يَزِيدُونَ عَلَى تَحْرِيمِ أَرْبَعَةٍ وَلَا يَنْقُصُونَ وَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى أَعْيَانِهَا،
حاشية الصاوي

وأموالكم - قال محمد: وأحسبه قال: وأعراضكم - عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم؛ فلا ترجعوا بعدي ضللاً لا يضرب بعضكم بعضاً، ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب، فلعلَّ بعض مَنْ يبلِّغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه، ثم قال: «ألا هل بلغت، ألا هل بلغت؟» مرتين^(١).

قوله: (إذا هلَّ) بالبناء للفاعل وللمفعول، ويقال: استهل، وهلَّ: إذا رفع الصوت عند ذكره، وبذلك سمي: الهلال.

قوله: (بضم الياء) أي: مع فتح الضاد مبنياً للمفعول في السبعة، ومع كسر الضاد مبنياً للفاعل في العشرة.

قوله: (وفتحها) أي: مع كسر الضاد لا غير، وهي سبعة أيضاً، فتكون القراءات ثلاثاً: واحدة عشرية، واثنان سبعيتان^(٢).

قوله: (أي: النسيء) المراد به هنا: اسم المفعول؛ أي: المنسوء؛ أي: المؤخر، وهو تحريم بعض الشهور.

قوله: ﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا﴾ فيه وجهان: أحدهما: أن الجملة تفسيرية للضلال، الثاني: أنها حالية.

قوله: ﴿لِيُوَاطِّئُوا﴾ تنازعه كلُّ من (يحلونه) و(يحرّمونه)؛ فيجوز الثاني أو الأول.

قوله: (إلى أعيانها) أي: الأربعة التي اشتهر تحريمها؛ لأنهم لو التزموا أعيانها.. لم يضلوا.

(١) رواه البخاري (٤٤٠٦)، ومسلم (١٦٧٩) عن سيدنا أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) قرأ حفص وحمزة والكسائي بضم الياء وفتح الضاد، والباقيون بفتح الياء وكسر الضاد، وقرأ ابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة ويعقوب وعمرو بن ميمون: (يُضَلُّ) مبنياً للفاعل من (أضل). انظر «الدر المصون» (٦/٤٧).

فِيُحِلُّوْا مَا حَرَّمَ اللهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوْءُ اَعْمَالِهِمْ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِيْنَ ﴿٣٧﴾

﴿فِيُحِلُّوْا مَا حَرَّمَ اللهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوْءُ اَعْمَالِهِمْ﴾ فَظَنُّوْهُ حَسَنًا، ﴿وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِيْنَ﴾.

﴿٣٨﴾ وَنَزَلَ لَمَّا دَعَا ﷺ النَّاسَ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿زَيْنٌ لَهُمْ سُوْءُ اَعْمَالِهِمْ﴾ بالبناء للمفعول، والمزَيْنُ لهم الشيطان.

قوله: ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِيْنَ﴾ أي: لا يُوصِلُهم السعادة.

قوله: (ونزل لما دعا... إلخ) أي: من هنا إلى قوله: ﴿إِنَّمَا أَصَدَقْتُ﴾، فهذه الآيات متعلقة بغزوة تبوك والمتخلفين عنها من منافقين وغيرهم.

قوله: (إلى غزوة تبوك) بالصرف على إرادة البقعة، ومنعه للعلمية والتأنيث، وكانت في السنة التاسعة من الهجرة بعد رجوعه من الطائف، وسبب توجهه لها: أنه بلغ رسول الله ﷺ أن هرقل جمع أهل الروم وأهل الشام، وأنهم قدّموا مقدماتهم إلى البلقاء، وكان ﷺ قليلاً ما يخرج في غزوة إلا ورى عنها غيرها إلا ما كان من غزوة تبوك؛ وذلك لبُعد المسافة؛ لأنها على طرف الشام، بينها وبين المدينة أربع عشرة مرحلة، فأمرهم بالجهاد، وبعث إلى مكة وقبائل العرب، وهي آخر غزواته ﷺ، وأنفق عثمان نفقةً عظيمةً، فجَهَّز عشرة آلاف، وأنفق عليها عشرة آلاف دينار غير تسع مئة بعير ومئة فرس وما يتعلّق بذلك، وجاء أبو بكر بجميع ماله؛ أربعة آلاف درهم، وجاء عمر بنصف ماله، وجاء ابن عوف بمئة أوقية، وجاء العباس بمال كثير، وكذا طلحة، وبعثت النساء بكل ما يقدرن عليه من حلّيهن، فلمّا تجهَّز رسول الله ﷺ بالناس وهم ثلاثون ألفاً - وقيل: أربعون ألفاً، وقيل: سبعون ألفاً، وكانت الخيل عشرة آلاف فرس - خلّف على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري - وقيل: علي بن أبي طالب - وتخلّف عبد الله بن أبيّ ومَن كان معه من المنافقين، فبعد أن خرجوا إلى ثنية الوداع متوجّهاً إلى تبوك عقد الألوية والرايات، فدفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر، ورايته العظمى للزبير، وراية الأوس لأسيد بن حضير، وراية الخزرج للحُباب بن المنذر، ودفع لكلّ بطنٍ من الأنصار ومن قبائل العرب لواءً ورايةً، ولما نزلوا تبوك... وَجَدُوا عَيْنَهَا قَلِيلَةَ الْمَاءِ، فَاغْتَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غُرْفَةً مِنْ مَائِهَا، فَمَضَمَضَ بِهَا فَاةً، ثُمَّ بَصَقَهُ فِيهَا، فَفَارَتْ عَيْنُهَا حَتَّى امْتَلَأَتْ، وَارْتَوَوْا هُمْ وَخَيْلُهُمْ وَرُكَابُهُمْ، وَأَقَامَ بِتَبُوكَ بَضْعَ عَشْرَةِ لَيَالٍ - وقيل: عشرين ليلةً - فَأَتَاهُ يُحَنَّةٌ - بضم التحتية، وفتح الحاء المهملة، والنون المشددة، ثم تاء التأنيث - ابن رؤبة - بضم الراء، فهمة

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ءَأَنَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ
أَرْضَيْتُمْ

وكانوا في عُسرة وشدة حرٍّ فشَقَّ عليهم: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ءَأَنَاقَلْتُمْ﴾ - بإدغام التاء في الأصل في المثلثة واجتلاب همزة الوصل - أي: تَبَاطَأْتُمْ وملتئم عن الجِهَاد ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ والقُعود فيها؟ والاستِفهام للتوبيخ، ﴿أَرْضَيْتُمْ

حاشية الصاوي

ساكنة، فمُوحدة - صاحبُ أيلة، وأهدى له بغلة بيضاء، فكساه النبي رداءً، وصالحه على إعطاء الجزية بعد أن عَرَض عليه الإسلام، فلم يُسَلِّم، وكتب له ولأهل أيلة كتاباً تركه عندهم؛ ليعملوا به، وقد استشار ﷺ أصحابه في مجاوزة تبوك، فأشاروا عليه بعدم مجاوزتها، فانصرف هو والمسلمون راجعين إلى المدينة، ولما دنا من المدينة.. تلقاه المتخلفون، فقال لأصحابه: لا تكلموا رجلاً منهم ولا تُجالسوه حتى آذن لكم، فصار الرجل يُعَرِّض عن أبيه وأخيه^(١).

قوله: (وكانوا في عسرة) أي: قحط وضيق عيش؛ حتى إن الرجلين ليجتمعان على التمرة الواحدة.

قوله: (وشدة حرٍّ) أي: كانوا يشربون الفرث.

قوله: (فشَقَّ عليهم) أي: فتخلف عنه عشر قبائل، ويقال لها: غزوة العسرة، والفاضحة؛ لأنها أظهرت حال المنافقين.

قوله: ﴿مَا لَكُمْ﴾ مبتدأ، و﴿لَكُمْ﴾ خبره، ﴿ءَأَنَاقَلْتُمْ﴾ حال، و(إذا) ظرف لتلك الحال مقدَّم عليها، والتقدير: أي شيء ثبت لكم من الضرر حال كونكم متناقلين وقت قول الرسول لكم: انفروا؟... إلخ.

قوله: (بإدغام التاء... إلخ) أي: فالأصل: (تَنَاقَلْتُمْ) أبدلت التاء ثاء، وأدغمت فيها، وأتي بهمزة الوصل؛ توصلاً للنطق بالساكن.

قوله: (وملتئم) قدَّره؛ إشارةً إلى أنه ضَمَّن ﴿ءَأَنَاقَلْتُمْ﴾ معنى: ملتئم، فعذاه به(إلى).

قوله: ﴿أَرْضَيْتُمْ﴾ الاستِفهام للتوبيخ والتعجب.

(١) انظر «المغازي» للواقدي (٣/٩٩٦).

بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا
تَنَفَّرُوا بِعَذَابِكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَضُرُّهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ

بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا ﴿مِنَ الْآخِرَةِ﴾ أَي: بَدَلَ نَعِيمِهَا؟ ﴿فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
فِي﴾ جَنْبِ مَتَاعِ ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: حَقِير.

﴿٣٩﴾ - ﴿إِلَّا﴾ - بِإِدْغَامِ (لَا) فِي نُونِ (إِنْ) الشَّرْطِيَّةِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ - ﴿تَنَفَّرُوا﴾: تَخَرَّجُوا
مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لِلْجِهَادِ ﴿بِعَذَابِكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مُؤْلِمًا، ﴿وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أَي:
يَأْتِي بِهِمْ بِذَلِكَ، ﴿وَلَا تَضُرُّهُ﴾ أَي: اللَّهُ أَوْ النَّبِيُّ ﷺ ﴿شَيْئًا﴾ بِتَرْكِ نَصْرِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُ
دِينِهِ، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وَمِنْهُ نَصْرُ دِينِهِ وَنَبِيِّهِ.

﴿٤٠﴾ - ﴿إِلَّا تَضُرُّهُ﴾ أَي: النَّبِيُّ ﷺ ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ﴾: حِينَ ﴿أَخْرَجَهُ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (حقير) أي: لَأَنَّ لَذَاتِ الدُّنْيَا خَسِيسَةٌ، مَشْبُوبَةٌ بِالْكَدَرَاتِ وَالْآفَاتِ، سَرِيعَةُ الزَّوَالِ،
بِخِلَافِ لَذَاتِ الْآخِرَةِ؛ فَهِيَ شَرِيفَةٌ، مَتْرَهَةٌ عَنِ الْأَقْدَارِ وَالْأَكْدَارِ، بَاقِيَةٌ لَا مُتَهَيِّ لَهَا.

قوله: (بإدغام «لا» في «إن») العبارة فيها قلب، والأصل: بإدغام «إن» في لام «لا».

قوله: (في الموضعين) أي: هذا وقوله: ﴿إِلَّا تَضُرُّهُ﴾.

قوله: ﴿بِعَذَابِكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ قيل: المراد: في الآخرة، وقيل: المراد: في الدنيا باحتباس
المطر؛ لما روي: أَنَّهُ سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ: (اسْتَنْفَرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيًّا مِنْ أَحْيَاءِ
العرب، فَتَنَاقَلُوا، فَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْمَطَرَ، فَكَانَ ذَلِكَ عَذَابَهُمْ)^(١).

قوله: ﴿وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ قيل: المراد بهم: أبناء فارس، وقيل: أهل اليمن.

قوله: (ومنه نصر دينه) أي: ولو من غير واسطة.

قوله: ﴿إِلَّا تَضُرُّهُ﴾ شرطٌ حذف جوابه، تقديره: فَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ
اللَّهُ﴾.. فتعليلٌ للجواب، ولا يصلح أن يكون جواباً؛ لِأَنَّهُ مَاضٍ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِذَا أَخْرَجَهُ﴾ ظرفٌ
لقوله: ﴿نَصَرَهُ اللَّهُ﴾، وَهَذَا خَطَابٌ لِمَنْ تَنَاقَلَ عَنْ تِلْكَ الْغَزْوَةِ.

(١) رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (١١٤/٢)، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي «السَّنَنِ الْكُبْرَى» (٨٢/٩)، وَابْنُ حَوْهٍ فِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»

الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ.....

الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿١﴾ مِنْ مَكَّةَ أَي: أَلْجَوْهُ إِلَى الْخُرُوجِ لَمَّا أَرَادُوا قَتْلَهُ أَوْ حَبْسَهُ أَوْ نَفْيَهُ بِدَارِ النَّدْوَةِ، ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ - حال - أَي: أَحَدَ اثْنَيْنِ وَالْآخَرُ أَبُو بَكْرٍ، الْمَعْنَى: نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مِثْلِ تِلْكَ الْحَالَةِ فَلَا يَخْذُلُهُ فِي غَيْرِهَا، ﴿إِذْ﴾ - بَدَلٌ مِنْ ﴿إِذْ﴾ قَبْلَهُ -، ﴿هُمَا فِي الْغَارِ﴾: نَقَبٌ فِي جَبَلٍ ثَوْرٍ، ﴿إِذْ﴾ - بَدَلٌ ثَانٍ - ﴿يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ أَبِي بَكْرٍ وَقَدْ قَالَ لَهُ لَمَّا رَأَى أَقْدَامَ الْمُشْرِكِينَ: لَوْ نَظَرَ أَحَدُهُمْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ بِنَصْرِهِ، ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ طُمَأْنِينَتَهُ ﴿عَلَيْهِ﴾ قِيلَ: عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقِيلَ: عَلَى أَبِي بَكْرٍ، ﴿وَأَيَّدَهُ﴾ أَي: النَّبِيَّ ﷺ.....
حاشية الصاوي

قوله: (بدار الندوة) تقدّم أيضاً ذلك في (سورة الأنفال) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ [الأنفال: ٣٠] إلخ^(١).

قوله: (حال) أي: من الهاء في ﴿أَخْرَجَهُ﴾، والتقدير: إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا حال كونه منفرداً عن جميع الناس إلا أبا بكر.

قوله: (بدل من ﴿إِذْ﴾ قبله) أي: بَدَلٌ بَعْضٌ مِنْ كُلٍّ؛ لِأَنَّ الْإِخْرَاجَ زَمَنٌ مُمْتَدٌّ، فَيَصْدُقُ عَلَى زَمَنِ اسْتِقْرَارِهِمَا فِي الْغَارِ، وَإِلَّا... فزَمَنُ الْإِخْرَاجِ مُبَايِنٌ لَزَمَنِ حَصُولِهِمَا فِي الْغَارِ؛ لِأَنَّ بَيْنَ الْغَارِ وَمَكَّةَ مَسِيرَةً سَاعَةً.

قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ (أي: لا تهتمّ، وكان حزن الصديق على رسول الله، لا على نفسه، ورد: أَنَّهُ قَالَ لَهُ: (إِذَا مِتُّ أَنَا... فَأَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَإِذَا مِتَّ أَنْتَ أَهْلَكَتِ الْأُمَّةَ وَالْدِينَ)^(٢).

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (أي: معية معنوية خاصة).

قوله: (قيل: على النبي) أي: فيكون المراد: زاده سكينه وطمأنينة حتى عمّت أبا بكر، وإلّا... فرسول الله لم يسبق له انزعاج؛ لمزيد ثقته برّبه.

قوله: (وقيل: على أبي بكر) أي: لأنه هو المتزعج.

(١) انظر (٣/٢٥-٢٦).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٢/٣٤٩).

يَجُنُودٌ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ
الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي

﴿يَجُنُودٌ لَّمْ تَرَوْهَا﴾: مَلَائِكَةٌ فِي الْغَارِ وَمَوَاطِنِ قِتَالِهِ، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: دَعْوَةَ الشُّرْكِ ﴿السُّفْلَى﴾: الْمَغْلُوبَةُ، ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ﴾ أي: كَلِمَةُ الشَّهَادَةِ ﴿هُوَ الْعُلْيَا﴾: الظَّاهِرَةُ الْغَالِيَةُ، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ فِي مُلْكِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي صُنْعِهِ.

﴿٤١﴾ ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾: نِشَاطًا وَغَيْرَ نِشَاطٍ، وَقِيلَ: أَقْوِيَاءَ وَضُعَفَاءَ أَوْ أَغْنِيَاءَ وَفُقَرَاءَ، وَهِيَ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ [التوبة: ٩١]. ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي

حاشية الصاوي

قوله: (ملائكة في الغار) أي: يحرسونه من أعدائه.

قوله: (ومواطن قتاله) الواو بمعنى (أو)؛ لأنه تفسير ثان.

قوله: (أي: دعوة الشرك) أي: دعوة أهل الشرك الناس إليه، أو المراد: عقيدة أهل الشرك.

قوله: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ القراء السبعة على الرفع مبتدأ، و﴿هُوَ﴾ إما ضمير فصل، أو مبتدأ ثان، و﴿الْعُلْيَا﴾ إما خبر عن (كلمة)، أو عن الضمير، والجملة خبر (كلمة)، وقرئ شذوذاً بالنصب معطوف على مفعول (جعل) (١).

قوله: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ ذكر المفسر في معنى ذلك ثلاثة أقوال، وهي من جملة أقوال كثيرة ذكرها المفسرون؛ فقليل: الخفيف: الذي لا ضيعة له، والثقل: الذي له الضيعة، وقيل: الخفيف: الشاب، والثقل: الشيخ، وقيل غير ذلك، فالمقصود: تعميم الأحوال؛ أي: انفروا على أي حال كنتم عليه، وهذا الحكم باقي إذا تعيّن الجهاد؛ بأن فجأ العدو، وأما في حال كونه فرض كفاية.. فليس حكم العموم باقياً، بل منسوخ إما بآية: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِیَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢]، أو بآية: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى...﴾ [التوبة: ٩١] إلخ.

قوله: (نشاطاً) بكسر النون جمع (نشط) ك: كرام، وكریم.

قوله: (وهي منسوخة) أي: على القولين الأخيرين، لا على الأول؛ فهي مُحْكَمَةٌ.

سَبِيلَ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا
لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ
أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾

سَبِيلَ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ أَنَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ فَلَا تَتَأَقَّلُوا.

﴿٤٢﴾ وَنَزَلَ فِي الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَحَلَّفُوا: ﴿لَوْ كَانَ﴾ مَا دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ ﴿عَرَضًا﴾: مَتَاعًا
مِنَ الدُّنْيَا ﴿قَرِيبًا﴾: سَهْلَ الْمَأْخَذِ، ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾: وَسَطًا، ﴿لَاتَّبَعُوكَ﴾: طَلَبًا لِلْغَنِيمَةِ،
﴿وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾: الْمَسَافَةُ فَتَحَلَّفُوا، ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ: ﴿لَوْ
اسْتَطَعْنَا﴾ الْخُرُوجَ ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ﴾ فِي قَوْلِهِمْ ذَلِكَ.

حاشية الصاوي

قوله: (أنه خير) مفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾.

قوله: (فلا تأقلا) جواب الشرط.

قوله: (في المنافقين) أي: كعبد الله بن أبي وأضرابه.

قوله: ﴿﴿عَرَضًا﴾﴾ متاعاً من الدنيا) سمي عرضاً لِسرعة زواله كالعرض.

قوله: (المسافة) أي: التي تقطع بالمشقة، فهي مُشتقة من المشقة.

قوله: ﴿﴿وَسَيَحْلِفُونَ﴾﴾ هذا إخبارٌ من الله بالغيب؛ فَإِنَّ هذه الآية نزلت قبل رُجوعه من تبوك^(١).

قوله: ﴿﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾﴾ هذه الجملة سدت مسدَّ جواب القسم والشرط.

قوله: ﴿﴿يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾﴾ هذا مرتبٌ على قوله: ﴿﴿وَسَيَحْلِفُونَ﴾﴾، أو المعنى: يزدادون بها

هلاكاً؛ لأنهم هالكون بالكفر، ويزيدون هلاكاً باليمين الكاذبة؛ لما في الحديث: «اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع»^(٢).

(١) انظر «زاد المسير» (٢/٢٦٣).

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (١٠٩٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦٢/١٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، والبلقعة: الأرض القفر التي لا شيء بها.

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُنَافِقِينَ ﴿٤٤﴾

﴿٤٣﴾ وكان ﷺ أَذِنَ لِمَجْمَاعَةٍ فِي التَّخَلُّفِ بِاجْتِهَادٍ مِنْهُ، فَنَزَلَ عِتَابًا لَهُ وَقُدِّمَ الْعَفْوُ تَطْمِينًا لِقَلْبِهِ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ فِي التَّخَلُّفِ؟ وَهَلَّا تَرَكْتَهُمْ ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ فِي الْعُذْرِ ﴿وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ فِيهِ.

﴿٤٤﴾ لَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿فِي التَّخَلُّفِ عَنْ﴾ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُنَافِقِينَ.

حاشية الصاوي

قوله: (لجماعة) أي: من المنافقين.

قوله: (باجتهاد منه) هذا أحد قولين، والآخر: أنه لا يجتهد، والحاصل: أنه اختلف؛ هل يجوز على النبي الاجتهاد في غير الأحكام التكليفية الصادرة من الله تعالى أو لا يجوز؟ والصحيح: الأول، ولكنه في اجتهاده دائماً مُصِيبٌ، وعِتابُ الله له إنما هو على فعل أمر مُبَاحٍ، فهو من باب: حسنات الأبرار سيئات المقربين، لا على وزيرٍ فعله؛ فاعتقاد ذلك كفرٌ.

قوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ (أي: عن هذا الأمر الذي فعلته).

قوله: ﴿لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ اللام الأولى للتعليل، والثانية للتبليغ، وكلاهما متعلق بـ ﴿أَذْنَتْ﴾، فلم يلزم عليه تعلق حرفي جرٍّ مُتَحَدِي اللفظ والمعنى بعامل واحد، والمعنى: لأي شيء أَذْنَتْ لَهُمْ في التخلف عن الجهاد؟

قوله: (وهلَّا تركتَهُمْ) قَدَّرَهُ؛ إشارةً إلى أن قوله: (حتى يَتَبَيَّنَ... إلخ) غاية في ذلك المحذوف.

قوله: ﴿لَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ (أي: لا يَلِيقُ منهم، وليس من عاداتهم الاستئذان في الواجب عليهم، بل الخالص في الإيمان يُبادر إليه من غير توقف؛ فحيث وقع من هؤلاء الاستئذان... كان دليلاً على نفاقهم).

قوله: (في التخلف) أي: من غير عذر.

إِنَّمَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ
يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ
وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ

﴿٤٥﴾ إِنَّمَا يَسْتَفْذِنُكَ ﴿﴾ فِي التَّخَلُّفِ ﴿﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ ﴿﴾:
شَكَّتْ ﴿﴾ قُلُوبُهُمْ ﴿﴾ فِي الدِّينِ، ﴿﴾ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿﴾: يَتَحَيَّرُونَ.
﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ ﴿﴾ مَعَكَ ﴿﴾ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴿﴾: أَهْبَةً مِنَ الْآلَةِ وَالزَّادِ، ﴿﴾ وَلَكِنْ
كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ ﴿﴾ أَي: لَمْ يُرِدْ خُرُوجَهُمْ ﴿﴾ فَثَبَّطَهُمْ ﴿﴾: كَسَلَهُمْ، ﴿﴾ وَقِيلَ ﴿﴾ لَهُمْ:
﴿﴾ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿﴾ الْمَرْضَى وَالنِّسَاءَ وَالصَّبِيَّانَ، أَي: قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ.
﴿٤٧﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴾ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ﴿﴾: إِنَّمَا أَسْنَدَ الرِّيبَ لِلْقَلْبِ؛ لِأَنَّهُ مُحَلُّهُ؛ كَمَا أَنَّهُ مُحَلُّ الْإِيمَانِ
وَالْمَعْرِفَةِ.

قوله: ﴿﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ ﴿﴾... إلخ ﴿﴾ هَذَا تَسْلِيَةٌ لَهُ ﷺ عَلَى عَدَمِ خُرُوجِ الْمُنَافِقِينَ مَعَهُ؛
إِذْ لَا فَائِدَةَ فِيهِ وَلَا مَصْلَحَةَ، وَعَتَابَ اللَّهِ لَهُ عَلَى الْإِذْنِ لَهُمْ فِي التَّخَلُّفِ.. إِنَّمَا هُوَ لِأَجْلِ إظهارِ
حَالِهِمْ وَفَضِيحَتِهِمْ، كَأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِنَبِيِّهِ: كَانَ الْأَوَّلَى لَكَ عَدَمُ الْإِذْنِ لَهُمْ فِي التَّخَلُّفِ؛ لِيُظْهِرَ حَالَهُمْ؛
فَإِنَّ الْقُرْآنَ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ الْخُرُوجَ؛ لِعَدَمِ التَّأَهُبِ لَهُ.

قوله: ﴿﴾ وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ ﴿﴾: اسْتَدْرَاكَ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ
عُدَّةً ﴿﴾؛ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى النِّفْيِ، فَهُوَ اسْتَدْرَاكَ عَلَى مَا يَتَوَهَّمُ ثُبُوتَهُ، وَهُوَ مَحَبَّةُ اللَّهِ مِنْهُمْ الْخُرُوجَ،
وَالْمَعْنَى: وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ.. لَأَعَدُّوا، وَلَكِنْ لَمْ يُرِيدُوهُ؛ لِكِرَاهَةِ اللَّهِ انْبِعَاثَهُمْ؛ لَمَا فِيهِ مِنْ
الْمَفَاسِدِ، فَلَمْ يُعِدُّوا لَهُ عُدَّةً، وَهَذَا أَحْسَنُ مَا يَقَالُ.

قوله: (أَي: قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ) جَوَابٌ عَمَّا يَقَالُ: حَيْثُ أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِالْقُعُودِ.. كَانَ قُعُودُهُمْ
مَحْمُوداً لَا مَذْمُوماً، فَأَجَابَ: بِأَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ بِالْقَوْلِ: حَقِيقَتُهُ، بَلِ الْمُرَادُ بِهِ: الْإِرَادَةُ وَالتَّقْدِيرُ،
وَأُجِيبَ أَيْضاً: بِأَنَّ الْقَاتِلَ الشَّيْطَانَ، وَهُوَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَأُجِيبَ أَيْضاً: بِأَنَّ الْقَاتِلَ اللَّهَ
حَقِيقَةً، وَالْقَوْلُ عَلَى حَقِيقَتِهِ، وَهُوَ أَمْرٌ تَهْدِيدِيٌّ؛ عَلَى حَدِّ: ﴿﴾ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴿﴾ [فصلت: ٤٠].

قوله: ﴿﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ

مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا تُدْرِكُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ أَلْفَنَةً وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا: فساداً بِتَحْذِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَلَا تُدْرِكُوا خِلَالَكُمْ﴾ أي: أَسْرَعُوا بَيْنَكُمْ
بِالْمَشْيِ بِالنَّمِيمَةِ، ﴿يَبْغُونَكُمْ﴾: يَطْلُبُونَ لَكُمْ ﴿أَلْفَنَةً﴾ بِإِلْقَاءِ الْعَدَاوَةِ، ﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونَ
لَهُمْ﴾ مَا يَقُولُونَ سَمَاعَ قَبُولٍ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

حاشية الصاوي

مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا) هذا بيانٌ للمفاسد التي تترتب على خروجهم.

إن قلت: مقتضى العتاب المتقدم: أن خروجهم فيه مصلحة، ومقتضى ما هنا: أن خروجهم
مفسدة؛ فكيف الجمع بينهما؟

أجيب: بأن خروجهم مفسدة عظيمة، وعتاب الله لنبيه إنما هو على عدم التأني حتى يظهر
يفاقهم وفضيحتهم، وليس في خروجهم مصلحة أصلاً كما علمت.

قوله: ﴿مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ أي: ما أحدثوا فيكم إلا خبالاً، وليس المراد: أن الخبال كان
حاصلاً من قبل وإنما حصل منهم زيادته.

قوله: ﴿إِلَّا خَبَالًا﴾ يصح أن يكون استثناءً منقطعاً، والمعنى: ما زادوكم قوة ولكن خبالاً،
أو متصلاً من عموم الأحوال، والمعنى: ما زادوكم شيئاً أصلاً إلا خبالاً.

قوله: ﴿وَلَا تُدْرِكُوا خِلَالَكُمْ﴾ الإيضاح في الأصل: سرعة سير البعير، ثم استعير الإيضاح لسرعة
الإفساد؛ ففي الكلام استعارة تبعية؛ حيث شبه سرعة الإفساد بسرعة سير الركائب، ثم اشتق منه
(أوضعوا) بمعنى: (أسرعوا)، وفي (الخلال) استعارة مكنية؛ حيث شبه الخلال بركائب تُسرّع
في السير، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لَوَازِمِهِ وهو (أوضعوا) بمعنى: (أسرعوا)؛
فإنبأته تخيل.

قوله: ﴿يَبْغُونَكُمْ أَلْفَنَةً﴾ حال من فاعل (أوضعوا)، والتقدير: طالين لكم الفتنة.

قوله: ﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ﴾ يحتمل أن يكون جواسيس منهم يسمعون لهم الأخبار منكم،
ويحتمل أن يكون الضمير في (فيكم) عائداً على المؤمنين، والمعنى: أن في المؤمنين ضعفاء قلوب
يصغون إلى قول المنافقين بالتخذيل والإفساد؛ لظنهم صحة إيمانهم.

لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أُنْذِنَ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فَسُوءُهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ

﴿٤٨﴾ لَقَدْ ابْتَغُوا ﴿٤٨﴾ لَكَ ﴿٤٨﴾ الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ ﴿٤٨﴾ أَوَّلَ مَا قَدِمَتِ الْمَدِينَةَ، ﴿٤٨﴾ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ ﴿٤٨﴾ أَي: أَجَالُوا الْفِكْرَ فِي كَيْدِكَ وَإِبْطَالِ دِينِكَ، ﴿٤٨﴾ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ ﴿٤٨﴾: النَّصْرُ، ﴿٤٨﴾ وَظَهَرَ ﴿٤٨﴾: عَزَّ ﴿٤٨﴾ أَمْرُ اللَّهِ ﴿٤٨﴾: دِينُهُ، ﴿٤٨﴾ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾ لَهُ، فَدَخَلُوا فِيهِ ظَاهِرًا.

﴿٤٩﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أُنْذِنَ لِي ﴿٤٩﴾ فِي التَّخَلُّفِ ﴿٤٩﴾ وَلَا تَفْتِنِّي ﴿٤٩﴾ وَهُوَ الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ لَكَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ؟»، فَقَالَ: إِنِّي مُغْرَمٌ بِالنِّسَاءِ وَأَخْشَى إِنْ رَأَيْتُ نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ أَنْ لَا أَصْبِرَ عَنْهُنَّ فَأَفْتِنَّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿٤٩﴾ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴿٤٩﴾ بِالتَّخَلُّفِ، وَقُرِئَ: (سَقَطَ)، ﴿٤٩﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَا مَحِيصَ لَهُمْ عَنْهَا.

﴿٥٠﴾ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ ﴿٥٠﴾ كَنَصْرٍ وَغَنِيمَةٍ ﴿٥٠﴾ تَسُوءُهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ ﴿٥٠﴾: شِدَّةٌ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿٤٨﴾ مِنْ قَبْلُ ﴿٤٨﴾ أَي: قَبْلَ هَذِهِ الْغَزْوَةِ؛ كَالْوَاقِعِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فِي أُحُدٍ وَالْأَحْزَابِ.

قوله: ﴿٤٨﴾ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ ﴿٤٨﴾ أَي: اسْتَمَرُّوا عَلَى تَقْلِيلِ الْأُمُورِ حَتَّى... إلخ.

قوله: (وَهُوَ الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ) هُوَ مُنَافِقٌ عَنِيدٌ؛ حَتَّى إِنَّهُ مِنْ قَبَاحَتِهِ امْتَنَعَ مِنْ مَبَايَعَةِ رَسُولِ اللَّهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، وَاخْتَفَى تَحْتَ بَطْنِ نَاقَتِهِ.

قوله: (فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ) أَي: ضَرَبَهُمْ بِالسِّيفِ، وَفِي نَسَخَةٍ: (جِهَادٌ)، وَهِيَ ظَاهِرَةٌ، وَبَنُو الْأَصْفَرِ هُمْ: مُلُوكُ الرُّومِ، أَوْلَادُ الْأَصْفَرِ بْنِ رُومِ بْنِ عَيْصَ بْنِ إِسْحَاقَ.

قوله: (وَقُرِئَ: «سَقَطَ») أَي: بِالْإِفْرَادِ؛ مَرَاعَاةً لِللِّفْظِ (مَنْ)، وَالضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى الْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ، وَهِيَ شَاذَةٌ كَمَا هِيَ قَاعِدَتُهُ.

قوله: ﴿٥٠﴾ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ ﴿٥٠﴾ أَي: فِي بَعْضِ الْغَزَوَاتِ.

قوله: ﴿٥٠﴾ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ ﴿٥٠﴾ أَي: فِي بَعْضِهَا، وَقَابِلُ الْحَسَنَةِ بِالْمُصِيبَةِ؛ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الثَّوَابَ مَتَرْتَّبٌ عَلَى كُلِّ مِنْهُمَا، وَإِنَّمَا قَابَلَهَا بِالسَّيِّئَةِ فِي (آلِ عِمْرَانَ)؛ لِأَنَّهَا خِطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَفِيهِمْ مَنْ يَرَاهَا سَيِّئَةً.

يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُوا بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأْيَدِينَا فَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنَّا كُنَّا

﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا﴾ بِالْحَزْمِ حِينَ تَخَلَّفْنَا ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قَبْلَ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ، ﴿وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ بِمَا أَصَابَكَ.

﴿٥١﴾ ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ إِصَابَتُهُ، ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾: نَاصِرُنَا وَمُتَوَلِّي أُمُورِنَا، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿٥٢﴾ ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُوا﴾ - فِيهِ حَذْفُ إِحْدَى التَّائِينَ مِنَ الْأَصْلِ - أَي: تَنْتَظِرُونَ أَنْ يَقَعَ ﴿بِنَا إِلَّا إِحْدَى﴾ الْعَاقِبَتَيْنِ ﴿الْحُسَيْنَيْنِ﴾: تَثْنِيَّةٌ (حُسْنَى) تَأْنِيثٌ (أَحْسَنَ): النَّصْرُ أَوْ الشَّهَادَةُ، ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ﴾: نَنْتَظِرُ ﴿بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ بِقَارِعَةٍ مِنَ السَّمَاءِ، ﴿أَوْ بَأْيَدِينَا﴾ بِأَنْ يُؤْذَنَ لَنَا فِي قِتَالِكُمْ؟ ﴿فَرَبَّصُوا﴾ بِنَا ذَلِكَ ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ عَاقِبَتِكُمْ.

﴿٥٣﴾ ﴿قُلْ أَنْفِقُوا﴾ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ﴾ مَا أَنْفَقْتُمُوهُ؛ ﴿إِنَّا كُنَّا

حَاشِيَةُ الصَّادِقِ

قوله: ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: أدركنا ما أهمنا من الأمور، وهو موالاة الكفار، واعتزال المسلمين، وغير ذلك من أنواع النفاق.

قوله: ﴿وَهُمْ فَرِحُوا﴾ الجملة حالية من فاعل (يتولوا).

قوله: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا﴾ أي: ردًا لقولهم: (قد أخذنا أمرنا من قبل).

قوله: ﴿الْحُسَيْنَيْنِ﴾ صفة لموصوف محذوف، قدره المفسر بقوله: (العاقبتين).

قوله: ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ أي: إحدى العاقبتين السيتين.

قوله: (بقارعة) أي: صاعقة.

قوله: ﴿فَرَبَّصُوا﴾... إلخ) أي: فلما ينتظرون ما يسرنا، وأنتم مُنتظرون ما يسوؤكم.

قوله: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾... إلخ) نزلت في الجد بن قيس حيث قال للنبي ﷺ: (اأذن

كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ
وِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا
تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾، والأمر هنا بمعنى الخبر.

﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ ﴿٥٣﴾ - بالياء والتاء - ﴿مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ﴾ - فاعِلٌ، و﴿أَنْ
تُقْبَلَ﴾ مفعول - ﴿كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾: مُتَنَاقِلُونَ،
﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ النِّفَقَةُ؛ لِأَنَّهُمْ يُعَذِّبُونَهَا مَغْرَمًا.

﴿٥٥﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ﴿٥٤﴾ أي: لَا تَسْتَحْسِنُ نِعْمَنَا عَلَيْهِمْ فَهِيَ اسْتِدْرَاجٌ،
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ أي: أَنْ يُعَذِّبَهُمْ ﴿بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

حاشية الصاوي

لي في القُعود وأنا أعطيك مالي) ^(١)، والمعنى: قل لهم: اتصافكم بصفات المؤمنين في الإنفاق
والصلاة.. لا يُفيدكم شيئاً.

قوله: ﴿طَوَّعًا﴾ أي: من غير إلزام، وقوله: ﴿أَوْ كَرِهًا﴾ أي: بإلزام.

قوله: ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ أي: ولم تزالوا كذلك، فالمراد: فاسِقون فيما مضى
وفي المستقبل.

قوله: (والأمر هنا بمعنى الخبر) أي: فالمعنى: نَفَقَتُكُمْ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً غيرُ مقبولة.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيتان ^(٢).

قوله: ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ استثناء من عموم الأشياء، كأنه قيل: ما منعهم قبول نفقاتهم
لشيء من الأشياء إلا لثلاثة أمور: كُفْرهم بالله ورسوله، وإتيانهم الصلاة في حال كسلهم، وإنفاقهم
مع الكراهة.

قوله: (لأنهم يعذبونها مغرمًا) أي: لأنهم لا يرجون عليها ثواباً، ولا يخافون على تركها عقاباً.

قوله: (فهي استدراج) أي: ظاهرها نعمة، وباطنُها نعمة.

(١) انظر «زاد المسير» (٢/٢٦٧).

(٢) قرأ حمزة والكسائي: بالياء على التذكير، والباقون بالتاء على التأنيث. انظر «السراج المنير» (١/٦٢١).

وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِيَّاهُمْ لِمَنْكُمُ وَمَا هُمْ بِمَنْكُمُ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَحْذَرُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مُدْخَلًا لَوْلَا إِلَهِهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾

بِمَا يَلْقَوْنَ فِي جَمْعِهَا مِنَ الْمَشَقَّةِ، وَفِيهَا مِنَ الْمَصَائِبِ، ﴿وَتَزْهَقَ﴾: تَخْرُجُ ﴿أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾: فَيُعَذِّبُهُمْ فِي الْآخِرَةِ أَشَدَّ الْعَذَابِ.

﴿٥٦﴾ ﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِيَّاهُمْ لِمَنْكُمُ﴾: أَي: مُؤْمِنُونَ، ﴿وَمَا هُمْ بِمَنْكُمُ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾: يَخَافُونَ أَنْ تَفْعَلُوا بِهِمْ كَالْمُشْرِكِينَ، فَيَخْلِفُونَ نَقِيَّةً.

﴿٥٧﴾ ﴿لَوْ يَحْذَرُونَ مَلْجَأًا﴾: يَلْجَأُونَ إِلَيْهِ، ﴿أَوْ مَغْرَبًا﴾: سَرَادِيبَ، ﴿أَوْ مُدْخَلًا﴾: مَوْضِعًا يَدْخُلُونَهُ ﴿لَوْلَا إِلَهِهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾: يُسْرِعُونَ فِي دُخُولِهِ وَالْإِنْصِرَافِ عَنْكُمْ إِسْرَاعًا لَا يَرُدُّهُ شَيْءٌ كَالْفَرَسِ الْجَمُوحِ.

حاشية الصاوي

قوله: (بما يلقون في جمعها من المشقة) جوابٌ عمّا يقال: إن المال والولد سُورٌ في الدنيا، فأجاب: بأن المراد بكونهما عذاباً: باعتبار ما يترتب عليهما من المشقة.

إن قلت: إن هذا ليس خاصاً بالمنافق، بل المؤمن كذلك بهذا الاعتبار.

أجيب: بأن المؤمن يَرُجُو الآخرة والراحة فيها والتنعيم بسبب المشقات، فكأنها ليست مشقة، والمنافق ليس كذلك، فهي حينئذ مشقة في الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿أَنْفُسُهُمْ﴾ (أي: أرواحهم).

قوله: ﴿يَفْرُقُونَ﴾ (الفرق بالتحريك): الخوف.

قوله: ﴿لَوْ يَحْذَرُونَ مَلْجَأًا... إلخ﴾ أي: لو قدروا على الهروب منكم ولو في شرِّ الأمكنة وأخسِّها.. لفعلوا؛ لشدة بغضهم لكم، والمعنى: أنهم وإن كانوا يحلفون لكم أنهم منكم، فهم كاذبون في ذلك؛ لأنهم لو وجدوا مكاناً يلجؤون إليه من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة أو مغارات - وهي الأمكنة المنخفضة في الأرض أو في الجبل - أو سراديب - أي: أماكن ضيقة - لفروا إليها.

قوله: ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ (في «المصباح»): (جمَحَ الفرس براكبه، يجمَحُ: استعصى حتى غلبه) اهـ^(١)؛ ففيه إشارة إلى أنهم كالدابة الجموح التي لا تقبل الانقياد بوجه من الوجوه.

وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾

﴿٥٨﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ: يَعِيبُكَ ﴿فِي﴾ قَسَمِ ﴿الصَّدَقَاتِ﴾ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ.

﴿٥٩﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ: مِنَ الْغَنَائِمِ وَنَحْوِهَا ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا﴾: كَافِينَا ﴿اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾: مِنْ غَنِيمَةٍ أُخْرَى مَا يَكْفِينَا، ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾: أَنْ يُغْنِيَنَا، وَجَوَابُ (لَوْ): لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ﴾ هذا بيان لحال بعض المنافقين، وقوله: ﴿يَلْمِزُكَ﴾ من باب: (ضَرَبَ)، وَاللَّمَزَ: الإِشَارَةُ بِعَيْنٍ وَنَحْوِهَا عَلَى سَبِيلِ التَّنْقِصِ، فَهُوَ أَخْصَصُ مِنَ الْعَمَزِ؛ إِذْ هُوَ: الإِشَارَةُ بِعَيْنٍ وَنَحْوِهَا مُطْلَقًا، وَالْمَرَادُ هُنَا: الإِعَابَةُ بِالْقَوْلِ.

قيل: نزلت في أبي الجَوَّازِ الْمَنَافِقِ - بفتح الجيم وتشديد الواو وبالطاء - ومعناه: الضَّخْمُ الْمُتَكَبِّرُ الْكَثِيرُ الْكَلَامِ؛ حَيْثُ قَالَ: (أَلَا تَرَوْنَ إِلَى صَاحِبِكُمْ يَقْسِمُ صَدَقَاتِكُمْ عَلَى رِعَاةِ الْغَنَمِ، وَيَزْعَمُ أَنَّهُ يَعْدِلُ؟) ^(١)، وقيل: نزلت في ذي الخويصرة التميمي حُرْقُوصُ بْنُ زَهِيرٍ، وَهُوَ أَصْلُ الْخَوَارِجِ ^(٢).
قوله: ﴿فِي الصَّدَقَاتِ﴾ المراد بها؛ قيل: الزكاة، وقيل: الْغَنَائِمُ، وقيل: مَا هُوَ أَعَمُّ، وَهُوَ الْأَوَّلَى؛ بِدَلِيلِ مَا يَأْتِي لِلْمُفَسِّرِ.

قوله: ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا﴾ أي: مَا يُرِيدُونَ.

قوله: ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ﴾ (إِذَا): فَجَائِئَةً، قَامَتْ مَقَامَ الْفَاءِ، وَالْأَصْلُ: (فَهِم).

قوله: ﴿مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: نِسْبَةُ الْإِعْطَاءِ لِلَّهِ حَقِيقِيَّةً، وَلِلرَّسُولِ مُجَازِيَّةً، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَا فَعَلَهُ الرَّسُولُ إِنَّمَا هُوَ عَلَى طَبَقِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ.

قوله: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ أي: كَافِينَا.

قوله: (أَنْ يُغْنِيَنَا) أي: فِي أَنْ يُغْنِيَنَا، وَ(أَنْ) وَمَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ فِي تَأْوِيلِ مُصَدَّرٍ مُجْرُورٍ بِ(فِي)،

(٢) رواه البخاري (٦٩٣٣) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(١) انظر «تفسير الرازي» (٧٥/١٦).

إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوبِهِمْ

﴿٦٠﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ: الزَّكَاةُ مَصْرُوفَةٌ ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَقَعُ مَوْقِعاً مِنْ كِفَايَتِهِمْ، ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَكْفِيهِمْ، ﴿وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ أَي: الصَّدَقَاتِ مِنْ جَابِ وَقَاسِمٍ وَكَاتِبٍ وَحَاشِرٍ، ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوبِهِمْ﴾ لِيُسَلِّمُوا
حاشية الصاوي

متعلقة بـ(يُغْنِينَا) ^(١)، ويُؤخذ من الآية: تعليمُ العبادِ التَّعَقُّفَ، والاعتمادَ على الله تعالى، وتفويضَ الأمور إليه؛ فَإِنَّ الْأَرْزَاقَ بِيَدِهِ تَعَالَى، مُتَكَفِّلٌ بِهَا، لَا يَقْطَعُهَا عَنْ عِبَادِهِ وَلَوْ خَالَفُوهُ.

قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ رَدٌّ عَلَى الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ لِنَفْسِهِ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ، فَبَيَّنَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الْمُسْتَحِقَّ لَهَا الْأَصْنَافُ الثَّمَانِيَةُ، وَرَسُولُ اللَّهِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ؛ تَشْرِيفاً لَهُمْ وَتَطْهِيراً، وَالْآيَةُ مِنْ قَصْرِ الْمَوْصُوفِ عَلَى الصِّفَةِ؛ أَي: الصَّدَقَاتُ مَقْصُورَةٌ عَلَى الْإِتِّصَافِ بِصَرَفِهَا لِهَؤُلَاءِ الثَّمَانِيَةِ.

قوله: (مصروفة) قَدَرَهُ؛ لِيَتَعَلَّقَ بِهِ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ.

قوله: (الذين لا يجدون ما يقع موقعاً من كفايتهم) صادقٌ بَأَلَّا يَجِدُوا شَيْئاً أَصْلاً، أَوْ يَجِدُوا شَيْئاً لَا يَقَعُ الْمَوْقِعَ مِنْ كِفَايَتِهِمْ.

قوله: ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ الذين لا يجدون ما يكفيهم) صادقٌ بَأَلَّا يَجِدُوا شَيْئاً أَصْلاً، أَوْ يَجِدُوا شَيْئاً لَا يَقَعُ الْمَوْقِعَ، أَوْ يَقَعُ وَلَكِنْ لَا يَكْفِيهِمْ؛ فَالْفَقِيرُ عَلَى هَذَا أَسْوَأُ حَالاً مِنَ الْمَسْكِينِ، وَهَذَا مَذْهَبُ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ، وَعِنْدَ مَالِكٍ بِالْعَكْسِ؛ فَالْمَسْكِينُ: مَنْ لَا يَمْلِكُ شَيْئاً أَصْلاً، وَالْفَقِيرُ: مَنْ عِنْدَهُ شَيْءٌ لَا يَكْفِيهِ، وَالْمُرَادُ بِالْكَفَايَةِ عِنْدَ مَالِكٍ: كَفَايَةُ سَنَةٍ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ: كَفَايَةُ الْعُمُرِ الْغَالِبِ، وَهُوَ سِتُونَ سَنَةً ^(٢).

قوله: (من جاب... إلخ) أي: وهو الذي يجمع الزكاة من أربابها، و(القاسم): الذي يَقْسِمُهَا عَلَى الْمُسْتَحَقِّينَ، و(الكاتب): الذي يَكْتُبُ مَا أُعْطِيَ أَرْبَابَ الْأَمْوَالِ، و(الحاشِر): الذي يَجْمَعُ أَرْبَابَ الْأَمْوَالِ؛ لِيَأْخُذَ مِنْهُمْ الْجَابِي الزَّكَاةَ.

قوله: (لِيُسَلِّمُوا) أي: يرجى بإعطائهم إسلامهم.

(١) كذا في الأصول، ولعله سبق قلم، والظاهر تعلقها باسم الفاعل (راغبون).

(٢) انظر «الأم» (٩٠/٢)، و«بلغة السالك لأقرب المسالك» (٦٥٧/١).

وَفِي الرِّقَابِ وَالْفَرَمِينَ

أَوْ يَثْبُتَ إِسْلَامُهُمْ، أَوْ يُسْلِمَ نَظَرَاؤُهُمْ، أَوْ يَذُبُّوا عَنِ الْمُسْلِمِينَ أَقْسَامًا؛ وَالْأَوَّلُ وَالْآخِرُ لَا يُعْطِيَانِ الْيَوْمَ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ رِضَى اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُ؛ لِعِزِّ الْإِسْلَامِ، بِخِلَافِ الْآخَرَيْنِ، فَيُعْطِيَانِ عَلَى الْأَصَحِّ، ﴿وَفِي﴾ فَكَّ ﴿الرِّقَابِ﴾ أَيِ: الْمُكَاتِبِينَ، ﴿وَالْفَرَمِينَ﴾: أَهْلُ الدِّينِ

حاشية الصاوي

قوله: (أَوْ يَثْبُتَ إِسْلَامُهُمْ) أَيِ: فَهْمٌ حَدِيثُهُ عَهْدٌ بِإِسْلَامٍ، فَتُعْطِيهِمْ لِيَتِمَّكَنَ الْإِسْلَامُ مِنْ قُلُوبِهِمْ.

قوله: (أَوْ يُسْلِمَ نَظَرَاؤُهُمْ) أَيِ: فَهْمٌ كِبَارٌ قَبِيلَةٌ أَسْلَمُوا، فَيُعْطَوْنَ لِيُسْلِمَ نَظَرَاؤُهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ.

قوله: (أَوْ يَذُبُّوا عَنِ الْمُسْلِمِينَ) أَيِ: يَدْفَعُوا الْكُفَّارَ وَيَرُدُّوهُمْ عَنِ الْمُسْلِمِينَ وَالْحَالُ أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ.

قوله: (وَالْأَوَّلُ وَالْآخِرُ) أَيِ: الْكَافِرُ لِيُسْلِمَ، وَالذَّابُّ عَنِ الْمُسْلِمِينَ.

قوله: (لَا يُعْطِيَانِ) هَذَا ضَعِيفٌ عَنْهُمْ، وَالْمَعْتَمِدُ عَنْهُمْ: إِعْطَاءُ الْأَوَّلِ^(١).

قوله: (بِخِلَافِ الْآخَرَيْنِ) أَيِ: الثَّانِي وَالثَّالِثُ، وَهَذَا مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ، وَعِنْدَ مَالِكٍ: الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ إِمَّا كُفَّارٌ يُعْطَوْنَ لِيُسْلِمُوا، أَوْ مُسْلِمُونَ يُعْطَوْنَ^(٢) لِيَثْبُتَ إِسْلَامُهُمْ^(٣).

قوله: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ إِنَّمَا أُضِيفَتْ (الْصَّدَقَاتُ) إِلَى الْأَصْنَافِ الْأَرْبَعَةِ الْأَوَّلِ بِاللَّامِ، وَإِلَى الْأَرْبَعَةِ الْآخِرَةِ بـ(فِي)؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْأَرْبَعَةَ الْأَوَّلَ يَمْلِكُونَهَا يَتَصَرَّفُونَ فِيهَا كَيْفَ شَاءُوا، بِخِلَافِ الْأَرْبَعَةِ الْآخِرَةِ؛ فَيَقِيدُ بِمَا إِذَا صُرِفَتْ فِي مَصَارِفِهَا؛ فَإِذَا لَمْ يَحْصَلِ... نَزَعَتْ مِنْهُمْ.

قوله: (أَيِ: الْمُكَاتِبِينَ) أَيِ: لِيَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى فَكِّ رِقَابِهِمْ، وَهَذَا التَّفْسِيرُ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ، وَعِنْدَ مَالِكٍ وَأَحْمَدُ أَنَّ مَعْنَاهُ: يُشْتَرَى بِهَا رَقِيقٌ كَامِلُ الرِّقِّ وَيُعْتَقُ، وَوَلَاؤُهُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ: يَشْتَرَى بِهَا بَعْضُ رَقَبَةٍ، وَيُعَانُ بِهَا مَكَاتِبُ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ يَقْتَضِي التَّبْعِيضَ^(٤).

(١) انظر «نهاية المحتاج» (١٥٦/٦).

(٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَهِيَ لُغَةٌ مَعْرُوفَةٌ، تَقَدَّمَتْ كَثِيرًا.

(٣) انظر «بلغة السالك لأقرب المسالك» (١/٦٦٠).

(٤) انظر «الأم» (٩٢/٢)، و«بلغة السالك لأقرب المسالك» (١/٦٦٠)، و«العدة في شرح العمدة» (ص ١٥٥)، و«حاشية

ابن عابدين» (٢/٣٤١).

وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

إن استدانوا لِغَيْرِ مَعْصِيَةٍ، أو تابوا وليس لَهُم وفاءٌ، أو لِإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ ولو أغنياء، ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: القائمين بِالْجِهَادِ مِمَّنْ لَا فَيَّ لَهُم ولو أغنياء، ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾: الْمُنْقَطِعِ فِي سَفَرِهِ، ﴿فَرِيضَةً﴾ - نصب بِفِعْلِهِ الْمُقَدَّر - ﴿مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِخَلْقِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي صُنْعِهِ، فلا يَجُوزُ صَرْفُهَا لِغَيْرِ هَؤُلَاءِ، ولا مَنعُ صِنْفٍ مِنْهُمْ إِذَا وُجِدَ

حاشية الصاوي

قوله: (لغير معصية) أي: بأن استدانوا لمباح ولو صرفوه في معصية، وهذا مذهب الشافعي، وعند مالك: إذا صرفوه في معصية.. لا يُعطون منها إلا إذا تابوا^(١).

قوله: (وتابوا) أي: ظهرت توبتهم، لا بمجرد قولهم: تبتنا مثلاً.

قوله: (أو لإصلاح ذات البين) أي: كأن خيفت فتنة بين قبيلتين تنازعتا في قتيل لم يظهر قاتله، فتحملوا الدية؛ تسكيناً للفتنة.

قوله: (أي: القائمين بالجهاد... إلخ) أي: ويشتري منه آتته من سلاح ودرع وفرس، ومذهب مالك: أن طلبه العلم المنهمكين فيه.. لهم الأخذ من الزكاة ولو أغنياء إذا انقطع حقهم من بيت المال؛ لأنهم مجاهدون^(٢).

قوله: ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ الإضافة لأدنى ملابسة؛ أي: الملازم للطريق.

قوله: (المنقطع في سفره) أي: إن كان سفره في غير معصية، وإلا.. فلا يُعطى ولو خيف عليه الموت ما لم يُتَّب، ويعطى بشرط ألا يجد مُسْلَفًا، وهو: مليءٌ ببلده.

قوله: (فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء) أخذ ذلك من الحصر، وهو محلٌ وفاق.

قوله: (ولا منع صنف منهم) هذا مذهب الشافعي، وعند مالك: لا يلزم تعميم الأصناف؛ فاللام في ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾... إلخ: لبيان المصروف، لا للاستحقاق^(٣).

(١) انظر «الأم» (٧٨/٢)، و«بلغة السالك لأقرب المسالك» (١/٦٦٢).

(٢) انظر «شرح مختصر خليل» (٢/٢١٦).

(٣) انظر «تحفة المحتاج» (٧/١٦٩)، و«بلغة السالك لأقرب المسالك» (١/٦٦٥).

وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ

فَيَقْسِمُهَا الْإِمَامُ عَلَيْهِمْ عَلَى السَّوَاءِ، وَلَهُ تَفْضِيلُ بَعْضِ آحَادِ الصَّنْفِ عَلَى بَعْضٍ. وَأَفَادَتْ اللَّامُ وَجُوبَ اسْتِغْرَاقِ أَفْرَادِهِ، لَكِنْ لَا يَجِبُ عَلَى صَاحِبِ الْمَالِ إِذَا قَسَمَ لِعُسْرِهِ، بَلْ يَكْفِي إِعْطَاءُ ثَلَاثَةِ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ، وَلَا يَكْفِي دُونُهَا كَمَا أَفَادَتْهُ صِيغَةُ الْجَمْعِ، وَبَيَّنَّتِ السُّنَّةُ أَنَّ شَرْطَ الْمُعْطَى مِنْهَا الْإِسْلَامُ، وَأَنْ لَا يَكُونَ هَاشِمِيًّا وَلَا مُطَّلِبِيًّا.

﴿١١﴾ وَمِنْهُمْ أَي: الْمُنَافِقِينَ ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ بِعِيهِ وَيَنْقُلِ حَدِيثِهِ، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ إِذَا نُهُوا عَنْ ذَلِكَ لِئَلَّا يَبْلُغَهُ: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ أَي: يَسْمَعُ كُلَّ قِيلٍ وَيَقْبَلُهُ، فَإِذَا حَلَفْنَا لَهُ أَنَّا لَمْ نَقُلْ حَاشِيَةُ الصَّاوِي.

قوله: (فيقسمها الإمام عليهم على السواء) هذا مذهب الشافعي، وعند مالك: لا يلزم ذلك، بل يندب إثارة المضطر^(١).

قوله: (لعسره) علة لعدم وجوب الاستغراق.

قوله: (الإسلام) هذا في غير المؤلفة قلوبهم.

قوله: (وَأَلَّا يَكُونَ هَاشِمِيًّا وَلَا مُطَّلِبِيًّا) هذا مذهب الشافعي، وعند مالك: الذي تحرم عليه الزكاة بنو هاشم فقط، وهذا إن كان حقهم من بيت المال جارياً، وإلا... فهم أولى من غيرهم، فأعطائهم أسهل من تعاطيهم خدمة الذمّي والفاجر^(٢).

قوله: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ سبب نزولها: أن جماعة من المنافقين تكلموا في حقّه ﷺ بما لا يليق، فقال بعضهم لبعض: كفوا عن هذا الكلام؛ لئلا يبلغه ذلك، فيقع لنا منه الضرر، فقال الجلاس - بضم الجيم وفتح اللام المخففة - بن سويد: نقول ما شئنا، ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونحلف، فيصدقنا فيما نقول، فإنما محمد أذن^(٣).

قوله: (أي: يسمع كل قيل) أي: من غير أن يتأمل فيه ويميز باطنه من ظاهره، فقصدوا بذلك وصفه ﷺ بالغفلة؛ لأنه كان لا يقابلهم بسوء أبداً، ويتحمل أذاهم، ويصفح عنهم، فحملوه على عدم التنبه والغفلة، وهو إنما كان يفعل ذلك رفقا بهم، وتغافلاً عن عيوبهم. وفي تسميته أذنًا مجازاً مرسلٌ

(١) انظر «تحفة المحتاج» (١٧١/٧)، و«بلغة السالك لأقرب المسالك» (١/٦٦٤).

(٢) انظر «منهاج الطالبين» (ص ٢٠١)، و«بلغة السالك لأقرب المسالك» (١/٦٦٤).

(٣) انظر «الدر المنثور» (٤/٢٢٧).

قُلْ أَذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ.....

صَدَقْنَا، ﴿قُلْ﴾: هو ﴿أَذُنُ﴾: مُسْتَمِعٌ ﴿خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ لا مُسْتَمِعُ شَرٍّ، ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ﴾: يُصَدِّقُ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما أَخْبَرُوهُ بِهِ لا لِعَيْرِهِمْ، وَاللَّامُ زَائِدَةٌ لِلْفَرْقِ بَيْنَ إِيمَانِ التَّسْلِيمِ وَغَيْرِهِ، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ - بِالرَّفْعِ عَطْفًا عَلَى ﴿أَذُنُ﴾، وَالْجَرُّ عَطْفًا عَلَى ﴿خَيْرٍ﴾ - ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿٦٢﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ ﴿أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ فيما بَلَّغَكُمْ عَنْهُمْ مِنْ أَدَى الرَّسُولِ أَنَّهُمْ ...

حاشية الصاوي

من إطلاق الجزء على الكل؛ لِلْمِبَالِغَةِ فِي اسْتِمَاعِهِ حَتَّى صَارَ كَأَنَّهُ هُوَ آلَةُ السَّمَاعِ؛ كَمَا يُسَمَّى الْجَاسُوسُ عَيْنًا.

قوله: ﴿قُلْ أَذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ (أي: يَسْمَعُ الْخَيْرَ، وَلَا يَسْمَعُ الشَّرَّ).

قوله: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾... إلخ) هذا إيضاحٌ لكونه أَذُنٌ خَيْرٌ.

قوله: (وَاللَّامُ زَائِدَةٌ) جوابٌ عَمَّا يُقَالُ: لَمْ زِيدَتْ اللَّامُ مَعَ أَنَّ الْإِيمَانَ يَتَعَدَّى بِالْبَاءِ، فَأُجَابَ: بِأَنَّهَا زِيدَتْ لِلْفَرْقِ بَيْنَ إِيمَانِ التَّسْلِيمِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (أي: يَسْلَمُ لَهُمْ قَوْلُهُمْ وَيُصَدِّقُهُمْ فيما يَقُولُونَهُ، وَبَيْنَ إِيمَانِ التَّصَدِيقِ الْمَقَابِلِ لِلْكَفْرِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ (أي: يُصَدِّقُ بِاللَّهِ وَيُوَحِّدُهُ).

قوله: ﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (أي: الَّذِينَ أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ مِنْكُمْ، وَهَذِهِ الرَّحْمَةُ بِمَعْنَى: الرِّفْقُ بِهِمْ، وَعَدَمُ كَشْفِ أَسْرَارِهِمْ، لَا بِمَعْنَى: التَّصَدِيقُ لَهُمْ؛ فَإِنَّ رَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا عَامَّةٌ لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَفِي الْآخِرَةِ مُخْتَصَّةٌ بِالْبَرِّ دُونَ الْفَاجِرِ؛ إِذْ هِيَ تَابِعَةٌ لِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِحْسَانِهِ).

قوله: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ (أي: يَخْلِفُ الْمُنَافِقُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ مَا وَقَعَ مِنْهُمْ الْإِيذَاءُ لِلنَّبِيِّ، وَقَصْدُهُمْ بِذَلِكَ إِرْضَاءَ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِيَذُبُوا عَنْهُمْ إِذَا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَقْتَلَ بِهِمْ).

وسبب نزولها: أَنَّهُ اجْتَمَعَ نَاسٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ مِنْهُمْ الْجُلَاسُ بْنُ سُوَيْدٍ وَوَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ، فَوَقَعُوا فِي رَسُولِ اللَّهِ، ثُمَّ قَالُوا: إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ حَقًّا... فَنَحْنُ شَرٌّ مِنَ الْحَمِيرِ، وَكَانَ عِنْدَهُمْ غُلَامٌ يُقَالُ لَهُ: عَامِرُ بْنُ قَيْسٍ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَأَخْبَرَهُ، فَدَعَاهُمْ وَسَأَلَهُمْ، فَأَنْكَرُوا وَخَلَفُوا أَنَّ عَامِرًا

لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ

ما أتوه؛ ﴿لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ بالطَّاعَةِ، ﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ حَقًّا، - وَتَوْحِيدِ الضَّمِيرِ لِتَلَازِمِ الرِّضَاءَيْنِ، أَوْ خَبَرِ (الله) أَوْ (رسوله) محذوف -.

﴿٦٣﴾ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ بِ﴿أَنَّهُ﴾ أَي: الشَّانَ ﴿مَنْ يُحَادِدِ﴾: يُشَاقِقِ ﴿اللَّهُ وَرَسُولَهُ﴾ فَأَنَّ

حاشية الصاوي

كذاب، وحلف عامر أنهم كذَّبةٌ، فصدَّقهم النبي ﷺ، فجعل عامر يدعو ويقول: اللهم صدِّق الصادق وكذِّب الكاذب^(١).

قوله: (ما أتوه) أي: ما فعلوه، وفي نسخة: (آذوه).

قوله: ﴿لِيَرْضَوْكُمْ﴾ (علة لقوله: ﴿يَحْلِفُونَ﴾).

قوله: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ الجملة حالية من ضمير ﴿يَحْلِفُونَ﴾، والمعنى: يحلفون لكم لإرضائكم والحال أن الله ورسوله أحق بالإرضاء.

قوله: ﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ شرط حذف جوابه؛ لدلالة ما قبله عليه؛ أي: فليرضوا الله ورسوله.

قوله: (وتوحيد الضمير... إلخ) أشار المفسر لثلاثة أجوبة عن سؤال وارد على الآية؛ حاصله: أن لفظ الجلالة مبتدأ، و(رسوله): مبتدأ ثانٍ معطوف عليه، وجملة ﴿أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ خبر، والضمير مفرد، وما قبله مثنى، فلم أفرد الضمير؟

فأجاب المفسر: بأنه أفرده لأن الرضائين واحد؛ لأن رضا رسول الله تابع لرضا الله، ولازم له، فالكلام جملة واحدة، أو الجملة خبر عن (رسوله)، وحذف خبر لفظ الجلالة؛ لدلالة ما بعده عليه، أو خبر عن لفظ الجلالة، وخبر (رسوله) محذوف؛ لدلالة ما قبله عليه؛ ففيه إما الحذف من الثاني لدلالة الأول عليه، أو بالعكس.

قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ الاستفهام للتوبيخ.

قوله: ﴿مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ﴾ (من): شرطية مبتدأ، وقوله: ﴿فَأَنَّ لَهُ... إلخ﴾ خبر لمحذوف؛

لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوْا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ

لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ ﴿٦٣﴾ جزاء ﴿٦٤﴾ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ .

﴿٦٤﴾ يَحْذَرُ ﴿٦٤﴾ : يَخَافُ ﴿٦٣﴾ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ ﴿٦٣﴾ أي : الْمُؤْمِنِينَ ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ مِنَ النِّفَاقِ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَسْتَهْزِئُونَ ، ﴿قُلِ اسْتَهِزُّوْا﴾ أَمْرٌ تَهْدِيدٌ ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ﴾ : مُظْهِرٌ ﴿مَّا تَحْذَرُونَ﴾ إِخْرَاجُهُ مِنْ نِفَاقِكُمْ .

﴿٦٥﴾ وَلَئِنْ ﴿٦٥﴾ - لَامَ قَسَمَ - ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ عَنْ اسْتِهْزَائِهِمْ بِكَ وَالْقُرْآنِ
حاشية الصاوي

أي : فحَقُّ أَنْ لَهُ ... إلخ ، والجملة جواب الشرط ، وجملة فعل الشرط وجوابه خبر (من) ، ومجموع اسم الشرط وفعله وجزائه خبر (أَنَّ) الأولى ، وجملة (أَنَّ) الأولى من اسمها وخبرها سَدَّتْ مَسَدًّ مفعولي (يعلم) .

قوله : (جزاء) تمييز .

قوله : ﴿خَلِيدًا فِيهَا﴾ حال مقدرة .

قوله : ﴿أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي : المؤمنين ، وقوله : ﴿تُنَبِّئُهُمْ﴾ أي : تخبر المؤمنين ، وقوله : ﴿بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي : المنافقين ؛ من الحقد والحسد للمؤمنين .

قوله : ﴿قُلِ اسْتَهِزُّوْا﴾ ... إلخ) نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلاً من المنافقين وقفوا لرسول الله على العقبة لما رجع من غزوة تبوك؛ ليفتكوا به إذا علاها ، وتنكروا عليه في ليلة مظلمة ، فأخبر جبريل رسول الله بما قد أضمرُوا ، وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم ، وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقة رسول الله ﷺ ، وسُرَاقَة يسوقها ، فقال لحذيفة : اضرب وجوه رواحلهم ، فضربها حذيفة حتى نحّاهم عن الطريق ، فلما نزل . . قال لحذيفة : «هل عرفت من القوم أحداً؟» ، فقال : لم أعرف منهم أحداً يا رسول الله ، فقال رسول الله : «إنهم فلان وفلان» حتى عدّهم كلّهم ، فقال حذيفة : هَلَّا بعثت إليهم من يقتلهم؟ فقال : «أكره أن تقول العرب : لما ظفر بأصحابه . . أقبل يقتلهم ، بل يكفينا الله بالدُّبَيْلَةِ» ، وهي : خراج من نار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم^(١) .

لَيَقُولَنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَلَنَلْعَبُ قُلْ أَيْلَهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾

وَهُمْ سَائِرُونَ مَعَكَ إِلَى تَبُوكَ، ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ مُعْتَذِرِينَ: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَلَنَلْعَبُ﴾ فِي الْحَدِيثِ: «لِنَقْطَعَ بِهِ الطَّرِيقَ وَلَمْ نَقْصِدْ ذَلِكَ»، ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿أَيْلَهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ﴾ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ.

﴿لَا تَعْذِرُوا﴾ عَنْهُ ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أَي: ظَهَرَ كُفْرُكُمْ بَعْدَ إِظْهَارِ الْإِيمَانِ، ﴿إِنْ نَعَفَ﴾ - بِالْيَاءِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ، وَالتَّوْنِ مَبْنِيًّا لِلْفَاعِلِ - ﴿عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾ بِإِخْلَاصِهَا وَتَوْبَتِهَا كَمَخْشِيٍّ بِنِ حُمَيْرٍ ﴿نُعَذِّبْ﴾ - بِالتَّاءِ وَالتَّوْنِ - ﴿طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾: مُصِرِّينَ عَلَى النِّفَاقِ وَالِاسْتِهْزَاءِ.

حاشية الصاوي

قوله: (وَهُمْ سَائِرُونَ مَعَكَ) أَي: فَكَانُوا يَقُولُونَ: هِيَ هَاتِهِ هِيَ هَاتِهِ، يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَفْتَحَ حِصُونَ الشَّامِ وَقُصُورَهَا، فَأَطْلَعَ اللَّهُ نَبِيَّهَ عَلَى مَا قَالُوهُ، فَقَالَ لَهُمْ: «هَلَّا قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟»، فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ مَا كُنَّا فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِكَ وَلَا مِنْ أَمْرِ أَصْحَابِكَ، وَلَكِنَّا كُنَّا فِي شَيْءٍ مِمَّا يَخُوضُ فِيهِ الرِّكْبُ؛ لِيَقْصَرَ بَنَا السَّفَرِ^(١).

قوله: ﴿أَيْلَهِ﴾ أَي: بِفَرَاثِضِهِ وَحُقُوقِهِ، قوله: ﴿وَآيَاتِهِ﴾ أَي: كَلِمَاتِهِ الْقُرْآنِيَّةُ، قوله: ﴿وَرَسُولِهِ﴾ أَي: مُحَمَّدٌ ﷺ.

قوله: (عَنْهُ) أَي: الْاسْتِهْزَاءُ.

قوله: (مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ... إلخ) أَي: وَنَائِبُ الْفَاعِلِ ﴿عَنْ طَائِفَةٍ﴾، وَهُمَا قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(٢).

قوله: (كَمَخْشِيٍّ بِنِ حُمَيْرٍ) وَفِي بَعْضِ النُّسخِ: (كَجَحْشِ بْنِ حُمَيْرٍ)، وَأَسْلَمَ وَحُسْنُ إِسْلَامِهِ، كَانَ يَضْحَكُ وَلَا يَخُوضُ، وَكَانَ يَنْكُرُ بَعْضَ مَا يَسْمَعُ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ... تَابَ مِنْ نِفَاقِهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَزَالُ أَسْمَعُ آيَةَ تَقْرَأُ تَقْشَعُرُ مِنْهَا الْجُلُودُ، وَتَخْفِقُ مِنْهَا الْقُلُوبُ، اللَّهُمَّ؛ اجْعَلْ وَفَاتِي قِتْلًا

(١) انظر «تفسير الخازن» (٣٧٩/٢).

(٢) قرأ عاصم: «نَعَفَ» بَنُونَ الْعِظَمَةِ، وَهِيَ قِرَاءَتُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ وَزَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: «يُعَفَ» بِالْيَاءِ مِنْ تَحْتِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ. انظر «الدر المصون» (٨١/٦).

الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ

﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ أي: مُتَشَابِهُونَ فِي الدِّينِ كَأَبْعَاضِ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ، ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾: الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾: الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ، ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾: عَنِ الْإِنْفَاقِ فِي الطَّاعَةِ، ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾: تَرَكُّوا طَاعَتَهُ ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾: تَرَكَّهُمْ مِنْ لُطْفِهِ، ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿٦٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ

حاشية الصاوي

في سبيلك، لا يقول أحد: أنا غسلت، أنا كفنت، أنا دفنت، فأصيب يوم اليمامة، فلم يعرف أحد من المسلمين مصرعه^(١).

قوله: ﴿الْمُنْفِقُونَ﴾ أي: وكانوا ثلاث مئة.

قوله: ﴿وَالْمُنْفِقَاتُ﴾ أي: وكنَّ مئة وسبعين.

قوله: (أي: مُتَشَابِهُونَ فِي الدِّينِ) أي: الذي هو النِّفَاق، فهم على أمرٍ واحدٍ، مجتمعون عليه.

قوله: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ كناية عن عدم الإنفاق؛ لأنَّ شأن المعطي بَسْطُ اليد، وشأن الممسك قبْضُهَا.

قوله: (تركوا الله) جوابٌ عمَّا يقال: إن النسيان لا يؤاخذ به الإنسان، فأجاب: بأن المراد به: الترك.

قوله: (تركهم) جوابٌ عمَّا يقال: إن النسيان مُستحيلٌ على الله تعالى، فأجاب: بأن المراد به: الترك.

قوله: ﴿هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: الكاملون في التمرد والفسق، والإظهارُ في موضع الإضمار؛ لزيادة التقرُّيع.

قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ﴾ يُستعمل (وعد) في الخير والشر، وإنما يفترقان في المصدر؛ فمصدر الأول: (وَعْدٌ)، والثاني: (وَعِيدٌ).

(١) انظر تفسير الخازن (٣/٣٨٠)، و«الإصابة» (٦/٤٤).

وَالْمُنْفِقَتِ وَالْكَفَّارِ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾

وَالْمُنْفِقَتِ وَالْكَفَّارِ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ ﴿٦٨﴾ جَزَاءٌ وَعِقَابٌ ﴿٦٩﴾ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ ﴿٦٨﴾ : أَبْعَدَهُمْ عَنْ رَحْمَتِهِ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ : دَائِمٌ.

﴿٦٩﴾ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا﴾ : تَمَتَّعُوا ﴿بِخَلْقِهِمْ﴾ : نَصِيبِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا، ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ﴾ : أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ ﴿بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ﴾ : فِي الْبَاطِلِ وَالطَّعْنِ فِي النَّبِيِّ ﷺ ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾ : أَيُّ : خَوْضِهِمْ، ﴿أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ .

حاشية الصاوي

قوله : ﴿وَالْكَفَّارِ﴾ (أي : المتجاهرين بالكفر، فهو عطف مُغَايِرٌ).

قوله : ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ (حال مقدرة).

قوله : ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (أي : غير النار كالزَّمِيرِ، أو المراد : عذاب في الدنيا).

قوله : ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (الجارُّ والمجرور خبرٌ لمحذوف، قدَّره المفسر بقوله : (أنتم)، وهذا خطاب للمنافقين؛ ففيه التَّيَات من الغيبة للخطاب، والمثلية في الأوصاف المتقدمة، وهي الأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف، وقَبْضُ اليد، ونسيان حقوق الله، والآتية بقوله : ﴿فَاسْتَمْتَعُوا... إلخ﴾.

قوله : ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ﴾ (أي : بِحُظُوظِهِمْ الْفَانِيَةِ، والتشاغل بها عما يرضي الله تعالى).

قوله : (أي : كخوضهم) مشى المفسر على أن (الذي) حرفٌ مصدرِيٌّ، وهي طريقة ضَعِيفَةٌ لبعض النحاة، وعليه : فيقدَّر في الكلام مفعول مُطْلَقٌ ؛ ليكون مشبهاً بالمصدر المأخوذ من (الذي)، والتقدير : وخضتم خوضاً كخوضهم، والصحيح : أن (الذي) : اسم موصول، صفة لموصوف محذوف، والعائد محذوف تقديره، كالخوض الذي خاضوه.

أَلَمْ يَأْتِيهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤَفِّكَاتِ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ

﴿٧٠﴾ أَلَمْ يَأْتِيهِمْ نَبَأُ: خَبَرُ ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾ قَوْمِ هُودٍ ﴿وَتَمُودَ﴾ قَوْمِ صَالِحٍ، ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾ قَوْمِ شُعَيْبٍ، ﴿وَالْمُؤَفِّكَاتِ﴾: قُرَى قَوْمِ لُوطٍ أَي: أَهْلِهَا، ﴿أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بِالْمُعْجَزَاتِ فَكَذَّبُوهُمْ فَأَهْلِكُوا، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بِأَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بِارْتِكَابِ الذَّنْبِ. ﴿٧١﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِيهِمْ﴾ أي: المنافقين، والاستفهام للتقرير.

قوله: ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾... إلخ) أي: وقد أهلكوا بالطوفان، ﴿وَعَادٍ﴾ أي: أهلكوا بالريح العقيم، ﴿وَتَمُودَ﴾ أهلكوا بالرجفة، ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أهلكوا بسلب النعمة عنهم، وبالبعوض، ﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾ أهلكوا بالرجفة.

قوله: ﴿وَالْمُؤَفِّكَاتِ﴾ أي: المنقلبات التي جعل الله عاليها سافلها.

قوله: ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ معطوف على مقدر، قدره المفسر بقوله: (فكذبوهم فأهلكوا).

قوله: (بأن يعذبهم بغير ذنب) تفسير للظلم المنفي؛ أي: الواقع أن الله لم يعذبهم بغير ذنب، بل لو فرض أنه عذبهم بغير ذنب.. لم يكن ظلماً؛ لأن الظلم هو: التصرف في ملك الغير من غير إذنه، ولا ملك لأحد معه سبحانه وتعالى، لكن تفضل الله بأنه لا يعذب بغير ذنب، ولا يجوز عليه شرعاً أن يعذب في الآخرة عبداً بغير ذنب وإن جاز عقلاً.

قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾... إلخ) لما بين حال المنافقين والمنافقات عاجلاً وآجلاً.. ذكر حال المؤمنين والمؤمنات عاجلاً وآجلاً.

قوله: ﴿أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ﴾ أي: في الدين، وعبر عنهم بذلك دون المنافقين؛ فعبر في شأنهم بـ(من)؛ إشارة إلى أن نسبة المؤمنين في الدين كنسبة القرابة، وأما المنافقون.. فنسبتهم طبيعية نفسانية، فهم جنس واحد.

يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُؤْتُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ

يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُؤْتُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ : لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ عَنْ إِنْجَازِ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، ﴿حَكِيمٌ﴾
لا يَضَعُ شَيْئاً إِلَّا فِي مَحَلِّهِ.

﴿٧٢﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ
طَيِّبٌ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: يُحِبُّونَ لأنفسهم ولإخوانهم، والمعروف: كلُّ ما عرف
في الشرع، وهو: كلُّ خير.

قوله: ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ أي: يَنْفَرُونَ منه، ولا يَرْضُونَ به، والمراد بالمنكر: كلُّ ما خالف
الشرع.

قوله: ﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: باللسان والجنان وسائر الأعضاء.

قوله: ﴿سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ أي: في الدنيا بالإيمان والمعرفة، وفي الآخرة بالخلود في الجنة
ونعيمها، ورضا الله عليهم، وهذه الأوصاف مقابلة لأوصاف المنافقين المتقدمة.

قوله: (عن إنجاز وعده) أي: للمؤمنين والمؤمنات.

قوله: (ووعده) أي: للمنافقين والمنافقات، فهو لفٌّ ونشر مُشَوِّش.

قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ هذا تفصيل لما أجمل في قوله: ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾.

قوله: ﴿جَنَّاتٍ﴾ أي: بساتين لكل مؤمن ومؤمنة، ليس فيها شركة لأحد.

قوله: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي: بأرضها.

قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال من ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

قوله: ﴿وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ﴾ أي: تستطيبها النفوس وتألّفها، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن
سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

فِي جَنَّتِ عَذْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ

فِي جَنَّتِ عَذْنٍ: إقامة، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾: أعظم من ذلك كله، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿٧٢﴾ ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ﴾ بِالسَّيْفِ ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ بِاللِّسَانِ وَالْحُجَّةِ، ﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فِي جَنَّتِ عَذْنٍ﴾ أي: في بساتين إقامة، لا تحول ولا تزول، روي: أنه سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَسَكَنَ طَيْبَةً فِي جَنَّتِ عَذْنٍ﴾ قال: «قصر من لؤلؤة، في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء، في كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء، في كل بيت سبعون سريراً، على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون، على كل فراش زوجة من الحور العين»^(١)، وفي رواية: «في كل بيت سبعون مائدة، على كل مائدة سبعون لوناً من طعام»^(٢).

قوله: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ التَّوْنِينُ لِلتَّقْلِيلِ؛ أي: أقل رضوان يأتيهم من الله أكبر من ذلك كله فضلاً عن أكثره، ورد: أن الله تعالى يقول لأهل الجنة: «هل رَضِيتُمْ؟»، فيقولون: ما لنا لا نرضى وقد أعطينا ما لم تُعْطَ أحداً من خلقك؟، فيقول: «أنا أعطيتكم أفضل من ذاك»، قالوا: وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: «أحلُّ عليكم رضواني؛ فلا أَسْحَطَ عليكم بعده أبداً»^(٣).

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الرضوان.

قوله: ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي: الظفر بالمقصود الذي لا يُضَاهَى.

قوله: (بالسيف) المراد به: جميع آلات الحرب.

قوله: (باللسان والحجة) أي: لا بالسيف؛ لِنُطْقِهِمُ بِالشَّهَادَتَيْنِ، فالمراد بجهادهم: بذل الجهد في نصيحتهم وتخويفهم.

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٨٤٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٢٥٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/١٦٠) عن سيدنا عمران بن حصين وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وَمَا أَوْنَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا

بالانتهار والمقت، ﴿وَمَا أَوْنَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾: المرجع هي.
 ﴿٧٤﴾ ﴿يَخْلِفُونَ﴾ أي: المنافقون ﴿بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ ما بلغك عنهم من السب، ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾: أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام، ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ من الفتك بالنبي ليلة العقبة عند عودِهِ مِنْ تَبُوك، وَهُمْ بَضْعَةُ عَشَرَ رَجُلًا،
 حاشية الصاوي

قوله: (بالانتهار والمقت) المراد به: القتل بالنسبة للكفار، والإهانة والزجر بالنسبة للمنافقين.
 قوله: ﴿وَمَا أَوْنَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ جملة مستأنفة، بيان لعاقبة أمرهم.
 قوله: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ هذا بيان لقبحهم وخباثة باطنهم.
 قوله: ﴿كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ قيل: هي كلمة الجلاس بن سويد؛ حيث قال: إن كان محمد صادقاً فيما يقول.. فنحن شرٌّ من الحمير، وقيل: هي كلمة ابن أبي ابن سلول؛ حيث قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعزُّ منها الأذل^(١).
 قوله: (أظهروا الكفر... إلخ) دفع بذكرها ما يقال: إن ظاهر الآية يقتضي أنهم مُسلمون ثم كفروا بعد ذلك مع أنهم لم يُسلموا أصلاً، فأجاب: بأن المراد: أظهروا الكفر بعد أن أظهروا الإسلام.

قوله: (من الفتك) مثلث الفاء: الأخذ على حين غفلة.
 قوله: (ليلة العقبة) أي: التي بين تبوك والمدينة.
 قوله: (وهم بضعة عشر رجلاً) قيل: اثني عشر، وقيل: أكثر من ذلك، لكن لم يبلغوا العشرين، وقد أجمع رأيهم على أن يفتكوا بالنبي في العقبة؛ ليقع في الوادي فيموت، فأخبره الله بما دبَّروه، فلما وصل إلى العقبة.. نادى منادي رسول الله بأمره: إنَّ رسول الله يريد أن يسلك العقبة؛ فلا يسلكها أحدٌ غيره، واسلكوا يا معشر الجيش بطن الوادي؛ فإنه أسهل لكم وأوسع، فسلك الناس بطن الوادي، وسلك النبي العقبة، وكان ذلك في ليلة مظلمة، فجاء المنافقون وتلثموا وسلكوا

(١) انظر الدر المشور (٤/ ٢٤٠ - ٢٤١).

وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَوَلُوا
يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾

فَضْرَبَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَجُوهَ الرَّاغِلِ لَمَّا غَشَوْهُ فَرُدُّوهُ، ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾: أَنْكَرُوا ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بِالْغَنَائِمِ بَعْدَ شِدَّةِ حَاجَتِهِمْ، الْمَعْنَى: لَمْ يَنْلَهُمْ مِنْهُ إِلَّا هَذَا وَلَيْسَ مِمَّا يُنْقَمُ، ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا﴾ عَنِ النِّفَاقِ وَيُؤْمِنُوا بِكَ، ﴿يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَوَلُوا﴾ عَنِ الْإِيمَانِ ﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾ بِالْقَتْلِ، ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بِالنَّارِ، ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يَحْفَظُهُمْ مِنْهُ، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يَمْنَعُهُمْ.

حاشية الصاوي

العقبة، فلما ازدحموا على رسول الله . . نفرت ناقته حتى سقط بعض متاعه، فصرخ بهم، فولوا مُدْبِرِينَ، وأمر عمار بن ياسر - وقيل: حذيفة - بضرب وجوه رَوَّاحِلِهِمْ، فأنحطوا من العقبة مسرعين إلى بطن الوادي، واختلطوا بالناس، فقال له النبي: «هل عرفت أحداً منهم؟»، قال: لا، كانوا متلثمين والليلة مظلمة، قال: «هم فلان وفلان» حتى عدَّهم، قال: «هل عرفت مرادهم؟»، قال: لا، قال: «إنهم مكروا وأرادوا الفتك بي، وإن الله أخبرني بمكرهم»، فلَمَّا أَصْبَحَ جَمَعَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا مَكْرُوا، فَحَلَفُوا بِاللَّهِ مَا قَالُوا، وَلَا أَرَادُوا، فَتَزَلَّتِ الْآيَةُ ^(١).

ويؤخذ من ذلك: أنهم سافروا مع رسول الله إلى تبوك، وتقدَّم أنهم تخلَّفوا، ويمكن الجمع: بأن البعض سافر، والبعض تخلَّف.

قوله: (فضرب عمار بن ياسر) وقيل: حذيفة.

قوله: ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾ أي: أنكروا أي: ما كرهوا وما عابوا، وفي الآية تأكيد المدح بما يشبه الذم؛ كأنه قيل: ليس له صفة تكره وتُعَابُ إِلَّا إِغْنَاءُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَعْدَ أَنْ كَانُوا فَقَرَاءَ، وَهَذِهِ لَيْسَتْ صِفَةً ذَمًّا؛ فَحَيْثُذ: لَيْسَ لَهُ صِفَةٌ ذَمًّا أَصْلًا.

قوله: (وليس مما ينقم) أي: يُعَابُ وَيَكْرَهُ.

قوله: ﴿وَإِنْ يَسْتَوَلُوا﴾ ^(٢) أي: داموا عليه.

(١) انظر «تفسير الخازن» (٣٧٩/٢).

(٢) في الأصول: (تولوا) بدل (يتولوا).

وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَيْتَ ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾

﴿٧٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَيْتَ ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴿٧٥﴾ - فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد -، ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وهو ثعلبة بن حاطب، سأل النبي ﷺ أن يدعوه لهُ أن يرزقه الله مالاً

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي: المنافقين، وظاهر الآية: أنه حين المعاهدة كان منافقاً، وليس كذلك، بل كان مسلماً صحيحاً، وكان يلزم المسجد والجماعة حتى لقب بحمامة المسجد، فجعله منهم باعتبار ما آل إليه أمره؛ ففيه مجاز الأول.

قوله: ﴿لَيْتَ ءَاتَيْنَا﴾ تفسير لقوله: ﴿عَاهَدَ﴾، واللام موطئة لقسم محذوف، و(إن) شرطية، و﴿ءَاتَيْنَا﴾ فعل الشرط، وجملة ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ جواب القسم، وحذف جواب الشرط لدلالته عليه ولتاخره؛ على حد قول ابن مالك^(١) [الرجز]:

واُحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَمٍ جَوَابَ مَا أُخِّرَتْ فَهُوَ مُلْتَزَمٌ

قوله: (فيه إدغام التاء... إلخ) أي: والأصل: لَنَتَصَدَّقَنَّ، قلبت التاء صاداً، ثم أدغمت في الصاد.

قوله: ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: في صرف المال؛ بأن نصل به الأرحام، ونُنْفِقَ في وجوه البر والخير.

قوله: (وهو ثعلبة بن حاطب) كان أولاً صحابياً جليلاً، ملازماً للجمعة والجماعة والمسجد، ثم رآه النبي يُسْرِعُ بالخروج إثر الصلاة، فقال له رسول الله: «لَمْ تَفْعَلْ فَعَلِ الْمُنَافِقِينَ؟»، فقال: إني افتقرت، ولي ولامرأتي ثوب؛ أجيء به للصلاة، ثم أذهب فأنزعه؛ لئلبسه وتصلي به، فادع الله أن يوسع في رزقي.

وحاصل قصته: أنه جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله؛ ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال رسول الله: «ويحك يا ثعلبة، قليلٌ تؤدِّي شكره خيرٌ من كثير لا تُطيقه»، ثم أتاه بعد ذلك فقال له مثل ذلك، فقال له رسول الله: «أما لك في أسوة حسنة؟ والذي نفسي بيده؛ لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة... لسارت»، ثم أتاه بعد ذلك فقال له: والذي بعثك بالحق؛ لئن رزقني الله مالاً...

(١) «الخلاصة»، باب (عوامل الجزم).

وَيُؤَدِّي مِنْهُ كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَدَعَا لَهُ فَوُسِّعَ عَلَيْهِ، فَانْقَطَعَ عَنِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ وَمَنَعَ الزَّكَاةَ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

حاشية الصاوي

لأعطينَ كلَّ ذي حقٍّ حَقَّهُ، فقال رسول الله: «اللهم ارزق ثعلبة مالا»، فاتخذ غنماً فَنَمَتَ كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة، فتنحَّى عنها، فنزل وادياً من أوديتها وهي تنمو كما ينمو الدود، وكان يصلي مع رسول الله الظهر والعصر، ويصلي في غنمه سائر الصلوات، ثم كثرت ونَمَتَ حتى تباعد عن المدينة، فصار لا يشهد إلا الجمعة، ثم كثرت ونَمَتَ حتى تباعد عن المدينة، فصار لا يشهد جمعة ولا جماعة، فكان إذا كان يوم الجمعة.. يتلقى الناس يسألهم عن الأخبار، فذكره رسول الله ذات يوم، فقال: «ما فعل ثعلبة؟»، فقالوا له: يا رسول الله، اتخذ ثعلبة غنماً ما يسعها واد، فقال رسول الله: «يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة»، فلما نزلت آية الصدقة.. بعث رسول الله رجلاً من بني سليم ورجلاً من بني جُهينة، وكتب لهما أسنان الصدقة، وكيف يأخذانها، وقال لهما: «مرّاً على ثعلبة بن حاطب، وعلى رجل من بني سليم، فخذوا صدقاتهما»، فخرجا حتى أتيا ثعلبة، فسألاه الصدقة، وقرأ عليه كتاب رسول الله، فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إليّ، فانطلقا، وسمع بهما السليمي، فنظر إلى خيار أسنان إبله، فعزلها للصدقة، ثم استقبلهما بها، فلمّا رأياه.. قالوا: ما هذا عليك، قال: خُذاه؛ فإن نفسي بذلك طيبة، فمرّاً على الناس، وأخذوا الصدقات، ثم رجعا إلى ثعلبة، فقال: أرؤني كتابكما، فقرأه فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، اذهبا حتى أرى رأيي، فانطلقا، فلما رآهما رسول الله.. قال قبل أن يتكلما: «يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة»، ثم دعا للسليمي بخير، فأخبراه بالذي صنع ثعلبة، فنزلت الآية^(١).

قوله: (ويؤدي منه... إلخ) الجملة حالية من فاعل (سأل).

قوله: (فدعا له) أي: في المرة الثالثة.

قوله: (فوسّع عليه) أي: بأن رزق غنماً، فصارت تنمو كالود.

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢١٨/٨) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه، وانظر «إتحاف السادة المتقين» (٢٢٦/٨).

فَلَمَّا ءَاتَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا

﴿٧٦﴾ ﴿فَلَمَّا ءَاتَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا﴾ عن طاعة الله ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾.

﴿٧٧﴾ ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ أي: فصير عاقبتهم ﴿نِفَاقًا﴾ ثابِتًا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ أي: الله، وهو يوم القيامة، ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ فيه، فجاء بعد ذلك إلى النبي ﷺ بَرَكَاتِهِ فقال: «إِنَّ اللَّهَ مَنَعَنِي أَنْ أَقْبَلَ مِنْكَ»، فجعل يحثو التراب على رأسه، ثم جاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها، ثم إلى عمر فلم يقبلها، ثم إلى عثمان فلم يقبلها، ومات في زمانه.

﴿٧٨﴾ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ أي: المنافقون

حاشية الصاوي

قوله: ﴿بَخِلُوا بِهِ﴾ أي: حيث منع الزكاة لما جاءه السُّعَاة لأخذها، وقال: (ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية).

قوله: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا﴾ أي: فأورثهم البخل نفاقاً متمكناً في قلوبهم.

قوله: ﴿إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ غاية لتمكن النفاق في قلوبهم، وحكمة الجمع في هذه الضمائر مع أن سبب نزولها في شخص واحد: الإشارة إلى أَنَّ حكم هذه الآية باقٍ لكلِّ مَنْ اتصف بهذا الوصف مِنْ أول الزمان لآخره، وليس مخصوصاً بثعلبة.

قوله: ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ﴾ الباء: سببية، و(ما) مصدرية، والمعنى: ذلك بسبب إخلافهم الله الوعد، ورد: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أُوْتِمِن خان»^(١).

قوله: (فجاء بعد ذلك) أي: غير تائب في الباطن، وإنما ذلك خوفاً من أن يحكم برِدَّتِهِ؛ فيقتل ويؤخذ ماله كله، ففعله ذلك لأجل حفظ دمه وماله، لا توبة من ذنبه، وإلا . . . لقبه الله.

قوله: (يحثو التراب) أي: يهيله على رأسه.

قوله: (ثم جاء إلى أبي بكر) أي: في خلافته، وكذا في خلافة عمر وعثمان.

قوله: (أي: المنافقون) أي: لا بقيد كونهم الذين عاهدوا الله؛ لأنَّ آيتهم قد انقضت بقوله:

﴿يَكْذِبُونَ﴾.

(١) رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ

﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾: ما أسروه في أنفسهم ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾: ما تناجوا به بينهم،
﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾: ما غاب عن العيان؟

﴿٧٩﴾ وَلَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ جَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: مُرَاءٍ،
وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ فَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا، فنزل: ﴿الَّذِينَ﴾ - مُبْتَدَأٌ -
﴿يَلْمِزُونَ﴾: يَعْيبُونَ

حاشية الصاوي

قوله: (ما أسروه) أي: أخفوه.

قوله: (ما غاب عن العيان) أي: بالنسبة للعباد، لا بالنسبة لله؛ فإنَّ الكل عنده عيان، وليس شيء غائباً عن علمه سبحانه وتعالى.

قوله: (جاء رجل) هو عبد الرحمن بن عوف، جاء بأربعة آلاف درهم، وقال: كان لي ثمانية آلاف، فأقرضت ربي أربعة؛ فاجعلها يا رسول الله في سبيل الله، وأمسكت لعيالي أربعة، فقال له النبي: «بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت»، فبورك له حتى صولحت إحدى زوجاته الأربع بعد وفاته عن ربع الثمن بثمانين ألفاً، وأعتق من الرقاب ثلاثين ألفاً، وأوصى بخمسين ألف دينار، وبألف فرس في سبيل الله، وأوصى لمن بقي من البدرين إذ ذاك - وكان الباقي مئة - لكلٍّ منهم بأربع مئة دينار، وأوصى لأمهات المؤمنين بحديقة يبعث بأربع مئة ألف. ^(١)

قوله: (وجاء رجل فتصدق بصاع) أي: وهو أبو عقيل الأنصاري، جاء بصاع تمر وقال: بتُّ ليلتي أجرًا بالجري - أي: الحبل الذي يستقى به - الماء، وكان أجيراً يسقي الزروع بالماء من البئر، قال: وكانت أجرتي صاعين من تمر، فتركت صاعاً لعيالي، وجئتُ بصاع، فأمره النبي أن ينثره على الصدقات ^(٢).

قوله: (فقالوا: إن الله لغني... إلخ) وإنما أتى به؛ تعريضاً بفقره؛ ليعطى من الصدقات.

قوله: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾ (مبتدأ، خبره جملة ﴿سَخَّرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾)، و(الذين لا يجدون) عطف على ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾، وقوله: ﴿فَيَسْخَرُونَ﴾ عطف على قوله: ﴿يَلْمِزُونَ﴾.

(١) رواه البزار في «مسنده» (٢٣٤/١٥)، وانظر «تفسير الخازن» (٣٨٩/٢).

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٣٨٩/٢)، وأصله في «البخاري» (٤٦٦٨)، و«مسلم» (١٠١٨) عن سيدنا أبي مسعود رضي الله عنه.

الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ
سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ
مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ

﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾: الْمُتَنَفِّلِينَ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾:
طاعتهم فيأتون به، ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾، والخبر: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾: جازاهم على سُخْرِيَّتِهِمْ
﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿٨٠﴾ ﴿أَسْتَغْفِرَ﴾ يا مُحَمَّد ﴿لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ تَخْيِيرٌ لَهُ فِي الاستِغْفَارِ وَتَرْكِه،
قَالَ ﷺ: «إِنِّي خَيْرْتُ فَاخْتَرْتُ» يَعْنِي الاستِغْفَارَ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ
مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ قِيلَ: الْمُرَادُ بِالسَّبْعِينَ الْمُبَالِغَةُ فِي كَثْرَةِ الاستِغْفَارِ، وَفِي «الْبُخَارِيِّ»
حَدِيثٌ: «لَوْ أَعْلَمَ أَنِّي لَوْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ غُفْرًا، لَزِدْتُ عَلَيْهَا»، وَقِيلَ: الْمُرَادُ الْعَدَدُ
الْمَخْصُوصُ لِحَدِيثِهِ أَيْضًا: «وَسَأَزِيدُ عَلَى السَّبْعِينَ»، فَبَيْنَ لَهُ حَسْمُ الْمَغْفِرَةِ بِآيَةٍ: ﴿سَوَاءٌ
عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦]،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾ (أصله: (المتطوعين)، أبدلت التاء طاء، ثم أُدغمت في الطاء.

قوله: ﴿إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ (الجهد: الشيء اليسير الذي يعيش به المُقِلُّ).

قوله: ﴿أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ﴾... إلخ) خبرٌ جيء به في صورة الأمر، والمعنى: استغفارُك لهم وعدمه
سواءً.

قوله: (قال ﷺ) دليلٌ على التخيير.

قوله: (قيل: المراد بالسبعين... إلخ) هذا بناء على أن العدد لا مفهوم له.

قوله: (غفر) جواب (لو) الثانية، وقوله: (لزدت) جواب (لو) الأولى.

قوله: (وقيل: المراد... إلخ) بناء على أن العدد له مفهوم.

قوله: (لحديثه) أي: البخاري^(١)، قوله: (حسم المغفرة) أي: قطعها.

(١) «صحيح البخاري» (٤٦٧٠) عن سيدنا ابن عمر ؓ.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿٨١﴾ ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن تبوك ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي: بِقُعُودِهِمْ ﴿خَلْفَ﴾ أي: بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا ﴿أَي: قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تَنْفِرُوا﴾: تَخْرُجُوا إِلَى الْجِهَادِ ﴿فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ مِنْ تَبُوكَ، فَالْأَوَّلَى

حاشية الصاوي.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: عدم المغفرة لهم.

قوله: ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ الباء سببية، و(أَنْ) مصدرية، والتقدير: بسبب كفرهم.

قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: لا يُوصِلهم لما فيه رضاه.

قوله: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ جمع مخلف، اسم مفعول، والفاعل: الكسل؛ أي: الذين خلفهم الكسل، وكانوا اثني عشر.

قوله: (أي: بعد) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿خَلْفَ﴾ ظرفُ زمان، أو مكان، ويصحُّ أن يكون مصدرًا بمعنى: مخالفة، والمعنى على الأول: فرحوا بقعودهم في خلاف رسول الله؛ أي: بعد سفره، أو بمكانه الذي سافر منه، وعلى الثاني: فرحوا بمخالفة رسول الله حيث اتصفوا بالقعود، واتصف هو بالسفر.

قوله: ﴿وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا﴾ (أَنْ) وما دخلت عليه: في تأويل مصدر مفعول (كرهوا)، والمعنى: كرهوا الجهاد؛ لأن الإنسان بطبعه ينفر من إتلاف النفس والمال، سيِّما مَنْ ينكر الآخرة.

قوله: ﴿وَقَالُوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض.

قوله: ﴿لَا تَنْفِرُوا﴾ أي: إلى تبوك؛ لأنها كانت في شدة الحرِّ والقحط.

قوله: ﴿أَشَدُّ حَرًّا﴾ أي: لأن حرَّ الدنيا يزول ولا يبقى، وحرَّ جهنم دائم لا يفتر عنهم، وهم فيه مبلسون؛ فمن أثر الشهوات على ما يرضي مولاه.. كان مأواه جهنم، ومن أثر رضا ربِّه على شهوته.. كان مأواه الجنة؛ ولذا ورد: «حُفَّتِ الجنة بالمكاره، وحُفَّتِ النار بالشهوات»^(١).

(١) رواه مسلم (٢٨٢٢) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخُلَفَاءِ ﴿٨٣﴾

أَنْ يَتَّقُوهَا بِتَرْكِ التَّخَلُّفِ، ﴿لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾: يَعْلَمُونَ ذَلِكَ مَا تَخَلَّفُوا.

﴿٨٢﴾ ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ فِي الدُّنْيَا، ﴿وَلْيَبْكُوا﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ خَبَرٌ عَنْ حَالِهِمْ بِصِغَةِ الْأَمْرِ.

﴿٨٣﴾ ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ﴾: رَدَّكَ ﴿اللَّهُ﴾ مِنْ تَبُوكَ ﴿إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾ مِمَّنْ تَخَلَّفَ بِالْمَدِينَةِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، ﴿فَاسْتَدْنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ مَعَكَ إِلَى غَزْوَةٍ أُخْرَى ﴿فَقُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخُلَفَاءِ﴾: الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الْغَزْوِ

حاشية الصاوي

قوله: (ما تخلفوا) جواب (لو).

قوله: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ أي: بالنسبة ليكاء الآخرة وإن كان في نفسه كثيراً.

قوله: ﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ أي: على ما فاتهم من النعيم الدائم، وَرَدَّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! ابْكُوا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَبْكُوا... فَنَبَاكُوا؛ فَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَبْكُونَ فِي النَّارِ حَتَّى تَسِيلَ دُمُوعُهُمْ فِي وَجُوهِهِمْ كَأَنَّهُمْ جَدَاوِلُ، حَتَّى تَنْقُطَعَ الدَّمُوعُ فَتَسِيلَ الدَّمَاءُ، فَتَقْرَحَ الْعَيُونُ؛ فَلَوْ أَنَّ سُفْنًا أُجْرِيتَ فِيهَا... لَجَرَتْ»^(١).

قوله: ﴿جَزَاءً﴾ إما مفعول لأجله، أو مصدر منصوب بفعل مُقَدَّر تقديره: يَجْزُونَ جَزَاءً.

قوله: (خبر عن حالهم) أي: العاجل والآجل، وإنما جيء به على صورة الأمر؛ إشارةً إِلَى أَنَّهُ لَا يَتَخَلَّفُ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ الْمَطَاعَ مِمَّا لَا يَكَادُ يَتَخَلَّفُ عَنْهُ الْمَأْمُورُ.

قوله: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ﴾ خطاب للنبي ﷺ بعدم جمعهم معه في مشاهد الخير بعد ذلك، وَيُؤْخَذُ مِنْ ذَلِكَ: أَنَّ أَهْلَ الْفُسُوقِ وَالْعَصِيَانِ لَا يِرَافِقُونَ وَلَا يُشَاوِرُونَ.

قوله: (ممن تخلف) بيان للضمير في ﴿مِنْهُمْ﴾، قوله: (من المنافقين) بيان للطائفة.

قوله: ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: وهو الخروج لِعِزَّةِ تَبُوكَ.

(١) رواه أبو يعلى في «مُسْنَدِهِ» (١٦١/٧) عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَعْجَبْ أَمْوَلُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَ بِهِمَ فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ

مِنَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ وَغَيْرِهِمْ.

﴿٨٤﴾ وَلَمَّا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ابْنِ أَبِي نَزَلَ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ لِذَفْنٍ أَوْ زِيَارَةٍ، ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾: كَافِرُونَ.

﴿٨٥﴾ وَلَا تَعْجَبْ أَمْوَلُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَ بِهِمَ فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ: تَخْرُجَ

حاشية الصاوي

قوله: (وغيرهم) أي: كالمرضى.

قوله: (على ابن أبي) اسمه: عبد الله، وأبي: اسم أبيه، وسلول: اسم أمه، وكان رئيس الخزرج، وكان له ولد مسلم صالح، فدعا النبي ﷺ ليصلي عليه، وسأله أن يكفنه في قميصه، ففعل، ويروى: أن النبي ﷺ كُلَّمَا فَعَلَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي، فَقَالَ ﷺ: «وَمَا يُغْنِي عَنْهُ قَمِيصِي وَصَلَاتِي مِنَ اللَّهِ؟ وَاللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يُسَلِّمَ بِهِ أَلْفٌ مِنْ قَوْمِهِ»، ويروى: أنه أسلم ألف من قومه لما رأوه يتبرك بقميص النبي ﷺ^(١).

قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ صفة لـ ﴿أَحَدٍ﴾، وكذا قوله: ﴿مَاتَ أَبَدًا﴾.

قوله: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ أي: لا تتولّد دفنه.

قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ علّة لما قبله، ولما نزلت هذه الآية.. ما صلى على منافق، ولا قام على قبره بعدها^(٢).

قوله: (كافرون) أي: وإنما عبّر عنهم بالفسق؛ إشارة إلى أن الكافر قد يكون عدلاً في دينه، بخلاف الفاسق، فأفعاله خبيثة لا ترضي أحداً، وليس له دين يقرّ عليه، فعبر عنهم بالفسق بعد التعبير عنهم بالكفر؛ إشارة إلى أنهم جمعوا بين الوصفين: الكفر، وخسة الطبع.

قوله: ﴿وَلَا تَعْجَبْ أَمْوَلُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ﴾... إلخ (الحكمة في تكرارها: المبالغة في التحذير من هذا الشيء الذي وقع الاهتمام به، وعبر في الآية الأولى بالفاء، وهنا بالواو؛ لأنّ ما سبق له تعلّق بما قبله، فحسن العطف، بخلاف ما هنا فلا تعلّق له بما قبله، وأتى بـ (لا) فيما تقدّم، وأسقط من هنا؛

(١) انظر الدر المنثور (٢٥٩/٤)، وتفسير الخازن (٣٩٣/٢).

(٢) رواه البخاري (٥٧٩٦)، ومسلم (٢٧٧٤)، عن سيدنا عبد الله بن عمر ؓ.

أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ
أُولُوا الطَّلُوفِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَمَعَ
عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾

﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

﴿٨٦﴾ ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ أي: طائفة من القرآن ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ
رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّلُوفِ﴾: ذوو الغنى ﴿مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾.

﴿٨٧﴾ ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ جمع خالفة، أي: النساء اللاتي تحلفن
في البيوت، ﴿وَطَمَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الخير.

حاشية الصاوي

اعتناء بنفي الأولاد هناك، وبين هنا أنهم سواء، وأتى باللام في ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ هناك، وب(أن) هنا؛
إشارة إلى أن اللام بمعنى (أن)، وليست للتعليل، وأتى فيما تقدم بـ(الحياة)، وهنا بإسقاطها؛ إشارة
إلى خسة حياة الدنيا حيث لا تستحق أن تذكر، وقال هناك: (كارهون)^(١)، وهنا: (كافرون)؛ إشارة
إلى أنهم يعلمون كفرهم قبل موتهم، ويشاهدون الأماكن التي أعدت لهم في نظيره؛ فمن حيث تلك
المشاهدة.. تزهق أرواحهم وهم كافرون كارهون، بخلاف المؤمن؛ فإنه يشهد مقعده في الجنة،
ولا تخرج روحه إلا وهو كارهٌ للدنيا، محبٌ للآخرة.

قوله: ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ الجملة حالية.

قوله: (أي: طائفة من القرآن) أي: سواء كانت تلك الطائفة سورة كاملة أو بعضها.

قوله: (ذوو الغنى) أي: السعة من المال، وقيل: الرؤساء، وخُصُّوا بالذكر؛ لأنهم قادرون
على السفر، وتركوه نفاقاً؛ إذ العاجز لا يحتاج لاستئذان.

قوله: ﴿وَقَالُوا﴾ عطف على ﴿اسْتَأْذَنَكَ﴾.

قوله: (أي: النساء) ويصح أن يراد بهن: الرجال الذين لا خير فيهن؛ من قولهم: (رجلٌ خالفة)
أي: لا خير فيه.

(١) لا يفوتك أن كلمة (كارهون) في الآية السابقة للآية المشار إليها.

لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ

﴿٨٨﴾ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ﴿٨٨﴾ في الدنيا والآخرة ﴿٨٨﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أي: الفائزون.

﴿٨٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾

﴿٩٠﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ ﴿٩٠﴾ - بِإِدْغَامِ التَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الذَّالِ - أي: الْمُعْتَذِرُونَ بِمَعْنَى الْمَعْذُورِينَ، وَقُرِئَ بِهِ، ﴿مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ فِي الْقُعُودِ لِعُذْرِهِمْ، فَأُذِنَ لَهُمْ، ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فِي ادِّعَاءِ الْإِيمَانِ مِنْ مُنَافِقِي الْأَعْرَابِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ﴾ استدراك على ما قد يتوهم أن كسل هؤلاء جرَّ غيرهم.

قوله: (الخيرات في الدنيا والآخرة) أي: بالنصر والغنيمة، والجنة والكرامة.

قوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ﴾ أي: هيأ وأحضر، ويؤخذ من ذلك: أن الجنة موجودة الآن.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الجنة المستفادة من قوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾.

قوله: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ أي: الطالبون قبول العذر، وهذا شروع في ذكر أحوال منافقي

الأعراب بعد بيان أحوال منافقي المدينة.

قوله: (بإدغام التاء في الأصل) وأصله: (المعتذرون) أبدلت التاء ذالاً وأدغمت في الذال،

وقيل: إنه لا أصل له، بل هو جمع (معذر) بالتشديد، بمعنى: متكلف العذر كذباً وليس بمعذور.

قوله: ﴿مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ أي: سكان البوادي الناطقون بالعربية، والعربي: من نطق بالعربية

مطلقاً، سكن البوادي أم لا، فهو أعثم من الأعراب.

قوله: ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: فهم فريقان: فريق جاء واعتذروا لرسول الله كذباً،

وهم أسد وغطفان، اعتذروا بالجهد وكثرة العيال؛ وفريق لم يأت أصلاً. ﴿وَكَذَبُوا﴾ بالتخفيف

باتفاق السبعة، وقُرِئَ شُذُوداً بالتشديد^(١).

(١) قرا أبي الحسن في المشهور عنه، ونوح وإسماعيل: (كذبوا) بالتشديد. انظر «البحر المحيط» (٥/٤٨٢).

سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُوثُ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ.....

عن المَجِيءِ لِلْإِعْتِذَارِ، ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿٩١﴾ ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾ كَالشُّيُوخِ ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ كَالْعُمَى وَالزَّمْنَى ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُوثُ مَا يَنْفِقُونَ﴾ فِي الْجِهَادِ ﴿حَرَجٌ﴾: إِثْمٌ فِي التَّخَلُّفِ عَنْهُ، ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فِي حَالِ قُعُودِهِمْ بَعْدَ الْإِرْجَافِ وَالشَّيْطِ وَالطَّاعَةِ،.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: استمرُّوا عليه، وأتى بـ(من)؛ إشارة إلى أن بعضهم أسلم، وهو كذلك.

قوله: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الدنيا بالقتل والأسر، والآخرة بالخُلُود في النار.

قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾ هذا تخصيص لقوله فيما تقدم: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾، والضعفاء: جمع ضعيف، وهو: ضعيف البنية، النحيف.

قوله: ﴿كَالشُّيُوخِ﴾ أي: والنساء والصبيان.

قوله: ﴿وَالزَّمْنَى﴾ من: الزمانة، وهي: العجز والابتلاء.

قوله: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُوثُ مَا يَنْفِقُونَ﴾ أي: لِفَقْرِهِمْ وَعَجْزِهِمْ كَجَهِينَةٍ وَمَزِينَةٍ وَبَنِي عَذْرَةٍ.

قوله: ﴿حَرَجٌ﴾ اسم ﴿لَيْسَ﴾، حذف من الأولين؛ لدلالة الثالث عليه.

قوله: ﴿إِذَا نَصَحُوا﴾ شرط في قوله: ﴿حَرَجٌ﴾، والمعنى: ليس على هؤلاء حرج وقت نصحتهم لله ورسوله.

قوله: ﴿بَعْدَ الْإِرْجَافِ﴾ أي: إثارة الفتن.

قوله: ﴿وَالشَّيْطِ﴾ أي: تكسيل من أراد الخروج.

قوله: ﴿وَالطَّاعَةِ﴾ معطوف على ﴿بَعْدَ الْإِرْجَافِ﴾، والمعنى: أن نصحتهم كائن بالطاعة لله

ورسوله؛ بأن يخلصوا الإيمان، ويسعوا في إيصال الخير إلى المجاهدين، ويقوموا بمصالح بيوتهم، وبعدم إثارة الفتن، وبعدم تكسيل غيرهم، بل لينشطوا ويرغبوا في الجهاد، وينهوا من أراد التخلف.

مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِذْ مَا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ

﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ بذلك ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾: طريق بالمُواخَذَةِ، ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لَهُمْ، ﴿رَحِيمٌ﴾ بِهِمْ فِي التَّوْبَةِ فِي ذَلِكَ.

﴿٩٢﴾ ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ مَعَكَ إِلَى الْغَزْوِ وَهُمْ سَبْعَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَقِيلَ: بَنُو مُقَرَّنٍ، ﴿قُلْتَ لَا أَحِذْ مَا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾﴾ إنما أظهر في مقام الإضمار؛ إشارة إلى انتظامهم بنصحهم في سبيل المحسنين، و﴿مِنْ﴾ زائدة للتأكيد، والجار والمجرور خبر مقدم، و﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ مبتدأ مؤخر، ويصح أن يكون فاعلاً بالجار والمجرور؛ لاعتِماده على النفي.

قوله: ﴿﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ﴾﴾ أي: ليس عليهم سبيل.

قوله: ﴿﴿إِذَا مَا أَتَوْكَ﴾﴾ (ما) إذا وقعت بعد (إذا) تكون صلة.

قوله: ﴿﴿إِلَى الْغَزْوِ﴾﴾ أي: وهي غزوة تبوك.

قوله: (وهم سبعة من الأنصار) أي: ويقال لهم: البكاؤون، فحمل العباس منهم اثنين، وعثمان ثلاثة زيادة على الجيش الذي جهَّزه، وحمل يامين بن عمرو النضري اثنين^(١).

قوله: (وقيل: بنو مقرن) أي: وكانوا ثلاثة إخوة: معقل، وسويد، والنعمان، وقيل: هم أصحاب أبي موسى الأشعري، وقد كان حلف ألا يحملهم، ثم أتى له ﷺ ببابل من السبي، فأرسل إليهم ليحملوا عليها، فقالوا: لا نركب حتى نسأل رسول الله؛ فإنه قد حلف ألا يحملنا، فلعله نسي اليمين، فجاءه فقال ما معناه: «لا أرى خيراً مما حلفت عليه إلا فعلته»^(٢)، ومثل هذه اليمين لا تكفر عند مالك؛ لوجود بساط اليمين حين الحلف، فكان يمينه مقيدة بعدم وجود ما يحملهم عليه، وتكفر عند الشافعي^(٣).

قوله: ﴿﴿قُلْتَ لَا أَحِذْ﴾﴾ أي: ليس عندي ما تحملون عليه، وفي هذا التعبير مزيد لطف بهم.

(١) انظر «سبل الهدى والرشاد» (٥/٤٣٩ - ٤٤٠).

(٢) رواه البخاري (٣١٣٣)، ومسلم (١٦٤٩) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) انظر «بلغة السالك لأقرب المسالك» (٢/٢٠٥)، و«منهاج الطالبين» (ص ٣٢٧).

تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضٌ مِّنَ الدَّمَاعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ

- حال - ﴿تَوَلَّوْا﴾ - جواب ﴿إِذَا﴾ - أي: انصرفوا ﴿وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضٌ﴾ تسيل ﴿مِنْ﴾ - للبيان - ﴿الدَّمَاعِ حَزَنًا﴾ لأجل ﴿أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ في الجهاد.
 ﴿٩٢﴾ ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ﴾ في التَّخَلُّفِ ﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، تقدّم مثله.
 ﴿٩٣﴾ ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ في التَّخَلُّفِ ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من الغزو،

حاشية الصاوي

قوله: (حال) أي: من الكاف في ﴿أَتَوَكَّ﴾، ويصح أن تكون هي الجواب، وجملة ﴿تَوَلَّوْا﴾ مستأنفة واقعة في جواب سؤال مُقَدَّر، تقديره: فماذا حصل لهم؟
 قوله: ﴿وَأَعْيُنُهُمْ﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿تَوَلَّوْا﴾.
 قوله: (للبیان) أي: لجنس الفاض.
 قوله: ﴿أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ أشار المفسر إلى أنه مفعول لأجله، والعامل فيه ﴿حَزَنًا﴾ الواقع مفعولاً له أو حالاً.
 قوله: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ أي: طريق العقاب.
 قوله: ﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿يَسْتَأْذِنُوكَ﴾.
 قوله: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ إما مستأنف، أو حال و(قد) مقدرة.
 قوله: (تقدّم مثله) أي: فذكره هنا للتأكيد، وعبر هنا بالعلم، وهناك بالفقه؛ إشارة إلى أن معناه واحد؛ إذ الفقه هو العلم، والعلم هو الفقه.
 قوله: ﴿يَعْتَذِرُونَ﴾ أي: المتخلفون بالباطل والأكاذيب، استئناف لبيان اعتذارهم عند العود إليهم، روي: أنهم كانوا بضعة وثمانين رجلاً، فلما رجع رسول الله ﷺ. جاؤوا يعتذرون إليه وإلى أصحابه بالباطل^(١).

(١) رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩) عن سيدنا كعب بن مالك ؓ.

قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَنْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّوْنَ إِلَىٰ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا أُنْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ﴾: نُصَدِّقُكُمْ ﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَنْبَارِكُمْ﴾ أي: أَخْبَرْنَا بِأَحْوَالِكُمْ، ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّوْنَ﴾ بِالْبَعْثِ ﴿إِلَىٰ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: الله، ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ.
 ﴿٩٥﴾ ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا أُنْقَلَبْتُمْ﴾: رَجَعْتُمْ ﴿إِلَيْهِمْ﴾ مِنْ تَبُوكَ أَنَّهُمْ مَعْدُورُونَ فِي التَّخَلُّفِ؛ ﴿لِنُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ بِتَرْكِ الْمُعَاتَبَةِ، ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ﴾: قَدَّرَ لِخُبْثِ بَاطِنِهِمْ، ﴿وَمَآوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا﴾ (أي: جواباً لهم).

قوله: ﴿لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ (تعليل للنهي، وقوله: ﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ﴾) عِلَّةٌ لِلْعَلَّةِ.

قوله: ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ (السيي، ومفعول (يرى) الثاني محذوف، تقديره: مستمرًا، والمعنى: سيظهر تعلق علمه بأعمالكم لعباده).

قوله: (أي: الله) أشار بذلك إلى أنه إظهار في موضع الإضمار؛ زيادةً في التشديد عليهم.

قوله: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (أي: بعملكم، أو بالذي كنتم تعملونه).

قوله: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ تأكيدٌ لعذرهم بالكذب.

قوله: (أنهم معذورون في التخلف) هذا هو المحلوف عليه.

قوله: ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ (أي: غير راضين بفعلهم).

قوله: ﴿إِنَّهُمْ رَجِسٌ﴾ (علة لقوله: ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾).

يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ
رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ

﴿٩٦﴾ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ أي: عَنْهُمْ، وَلَا يَنْفَعُ رِضَاكُمْ مَعَ سَخَطِ اللَّهِ.

﴿٩٧﴾ الْأَعْرَابُ: أَهْلُ الْبَدْوِ ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ مِنْ أَهْلِ الْمُدُنِ؛ لِجَفَائِهِمْ وَغِلَظِ
طَبَاعِهِمْ وَبُعْدِهِمْ عَنِ سَمَاعِ الْقُرْآنِ، ﴿وَأَجْدَرُ﴾: أَوْلَى ﴿أَنْ﴾ أَي: بِأَنْ ﴿لَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ مِنْ الْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِخَلْقِهِ، ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي صُنْعِهِ
بِهِمْ.

﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿مَغْرَمًا﴾: غَرَامَةً وَخُسْرَانًا؛ لِأَنَّهُ
لَا يَرْجُو ثَوَابَهُ، بَلْ يُنْفِقُهُ خَوْفًا، وَهُمْ بَنُو أَسَدٍ وَغُطَفَانٍ، ﴿وَيَتَرَبَّصُّ﴾: يَنْتَظِرُ
حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ شرط حذف جوابه؛ لدلالة قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ...﴾ إلخ،
أشار له المفسر بقوله: (ولا ينفع رضاكم... إلخ).

قوله: (أي: عنهم) أشار بذلك إلى أن المقام للإضمار، وإنما أظهر؛ زيادة في التشنيع والتقبيح
عليهم؛ بحيث وصفهم بالخروج عن الطاعة.

قوله: ﴿الْأَعْرَابُ﴾ أي: جنسهم، وهو: اسم جمع لا جمع (عرب)؛ لثلاث يلزم عليه كون
الجمع أخص من مفردة؛ فإن الأعراب: سكان البوادي، والعرب: المتكلمون باللغة العربية، سكنوا
البوادي أم لا.

قوله: (لجفائهم) علة لقوله: ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾.

قوله: (من الأحكام والشرائع) بيان للحدود.

قوله: (لأنه لا يرجو ثوابه) أي: لعدم إيمانه بالآخرة، وهو تعليل للاتخاذ المذكور.

قوله: ﴿وَيَتَرَبَّصُّ﴾ عطف على ﴿يَتَّخِذُ﴾.

يَكُ الدَّوَائِرُ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ

﴿يَكُ الدَّوَائِرُ﴾ دوائر الزَّمان أن تَنْقَلِبَ عَلَيْكُمْ فَيَتَخَلَّصَ، ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ - بِالضَّمِّ
والفتح - أي: يَدُورُ الْعَذَابُ وَالْهَلَاكُ عَلَيْهِمْ لَا عَلَيْكُمْ، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِأَقْوَالِ عِبَادِهِ،
﴿عَلِيمٌ﴾ بِأَفْعَالِهِمْ.

﴿٩٩﴾ ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ كَجَهَنَّةَ وَمُزِينَةً، ﴿وَيَتَّخِذُ مَا
يُنْفِقُ﴾ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿قُرْبَتٍ﴾ تُقَرِّبُهُ
حاشية الصاوي

قوله: ﴿الدَّوَائِرُ﴾ جمع دائرة، وهي: ما يحيط بالإنسان من المصائب.

قوله: (فيتخلصوا) أي: من الإنفاق.

قوله: (بالضم والفتح) أي فهما قراءتان سبعيتان^(١)، وهذا دعاء عليهم بنظير ما أرادوه
للمسلمين.

قوله: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ﴾... إلخ اعلم: أن الأعراب أقسام: منهم المنافقون وقد تقدّم ذكرهم
في قوله: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾... إلخ، ومنهم مؤمنون وقد ذكروا هنا.

قوله: (كجهنة ومزينة) أي: وكغفار وأسلم، قبائل عظام.

قوله: ﴿وَيَتَّخِذُ﴾ مضارع ينصب مفعولين: الأول: الاسم الموصول، والثاني: ﴿قُرْبَتٍ﴾
أي: على حذف مضاف؛ أي: سَبَبَ قُرْبَاتٍ، وقوله: ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ ظرف متعلق بمحذوف صفة
لـ ﴿قُرْبَتٍ﴾، وقوله: ﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ معطوف على ﴿قُرْبَتٍ﴾ أي: وسبب صلوات الرسول.

قوله: ﴿قُرْبَتٍ﴾ بضم الراء باتفاق السبعة، جمع (قربة) بضم الراء وسكونها؛ فعلى الضم:
الامر ظاهر، وعلى السكون: فضمُّ راء الجمع للإتباع لضمِّ قافه، أو جمعاً لمضموم الراء، وقد قرئ
بهما في السبع^(٢). ومعنى كونها قُرْبَاتٍ: أنها تُقَرِّبُ الْعَبْدَ لِرِضَا اللَّهِ عَلَيْهِ، وليس معناه: أن الله
في مكان، وتلك النفقة تُقَرِّبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ؛ فإنه مستحيل، تعالى الله عنه.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالضم، والباقون بالفتح. انظر «الدر المصون» (٦/١٠٥).

(٢) قرأ ورش: (قربة) برفع الراء، والباقون بالسكون. انظر «السراج المنير» (١/٦٤٤)، وقد شطب في (أ) على قوله:

(وقد قرئ بهما في السبع)، والمثبت من (ز).

عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ.....

﴿عِنْدَ اللَّهِ وَ﴾ وسيلة إلى ﴿صَلَوَاتِ﴾: دَعَوَاتِ ﴿الرَّسُولِ﴾ له، ﴿أَلَا إِنَّهَا﴾ أي: نَفَقَتَهُمْ ﴿قُرْبَةٌ﴾ - بِضَمِّ الرَّاءِ وَسُكُونِهَا - ﴿لَّهُمْ﴾ عِنْدَهُ، ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾: جَنَّتِهِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ، ﴿رَحِيمٌ﴾ بِهِمْ.

﴿١٠٠﴾ ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ أي: دَعَوَاتِهِ؛ لأنه الوسطة العظمى في كلِّ نعمة؛ فتجب ملاحظته في كلِّ عمل لله؛ لأنَّ الله تعبَّدنا بالتوسل به، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَصِلُ لِرِضَا اللَّهِ بِدُونِ اتِّخَاذِهِ ﷺ واسطةً ووسيلةً بينه وبين الله تعالى.. ضلَّ سعيه، وخاب رأيه، قال العارف ابن مشيش: (ولا شيء إلا وهو به منوط؛ إذ لولا الوسطة.. لذهب - كما قيل - الموسوط) ^(١)، وقال بعضهم ^(٢): [السريع]

وَأَنْتَ بَابُ اللَّهِ أَيُّ أَمْرٍ أَتَاهُ مِنْ غَيْرِكَ لَا يَدْخُلُ
فهو باب الله الأعظم، وسره الأفخم، والوصول إليه وصول إلى الله؛ لأنَّ الحضرتين واحدة، ومن فرق.. لم يَذِقْ للمعرفة طعماً.

قوله: ﴿أَلَا إِنَّهَا﴾ (ألا): أداة استفتاح يؤتى بها لأجل الاعتناء بما بعدها.

قوله: ﴿قُرْبَةٌ﴾ أي: تقربهم لرضا ربهم حيث أنفقوها مخلصين فيها، متوسلين بذلك إلى رسول الله ﷺ.

قوله: (جنته) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالرحمة: الجنة، من إطلاق الحال وإرادة المحل؛ لأنَّ الجنة محل للرحمة.

قوله: ﴿وَالسَّيِّئُونَ﴾ مبتدأ، و﴿الْأَوَّلُونَ﴾ صفته، وقوله: ﴿مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ حال، ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ﴾ معطوف على ﴿السَّيِّئُونَ﴾، والخبر قوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ...﴾ إلخ.

(١) كما في الوظيفة الشاذليَّة ممزوجة بكلام سيدي أبي المواهب الشاذلي.

(٢) من استغاثة السيد محمد بن أبي الحسن البكري المصري بالنبي ﷺ، وأولها:

ما أرسل الرحمن أو يرسل

وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾

وَالْأَنْصَارِ ﴿﴾ وَهُمْ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا أَوْ جَمِيعُ الصَّحَابَةِ، ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ﴾ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿بِإِحْسَنٍ﴾ فِي الْعَمَلِ، ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بِطَاعَتِهِ، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بِثَوَابِهِ، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾، وَفِي قِرَاءَةِ بَرْيَادَةِ (مِنْ)، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَالْأَنْصَارِ﴾ أي: وهم الأوس والخزرج.

قوله: (وهم: مَنْ شَهِدَ بَدْرًا) أي: لأنهم أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين، وعليه: تكون (مِنْ) للتبعض.

قوله: (أو جميع الصحابة) أي: فتكون (مِنْ) بَيَانِيَّة، وَقِيلَ: المراد بهم: أهل بَيْعَةِ الرضوان، وكانوا ألفاً وخمسة مئة، وَقِيلَ: المراد بهم: أهل أحد، وَقِيلَ: كُلُّ مَنْ دَخَلَ الْإِسْلَامَ قَبْلَ الْفَتْحِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠].

قوله: (إلى يوم القيامة) أي: فَيَشْمَلُ صلحاء كل زمان.

قوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: قَبِلَ أَعْمَالَهُمْ، وَأَثَابَهُمْ عَلَيْهَا، وَأَعْطَاهُمْ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ.

قوله: ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ أي: قَبِلُوا مَا أَعْطَاهُمْ اللَّهُ؛ لَمَّا فِي الْحَدِيثِ: «مَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نَعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟» فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: أَجَلٌ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي؛ فَلَا أَسْخَطُ بَعْدَهُ أَبَدًا^(١).

قوله: (وفي قراءة بَرْيَادَةِ «مِنْ») أي: وهي سَبْعِيَّةٌ أَيْضًا لِابْنِ كَثِيرٍ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ يَقْرَأُ بِالصَّلَةِ، فَمَنْ قَرَأَ بِقِرَاءَتِهِ.. وَصَلَ (اتَّبَعُوهُمْ) وَ(عَنْهُمْ) وَ(لَهُمْ)؛ بِأَنْ يَشْعُرَ ضَمَّةُ الْمِيمِ فِي الْجَمِيعِ^(٢).

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: مَا تَقَدَّمَ مِنَ الرِّضَا وَالْجَنَانِ.

قوله: ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي: الظَّفَرُ بِالْمَقْصُودِ الَّذِي لَا يُضَاهَى.

(١) رواه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) انظر «السراج المنير» (١/٦٤٦).

وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُتَّفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى الْإِنْفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ
نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّوْنَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾

﴿١٠١﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمُ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ ﴿مِمَّنْ الْأَعْرَابِ مُتَّفِقُونَ﴾ كَأَسْلَمَ وَأَشْجَعَ
وَعِفَارٍ، ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ مُنَافِقُونَ أَيْضاً ﴿مَرَدُّوا عَلَى الْإِنْفَاقِ﴾: لَجُّوا فِيهِ وَاسْتَمَرُّوا، ﴿لَا
تَعْلَمُهُمْ﴾ خُطَابُ لِلنَّبِيِّ، ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ﴾ بِالْفَضِيحَةِ أَوِ الْقَتْلِ فِي الدُّنْيَا
وَعَذَابِ الْقَبْرِ، ﴿ثُمَّ يُرَدُّوْنَ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ هُوَ النَّارُ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمُ﴾ خبر مقدم، و﴿مُتَّفِقُونَ﴾ مبتدأ مؤخر، و﴿مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ بيان لـ(مَنْ)،
و﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ خبر مقدم، والمبتدأ محذوف تقديره: مُنَافِقُونَ أَيْضاً، وجملة ﴿مَرَدُّوا عَلَى
الْإِنْفَاقِ﴾ صفة لذلك المحذوف، فيكون من عطف الجمل، أو خبر بعد خبر توسط بينهما المبتدأ،
ويكون من عطف المفردات^(١).

قوله: (كأسلم... إلخ) أي: بعض هذه القبائل؛ فلا ينافي ما تقدم مِنْ مَدَحِهِمْ فِي قَوْلِهِ:
﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ﴾ [التوبة: ٩٩].

قوله: ﴿مَرَدُّوا عَلَى الْإِنْفَاقِ﴾ أي: تَمَرَّدُوا عَلَيْهِ، وَلَمْ يَتُوبُوا مِنْهُ.

قوله: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ إِنْ قُلْتَ: كَيْفَ نَفَى عِلْمَهُ بِحَالِ الْمُنَافِقِينَ هُنَا وَأَثَبَتْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ
فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]؟ فالجواب: أَنَّ آيَةَ النِّفْيِ نَزَلَتْ قَبْلَ آيَةِ الْإِثْبَاتِ.

قوله: (بالفضيحة أو القتل) أشار بذلك إلى أَنَّهُ اخْتَلَفَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، وَلَكِنِ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ
هُوَ الصَّحِيحُ؛ لِأَنَّ أَحْكَامَ الْإِسْلَامِ فِي الظَّاهِرِ جَارِيَةٌ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، فَلَمْ يَقْتُلُوا وَلَمْ يُؤْسَرُوا.

والفضيحة بإخراجهم من المسجد؛ لِمَا فِي الْحَدِيثِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: (خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،
فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنْ مِنْكُمْ مُنَافِقِينَ؛ فَمَنْ سَمَّيْتَهُ... فَلْيَقُمْ»، ثُمَّ قَالَ: «قُمْ يَا فُلَانُ
فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ» حَتَّى سَمَّى سِتَّةً وَثَلَاثِينَ)^(٢).

قوله: (وعذاب القبر) هذه هي المرة الثانية، وستأتي الثالثة فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ يُرَدُّوْنَ إِلَىٰ عَذَابٍ
عَظِيمٍ﴾؛ فَقَدْ صَارَ عَذَابُ الْمُنَافِقِينَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

(١) شُطِبَ فِي (أ) عَلَى قَوْلِهِ: (فَيَكُونُ مِنْ عَطْفٍ) إِلَى قَوْلِهِ: (المفردات)، والمثبت من (ط) ٢.

(٢) انظر «الدر المنثور» (٤/٢٧٤)، والرواية فِيهِ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٢﴾

﴿١٠٢﴾ قَوْمٌ ﴿وَأَخْرُونَ﴾ - مُبْتَدَأٌ - ﴿اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ مِنَ التَّخَلُّفِ، نَعْتُهُ، وَالْخَبَرُ: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾ وَهُوَ جِهَادُهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ، أَوْ اعْتِرَافُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ، أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ، ﴿وَأَخَرَ سَيِّئًا﴾ وَهُوَ تَخَلُّفُهُمْ، ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ نَزَلَتْ فِي أَبِي لُبَابَةَ
حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَخْرُونَ﴾ حاصله: أَنَّ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْ تَبُوكِ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: قِسْمٌ مُنَافِقُونَ اسْتَمَرُّوا عَلَى النِّفَاقِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَظِيمٌ﴾، وَقِسْمٌ تَائِبُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ وَبَادَرُوا بِالْعَذْرِ لِرَسُولِ اللَّهِ، وَقَدْ ذَكَرَهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَيُتَشَكَّرُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وَقِسْمٌ لَمْ يَبَادَرُوا بِالْعَذْرِ، وَقَدْ ذَكَرَهُمْ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿حَكِيمٌ﴾.

قوله: ﴿اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ أَي: أَقْرَأُوا بِذُنُوبِهِمْ لِرَبِّهِمْ، وَتَابُوا مِنْهَا، وَلَيْسَ الْمُرَادُ: اعْتَرَفُوا لِلنَّاسِ، وَهَتَكُوا أَنْفُسَهُمْ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَا يَجُوزُ.

قوله: (وهو جهادهم قبل ذلك) أَي: قَبْلَ هَذَا التَّخَلُّفِ.

قوله: ﴿وَأَخَرَ سَيِّئًا﴾ الْوَائِدُ: بِمَعْنَى الْبَاءِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْعَمَلِ السَّيِّئِ.

قوله: (وهو تخلفهم) أَي: مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ وَاضِحٍ.

قوله: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ أَي: يَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ، وَالتَّرْجِي فِي الْقُرْآنِ بِمَنْزِلَةِ التَّحْقِيقِ؛ لِأَنَّ (عَسَى) وَنَحْوَهَا تُفِيدُ الْإِطْمَاعَ، وَمَنْ أَطْمَعَ إِنْسَانًا فِي شَيْءٍ ثُمَّ حَرَمَهُ مِنْهُ... كَانَ عَارًا عَلَيْهِ، وَاللَّهُ أَكْرَمُ مَنْ أَنْ يُطْمَعَ أَحَدًا فِي شَيْءٍ ثُمَّ لَا يُعْطِيهِ إِلَّايَاهُ؛ لِأَنَّهُ وَعْدٌ، وَهُوَ لَا يَتَخَلَّفُ، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةٌ، وَيَصَحُّ أَنْ تَكُونَ خَبْرًا، وَجُمْلَةُ ﴿خَلَطُوا﴾ حَالِيَّةٌ، وَ(قَدْ) مُقَدَّرَةٌ.

قوله: (نزلت في أبي لبابة) وَهُوَ رِفَاعَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذَرِ، كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّفَةِ، رَبَطَ نَفْسَهُ ثِنْتِي عَشْرَةَ لَيْلَةً فِي سِلْسَلَةٍ ثَقِيلَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ ابْنَةٌ تَحُلُّهُ لِلصَّلَاةِ وَقِضَاءِ الْحَاجَةِ، وَتَقَدَّمَ فِي (الْأَنْفَالِ) أَنَّهُ أَوْثَقَ نَفْسَهُ مَرَّةً أُخْرَى بِسَبَبِ قَرِيطَةٍ حَتَّى نَزَلَتْ تَوْبَتُهُ^(١).

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا

وَجَمَاعَةٌ أَوْثَقُوا أَنْفُسَهُمْ فِي سَوَارِي الْمَسْجِدِ لَمَّا بَلَغَهُمْ مَا نَزَلَ فِي الْمُتَخَلِّفِينَ، وَحَلَفُوا لَا يَحُلُّهُمْ إِلَّا النَّبِيُّ ﷺ، فَحَلَّاهُمْ لَمَّا نَزَلَتْ.

﴿١٠٣﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴿١﴾ مِنْ ذُنُوبِهِمْ،

حاشية الصاوي

قوله: (وجماعة) قيل: عشرة، وقيل: ثمانية، وقيل: خمسة، وقيل: ثلاثة، وقد كانوا تخلَّفوا عن تبوك، ثم ندموا بعد ذلك، فلَمَّا قرب رسول الله من المدينة.. حلفوا ليربطنَّ أنفسهم بالسواري ولا يطلقونها حتى يكون رسول الله هو الذي يُطلقها، ففعلوا، فلَمَّا رجع رسول الله.. رآهم فقال: «من هؤلاء؟»، ف قيل له: هؤلاء تخلَّفوا عنك، فعاهدوا الله ألا يُطلقوا أنفسهم حتى تطلقهم أنت وترضى عنهم، فقال: «وأنا أقسم بالله؛ لا أطلقهم، ولا أعذرهم حتى أُؤمرَ بإطلاقهم»، فنزلت هذه الآية، فعذرهم وأطلقهم^(١).

قوله: (ما نزل في المتخلفين) أي: من الوعيد الشديد؛ حيث قال فيهم: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ...﴾ الآية.

قوله: (فحلَّهم لما نزلت) أي: آية: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾.

قوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (مِنْ): للتبعض، والجار والمجرور حال من ﴿صَدَقَةً﴾، ووجد المسوِّغ، وهو وصفها بقوله: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾^(٢)، والمعنى: خُذْ بعض الأموال التي خرجوا عنها لله ورسوله، وذلك أنه لما نزلت فيهم الآية وحلَّهم رسول الله.. أتوا وقالوا: هذه أموالنا التي خلَّفْتنا عنك، خُذها فتصدَّق بها وطهِّرنا واستغفر لنا، فقال: «ما أُمِرْتُ أن آخذ من أموالكم شيئاً»، فنزل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ...﴾ الآية^(٣).

قوله: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ﴾ (الْأَقْرَبُ: أن التاء للخطاب، وحذف قوله: (بها) من الأول؛ لدلالة الثاني عليه، والمعنى: خُذْ يا محمد صدقةً حال كونها بعض أموالهم حال كونك مطهِّراً لهم بها ومزكِّياً بها، ومعنى تزكيتهم: تنميتهم وتزويدهم بسبب أخذها خيراً.

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٢٧٢)، وانظر «تفسير الخازن» (٢/٤٠١).

(٢) شطب في (أ) على قوله: (ووجد المسوِّغ) إلى قوله: (وتزكيتهم بها)، والمثبت من (ط٢).

(٣) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٢٧٢)، وانظر «زاد المسير» (٢/٢٩٤).

وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ

فَأَخَذْتُ لَكُمْ أَمْوَالَهُمْ وَتَصَدَّقَ بِهَا، ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ادْعُ لَهُمْ؛ ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ﴾: رَحْمَةٌ ﴿لَهُمْ﴾، وقيل: طَمَآنِينَةٌ يَقْبُولُ تَوْبَتَهُمْ، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿١٠٤﴾ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ

حاشية الصاوي

قوله: (فأخذت لكم أموالهم) أي: كفارة لذنوبهم، ويؤخذ من ذلك: أَنَّ مَنْ قَالَ: مالي صدقة في سبيل الله أو الفقراء... يَكْفِيهِ ثَلَاثُ، وهو مذهب مالك، وعموم الآية يشمل الصدقة الواجبة والمندوبة.

قوله: ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ﴾ بالجمع والإفراد هنا وفي (هود) في قوله: ﴿أَصَلَّاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾، قراءتان سبعيتان^(١)، والمعنى: دعواتك رحمة لهم وطمأنينة، وهذا في حياة رسول الله، وأما بعد وفاته... فدعاء الخليفة يقوم مقام دعاء النبي، وأيضاً: الأعمال تُعرض عليه صباحاً ومساءً؛ فإن رأى خيراً... حمد الله، وإن رأى غير ذلك... استغفرَ لنا؛ كما ورد في الحديث: «حياتي خيرٌ لكم، ومماتي خيرٌ لكم، تُعرض عليّ أعمالكم في الصباح والمساء؛ فإن وجدتُ خيراً... حمدت الله، وإن وجدتُ سوءاً... استغفرت لكم»^(٢)، فدعاء رسول الله حاصلٌ في حياته وبعد موته، لا عبرة بمن ضلَّ وزاغ عن الحق وخالف في ذلك.

قوله: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: لِلْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ.

قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ أي: التائبون.

قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ﴾ ﴿هُوَ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿يَقْبَلُ﴾ خبره، والجملة خبر (أَنَّ)، وجملة (أَنَّ) واسمها وخبرها: سَدَّتْ مَسَدًّ مَفْعُولِي (يَعْلَمُ)، أو مفعولها.

قوله: ﴿عَنْ عِبَادِهِ﴾ متعلق بـ﴿يَقْبَلُ﴾، و(عن) بمعنى (من)، ويجوز أن تكون باقيةً على معناها للمجاوزة، والمعنى: يتجاوز عن عباده بقبول توبتهم.

(١) قرأ حفص وحزمة والكسائي: (صلاتك) بغير واو بعد اللام على التوحيد، والباقون بالواو وكسر التاء على الجمع. انظر «السراج المنير» (١/٦٤٧).

(٢) رواه البزار (٣٠٨/٥) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه، وليس فيه: (في الصباح والمساء).

وَيَأْخُذْ الصَّدَقَتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

وَيَأْخُذُ: يَقْبَلُ ﴿الصَّدَقَتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ﴾ على عبادِهِ بِقَبُولِ تَوْبَتِهِمْ، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بِهِمْ، والاستيفهام للتقرير، والقصدُ بِهِ هو تهيجُهم إلى التوبة والصَّدَقَةِ.

﴿١٠٥﴾ ﴿وَقُلِ﴾ لَهُمْ أَوْ لِلنَّاسِ: ﴿اعْمَلُوا﴾ مَا شِئْتُمْ، ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ﴾ بِالْبَعْثِ ﴿إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَدَةِ﴾ أَي: اللَّهُ، ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فَيُجَازِيكُم بِهِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَيَأْخُذْ الصَّدَقَتِ﴾ أي: يُثِيبُ صاحبها عليها، وعَبَّرَ عن القبول بالأخذ؛ ترغيباً لهم في بذل الأموال.

قوله: (والاستيفهام للتقرير) أي: وهو حملُ المخاطب على الإقرار بالحكم.

قوله: (تهيجُهم) أي: حَثُّهم وترغيبهم.

قوله: (لهم، أو: للناس) تفسيران في الآية.

قوله: ﴿اعْمَلُوا﴾ مَا شِئْتُمْ في ذلك وعدٌ عظيمٌ للطائعين، ووعدٌ للعاصين، والمعنى: اعملوا أيها التائبون - أو أيها الناس عموماً - ما شِئْتُمْ من خير فَيُجَازِيكُم عليه بالثواب، وشرٌّ فَيُجَازِيكُم عليه بالعقاب، أو يَعْفُو اللَّهُ عَنْكُمْ.

قوله: ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ أي: يُحْصِيهِ وَيُجَازِيكُم عليه، فالاستقبال بالنظر للجزاء.

قوله: ﴿وَرَسُولُهُ﴾ أي: لَأَنَّ الْأَعْمَالَ تُعْرَضُ عَلَيْهِ.

قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: فَيَكُونُ ذَلِكَ الْجَزَاءُ إِمَّا فَرَحاً وَسُروراً بَيْنَ أَهْلِ الْمَوْقِفِ، أَوْ حُزْناً وَسَوْءاً بَيْنَهُمْ.

قوله: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: فَيُحَاسِبُكُمْ عَلَى جَمِيعِ مَا قَدْ مَتَمُّوهُ.

وَأَخْرُوكَ مُرَجَّوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

﴿١٠٦﴾ ﴿وَأَخْرُوكَ﴾ مِنَ الْمُتَخَلِّفِينَ ﴿مُرَجَّوْنَ﴾ - بِالْهَمْزِ وَتَرْكِه - : مُؤَخَّرُونَ عَنِ التَّوْبَةِ ﴿لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ فِيهِمْ بِمَا يَشَاءُ، ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ بِأَنْ يُمِيتَهُمْ بِلا تَوْبَةٍ، ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِخَلْقِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي صُنْعِهِ بِهِمْ، وَهُمْ الثَّلَاثَةُ الْآتُونَ بَعْدُ: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ، تَخَلَّفُوا كَسَلًا وَمِيلًا إِلَى الدَّعَةِ لَا نِفَاقًا، وَلَمْ يَعْتَذِرُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ كَغَيْرِهِمْ، فَوَقَّفَ أَمْرَهُمْ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَهَجَرَهُمُ النَّاسُ حَتَّى نَزَلَتْ تَوْبَتُهُمْ بَعْدُ.

حاشية الصاوي

قوله: (بالهمز) أي: المضموم وتركه؛ أي: مع سكون الواو، قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (عن التوبة) أي: عن قبولها، وإلا.. فقد وقعت منهم التوبة غير أنهم لم يعتذروا للنبي صريحاً، وإنما ندموا وحزنوا وصمموا على التوبة سرّاً.

قوله: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ (إِمَّا): للإيهام بالنسبة للمخاطبين، والمعنى: أن الله أبهم على المخاطبين أمرهم.

قوله: ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ (أي: يقبل توبتهم).

قوله: ﴿حَكِيمٌ﴾ (في صنعه) أي: لا يُسأل عما يفعل؛ فلا يُعترض على أحكامه سبحانه وتعالى.

قوله: (وهم الثلاثة) وكانوا من أهل المدينة، قوله: (مرارة) بضم الميم.

قوله: (إلى الدعة) أي: الراحة والكسل.

قوله: (ولم يعتذروا) أي: لشدّة ما نزل بهم من الحزن والأسف على ما فرطوا.

قوله: (فوقف أمرهم خمسين ليلة) أي: في نظير مدة التخلف؛ لأنها كانت خمسين ليلة، فلمّا تمتّعوا بالراحة فيها مع تعب غيرهم في السفر.. عوقبوا بهجرهم تلك المدة.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم: «مُرَجَّوُونَ» بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة، والباقون:

«مُرَجَّوْنَ» دون تلك الهمزة. انظر «الدر المصون» (٦/١١٨).

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا

﴿١٠٧﴾ مِنْهُمْ ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، ﴿ضِرَارًا﴾: مُضَارَّةٌ لِأَهْلِ مَسْجِدِ قُبَاءَ، ﴿وَكُفْرًا﴾: لِأَنَّهُمْ بَنَوْهُ بِأَمْرِ أَبِي عَامِرِ الرَّاهِبِ؛ لِيَكُونَ مَعْقِلًا لَهُ يُقَدِّمُ فِيهِ مَنْ يَأْتِي مِنْ عِنْدِهِ، وَكَانَ ذَهَبَ لِيَأْتِيَ بِجُنُودٍ مِنْ قَيْصَرَ لِقِتَالِ النَّبِيِّ ﷺ، ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الَّذِينَ يُصَلُّونَ بِقُبَاءَ بِصَلَاةِ بَعْضِهِمْ فِي مَسْجِدِهِمْ، ﴿وَإِرْصَادًا﴾: تَرْقُبًا ﴿لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أَي: قَبْلَ بِنَائِهِ وَهُوَ أَبُو عَامِرٍ الْمَذْكُورُ، ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ﴾: مَا ﴿أَرَدْنَا﴾ بِنَائِهِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ بالواو ودونها، قراءتان سبعيتان^(١)، والأحسن: إعراب الاسم الموصول مبتدأ على كل، خبره محذوف قدره المفسر بقوله: (منهم)، والواو: إمَّا للعطف على الجمل المتقدمة كقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ٥٨]، ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ [التوبة: ٦١]، ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾ [التوبة: ٧٥] عطف قصّة على قصّة، أو لإستئناف.

قوله: ﴿ضِرَارًا﴾: إمَّا مفعول لأجله، أو مفعول ثانٍ لـ ﴿اتَّخَذُوا﴾.

قوله: (لأهل مسجد قباء) أشار بذلك إلى أنَّ مُتعلق الضرار محذوف.

قوله: (بأمر أبي عامر الراهب) أي: وهو والد حنظلة غسيل الملائكة.

قوله: (معقلاً له) أي: ملجأ.

قوله: (وكان ذهب...) إلخ) حاصل ذلك: أنَّ أبا عامر قد ترهّب في الجاهلية، ولبس المسوح، وتنصّر، فلمّا قدم النبي ﷺ المدينة.. قال له أبو عامر: ما هذا الدين الذي جئت به؟ قال النبي ﷺ: «جئت بالحنيفية دين إبراهيم»، قال أبو عامر: فأنا عليها، قال له النبي: «إنك لست عليها»، قال أبو عامر: بلى، ولكنك أدخلت في الحنيفية ما ليس منها، فقال النبي ﷺ: «ما فعلت، ولكن جئت بها ببيضاء نقيّة»، فقال أبو عامر: أ مات الله الكاذب منّا طريداً وحيداً غريباً، فقال

(١) قرأ نافع وابن عامر: «الذين اتخذوا» بغير واو، والباقون بواو العطف؛ فأما قراءة نافع وابن عامر.. فلموافقة مصاحفهم، فإنّ مصاحف المدينة والشام حذفت منها الواو، وهي ثابتة في مصاحف غيرهم. انظر «الدر المصون» (١١٩/٦).

إِلَّا الْحَسَنُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾

﴿إِلَّا﴾ الفَعْلَةُ ﴿الْحَسَنُ﴾ مِنَ الرِّفْقِ بِالْمَسْكِينِ فِي الْمَطَرِ وَالْحَرِّ، وَالتَّوْسِيعَةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فِي ذَلِكَ. وَكَانُوا سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يُصَلِّيَ فِيهِ فَتَزَلُ:

حاشية الصاوي

النبي ﷺ: «آمين»، وسماه: أبا عامر الفاسق، فلما كان يوم أحد.. قال أبو عامر الفاسق للنبي: لا أجد قوماً يُقاتلونك إلا قاتلتك معهم، فلم يزل كذلك إلى يوم حنين، فلما انهزمت هوازن.. يش أبو عامر، فخرج هارباً إلى الشام، فأرسل إلى المنافقين أن أعِدُّوا ما استطعتم من قوة وسلاح، وابنوا لي مَسْجِداً؛ فإنني ذاهب إلى قَيْصَرِ مَلِكِ الرُّومِ، فَأَتِي بِجُنْدٍ مِنَ الرُّومِ، فَأُخْرِجَ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، فَبَنَوْا مَسْجِدَ الضَّرَّارِ إِلَى جَنْبِ مَسْجِدِ قَبَاءَ، فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنْ بَنَائِهِ.. أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ وَهُوَ يَتَجَهَّزُ إِلَى تَبُوكَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّا قَدْ بَنَيْنَا مَسْجِداً لِذِي الْعَلَةِ وَالْحَاجَةِ وَاللَّيْلَةِ الْمَطِيرَةِ، وَإِنَّا نَحْبُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَتُصَلِّيَ لَنَا فِيهِ وَتَدْعُوَ بِالْبَرَكَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنِّي عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ، وَلَوْ قَدَّمْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.. أَتَيْنَاكُمْ فَصَلَّيْنَا فِيهِ»، فَلَمَّا انْصَرَفَ ﷺ مِنْ تَبُوكَ رَاجِعاً.. نَزَلَ بِذِي أَوَانَ - وَهُوَ مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنَ الْمَدِينَةِ - فَأَتَاهُ الْمُنَافِقُونَ وَسَأَلُوهُ أَنْ يَأْتِيَ مَسْجِدَهُمْ، فَدَعَا بِقَمِيصِهِ لِيَلْبِسَهُ وَيَأْتِيَهُمْ، فَتَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَأَخْبَرَ جَبْرِيلُ خَبَرَ مَسْجِدِ الضَّرَّارِ وَمَا هُمُّوا بِهِ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ مَالِكَ بْنَ الدَّخْشَمِ وَمَعْنَ بْنَ عَدِي وَعَامِرَ بْنَ السَّكَنِ وَوَحْشِيًّا، فَقَالَ لَهُمْ: «انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الْمَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلَهُ؛ فَاهْدُمُوهُ وَحَرِّقُوهُ»، فَخَرَجُوا مُسْرِعِينَ حَتَّى أَتَوْا بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ - وَهُمْ رَهْطُ مَالِكَ بْنِ الدَّخْشَمِ - فَقَالَ مَالِكُ: أَنْظِرُونِي حَتَّى أَخْرِجَ إِلَيْكُمْ بَنَارَ، فَدَخَلَ عَلَى أَهْلِهِ، فَأَخَذَ مِنْ سَعَفِ النَّخْلِ، فَأَوْقَدُوهُ ثُمَّ خَرَجُوا يَشْتَدُونَ حَتَّى دَخَلُوا الْمَسْجِدَ وَفِيهِ أَهْلُهُ، فَأَحْرَقُوهُ وَهَدَمُوهُ، وَتَفَرَّقَ أَهْلُهُ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ كِنَاسَةً تَلْقَى فِيهِ الْجِيْفُ وَالْقِمَامَةُ، وَمَاتَ أَبُو عامر بالشام طريداً وحيداً غريباً^(١).

قوله: ﴿إِلَّا الْحَسَنُ﴾ صفة لموصوف محذوف، قدَّره المفسر بقوله: (الفعلة).

قوله: ﴿يَشْهَدُ﴾ أي: يعلم.

قوله: (في ذلك) أي: الحلف.

قوله: (وكانوا سألوا النبي... إلخ) أي: بعد فراغهم من بنائه، وكان متجهزاً لغزوة تبوك، فوعدهم بذلك حين يقدم.

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٢٦٠)، وانظر «تفسير الخازن» (٢/٤٠٦).

لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾

﴿١٠٨﴾ ﴿لَا تَقُمْ﴾: تُصَلِّ ﴿فِيهِ أَبَدًا﴾، فَأَرْسَلَ جَمَاعَةً هَدَمُوهُ وَحَرَّقُوهُ، وَجَعَلُوا مَكَانَهُ كُنَاسَةً تُلْقَى فِيهَا الْجِيفُ، ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ﴾: بُنِيَتْ قَوَاعِدُهُ ﴿عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ وَضِعَ يَوْمَ حَلَلَتْ بَدَارِ الْهَجْرَةِ، وَهُوَ مَسْجِدُ قُبَاءَ كَمَا فِي «الْبُخَارِيِّ»، ﴿أَحَقُّ﴾ مِنْهُ ﴿أَنْ﴾ أَي: بِأَنْ ﴿تَقُومَ﴾: تُصَلِّي ﴿فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ﴾ هُمُ الْأَنْصَارُ ﴿يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ أَي: يُثَبِّتُهُمْ، - وَفِيهِ إِدْغَامُ النَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الطَّاءِ - رَوَى ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عُوَيْمِ بْنِ سَاعِدَةَ أَنَّهُ ﷺ أَتَاهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَحْسَنَ عَلَيْكُمْ الشَّاءَ فِي الظُّهُورِ فِي قِصَّةِ مَسْجِدِكُمْ، فَمَا هَذَا الظُّهُورُ الَّذِي تَطَهَّرُونَ بِهِ؟»، قَالُوا: وَاللَّهِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَمَسْجِدٍ﴾ اللام: للابتداء، و﴿مَسْجِدٌ﴾ مبتدأ، و﴿أُسِّسَ﴾ نعت، و﴿أَحَقُّ﴾ خبره.

قوله: (يوم حللت بدار الهجرة) أي: وهو يوم الاثنين، فأقام فيه الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وخرج صبيحة الجمعة فدخل المدينة، وقيل: صُلِّيَ بِهِ الْجُمُعَةُ، وَهِيَ أَوَّلُ جُمُعَةٍ صَلَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهَذَا عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُ أَقَامَ بِقُبَاءَ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ، وَقِيلَ: أَقَامَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ، وَقِيلَ: اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا.

قوله: ﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ اسم التفضيل ليس على بابه، أو باعتبار زعم المنافقين، أو باعتبار ذات المسجد؛ فَإِنَّ الْخَبَثَ فِي نَيْتِهِمْ، لَا فِي ذَاتِ الْمَسْجِدِ.

قوله: ﴿فِيهِ رِجَالٌ﴾ هم بنو عامر بن عوف.

قوله: ﴿يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ يحتمل أن المراد: الطهارة المعنوية من الذنوب والقبائح، وذلك موجب للشاء والمدح والقرب من الله، وقيل: المراد: الطهارة الحسية من النجاسات والأحداث، وهو الأقرب؛ لِأَنَّ مَزَيَّتَهُمُ الَّتِي مُدِّحُوا عَلَيْهَا مُبَالِغَتُهُمْ فِي طَهَارَةِ الظَّاهِرِ، وَأَمَّا طَهَارَةُ الْبَاطِنِ.. فَأَمْرٌ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ مَا هُوَ أَعْمُ؛ فَقَدْ حَازُوا طَهَارَةَ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ.

قوله: (وفيه إدغام التاء... إلخ) أي: فأصله (المتطهرين) أبدلت التاء طاء، وأدغمت في الطاء.

قوله: (في الظهور) بضم الطاء في هذا وفيما يأتي؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ: الْفِعْلُ.

أَفَمَنْ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَتَاهَارَ بِهِ.....

يا رَسُولَ اللَّهِ ما نَعْلَمُ شَيْئاً إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لَنَا جِيرَانٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَكَانُوا يَغْسِلُونَ أَدْبَارَهُمْ مِنَ الْغَائِطِ، فَغَسَلْنَا كَمَا غَسَلُوا، وَفِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الْبَزَّازُ: فَقَالُوا: تُتْبَعُ الْحِجَارَةُ بِالْمَاءِ، فَقَالَ: «هُوَ ذَاكَ، فَعَلَيْكُمْوه».

﴿١٠٩﴾ ﴿أَفَمَنْ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى﴾: مَخَافَةٍ ﴿مِنَ اللَّهِ وَ﴾ رَجَاءٍ ﴿رِضْوَانٍ﴾ مِنْهُ ﴿خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا﴾: طَرَفٍ ﴿جُرْفٍ﴾ - بِضَمِّ الرَّاءِ وَسُكُونِهَا -: جَانِبٍ ﴿هَارٍ﴾: مُشْرِفٍ عَلَى السَّقُوطِ، ﴿فَأَتَاهَارَ بِهِ﴾: سَقَطَ مَعَ بَانِيهِ

حاشية الصاوي

قوله: (فغسلنا كما غسلوا) أي: بعد المسح بالأحجار؛ بدليل الرواية الثانية.

قوله: (تتبع الحجارة بالماء) أي: وهذا هو الأكمل في الاستنجاء؛ فإن لم يوجد حجر.. فالمدر يقوم مقامه، وإلا.. فالماء فقط، أو الحجر فقط، أو المدر فقط.

قوله: (فعلیکموه) أي: الرّموه.

قوله: ﴿أَفَمَنْ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى﴾... إلخ) في الكلام استعارة مكنية؛ حيث شبهت التقوى والرضوان بأرض صلبة يعتمد عليه البنيان، وطوي ذكر المشبه به، ورُمز له بشيء من لوازمه، وهو التأسيس، فإثباته تخيل، والتأسيس كناية عن أحكام أمور الدين والأعمال الصالحة.

قوله: ﴿مَنْ أَسَسَ بُنْيَانَهُ﴾) أي: أحكم أمور دينه على ضلال وكفر ونفاق.

قوله: (بضمّ الراء وسكونها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (جانب) الأحسن ما قاله غيره: أن المراد به: البئر التي لم تُطو.

قوله: ﴿هَارٍ﴾) إما أصله: (هاور)، أو (هاير) فقدّمت اللام على العين، فصار كـ(قاض)، فأعرا به بحركات مقدرة، أو حُذفت عينه تخفيفاً بعد قلبها همزة، فأعرا به بحركات ظاهرة، وإما أصله: (هَور)، أو (هير) تحركت الواو والياء، وانفتح ما قبلها، قلبت الفاء مثل: (باب)، وإعرا به بحركات ظاهرة كالذي قبله.

(١) قرأ حمزة وابن عامر وأبو بكر عن عاصم: «جُرْفٍ» بسكون الراء والباءون بضمها. انظر «الدر المصون» (٦/١٢٥).

فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ

﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ خير؟ تمثيلٌ لِلْبِنَاءِ عَلَى صِدِّ التَّقْوَى بِمَا يُؤَوَّلُ إِلَيْهِ، والاستِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ، أي: الأولُ خير، وهو مثالُ مَسْجِدِ قُبَاءَ، والثَّانِي مثالُ مَسْجِدِ الضَّرَارِ، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً﴾: شَكًّا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ﴾: تَنْفَصِلَ ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ بِأَنْ يَمُوتُوا، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِخَلْقِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي صُنْعِهِ بِهِمْ.

﴿١١١﴾ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ ورد: (أنهم رأوا الدخان حين حفرُوا أساسه) (١).

قوله: (خير) قدره؛ إشارةً إِلَى أَنَّ خَيْرَ (من) الثانية محذوف.

قوله: ﴿رِيبَةً﴾ أي: سبب ريبة، أو بُولُغٍ فِيهِ حَتَّى يُجْعَلَ نَفْسُ الرِّيبَةِ.

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ مستثنى من محذوف، والتقدير: لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم في كلِّ وقتٍ أو كلِّ حالٍ إلا وقتاً أو حالاً تقطع قلوبهم، وفيها قراءتان سبعيتان: الأولى: بفتح التاء وتشديد الطاء؛ بحذف إحدى التائين، و﴿قُلُوبُهُمْ﴾ فاعل. الثانية: بضم التاء و﴿قُلُوبُهُمْ﴾ نائب فاعل، وقرئ شذوذاً: (تُقَطَّعُ) بالتخفيف، وقرئ أيضاً: (إلى أن تُقَطَّعُ) بضم التاء وكسر الطاء المشددة، و(قلوبهم) مفعول به، والفاعل ضمير يعود على النبي (٢).

قوله: ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه أي: يضع الأشياء في محلها، ومنه: جريان عادة الله في كلِّ حُودٍ لأهل الدين والصلاح أنه لا يزال الكمد به حتى يموت على أسوأ الأحوال.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾... إلخ) لما ذكر قبائح المتخلفين لغير عُذر

(١) انظر «الدر المنثور» (٤/٢٩٣).

(٢) قرأ ابن عامر وحمزة وحفص: «تُقَطَّعُ» بفتح التاء، والأصل: تنقطع بتائين، فحذفت إحداهما، وقرأ الباقون: «تُقَطَّعُ» بضمها، وهو مبني للمفعول مضارع (قَطَّعَ) بالتشديد، وقرأ أبي: «تُقَطَّعُ» مخففاً مِنْ (قَطَعَ)، وقرأ الحسن ومجاهد وقتادة ويعقوب: «إلى أن» بد (إلى) الجارة، وأبو حيوة كذلك، إلا أن أبا حيوة قرأ: «تُقَطَّعُ» بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء مشددة. انظر «الدر المصون» (٦/١٢٧).

وَأَمْوَالُهُمْ بِأَنْ لَّهُمُ الْجَنَّةُ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا

وَأَمْوَالُهُمْ ﴿بأن يبذلوها في طاعته كالجهاد﴾ ﴿بأن لهم الجنة يقتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون﴾ - جملة استئناف بيان للشراء -، وفي قراءة بتقديم المبنى للمفعول، أي: فيقتل بعضهم ويقاتل الباقي، ﴿وعداً عليه حقاً﴾ - مصدران منصوبان بفعليهما المحذوف -

حاشية الصاوي

وما فاتهم من الخير العظيم.. ذكر فضل المجاهدين وما أعد لهم من الفوز الأكبر؛ حيث عظم أنفسهم وأموالهم بأن جعل الجنة ثمناً لهما، ومن المعلوم: أن المثلث أعلى من الثمن، وإشارة إلى أن الجنة خلقت لهم ولم يُخلقوا لأجلها.

قوله: (يبذلوها في طاعته) أي: يصرفوها في مرضاته.

قوله: ﴿بأن لهم الجنة﴾ لم يقل: (بالجنة)؛ إشارة إلى أن الجنة مختصة بهم وواصلة إليهم، كأنه قيل: بالجنة الثابتة لهم.

ثم إن قوله: ﴿أشترى من المؤمنين...﴾ إلخ كناية عن التعويض عن بذل النفوس والأموال بالجنة، وإلا... فحقيقة الشراء: أخذ ما لا يملك بعوض، وهذا مستحيل في حق الله تعالى، بل معناه: أثابهم وقبلهم في نظير خدمتهم، فشبهت الإثابة والقبول بالشراء، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من الشراء (اشترى) بمعنى: أثابهم وقبلهم، وإنما عبر عنه بالشراء؛ تلطفاً ورفقاً بهم.

قوله: (بيان للشراء) الأوضح أن يقول: بيان للبيع الذي يستلزمه الشراء.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: (أي: فيقتل بعضهم، ويقاتل الباقي) أشار بذلك إلى أنه لا يتوقف الفضل على الجمع بين الأمرين معاً، بل المدار على نية إعلاء كلمة الله؛ حصلاً أو أحدهما، أو لا ولا.

قوله: (بفعلهما المحذوف) أي: والتقدير: وعده وعداً، وحقه حقاً.

(١) قرأ حمزة والكسائي بتقديم المقتولين على القاتلين. انظر «السراج المنير» (١/٦٥٢).

فِ التَّوْبَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ

﴿فِ التَّوْبَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: لا أحد أوفى منه، ﴿فَاسْتَبْشِرُوا﴾ - فيه التيفات عن الغيبة - ﴿بَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ﴾ البيع ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ المُنيلُ غاية المطلوب.

﴿١١٢﴾ التَّائِبُونَ - رُفِعَ عَلَى الْمَدْحِ بِتَقْدِيرٍ مُبْتَدَأٍ - مِنَ الشُّرْكِ وَالنِّفَاقِ، ﴿الْعَبِيدُونَ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فِ التَّوْبَةِ﴾... إلخ) الجارُّ والمجرور متعلق بمحذوف صفة لـ ﴿وَعَدًا﴾، والمعنى: وعداً مذكوراً في التوراة والإنجيل والقرآن، وخَصَّ التوراة والإنجيل بالذكر؛ لإقامة الحجة على مَنْ عارض من اليهود والنصارى، وحيثُ: فلا ينافي أنَّ هذا الوعد مذكورٌ في الكتب السماوية.

قال محمد بن كعب القرظي: لما بايَعَت الأنصار رسول الله ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلاً... قال عبد الله بن رواحة: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، قال: «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم»، قال: إذا فعلنا ذلك ما لنا؟ قال: «الجنة»، قالوا: ربح البيع، لا نقيلاً، ولا نستقيلاً، فنزلت هذه الآية؛ بشارةً لهم^(١).

قوله: (أي: لا أحد) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا﴾ خطابٌ للمؤمنين؛ لِمَزِيدِ الاعتناء بهم، والسين والتاء للتصيير؛ أي: صيرتم لكم البُشرى بذلك في الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿التَّائِبُونَ﴾... إلخ) هذه أوصافٌ تسعة للمؤمنين، الستة الأولى متعلقة بحقوق الله وحده، والاثنان بعدها متعلقان بحقوق الخلق، والأخير عام.

قوله: (بتقدير مبتدأ) أي: هم التائبون.

قوله: (من الشرك والنفاق) متعلق بـ ﴿التَّائِبُونَ﴾، والتوبة شرطها: الندم على ما وقع، والعزم على عدم العود، والإقلاع، وردُّ المظالم إلى أهلها.

الْمُحْسِنُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ

المُخْلِصُونَ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ، ﴿الْمُحْسِنُونَ﴾ لَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، ﴿السَّائِحُونَ﴾: الصَّائِمُونَ،
﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾ أَي: الْمُصَلُّونَ، ﴿الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ
لِحُدُودِ اللَّهِ﴾: لِأَحْكَامِهِ بِالْعَمَلِ بِهَا،

حاشية الصاوي

قوله: (المخلصون العباد لله) أي: المنهمكون في طاعة الله سرّاً وجهراً.

قوله: ﴿الْمُحْسِنُونَ﴾ له على كل حال) أي: في السراء والضراء، قال عليه الصلاة والسلام:
«أَوَّلُ مَنْ يَدْعَى إِلَى الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ فِي السَّراءِ وَالضَّرَّاءِ»^(١)
أي: بأن يكون عن الله راضياً في جميع الأحوال؛ كالْفَقْرَ والغنى، والصحة والمرض، وغير ذلك.

قوله: ﴿السَّائِحُونَ﴾ من السياحة، وهي في الأصل: الذهاب في الأرض للعبادة، سُمِّيَ
الصائمون بذلك؛ لأنَّ مِنْ شَأْنِ السَّائِحِ تَرْكُ اللَّذَاتِ كُلِّهَا مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَلْبَسِ وَالْمَنْكِحِ،
وَلَا شَكَّ أَنَّ الصَّائِمَ كَذَلِكَ. وَالصَّيَامُ عِنْدَ الْعَامَّةِ: تَرْكُ شَهْوَتَيْ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ، وَعِنْدَ الْخَاصَّةِ: تَرْكُ
مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ الْعَارِفُ الْجِيلِيُّ^(٢): [الطويل]

صِيَامِي هُوَ الْإِمْسَاكُ عَنْ رُؤْيَا السَّوَى وَفِطْرِي أَنِّي نَحْوُ وَجْهِكَ رَاجِعُ

قوله: (أي: المصلّون) أشار بذلك إلى أنه أطلق الجزء وأراد الكلّ، وخصّ الركوع والسجود
بالذكر من دون أركانها؛ لأنَّ بهما التقرب إلى الله تعالى؛ لما في الحديث: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ
مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ»^(٣)، والركوع يلي السجود في التواضع والذلّ.

قوله: ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ إنما عطف هذا بالواو على ما قبله؛ لوجود المضادة بينهما؛
لأنَّ الأمر طلب الفعل، والنهي طلب الترك.

قوله: ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ هذا أعمُّ الأوصاف المتقدّمة؛ ولذا عطف بالواو، وهذا معنى
التقوى؛ إذ هي: امتثال المأمورات، واجتناب المنهيات؛ ولذا حكى: أن السري السقطي سأل

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٦٨١/١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢١٦/٦) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) انظر «شرح القصيدة العينية» للعلامة النابلسي (ص ٢١).

(٣) رواه مسلم (١٠١٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَرُ إِبْرَاهِيمَ

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بِالْجَنَّةِ.

﴿١١٣﴾ وَنَزَلَ فِي اسْتِغْفَارِهِ ﷺ لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَاسْتِغْفَارِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ لِأَبْوَيْهِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ﴾: ذَوِي قُرَابَةٍ، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾: النَّارِ بِأَنْ مَاتُوا عَلَى الْكُفْرِ.

﴿١١٤﴾ ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَرُ إِبْرَاهِيمَ﴾

حاشية الصاوي

ابن أخته الجنيذ عن التقوى وهو صغير، فقال له: ألا يراك حيث نهاك، وألا يفقدك حيث أمرك، فقال له: أخاف أن يكون حظك من الله لسانك^(١).

قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إظهار في مقام الإضمار؛ اعتناء بهم، وتشريفاً لقدرهم، وحذف المبشّر به؛ إشارة إلى أنه لا يدخل تحت حصر، بل لهم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

قوله: (لعمري أبي طالب) أي: لأنه ﷺ قال لعمري أبي طالب حين حضرته الوفاة: «قل كلمة أحاج لك بها عند الله»، فأبى، فقال النبي: «لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عن الاستغفار» فنزلت^(٢)، وقصد النبي بهذا الاستغفار تأليفه للإسلام؛ لعله يهتدي، وإلا.. فرسول الله يعلم أن الله لا يغفر أن يُشْرَكَ به.

قوله: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ﴾ أي: لا ينبغي، ولا يصح.

قوله: (بأن ماتوا على الكفر) فلا يجوز لهم الاستغفار حينئذ، وأما الاستغفار للكافر الحي.. ففيه تفصيل؛ فإن كان قصده بذلك الاستغفار هدايته للإسلام.. جاز، وإن كان قصده أن تُغفر ذنوبه مع بقاءه على الكفر.. فلا يجوز.

قوله: ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَرُ إِبْرَاهِيمَ﴾... إلخ) هذه الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً واقعاً

(١) رواها القشيري في «رسالته» (ص ٣١٣) بنحوها.

(٢) رواه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٤١) عن سيدنا المسيب بن حزن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفيهما: (قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج...).

لَأَيِّهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ
لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا

لَأَيِّهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴿١﴾ بِقَوْلِهِ: «سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي» رَجَاءً أَنْ يُسَلِّمَ، ﴿٢﴾ فَلَمَّا بَيَّنَّ
لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ ﴿٣﴾ بِمَوْتِهِ عَلَى الْكُفْرِ ﴿٤﴾ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴿٥﴾ وَتَرَكَ الْإِسْتِغْفَارَ لَهُ، ﴿٦﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ ﴿٧﴾:
كَثِيرُ التَّضَرُّعِ وَالِدُعَاءِ، ﴿٨﴾ حَلِيمٌ ﴿٩﴾: صَبُورٌ عَلَى الْأَذَى.

﴿١١٥﴾ وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا

حاشية الصاوي

في جواب سؤال مقدر، تقديره: إن شرعنا هو بعينه شرع إبراهيم، وقد استغفر إبراهيم لأبيه،
فأجاب الله عن إبراهيم بما ذكر.

قوله: ﴿لَأَيِّهِ﴾ تقدم الخلاف في كونه أباه وعمه، وإنما سمي أباً؛ لأن عادة العرب تسمي
العم أباً، والقرآن نزل بلغة العرب.

قوله: ﴿وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ أي: إن إبراهيم وعد أباه بالاستغفار قبل تبين أنه لا ينفع فيه
الاستغفار؛ لإصراره على الكفر.

قوله: ﴿أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾ أي: أنه مصرٌّ ومستمرٌّ على الكفر والعداوة؛ لأن الذي تبين بالموت
إنما هو إصراره على الكفر، وإلا.. فأصله كان حاصلاً ومتبيناً من قبل.

قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ هذا بيان للحامل له على الاستغفار قبل التبين.

قوله: ﴿لَأَوَّاهٌ﴾ من: التأوّه، وهو: التوجع والإكثار من قول: (آه)، واختلف في معناه؛
ف قيل: هو الخاشع المتضرّع، وقيل: كثير الدعاء، وقيل: المؤمن التوّاب، وقيل: الرحيم بعباد الله،
وقيل: الموقن، وقيل: المسبّح، وقيل: المعلم للخير، وقيل: الراجع عما يكرهه الله، الخائف من
النار.

قوله: ﴿حَلِيمٌ﴾ معناه: صفوح عن المسيء له، مقابل له باللطف والرفق، وذلك كما فعل
إبراهيم مع أبيه حين قال له: ﴿لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجَمَنَّكَ...﴾ إلخ، فأجابه إبراهيم بقوله: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكَ
سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ [مريم: ٤٧]، وكعدم دعائه على النمرود حيث ألقاه في النار.

قوله: ﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا﴾ سبب نزولها: أن بعض الصحابة كانوا يستغفرون

بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمَ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ

بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَهُمْ ﴿١١٥﴾ لِلْإِسْلَامِ ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمَ مَا يَتَّقُونَ﴾ مِنَ الْعَمَلِ فَلَا يَتَّقُوهُ فَيَسْتَحِقُّوا الإِضْلَالَ، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وَمِنْهُ مُسْتَحَقُّ الإِضْلَالِ وَالْهُدَايَةِ.

﴿١١٦﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم﴾ أَيُّهَا النَّاسُ ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أَي: غَيْرِهِ ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ يَحْفَظُكُمْ مِنْهُ، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يَمْنَعُكُمْ عَنْ ضَرَرِهِ.

﴿١١٧﴾ ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ﴾ أَي: أَدَامَ تَوْبَتَهُ

حاشية الصاوي

لآبائهم الكفار، وماتوا قبل نُزُولِ آيَةِ النِّهْيِ، فَظَنَّ بَعْضُ الصَّحَابَةِ أَنَّ اللَّهَ يُوَاخِذُهُمْ، فَبَيَّنَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا يُوَاخِذُ أَحَدًا بِعَمَلٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُبَيِّنَ حُكْمَهُ فِيهِ ^(١).

قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَهُمْ﴾ (أَي: بَعْدَ وَقْتِ هِدَايَتِهِمْ وَتَوْفِيقِهِمْ لِلْإِيمَانِ).

قوله: (وَمِنْهُ) أَي: مِنَ الشَّيْءِ.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (أَي: فَفَوَّضُوا أُمُورَكُمْ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ الْمَوْجِدُ لِكُلِّ شَيْءٍ،

الَّذِي مِنْهُ الْعَوْنُ وَالنَّصْرُ).

قوله: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ﴾ (اللامُ مُوطئةٌ لِقِسْمٍ مَحذُوفٍ ^(٢)).

قوله: (أَي: أَدَامَ تَوْبَتَهُ) جَوَابٌ عَمَّا يُقَالُ: إِنَّ النَّبِيَّ مَعْصُومٌ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ

لَمْ يَفْعَلُوا ذَنْبًا، بَلْ سَافَرُوا مَعَهُ وَاتَّبَعُوهُ مِنْ غَيْرِ امْتِنَاعٍ.

وَأَجِيبْ أَيْضًا: بِأَن مَعْنَى تَوْبَتِهِ عَلَى النَّبِيِّ: عَدَمُ مُوَاخَذَتِهِ فِي إِذْنِهِ لِلْمُتَخَلِّفِينَ حَتَّى يَظْهَرَ الْمُؤْمِنُ

مِنَ الْمُنَافِقِ، وَمَعْنَى تَوْبَتِهِ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ: مِنْ أَجْلِ مَا وَقَعَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْخَوَاطِرِ

وَالْوَسَاوِسِ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ؛ فَإِنَّهَا كَانَتْ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ وَالْعُسْرِ.

وقيل: إِنَّ ذِكْرَ النَّبِيِّ تَشْرِيفٌ لَهُمْ، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ ذِكْرُ قَبُولِ تَوْبَتِهِمْ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ ^(٣) ذَنْبٌ

أَصْلًا حَتَّى يَحْتَاجَ لِلتَّوْبَةِ مِنْهُ.

(١) انظر «تفسير الخازن» (٤١٣/٢).

(٢) اللام واقعة في جواب قسم مقدر، وقد تقدّم الكلام على اللام الموطئة، انظر (٢٢٨/١).

عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ.....

﴿عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ أي: وقتها، وهي حالهم في غزوة تبوك، كان الرُّجُلَانِ يَتَّقِصِمَانِ تَمَرَةً، وَالْعُسْرَةُ يَعْتَقِبُونَ الْبَعِيرَ الْوَاحِدَ، وَاشْتَدَّ الْحَرُّ حَتَّى شَرِبُوا الْفَرثَ، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾ - بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ -: تَمِيلُ ﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾ عَنْ اتِّبَاعِهِ إِلَى التَّخَلُّفِ لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشَّدَّةِ، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ بِالثَّبَاتِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ أي: وكانوا سبعين ألفاً ما بين راكب وماشٍ من المهاجرين والأنصار وغيرهم من سائر القبائل.

قوله: (أي: وقتها) أشار بذلك إلى أَنَّ الْمُرَادَ بِالسَّاعَةِ: الزَّمَانِيَّةُ، لَا الْفَلَكِيَّةُ، وَالْعُسْرَةُ: الشَّدَّةُ وَالضِّيقُ، وَكَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ تَسْمَى: غَزْوَةُ الْعُسْرَةِ، وَجِيشُهَا يَسْمَى: جَيْشُ الْعُسْرَةِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِمْ عُسْرَةٌ فِي الرِّكْبِ وَالزَّادِ وَالْمَاءِ، فَكَانَ الْعُسْرَةُ مِنْهُمْ يَخْرُجُونَ عَلَى بَعِيرٍ وَاحِدٍ يَعْتَقِبُونَهُ، وَكَانَ زَادُهُمُ التَّمَرُ الْمَسُوسُ وَالشَّعِيرُ الْمُتَغَيَّرُ، وَكَانَ تَمَرُهُمْ يَسِيرًا جَدًّا؛ حَتَّى إِنْ أَحْدَهُمْ إِذَا أَجْهَدَهُ الْجُوعُ.. يَأْخُذُ التَّمَرَةَ، فَيَلْوُكُهَا حَتَّى يَجِدَ طَعْمَهَا، ثُمَّ يُعْطِيهَا لِصَاحِبِهِ؛ حَتَّى تَأْتِي عَلَى آخِرِهِمْ وَلَا يَبْقَى إِلَّا النَّوَاءُ، وَكَانُوا مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَالْعَطَشِ يَشْرَبُونَ الْفَرثَ، وَيَجْعَلُونَ مَا بَقِيَ عَلَى كِبْدِهِمْ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّ اللَّهَ قَدْ عَوَّدَكَ خَيْرًا، فَادْعُ اللَّهَ، قَالَ: «أَتَحِبُّ ذَلِكَ؟»، قَالَ: نَعَمْ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ يَدَيْهِ، فَلَمْ يَرْجِعَا حَتَّى قَالَتِ السَّمَاءُ فَأَظْلَمَتْ ثُمَّ سَكَبَتْ، فَمَلَأُوا مَا مَعَهُمْ مِنَ الْأَوْعِيَةِ، ثُمَّ ذَهَبَا نَظَرَهَا فَلَمْ نَجِدْهَا جَاوَزَتْ الْعُسْكَرَ^(١).

قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ﴾ هذا بيانٌ لبلوغ الشَّدَّةِ حَدَّهَا؛ حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ أَشْرَفَ عَلَى الْمِيلِ إِلَى التَّخَلُّفِ، وَاسْمُ ﴿كَادَ﴾ ضَمِيرُ الشَّانِ، وَجُمْلَةُ ﴿تَزِيغُ﴾ فِي مَحَلٍّ نَصَبٍ خَبَرُهَا.

قوله: (بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ ذكر التَّوْبَةَ أَوَّلًا قَبْلَ الذَّنْبِ؛ تَفْضِيلًا مِنْهُ وَتَطْمِينًا لِقُلُوبِهِمْ، ثُمَّ ذَكَرَهَا بَعْدَهُ؛ تَعْظِيمًا لَشَأْنِهِمْ وَتَأْكِيدًا لِقَبُولِ تَوْبَتِهِمْ.

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (١٣٨٣)، والحاكم في «المستدرک» (١٥٩/١) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) قرأ حمزة وحفص عن عاصم: «يزيغ» بالياء من تحت، والباقون بالناء من فوق. انظر «الدر المصون» (١٣٣/٦).

إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا.....

﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿١١٨﴾ ﴿وَوَ﴾ تَابَ ﴿عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ عن التَّوْبَةِ عَلَيْهِمْ، بِقَرِينَةٍ.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ هذا تأكيد لما تقدّم، والرؤوف: الرفيق بعباده، اللطيف بهم، والرحيم: المحسن المتفضل.

قوله: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ﴾ قدّر المفسّر (تاب)؛ إشارة إلى أنه معطوف على قوله: ﴿عَلَى النَّبِيِّ﴾، ويصح عطفه على الضمير في قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾، وهو الأقرب؛ لإعادة الجار، قال ابن مالك^(١): [الرجز]

وَعَوْدُ خَافِضٍ لَدَى عَظْفٍ عَلَى ضَمِيرٍ خَفِضٍ لَازِمًا قَدْ جُعِلَا
وإن كان يمكن أن يقال: إنما أعاده تأكيداً.

قوله: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ﴾ إنما لم يسمّهم الله؛ لكونهم معلومين بين الصحابة، والتوبة هنا على حقيقتها، بمعنى: أنه قَبِلَ عُذْرَهُمْ وسامحهم وغفّر لهم ما سلف منهم، وأما التوبة فيما تقدّم.. فمُستعملة في مجازها، بمعنى: دوام العصمة للنبي، والحفظ للمهاجرين والأنصار؛ ففي الآية استعمال التوبة في حقيقتها ومجازها.

قوله: (عن التوبة عليهم) أي: عن قبولها من الله، وسبب تأخير القبول من الله: عدم إظهار توبتهم كما فعل أبو لبابة، وقيل: المراد خلفوا من الغزو ولم يخرجوا مع رسول الله، وفي «صحيح البخاري» ما نصّه: (باب: حديث كعب بن مالك، وقول الله عز وجل: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك: أن عبد الله بن كعب بن مالك - وكان يقود كعباً حين عَمِيَ - قال: سمعتُ كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك، قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، وكان من خبري أنني لم أكن قط أقوى ولا أيسرَ مني حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في تلك الغزوة، وغزّا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، وهممتُ أن أرتحل فأدرَكهم - وليتني فعلت - فلم يقدّر لي ذلك، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال

(١) «الخلاصة»، باب (عطف النسق).

حاشية الصاوي

وهو جالس في القوم بَبُوك: «ما فعل كعب بن مالك؟»، فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله؛ حبسه بُرْدَاهُ ونظرُهُ في عِظْفِيهِ، فقال معاذ بن جبل: بش ما قُلْتَ، والله يا رسول الله؛ ما عَلِمْنَا عليه إلا خيراً، فَسَكَتَ رسول الله ﷺ.

قال كعب بن مالك: فَلَمَّا بلغني أنه تَوَجَّهَ قافلاً.. حضرني همِّي، فطففتُ أَتَذَكَّرُ الكذب، وأهْيُوهَ لاعتذر به، وأقول: بماذا أخرج من سَخَطه غداً؟ واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فَلَمَّا قيل: إِنَّ رسول الله ﷺ قد أَظْلَّ قادمًا - أي: قُرْبُ قدومه - انزاح عني الباطل، وعرفتُ أني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذبٌ، فأجمعتُ الصَّدْقَ، وأصبح رسول الله ﷺ قادمًا، وكان إذا قدم من سفر.. بدأ بالمسجِد؛ فيركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فَلَمَّا فعل ذلك.. جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعةً وثمانين رجلاً، فقبل رسول الله ﷺ منهم علانيتهم، وبايعهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، فجنَّته، فَلَمَّا سلَّمت عليه.. تبسَّمتُ تبسُّمَ المغضب، ثم قال: «تعال»، فجنَّتُ أمشي حتى جلستُ بين يديه، فقال لي: «ما خلَّفَكَ، ألم تكن قد ابتعت مركوبَكَ؟»، فقلت: بلى إني والله يا رسول الله لو جلستُ عند غيرك من أهل الدنيا.. لرأيتُ أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً - أي: فصاحة - ولكني والله لقد علمتُ لئن حدَّثتُك اليوم حديثَ كذبٍ ترضى به عني.. ليوشكنَّ الله أن يسخطك عليّ، ولئن حدَّثتُك حديثَ صدقٍ تجدُ - أي: تغضب - عليّ فيه.. إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله، ما كان لي من عذرٍ، ما كنت قطُّ أقوى ولا أيسرَ مني حين تخلفْتُ عنك، فقال رسول الله ﷺ: «أمَّا هذا.. فقد صدَّق، فقم حتى يقضي الله فيك»، فقمْتُ، وبادر رجالٌ من بني سلمة، فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزتُ أن تكون اعتذرتُ إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون، قد كان كافيك من ذنبك استغفارُ رسول الله، فوالله ما زالوا يُلومونني لوماً عنيفاً حتى أردتُ أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلتُ لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم، رجلان قالا مثل ما قلتُ، فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلتُ: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بداراً، لي فيهما أسوة، فمضيتُ حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله ﷺ الناس عن كلامنا أيها الثلاثة من بين مَنْ تخلف عنه، فاجتبتنا الناس، فتغيَّروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض، فما هي التي أعرف، فلَبَّشنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي..

حاشية الصاوي

فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا.. فكنْتُ أَشَبَّ القوم وأجلدهم، وكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحدٌ، وأتي رسول الله فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرَّكَ شَفَتَيْهِ برَدَّ السلام عليَّ أم لا؟ ثمَّ أصلي قريباً منه، فأسارقه النظر، فإذا أقبلتُ على صلاتي.. أقبل إليَّ، فإذا التفتُ نحوه.. أعرض عني.

حتى إذا طال عليَّ ذلك من جَفْوَةِ الناس.. مشيت حتى تسوّرت جدارَ حائط أبي قتادة - وهو ابن عمي، وأحبُّ الناس إليَّ - فسَلَّمْتُ عليه؛ فوالله ما ردَّ عليَّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة؛ أنشدك بالله هل تعلمني أحبُّ الله ورسوله؟ فسكت، فعُدْتُ له فنشدته، فسكت، فعدت له فنشدته، فسكت، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عينا، وتولّيت حتى تسوّرت الجدار، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين؛ إذا رسول الله ﷺ يأتيني فقال: إنَّ رسول الله يأمرُك أن تعتزل امرأتك، فقلتُ: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبيِّ مثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقِّي بأهلك، فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر، فلبثت بعد ذلك عشر ليالٍ حتى كملت - بفتح الميم - لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله عن كلامنا، فلمَّا صَلَّيْتُ صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيتٍ من بيوتنا، فبينما أنا جالسٌ على الحال التي ذكر الله؛ قد ضاقت عليَّ نفسي، وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت.. سمعتُ صوت صارخ أوفى على جبل سَلَع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك؛ أبشِر، قال: فخررتُ ساجداً وعرفت أنه قد جاء فرَج، وأذن رسول الله - أي: أعلم - الناس بتوبة الله علينا حين صلاة الفجر، فذهب الناس يُبشروننا، وذهب قِبَلِ صاحبيِّ مبشرون، وركب رجل إليَّ فرساً وركضها، وسعى ساعٍ من أسلم، فأوفى على الجبل، وكان الصوتُ أسرع من الفرس، فلمَّا جاءني الذي سمعتُ صوته يُبشرنِي.. نزعَت له ثوبيَّ فكسوته إياهما ببشراه، ووالله ما أملك من الثياب غيرهما يومئذ، واستعرتُ ثوبين فلبستهما، وانطلقتُ إلى رسول الله، فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهتفونني بالتوبة، يقولون: لِيَتَهَنَّكَ - بفتح التاء - توبةُ الله عليك.

قال كعب: حتى دخلتُ المسجد؛ فإذا رسول الله ﷺ جالسٌ، حوله الناسُ، فقام إليَّ طلحة بن عُبيد الله يُهرول حتى صافحني، ووالله ما قام إليَّ رجلٌ من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة، قال كعب: فلمَّا سَلَّمْتُ على رسول الله ﷺ.. قال وهو يبرقُ وجهه من السرور: «أَبَشِرْ بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمُّك»، قال: قلتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: «لا،

حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

﴿حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: مع رُحْبِهَا، أي: سَعَتِهَا، فلا يَجِدُونَ مَكَانًا يَطْمَئِنُّونَ إِلَيْهِ، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ قُلُوبُهُمْ لِلْغَمِّ وَالْوَحْشَةِ بِتَأْخِيرِ تَوْبَتِهِمْ، فلا يَسْعُهَا سُرُورٌ وَلَا أُنْسٌ، ﴿وَزَنُّوا﴾: أَيْقَنُوا ﴿أَن﴾ - مُخَفَّفَةٌ - ﴿لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾: وَفَّقَهُم لِلتَّوْبَةِ ﴿لِيَتُوبُوا﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

حاشية الصاوي

بل من عند الله، وكان رسول الله إذا سُرَّ.. استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلَمَّا جلستُ بين يديه.. قلتُ: يا رسول الله؛ إِنَّ من توبتي أن أنخلع من مالي صدقةً إلى الله وإلى رسوله، قال رسول الله: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَّكَ»، قلتُ: فإني أَمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبِرَ، وأنزل الله على رسوله: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، فوالله ما أنعم الله عليَّ من نعمة قط بعد أن هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ أعظمَ في نفسي من صِدْقِي لِرَسُولِ اللَّهِ. انتهى^(١).
قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ﴾... إلخ) أي: لم يطمئنُّوا ولم يَسْكُنُوا إلى شيء منها. و(إذا) صلة، أو (ثم)؛ ليستقيم المعنى.

قوله: (أي: مع رحبها) بضم الراء، وأما بفتحها.. فمعناه: المكان المَشَّع.

قوله: (فلا يسعها سرور) العبارة فيها قلب؛ أي: فلا تسع سُرُورًا.

قوله: ﴿أَن﴾ (مخففة) أي: واسمها ضمير الشأن.

قوله: ﴿لَّا مَلْجَأَ﴾... إلخ) ﴿لَا﴾: نافية للجنس، و﴿مَلْجَأَ﴾ اسمها، و﴿مِنَ اللَّهِ﴾ خبرها، والجملة سَدَّتْ مَسَدَّ مَفْعُولِي (ظَنُّوا).

قوله: ﴿مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ أي: من سَخَطِهِ إِلَّا بِالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ.

قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: قَبْلَ تَوْبَتِهِمْ.

قوله: ﴿لِيَتُوبُوا﴾ أي: لِيَحْصُلُوا التَّوْبَةَ وَيُنْشِئُوهَا.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ

﴿١١٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴿١﴾ بِتَرْكِ مَعَاصِيهِ ﴿٢﴾ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿٣﴾ فِي الْإِيمَانِ وَالْعُهُودِ، بِأَنْ تَلْزَمُوا الصَّدَقَ.

﴿١٢٠﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﴿١﴾ إِذَا غَزَا، وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ﴿٢﴾ بِأَنْ يَصُونُوهَا عَمَّا رَضِيَهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الشَّدَائِدِ، وَهُوَ نَهْيٌ بِلَفْظِ الْخَبَرِ، ﴿ذَلِكَ﴾ أَي: النَّهْيُ عَنِ التَّخَلُّفِ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ خطابٌ عامٌّ لكلِّ مؤمن.

قوله: ﴿مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿مَعَ﴾: بمعنى (من)؛ بدليل القراءة الشاذة المروية عن ابن مسعود^(١).

قوله: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ أي: لا يصح ولا ينبغي ولا يجوز لهم التخلُّف عن رسول الله... إلخ، والمعنى: إذا خرج رسول الله بنفسه للغزو.. فلا يجوز لأحد من المؤمنين التخلُّف، بل ينفرون كافة.

قوله: ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ﴾ يجوز فيه النصب عطفاً على ﴿يَتَخَلَّفُوا﴾، والجزم على أَنَّ (لا) ناهية.

قوله: (بأن يَصُونُوهَا... إلخ) هذا بيانٌ لحاصل المعنى، وإيضاحه: أمروا بأن يَصْحَبُوهُ عَلَى الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ، وَأَنْ يَكَابِدُوا مَعَهُ الْأَهْوَالَ بِرَغْبَةٍ وَنَشَاطٍ، وَأَنْ يَتَلَقَّوا الشَّدَائِدَ مَعَهُ ﷺ، عِلْمًا بِأَنَّهُ أَعَزُّ نَفْسٍ وَأَكْرَمُهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَإِذَا تَعَرَّضَتْ مَعَ عَزَّتِهَا وَكَرَامَتِهَا لِلْخَوْضِ فِي شِدَّةٍ وَهَوْلٍ... وَجِبَ عَلَى سَائِرِ الْأَنْفُسِ أَنْ تَتَعَرَّضَ مِثْلَهَا.

قوله: (وهو نهْيٌ بلفظ الخبر) أي: ما ذكر من قوله: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ... إلخ﴾ أي: فكأنه قيل: لا يتخلَّف واحد منهم.

لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْثُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا

﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ : عَطَشٌ ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ : تَعَبٌ ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ : جُوعٌ ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْثُونَ مَوْطِنًا﴾ - مَصْدَرٌ بِمَعْنَى وَطْأً - ﴿يَغِيظُ﴾ : يُغْضِبُ ﴿الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ﴾ : قَتَلَ أَوْ أَسْرَأَ أَوْ نَهَبَ، ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ : لِيُجَازُوا عَلَيْهِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ : أَي : أَجْرَهُمْ، بَلْ يُثَبِّتُهُمْ.

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ﴾ فِيهِ ﴿نَفَقَةٌ صَغِيرَةً﴾ وَلَوْ تَمْرَةً ﴿وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾

بِالسَّيْرِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿(ظَمَأٌ)﴾ أي: ولو يسيراً، وكذلك يقال فيما بعده.

قوله: ﴿(وَلَا يَطْثُونَ مَوْطِنًا)﴾ أي: لا يدوسون بأرجلهم وحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم دَوْسًا.

قوله: ﴿(يَغِيظُ)﴾ بفتح الياء باتفاق السبعة وإن كان يجوز في اللغة ضُيُّهَا^(١).

قوله: ﴿(وَلَا يَنَالُونَ)﴾ أي: يُصِيبُونَ.

قوله: ﴿(قَتَلَ أَوْ أَسْرَأَ أَوْ نَهَبَ)﴾ أمثلة للنَّيْلِ بسبب جعله مصدراً، ويصح أن يكون بمعنى الشيء المُنَال؛ أي: المأخوذ.

قوله: ﴿(إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ)﴾ أي: بكل واحدٍ من الأمور الخمسة.

قوله: ﴿(أَي: أَجْرَهُمْ)﴾ غرضه بهذا: أنَّ المقام للإضمار، والعُدُولُ عنه لأجل مدحهم، ولتفيد العموم وعدم الخصوصية للمخاطبين، بل هذا الفضل العظيم باقٍ ومستمرٌّ إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿(وَادِيًا)﴾ المراد به هنا: مُطْلَقٌ مِنَ الْأَرْضِ وإن كان في الأصل: المكان المنفرج بين الجبال.

إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ
لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا
قَوْمَهُمْ

﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ ذلك، ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاءه.
﴿١٢٢﴾ وَلَمَّا وَبَّخُوا عَلَى التَّخَلُّفِ وَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً نَفَرُوا جَمِيعاً، فَنَزَلَ: ﴿وَمَا
كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا﴾ إِلَى الْغَزْوِ ﴿كَآفَّةً فَلَوْلَا﴾: فَهَلَا ﴿نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ﴾: قَبِيلَةٍ
﴿مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾: جَمَاعَةٌ، وَمَكَثَ الْبَاقُونَ ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾ أي: الْمَاكِثُونَ ﴿فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا
قَوْمَهُمْ

حاشية الصاوي

قوله: (ذلك) أي: ما ذكر من النفقة وقطع الوادي.

قوله: (أي: جزاءه) يشير بهذا إلى تقدير مضاف؛ أي: جزاء أحسن ما كانوا... إلخ.
قوله: (ولما وبَّخوا على التَّخَلُّفِ... إلخ) أي: سبب نزولها: أنه لما وبَّخهم الله على التَّخَلُّفِ،
وظَهَرَت فضيحة المنافقين، وتاب الله على مَنْ تاب.. أجمع رأيهم وحلفوا أنهم لا يتخلفون عن
رسول الله ولا عن سَرِيَّة بعثها، فلَمَّا رجعوا من تبوك وبعث السرايا.. تهيأ المسلمون جميعاً إلى الغزو.
قوله: (سرية) قيل: هي اسم لما زاد على المئة إلى الخمس مئة، وما زاد إلى ثمان مئة يقال له:
مُسِيرٌ، وما زاد عليه إلى أربعة آلاف يقال له: جيش، وما زاد عليها يقال له: جَحْفَلٌ، وجملة سراياه
التي أرسلها رسول الله ولم يخرج معها: سبعة وأربعون، وغزواته التي خرج فيها بنفسه: سبعة
وعشرون؛ قاتل في ثمانية منها فقط.

قوله: (﴿وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ﴾) أي: لا ينبغي ولا يجوز لهم أن ينفروا جميعاً، بل يجب عليهم
أن ينقسموا قِسْمَيْنِ: طائفة تكون مع رسول الله لتلقِّي الوحي، وطائفة تخرج للجهاد.
قوله: (فَهَلَا) أشار بذلك إلى أن (لولا) للتخصيص.

قوله: (ومكث الباقون) قدره؛ إشارة إلى أن قوله: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾ علة لمحذوف، ولا يصح
أن يكون علة لقوله: ﴿نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾.

قوله: (﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾) عطف على قوله: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾، وفيه إشارة إلى أنه ينبغي لطالب
العلم تحسين مقصده؛ بأن يقصد بطلبه العلم تعليم غيره، واتعاضه هو في نفسه، لا الكبر على العباد،
والتشدد بالكلام.

إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا قَتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً.....

إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴿١﴾ مِنَ الْغَزْوِ بِتَعْلِيمِهِمْ مَا تَعَلَّمُوهُ مِنَ الْأَحْكَامِ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ عِقَابَ اللَّهِ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَهَذِهِ مَخْصُوصَةٌ بِالسَّرَايَا، وَالتِّي قَبْلَهَا بِالنَّهْيِ عَنْ تَخَلُّفِ أَحَدٍ فِيمَا إِذَا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ.

﴿١٢٣﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا قَتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴿١﴾ أَي: الْأَقْرَبَ فَالْأَقْرَبَ مِنْهُمْ، ﴿وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾: شِدَّةٌ،.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِذَا رَجَعُوا﴾ (أي: مَنْ كَانَ فِي الْغَزْوِ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَيْهِمْ﴾) أَي: إِلَى مَنْ مَكَثَ لِيَتَفَقَّهُ فِي الدِّينِ.

قوله: (قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ) الْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ: دَفْعُ التَّعَارُضِ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ وَمَا قَبْلَهَا.

قوله: (مَخْصُوصَةٌ بِالسَّرَايَا) أَي: وَهِيَ الَّتِي أَرْسَلَهَا وَلَمْ يَخْرُجْ مَعَهَا.

قوله: (فِيمَا إِذَا خَرَجَ النَّبِيُّ) أَي: لِأَنَّهُ لَا عَذْرَ حِينَئِذٍ فِي التَّخَلُّفِ؛ لِأَنَّ صَاحِبَ الشَّرِيعَةِ الَّذِي يَتَعَلَّمُونَهَا مِنْهُ مُصَاحِبٌ لَهُمْ.

قوله: ﴿قَتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ﴾ لَيْسَتْ هَذِهِ الْآيَةُ نَاسِخَةٌ لآيَةِ: ﴿وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦] عَلَى التَّحْقِيقِ، بَلْ هَذِهِ الْآيَةُ تَعْلِيمٌ لِآدَابِ الْحَرْبِ، وَهُوَ أَنْ يَبْدُؤُوا بِقِتَالِ الْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ حَتَّى يَمِيلُوا إِلَى الْأَبْعَدِ، فَبِهَذَا يَتِمَكَّنُونَ مِنْ قِتَالِهِمْ كَافَّةً؛ لِأَنَّ قَتْلَهُمْ دُفْعَةً وَاحِدَةً لَا يُتَصَوَّرُ؛ وَلِذَا قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوَّلًا قَوْمَهُ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى سَائِرِ الْعَرَبِ، ثُمَّ إِلَى قِتَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ إِلَى قِتَالِ الرُّومِ وَالشَّامِ، ثُمَّ بَعْدَ وَفَاتِهِ ﷺ انْتَقَلَ أَصْحَابُهُ إِلَى قِتَالِ الْعِرَاقِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى سَائِرِ الْأَمْصَارِ.

قوله: ﴿يَلُونَكُمْ﴾ مِنَ الْوَلِيِّ، وَهُوَ: الْقَرَبُ، فِي فِعْلِهِ لَغْتَانِ: وَلِيَّهِ يَلِيهِ وَهَذَا الْأَكْثَرُ، وَالثَّانِيَةُ: مِنْ بَابِ (وَعَدَ)، وَالْآيَةُ مِنْهَا، وَهِيَ قَلِيلَةُ الْاسْتِعْمَالِ، فَأَصْلُهُ: (يُولِيُونَ) حَذَفَتِ الْوَاوُ؛ لَوُقُوعِهَا بَيْنَ عَدَوَّتَيْهَا، ثُمَّ نَقَلْتُ ضَمَّةَ الْيَاءِ إِلَى اللَّامِ بَعْدَ سَلْبِ حَرَكَتِهَا، فَالْتَقَى سَاكِنَانِ، حَذَفَتِ الْيَاءُ؛ لِالْتِقَائِهِمَا.

قوله: (شِدَّةٌ) أَي: صَبْرًا وَتَحَمُّلاً.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ
إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَّرَضٌ فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾

أي: أغلظوا عليهم، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بِالْعَوْنِ وَالنَّصْرِ.

﴿١٢٤﴾ ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ ﴿فَمِنْهُمْ﴾ أي: الْمُتَّقِينَ ﴿مَّن يَقُولُ﴾ لِأَصْحَابِهِ
اسْتِهْزَاءً: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ﴾ إِيْمَانًا: تَصَدِيقًا؟ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ
إِيمَانًا﴾ لِتَصَدِيقِهِمْ بِهَا ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: يَفْرَحُونَ بِهَا.

﴿١٢٥﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾: ضَعْفُ اعْتِقَادٍ ﴿فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾:
كُفْرًا إِلَى كُفْرِهِمْ لِكُفْرِهِمْ بِهَا، ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

حاشية الصاوي.

قوله: (أي: أغلظوا عليهم) أشار بذلك إلى أن في الآية استعمال المسبب في السبب^(١)؛
لأنَّ وجدان الكفار الغلظة مسبب عن إغلاظ المسلمين عليهم.

قوله: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ﴾ والمعنى: إذا أنزلت سورة من القرآن والحال أنَّ المنافقين ليسوا
حاضرين وقت النزول وليس فيها فضيحة لهم، وأمَّا ما يأتي.. فيحمل على ما إذا كانوا حاضرين
ذلك، والحال فيها بيان أحوالهم، فلا تنافي بين المحلِّين كما يأتي.

قوله: (لأصحابه) أو لضعفاء المؤمنين.

قوله: (يفرحون بها) أي: لأنه كلما نزل شيء من القرآن.. ازدادوا إيماناً، وهذا الحكم باقٍ
إلى الآن؛ فَمَنْ يَفْرَحُ بكلام الله ويحامله.. فهو من المؤمنين الصادقين، وَمَنْ يَنْفِرُ مِنْ سَمَاعِهِ
ومن حامله.. فهو إمَّا كافر، أو قريب من الكفر.

قوله: (كفراً إلى كفرهم) أشار بذلك إلى أنه ضمَّن الزيادة معنى الضمِّ، والمعنى: زادتهم كفراً
مضموماً إلى كفرهم؛ لأنَّ كفرهم يزيد بزيادة جحدهم المنزل، وسمَّى الكفر رجساً؛ لأنه أقبح
الأشياء. والرجس هو: الشيء المستفدَّر.

(١) في (ط ٢): (استعمال السبب في المسبب).

أَوَّلَا يَرْوَنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾

﴿١٢٦﴾ ﴿أَوَّلَا يَرْوَنَ﴾ بِالْبَاءِ أَيُ: الْمُنَافِقُونَ، وَالتَّاءِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾: يُبْتَلَوْنَ ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ بِالْقَحْطِ وَالْأَمْرَاضِ، ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ مِنْ نِفَاقِهِمْ، ﴿وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾: يَتَعَذُّونَ.

﴿١٢٧﴾ ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فِيهَا ذِكْرُهُمْ وَقَرَأَهَا النَّبِيُّ ﷺ ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ يُرِيدُونَ الْهَرَبَ يَقُولُونَ: ﴿هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ إِذَا قُمْتُمْ؟ فَإِنْ لَمْ يَرَهُمْ أَحَدٌ قَامُوا وَإِلَّا ثَبَتُوا، ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾ عَلَى كُفْرِهِمْ، ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عَنِ الْهُدَى ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الْحَقَّ لِعَدَمِ تَدَبُّرِهِمْ.

حاشية الصاوي

قوله: (بالياء) أي: فالاستفهام للتعجب؛ لأنَّ الخطابَ حيثُذ للصحابه.

قوله: (﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾) أي: لا يرجعون عمَّا هم عليه.

قوله: (فيها ذكرهم) أي: بيان أحوالهم.

قوله: (﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾) أي: يتغامزون بالعيون.

قوله: (يريدون الهروب) أي: خوفاً من الفضيحة التي تحصل لهم.

قوله: (ويقولون) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ مقولة لقول محذوف.

قوله: (﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾ على كفرهم) عبارته تفيد أن قوله: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾ ليس مرتباً على كونهم

لم يرهم أحد، وليس كذلك، فكان المناسب أن يقول: قاموا، وهو بمعنى ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾.

قوله: (﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾) إخبار أو دعاء.

قوله: (﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ الحق) أي: لا يفهمونه.

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾

﴿١٢٨﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴿١﴾ أي: مِنْكُمْ، مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿عَزِيزٌ﴾: شَدِيدُ
﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: عَنْتُكُمْ أي: مَشَقَّتْكُمْ وَلِقَاؤُكُمْ الْمَكْرُوهَ، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾
أَنْ تَهْتَدُوا، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: شَدِيدُ الرَّحْمَةِ، ﴿رَّحِيمٌ﴾ يُرِيدُ لَهُمُ الْخَيْرَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ﴾ اللام موطئة لقسم محذوف؛ أي: وعزّتي وجلالي لقد
جاءكم... إلخ^(١).

قوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ خطابٌ للعرب، قال ابن عباس: (ليس قبيلة من العرب إلا وقد ولدت
النبي ﷺ وله فيهم نسب)^(٢).

و﴿أَنفُسِكُمْ﴾ بضم الفاء باتفاق السبعة، وقرئ: (من أنفسكم) بفتح الفاء، من: التَّفَاسَةِ^(٣)،
والمعنى: جاءكم رسول من أشرفكم وأرفعكم قدراً؛ لما في الحديث: «إن الله اصطفى كنانة من ولد
إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم،
فأنا خيارٌ من خيارٍ»^(٤).

قوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ يصح أن يكون ﴿عَزِيزٌ﴾ صفة لـ ﴿رَسُولٌ﴾، و﴿مَا﴾
مصدرية، أو بمعنى (الذي)، والمعنى: يعزُّ عليه عنتكم، أو: الذي عنتموه، ويصح أن يكون
﴿عَزِيزٌ﴾ خبراً مقدماً، و﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ مبتدأ مؤخرًا.

قوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: محافظ على هداكم؛ ليكون لكم السعادة الكاملة.

قوله: (أَنْ تَهْتَدُوا) أشار بذلك إلى أَنَّ الكلام على حذف مضاف؛ أي: حريصٌ على هدايتكم.

قوله: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ بالمد والقصر، قراءتان سبعيتان^(٥).

(١) اللام واقعة في جواب قَسَم محذوف، قدّره المفسر رحمه الله تعالى.

(٢) انظر «الشفّا بتعريف حقوق المصطفى» (ص ١٧).

(٣) وهي قراءة عبد الله بن قُسَيْط المكي. انظر «المحتسب» (٣٠٦/١).

(٤) رواه مسلم (٦٠٠٢) عن سيدنا واثلة بن الأسقع ؓ، وليس فيه: (فأنا خيار من خيار).

(٥) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص بمدّ الهمزة، والباقون بالقصر. انظر «السراج المنير» (٦٥٨/١).

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

﴿١٢٩﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴿١﴾ عَنْ الْإِيمَانِ بِكَ ﴿٢﴾ فَقُلْ حَسْبِيَ ﴿٣﴾ : كَافِيٌّ ﴿٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴿٥﴾ : بِهِ وَثِقْتُ لَا بَغِيرَهُ، ﴿٦﴾ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ ﴿٧﴾ : الْكُرْسِيِّ ﴿٨﴾ الْعَظِيمِ ﴿٩﴾ خَصَّهُ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ الْمَخْلُوقَاتِ. رَوَى الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ...﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.



حاشية الصاوي

و(الرؤوف) أخصُّ من (الرحيم)، قال الحسن بن المفضل: (لم يجمع الله لأحد من أنبيائه اسمين من أسمائه تعالى إلا للنبي ﷺ، فسمَّاه رؤوفاً رحيماً، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣])^(١).

قوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ ﴿١﴾ أي: جميع خلق الله؛ مؤمنهم ومنافقهم وكافرهم.

قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ﴿٢﴾ كاللَّيْلُ لِمَا قَبْلَهُ.

قوله: (لا بغيره) أخذ هذا الحصر من تقديم المعمول.

قوله: (الكرسي) مرورٌ على القول باتحاد العرش مع الكرسي، وهو خلاف الصحيح، والصحيح: أنَّ العرش غير الكرسي؛ فالعرش: جسمٌ عظيمٌ محيطٌ بجميع المخلوقات، والكرسيُّ أقلُّ منه.

قوله: ﴿الْعَظِيمِ﴾ ﴿٩﴾ بالجرِّ باتفاق السبعة صفة لـ ﴿الْعَرْشِ﴾ ﴿٧﴾، وقُرئ شذوذاً بالرفع صفةً للربِّ^(٢).

قوله: (خَصَّهُ بالذكر) جوابٌ على ما يقال: إن الله ربُّ كلِّ شيءٍ، فلمَ خَصَّ العرش بالذكر؟

قوله: (آخر آية) مراده: الجنس، وإلا... فهما آيتان، وهذا القول ضعيفٌ؛ لما تقدَّم: أنَّ آخر آية نزلت: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وعلى ما قاله المفسِّر: يكونان مدينتين، وهو أحد قولين حكاهما المفسِّر أول السورة.

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/٤٢٥).

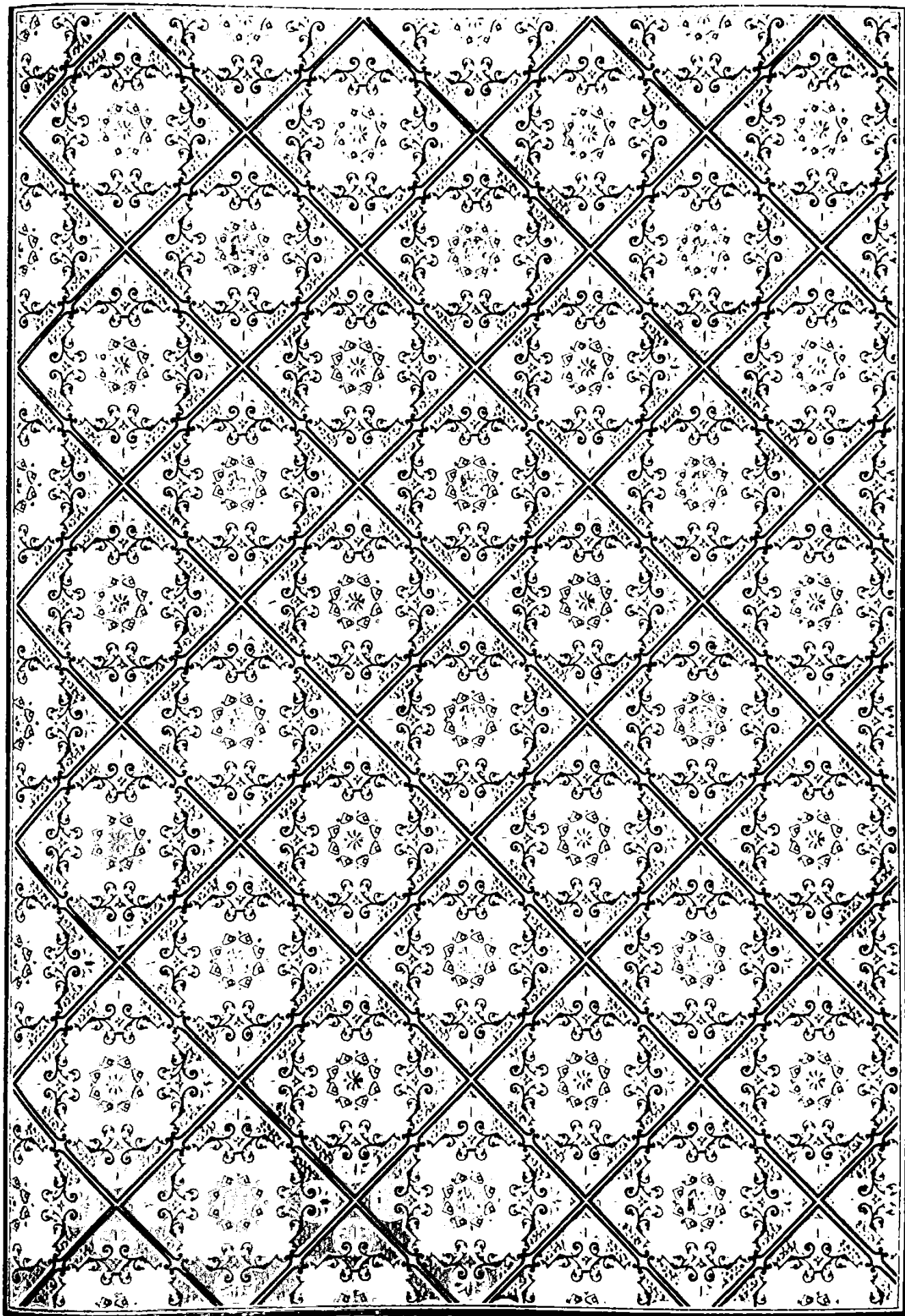
(٢) وهي قراءة ابن محيصن. انظر «البحر المحيط» (٥/١٢٢).

حاشية الصاوي

وهاتان الآيتان بهما الأمان من كل مكروه، وقد ورد: (مَنْ قَرَأَهُمَا - وَيَكْرُرُ الْآيَةَ الثَّانِيَةَ سَبْعًا صَبَاحًا، وَسَبْعًا مَسَاءً - أَمِنَ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهِ حَتَّى الْمَوْتِ؛ فَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ مَوْتَهُ . . أَنَسَاهُ قِرَاءَتَهُمَا)^(١).



(١) وروى أبو داود (٥٠٨١) سنن قراءة (حسبي الله . . .) عن أبي الدرداء رضي الله عنه.



﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَةُ الْكِتَابِ﴾



مَكِّيَّةٌ إِلَّا ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ...﴾ الْآيَتَيْنِ أَوْ الثَّلَاثَ، أَوْ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ...﴾ الْآيَةِ. مَائَةٌ وَتِسْعٌ أَوْ عَشْرُ آيَاتٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ﴾ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ بِذَلِكَ، ﴿تِلْكَ﴾ أَي: هَذِهِ الْآيَاتُ ﴿ءَايَةُ الْكِتَابِ﴾:

حاشية الصاوي

سُورَةُ يُوسُفَ

سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِذِكْرِ اسْمِهِ فِيهَا وَقَصَّتِهِ، وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ اللَّهِ بِتَسْمِيَةِ السُّورَةِ بِبَعْضِ أَجْزَائِهَا.

قوله: (مَكِّيَّةٌ) أَي: لِنَزُولِهَا قَبْلَ الْهَجْرَةِ.

قوله: (أَوْ الثَّلَاثَ) (أَوْ): لِتَنْوِيعِ الْخِلَافِ، وَسَبَبُهُ: الْخِلَافُ فِي أَنَّ آخِرَ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ ﴿مِنْ الْخَسِرِينَ﴾، أَوْ ﴿الْأَلِيمِ﴾.

قوله: (أَوْ): ﴿وَمِنْهُمْ﴾... إلخ) أَي: فَيَكُونُ الْمَدْنِيُّ لَهَا ثَلَاثَ وَأَرْبَعَ بَزِيَادَةٍ ﴿وَمِنْهُمْ﴾... إلخ، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ نَقْلًا عَنْ فِرْقَةٍ: إِنَّ مِنْ أَوَّلِهَا نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ آيَةً مَكِّيَّةً، وَبَاقِيهَا مَدْنِيَّةٌ^(١).

قوله: (اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ بِذَلِكَ) هَذَا أَحَدُ أَقْوَالٍ تَقَدَّمَتْ فِي (الْبَقَرَةِ)، وَهُوَ أَتَمُّهَا وَأَسْلَمُهَا.

قوله: (أَي: هَذِهِ الْآيَاتُ) يَحْتَمِلُ أَنَّ اسْمَ الْإِشَارَةِ عَائِدٌ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَوَّلِ الْقُرْآنِ إِلَى هُنَا، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ عَائِدٌ عَلَى الْآيَاتِ الَّتِي سَتُذَكَّرُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَأَتَى بِاسْمِ الْإِشَارَةِ الْبَعِيدِ؛ إِشَارَةً إِلَى بُعْدِ رَتْبِهِ عَنْ كَلَامِ الْبَشَرِ، وَرِفْعَةِ قَدْرِهِ.

قوله: (﴿ءَايَةُ الْكِتَابِ﴾) خَبَرَ اسْمَ الْإِشَارَةِ.

الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ

الْقُرْآنِ، والإضافة بِمَعْنَى (مِنْ)، ﴿الْحَكِيمِ﴾ الْمُحْكَم.

﴿٢﴾ ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ أي: أَهْلُ مَكَّةَ، اسْتِفْهَامُ إنْكَارٍ، وَالْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ حَالٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿عَجَبًا﴾ - بِالنَّصْبِ خَبَرُ «كَانَ»، وَبِالرَّفْعِ اسْمُهَا -، وَالْخَبَرُ - وَهُوَ اسْمُهَا عَلَى الْأُولَى -: ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ أي: إِحَاؤُنَا ﴿إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾: مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿أَنْ﴾ - مُفَسَّرَةٌ - ﴿أَنْذِرِ﴾: خَوْفُ ﴿النَّاسِ﴾: الْكَافِرِينَ بِالْعَذَابِ،

حاشية الصاوي

قوله: (والإضافة) أي: في قوله: ﴿ءَايَتُ الْكِتَابِ﴾، والمعنى: تِلْكَ آيَاتُ مِنَ الْكِتَابِ؛ لِأَنَّ الْمَشَارَإِلَهُ بَعْضُ الْقُرْآنِ.

قوله (المحكم) أشار بذلك إلى أن (فعيلاً) بمعنى (مفعول)، ومعناه: الذي لا يتطرق إليه الفساد، ولا تغيره الدهور، ولا يعتريه الكذب ولا التناقض، ويصح أن يكون بمعنى (فاعل) أي: الحاكم؛ أي: ذو الحكم؛ لاشتماله على الأحكام الدينية المتعبد بها.

قوله: (استفهام إنكاري) أي: والمعنى: لا يليق ولا ينبغي لأهل مكة أن يتعجبوا من إرساله ﷺ حيث قالوا: العجب أن الله لم يجد رسولاً يرسله إلى الناس إلا يتيماً أبي طالب^(١).

قوله: ﴿عَجَبًا﴾ العجب: استعظام أمرٍ خَفِيَ سَبَبُهُ.

قوله: (خبر «كان») أي: مقدّم عليها.

قوله: (وبالرفع اسمها) هذه القراءة شاذة، فكان المناسب للمفسّر أن ينبّه عليها^(٢).

قوله: (والخبر) مبتدأ، وجملة ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ خبره، وقوله: (وهو اسمها على الأولى) اعتراض بين المبتدأ والخبر.

قوله: (مفسرة) أي: بمعنى (أي)، وضابطها: أن يتقدّمها جملةٌ فيها معنى القول دون حروفه.

قوله: ﴿أَنْذِرِ النَّاسَ﴾ أي: إن استمرّوا على الكفر.

(١) انظر «تفسير الرازي» (١٧/١٨٥).

(٢) قرأ بها سيدنا عبد الله بن مسعود. انظر «الدر المصون» (٦/١٤٥).

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ﴾ أي: بِأَنَّ ﴿لَهُمْ قَدَمَ﴾: سَلَفَ ﴿صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: أَجْرًا حَسَنًا بِمَا قَدَّمُوهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا﴾ الْقُرْآنَ الْمُشْتَمِلَ عَلَى ذَلِكَ ﴿لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾: بَيِّنٌ، - وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿لَسِحْرٌ﴾ - وَالْمُشَارُ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ.

﴿٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، أي: فِي قَدَرِهَا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ، وَلَوْ شَاءَ لَخَلَقَهُنَّ فِي لَمَحَةٍ، وَالْعُدُولُ عَنْهُ حَاشِيَةُ الصَّاوِي

قوله: ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ من إضافة الموصوف للصفة، وسمي الأجر الحسن قدم صدق؛ لأنَّ الخير قد سبق لهم عند الله، والشأن أنَّ السعي يكون بالقدم، فسمي المسبَّب باسم السبب؛ كما سُمِّيَت النعمة يداً؛ لأنها تُعطى بها.

قوله: (أَجْرًا حَسَنًا) هذا أحدُ أقوال في تفسير قوله: ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾، وهو لابن عباس، وقيل: هو الأعمال الصالحة، وقيل: شفاعَةُ النبي ﷺ، وقيل: السعادة المكتوبة لهم أزلاً في اللوح المحفوظ، وقيل: منزلة رفيعة في الجنة، وكلُّ هذه التفاسير ترجع إلى ما قاله المفسِّر^(١).

قوله: ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ﴾ أي: حيث ردَّ عليهم بتعجبهم بأبلغ ردٍّ.

قوله: (المشتمل على ذلك) أي: الإنذار والتبشير.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(٢).

قوله (المشار إليه) أي: على القراءة الثانية.

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ﴾ هذا ردُّ عليهم في تعجبهم، والمعنى: لا ينبغي لكم التعجب من إرسال الرسول؛ لأنَّ ربكم الله الذي خلق السموات والأرض... إلخ؛ فمن كان قادراً على ذلك.. فلا يُستغربُ عليه إرسالُ رسول.

قوله: (أي: في قدرها) جواب عن قوله: (لأنه لم يكن ثمَّ شمس... إلخ).

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/٤٢٧).

(٢) قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر بكسر السين وسكون الحاء، على أنَّ الإشارة للقرآن المشتمل على ذلك، والباقون بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء على أنَّ الإشارة للنبي ﷺ. انظر «السراج المنير» (٢/٣).

ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾

لِتَعْلِيمِ خَلْقِهِ التَّثْبُتِ، ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواءٌ يليقُ به، ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ بَيْنَ الْخَلَائِقِ
﴿مَا مِنْ﴾ - زائدة - ﴿شَفِيعٍ﴾ يَشْفَعُ لِأَحَدٍ ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ رَدُّ لِقَوْلِهِمْ: إِنَّ الْأَصْنَامَ تَشْفَعُ
لَهُمْ، ﴿ذَلِكَكُمْ﴾ الْخَالِقُ الْمُدَبِّرُ ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾: وَحْدُوهُ، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾
- بِإِدْغَامِ التَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الذَّالِ -.

حاشية الصاوي

قوله: (لتعليم خلقه التثبُّت) أي: التَّائِيَّ والتمهُّلَ في الأمور، وتخصيصُ السَّتَةِ بذلك ولم تكن
أقلَّ ولا أكثر.. ممَّا استأثر الله بعلمه.

قوله: (استواءٌ يليقُ به) هذه طريقة السَّلف في تفويض علمِ المتشابهة إلى الله تعالى، وطريقة
الخلف يؤوِّلونه بالاستيلاء والقهر والتصرف، وإلى هذين الطريقتين أشار صاحبُ «الجوهرة»^(١)
بقوله: [الرجز]

وكلُّ نصٍّ أوْهَمَ التَّشْبِيهِهَا أَوَّلُهُ أَوْ فَوْضٌ وَرُمٌ تَنْزِيهِهَا
فالاستواءُ كما يُطلق على الركوب يطلقُ على الاستيلاء، وهو المراد هنا، ومنه قول الشاعر^(٢):
[الرجز]

قَدْ اسْتَوَى بِشَرٍّ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقِ
قوله: ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ أي: يَتَصَرَّفُ فِي الْخَلَائِقِ بِأَسْرَها، وَلَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ.
قوله: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ أي: لَا يَشْفَعُ أَحَدٌ عِنْدَهُ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ.
قوله: ﴿رَبُّكُمْ﴾ أي: خَالِقُكُمْ وَمُرِيَّكُمْ.
قوله: (بإدغام التاء في الأصل) أي: فأصله: (تذكرون)، قُلِبَتِ التَّاءُ ذَالًا، وَأَدْغَمَتْ
فِي الذَّالِ^(٣).

(١) انظر «شرح الجوهرة» للمصنَّف (ص ٢١٦).

(٢) هو للبعيث كما قاله ابن عباد، أو لِإِخْطَلِ كما قاله الجوهري. انظر «إتحاف السادة المتقين» (٣/١٠٦).

(٣) وهي قراءة غير حفص وحزمة والكسائي. انظر «السراج المنير» (٤/٢).

إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾

﴿٤﴾ ﴿إِلَيْهِ﴾ تعالى ﴿مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ - مَصْدَرَانِ مَنْصُوبَانِ بِفِعْلِهِمَا الْمُقَدَّرِ -، ﴿إِنَّهُ﴾ - بِالْكَسْرِ اسْتِثْنَاءً وَالْفَتْحَ عَلَى تَقْدِيرِ اللَّامِ - ﴿يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ أي: بَدَأَهُ بِالْإِنْشَاءِ، ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بِالْبَعْثِ؛ ﴿لِيَجْزِيَ﴾: يُثِيبُ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾: ماءٌ بِالْغِ نِهَآيَةَ الْحَرَارَةِ، ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤْلِمٌ ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أي: بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ ردُّ على مُنْكَرِي البعث حين قالوا: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

قوله: (بفعلهما المقدر) أي: وعدكم وعداً، وحقه حقاً.

قوله: (بالكسر) أي: وهي القراءة السبعية^(١).

قوله: (والفتح) أي: وهي شاذة، فكان عليه أن يُنبّه عليها^(٢).

قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: العدل المصحوب بالفضل، أو المراد بالقسط: عدل العبيد بامثالهم المأمورات واجتنابهم المنهيات؛ فتكون الباء سببية.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ غاير الأسلوب؛ إشارة إلى أنهم مُستحقون العذاب بسبب أعمالهم، وأما المؤمنون.. فتوابهم بفضل الله، وإلى أن المقصود من البدء والإعادة إنما هو الثواب، وأما العقاب.. فكانه عرض للكفار من سوء اعتقادهم وأفعالهم.

قوله: ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: غير الشراب.

قوله: (أي: بسبب كفرهم) أشار بذلك إلى أن الباء سببية، و(ما) مصدرية.

(١) انظر «الدر المصون» (١٤٨/٦).

(٢) قرأ بها عبد الله وابن القعقاع والأعمش وسهل بن شعيب. انظر «الدر المصون» (١٤٨/٦).

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾: ذات ضياء أي: نور ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ﴾: من حيث سيره ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرين منزلاً في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر، ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً، وليلة إن كان تسعة وعشرين يوماً،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾ هذا من جملة أدلة توحيده.

قوله: (ذات ضياء) أشار بذلك إلى أن ﴿ضِيَاءً﴾ مصدر، ويحتمل أنه جمع (ضوء)، والمعنى: ذات أضواء كثيرة، والضوء: النور القوي العظيم، فهو أخص من مطلق نور، وقيل: الضياء: ما كان ذاتياً، والنور: ما كان مكتسباً من غيره، فما قام بالشمس يُقال له: ضياء، وما قام بالقمر يُقال له: نور.

واعلم: أن الشعاع الفائض من الشمس؛ قيل: جوهر، وقيل: عرض، والحق: أنه عرض؛ لقيامه بالأجرام.

قوله: ﴿وَالْقَمَرَ﴾ معطوف على (الشمس)، و﴿نُورًا﴾ معطوف على ﴿ضِيَاءً﴾؛ ففيه العطف على معمولي عامل واحد، وهو جائز بلا خلاف.

قوله: ﴿وَقَدَرَهُ﴾ الضمير عائذ على (القمر) فقط، وحُصَّ بالذكر وإن كانت الشمس لها منازل أيضاً؛ لأن سير القمر في المنازل أسرع، وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين؛ لأنَّ المعبر في مثل الصيام والحج السنة القمرية، ويحتمل أن الضمير عائذ على كل من الشمس والقمر، وأفرد باعتبار ما ذكر، والأقرب: الأول.

قوله: (ثمانية وعشرين منزلاً) أي: وهي مُنْقَسمة على اثني عشر برجاً، وهي: الحمل، والثور، والجوزاء، السرطان، الأسد، السنبلة، الميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت؛ لكل برج منزلان وثلث، فيكون إقامته في كل برج ستة وخمسين ساعة، وانتقالات الشمس في هذه الأبراج مرتبة على الشهور القبطية، لكن الشهر ينصفه الأول من آخر برج، ونصفه الثاني من أول برج آخر، فيكون نصفه الأول من نصف السنبلة الأخير، ونصفه الأخير من نصف الميزان الأول، وهكذا.

قوله: (ويستتر ليلتين) أي: لا يرى وإن كان سائراً.

لِنَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا

﴿لِنَعْلَمُوا﴾ بذلك ﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ لا عَبَثًا تعالى عن ذلك، ﴿يُفَصِّلُ﴾ - بالياء والنون - : يبين ﴿الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ : يتدبرون.

﴿٦﴾ ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان، ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ﴾ من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وغير ذلك، ﴿و﴾ في ﴿الْأَرْضِ﴾ من حيوان وجبال وبحار وأنهار وأشجار وغيرها، ﴿لَآيَاتٍ﴾ : دلائل على قدرته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ هم فيؤمنون، خصَّهم بالذكر لأنهم المنتفعون بها.

﴿٧﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ بالبعث، ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بدل الآخرة

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لِنَعْلَمُوا﴾ هذا هو حكمة التقدير.

قوله: ﴿وَالْحِسَابَ﴾ معطوف على ﴿عَدَدَ﴾ مُسَلَّط عليه (تعلموا)، ولا يجوز جرُّه عطفاً على ﴿السِّنِينَ﴾؛ لأنَّ الحساب لا يُعلم عدده؛ ولذا سئل أبو عمرو عن الحساب؛ أتنبه أم تجرُّه؟ فقال: (ومن يدري ما عدد الحساب؟!)(١)؛ كناية عن كونه لا يجوز جرُّه.

قوله: (المذكور) أي: من كونه جعل الشمس ضياءً، والقمر نوراً.

قوله: (بالياء والنون) أي: فهما قراءتان سبعيتان، وعلى النون فيه التفاتٌ من الغيبة للتكلم(٢).

قوله: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ خُصُّوا بالذكر؛ لأنهم هم المنتفعون بذلك.

قوله: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: في كون أحدهما يخلف الآخر ويعقبه.

قوله: (بالذهاب والمجيء) تصويرٌ للاختلاف، والزيادة والنقصان؛ أي: فكلُّ واحد يزيد بقدر

ما نقص من الأخير.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ أي: لا يخافونه ولا يؤمنون به.

(١) انظر «البحر المحيط» (٥/١٣٠).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بياء الغيبة؛ جرياً على اسم الله تعالى، والباقون بنون العظمة. انظر «الدر المصون» (٦/١٥٤).

وَأَطْمَأْنُونُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ أَلْثَارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ

لإنكارهم لها، ﴿وَأَطْمَأْنُونُوا بِهَا﴾: سَكُنُوا إِلَيْهَا، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَتِنَا﴾: دَلَائِل وَحَدَائِيتِنَا ﴿غَافِلُونَ﴾: تَارِكُونَ لِلنَّظَرِ فِيهَا.

﴿٨﴾ ﴿أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ أَلْثَارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ مِنَ الشَّرِّ وَالْمَعَاصِي.

﴿٩﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ﴾: يُرْشِدُهُمْ ﴿رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ بِهِ، بِأَن يَجْعَلَ لَهُمْ نُورًا يَهْتَدُونَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَطْمَأْنُونُوا بِهَا﴾ أي: فَعَلُوا فَعْلَ الْمُخْلِدين فِيهَا.

قوله: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ مبتدأ، و﴿مَا لَهُمْ أَلْثَارُ﴾ مبتدأ ثان، و﴿أَلْثَارُ﴾ خبر الثاني، والثاني وخبره خبر الأول، والجملة خبر (إِنَّ).

قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: بسبب كَسْبِهِمْ.

قوله: (من الشرك والمعاصي) بيان لقوله: ﴿يَكْسِبُونَ﴾.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هذا مُقَابِلُ قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا...﴾ إلخ، و﴿إِنَّ﴾:

حرفُ توكيد ونصب، ﴿الَّذِينَ﴾: اسمها، ﴿ءَامَنُوا﴾ صلته، وجملة ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ﴾: خبر (إِنَّ).

قوله: ﴿ءَامَنُوا﴾ أي: صَدَّقُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ؛ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ، حُلُوهُ وَمَرُّهُ.

قوله: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: الْأَعْمَالُ الْمَرْضِيَّةُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ.

قوله: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ﴾ أي: يُوصِلُهُمْ لِدَارِ السَّعَادَةِ، وَحَذَفَ الْمَعْمُولُ لِلْعِلْمِ بِهِ.

قوله: ﴿بِإِيمَانِهِمْ﴾ أي: بسبب تَصْدِيقِهِم بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ أي: وبسبب أَعْمَالِهِم الصَّالِحَةِ أَيْضًا،

فَالْإِيمَانُ وَالْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ سَبِيلَانِ مُوَصِّلَانِ لِدَارِ السَّعَادَةِ، أَوِ الْمَرَادُ بِالْإِيمَانِ: الْكَامِلُ؛ لِيَشْمَلَ الْأَعْمَالُ.

قوله: (بأن يجعل لهم نوراً يهتدون به) أي: وَتَصَوَّرْ لَهُمُ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ بِصُورَةٍ حَسَنَةٍ عِنْدَ

خُرُوجِهِمْ مِنَ الْقُبُورِ، وَتَقُولُ لِصَاحِبِهَا: كُنْتُ أُسْهِرُكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَتْعَبُكَ فِيهَا؛ فَارْكَبْ عَلَى ظَهْرِي،

وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ نُحْيِي الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا﴾ [مريم: ٨٥]، بِخِلَافِ الْكَافِرِ؛ فَيَحْشُرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

﴿١٠﴾ ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا﴾ طَلَبُهُمْ لِمَا يَشْتَهُونَهُ فِي الْجَنَّةِ أَنْ يَقُولُوا: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾
أي: يا الله، فإذا ما طَلَبُوهُ وَجَدُوهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ،

حاشية الصاوي

أعمى، لا يهتدي إلى مقصوده، ويأتيه عمله السيئ فيقول له: كنت مُتِلذذاً بي في الدنيا؛ فأنا أركبُك اليوم، وذلك قوله تعالى: ﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١] ^(١).

قوله: ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ أي: بساتين التنعم، وهذا الأمر يُطلق على جميع الجنان، والمعنى: أن المؤمنين العاملين للصالحات يُوصلهم ربهم لدار كرامته ومحلّ سعادته، تجري الأنهار بجانب قصورهم، ينظرون إليها من أعلى أماكنهم.

قوله: (طلبهم لما يشتهونه في الجنة أن يقولوا... إلخ) أي: فهذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم في جميع ما يطلبونه، فإذا أرادوا الأكل مثلاً... قالوا: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، فيأتونهم بالطعام على الموائد؛ كلُّ مائدةٍ ميلٌ في ميل، على كلِّ مائدة سبعون ألف صحيفة، في كلِّ صحيفة لونٌ من الطعام لا يُشبه بعضها بعضاً، فإذا فرغوا من الطعام... حمدوا الله على ما أعطاهم، وذلك قوله: ﴿وَأَخْرَجُوا دَعَوْنَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠] ^(٢).

والمراد بما يشتهونه في الجنة: ما كان محموداً في الدنيا؛ فلا يقال: إِنَّ نفوس الفساق قد تشتهي اللواط مثلاً، فيفيد أنه يحصل في الجنة؛ لأنه يقال: المراد بما يشتهونه: ما ليس بشهوات شيطانية؛ لأنهم عُصموا منها بالموت، فلا تخطر ببالهم في الجنة، ولا يميل لها طبعهم، وكذلك يقال في شهوة المحارم كالأم والبنت، وأيضاً: أهل الجنة لا أدبارَ لهم، ولا يتغوّطون فيها؛ لما في الحديث: «أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوّطون ولا يمتخطون»، قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «جشأ، ورشخ كرشح المسك، يُلْهَمون التسبيح والتحميد كما يُلْهَمون النفس» ^(٣).

(١) انظر «الدر المنثور» (٣٢٧/١١).

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٤٣٠/٢).

(٣) رواه مسلم (٧٢٥٤) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ.....

﴿وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ فيما بينهم ﴿فِيهَا سَلَامٌ﴾ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .
 ﴿١١﴾ ونزل لما استعجل المشركون العذاب: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ﴾
 أي: كاستعجالهم
 حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ التحية: ما يُحيّا به الإنسان من الكلام الطيب .

قوله: (فيما بينهم) أي: أو تحية الملائكة لهم، قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]، أو تحية الله لهم، قال تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨] .

قوله: ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ﴾ أي: خاتمة تسبيحهم في كل مجلس أن يقولوا: الحمد لله رب العالمين، وليس معناه انقطاع الحمد؛ فإن أقوال أهل الجنة وأحوالها لا آخر لها .

قوله: (مفسرة) اعترض بأن ضابط المفسرة مفقود هنا؛ إذ ضابطها: أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه، وهنا تقدمها مفرد، فكان المناسب أن يقول: (مخففة من الثقيلة)، ويكون اسمها ضمير الشأن، وجملة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خبرها .

قوله: ﴿إِنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: فأهل الجنة يبتدئون مطالبهم بالتسبيح، ويختتمونها بالتحميد، فتلذذهم بالأكل والشرب وسائر النعم . لا يشغلهم عن ذكر الله وشكره .

قوله: (ونزل لما استعجل المشركون العذاب) أي: لما بين الله سبحانه وتعالى أنه يُجيب الداعي بالخير . أدب عباده بأنهم لا يطلبون الشر، بل يطلبون الخير، فيعطونه، وقوله: (لما استعجل المشركون) قيل: هم النّضر بن الحارث وغيره؛ حيث قالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ أَلْحَقَ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] .

قوله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ﴾ أي: الذي طلبوه لأنفسهم .

قوله: (أي: لاستعجالهم) أشار بذلك إلى أن ﴿اسْتِعْجَالَهُمْ﴾ مصدر، والأصل: استعجالاً مثل استعجالهم، حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه .

بِالْخَيْرِ لَقِضَى إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ

﴿بِالْخَيْرِ لَقِضَى﴾ - بالبناء للمفعول وللفاعل - ﴿إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ - بالرفع والنصب - بِأَن يُهْلِكَهُمْ، وَلَكِنْ يُمَهِّلُهُمْ، ﴿فَنَذَرُ﴾: نَتْرُكُ ﴿الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يَتَرَدَّدُونَ مُتَحِيرِينَ.

﴿١٢﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَقِضَى إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ أي: لهلكوا جميعاً، والمعنى: أن الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على أنفسهم وأهلهم وأولادهم بالموت وتعجيل البلاء، كما يدعونه بالرزق والرحمة؛ فلو أجابهم الله إذا دَعَوْه بالشر الذي يستعجلونه به مثل ما يُجيبهم إذا دَعَوْه بالخير. . لأهلكهم، ولكنه من فضله وكرمه يستجيب للداعي بالخير، ولا يستجيب له بالشر، فالعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

قوله: (بالبناء للمفعول وللفاعل) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (بالرفع والنصب) لفّ ونشر مرتّب؛ فالرفع نائب فاعل، والنصب مفعول به.

قوله: (بأن يهلكهم) أي: قبل موتهم.

قوله: (ولكن يمهلهم) أي: فضلاً منه وكرماً إلى أن يأتي أجْلُهُمْ؛ فإذا جاء.. لا يستأخرون ساعة، ولا يستقدمون؛ فالمؤمن يلقى النعيم الدائم، والكافر يلقى العذاب الدائم.

قوله: ﴿الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ أي: الذين لا يخافون عقابنا، ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت.

قوله: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ أي: الذي هو إنكار البعث والمقالات الشنيعة.

قوله: ﴿يَعْمَهُونَ﴾ حال من فاعل ﴿يَرْجُونَ﴾.

قوله: (يتَرَدَّدُونَ متحيرين) أي: في الفرار من العذاب؛ فلا يجدون لهم مفرّاً.

قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ﴾ وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما وبَّخهم على الدعاء بالشر لأنفسهم.. بين هنا غاية عجزهم وضعفهم، وأنهم لا يقدرّون على إيجاد شيء ولا إعدامه.

(١) قرأ ابن عامر بالبناء للفاعل، والباقون بالبناء للمفعول. انظر «الدر المصون» (٦/١٥٩).

الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ. كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ

الكافر ﴿الضُّرُّ﴾: المَرَضُ والفقر ﴿دَعَانَا لِجَنبِهِ﴾ أي: مُضْطَجِعًا ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ أي: في كُلِّ حال، ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ﴾ على كُفْرِهِ ﴿كَأَن﴾ - مُخَفَّفَةٌ واسمها مَحْذُوفٌ - أي: كَأَنَّهُ ﴿لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ﴾ كما زَيْنَ لَهُ الدُّعَاءُ عِنْدَ الضَّرَرِ والإِعْرَاضِ عِنْدَ الرِّخَاءِ ﴿زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾: المُسْرِكِينَ ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿١٣﴾ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾: الأُمَمَ ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يا أَهْلَ مَكَّةَ ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ بِالشُّرْكِ، ﴿وَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: الدَّلَالَاتِ عَلَى صِدْقِهِمْ،

حاشية الصاوي

قوله: (الكافر) مثله: ناقص الإيمان، المنهمك في المعاصي.

قوله: ﴿لِجَنبِهِ﴾ حال من فاعل ﴿دَعَانَا﴾، واللام بمعنى (على).

قوله: ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ يحتمل أن (أو) على بابها؛ لأن المضار؛ إمّا ثقیلة تمنعه القيام والعود، أو خفيفة لا تمنع ذلك، أو متوسطة تمنع القيام دون القعود، ويحتمل أن (أو) بمعنى الواو، فهو إشارة لتنويع الأحوال، وإلى هذا أشار المفسر بقوله: (أي: في جميع الأحوال).

قوله: ﴿مَرَّ﴾ على كفره) أي: استمر عليه.

قوله: ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا﴾ الجملة في محل نصب حال من فاعل ﴿مَرَّ﴾، والمعنى: استمر هو على كفره مُشَبَّهًا بمن لم يدعنا أصلاً؛ أي: رجع إلى حالته الأولى، وترك الالتجاء إلى ربه.

قوله: ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ أي: المتجاوزين الحد.

قوله: ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: عملهم، فالواجبُ على الإنسان دوامُ الدعاء والتضرع والالتجاء لجانب الله في كل حالٍ سَيِّئًا في حالِ الصحة والغنى؛ لأنه يُشَدَّدُ عليه فيهما ما لا يشدُّد عليه في غيرهما.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم.

قوله: ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ أي: حين ظلمهم.

وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَأَنْتَ بِفِرْعَوْنَ غَيْرٍ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ.....

﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ - عطف على ﴿ظَلَمُوا﴾ - ، ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أهلكنا أولئك ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾: الكافرين .

﴿١٤﴾ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ﴾ يا أهل مَكَّة ﴿خَلِيفَةً﴾: جمع خَلِيفَة ﴿فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فيها، وهل تَعْتَبِرُونَ بِهِمْ فَتُصَدِّقُوا رُسُلَنَا؟

﴿١٥﴾ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾: الْقُرْآنُ ﴿بَيِّنَاتٍ﴾: ظاهراتٍ حال ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾: لا يَخَافُونَ الْبَعْثَ: ﴿أَنْتَ بِفِرْعَوْنَ غَيْرٍ هَذَا﴾ ليس فيه عَيْبٌ آلِهَتِنَا، ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِكَ،

حاشية الصاوي

قوله: (عطف على ﴿ظَلَمُوا﴾) أي: كأنه قيل: حين ظلموا وحين لم يكونوا مؤمنين، والمعنى: أن سبب إهلاكهم شيان: ظلمهم، وعدم إيمانهم.
قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ﴾ عطف على ﴿أَهْلَكْنَا﴾.

قوله: ﴿خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ أي: مُستخلفون من بعد القرون؛ بسبب أن الله أورثكم أرضهم وديارهم؛ فمن يوم بعث الله محمداً؛ فجميع الخلق الموجودين من يومئذٍ إلى يوم القيامة.. من أمته؛ مسلمهم وكافرهم، وهم خُلَفَاءُ الْأَرْضِ.

قوله: ﴿لِنَنْظُرَ﴾ أي: ليظهر متعلق علمنا، ونعاملهم معاملة من ينظر، وفي الكلام استعارة تمثيلية؛ حيث شبه حال العباد مع ربهم بحال رعية مع سلطانها في إِمهالهم لينظر ماذا تفعل، واستعير الدال على المشبه به للمشبه على سبيل التمثيل والتقريب، والله المثل الأعلى.

قوله: ﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ أي: فهل تُصدقون رسلنا أو تكذبونهم.

قوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ فيه التفات من الخطاب للغيبة.

قوله: ﴿أَنْتَ بِفِرْعَوْنَ غَيْرٍ هَذَا﴾ أي: من عند ربك إن كنت صادقاً في أنه من عند الله.

قوله: ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ أي: بأن تجعل مكان سبب آلِهَتِنَا مَذَحُهُمْ، ومكان الحرام حلالاً، وهذا الكلام من الكفار يحتمل أن يكون على سبيل الاستهزاء والسخرية، ويحتمل أنه على سبيل

قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا

﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿مَا يَكُونُ﴾: يَنْبَغِي ﴿لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي﴾ قَبْلَ ﴿نَفْسِي إِنْ﴾: مَا ﴿أَتَيْتُ﴾ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي بِتَبْدِيلِهِ ﴿عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. ﴿١٦﴾ ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ﴾: أَعْلَمَكُمْ ﴿بِهِ﴾، و(لا) نَافِيَةٌ عَطَفَ عَلَى مَا قَبْلَهُ، وَفِي قِرَاءَةِ بِلَامِ جَوَابِ (لَوْ)، أَي: لَأَعْلَمَكُمْ بِهِ عَلَى لِسَانِ غَيْرِي، ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ﴾: مَكَّثْتُ ﴿فِيكُمْ عُمُرًا﴾:

حاشية الصاوي

الامتحان؛ ليعلموا كونه من عند الله فلا يقدر على تغييره وتبديله، أو من نفسه فيقدر على ذلك، والأول هو المتبادر من حالهم.

قوله: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ﴾... إلخ) أي: لا يليق منِّي ولا يصح.

قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾ تعليل لما قبله.

قوله: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ مفعول ﴿شَاءَ﴾ محذوف؛ أي: عدم إنزاله.

قوله: ﴿وَلَا أَدْرَاكُمْ﴾ (أدرى): فعل ماضٍ، وفاعله مُسْتَرَرٌّ يعود على (الله)، والكاف مفعول

به.

قوله: (و(لا): نافية) أي: وجملة ﴿أَدْرَاكُمْ﴾ مؤكدة لما قبلها، عطف عام على خاص، والمعنى: لو شاء الله عدم إنزاله.. ما تلوته عليكم، ولا أعلمكم به منِّي ولا من غيري.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: (بلام) أي: وهي للتأكيد، والمعنى على هذا: لو شاء الله عدم تلاوتي.. ما تلوته عليكم، ولأعلمكم به من غيري؛ بأن يُنْزِلَهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيٍّ غَيْرِي، ونتيجة هذا القياس محذوفة، تقديره: لكن شاء الله إنزاله عليّ، فأنا أتْلُوهُ عَلَيْكُمْ، وأنا أعلمكم به.

قوله: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ هذا هو وجه الاحتجاج عليهم، والمعنى: أن كُفَّارَ مَكَّةَ

(١) قرأ ابن كثير بخلاف عن البري باللام، وقرأ الجمهور: بهـ «لا». انظر «الدر المصون» (٦/١٦٤).

مَنْ قَبْلَهُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

سَنِينًا أَرْبَعِينَ ﴿مَنْ قَبْلَهُ﴾ لَا أَحَدٌ كُمْ بِشَيْءٍ، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ قِبَلِي؟
 ﴿فَمَنْ﴾ أَي: لَا أَحَدٌ ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بِنِسْبَةِ الشَّرِيكَ إِلَيْهِ،
 ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾: الْقُرْآنِ؛ ﴿إِنَّهُ﴾ أَي: الشَّأْنُ ﴿لَا يُفْلِحُ﴾: يُسَعِّدُ ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾:
 الْمُشْرِكُونَ.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَي: غَيْرِهِ

حاشية الصاوي

شاهدوا رسول الله قبل مبعثه، وعلموا أحواله، وأنه كان أميًا لم يقرأ كتاباً ولا تعلّم من أحد، وذلك مدة أربعين سنة، ثم بعدها جاءهم بكتاب عظيم الشأن، مُشتمل على نفائس العلوم والأحكام والآداب ومكارم الأخلاق؛ فكلُّ مَنْ له عقل سليم وفهم ثابت.. يعلم أن هذا القرآن من عند الله، لا من عند نفسه.

قوله: (سَنِينًا) منصوب بفتحة ظاهرة، وقد مرَّ المفسّر على طريقة مَنْ يجعله مثل (حين)، ومنه: حديث: «اللهم اجعلها عليهم سَنِينًا كَسَنِينِ يَوْسُفَ» في إحدى الروايتين^(١).

قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أَي: أَعْمِشُمُ عَنْ الْحَقِّ فَلَا تَعْقِلُونَهُ؟

قوله: (أَي: لَا أَحَدٌ) أشار بذلك إلى أَنَّ الاستفهام إنكاريٌّ، بمعنى النفي.

قوله: (بنسبة الشريك إليه) أشار المفسّر إلى أَنَّ الخطاب متوجّه لهم، والمعنى على ذلك: إنكم افتريتم على الله الكذب، فزعمتم أن له شريكاً، والله منزّه عنه، وثبت عندكم صِدْقِي بِالْقُرْآنِ، فكذبتم بآياته.

قوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ عطف على ما تقدّم، عطف قصة على قصة، بيانٌ لقبائحهم، وفي الحقيقة عبادتهم غير الله تسبّب عنه ما تقدّم من افتراءهم وتكذيبهم بآيات الله.

(١) رواها أبو عوانة في «مستخرجه» (٢١٦٩)، والدارقطني في «سننه» (٣٦٨/٢)، والحديث في «صحيح البخاري» (١٠٠٦)، و«صحيح مسلم» (١٤٨٥) على الإعراب بالحروف.

مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾

﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ إن لم يعبدوه، ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ إن عبدوهُ وهو الأصنام، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ عنها: ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ﴾: تُخْبِرُونَهُ ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾؟ استفهام إنكار؛ إذ لو كان له شريك لعلمه؛ إذ لا يخفى عليه شيء، ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيهاً له، ﴿وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ (ما): اسم موصول، أو نكرة موصوفة، ونفي الضر والنفع هنا باعتبار ذواتهم، وإثباتهما في قوله تعالى: ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ [الحج: ١٣] باعتبار النسب.

قوله: (وهو الأصنام) بيان لـ(ما).

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ قال أهل المعاني: توهموا أن عبادتها أشد في تعظيم الله من عبادتهم إياه، وقالوا: لسنّا بأهل أن نعبد الله، ولكن نشتغل بعبادة هذه الأصنام؛ فإنها تكون شافعة لنا عند الله، قال تعالى إخباراً عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢٥].

إن قلت: إنهم ينكرون البعث؛ ففي أي وقت يشفعون لهم على زعمهم؟ أجيب: بأنهم يرجون شفاعتهم في الدنيا في إصلاح معاشهم.

قوله: ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ المقصود: نفي وجود الشريك بنفي لازمه؛ لأن علمه تعالى محيط بكل شيء؛ فلو كان موجوداً.. لعلمه الله، وحيث كان غير معلوم لله.. وجب ألا يكون موجوداً، وهذا مثل مشهور؛ فإن الإنسان إذا أراد نفي شيء وقع منه.. يقول: ما علم الله ذلك مني؛ أي: لم يحصل ذلك مني قط.

قوله: ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ حال من العائد المحذوف في (يعلم).

قوله: (استفهام إنكار) أي: بمعنى النفي.

وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ

﴿١٩﴾ ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على دين واحد وهو الإسلام من لدن آدم إلى نوح، وقيل: من عهد إبراهيم إلى عمرو بن لحي، ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾ بأن ثبت بعض وكفر بعض، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة، ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: الناس في الدنيا ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من الدين بتعذيب الكافرين.

﴿٢٠﴾ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: أهل مكة: ﴿لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﷺ ﴿آيَةً مِنْ رَبِّهِ﴾ كما كان للأنبياء من الناقة والعصا واليد، ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا الْغَيْبُ﴾: ما غاب عن العباد أي: أمره ﷻ ومنه الآيات، فلا يأتي بها إلا هو، وإنما عليّ التبليغ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف.

قوله: (من لدن آدم إلى نوح) أي: إن عبادة الله وحده استمرت من آدم إلى نوح، فظهر في أمة نوح من يعبد غير الله، قال تعالى في شأنهم: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا...﴾ [نوح: ٢٣] الآية، فأخذوا بالطوفان.

وقوله: (وقيل: من عهد إبراهيم) أي: إنه ظهر في زمن إبراهيم من يعبد غير الله، فأهلكوا بالبعوض، واستمر من يعبد الله وحده إلى أن ظهر عمرو بن لحي، وهو أول من بحر البحائر، وسيب السوائب في الجاهلية إلى أن ظهر سيدنا محمد ﷺ.

قوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ﴾ المراد فيها: حكمه الأزلي بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: في الدين الذي يختلفون بسببه.

قوله: (بتعذيب الكافرين) متعلق بـ(قضي).

قوله: (هَلَّا) أشار بذلك إلى أن ﴿لَوْلَا﴾ تحضيضية.

قوله: ﴿آيَةً مِنْ رَبِّهِ﴾ أي: معجزة كما كان للأنبياء، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَنْفَجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا...﴾ [الإسراء: ٩٠] الآية.

قوله: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ أي: مختص به لا يقدر على الإتيان بشيء منه إلا الله،

فَانْتَظِرُوا اِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَاِذَا اَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ اِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِيْ ءَايَانَا قُلِ اللّٰهُ اَسْرَعُ مَكْرًا اِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُوبُوْنَ مَا تَمْكُرُوْنَ ﴿٢١﴾

﴿فَانْتَظِرُوا﴾ العَذَابَ اِنْ لَمْ تُؤْمِنُوْا، ﴿اِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾.

﴿٢١﴾ ﴿وَاِذَا اَذَقْنَا النَّاسَ﴾ اَي: كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿رَحْمَةً﴾: مَطْرًا وَخِصْبًا ﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ﴾: بُؤْسٍ وَجَدِبَ ﴿مَسَّتْهُمْ اِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِيْ ءَايَانَا﴾ بِالاسْتِهْزَاءِ وَالتَّكْذِيبِ، ﴿قُلِ﴾ لَهُمْ: ﴿اللّٰهُ اَسْرَعُ مَكْرًا﴾: مُجَازَاةً، ﴿اِنَّ رُسُلَنَا﴾ الْحَفَظَةَ ﴿يَكْتُوبُوْنَ مَا تَمْكُرُوْنَ﴾ - بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ ..

حاشية الصاوي

ولما لم يُجَابُوا بعين مطلوبهم؛ لعلمه بقاء هذه الأمة وهذا الدين إلى يوم القيامة، وقد جرت عادته سبحانه وتعالى أن القوم الذين يطلبون الآيات إذا جاءت ولم يؤمنوا بها.. يعجل لهم الهلاك، فعدم إجابتهم على طبق ما طلبوا.. رحمة لهم.

قوله: ﴿اِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ (أي: لما يفعله بكم).

قوله: ﴿وَاِذَا اَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ (هذا جواب آخر عن قول أهل مكة: ﴿لَوْلَا اُنْزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾؛ وذلك أنه لما اشتد من أهل مكة العناد وعدم الإذعان.. ابتلاهم الله بالقحط سبع سنين، ثم رحمهم بعد ذلك بإنزال المطر والخصب، فجعلوا ذلك هزواً وسخرية، وأضافوا المنافع إلى الأصنام وقالوا: لو كان القحط بسبب ذنوبنا كما يقول محمد.. ما وصل لنا بعد ذلك الخصب؛ لأننا لم نُنَّب؛ فإذا كان كذلك.. فعلى تقدير أن يُعطوا ما سألوا من إنزال ما طلبوه لا يؤمنون.

قوله: ﴿بِالاسْتِهْزَاءِ... إلخ﴾ تفسير للمكر.

قوله: ﴿اَسْرَعُ مَكْرًا﴾ (أي: أعجل عقوبة من سرعة مكرهم، وتسمية عقوبة الله مكرًا مُشَاكِلَةً).

قوله: ﴿اِنَّ رُسُلَنَا﴾ تعليلٌ لأسرعية مكره، وتنبية على أن ما دبروه غير خافٍ على الحفظة فضلاً

عن العليم الخبير.

قوله: ﴿بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ﴾ أي: لكن الأولى سبعة، والثانية عشرة^(١).

(١) قرأ الحسن وقتادة ومجاهد والأعرج ونافع في رواية ياء الغيبة، والباقون بالخطاب. انظر «الدر المصون» (١٦٨/٦).

هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۖ

﴿٢٢﴾ ﴿هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمُ﴾ - وفي قراءة: (يُنْشِرُكُم) - ﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾: السَّفْنُ ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ - فيه التِّفَاتُ عن الخطاب - ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾: لَيْتَنَ، ﴿وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ شَدِيدَةُ الْهُبُوبِ تَكْسِرُ كُلَّ شَيْءٍ، ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أي: أَهْلِكُوا،
حاشية الصاوي

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمُ﴾ الجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر؛ أي: لا مُسِيرَ لَكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ إِلَّا هُوَ، وهذا من جملة أدلة توحيده.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سَبْعِيَّةٌ أَيْضاً^(١)، من النَّشْر، وهو: البَثُّ والتفريق، والمعنى: يَفَرِّقُكُمْ وَيُبْثِّكُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، والرَّسْمُ متقارب، لكن طُوِّلَتِ السَّنَةُ الثَّانِيَّةُ وهي النون في القراءة الثانية، وطُوِّلَتِ السَّنَةُ الَّتِي قَبْلَ الرَّاءِ وهي الياء على القراءة الأولى.
قوله: ﴿فِي الْبَرِّ﴾ مُشَاةٌ وَرَكْبَانًا.

قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾ غاية للسَّيْرِ فِي الْبَحْرِ. و(الْفُلْكِ) يُسْتَعْمَلُ مُفْرَدًا وَجَمْعًا، فحَرَكَتُهُ فِي الْمَفْرُودِ كَحَرَكَةِ (قُلْ)، وحركته فِي الْجَمْعِ كَحَرَكَةِ (بُذُنْ)، وهنا مُسْتَعْمَلٌ فِي الْجَمْعِ؛ بِدَلِيلِ: ﴿وَجَرَيْنَ﴾، وفي آية: ﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [الشعراء: ١١٩] مُسْتَعْمَلٌ مُفْرَدًا.

قوله: (فيه التِّفَاتُ عن الخطاب) أي: إِلَى الْغَيْبَةِ، وَحِكْمَتُهُ: زِيَادَةُ التَّقْيِيحِ عَلَى الْكُفَّارِ؛ لِأَنَّ شَأْنَهُمْ عَدَمُ شُكْرِ النِّعْمَةِ، وَأَمَّا الْخُطَابُ أَوَّلًا.. فَهُوَ لِكُلِّ شَخْصٍ؛ مُسْلِمٌ أَوْ كَافِرٌ بِتَعْدَادِ النِّعَمِ عَلَيْهِمْ.

قوله: ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ أي: تُوصِلُ لِلْمَقْصُودِ بِلُطْفٍ.

قوله: ﴿وَفَرِحُوا بِهَا﴾ الجملة حَالِيَّةٌ مِنْ ضَمِيرِ ﴿بِهِمْ﴾، و(قد) مَقْدَرَةٌ.

قوله: ﴿وَبَرِحُوا﴾ أي: أَيْقَنُوا.

قوله: (أي: أَهْلِكُوا) أي: ظَنُّوا الْهَلَاكَ؛ لِإِقْيَامِ الْأَسْبَابِ بِهِمْ.

(١) قرأ ابن عامر بعد الياء الأولى بنون ساكنة بعدها شين معجمة مضمومة، والباقون بسين مهملة مفتوحة بعدها ياء مكسورة مشددة. انظر «السراج المنير» (١٣/٢).

دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أُنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أُنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ

﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: الدُّعَاءُ ﴿لَئِنْ﴾ - لام قَسَم - ﴿أُنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ﴾: الأَهْوَالِ، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾: الْمُوَحِّدِينَ.

﴿٢٢﴾ ﴿فَلَمَّا أُنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: بِالشَّرْكِ، ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ﴾: ظَلَمَكُمْ ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ لِأَنَّ إِثْمَهُ عَلَيْهَا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مُخْلِصِينَ﴾ أي: غير مشركين معه شيئاً من آلهتهم.

قوله: ﴿لَئِنْ أُنْجَيْنَا﴾ هذا مقولٌ لقول محذوف، بيان لمحصل الدعاء، والتقدير: قائلين: وعزتك وجلالك؛ لئن أنجيتنا.

قوله: ﴿مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ أي: على نعمائك، الموحدون لك.

قوله: ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ﴾: للمفاجأة، والمعنى: فحين أنجاهم فاجؤوا الفساد وبادروا إليه.

قوله: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: إما وصفٌ كاشفٌ، أو احترازٌ به عن البغي بحق؛ كاستيلاء المسلمين على الكفار، وتخریب دُورهم، وإتلاف أموالهم كما فعل رسول الله بقريظة^(١).

قوله: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾: الكلام على حذف مضاف؛ أي: إثم بغيكم؛ كما يشير له المفسر بقوله: (لأن إثمهم عليها)، والمعنى: إن وبال بغيكم راجعٌ لأنفسكم، لا يضر الله منه شيء؛ كما لا ينفعه طاعة المطيع، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧].

وقال العارف: ماذا يضرُّك وهو عاصٍ، أو يفيدك وهو طائع؟! فإشراك المشرك لا يُثبتُ لله شريكاً، بل هو محض افتراء وكذبٍ، وبِإِلهِهِ على صاحبه، وتوحيد الموحِّد لا يثبت لله وحده، بل هي ثابتة أزلاً وأبداً، بل معنى (وحدت ربي): قامت وحدته بقلبي، وامتزجت بلبِّي، وليس المعنى: أنه أثبت له وحدة لم تكن؛ فإنَّ هذا هو الكفر بعينه، وفي ذلك قال العارف^(٢): [السرير]

ما وَحَّدَ الْوَاحِدَ مِنْ وَاحِدٍ إِذْ كُلُّ مَنْ وَحَّدَهُ جَاحِدٌ

(١) رواه البخاري (٤١٢٢)، ومسلم (٤٦٢٠) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

(٢) «منازل السائرين» (ص ١٣٩).

مَتَّعَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ

هو ﴿مَتَّعَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا﴾ تُمَتَّعُونَ فِيهَا قَلِيلًا، ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد الموت، ﴿فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فَنُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ، - وفي قِرَاءَةِ بِنَصْبٍ ﴿مَتَّعَ﴾ أي: تَمَتَّعُونَ ..

﴿٢٤﴾ ﴿إِنَّمَا مَثَلُ﴾: صِفَةُ ﴿الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ﴾: مَطَرٌ ﴿أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ﴾: بِسَبَبِهِ ﴿نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ وَاشْتَبَكَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾ مِنَ الْبُرِّ وَالشَّعِيرِ وَغَيْرِهِمَا، ﴿وَالْأَنْعَامُ﴾ مِنَ الْكَلَاءِ، ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾: بِهِجَتِهَا مِنَ النَّبَاتِ، ﴿وَازَّيَّنَتْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مَتَّعَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا﴾ (قدّر المفسّر (هو)؛ إشارة إلى أنه بالرفع، خبر لمحذوف.

قوله: (تَمَتَّعُونَ فِيهَا قَلِيلًا) أي: زَمَنًا قَلِيلًا.

قوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ (أي: لا مَفَرَّ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا إِمَهَالُهُمْ وَتَأْخِيرُهُمْ مِنْ حِلْمِهِ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: (فَنُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ) أي: عَلَى مَا عَمِلْتُمُوهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

قوله: (وَفِي قِرَاءَةٍ) أي: وَهِيَ سَبْعِيَّةٌ أَيْضًا^(١).

قوله: (بِنَصْبٍ ﴿مَتَّعَ﴾) أي: مَفْعُولٌ لِفِعْلِ مُحذُوفٍ قَدَّرَهُ الْمَفْسَّرُ بِقَوْلِهِ: (أي: تَمَتَّعُونَ).

قوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا﴾ بيان لَشَأْنِ الدُّنْيَا، وَأَنَّ مَدَّتَهَا قَصِيرَةٌ، وَالْمَعْنَى: صِفَتُهَا

فِي سُرْعَةِ انْقِضَائِهَا وَكَوْنِكُمْ مَغْرُورِينَ بِهَا كَمَا... إلخ.

قوله: ﴿كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ حِكْمَةٌ تُشَبِّهُهَا بِمَاءِ السَّمَاءِ دُونَ مَاءِ الْأَرْضِ: إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الدُّنْيَا

تَأْتِي بِلا كَسْبٍ مِنْ صَاحِبِهَا، وَلَا تَعَانِي مِنْهُ كَمَا السَّمَاءُ، بِخِلَافِ مَاءِ الْأَرْضِ فَيُنَالُ بِالْأَلَاتِ.

قوله: (وغيرهما) أي: كَالذَّرَّةِ وَالْحَمَصِ وَاللُّوْبِيَا وَالْفُولِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

قوله: (من الكلاء) هو: الْعُشْبُ رَطْبًا أَوْ يَابِسًا.

قوله: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ غَايَةٌ لِمُحذُوفٍ؛ أي: مَا زَالَ يَنْمُو وَيَزْهُو حَتَّى... إلخ،

(١) قرأ حفص «متاع» بالنصب، والباقون بالرفع. انظر «الدر المصون» (١٧٤/٦).

وَوَلَّى أَهْلَهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغِبْ
بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

بِالزَّهْرِ، وَأَصْلُهُ: تَزَيَّنْتَ، أُبْدِلْتَ الثَّاءَ زَايَاً وَأُدْغِمْتَ فِي الزَّايِ، ﴿وَوَلَّى أَهْلَهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا﴾: مُتِمِّكُونَ مِنْ تَحْصِيلِ ثَمَارِهَا، ﴿أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾: قَضَاؤُنَا أَوْ عَذَابُنَا ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا﴾ أَي: زَرَعَهَا ﴿حَصِيدًا﴾: كَالْمَحْصُودِ بِالْمَنَاجِلِ، ﴿كَأَن لَّمْ تَغِبْ﴾: مُخَفَّفَةٌ - أَي: كَأَنَّهَا ﴿لَمْ تَغِبْ﴾: تَكُنْ ﴿بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ﴾: نُبَيِّنُ ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

حاشية الصاوي

والمعنى: حتى استوفت واستكملت الأرض زخرفها من النبات، وتم سرور أهلها بها؛ أتاها أمرنا... إلخ.

قوله: (بالزهر) أي: أنواعه من أحمر وأصفر وأبيض وأخضر وغير ذلك.

قوله: (وأدغمت في الزاي) أي: بعد تسكينها، وأتي بهمزة الوصل؛ لأجل النطق بالساكن، فلما دخلت الواو... حذفت؛ للاستغناء عنها.

قوله: (متمكنون من تحصيل ثمارها) أي: من أخذ ما أنبتته من ثمار وزروع وبقول.

قوله: ﴿أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ جواب ﴿إِذَا﴾.

قوله: (كالمحصود) أي: المقطوع.

قوله: ﴿كَأَن لَّمْ تَغِبْ بِالْأَمْسِ﴾ أي: كأن لم تكن تلك الأشجار والنباتات والزروع ثابتة قائمة على ظهر الأرض، وهذا مثل للراغب في زهرة الدنيا وبهجتها، الرَّاكِن لها، المعرض عن الآخرة؛ فكما أن النبات الذي عظم الرجاء فيه والانتفاع به أته المتلفات بغته ويُس من منه، كذلك المتمسك بالدنيا إذا افتخر بها وتعزز... يأتيه الموت بغته؛ فيسلبه ما كان فيه من نعيم الدنيا ولذاتها.

قوله: ﴿بِالْأَمْسِ﴾ المراد به: الزمن الماضي، لا خصوص اليوم الذي قبل يومك.

قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما فصلنا في ضرب المثل.

قوله: ﴿نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: فليس هذا المثل قاصراً على شخص دون شخص،

بل هو عبرة لمن كان له بصيرة وتدبر، فينبغي للإنسان أن ينزل القرآن في خطابه على نفسه، ويتأمل فيها، ويتدبر؛ ليأتمر بأوامره، وينتهي بنواحيه.

وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

﴿٢٥﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴿٢٥﴾ أي: السَّلامَة، وهي الْجَنَّةُ بِالدُّعَاءِ إِلَى الْإِيمَانِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴿٢٥﴾ هِدَايَتَهُ ﴿٢٥﴾ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾: دِينِ الْإِسْلَامِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ (لما ذكر سبحانه وتعالى صفة الدين ورغب في الزهد فيها والتجنب ليزخرفها . . رغب في الآخرة ونعيمها؛ حيث أخبر أنه بعظمته وجلاله وكبريائه يدعو إلى دار السلام).

و(السلام): اسم من أسمائه تعالى، ومعناه: المنزه عن كل نقص، المتَّصف بكل كمال، وأضيفت (الدار) ل(السلام)؛ لأنها سالمة من الآفات والكدرات؛ كما أنَّ معنى السلام: السَّالم من كل نقص.

قوله: (أي: السلامة) أي: من الآفات والنقائص.

قوله: (وهي الجنة) أشار بذلك إلى أن المراد بهذا الاسم: ما يشمل جميع الجنات، لا خصوص المسمَّاة بهذا الاسم، من باب: تسمية الكلِّ باسم البعض، وكذا يقال في باقي دُورها؛ كدار الجلال، وجنة النعيم، وجنة الخلد، وجنة المأوى، والفردوس، وجنة عدن، فهذه الأسماء كما تطلق على مسمَّياتها؛ يطلق كل اسم منها على جميع دُورها؛ لصدق الاسم على المسمَّى في كلِّ.

قوله: (بالدعاء للإيمان) أي: سبب لدخول الجنة وإن كان صاحبه عاصياً، فالمدار في استحقاق الجنة: على مجرد الإيمان.

قوله: ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (أي: يُوصله إلى السعادة الكاملة).

قوله: (هدايته) هذا هو مفعول ﴿يَشَاءُ﴾.

قوله: ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (أي: طريق قويم لا اعوجاج فيه، وحذف مقابل ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾... إلخ، تقديره: (ويُضِل من يشاء عنه)، فالضلال والهدى بيد الله، يعطي أيهما شاء لمن شاء.

لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ.....

﴿٢٦﴾ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بِالْإِيمَانِ ﴿الْحُسْنَى﴾: الْجَنَّةُ ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ هِيَ النَّظَرُ إِلَيْهِ تَعَالَى كَمَا فِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ، ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾: يَغْشَى ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾: سَوَادٌ، ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾: كَابَةٌ، حَاشِيَةُ الصَّاوِي

قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ (خبر مقدم، و﴿الْحُسْنَى﴾: مبتدأ مؤخر.

قوله: (بالإيمان) أي: ولو صحبه ذنوب، فعصاة المؤمنين لهم الحسنى وزيادة وإن كانت مراتب أهل الجنة متفاوتة؛ فليس المنهمكون في طاعة الله كغيرهم.

قوله: (هي النظر إليه تعالى) هذا قول جمهور الصحابة والتابعين^(١)، وقيل: المراد بالزيادة: رضوان الله، وقيل: مضاعفة الحسنات، وقيل: الزيادة: غُرْفَةٌ مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ، لَهَا أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ، وَلَكِنْ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ الْمَعْوَلُ؛ لِأَنَّ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعَالَى يَسْتَلْزِمُ جَمِيعَ ذَلِكَ، وَيَدُلُّ لِلْقَوْلِ الْأَوَّلِ مَا وَرَدَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ.. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: تَرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تَبَيِّضْ وَجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَنْكُشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا يَعْطُونَ شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»^(٢)، زَادَ فِي رِوَايَةٍ: (ثُمَّ تَلَا: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾)^(٣).

واعلم: أن الناس جميعاً في الجنة يَنظُرُونَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي مِثْلِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنَ الْأُسْبُوعِ، وَفِي مِثْلِ يَوْمِ الْعِيدِ مِنَ السَّنَةِ، وَهَذِهِ هِيَ الرُّؤْيَةُ الْعَامَّةُ لِجَمِيعِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَلِلْخَوَاصِّ مَرَاتِبُ مُتَفَاوِتَةٌ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَرَاهُ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَاهُ فِي مِثْلِ أَوقَاتِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَحْجُبُ عَنِ الرُّؤْيَةِ أَبَداً؛ لَمَّا قِيلَ: (إِنَّ اللَّهَ رَجَالاً؛ لَوْ حُجِّبُوا عَنِ الرُّؤْيَةِ طَرَفَةٌ عَيْنٍ.. لَتَمَنَّوْا الْخُرُوجَ مِنَ الْجَنَّةِ)^(٤).

قوله: ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾ الجملة مستأنفة.

قوله: (سواد) أي: وغبار، فأهل الجنة يبيض الوجوه، في غاية من البسط والجمال، فلا يعتريهم نكدٌ ولا كدرٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۖ ضَآئِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨-٣٩].

(١) انظر «الدر المنثور» (٤/٣٥٧-٣٥٨).

(٢) رواه مسلم (٣٦٨) عن سيدنا ضُهِيبِ بْنِ سَنَانَ الرُّومِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواها مسلم (٣٦٩).

(٤) انظر «تفسير التستري» (ص ١٠٠).

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَيَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿وَالَّذِينَ﴾ - عطف على ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ - أي: وَلِلَّذِينَ ﴿كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾: عَمِلُوا الشُّرْكَ ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَيَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ﴾ - زائدة - ﴿عَاصِرٍ﴾: مانع، ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ﴾: أُلْبِسَتْ ﴿وُجُوهُهُمْ قِطْعًا﴾ - بفتح الطاء - جمع قطعة،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿أُولَئِكَ﴾﴾ أي: المحدث عنهم بأن لهم الحسنى وزيادة.

قوله: ﴿﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾﴾ أي: لا يخرجون منها أبداً.

قوله: ﴿﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾﴾ شروع في ذكر صفات أهل النار إثر ذكر صفات أهل الجنة.

قوله: (عطف على ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾) أي: ويكون فيه العطف على معمولي عاملين مختلفين؛ لأنَّ (الذين) معطوف على (الذين) الأول، والعامل فيه المبتدأ الذي هو (الحسنى)، وقوله: (جزاء سيئة) معطوف على (الحسنى)، والعامل فيه الابتداء، وهذا الوجه فيه خلاف بين النحويين؛ ولذلك حاول بعضهم إعراب الآية حتى ذكر فيه سبعة أوجه: أحسنها: أن قوله: (الذين) مبتدأ أول، و(جزاء سيئة) مبتدأ ثان، و(بمثلها) خبر الثاني، والثاني وخبره خبر الأول، والباء زائدة، ويدلُّ لزيادتها قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

قوله: ﴿﴿يَمْثِلُهَا﴾﴾ أشار بذلك إلى الفرق بين الحسنات والسيئات؛ فالحسنات مضاعفة

بفضل الله، والسيئات جزاؤها مثلها؛ عدلاً منه سبحانه وتعالى، قال صاحب «الجوهرة»^(١): [الرجز]

فالسَّيِّئَاتُ عِنْدَهُ بِالمِثْلِ والحَسَنَاتُ ضَوْعِفَتْ بِالْفَضْلِ

قوله: ﴿﴿وَيَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾﴾ أي: يَغْشَاهُم الذِّلُّ والكآبة.

قوله: ﴿﴿مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾﴾ أي: من عذابه وسخطه.

قوله: ﴿﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ﴾﴾ أي: غُطِيَتْ.

مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ.....

وإسكانها أي: جزءاً ﴿مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿٢٨﴾ اذْكُرْ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ أي: الخلق ﴿جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾ - نَصَبٌ بِ(الزُّمُوا) مُقَدَّرًا - ﴿أَنْتُمْ﴾ - تَأْكِيدٌ لِلزُّمِيرِ الْمُسْتَتِرِ فِي الْفِعْلِ الْمُقَدَّرِ لِيُعْطِفَ عَلَيْهِ - حاشية الصاوي

قوله: (وإسكانها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١)، والمعنى على الأول: كأن أجزاء الليل غطتهم ولبستهم، وعلى الثانية: كأن جزءاً من الليل غشيهم وغطى وجوههم، وهذه الآية بمعنى الآية الأخرى، وهي قوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٤٠-٤٢]. وما مشى عليه المفسر من أن (القطع) بالسكون: الجزء.. هو أحد أقوال في تفسيره، وقيل: هو سواد الليل، وقيل: هو ظلمة آخر الليل.

قوله: ﴿مُظْلِمًا﴾ حال من ﴿أَلَيْلٍ﴾.

قوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: الموصوفون بما ذكر.

قوله: ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أي: المستحقون لها.

قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي: ماكنون على سبيل الخلود والتأييد.

قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ شروع في ذكر محاجة أهل الشرك مع معبوداتهم إثر بيان أصحاب النار. (يوم) ظرف معمول لمحذوف، قدره المفسر بقوله: (اذكر).

قوله: (نصب بـ«الزُّمُوا») أي: على أنه مفعول به، والمعنى: الزُّمُوا هذا المكان ولا تبرحوا عنه، أو ظرف بجعل (الزُّمُوا) بمعنى: (قفوا).

قوله: (تأكيد للضمير المستتر) أي: الذي هو الواو، وتسميته مستتراً فيه مسامحة؛ إذ الواو من الضمائر البارزة، وقد يجاب: بأن المراد بالاستتار: عدم الذكر بالفعل.

قوله: (المقدّر) أي: الذي هو (الزُّمُوا)، والإخبار بهذا الأمر؛ للتهديد، يصدر من الله على لسان ملك، لا مباشرة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [البقرة: ١٧٤].

(١) قرأ ابن كثير والكسائي بسكون الطاء، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (١٨٦/٦).

وَشُرَكَائُهُمْ فَرَّيَلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلٍ ﴿٢٩﴾

﴿وَشُرَكَائُهُمْ﴾ أي: الأصنام، ﴿فَرَّيَلْنَا﴾ مَيَّرْنَا ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين كما في آية ﴿وَأَمَّنُوا﴾
الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ [يس: ٥٩]، ﴿وَقَالَ﴾ لَهُمْ ﴿شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿مَا﴾: نافية،
وقُدِّمَ المفعول للمفصلة.

﴿٢٩﴾ ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ - مُخَفِّفَةٌ - أي: إِنَّا ﴿كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ
لَغْفِيلٍ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَرَّيَلْنَا﴾ من التزييل، وهو: التفريق والتمييز، يقال: زِلْ ضَانِكَ من مَعْرَكٍ^(١)؛ أي: فَرِّقْ
بينهما، وميِّز هذا من هذا، ووزنه (فَعَّل) بالتضعيف، فهو من ذوات الياء، أو (فِعل)، وأصله:
(زَيول)، اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداها بالسكون، قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء،
فهو من ذوات الواو.

قوله: ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين) هكذا فهم المفسر، وهو بعيد من سابق الكلام ولا حقه، وقيل:
ميَّزنا بينهم وبين معبوداتهم، وقطعنا ما كان بينهم من التواصل في الدنيا، وهو الأقرب؛ لأنَّ الكلام
فيه.

قوله: ﴿وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ﴾ إنما أضيفت الشركاء لهم؛ لأنهم اتخذوها شركاء لله في العبادة.

قوله: ﴿مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ﴾ قال مجاهد: تكون في القيامة ساعة فيها شدة، تُنصب لهم
الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله، فتقول الآلهة: والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم
أنكم كنتم تعبدوننا، فيقولون: والله إياكم كنَّا نعبد، فتقول الآلهة لهم: فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم
إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ^(٢).

قوله: (للمفصلة) أي: تناسب رؤوس الآي.

قوله: ﴿لَغَفِيلٍ﴾ أي: لا علم لنا بذلك.

(١) ووزن الفعل في هذا المثال: (فَلْ).

(٢) انظر «الدر المثور» (٤/٣٦٢).

هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَصَلَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾

﴿٣٠﴾ هُنَالِكَ ﴿٣٠﴾ أي: ذلك اليوم ﴿تَبْلُوا﴾ من البلوى، وفي قراءة بتاءين من التلاوة، ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾: قَدَّمت من العمل، ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ﴾: الثَّابِت الدَّائِم، ﴿وَصَلَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ عليه من الشركاء.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿هُنَالِكَ﴾ إشارة للمكان البعيد، وهو الموقف الذي يُدهش العقول.

قوله: ﴿تَبْلُوا﴾ أي: تختبر وتعلم.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١)، (من التلاوة) أي: تقرأ ما أسلفته وقدمته فتجده مسطراً في صحف الملائكة، قال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْشُورًا﴾ ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ ﴿الإسراء: ١٣-١٤﴾، أو: من التلو؛ أي: تَتَّبِع وتطلب ما أسلفته من أعمالها، وفي قراءة أيضاً: (تَبْلُو) بالنون بعدها باء موحدة؛ أي: نختبر نحن، و(كل) بالنصب مفعول به عليها، وهي شاذة^(٢).

قوله: ﴿وَرُدُّوْا﴾ أي: المشركون.

قوله: (الثابت الدائم) أي: الذي لا يقبل الزوال أزلاً ولا أبداً.

قوله: ﴿وَصَلَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: غاب عنهم افتراؤهم بظهور الحق، فلا ينافي أنهم معهم في النار، وهكذا كلُّ مَنْ اعتمد على غير الله.. يقال له: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ...﴾ الآية؛ فينبغي للإنسان أن يسعى في خلاص قلبه من الوهم الذي يُلجئه إلى الاعتماد على غير الله من جاه أو مال أو علم أو عمل أو غير ذلك؛ ليرى الحق حقاً، والباطل باطلاً؛ فيتبع الحق، ويجتنب الباطل، وبهذا الأمر يتبين الولي من العاصي؛ فالولي يرى الأشياء كلها ظاهراً وباطناً من الله، فهو دائماً مطمئن، ساكن، مسلم لله في كل ما يفعله، والعاصي يعتقد ذلك بقلبه، غير أن الوهم يخيل له أن لغير الله ضرراً أو نفعاً، فيكون دائماً في تعب ونصب، وقد أشار العارف لذلك بقوله: [الطويل]

وما الخلق في التمثال إلا كثلجة لها صورة لكن تبدت عن الماء

(١) قرأ حمزة والكسائي بتاءين، من التلاوة، والباقون بباء موحدة بعد التاء من البلوى. انظر «السراج المنير» (١٧/٢).

(٢) وهي قراءة عاصم في رواية. انظر «الدر المصون» (١٩٣/٦).

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نَتَّقُونَ ﴿٣١﴾

﴿٣١﴾ قُلْ لَهُمْ: ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ بِالْمَطَرِ ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بِالنَّبَاتِ، ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ﴾ بِمَعْنَى الْأَسْمَاعِ أَي: خَلَقَهَا ﴿وَالْأَبْصَرَ﴾ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ؟ ﴿فَيَقُولُونَ﴾: هُوَ ﴿اللَّهُ فَقُلْ لَهُمْ: ﴿أَفَلَا نَتَّقُونَهُ﴾ فَتُؤْمِنُونَ؟

حاشية الصاوي

فذو الكشف لم يشهد سوى الماء وحده تبدى بوصف الثلج من غير إخفاء
ومن حجبته صورة الثلج جاهل تغطى عليه الأمر من لمع أضواء
قوله: ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ﴾... إلخ) أمر سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يُقيم الحجة
على المشركين، ويُبطل ما هم عليه من الإشراك بأسئلة ثمانية، أجاب المشركون عن الخمسة
الأولى، وأجاب رسول الله عن الاثنين بعدها بتعليم الله له، وجواب الأخير لم يذكر؛ للعلم به،
وقد صرح به المفسر.

قوله: ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ﴾ (أي: رزقاً مبتدأ من السماء والأرض).

قوله: ﴿بِالْمَطَرِ﴾ فهو سبب لإخراج نبات الأرض، فصَحَّ كون الرزق من السماء.

قوله: ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ﴾ (أي: يخلقه ويحفظه من الآفات في كل لحظة؛ إذ هو معرض
للزوال لولا حفظ الله له.. ما ثبت.

قوله: ﴿بِمَعْنَى: الْأَسْمَاعِ﴾ إنما قال ذلك؛ ليوافق (الأبصار).

قوله: ﴿وَالْأَبْصَرَ﴾ جمع بصر، والمعنى: أن الله هو الخالق للأبصار، الواضع للنور فيها الذي
به الإبصار، وهو الحافظ.

قوله: ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾... إلخ) تقدّم أن المراد بالحي: الإنسان والطيور، وبالميت:
النفقة والبيضة.

قوله: ﴿وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ عطف عام على خاص؛ لأن تدبير الأمر عام في كل شيء.

قوله: ﴿فَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ (أي: جواباً لما تقدّم).

قوله: ﴿أَفَلَا نَتَّقُونَهُ﴾ (أي: أدّمت على الشرك فلا تتقونه؟ ويؤخذ من هذا: أن المعرفة ليست

فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

﴿٣٢﴾ الفاعل لهذه الأشياء ﴿اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾: الثَّابِتُ، ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ - استفهام تقرير -، أي: ليس بعده غيره، فمن أخطأ الحق وهو عبادة الله وَقَعَ في الضلال، ﴿فَأَنَّى﴾: كيف ﴿تُصْرِفُونَ﴾ عن الإيمان مع قيام البرهان؟
 ﴿٣٣﴾ كَذَلِكَ كما صُرف هؤلاء عن الإيمان ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾: كَفَرُوا، وهي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ...﴾ الآية [السجدة: ١٣]، أو هي: ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

حاشية الصاوي

هي الإيمان؛ إذ لو كانت هي الإيمان.. لكان إقرارهم بأن الله هو الفَعَّال لهذه الأشياء توحيداً وإيماناً، بل الإيمان هو: حديث النفس التابع للمعرفة؛ أي: قول النفس: آمنتُ وصدقتُ على التحقيق.

قوله: (الثابت) أي: الذي لا يقبل الزوال أزلاً ولا أبداً.

قوله: (استفهام تقرير) المناسب: (إنكار)؛ بدليل قوله: (أي: ليس بعده غيره).

قوله: (وقع في الضلال) أي: الباطل، وهو الشرك؛ لأنه لا واسطة بين الحق والباطل.

قوله: ﴿فَأَنَّى تُصْرِفُونَ﴾ أي: تُمنعون، وهو استفهام تعجبي.

قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ الكاف: في محل نصب نعت لمصدر محذوف، والتقدير: مثل صرفهم عن الحق بعد الإقرار به حَقَّتْ... إلخ.

قوله: (وهي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾) أي: فالمراد: نفذ القضاء والقدر بأن جهنم تَمْتَلئ من الجن والأنس حتى تقول: (قط قط)^(١).

قوله: (أو: هي ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾) (أو): لتنويع الخلاف؛ أي: فالمراد بكلمة الله على هذا القول: نفوذ قضاء الله وقدره بعدم إيمانهم.

(١) رواه البخاري (٤٨٤٨)، ومسلم (٧٢٧٩) عن سيدنا أنس رضي الله عنه، وقوله: (قط قط): معناه: (حسبي) أي: يكفيني، وفيه ثلاث لغات: إسكان الطاء فيهما، وكسرها مُنَوَّنَةٌ وغير منونة. انظر «شرح مسلم» (١٧/١٨٢).

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَسْبُدُّ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتُمْ تَقُولُونَ ﴿٣٤﴾
قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ
يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي

﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَسْبُدُّ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: تُصَرِّفُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ مَعَ قِيَامِ الدَّلِيلِ؟

﴿٣٥﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ؟ بِنَصَبِ الْحُجَجِ وَخَلْقِ الْاهْتِدَاءِ؟ ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ وَهُوَ اللَّهُ ﴿أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي﴾: يَهْتَدِي

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾... إلخ) هذا هو السؤال السادس.

قوله: ﴿مَنْ يَدْعُوا﴾ أي: يُنْشِئُ الخلق من العدم.

قوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: الخلق في القيامة للحساب والجزاء، وإنما لم يُجيبوا عن هذا السؤال وتولى الله الجواب عنه؛ لأنهم منكرون للبعث؛ فلو أجابوا.. لكان ذلك إقراراً منهم بالبعث، وصحَّ أن يكون حُجَّة عليهم؛ لقيام الأدلة والبراهين عليه، فلا يستطيعون أن يُنازعوا في ذلك.

قوله: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ هذا هو السؤال السابع، والمعنى: هل مِنْ شركائكم مَنْ يقيم الحجج ويُرسل الرسل ويُوفق العبيد لرشادهم؟! ولما لم يكونوا مسلمين ذلك.. تولى الله جوابه أيضاً.

قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ أي: فهو أَحَقُّ بالاتباع، لا هذه الأصنام التي لا تهتدي بنفسها.

قوله: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ هذا هو السؤال الثامن، وقد ذكر المفسر جوابه بقوله: (الأول أحق).

قوله: ﴿أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾ خبر قوله: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي﴾، والمعنى: أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ حَقِيقٌ

بالاتباع أم من لا يَهْدِي إليه؟!

قوله: ﴿أَمَّنْ لَا يَهْدِي﴾ أصله: (يَهْتَدِي) نقلت فتحة التاء إلى الهاء، وأبدلت التاء دالاً،

وأدغمت في الدال. (يَهْدِي) بفتح الهاء وكسر ها، وبكسر الياء والهاء معاً، فالقراءات ثلاث، وكلُّها سَبْعِيَّةٌ؛ فكسر الهاء للتخلص من التقاء الساكنين، وكسر الياء إِتِّبَاعٌ لكسر الهاء^(١).

(١) قرأ أبو بكر عن عاصم بكسر الياء والهاء، وحفص بكسر الهاء دون الياء، وقرأ أبو عمرو وقالون عن نافع بفتح الياء واختلاس فتحة الهاء وتشديد الدال، وقرأ ابن كثير وابن عامر وورش بإكمال فتحة الهاء على أصل النقل. انظر الدر المصون، (٦/١٩٩).

إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا

﴿إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ﴾ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ؟ اسْتِفْهَام تَقْرِيرٍ وَتَوْبِيخٍ، أَي: الْأَوَّلُ أَحَقُّ، ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هَذَا الْحُكْمَ الْفَاسِدَ مِنْ اتِّبَاعِ مَا لَا يَحِقُّ اتِّبَاعُهُ؟
 ﴿٣٦﴾ ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ﴾ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ حَيْثُ قَلَّدُوا فِيهِ آبَاءَهُمْ، ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ فِيمَا الْمَطْلُوبُ مِنْهُ الْعِلْمُ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ﴾ استثناء من أعم الأحوال، والمعنى: لا يهتدي في حال من الأحوال إلا في حال إهداء الغير إياه، ومعنى هداية الأصنام: كونها تنتقل من مكان لآخر، فالمعنى: لا تنتقل من مكان لآخر إلا أن تحمل وتنتقل، وهذا ظاهر في الأصنام، وأما مثل عيسى والعزير.. فمعنى (لا يهدي): لا يخلق الهدى؛ لا في نفسه، ولا في غيره، فالخلق كلُّهم عاجزون؛ إذ لا يملكون لأنفسهم شيئاً فضلاً عن غيرهم.

قوله: ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ أي: أي شيء ثبت لكم في هذه الحالة؟

قوله: ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي: بالباطل، وتجعلون لله شريكاً.

قوله: ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ﴾ يُفِيدُ: أَنَّ الْأَقْلَّ يَعْرِفُونَ أَنَّ اللَّهَ مَنْزَعٌ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، مَتَّصِفٌ بِكُلِّ كَمَالٍ، غَيْرَ أَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ عَنَاداً.

قوله: (حَيْثُ قَلَّدُوا فِيهِ آبَاءَهُمْ) أي: فقالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾

[الزخرف: ٢٣].

قوله: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ المراد بالظن: خلاف التحقيق، فيشمل الشك والوهم، وهذا الكلام في حق الكفار الذين اتبعوا غيرهم في الكفر وقلَّدوهم فيه، فلا عذر لهم في التقليد دنياً ولا أخرى، وأما المؤمن الخالص الذي امتلأ قلبه بالإيمان حيث عَجَزَ عن قيام الأدلة على التوحيد وقلَّد العارف فيه.. فليس من هذا القبيل، بل هو مؤمن جزمًا؛ لأنه ليس عنده ظنٌّ، بل جزم مطابق للواقع، وربما إن دام على الصدق ومتابعة من يُقلِّده.. يرتقي في التوحيد إلى مقام أعلى وأجلَّ من مقام مَنْ قلَّده، وأما القول بأنه كافر.. فإنما يُعرف لأبي هاشم الجبائي من المعتزلة؛ فلا يُعَوَّل عليه.

إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم عليه.

﴿٣٧﴾ ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ﴾ أي: افتراء ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره، ﴿وَلَكِنْ﴾ أنزل ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ هذا تهديد لهم على ما وقع منهم من الأفعال الشنيعة، والأحوال القبيحة.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ المقصود من هذا الكلام: الردُّ على من كذب بالقرآن وزعم أنه ليس من عند الله، والمعنى: لا ينبغي لهذا القرآن أن يختلف ويُفتعل؛ لأن تراكيبه الحسنة أعجزت العالمين؛ وذلك لأن حسن الكلام على حسب سعة علم المتكلم واطلاعه، ولا أحد أعلم من رب العالمين؛ فلذلك أعجز الخلائق جميعاً؛ لكونه في أعلى طبقات البلاغة؛ ولذلك قال صاحب «الهمزية»^(١): [الخفيف]

أعجز الإنس آية منه والـجـ نـ فهلاً تأتي به البلغاء
إلى أن قال:

سور منه أشبهت صوراً مـ نـا ومثل النظائر النظراء

قوله: (أي: افتراء) أشار بذلك إلى أن خبر ﴿كَانَ﴾: (أن) وما دخلت عليه في تأويل مصدر. قوله: ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ هذا الاستدراك وقع أحسن موقع؛ لأنه وقع بين نقيضين، وهما: الكذب، والصدق. و﴿تَصْدِيقَ﴾ بالنصب خبر لـ (كَانَ) مقدرة، والتقدير: ولكن كان تصديق... إلخ، أو مفعول لأجله لفعل محذوف قدره المفسر بقوله: (أنزل)، و﴿تَصْدِيقَ﴾ بمعنى: مُصدق، أو بولغ فيه حتى جعل نفس التصديق، على حدٍّ (زيد عدل)، وكذا يقال في قوله: ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾.

قوله: (من الكتب) أي: السماوية المنزلة على الأنبياء.

(١) انظر «المنح المكية» (ص ٣٨٦) وما بعدها.

وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ
وَادْعُوا

﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾: تبيين ما كتبه الله من الأحكام وغيرها، ﴿لَا رَيْبَ﴾: شك ﴿فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ - متعلق بـ ﴿تَصْدِيقٍ﴾ أو بـ ﴿أُنْزِلَ﴾ المحذوف، وقُرئ بِرَفْعٍ (تَصْدِيق) و(تَفْصِيل) بِتَقْدِيرِ (هُوَ) ..

﴿٣٨﴾ ﴿أَمْ﴾ بل أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ: اختلقه محمد؟ ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء؛ فإنكم عربيون فصحاء مثلي، ﴿وَادْعُوا﴾ للإعانة عليه
حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ أي: مفصل لما في الكتاب، وهو اللوح المحفوظ؛ فالقرآن مفصل لما كتب في اللوح المحفوظ؛ من علم ما كان وما يكون وما هو كائن في الدنيا والآخرة؛ فمن أعطي شيئاً من أسرار القرآن.. فلا يحتاج للاطلاع على اللوح المحفوظ، بل يأخذ منه ما أراد. قوله: (وغيرها) أي: من المغييات.

قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ حال من (التصديق) و(التفصيل)، وهذا هو الأظهر. قوله: (متعلق بـ ﴿تَصْدِيقٍ﴾، أو بـ ﴿أُنْزِلَ﴾) أي: ويكون قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ مقترناً بين المتعلق والمتعلق.

قوله: (وقرئ) أي: شاذاً^(١).

قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ ﴿أَمْ﴾: منقطعة تفسر بـ (بل) والهمزة، والمعنى: أنهم أصرّوا على تلك المقالة، ولم يُدْعُوا للحق.

قوله: (اختلقه محمد) أي: افتعله وليس من عند الله.

قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ هذا تبكيت لمقاتلهم الفاسدة، وهو جواب شرط مقدّر، والتقدير: إن كان الأمر كما تزعمون.. فأتوا بسورة مثله.

واعلم: أن مراتب تحدي رسول الله ﷺ بالقرآن أربعة:

(١) وهي قراءة عيسى بن عمر. انظر «الدر المصون» (٦/٢٠٢).

مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

﴿مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنه افتراء، فلم يقدرُوا على ذلك. قال تعالى:

﴿٣٩﴾ ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ أي: القرآن ولم يتدبروه، ﴿وَلَمَّا﴾: لم ﴿يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾: عاقبة ما فيه من الوعيد، ﴿كَذَلِكَ﴾ التَّكْذِيبِ ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رُسُلُهُمْ، حاشية الصاوي

أولها: أنه تحدّاهم بجميع القرآن، قال تعالى: ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٨٨].

ثانيها: أنه تحدّاهم بعشر سور، قال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيْنَ﴾ [هود: ١٣].

ثالثها: أنه تحدّاهم بسورة واحدة، قال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [يونس: ٣٨].

رابعها: أنه تحدّاهم بحديث مثله؛ كما قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ [الطور: ٣٤].

قوله: ﴿مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: من آلهتكم وغيرها من جميع المخلوقات.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ شرط حذف جوابه؛ لدلالة ما قبله عليه؛ أي: فأتوا بسورة وادعوا... إلخ.

قوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ أي: يفهم ألفاظه ومعانيه العظيمة؛ فتكذيبهم لعدم فهمهم معناه، وجَهلهم بفضله؛ ففي المثل: (مَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَادَاهُ)^(١)، وقال البوصيري^(٢): [البيط]

قد تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ وَتُنْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمٍ

قوله: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ أي: لم ينزل بهم الوعيد فيحملهم على التصديق قهراً، فتكذيبهم لأمرين: جَهلهم بفضله، وعدم إتيان الوعيد لهم.

قوله: (من الوعيد) أي: وهو العذاب الموعود به.

قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ التَّكْذِيبِ أشار بذلك إلى أن الكاف بمعنى (مثل) نعت لمصدر محذوف؛ أي: مثل ذلك التَّكْذِيبِ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ.

(١) انظر «مُعْتَرَكُ الْأَقْرَانِ فِي إعْجَازِ الْقُرْآنِ» للإمام السيوطي (١/٣٥٥).

(٢) في قصيدته البردة المشهورة.

أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الصُّمَّ
لَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ شَبَّهَهُمْ بِهِمْ فِي عَدَمِ الْإِنْتِفَاعِ بِمَا يُتَلَى عَلَيْهِمْ، ﴿لَوْ كَانُوا﴾ مع الصُّمَّ
﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾: يَتَدَبَّرُونَ؟

﴿٤٣﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ؟ شَبَّهَهُمْ بِهِمْ
فِي عَدَمِ الْإِهْتِدَاءِ، بَلْ أَعْظَمَ، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾
[الحج: ٤٦].

﴿٤٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾﴾ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي، والمعنى: أنت لا تقدر أن تسمع
مَنْ سَلَبَهُ اللهُ السَّمْعَ.

قوله: (شَبَّهَهُمْ) أي: الكفار، وقوله: (بِهِمْ) أي: بالصُّمَّ، وقوله: (في عدم الانتفاع) هذا هو وجه
الشَّبه؛ أي: فكما أنَّ معدوم السمع لا يَنْتَفِعُ بالأصوات.. فكذلك الكفار لا يَنْتَفِعُونَ بِسَمَاعِ الْقُرْآنِ؛
لوجود الحجاب على قلوبهم.

قوله: ﴿﴿لَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾﴾ أي: ولو كان مع الصم عدم العقل، وجواب الشرط محذوفٌ،
دَلَّ عَلَيْهِ ما قبله، وجملَةُ الشرط معطوفةٌ على محذوفٍ، تقديره: أفأنت تُسْمِعُ الصمَّ إِنْ عَقَلُوا، بل
ولو كانوا لا يعقلون.. فأنت لا تسمعهم، فيكون المعنى: أنت لا تسمع الصمَّ؛ عَقَلُوا أَوْ لَمْ
يعقلوا، فهم كالأنعام، بل هم أضلُّ.

قوله: ﴿﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾﴾ أي: يُبْصِرُكَ بعينه.

قوله: ﴿﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الصُّمَّ﴾﴾ يقال فيه ما قيل فيما قبله.

قوله: ﴿﴿لَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾﴾ أي: لا يتأملون ولا يفكرون بقلوبهم فيما جئت به من الدلائل
العظيمة، والشمائل الفخيمة، والمعنى: أنت لا تهدي عُيَى الْقُلُوبِ؛ أبصروا أو لم يُبصروا.

قوله: (بل أعظم) أي: لأنهم عَدَمُوا البصيرة، والمشبَّه بهم عَدَمُوا البصر، وَفَقَدُوا البصيرة أعظمُ
فِي الضَّرَرِ مِنْ فَقْدِ الْبَصَرِ.

قوله: ﴿﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾﴾ هذه الآية سبقت لدفع توهم أن الله حيث سلبهم العقل

وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ

وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ .

﴿٤٥﴾ ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن﴾ أي: كأنهم ﴿لَّمْ يَلْبَثُوا﴾ في الدنيا أو القُبُورِ ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾ لِهَوْلِ مَا رَأَوْا، - وجُمْلَةُ التَّشْبِيهِ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ -، ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يَعْرِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِذَا بُعِثُوا، ثُمَّ يَنْقَطِعُ التَّعَارُفُ لِشِدَّةِ الْأَهْوَالِ، - والجُمْلَةُ حَالٌ مُّقَدَّرَةٌ أَوْ مُتَعَلِّقٌ الظَّرْفِ -

حاشية الصاوي

والسمع والبصر . . فتعذيبهم على عدم الهدى ظلم، فدفع ذلك: بأن الظلم هو: التصرف في ملك الغير، ولا ملك لأحد معه سبحانه وتعالى، فتقديره الشقاوة على أهلها ليس بظلم منه؛ لأنه هو المالك الحقيقي، وهو يتصرف في ملكه كيف يشاء.

قوله: ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ إنما قال ذلك؛ لأنَّ الفعل منسوبٌ إليهم بسبب الكسب الاختياري، فالله سبحانه وتعالى يُعَذِّبُ الشَّقِيَّ على ما اقترفه بالنظر للكسب الاختياري؛ فإن قيل: هو الخالق لذلك الكسب . . يقال: لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ.

قوله: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾^(١) أي: نَجْمَعُهُم للحساب، والضمير عائذٌ على المشركين المنكرين للبعث، والمعنى: ويوم نجمع المشركين في القيامة، ويعرف بعضهم بعضاً حال كونهم في وقت حَشَرِهِمْ مشبهين بمن لم يلبثوا إلا زمناً قليلاً من النهار.

قوله: ﴿لِهَوْلِ مَا رَأَوْا﴾ أي: فبسبب ذلك يعدُّ الزمن السابق عليه يسيراً وإن كان في نفسه طويلاً.

قوله: (حال من الضمير) أي: في ﴿يُحْشَرُهُمْ﴾.

قوله: (إذا بعثوا) دفع بذلك ما يقال: إن هذا مُعَارِضٌ لقوله: ﴿فَلَا أَشَابَ بَيْنَهُمْ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وحاصل الجواب: أنهم يتعارفون أولاً، فإذا اشتدَّ الهول . . نسي بعضهم بعضاً.

قوله: (والجُمْلَةُ حَالٌ) أي: من الواو في ﴿يَلْبَثُوا﴾، أو من الضمير في ﴿يُحْشَرُهُمْ﴾، وعلى هذا: فالظرف متعلق بمحذوف تقديره: (اذكُر).

قوله: (أو متعلق الظرف) أي: فهو معمولٌ له، والتقدير: يتعارفون وقت حشرهم.

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِنَّمَا نُزِيتُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُفِئُكَ
فَالِئِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: بِالْبَعَثِ ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

﴿٤٦﴾ ﴿وَإِنَّمَا﴾ - فِيهِ إدغام نون (إِنْ) الشَّرْطِيَّةُ فِي (مَا) الْمَزِيدَةُ - ﴿نُزِيتُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾
بِهِ مِنَ الْعَذَابِ فِي حَيَاتِكَ، وَجَوَابُ الشَّرْطِ مَحذُوفٌ أَي: فَذَاكَ، ﴿أَوْ نَتُفِئُكَ﴾ قَبْلَ
تَعَذِيبِهِمْ، ﴿فَالِئِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾: مُطْلِعٌ ﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ،
فَيُعَذِّبُهُمْ أَشَدَّ الْعَذَابِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا﴾ هذا إخبارٌ من الله بحالهم الشنيع.

قوله: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ معطوف على جملة ﴿قَدْ خَسِرَ﴾، والمعنى: وما كانوا واصلين للجنة أبداً.

قوله: ﴿وَإِنَّمَا نُزِيتُكَ﴾ هذا تسليةٌ له ﷺ، كأنَّ الله يقول له: لا تحزن فإنَّ نُزِيتُكَ عقوبتهم في حياتك، أو نُؤَخَّرُهُمْ إلى يوم القيامة، فهم لا يُفْلِتُونَ من عذابنا على كلِّ حال؛ فاصبر ولا تَضِيقْ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ لَنَا فِيهِمْ.

قوله: (فَذَاكَ) أي: هو المراد، وقد حَصَلَ ذلك؛ بأن بَلَغَ الله نَبِيَّهَ الْأَمَالَ فِيمَنْ عَادَاهُ بِسَبَبِ
تَسْلِيمِهِ الْأَمْرَ فِيهِمْ لِمَالِكِهِمْ، وهكذا يفعل الله بِالظَّالِمِ إِذَا يُسَلِّمُ الْمَظْلُومُ أَمْرَهُ لِسَيِّدِهِ، وَلَمْ يَعْتَرِضْ
عَلَى أَفْعَالِهِ، وَصَبَرَ عَلَى أَحْكَامِهِ، فَهَذَا يَنَالُ رِضَا اللَّهِ، وَيُظْفَرُ بِمَطْلُوبِهِ مِمَّنْ ظَلَمَهُ، وَفِي هَذَا الْمَعْنَى
قُلْتُ^(١): [الطويل]

أَرْخَ قَلْبَكَ الْعَانِي وَسَلِّمْ لَهُ الْقَضَا تَفَرَّ بِالرِّضَا فَلَا ضَلَّ لَا يَتَحَوَّلُ
عَلَامَةُ أَهْلِ اللَّهِ فِينَا ثَلَاثَةٌ إِيْمَانٌ وَتَسْلِيمٌ وَصَبْرٌ مُجْمَلٌ

قوله: ﴿فَالِئِنَّا مَرْجِعُهُمْ﴾ هذا هو جواب الشرط.

قوله: ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾: لترتيب الأخبار، لا لترتيب الزماني.

(١) تقدَّمت الآيات للمصنف في سورة (آل عمران) (٥٦٣/١)، وفيها: (أَمَانٌ) بدل (إِيْمَان) وبها يستقيم الوزن.

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ

﴿٤٧﴾ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ ﴿مِّنَ الْأُمَمِ﴾ ﴿رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ ﴿إِلَيْهِمْ﴾ ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ ﴿فَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ ﴿بِالْقِسْطِ﴾ ﴿بِالْعَدْلِ﴾ ﴿فَيُعَذَّبُونَ﴾ ﴿وَيُنَجِّي الرَّسُولُ وَمَن صَدَّقَهُ﴾ ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ ﴿يَتَعَذِّبُهُمْ بِغَيْرِ جُرْمٍ﴾ ﴿فَكَذَلِكَ نَفْعَلُ بِهَؤُلَاءِ﴾ .

﴿۴۸﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ ۖ بِالْعَذَابِ ۚ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿۴۹﴾ فِيهِ؟

﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا أَدْفَعُهُ ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أَجْلِبُهُ، ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أَنْ يُقَدِّرَنِي عَلَيْهِ، فَكَيْفَ أَمْلِكُ لَكُمْ حُلُولَ الْعَذَابِ؟ ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ : مُدَّةٌ مَعْلُومَةٌ لِهَلَاكِهِمْ،

حاشية الصاوى

قوله: ﴿رَسُولٌ﴾ أي: أرسله الله لهم.

قوله: (فكذبوه) قدره؛ إشارة إلى أن قوله: ﴿فُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ مرتَّب على محذوف، لا على قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾.

قوله: ﴿وَمَنْ لَا يَظْلُمُونَ﴾ أي: لأنَّ تعذيبهم بسبب كسبهم؛ لما تقدّم أن الرحمة قد تأتي من غير سابق مُقتضيها، وأمّا العذاب.. فلا بدّ وأن يكون بسبب فعل يقتضيه.

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: كفار مكة.

قوله: ﴿مَنْ هَذَا الْوَعْدُ﴾ أي: الذي تعدنا به، وهذا القول منهم على سبيل الاستهزاء والسخرية.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ خطابٌ للنبي والمؤمنين.

قوله: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا﴾... إلخ) أي: لا أستطيع أن أدفع الضرَّ عن نفسي إن أراد الله نزوله بي، ولا أستطيع جلبَ نفعٍ أراد الله منعه عني.

قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ يحتمل أن يكون متصلاً، والتقدير: إلا ما شاء الله أن أمليكه وأقدر عليه، أو منقطعاً، والتقدير: لكن ما شاء الله من ذلك فأتى أملك لكم الضرَّ وأجلب العذاب؟

قوله: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾) هذا من جملة ما أجابهم به، والمعنى: حيث كان لكل أمة أجل محدود لا تتعداه.. فلا معنى لاستعجالكم العذاب.

إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنًا أَوْ نَهَارًا مَآذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ.....

﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ﴾: يَتَأَخَّرُونَ عَنْهُ ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهِ.

﴿٥٠﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أَخْبِرُونِي ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ﴾ أي: اللهُ ﴿بَيِّنًا﴾: لَيْسَ ﴿أَوْ نَهَارًا﴾ مَآذَا: أَيُّ شَيْءٍ ﴿يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾ أي: الْعَذَابُ ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: الْمُشْرِكُونَ؟ فِيهِ وَضْعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ، وَجُمْلَةُ الِاسْتِفْهَامِ جَوَابُ الشَّرْطِ، كَقَوْلِكَ: إِنْ أَتَيْتُكَ مَاذَا تُعْطِينِي؟ وَالْمُرَادُ بِهِ التَّهْوِيلُ، أَي: مَا أَعْظَمَ مَا اسْتَعْجَلُوهُ!

﴿٥١﴾ ﴿أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ﴾: حَلَّ بِكُمْ ﴿ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ أي: اللهُ أَوِ الْعَذَابُ عِنْدَ نُزُولِهِ؟ وَالْهَمْزَةُ لِانْكَارِ التَّأْخِيرِ فَلَا يُقْبَلُ مِنْكُمْ، وَيُقَالُ لَكُمْ:

حاشية الصاوي

قوله: (يتأخرون... إلخ) أشار بذلك إلى أن السين في ﴿يَسْتَعْجِرُونَ﴾ و﴿يَسْتَقْدِمُونَ﴾ زائدة، والمعنى: أنه إذا جاء الأجل الذي قدره الله لكل أمة.. فلا يتأخرون عنه، ولا يتقدمون إن لم يَجِئ. ت إن قلت: ورد: «أن الصدقة تزيد في العمر»^(١).. فالجواب: أن المراد بالزيادة: البركة؛ لأن الأجل الذي سبق في علم الله لا يتغير.

قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أي: قُلْ للذين يستعجلون العذاب.

قوله: (موضع المضمرة) وهو الواو التي مع تاء المخاطب، والتقدير: (ماذا تستعجلون)، وعدل عنه لأجل الوصف بالإجرام؛ تَبَكُّيتاً عليهم.

قوله: (وجملة الاستفهام جواب الشرط) أي: على تقدير الفاء؛ لأنَّ الجملة اسمية.

قوله: (والمراد به) أي: بالاستفهام.

قوله: (لإنكار التأخير) أي: المستفاد من (ثم)، والتقدير: أخرتم ثم آمنتم به إذا وقع؟! والمعنى: لا ينبغي هذا التأخير؛ لأنَّ الإيمان في هذه الحالة غير نافع.

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٤١٠٤) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

﴿أَلَنْتُمْ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ ٥١ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ٥٢ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ.....

﴿أَلَنْتُمْ﴾ تَوْمَنُونَ ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ استهزاء؟

٥٢ ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ أي: الَّذِي تَخْلُدُونَ فِيهِ، ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

٥٣ ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾: يَسْتَخْبِرُونَكَ ﴿أَحَقُّ هُوَ﴾ أي: مَا وَعَدْنَا بِهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْبَعْثِ؟

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿أَلَنْتُمْ﴾﴾ منصوب على الظرفية، والعامل فيه محذوف، قدره المفسر بقوله: (تؤمنون)، والفعل المقدر ومعموله على إضمار القول، وهو (يقال لكم).

و﴿﴿أَلَنْتُمْ﴾﴾ بهمزتين: الأولى: همزة الاستفهام، والثانية: همزة (أل) المعرفة، فإذا اجتمع هاتان الهمزتان.. وجب في الثانية إمّا تسهيلها، أو مدّها بقدر ثلاث ألفات، وهما قراءتان سبعيتان^(١)، وقد وقع ذلك في القرآن في ستة مواضع: اثنان في (الأنعام): ﴿﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾﴾ مرتين، وثلاثة في هذه السورة: ﴿﴿أَلَنْتُمْ﴾﴾ مرتين، و﴿﴿اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾﴾، وواحد في (النمل): ﴿﴿اللَّهُ خَيْرٌ﴾﴾، وأمّا تحقيق الهمزتين.. فلا يجوز.

قوله: ﴿﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿﴿أَمَنْتُمْ﴾﴾.

قوله: (استهزاء) أي: تَسْتَعْجِلُونَهُ عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِهْزَاءِ.

قوله: ﴿﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾﴾ إخبارٌ بما وقع لهم في القيامة.

قوله: ﴿﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾﴾ الواو: نائب فاعل، مفعول أول، وقوله: ﴿﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾﴾ مفعول ثان وقوله: ﴿﴿إِلَّا﴾﴾ جزاء مفعول مطلق لـ ﴿﴿تُجْزَوْنَ﴾﴾، والمعنى: لَا تُجْزَوْنَ إِلَّا جَزَاءَ الَّذِي كُنْتُمْ تَكْسِبُونَهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ.

قوله: ﴿﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾﴾ السين والتاء للطلب، والمعنى: يَسْأَلُونَكَ أَنْ تُخْبِرَهُمْ عَمَّا وَعَدْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ؛ أَحَقُّ هُوَ؟! إلخ. و(يَسْتَنْبِئُونَكَ) فعل مضارع، والواو: فاعل، والكاف: مفعول أول، وجملة ﴿﴿أَحَقُّ هُوَ﴾﴾ في محل المفعول الثاني، و(حق): مبتدأ، و(هو) خبر، أو بالعكس، أو (هو) فاعل بـ(حق) أغنى عن الخبر، والشرط موجود، وهو اعتماد المبتدأ على الاستفهام.

قُلْ إِي وَرَيْ إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ

﴿قُلْ إِي﴾ : نَعَمْ ﴿وَرَيْ إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ : بِفَاتَيْنِ الْعَذَابِ.

﴿٥٤﴾ ﴿لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ : كَفَرَتْ ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ جَمِيعاً مِنَ الْأَمْوَالِ ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ مِنَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ عَلَى تَرْكِ الْإِيمَانِ
حاشية الصاوي

قوله: ﴿قُلْ إِي وَرَيْ﴾... إلخ) هذا أمرٌ من الله لرسوله بأن يُجيبهم بثلاثة أشياء: إِي وَرَيْ، إنه لحقٌّ، وما أنتم بمُعْجِزِينَ.

قوله: (نعم) أشار المفسر بذلك إلى أن (إِي) من أحرف الجواب، ولكنها مختصة بالقسم، لا تُستعمل في غيره، ومنه قول الناس: إِي والله، وقولهم: (إِيوَه)؛ فالواو: للقسم، والهاء: مأخوذة من (الله)، ويحتمل أن الهاء للسكت، والمقسم به محذوف؛ للعلم به، تقديره: إِي والله، وهذا هو الأقرب؛ لأنَّ تقطيع اسم الجلالة غير لائق.

قوله: ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ جوابٌ للقسم.

قوله: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ يصح أن يكون معطوفاً على (إِي)؛ فيكون من جملة مقول القول، ويصح أن يكون جملة مستأنفة خطاباً من الله لهم، وليس من جملة مقول القول، و(ما): يحتمل أنها حجازية فاسمها الضمير، و﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ خبرها، أو تميمية، وما بعدها مبتدأ وخبرٌ.

قوله: (بفاتين العذاب) أي: فارتين منه، بل هو مُدْرِكُكُمْ لا محالة.

قوله: ﴿لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾... إلخ) المعنى: امتنع افتداء كلِّ نفسٍ من العذاب؛ لامتناع ملكها لما لا تفتدي به، وهو جميع ما في الأرض.

قوله: (كفرت) أي: وماتت على كفرها.

قوله: ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ أي: لجعلته فداءً لها من العذاب، لكنه لا يحصل ذلك.

قوله: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ الضمير عائد على الرؤساء، والإسراؤُ على حقيقته، والمعنى: أن الرؤساء حين يروا^(١) العذاب يخفون الندامة خوف التَّعْيِيرِ، وهذا ما مشى عليه المفسر، وقيل:

(١) كذا في الأصول، وهي لغة معروفة.

لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾

﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ أي: أخفاها رؤسائهم عن الضعفاء الذين أضلّوهم مخافة التعيير، ﴿وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: بين الخلائق ﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً. ﴿٥٥﴾ ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بِالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ ﴿حَقٌّ﴾: ثابت، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

حاشية الصاوي

إِنَّ (أَسْرُوا) بمعنى: أظهروا، من تسمية الأضداد، ولعلّ هذا هو الأقرب، قال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جُنْبِ اللَّهِ...﴾ [الزمر: ٥٦] الآية.

قوله: ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ (ظرف لـ (أَسْرُوا) بمعنى: حين، أو شرطٌ حُذِفَ جوابه لدلالة ما قبله عليه.

قوله: (مخافة التعيير) أي: التوبيخ الواقع من الأتباع لهم.

قوله: (بين الخلائق) أي: فيقضي للمسلمين بالجنة، وللکفار بالنار، ويصح أن يكون المعنى: بين الظالمين والمظلومين.

قوله: (العدل) أي: وهو عدم الجور والظلم.

قوله: ﴿أَلَا﴾ أداة تنبيه، يؤتى بها للاعتناء بما بعدها، ومناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما ذكر أن كل نفس كافرة تمنى أنها لو تملك ما في الأرض لافتدت به... بين هنا أنه لا يمكن ذلك؛ لعدم ملكها؛ فإنّ لله ما في السماوات والأرض.

قوله: ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: لا محيص عنه، بل هو واقع ولا بد.

قوله: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لِقصور عقولهم بسبب استيلاء الغفلة عليهم، فيُنكرونها ذلك، والتعيير بـ (أكثر)؛ إشارة إلى أن الأقل يعلم ذلك، وهو واحدٌ من ألف؛ لما تقدّم في الحديث: «يا آدم؛ أخرج بَعَثَ النار من ذُرْبَتِكَ، فيخرج من كل ألف واحداً للجنة، والباقي للنار»^(١).

(١) رواه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٤٥٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

﴿٥٦﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم.

﴿٥٧﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ﴿٥٧﴾ أي: أهل مكة ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: كتاب فيه ما لكم وعليكم وهو القرآن، ﴿وَشِفَاءٌ﴾: دواء ﴿لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ من العقائد الفاسدة والشكوك، ﴿وَهُدًى﴾ من الضلال ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ به.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فِيْجَازِيْكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ﴾ أي: خيرها وشرها.

قوله: ﴿أَي: أَهْلَ مَكَّة﴾ أشار بذلك إلى أنَّ الخطاب لهم، ولكن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

قوله: ﴿مَوْعِظَةٌ﴾ مصدر (وَعَظَ) بمعنى: ذكَّر وأرشد لما ينفع من محاسن الأعمال، وزجر عما يضر من قبائحها.

قوله: ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ صفة لـ ﴿مَوْعِظَةٌ﴾، وفي هذا تنزل من الله لعباده؛ كأن الله يقول: الفداء في الآخرة لا ينفع، وأما في الدنيا.. فذلك نافع.

قوله: ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ المراد بها: القلوب، من باب: تسمية الحال باسم المحل، والمعنى: أنَّ القرآن مذكَّر وواعظ، وبه الشفاء لما في القلوب؛ من الحقد والحسد والبغض والعقائد الفاسدة.

قوله: ﴿وَهُدًى﴾ أي: نور يُقذف في قلوب الكاملين، يُميزون به بين الحق والباطل، وفي هذه الآية إشارة إلى الشريعة والطريقة والحقيقة؛ فأشار للشريعة بقوله: ﴿مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾؛ لأن الشريعة بها تطهير الظواهر، وأشار للطريقة بقوله: ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾؛ لأنَّ الطريقة بها تطهير البواطن عن كل ما لا ينبغي، وأشار للحقيقة بقوله: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ لأنَّ بالحقيقة التحليّ بالأنوار الساطعة في القلوب، التي يرى بها الأشياء على ما هي عليه عياناً؛ فعند ذلك يرى الله في كل شيء، وأقرب إليه من كل شيء علماً ذوقياً لا علماً يقينياً^(١)، فالحقيقة ثمرة الطريقة لا تحصل إلا بعد التخلق بالطريقة والشريعة؛ ولذا قيل: (حقيقة بلا شريعة باطلة، وشريعة بلا حقيقة عاطلة).

(١) في (أ): (وعلماً يقينياً).

قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾

﴿٥٨﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ: الإسلام ﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾: القرآن ﴿فَبِذَلِكَ﴾: الفضل والرحمة ﴿فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾: من الدنيا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾... إلخ متعلق بمحذوف دلّ عليه ما بعده، والأصل: لِيَفْرَحُوا بفضلِهِ وبرحمته فبذلك فليفرحوا^(١)، ثم قَدَّمَ الجارَّ والمجرور على الفعل؛ لإفادة الحصر، ثم دخلت الفاء لإفادة السببية، والمعنى: أَنَّ مَنْ اتَّصَفَ بهذه الصفات المتقدمة.. فينبغي له أَنْ يَفْرَحَ ويشكر ما أنعم الله به عليه، ويجود بروحه وجسمه في خدمة ربِّه، ولا يتوانى؛ فَمَنْ قَذَفَ الله في قلبه نور محبَّته.. فالواجب عليه فناء جسمه في خدمته كي يتمَّ له ذلك النور، ويزداد السرور، وهذه المحبة هي التي يعبر عنها العارفون بالخمرة والشراب والحُميا؛ لأنَّ بها السُّكْرَ والفناء عمَّا سوى الله تعالى، قال العارف رحمته^(٢): [الطويل]

شَرَبْنَا عَلَى ذِكْرِ الْحَبِيبِ مُدَامَةً سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الْكَرَمُ
وقال العارف: [الوافر]

وَلَا تَنْظُرْ لِحِسْمِي يَا عَذُولِي فَإِنَّ الْجِسْمَ مَطْلُوبِي سَلَاةُ
وَلَا تُنْكِرْ شَرَابَ حُمَيِّ قَلْبِي فَإِنَّ الْقَلْبَ مَحْبُوبِي سَقَاةُ
وقال العارف موضحاً لهذه الخمرة: [مخلع البسيط]

فَتِلْكَ خَمْرُ الشُّهُودِ تُدْعَى لَا خَمْرُ الْكَرَمِ وَالِدُنَّانِ
ومن ذلك المعنى قوله تعالى: ﴿وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذَقًا﴾ ﴿١١﴾ لَنَقْنِئَهُمْ فِيهِ ﴿[الجن: ١٦-١٧]﴾، فنسأل الله تعالى أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ مُحَبَّتِهِ، وَأَنْ يَحْشُرَنَا فِي زَمْرَةِ أَهْلِ قُرْبِهِ وَمُودَتِهِ.
قوله: ﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: من الدنيا وزخارفها، وأبهمها؛ إشارةً إلى أَنَّهَا خَسِيسَةٌ، لَا تَسَاوِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ.

(١) في هامش (أ): (وفي «السمين»: قل: بفضل الله ورحمته ليفرحوا بذلك فليفرحوا، فحذف اللفظ الأول؛ لدلالة الثاني عليه، فهما جملتان)، وانظر «الدر المصون» (٦/٢٢٣).

(٢) مطلع قصيدة لابن الفارض في «ديوانه» (ص ١٤٠).

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ مَالِلِيَ أَنْزَلَ اللَّهُ أَدْبَارَ لَكُمْ
أَمْرًا عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ

- بالياء والتاء -.

﴿٥٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ : أَخْبِرُونِي ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ : خَلَقَ ﴿لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾ كالبحيرة والسائبة والميتة ﴿قُلْ مَالِيَ أَنْزَلَ اللَّهُ أَدْبَارَ لَكُمْ﴾ في ذلك بِالتَّحْلِيلِ والتَّحْرِيمِ؟ لا ﴿أَمْرًا﴾ : بَلْ ﴿عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ : تَكْذِبُونَ بِنِسْبَةِ ذَلِكَ إِلَيْهِ.

﴿٦٠﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ أَي : أَيُّ شَيْءٍ ظَنُّهُمْ بِهِ

حاشية الصاوي

قوله : (بالياء والتاء) راجع لقوله : ﴿يَجْمَعُونَ﴾^(١)، وأما ﴿فَلْيَفْرَحُوا﴾ .. فالتاء عشريّة، والياء سبعة^(٢).

قوله : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أشار المفسر إلى أن ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ بمعنى : أخبروني، وحينئذٍ فتَنَصَّبَ مفعولين : الأول : الموصول وصلته، والثاني : جملة ﴿مَالِيَ أَنْزَلَ اللَّهُ أَدْبَارَ لَكُمْ﴾، و﴿قُلْ﴾ تأكيدٌ للأول، وليست من جملة المفعول الثاني.

قوله : (كالبحيرة والسائبة) مثالان للحرام، وتقدّم أن البحائر والسوائب : نَعَمٌ يوقفونها على الأصنام، يحرمون ظهورها ونتاجها وألبانها ولحومها، وقوله : (والميتة) مثال للحلال. قوله : (لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله : ﴿أَمْرًا﴾ (بل) أشار المفسر إلى أنها منقطعة بمعنى : (بل)، ويصح أن تكون مُتَّصِلَةٌ معادلة للهمزة، والمعنى : أخبروني أحصل إذن من الله لكم أم ذلك افتراءٌ منكم وكذبٌ؟! فهو استفهامٌ لطلب التعيين، وهو الأولى.

قوله : ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ﴾ (ما) : استفهامٌ مبتدأ، و﴿ظَنُّ﴾ : خبره، و﴿يَوْمَ﴾ : ظرف متعلق بـ ﴿ظَنُّ﴾، والمعنى : أيُّ شيء ظنُّهم بالله يوم القيامة؟

(١) قرأ ابن عامر بالتاء على الخطاب، والباقون بالياء على الغيبة. انظر «السراج المنير» (٢/٢٦).

(٢) الجمهور على «فليفرحوا» بياء الغيبة، وقرأ الشامي وأبو جعفر بقاء الخطاب، وبها قرأ عثمان بن عفان، وأبي، وأنس، والحسن، وأبو رجاء، وابن هرمز، وابن سيرين، وهي قراءة رسول الله ﷺ، قال الزمخشري : «وهو الأصل والقياس». انظر «الدر المصون» (٦/٢٢٤)، و«البدور الزاهرة» (ص ١٤٩).

يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾؟ أَيَحْسَبُونَ أَنَّهُ لَا يُعَاقِبُهُمْ؟ لا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ بِإِمهالِهِم والإِنعام عَلَيْهِم، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿٦١﴾ ﴿وَمَا تَكُونُ﴾ يَا مُحَمَّد ﴿فِي شَأْنٍ﴾: أمر ﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ﴾ أي: مِنَ الشَّأْنِ أَوْ اللَّهُ ﴿مِنْ قُرْآنٍ﴾ أَنْزَلَهُ عَلَيْكَ ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾ خَاطِبُهُ وَأَمَّتُهُ ﴿مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (أَيَحْسَبُونَ... إلخ) قَدَّرَ المفسِّر هذه الجملة؛ إشارةً إلى أَنَّ مفعولي الظنِّ محذوفان، فهذه الجملة سَدَّت مسدَّهما.

قوله: (لا) أشار بذلك إلى أَنَّ الاستفهام إنكاريٌّ؛ أي: لا ينبغي هذا الظن ولا يليق ولا ينفع، وأما قوله في الحديث: «أنا عند ظنِّ عبدي بي»^(١). . . فذلك في حقِّ المؤمن؛ فظنُّ الخير بالله يَنفَع المؤمن، وأما الكافر.. فلا يَنفَعه ذلك ما دام على كُفْرِهِ.

قوله: ﴿لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ أي: الطائع منهم والعاصي، وذلك في الدنيا؛ فَنِعَمُ الدنيا ليست تابعةً للتقوى، بل هي ثابتة بالقسمة الأزلية للمؤمن والكافر.

قوله: (بإمهالهم) أي: تأخير عذابهم.

قوله: (والإِنعام عليهم) أي: بأنواع النِّعم كالعقل والسمع والبصر وغير ذلك.

قوله: ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ أي: لا يصرفون النِّعم في مَصَارِفِهَا، وحينئذٍ فلا تنفعهم تلك النِّعم إلا إذا صحبها الإيمان والشكر، فإن عَدَمُوا الإيمان.. صارت النِّعم رِقْمًا، وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ يُقِيدُ أَنَّ القليل هو الشاكر، وهو كذلك، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبا: ١٣].

قوله: ﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ﴾ الضمير إمَّا عائد على الشَّأْنِ، أَوْ على (الله) كما قال المفسِّر؛ فعلى الأول: تكون (مِنْ) للتعليل، وعلى الثاني: تكون ابتدائية، وقوله: ﴿مِنْ قُرْآنٍ﴾ (مِنْ): صلة، والمعنى: وما تَتْلُو من أجل هذا الشَّأْنِ قرآنًا، أَوْ: وما تَتْلُو قرآنًا مبتدأً وصاعدًا من الله.

قوله: ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ استثناءٌ من أعمِّ الأحوال، والمعنى: ما تتلبَّسون بشيءٍ من هذه الثلاثة في حال من الأحوال إلا في حال كوننا مَطَّلَعِينَ عليه حافظين له؛ إذا علمت ذلك..

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٦٩٠٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾

رُقْبَاءُ ﴿إِذْ تُفِيضُونَ﴾: تَأْخُذُونَ ﴿فِيهِ﴾ أي: الْعَمَلِ، ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾: يَغِيبُ ﴿عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾: أَصْغَرُ نَمْلَةٍ ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾: بَيِّنُ هُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ.

حاشية الصاوي

فكان المناسب للمفسر أن يُعيد الضمير في (فيه) لكلٍّ من الثلاثة، وقد يجاب: بأنه أعاده على العمل؛ لعمومه وشموله لباقي الثلاثة.

قوله: ﴿إِذْ تُفِيضُونَ﴾ ظرف لقوله: ﴿شُهُودًا﴾.

قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ بضم الزاي وكسرهما، قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿عَنْ رَبِّكَ﴾ أي: عن علمه.

قوله: (أصغر نملة) وقيل: هو الهباء، وقيل: أصغر بعوضة.

قوله: ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي: في سائر الموجودات، وعبر عنه بالسما والارض؛ لمشاهدة الخلق لهما.

واعلم: أن عالم الملك: ما يُشاهده الخلق كالارض وما حوته، وما ظهر من السماء، وعالم الملكوت: ما لا يُشاهد؛ كما فوق السماء من العرش والكرسي والملائكة وغير ذلك، وعالم الجبروت هو: عالم الأسرار، وعالم العزة هو: ما أستاذر الله بعلمه؛ كعلم ذاته وصفاته ومراداته.

قوله: ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾ بالرفع والنصب، قراءتان سبعيتان^(٢)؛ فالرفع إمّا على الابتداء والخبر، أو على أنّ (لا) عاملة عمل (ليس)، والخبر على كلا الإعرابين قوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾، فتكون الجملة مستأنفة منقطعة عما قبلها، والنصب على أنها عاملة عمل (إن)؛ لأنّ (أصغر) و(أكبر) شبيهان بالمضاف، تعلّق بهما شيء من تمام معناهما وهو العمل في الجار والمجرور، وهاتان القراءتان هنا فقط، وأما في (سبأ) .. فيالرفع باتفاق السبعة^(٣).

قوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ الاستثناء منقطع، والمعنى: لكن جميع الأشياء في كتاب مبين،

(١) قرأ الكسائي بالكسر، والباقون بالضم. انظر «الدر المصون» (٦/٢٢٩).

(٢) قرأ حمزة برفع راء «أصغر» و«أكبر»، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٦/٢٣٠).

(٣) انظر «الدر المصون» (٩/١٤٨).

آلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ

﴿٦٢﴾ آلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ

حاشية الصاوي

فهو استدراكٌ على ما يُتوهم نفيه؛ لأنَّ قوله: (لا يعزب عن ربك... إلخ)^(١) ربما يتوهم منه أنه لم يُحِط بها غير علم الله، فدفع ذلك بقوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ أي: لكن جميع الأشياء مُثبتة في كتاب مُبين أيضاً، ولا يصح أن يكون متصلاً؛ لأنه يصير المعنى: لا يَغيب عن علمه شيءٌ في حال من الأحوال إلا في حال كونه مُثبتاً في كتاب مُبين، فيَغيب؛ فيفيد أنَّ ما في الكتاب المُبين غائبٌ عن علم الله، وذلك باطل، وهذا الإشكال لا يرد إلا على جعل قوله: ﴿وَلَا أَصْغَرَ﴾ و﴿وَلَا أَكْبَرَ﴾ معطوفاً على ﴿مُنْقَالَ﴾، وأما إن جعل مستأنفاً كما تقرَّر.. فلا يرد الإشكال، فتأمل.

قوله: ﴿وَلَا أَكْبَرَ﴾ أداة تنبيه، يؤتى بها ليتنبه السامع لما بعدها، ويعتني به؛ لعظمه.

قوله: ﴿وَأَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ جمع ولي، من: الولاء، وهو: العزُّ والنصر، سمَّوا بذلك؛ لأنهم هم المنصُورون بالله، المعزُّوزون به، لا يطمعون في شيء سوى القرب منه.

وولي: (فعل) إما بمعنى (فاعل) أي: متولِّي خدمة ربِّه بكل ما أمَّكَّته بروحه وجسمه ودنياه، أو بمعنى (مفعول) أي: تولَّى الله إكرامه وعطاياه ونفحاته، فلم يَكُلْه لشيءٍ سواه؛ فحيث تولى الخدمة.. تولَّاه الله بالنعمة والنقمة، وهو سرُّ قوله في الحديث: «يا دنيا؛ مَنْ خَدَمَنِي.. فاخْدَمِيهِ»^(٢)، فصار معنى الولي: المنهمك في طاعة ربِّه، الذي أفيضت عليه الأنوار والأسرار؛ لما ورد: «مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا.. تَقَرَّبَتْ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا.. تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي.. أَتَيْتُهُ هَرُولَةً»^(٣)، وعلامة الولي كما في الحديث: سئل رسول الله عن علامة الأولياء، فقال: «هم الذين إذا رُؤُوا.. ذُكِرَ الله تعالى»^(٤)، وسبب ذلك: ظهور أنوار المعرفة الكائنة في قلوبهم على ظواهرهم، وذلك سرُّ قوله تعالى: ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال أبو بكر الأصم: أولياء الله هم الذين تولَّى الله هدايتهم، وتولَّوا القيام بحقِّ العبودية لله تعالى والدعوة إليه.

(١) لا يفوتك أن سياق الآية: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ يَشْفَعُ دَرَجَاتٍ...﴾ إلخ، وما ذكره المصنف حلٌ معنى.

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١٩٤/٣).

(٣) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٦٩٠٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه الخرائطي في «مساوي الأخلاق» (٢٢٥) عن سيدنا أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، والطبراني في «الكبير» (١٣/١٢)،

والحكيم الترمذي في «نوادير الأصول» (٨٠/٤) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

حاشية الصاوي

والولي: من الولاء، وهو القرب والنصرة؛ فولي الله هو: الذي يتقرب إلى الله بكل ما افترض الله عليه، ويكون مُشتغلاً بالله، مُستغرق القلب في نور معرفة جلال الله تعالى؛ فإن رأى . . رأى دلائل قدرة الله، وإن سمع . . سمع آيات الله، وإن نطق . . نطق بالشناء على الله، وإن تحرك . . تحرك في طاعة الله، وإن اجتهد . . اجتهد فيما يقربه إلى الله، لا يفتر عن ذكر الله، ولا يرى بقلبه غير الله، فهذه صفة الأولياء، وإذا كان العبد كذلك . . كان الله وليه وناصره ومعينه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وروي عن أبي مالك الأشعري قال: كنتُ عند النبي ﷺ فقال: «إن الله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يَغبطهم الأنبياء والشهداء بقربهم ومَقْعدهم من الله يوم القيامة» قال: وفي ناحية القوم أعرابي، فجثي على ركبتيه ورمى بيديه، ثم قال: حدثنا يا رسول الله عنهم؛ مَنْ هم؟ قال: فرأيتُ في وجه رسول الله البشري، فقال: «هم عباد من عباد الله، ومن بلدان شتى، لم تكن بينهم أرحام يتواصلون بها، ولا دنيا يتباذلون بها، يتحاثون بروح الله، يجعل الله وجوههم نوراً ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن، يفرع الناس ولا يَفْزَعون، ويخاف الناس ولا يَخَافون»^(١).

وروي عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يَغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله»، قالوا: يا رسول الله تخبرنا بأمرهم، قال: «هم قومٌ تحاثُّوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها؛ فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلو نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس»، وقرأ هذه الآية ﴿إِلَّا لِمَنْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢)، وروي عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: إن أوليائي من عبادي الذين يُذَكِّرون بذكري، وأُذَكِّر بذكركم»^(٣).

قوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: لحفظ الله لهم في الدنيا من الأسباب التي تُوجب الخوف والحزن في الآخرة.

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٩٠)، والبيهقي في «الشعب» (٨٥٨٨).

(٢) رواه أبو داود (٣٥٢٧).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٣٠) عن سيدنا عمرو بن الجموح رضي الله عنه.

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ

في الآخرة.

﴿٦٣﴾ هُمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿الله بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ﴾.

﴿٦٤﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿فُسِّرَتْ فِي حَدِيثٍ صَحَّحَهُ الْحَاكِمُ بِالرُّوْيَا الصَّالِحَةِ يَرَاهَا الرَّجُلُ أَوْ تَرَى لَهُ﴾ وَفِي الْآخِرَةِ ﴿بِالْجَنَّةِ وَالثَّوَابِ،
حاشية الصاوي

قوله: (في الآخرة) أي: لما في الحديث: «لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس».

قوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قَدَّرَ المفسِّر (هم)؛ إشارةً إلى أن الاسم الموصول خبرٌ لمبتدأ محذوف، وهذه الجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر، تقديره: وما صفات أولياء الله؟ فأجاب: بأنهم الذين اتصفوا بالإيمان والتقوى، والمعنى: أن أولياء الله هم الذين اتصفوا بالإيمان - وهو: الاعتقادُ الصحيحُ المبنيُّ على الدلائل القطعية - والتقوى، وهي: امتثال المأمورات واجتناب المنهيات على طبق الشرع؛ ولذا قال القشيري: (شرط الولي: أن يكون محفوظاً؛ كما أن من شرط النبي: أن يكون معصوماً؛ فكلُّ من كان للشرع عليه اعتراض.. فهو مغرور مخادع)^(١)، وقال الإمام الشافعي وأبو حنيفة: (إذا لم تكن العلماء أولياء الله.. فليس لله ولي)^(٢)؛ وذلك في العالم العاقل بعلمه.

قوله: (فُسِّرَتْ في حديث رواه الحاكم بـ«الرؤيا الصالحة... إلخ») أي: لأنه لم يبق من النبوة إلا المبشرات، وهي الرؤية الصالحة، وفي الحديث: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»^(٣).

وقيل: المراد بالبشرى في الحياة الدنيا: نزول الملائكة بالبشارة من الله عند الموت، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

(١) «الرسالة القشيرية» (٢/٤١٦).

(٢) انظر «البيان في آداب حملة القرآن» (ص ٢٩).

(٣) رواه البخاري (٦٩٨٩)، ومسلم (٥٩٧٤) عن سيدنا أبي قتادة رضي الله عنه.

لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ

﴿لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ لا خُلْفَ لِمَوَاعِيدِهِ، ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿٦٥﴾ وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ ﴿لَكَ: لَسْتَ مُرْسَلًا وَغَيْرُهُ،﴾

حاشية الصاوي

وقيل: البشرى في الحياة الدنيا: الثناء الحسن ومحبة الخلق لهم؛ لما ورد عن أبي ذر: قيل لرسول الله ﷺ: أرايت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمله الناس عليه؟ قال: «عاجل بشرى المؤمن»^(١)، وورد أيضاً: «إذا أحب الله عبداً.. نادى جبريل فيقول له: إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»^(٢)، قال بعض المحققين: إذا اشتغل العبد بالله عز وجل.. استنار قلبه، وامتلاً نوراً؛ فيفيض من ذلك النور الذي في قلبه على وجهه، فيظهر عليه آثار الخشوع والخضوع، فيحبه الناس ويثنون عليه، فتلك عاجل بشراه؛ لمحبة الله له، ورضوانه عليه^(٣).

وقيل: البشرى في الحياة الدنيا: ظهور الكرامات، وقضاء الحوائج. والأحسن: أن يراد بالبشرى في الدنيا: جميع ما تقدم، وأعظمها التوفيق، وأما البشرى في الآخرة.. فالجنة وما فيها من النعيم الدائم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَوْمَ جَنَّتْ نَجْرِي مِّنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢].

قوله: (لَا خُلْفَ لِمَوَاعِيدِهِ) أي: التي وعد الله بها أوليائه وأهل طاعته في كتابه وعلى السنة رسله، والمعنى: لا تغيير لذلك الوعد.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الوعد المتقدم؛ من كونهم لا خوف عليهم، ولا هم يحزنون، ولهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وكون هذا الوعد لا يتغير ولا يتبدل.

قوله: ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي: الظفر بالمقصود الكامل الذي لا يضاهي.

قوله: ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ﴾ إما بفتح الياء وضم الزاي من باب (نَصَرَ)، أو بضم الياء وكسر الزاي

(١) رواه مسلم (٢٦٤٢).

(٢) رواه البخاري (٧٤٨٥)، ومسلم (٦٧٩٨) عن سيدنا أبي هريرة ؓ.

(٣) انظر «تفسير الخازن» (٤٥٢/٢).

إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ.....

﴿إِنَّ﴾ - استئناف - ﴿الْعِزَّةَ﴾: القُوَّةُ ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ﴾ لِقَوْلِ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِالْفِعْلِ، فَيُجَازِيهِمْ وَيَنْصُرُكَ.

﴿٦٦﴾ ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ عَيْدًا وَمُلْكًا وَخَلْقًا،.....

حاشية الصاوي

من باب (أكرم)، قراءتان سبعيتان^(١)، والمعنى: لا تهتم بأقوالهم، ولا تحزن لها؛ فإن الله مُعِزُّكَ وناصرُكَ، وهذا تسليَةٌ له ﷺ عما يلقاه من أذاهم، وتبشير له بالنصر والظفر بالمقصود.

قوله: (استئناف) أشار بذلك إلى أن الوقف تم عند قوله: ﴿قَوْلُهُمْ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ...﴾ إلخ كلامٌ مستأنفٌ من كلام الله تعالى في قُوَّةِ التعليل لقوله: ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾، أو واقع في جواب سؤال مقدر، تقديره: إن الله أمره بعدم الحزن من أجل قولهم مع أن أقوالهم تُوجب الحزن، فأجاب الله تعالى: بأن العزة لله يُعطيها لمن يشاء، فأقوالهم لا تُفيد شيئاً؛ فحينئذ لا يُبالي بهم ولا بقولهم.

قوله: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ أي: الغلبة والسلطنة الكاملة ثابتة لله، يخلعها على من يشاء؛ ولذا قال في (سورة المنافقون): ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

قوله: ﴿جَمِيعًا﴾ حال من ﴿الْعِزَّةَ﴾.

قوله: (فيجازيهم) أي: على ما قدموا من خير وشر.

قوله: (وينصرُكَ) أي: على مَنْ عاداك، وهذا يقال لكلٍّ من سلك طريقة سيد المرسلين وعمل بمقتضاها، وتعرض له الحساد بالإيذاء؛ فيقال له: لا يحزنك قولهم وعيبيهم وحسدهم؛ لأنَّ العزة مملوكة وثابتة لله يعطيها لمن أراد؛ فلا تنزعج منهم، ولا تلتفت لهم.

قوله: ﴿أَلَا﴾ أداة تنبيه.

قوله: ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ (مَنْ): واقعة على العاقل، فالمراد به (من في السموات): الملائكة العقلاء، و(من في الأرض): الإنس والجن، وخصَّهم بالذكر؛ لشرفهم،

(١) قرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي من (أحزنه)، والباقون بفتح الياء وضم الزاي. انظر «السراج المنير» (٢/٢٨).

وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا
بِخَرُصٍ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ

﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يَعْبُدُونَ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره أصناماً ﴿شُرَكَاءَ﴾ له
على الحقيقة تعالى عن ذلك، ﴿إِنْ﴾: ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾ أي: ظَنُّهُمْ
أنها آلهة تَشْفَعُ لَهُمْ، ﴿وَإِنْ﴾: ما ﴿هُمْ إِلَّا بِخَرُصٍ﴾: يَكْذِبُونَ في ذلك.
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾

حاشية الصاوي

وليعلم أن غيرهم من باقي المخلوقات مملوكون لله بالطريق الأولى؛ وهذا هو الحكمة في تعبيره
في الآية الأولى بـ(ما)، وفي هذه بـ(من)، أو يقال في الحكمة: إن التغاير إشارة إلى أن الخلق
جميعاً في قبضته، ومملوكون له سبحانه وتعالى؛ فإن (ما) مستعملة في غير العاقل كثيراً، و(من)
بالعكس، فأفاد: أن جميع ما في السموات وما في الأرض مملوكون له حقيقة.

قوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ﴾ (ما): نافية، و﴿يَتَّبِعُ﴾ فعل مضارع، و﴿الَّذِينَ﴾ فاعل،
و﴿يَدْعُونَ﴾ صلة، و﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ متعلق بـ﴿يَدْعُونَ﴾، و﴿شُرَكَاءَ﴾ مفعول ﴿يَتَّبِعُ﴾، ومفعول
﴿يَدْعُونَ﴾ محذوف، قدره المفسر بقوله: (أصناماً)، والمعنى: لا يتبع الذين يعبدون غير الله أصناماً
شركاء حقيقة؛ فالمنفي كونها شركاء حقيقة، وأما ادعاؤهم الشركة لله.. فتأيت، وهذا نتيجة قوله:
﴿إِلَّا إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، فيصير المعنى: حيث ثبت أن له جميع ما
في السماوات وما في الأرض عقلاء وغيرهم.. تحقق وثبت أنه ليس له شريك أصلاً؛ إذ ليس شيء
مما جعلوه إلهاً خارجاً عن السماوات والأرض؛ فكيف يكون المملوك شريكاً؟! تعالى الله عن
ذلك.

قوله: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ أي: لأنهم مُقَلِّدُونَ لآبائهم حيث قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى
أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

قوله: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا بِخَرُصٍ﴾ هذا من حصر الموصوف في الصفة؛ أي: ليس لهم صفة
إلا الكذب، والخَرُصُ في الأصل: الحَزْر والتَّخْمِين، والمراد منه هنا: الكذب كما أفاده المفسر.

قوله: (يَكْذِبُونَ في ذلك) أي: اتباعهم الظن.

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ هذا من جملة الأدلة القطعية على أنه واحد

لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴿٦٧﴾ إسنَادُ الْإِبْصَارِ إِلَيْهِ مَجَازٌ؛ لِأَنَّهُ يُبْصَرُ فِيهِ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾: دَلَالَاتٌ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ تَعَالَى ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سَمَاعٌ تَدَبُّرٌ وَاتِّعَاضٌ.

﴿٦٨﴾ ﴿قَالُوا﴾ أَي: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قَالَ تَعَالَى لَهُمْ: ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تَنْزِيهَا لَهُ عَنِ الْوَلَدِ، ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا يَطْلُبُ الْوَلَدَ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا وَعَبِيدًا،

حَاشِيَةُ الصَّائِلِينَ

لَا شَرِيكَ لَهُ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ احْتِبَاكٌ؛ حَيْثُ حُذِفَ مِنْ كُلِّ نَظِيرٍ مَا أُثْبِتَ فِي الْآخِرِ؛ فَحُذِفَ مِنَ الْأَوَّلِ وَصِفُ اللَّيْلِ وَهُوَ (مَظْلَمًا)، وَذَكَرُ حِكْمَتِهِ، وَحُذِفَ مِنَ الثَّانِي الْحِكْمَةُ وَذَكَرُ وَصْفِهِ، وَالْأَصْلُ: هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ مَظْلَمًا لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا لَتَبْتَغُوا وَتَتَحَرَّكُوا فِيهِ.

قوله: ﴿لَتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ أي: لتستريحوا من تعب النهار.

قوله: (مجاز) أي: عقلي من الإسناد للظرف.

قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: الجهل المذكور.

قوله: ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ خَصَّهُم بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُمُ الْمُنْتَفِعُونَ بِذَلِكَ.

قوله: (أي: اليهود) أي: حيث قالوا: ﴿عَزَّزْتُ أَبْنَاءَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، وقوله: (والنصارى)

أي: حيث قالوا: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، وقوله: (ومن زعم) أي: وهم مشركو العرب.

قوله: ﴿سُبْحَنَهُ﴾ أي: تقدَّسَ وتنزَّهَ عن ذلك، قال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ

وَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَخَرُّ الْجِبَالُ خَرًّا﴾ [٩٠] أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا... ﴿[مريم: ٩٠-٩٢] الْآيَةُ.

قوله: ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ أي: المستغني عن كلِّ ما سِوَاهُ، الْمُفْتَقرُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا عَدَاهُ، وَهُوَ دَلِيلٌ لِمَا

قبله.

قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾... إلخ) دليل لقوله: ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾.

إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَنِ بِهَذَا أَنْتَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ

﴿إِنْ﴾: ما ﴿عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَنِ﴾: حُجَّةٌ ﴿بِهَذَا﴾ الَّذِي تَقُولُونَهُ، ﴿أَنْتَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ - استيفهام توبيخ -.

﴿٦٩﴾ ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بِنِسْبَةِ الْوَلَدِ إِلَيْهِ ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾: لَا يَسْعَدُونَ.

﴿٧٠﴾ لَهُمْ ﴿مَتَّعَ﴾ قَلِيلٌ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ يَتَمَتَّعُونَ بِهِ مُدَّةَ حَيَاتِهِمْ، ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بِالْمَوْتِ، ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ﴾ بَعْدَ الْمَوْتِ ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

﴿٧١﴾ ﴿وَأَتْلُ﴾ يَا مُحَمَّدٌ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أَي: كُفَّارِ مَكَّةَ

حاشية الصاوي

قوله: (استفهام توبيخ) أي: تقريع وتهديد لهم.

قوله: ﴿قُلْ﴾ (أمر من الله لنبيه ﷺ أن ينبههم على سوء عاقبتهم؛ لعلمهم ينزجرون عما هم عليه).

قوله: (لا يسعدون) أي: لا يفوزون بمطلوبهم، بل هم خائبون خاسرون، وإن تكاثرت عليهم النعم.. فمآلها للزوال.

قوله: ﴿مَتَّعَ﴾ مبتدأ، خبره محذوف، قدّره المفسّر بقوله: (لهم)، وحيث: فالوقف على قوله: ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾، وهذا جواب عما يقال: إنا نراهم في حظوظ كثيرة، وسعة عيش، وسلامة بدن وغير ذلك من أنواع النعم الدنيوية، فدفع ذلك بقوله: (متاع قليل) أي: فلا يستمر وليس بنافع في الآخرة.

قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أي: بسبب كفرهم.

قوله: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ لما ذكر سبحانه وتعالى أحوال قريش وما كانوا عليه من القبائح، وما وعظهم الله به على لسانه ﷺ.. شرع في ذكر ما وقع للأنبياء مع أممهم؛ ليكون ذلك تسلية له ﷺ، وعبرة للكفار؛ لعلمهم يؤمنون.

نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَنْقُورِمْ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ

﴿نَبَأَ﴾ : خَبَرَ ﴿نُوحٍ﴾ ، - وَيُبَدِّلُ مِنْهُ - : ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَنْقُورِمْ إِنْ كَانَ كَبُرَ﴾ : شَقَّ ﴿عَلَيْكُمْ مَقَامِي﴾ : لُبَّثِي فِيكُمْ ﴿وَتَذَكِيرِي﴾ : وَعَظِي إِيَّاكُمْ ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾ : حاشية الصاوي

قوله : ﴿نَبَأَ نُوحٍ﴾ أي : بعض نبئه ؛ إذ لم يذكر جميع خبره ، وتقدّم أن اسمه عبد الغفار بن ملك بن متوشلخ بن إدريس ، ونوح : لقبه ، وبينه وبين إدريس ألف سنة ، وقدم قصة قوم نوح ؛ لأنهم أول الأمم هلاكاً ، وأشدّهم كفراً .

قوله : ﴿كَبُرَ﴾ بضمّ الباء في المعاني ، وأما في الأجسام . . فهو بكسر الباء .

قوله : ﴿مَقَامِي﴾ بفتح الميم باتفاق السبعة ، وقرئ شذوذاً بضمّها^(١) ؛ فالأول ثلاثي ، والثاني رباعي ، وهو من باب : الإسناد المجازي ، وحقّ الإسناد : أن يكون للذات ؛ نظير : ثقل عليّ ظلّه .
قوله : ﴿لُبَّثِي فِيكُمْ﴾ أي : مكثي بينكم .

قوله : ﴿وَتَذَكِيرِي﴾ . . . إلخ (الواو : بمعنى (مع) ، والمعنى : إن كان عظم عليكم مكثي بينكم مع تذكيري بآيات الله . . فأجمعوا أمركم . . إلخ ، وذلك لأنه مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى توحيد الله ؛ ففي الحقيقة الذي شقّ عليهم إنما هو دُعاؤه إلى توحيد الله ونصيحته لهم ؛ لأن النصيحة لا يقبلها إلا الطبع السليم .

قوله : ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي : وثقت به لا بغيره ، وفوّضت أموري إليه .

قوله : ﴿فَأَجْمِعُوا﴾ هذا هو جواب الشرط ، وجملة ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ اعتراض بين الشرط وجوابه ، ولا يصح أن يكون جواباً ؛ لأنه لا يحسن ترتبها على الشرط ؛ إذ هو متوكل على الله دائماً .
(أجمعوا) بهمزة القطع هنا باتفاق السبعة ، وهو يتعدّى بنفسه وبحرف الجرّ ، وأمّا ما يأتي في (طه) في قوله : ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ . . . فبهمزة الوصل والقطع ، قراءتان سبعيتان^(٢) ؛ ف(أجمع) بهمزة القطع مُستعملٌ في المعاني كثيراً ، وبهمزة الوصل في الأجسام كثيراً ؛ يقال : أجمعت أمري ، وجمعت جيشي .

(١) وبها قرأ أبو رجاء وأبو مجلز وأبو الجوزاء . انظر «الدر المصون» (٦/٢٣٩) .

(٢) قرأ الستة بقطع الهمزة ، وقرأ أبو عمرو وحده : «فأجمعوا» بوصل الالف . انظر «الدر المصون» (٦/٢٤٢) .

وَشُرَكَاءَكُم تَمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ

اعزِّمُوا على أمرٍ تفعلونه بي ﴿وَشُرَكَاءَكُم﴾ - الواو بمعنى (مع) - ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾: مَسْتُورًا، بل أظْهَرُوهُ وجاهِرُونِي بِهِ، ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾: أمضوا فيَّ ما أردتموه، ﴿وَلَا تُنْظِرُونِ﴾: تُمهِّلُونِ فَإِنِّي لَسْتُ مُبَالِيًا بِكُمْ.
﴿٧٢﴾ ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (اعزموا) أي: صمّموا ولا تردّدوا.

قوله: (على أمر تفعلونه) أي: كهلاكي.

قوله: (الواو: بمعنى «مع») أي: ف(شركاءكم) منصوب على المعية، لا معطوف على ﴿أَمْرُكُمْ﴾؛ لأنّ الشركاء ذوات لا يتسلط عليه (أجمعوا) إلا بقلّة، ويصحّ النصب بإضمار فعل لائق، والتقدير: فأجمعوا أمركم واجمعوا شركاءكم - بهمزة الوصل - على حدّ^(١): [الكامل]
عَلَفْتُهَا تَبْنَاءَ وَمَاءً بَارِدًا

أو يقدر مضاف في المعطوف، والتقدير: أمر شركائكم.

قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي: لا يكن أمركم مخفيًا، بل أظهروا ما في ضمائرکم؛ فإنني لست مُبَالِيًا بكم؛ لأنّ توكلّي على ربي، فالغمّة مأخوذة من قولهم: غمّ الهلال: إذا خفي على الناس.

قوله: ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ أي: أدّوا إليّ ما أردتموه وأوصلوه لي، وقرئ شذوذًا: (ثم أفضوا) بقطع الهمزة وبالفاء^(٢)؛ من: أفضى بالشيء: إذا انتهى إليه وأسرع، والمعنى: ثم أسرعوا إليّ بما عزمتم عليه.

قوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: دُمتم على التولي والكفر، وجواب الشرط محذوف، تقديره: فلا ضرر عليّ، وقوله: ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ﴾... إلخ) تعليلٌ لذلك المحذوف.

(١) تقدّم الكلام عليه.

(٢) وبها قرأ السري. انظر «الدر المصون» (٦/٢٤٤).

إِنْ أَجْرَى إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَبَّتْهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي
الْفُلْكِ وَجَعَلْنَهُمْ خَلِيفَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ
بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ

ثَوَابٍ عَلَيْهِ فَتَوَلَّوْا، ﴿إِنْ﴾: مَا ﴿أَجْرَى﴾: ثَوَابِي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.
﴿٧٢﴾ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبَّتْهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾: السَّفِينَةُ، ﴿وَجَعَلْنَهُمْ﴾ أَي: مَنْ مَعَهُ
﴿خَلِيفَ﴾ فِي الْأَرْضِ، ﴿وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾: بِالطُّوفَانِ، ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ
الْمُنْذَرِينَ﴾ مِنْ إِهْلَاكِهِمْ، فَكَذَلِكَ نَفْعَلُ بِمَنْ كَذَّبَكَ.

﴿٧٤﴾ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أَي: نُوحٍ ﴿رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (ثواب عليه) أي: على التذكير.

قوله: (فتولوا) منصوب بـ(أن) مضمرة بعد فاء السببية، وفيه حذف إحدى التاءين، والأصل:
(تتولوا).

قوله: ﴿إِنْ أَجْرَى إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ أي: ثوابي عليه لا على غيره فأطلبه منه.

قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: المنقادين لامثال أوامره واجتناب نواهيه في نفسي
وتبليغ غيره.

قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي: داموا واستمروا على تكذيبه.

قوله: ﴿فَجَبَّتْهُ﴾ أي: أعقبنا تكذيبه النجاة له ولمن آمن معه.

قوله: ﴿وَمَنْ مَعَهُ﴾ أي: من الإنس، وكانوا أربعين رجلاً، وأربعين امرأة.

قوله: ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ تقدّم أنه يستعمل مفرداً وجمعاً.

قوله: ﴿وَجَعَلْنَهُمْ﴾ أي: صيرناهم.

قوله: ﴿وَأَعْرَفْنَا﴾ إنما أحرّ ذكره عن الإنجاء؛ إشارةً إلى أن الرحمة سابقة على الغضب،
ولتعجيل المسرة لمن يمثل الأمر.

قوله: (فكذلك نفعل بمن كذّبك) هذا هو المقصود من ذكر هذه القصص.

قوله: ﴿رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ أي: فكلُّ رسولٍ بُعث إلى قومه.

فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾
ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا

كإبراهيم وهود وصالح ﴿فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: الْمُعْجَزَاتِ، ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قَبْلَ بَعَثِ الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ، ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ﴾: نَخْتِمُ ﴿عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ فلا تَقْبَلُ الْإِيمَانَ كَمَا طَبَعْنَا عَلَى قُلُوبِ أُولَئِكَ.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾: قَوْمِهِ ﴿بِآيَاتِنَا﴾

حاشية الصاوي

قوله: (كإبراهيم) أي: فكذبوه وآذوه حتى رموه في النار.

قوله: (وهود) أي: فكذبوه وآذوه، فأهلكهم الله.

قوله: ﴿فَجَاءَهُمْ﴾ أي: جاء الأنبياء لأقوامهم ملتبسين بالآيات.

قوله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ أي: لا يصح ولا يستقيم لهؤلاء الإيمان؛ فالمراد بعدم الإيمان: الإصرار على الكفر والتكذيب.

قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل هذا الطبع.

قوله: (فلا تقبل الإيمان) أي: لوجود الحجاب المانع منه؛ ففي الحقيقة لا يمكنهم الإيمان وإن كانوا في الظاهر مختارين.

قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ هذا عطف قصة على قصة، وهو خاص على عام؛ لمزيد الغرابة في وقائع موسى مع فرعون، وكلُّ هذا تسلية له ﷺ.

قوله: ﴿مُوسَى وَهَارُونَ﴾ أي: فكلُّ منهما رسول، لكن هارون وزير لموسى ومُعِينُ لَهُ، قال تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي...﴾ [القصص: ٣٤] الآية، وهذا لا ينافي أن كلا منهما رسول من عند الله؛ فمن أنكر رسالة واحد منهما.. كفر.

قوله: ﴿وَمَلَئِهِ﴾ تقدّم أن الملائة بالقصر والهمز: الأشراف الذين يملؤون العيون بمهابتهم، والمجالس بأجسامهم، والقلوب بجلالتهن، ولكن المفسّر فسّرهم هنا بالقوم، فحيثئذ: يكون المراد بهم: ما يشمل الأتباع، وقيل: المراد بالملائة: خصوص الأشراف، وخصّوا بالذكر؛ لأنّ غيرهم تبع لهم؛ فإذا آمن الرؤساء.. آمن الأتباع، وإذا كفّروا.. كفر الأتباع.

فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾
قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾

التسع، ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمانِ بِهَا، ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

﴿٧٦﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ ظَاهِرٍ.

﴿٧٧﴾ ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾: إِنَّهُ لَسِحْرٌ؟ ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾ وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ
أَتَى بِهِ وَأَبْطَلَ سِحْرَ السَّحَرَةِ، ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ والاستِفْهَامُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ لِلْإِنْكَارِ.

حاشية الصاوي

قوله: (التسع) تقدّم منها في (الأعراف) ثمانية: العصا، واليد، والسنين، والطوفان، والجراد،
والقمل، والضفادع، والدم، وستأتي التاسعة هنا في قوله: ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ...﴾ [يونس: ٨٨]
الآية.

قوله: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ الاستكبار: ادّعاء الكبر من غير استحقاق له.

قوله: (عن الإيمان بها) أي: بتلك الآيات التسع، وفي نسخة: (بهما) أي: موسى وهارون.

قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ أي: الآيات التسع؛ ففيه إظهار في مقام الإضمار، وفي الحقيقة:
أصل نزاعهم ودعواهم أن ما جاء به سحر إنما هو في اليد والعصا.

قوله: ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ هذه المقالة وقعت منهم بعد مجيء السحرة وابتلاع العصا
حبال السحرة وعصيهم.

قوله: ﴿قَالَ مُوسَى﴾ أي: ردًا عليهم بثلاث جمل: الأولى: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ إِنَّهُ
لَسِحْرٌ، الثانية: ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾، الثالثة: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾.

قوله: ﴿إِنَّهُ لَسِحْرٌ﴾ مقول لقوله: ﴿أَتَقُولُونَ﴾، حذف لدلالة ما قبله عليه، ولأنه لا ينبغي
أن يُذكر.

قوله: (وقد أفلح من أتى به) الجملة حالية.

قوله: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ أي: لا يفوزون بمطلوبهم، والجملة حالية من فاعل ﴿أَتَقُولُونَ﴾.

قوله: (للإنكار) أي: فالمعنى: لا يليق ولا ينبغي أن يقال هذا الكلام.

قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ
بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمُ مُوسَى أَلْقُوا
مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا

﴿٧٨﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِنَا: لِنَرُدَّنَا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ﴾: الْمُلْكُ
﴿فِي الْأَرْضِ﴾: أَرْضِ مِصْرَ، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ﴾: مُصَدِّقِينَ.
﴿٧٩﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ: فَائِقٍ فِي عِلْمِ السَّحَرِ.
﴿٨٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمُ مُوسَى: بَعْدَمَا قَالُوا لَهُ: ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ
الْمُلْقِينَ﴾ [الأعراف: ١١٥]: ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾.
﴿٨١﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا﴾ لما لم يجدوا حجة يعارضون بها.. رجعوا للتقليد المحض، فقالوا ما ذكر.

قوله: ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ أي: من عبادة الأصنام.

قوله: ﴿وَتَكُونُ﴾ معطوف على (نُلْفِنَا) أي: ولتكون.

قوله: (الملك) أي: وسمي بالكبرياء؛ لأنه أكبر ما يطلب من أمور الدنيا، ولأنه يورث الكبرياء والعز.

قوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ ليس هذا مرتباً على ما تقدم؛ فإن هذا القول وقع في ابتداء القصة، فالمقصود هنا: بيان ذكر القصة لا بقيد ترتيبها؛ فإن الواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً.

قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ﴾ عطف على محذوف، تقديره: فأتوا بالسحرة.

قوله: (بعدما قالوا له... إلخ) أشار بذلك إلى أنه معطوف على محذوف، وأصل الكلام: فلما جاء السحرة وجمعوا حبالهم وعصيهم وقالوا لموسى: إما أن تلقى، وإما أن نكون نحن الملقين... قال موسى... إلخ.

قوله: ﴿مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ أبهمه؛ إشارة إلى تحقيره.

قوله: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ أي: السحرة، وتقدم أنهم كانوا ثمانين ألفاً.

قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾

جِبَالَهُمْ وَعِصِيَّتَهُم ﴿٨١﴾ قَالَ مُوسَى مَا ﴿٨٢﴾ - اسْتِفْهَامِيَّةٌ - مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ: ﴿جِئْتُ بِهِ السِّحْرُ﴾؟ - بَدَلٌ، وفي قراءة بِهَمْزَةٍ وَاحِدَةٍ إِنْخِبَارٌ، فـ(ما) اسم مَوْصُولٍ مُبْتَدَأٌ - ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ أي: سَيَمَحِّقُهُ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾. ﴿٨٢﴾ وَيُحِقُّ: يُثَبِّتُ وَيُظْهِرُ ﴿اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾: بِمَوَاعِيدِهِ، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (جبالهم وعصيتهم) أي: وتقدّم أنها كانت حمل ثلاث مئة بعير.

قوله: (استفهامية) أي: أي شيء جئت به، وهو للتوبيخ والتحقير.

قوله: (بدل) أي: من (ما) الاستفهامية، وأعيدت همزة الاستفهام؛ لتكشف استفهام المبدل منه على حدّ قول ابن مالك^(١): [الرجز]

وبدل المضمّن الهمز يـلي همزاً كمَنْ ذا أسعيد أم علي؟

قوله: (بهمة واحدة إِنْخِبَارٌ) أي: بإسقاط همزة الاستفهام، ووُجِهَتْ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ: بِأَنَّ (ما) اسم مَوْصُولٍ مُبْتَدَأٌ، وَصَلَتْهَا ﴿جِئْتُ بِهِ﴾، وَالْخَبَرُ ﴿السِّحْرُ﴾، وَالْحَاصِلُ: أَنَّ فِي هَمْزَةِ (السحر) الثَّانِيَةَ وَجْهَانِ: التَّسْهِيلُ، وَالْمَدُّ اللَّازِمُ بِقَدْرِ ثَلَاثِ أَلْفَاتٍ، وَهَاتَانِ الْقِرَاءَتَانِ عَلَى جَعْلِ (ما) اسْتِفْهَامِيَّةً، وَخَبَرَهَا: ﴿جِئْتُ بِهِ﴾، وَ(السحر) بَدَلٌ مِنْ (ما)، وَأَمَّا عَلَى إِسْقَاطِهَا.. فَالْجُمْلَةُ خَبَرِيَّةٌ، وَ(ما): اسم مَوْصُولٍ مُبْتَدَأٌ، وَ﴿جِئْتُ بِهِ﴾: صِلَتُهُ، وَ﴿السِّحْرُ﴾: خَبَرٌ، وَتَحْذَفُ هَمْزَةُ (أل) عِنْدَ الدَّرَجِ^(٢).

قوله: (أي: سيمحقه) أي: فلا يبقى له أثر أصلاً.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ تعليل لقوله: ﴿سَيُبْطِلُهُ﴾.

قوله: ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ﴾ عطف على قوله: ﴿سَيُبْطِلُهُ﴾.

قوله: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: الكافرون.

(١) «الخلاصة»، باب: (البدل).

(٢) قرأ أبو عمرو وحده دون باقي السبعة: «السحر» بهمة الاستفهام، وبعدها ألف محضة، وهي بدل عن همزة الوصل الداخلة على لام التعريف، ويجوز أن تُسهل بين بين، وقرأ باقي السبعة بهمة وصل تسقط في الدرج. انظر «الدر المصون» (٦/٢٤٩).

فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنُتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾

﴿٨٣﴾ ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ﴾: طائفة ﴿مِّن﴾ أولاد ﴿قَوْمِهِ﴾ أي: فرعون ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾: يصرفهم عن دينه بتعذيبه، ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾: متكبر ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: أرض مصر، ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾: المتجاوزين الحد بادعاء الربوبية. ﴿٨٤﴾ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنُتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ﴾﴾ الذرية: اسم يقع على القليل من القوم.

قوله: (أي: فرعون) أشار بذلك إلى أن الضمير في ﴿قَوْمِهِ﴾ عائد على فرعون، والمراد: بذرية قومه: ناسٌ يسير؛ منهم امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، وخازنه، وأولاد خازنه، وما شبطه. وقيل: إن الضمير عائد على موسى، وهم: ناسٌ من بني إسرائيل نجوا من قتل فرعون؛ وذلك لأن فرعون لما أمر بقتل بني إسرائيل.. كانت المرأة من بني إسرائيل إذا ولدت ابناً.. وهبته لقبطية؛ خوفاً عليه من القتل، فنشؤوا بين القبط، فلما كان اليوم الذي غلب فيه موسى السحرة.. آمنوا به. وقيل: هم بنو إسرائيل، وهو الأقرب.

قوله: ﴿﴿عَلَىٰ خَوْفٍ﴾﴾ أي: مع خوف.

قوله: ﴿﴿وَمَلَئِهِمْ﴾﴾ أي: ملاء الذرية الذين نشؤوا بينهم على التفسير الثاني، أو أقاربهم حقيقة على التفسير الأول الذي ذكره المفسر.

قوله: ﴿﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾﴾ أي: فرعون، وأفرد؛ لأنه هو المباشر للفتنة، والخوف من الملاء إنما كان بواسطته هو.

قوله: ﴿﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾﴾ أي: تطمينا لقلوبهم، وهذا يؤيد أن الضمير في ﴿قَوْمِهِ﴾ عائد على موسى، وقد يجاب عن المفسر: بأنه سمّاهم قومه من حيث إنه مرسل لهم.

قوله: ﴿﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنُتُمْ﴾﴾ جوابه: ﴿﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾﴾، وقوله: ﴿﴿إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾﴾ شرط حذف جوابه؛ لدلالة ما قبله عليه، والتقدير: توكلتم عليه، أو هو شرط في الشرط؛ لأن الشرطين متى لم يترتبا في الوجود.. فالشرط الثاني شرط في الأول.

قوله: ﴿﴿إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾﴾ أي: متقادين لأحكام الله.

فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمَكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً

﴿٨٥﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ أي: لا تُظهرهم علينا فيُظنُّوا أَنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ فَيَفْتِنُونَا بِنَا.

﴿٨٦﴾ وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾.

﴿٨٧﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا ﴿٨٧﴾: اتَّخِذَا ﴿٨٧﴾ لِقَوْمَكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴿٨٧﴾: مُصَلًّى تُصَلُّون فِيهِ لِتَأْمِنُوا مِنَ الْحَوَفِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَقَالُوا﴾) أي: جواباً لموسى.

قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا...﴾ إلخ) دعاء منهم لله سبحانه وتعالى.

قوله: (أي: لا تظهرهم علينا) أي: لا تجعلهم ظاهرين علينا وغالبيين لنا.

قوله: ﴿وَنَحْنَا﴾) أي: خلصنا.

قوله: ﴿بِرَحْمَتِكَ﴾) أي: إحسانك وإنعامك.

قوله: ﴿مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾) أي: الجاحدين لآياتك.

قوله: ﴿أَن تَبَوَّءَا﴾) يحتمل أن (أن) تفسيرية؛ لوجود ضابطها، وهو: أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه، ويحتمل أنها مصدرية؛ أي: أوحينا التبوء، والمعنى: أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى موسى وأخيه أن يتخذا لقومهما مساكن بأرض مصر؛ يتوطنون بها ويعبدون الله فيها رغماً على أنف عدوهم فرعون، وهذا طمأنينة للقوم؛ فإنهم كانوا خائفين من فرعون.

قوله: ﴿لِقَوْمِكُمَا﴾) الأقرب: أن اللام زائدة في المفعول الأول، و﴿بُيُوتًا﴾ مفعول ثانٍ^(١).

قوله: ﴿بِمِصْرَ﴾) متعلق بـ﴿تَبَوَّءَا﴾، والمراد بمصر: مصر القديمة.

قوله: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾) أي: اجعلوا مساكنكم مصلى، والمراد بالقبلة: مكان التوجه

لله، لا خصوص الفجوة المعلومة، واختلف في قبلتهم؛ قيل: هي الكعبة، وقيل: بيت المقدس.

(١) في هامش (أ): (بمعنى: بوئنا قومكما بيوتاً؛ أي: أنزلاهم).

وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا

وكان فرعون منعهم من الصلاة، ﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ﴾: أتموها، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر والجنة.

﴿٨٨﴾ ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا﴾ آتَيْتَهُمْ ذَلِكَ ﴿لِيُضِلُّوا﴾ في عاقبته
حاشية الصاوي

قوله: (وكان فرعون منعهم من الصلاة) أي: في أول أمرهم، فأمر الله موسى ومن معه أن يصلوا في بيوتهم خفية؛ لئلا يظهروا عليهم ويؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم، وذلك كما كان عليه المسلمون في أول الإسلام بمكة.

قوله: (أَتَمُّوْهَا) أي: بشروطها وأركانها المعلومة عندهم.

قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: قومك الذين آمنوا بك، وهذا خطاب لموسى وحده؛ لأنَّ البشارة على لسانه، وما قبله من قوله: (واجعلوا) و﴿أَقِمُوا﴾ خطاب لموسى وقومه؛ لاشتراكهم في ذلك.

قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ أي: لما رأى فرعون وقومه طغوا وبغوا، ولم ينقادوا للإسلام، واستمروا على الكفر والعناد.. جاءه الإذن من الله بالدعاء عليهم، وقَدَّم سبب الدعاء وهو بَطْر النعم؛ إذ هو من أعظم المعاصي الموجبة لغضب الله وسلب النعم.

قوله: ﴿زِينَةً﴾ هي: عبارة عما يتزين به من اللباس والمال والأموال الجميلة، قال ابن عباس: (كان من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها ذهب وفضة وزبرجد وياقوت)^(١).

قوله: ﴿رَبَّنَا﴾ كرَّره تأكيداً للأول، وتلذُّذاً بخطاب الله.

قوله: ﴿لِيُضِلُّوا﴾ متعلق بـ﴿آتَيْتَ﴾ في كلام الله، وأما قول المفسر: (آتَيْتَهُمْ ذَلِكَ) إنما هو تسميم للجملة المؤكدة. واللام: للعاقبة والسيرورة، وإلى هذا أشار المفسر بقوله: (في عاقبته)^(٢).

(١) انظر «زاد المسير» (٢/٣٤٥).

(٢) في هامش (أ): (أي: آتَيْتَهُم النعم المذكورة؛ ليشكروها ويتبعوا سبيلك، فكان عاقبة أمرهم أنهم كفروا وأضلوا عن سبيلك).

عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا

﴿عَنْ سَبِيلِكَ﴾: دينك، ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾: امسحها ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: اطبع عليها واستوثق، ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾: المؤلم، دعا عليهم وأمن هارون على دُعائه.

﴿٨٩﴾ ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ فمُسِخَتْ أَمْوَالُهُمْ حِجَارَةً وَلَمْ يُؤْمِنْ فِرْعَوْنُ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿عَنْ سَبِيلِكَ﴾ أي: طاعتك وتوحيذك.

قوله: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ أي: أزل صورها وصفاتها، قال قتادة: بلغنا أن أموالهم وخروثهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة، ودنانيرهم ودراهمهم صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحاً وأنصافاً وأثلاثاً، وهذا الطمس آخر الآيات التسع^(١).

قوله: ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: اربط عليها حتى لا تلين وتنشرح للإيمان، وإنما دعا بذلك؛ لما علم أن سابق قضاء الله وقدره فيهم أنهم لا يؤمنون، فوافق دعاء موسى ما قدر وقضى عليهم، فكان ترجماناً عن مراد الله، وأما الدعاء على الكافر المجهول العاقبة بموته على الكفر.. فلا يحل.

قوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ عطف على ﴿لِيُضِلُّوا﴾ فيكون منصوباً، أو هو مجزوم بجعل (لا) دعائية.

قوله: (دعاء عليهم) الأقرب: أنه خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هذا دعاء عليهم؛ أي: قوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا...﴾ إلخ، ودفع بذلك ما قيل: إنه خبرٌ وليس من جملة الدعاء، فتأمل.

قوله: (وأمن هارون على دعائه) أي: والمؤمن أحد الداعيين، فصحت التثنية في قوله: ﴿دَعْوَتُكُمَا﴾، وهو جوابٌ عما يقال: إن الداعي موسى فلم تثنى الضمير في ﴿دَعْوَتُكُمَا﴾؟

قوله: (فمسخت أموالهم) أي: الدنانير والدراهم والنخيل والزروع والثمار والخبز والبيض وغير ذلك، وقيل: مُسِخَتْ صورهم أيضاً، فكان الرجل مع أهله فصاراً حجرين، والمرأة قائمة تخبز صارت حجراً، وهذا قولٌ ضعيف؛ لأن موسى دعا على أموالهم ولم يدع على أنفسهم بالمسح.

فَأَسْتَقِيمًا وَلَا نَتَّبِعَنَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ

حَتَّى أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ، ﴿فَأَسْتَقِيمًا﴾ عَلَى الرِّسَالَةِ وَالْدَّعْوَةِ إِلَى أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ، ﴿وَلَا نَتَّبِعَنَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فِي اسْتِعْجَالِ قَضَائِي، رُويَ أَنَّهُ مَكَثَ بَعْدَهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً.

﴿٩٠﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَأَسْتَقِيمًا﴾ أي: دُومًا عَلَى الاستقامة.

قوله: ﴿وَلَا نَتَّبِعَنَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ خطابٌ لِمُوسَى وَهَارُونَ، والمراد: غيرهما؛ عَلَى حَدِّ: ﴿لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، والمعنى: لَا تَسْلُكَا طَرِيقَ الْجَاهِلِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُ مَتَى دَعَا الْإِنْسَانُ.. أَجِيبَ بَعِينَ مَطْلُوبِهِ فِي الْحَالِ؛ لِأَنَّ الْإِجَابَةَ عَلَى مَرَادِ اللَّهِ، فَرِيبًا يَجَابُ الشَّخْصُ بِغَيْرِ مَطْلُوبِهِ، أَوْ تَأَخَّرَ إِجَابَتُهُ؛ لِحُكْمِ يَعْلَمُهَا اللَّهُ.

وَفِي ﴿نَتَّبِعَنَّ﴾ ثَلَاثُ قَرَاءَاتٍ سَبْعِيَّاتٍ: تَشْدِيدُ النُّونِ مَعَ تَشْدِيدِ التَّاءِ فَقَطْ، وَتَخْفِيفُهَا مَعَ تَشْدِيدِ التَّاءِ، وَتَخْفِيفُهَا^(١)؛ فَعَلَى الْأُولَى: تَكُونُ النُّونُ لِلتَّوَكِيدِ الثَّقِيلَةِ، وَكَسَرَتْ تَشْبِيهًا بَنُونَ الْمُثْنَى، وَالْفِعْلُ مَجْزُومٌ بِحَذْفِ النُّونِ، وَعَلَى الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ: تَكُونُ الْجُمْلَةُ اسْمِيَّةً وَالنُّونُ نُونُ الرَّفْعِ، وَالتَّقْدِيرُ: وَأَنْتُمَا لَا تَتَّبِعَان.

قوله: (رُويَ أَنَّهُ) أي: نَزُولُ الْعَذَابِ بِهِمْ مَكَثَ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ حِينِ الدَّعْوَةِ، وَهَذَا التَّأْخِيرُ لِحُكْمَةِ يَعْلَمُهَا اللَّهُ.

قوله: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ﴾... إلخ) لَمَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعَاءَ مُوسَى وَهَارُونَ بِالْظَّمْسِ عَلَى أَمْوَالِهِمُ وَالرِّبْطِ عَلَى قُلُوبِهِمْ.. أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى وَهَارُونَ؛ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي، وَاخْرُجْ بِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ؛ وَرَدَّ: أَنَّ يَعْقُوبَ لَمَّا دَخَلَ مِصْرَ مَعَ ذُرِّيَّتِهِ لِاجْتِمَاعِهِمْ بِيُوسُفَ.. كَانُوا اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ؛ فَلَمَّا خَرَجَ مُوسَى بِهِمْ.. كَانُوا سِتِّ مِائَةِ أَلْفٍ، وَكَانَ فِرْعَوْنُ غَافِلًا عَنْ ذَلِكَ، فَلَمَّا سَمِعَ أَنَّهُمْ خَرَجُوا وَعَزَمُوا عَلَى مَفَارِقَةِ مَمْلَكَتِهِ.. خَرَجَ فِي عَقِبِهِمْ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُمْ.. قَالُوا لِمُوسَى: أَيْنَ الْمَخْلَصُ وَالْبَحْرُ أَمَامَنَا وَالْعَدُوُّ وَرَاءَنَا؟! فَلَمَّا قَرَّبُوا.. أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ؛ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ، فَضْرِبْهُ، فَانْفَلَقَ، فَقَطَعَهُ مُوسَى وَبَنُو إِسْرَائِيلَ، فَلَحَقَهُمْ فِرْعَوْنُ وَكَانَ عَلَى حِصَانٍ أَدْهَمَ، وَكَانَ مَعَهُ ثَمَانُ مِائَةِ أَلْفٍ

(١) قرأ ابن ذكوان بتخفيف النون، والباقيون بتشديدها، وقد رُوي عن ابن ذكوان: (تَتَّبِعَان) ساكنة التاء مُشَدَّدة النون.

انظر «العنوان في القراءات السبع» (ص ١٠٥).

فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْفَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾

لِحَقِّهِمْ ﴿فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا﴾ - مَفْعُولُ لَهُ - ﴿حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْفَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ﴾
 أَي: بِأَنَّهُ، - وفي قِرَاءَةِ بِالْكَسْرِ اسْتِثْنَاءً - ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ
 الْمُسْلِمِينَ﴾

حاشية الصاوي

حصان على لون حصانه سوى سائر الألوان، وكان يقدمهم جبريل على فرس أنثى، وميكائيل يسوقهم حتى لا يبقى منهم أحد، فدنا جبريل بفرسه، فلمّا وجد الحصان ريح الأنثى.. لم يتمالك فرعون نفسه فنزل البحر، وتبعه جنوده حتى إذا اكتملوا جميعاً في البحر، وهمّ أولّهم بالخروج.. انطبّق عليهم^(١).

وحصان؛ بوزن: (كتاب)، وجمعه: حُصْن ك: كُتِبَ، كذا في «القاموس»^(٢). و(جاوزنا) من: المجاوزة، وهي: التخطفية والتعدية، والمعنى: جعلناهم مُجاوزين البحر؛ بأن جعلناه يَبْسًا، وحفظناهم حتى بلغوا الشَّط.

قوله: ﴿الْبَحْرَ﴾ (أي: بحر السويس).

قوله: (لحقهم) أي: مشى خلفهم.

قوله: ﴿بَغْيًا﴾ (أي: في الأقوال)، ﴿وَعَدُوًّا﴾ (أي: في الأفعال؛ ففرعون متعدّ على بني إسرائيل بالأقوال الكاذبة، والأفعال الجائرة).

قوله: (مفعول له) أي: لأجله، ويصح نصبهما على الحال؛ أي: باغين مُعتدين.

قوله: ﴿حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْفَرَقُ﴾ (غاية لإتباعه).

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(٣).

قوله: (استثناً) أي: واقعاً في جواب سؤال مقدّر، أو على إضمار القول، والتقدير: (قائلاً:

إنه... إلخ).

(١) انظر «تفسير الخازن» (٤٥٩/٢).

(٢) «القاموس المحيط» (١/١١٩٠)، مادة: (حصن).

(٣) قرأ الأخوان: حمزة والكسائي بكسر (إن)، وقرأ الباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٦/٢٦٤).

كَرَّرَهُ لِيُقْبَلَ مِنْهُ، فَلَمْ يُقْبَلْ، وَدَسَّ جِبْرِيلُ فِيهِ

حاشية الصاوي

قوله: (كرَّره؛ ليُقبل منه) أي: كرَّر الإقرار بالإيمان ثلاث مرات: قوله: ﴿ءَامَنْتُ﴾، وقوله: ﴿أَنَّهُ...إِلَٰخٌ﴾، وقوله: ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

قوله: (فلم يُقبل) أي: فمات على كفره، وهذا ما دلَّت عليه نصوص الكتاب والسنة، وما قيل من أنه مات مؤمناً.. فلا يُلْتَفَتُ له.

قوله: (ودسَّ جبريل) أي: بأمرٍ من الله، وهو لا يسأل عمَّا يفعل، وذلك نظير أمرنا بقتل الكفار، وبهذا تعلم جواب إشكال الفخر الرازي في هذا المقام^(١).

(١) ووجه الإشكال كما ذكره الإمام في «تفسيره» (٢٩٧/١٧): أن التكليف في تلك الحالة هل كان ثابتاً أم لا؟ فإن كان ثابتاً.. لا يجوز لجبريل أن يمنعه من التوبة، بل يجب عليه أن يُعينه على التوبة وعلى كل طاعة، وإن كان التكليف زائلاً عن فرعون في ذلك الوقت.. فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب إلى جبريل فائدة، وأيضاً: لو منعه من التوبة لكان قد رضي ببقائه على الكفر، والرضا بالكفر كفرٌ، وأيضاً: فكيف يليق بجلال الله أن يأمر جبريل بأن يمنعه من الإيمان؟

وقد أجاب العلامة الخازن في «تفسيره» (٤٦١/٢) عن هذه الاعتراضات، فقال: (والجواب عن هذا الاعتراض: أن الحديث قد ثبت عن النبي ﷺ، فلا اعتراض عليه لأحد، وأما قول الإمام: «إن التكليف هل كان ثابتاً في تلك الحالة أم لا؟ فإن كان ثابتاً لم يجز لجبريل أن يمنعه من التوبة» فإنَّ هذا القول لا يستقيم على أصل المثبتين للقدر، القائلين بخلق الأفعال لله، وأن الله يُضِلُّ من يشاء ويهدي من يشاء، وهذا قول أهل السنة المثبتين للقدر؛ فإنهم يقولون: إن الله يحول بين الكافر والإيمان، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾، وقال تعالى: ﴿وَنَقَلُبُ أَقْدَامَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَرُّ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، وهكذا فعل بفرعون منعه من الإيمان عند الموت جزاءً على تركه الإيمان أولاً، فدرس الطين في فم فرعون من جنس الطبع والختم على القلب، ومنعُ الإيمان وصون الكافر عنه جزاءً على كفره السابق، وهذا قول طائفة من المثبتين للقدر القائلين بخلق الأفعال لله. ومن المنكرين لخلق الأفعال من اعترف أيضاً: أن الله سبحانه وتعالى يفعل هذا عقوبةً لل عبد على كفره السابق، فيحسن منه أن يُضِلَّهُ ويطلع على قلبه ويمنعه من الإيمان. فأما قصة جبريل عليه السلام مع فرعون فإنها من هذا الباب؛ فإنَّ غاية ما يقال فيه: إن الله سبحانه وتعالى منع فرعون من الإيمان وحال بينه وبينه عقوبةً له على كفره السابق وردَّه للإيمان لما جاءه، وأما فعل جبريل به من درس الطين فيه.. فإنما فعل ذلك بأمر الله، لا من تلقاء نفسه.

وأما قول الإمام: «لم يجز لجبريل أن يمنعه من التوبة، بل يجب عليه أن يُعينه عليها وعلى كل طاعة» هذا إذا كان تكليف جبريل كتكليفنا يجب عليه ما يجب علينا، وأما إذا كان جبريل إنما يفعل ما أمره الله به، والله سبحانه وتعالى هو الذي منع فرعون من الإيمان وجبريل منفذ لأمر الله.. فكيف لا يجوز له منع مَنْ منعه الله من التوبة؟! وكيف =

مِنْ حَمَاءِ الْبَحْرِ مَخَافَةً أَنْ تَنَالَهُ الرَّحْمَةُ،

حاشية الصاوي

قوله: (من حمأة البحر) بسكون الميم وتحريكها، وهي: الطين الأسود.

قوله: (مخافة أن تناله الرحمة) أي: وليس من أهلها؛ لسابق علم الله بعدم إيمانه.

= يجب عليه إعانة من لم يُعنه الله؟ بل قد حكم عليه وأخبر عنه أنه لا يؤمن حتى يرى العذاب الأليم حين لا ينفعه الإيمان.

وقوله: «وإن كان التكليف زائلاً عن فرعون في ذلك الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب إلى جبريل فائدة»، فجوابه أن يقال: إن للناس في تعليل أفعال الله قولين: أحدهما: أن أفعاله لا تُعَلَّل، وعلى هذا التقدير: فلا يرد هذا السؤال أصلاً، وقد زال الإشكال، والقول الثاني: أن أفعاله تبارك وتعالى لها غاية بحسب المصالح لأجلها فعلها، وكذا أوامره ونواهيه لها غاية محمودة محبوبة لأجلها أمر بها ونهى عنها، وعلى هذا التقدير قد يقال: لما قال فرعون: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، وقد علم جبريل أنه ممن حَقَّتْ عليه كلمة العذاب، وأن إيمانه لا ينفعه.. دسَّ الطين في فيه؛ ليُحقق معاينته للموت، فلا تكون تلك الكلمة نافعة له، فإنه وإن كان قالها في وقت لا ينفعه فدسَّ الطين في فيه تحقيقاً لهذا المنع، والفائدة فيه: تعجيل ما قد قضي عليه، وسدُّ الباب عنه سداً محكماً؛ بحيث لا يبقى للرحمة فيه منفذ، ولا يبقى من عُمره زمن يتسع للإيمان؛ فإن موسى عليه السلام لما دعا ربّه بأن فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب الأليم، والإيمان عند رؤية العذاب غير نافع.. أجاب الله دعاءه، فلما قال فرعون تلك الكلمة عند معاينة الغرق.. استعجل جبريل فدسَّ الطين في فيه؛ ليأس من الحياة، ولا تنفعه تلك الكلمة، وتتحقق إجابة الدعوة التي وعد الله موسى بقوله: ﴿فَإِذَا أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾، فيكون سعي جبريل في تكميل ما سبق في حكم الله أنه يفعله، فيكون سعي جبريل في مرضاة الله سبحانه وتعالى منفذاً لما أمره به وقدره وقضاه على فرعون. وأما قوله: «لو منعه من التوبة لكان قد رضي ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر»، فجوابه: ما تقدّم من أن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وجبريل إنما يتصرف بأمر الله ولا يفعل إلا ما أمره الله به، وإذا كان جبريل قد فعل ما أمره الله به ونفّذه.. فإنما رضي بالأمر لا بالمأمور به، فأَيُّ كفر يكون هنا؟ وأيضاً: فإن الرضا بالكفر إنما يكون كفراً في حقنا؛ لأننا مأمورون بإزالته بحسب الإمكان، فإذا أقررنا الكافر على كفره ورضينا به.. كان كفراً في حقنا؛ لمخالفتنا ما أمرنا به، وأما من ليس مأموراً كأمرنا ولا مكلفاً كتكليفنا بل يفعل ما يأمره به ربّه.. فإنه إذا نفّذ ما أمره به لم يكن راضياً بالكفر، ولا يكون كفراً في حقه، وعلى هذا التقدير: فإن جبريل لما دسَّ الطين في فيه فرعون.. كان ساخطاً لكفره غير راض به، والله سبحانه وتعالى خالق أفعال العباد خيراً وشرّاً وهو غير راض بالكفر، فغاية أمر جبريل مع فرعون أن يكون منفذاً لقضاء الله وقدره في فرعون من الكفر وهو ساخط له غير راض به.

وقوله: «كيف يليق بجلال الله أن يأمر جبريل بأن يمنعه من الإيمان؟» فجوابه: أن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا يسأل عما يفعل).

ءَاَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ

وقال له :

﴿٩١﴾ ﴿ءَاَلْتَنَ﴾ تُوْمِنُ ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بِضَلَالِكَ وَإِضْلَالِكَ

عن الإيمان؟

﴿٩٢﴾ ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ : نُخْرِجُكَ مِنَ الْبَحْرِ

حاشية الصاوي

إن قلت: ما الحكمة في عدم قبوله مع كون الإيمان وقع منه ثلاث مرات؟

أجيب بأجوبة منها: أنه إنما آمن عند نزول العذاب، وهو حينئذ غير نافع، قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا﴾ [غافر: ٨٥].

ومنها: أن الإيمان بالله من غير إقرار للرسول بالرسالة غير نافع، وفرعون لم يقر برسالة موسى عليه السلام، فلم يصح إيمانه.

ومنها: أن قوله: (آمَنْتُ) ليس قاصداً به الإيمان حقيقة، بل قصد به النجاة من البحر على حكم عادته؛ إذا أصابته مصيبة.. رجع واستجار.

وحكي: أن جبريل عليه السلام أتى لفرعون بفتوى: ما قول الأمير في عبد نشأ في مال مولاه ونعمته، فكفر نعمته، وجحد حقه، وادّعى السيادة دونه، فكتب فرعون فيه: يقول أبو العباس الوليد بن مصعب: جزاء العبد الخارج عن سيده الكافر نعمته.. أن يغرق في البحر، فلما غرق.. رفع جبريل إليه خطّه^(١).

قوله: (وقال له) معطوف على قوله: (ودس)، وقدره؛ إشارة إلى أن قوله: ﴿ءَاَلْتَنَ﴾ ظرف لمحذوف، والجملة مقول لذلك القول المقدّر.

قوله: ﴿ءَاَلْتَنَ﴾ استفهام توبيخ وتقريع.

قوله: ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ الجملة حالية، والمعنى: آلاّن تتوبّ وقد ضيّعت الإيمان في وقته الذي يُقبل فيه؟! وهو غير وقت العذاب.

قوله: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ بالتشديد والتخفيف، قراءتان سبعيتان^(٢).

(١) انظر «السراج المنير» (٣٦/٢).

(٢) قرأ يعقوب بإسكان النون الثانية وتخفيف الجيم، والباقون بفتح النون الثانية وتشديد الجيم. انظر «الدر المصون»

يَبْدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي

﴿يَبْدَنِكَ﴾: جَسَدِكَ الَّذِي لَا رُوحَ فِيهِ؛ ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ﴾: بَعْدَكَ ﴿آيَةً﴾: عِبْرَةً، فَيَعْرِفُوا عُبودِيَّتَكَ وَلَا يُقَدِّمُوا عَلَى مِثْلِ فِعْلِكَ، وعن ابن عَبَّاسٍ أَنَّ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ شَكُّوا فِي مَوْتِهِ فَأَخْرَجَ لَهُمْ لِيَرَوْهُ، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ أَي: أَهْلَ مَكَّةَ ﴿عَنْ آيَاتِنَا لَغَفِلُونَ﴾ لَا يَعْتَبِرُونَ بِهَا.

﴿٩٣﴾ ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾: أَنْزَلْنَا ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ﴾: مَنْزِلَ كَرَامَةٍ وَهُوَ الشَّامُ وَمِصْرُ، ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ بِأَنَّ آمَنَ بَعْضٌ وَكَفَرَ بَعْضٌ ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي

حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: ﴿يَبْدَنِكَ﴾ حال من الضمير في ﴿نُجِّيكَ﴾، والمعنى: فاليوم نخرجك من البحر ملتبساً ببدنك فقط، لا مع روحك كما هو مطلوبك، وقيل: المراد بالبدن: الدرع؛ لأنَّ له درعاً كان يعرف بها، فلما ألقى على وجه الأرض وعليه درعه.. عرفوه.

قوله: (فيعرفوا عبوديتك) أي: ويطلبوا دعوى ألوهيتك؛ لأنَّ الإله لا يموت ولا يتغيَّر.

قوله: (شكُّوا في موته) إنما وقع منهم الشُّكُّ؛ لشِدَّةِ ما حصل في قلوبهم من الرعب منه، فأمر الله البحر، فألقاه على الساحل أحمر قصيراً، كأنه ثور، فرآه بنو إسرائيل فعرفوه، فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتاً أبداً.

قوله: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ هذا امتنانٌ من الله تعالى على بني إسرائيل بنعم عظيمة.

قوله: ﴿مَبُوءًا صِدْقٍ﴾ أي: أنزلناهم منزلاً حميداً صالحاً، وإنما وصف المكان بالصدق؛ لأنَّ عادة العرب إذا مدحت شيئاً.. أضافته إلى الصدق؛ يقولون: (هذا قدَّمُ صدق)، و(رجل صدق).

قوله: (وهو الشام ومصر) أي: وقيل: مصر فقط؛ لأنها التي كانت تحت أيدي فرعون وقومه.

قوله: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ أي: مَنْ فعلنا بهم هذا الفعل من بني إسرائيل؛ وذلك أنهم كانوا قبل مبعث النبي مؤمنين به غير مختلفين في نبوته؛ لما يجدونه مكتوباً عندهم، فلما بُعث.. اختلفوا فيه؛ فأمن به بعضهم كعبد الله بن سلام وأضرابه، وكفر بعض.

قوله: ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ أي: القرآن؛ وذلك أن اليهود كانوا يخبرون بمبعثه وصفته، ويفتخرون بذلك على المشركين، فلما بُعث.. اختلفوا؛ فمنهم من آمن، ومنهم من كفر.

يَنۡهَمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

يَنۡهَمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ بِإِنجَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَذِيبِ الْكَافِرِينَ .
 ﴿٩٤﴾ ﴿فَإِن كُنْتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ مِنَ الْقَصَصِ فَرَضًا ، ﴿فَسْأَلِ﴾ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾ : التَّوْرَةَ ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾ فَإِنَّهُ ثَابِتٌ عِنْدَهُمْ يُخْبِرُوكَ بِصِدْقِهِ ، قَالَ ﷺ : « لَا أَشْكُ وَلَا أَسْأَلُ » ، ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ : الشَّاكِّينَ فِيهِ .

﴿٩٥﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ .
 ﴿٩٦﴾ - ﴿٩٧﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ﴾ : وَجَبَتْ ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بِالْعَذَابِ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فَلَا يَنْفَعُهُمْ حِينَئِذٍ .

حاشية الصاوي

قوله : (فَرَضًا) جوابٌ عَمَّا يُقَالُ : إِنَّ الشَّكَّ مُحَالٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، فَأُجَابَ : بأنه على فرض المحال ، وأُجِيبَ أيضاً : بأن الخطاب له والمرادُ غيره ، وهذا هو الأتمُّ في تلك الآيات .

قوله : ﴿فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ﴾ ... إلخ أي : فإن ذلك محققٌ عندهم ، ثابتٌ في كتبهم .

قوله : (يُخْبِرُوكَ) مجزومٌ في جواب الأمر ، وهو (اسأل) .

قوله : ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ﴾ أي : اليقين من الخبر بأنك رسول الله حقاً ، وهذا كلامٌ منقطعٌ عَمَّا قَبْلَهُ ، وفيه معنى القسم ، تقديره : والله لقد جاءك الحق ... إلخ .

قوله : ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أي : دُم على ما أنت عليه من عدم الشك والافتراء .

قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي : ثبت حكمه وقضاؤه بموتهم على الكفر ، فلا يتأتى منهم الإيمان أصلاً ؛ إذ لا مُعَقَّبَ لحكمه سبحانه وتعالى .

قوله : ﴿حَتَّى يَرَوُا﴾ غاية في النفي .

قوله : (فلا ينفَعُهُم حينئذٍ) أي : كفروا وأضرابوا .

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا

﴿٩٨﴾ ﴿فَلَوْلَا﴾: فهَلَا ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ أُرِيدَ أَهْلُهَا ﴿ءَامَنَتْ﴾ قَبْلَ نُزُولِ الْعَذَابِ بِهَا، ﴿فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا﴾: لَكِنْ ﴿قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا﴾ عِنْدَ رُؤْيَا أَمَارَةِ الْعَذَابِ وَلَمْ يُؤَخَّرُوا إِلَى حُلُولِهِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿فَلَوْلَا﴾﴾ أشار المفسر بقوله: (هَلَا) إلى أنها تحضيضية، وهو للتوبيخ مع النفي، و(كَانَ) فعل ماض تام، و﴿قَرْيَةٌ﴾ فاعلها، و﴿ءَامَنَتْ﴾ صفة ﴿قَرْيَةٍ﴾، وقوله: ﴿فَنَفَعَهَا﴾ معطوف على ﴿ءَامَنَتْ﴾ عطف مسبب على سبب، والمعنى: لم تكن قرية من تلك القرى التي تقدمت قوم يونس كقوم نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى آمنت فيتسبب على إيمانها كونه نافعاً لها، والحاصل: أن الآية تضمنت تحضيضاً وتوبيخاً ونفياً؛ فالنفي راجع لمن مضى، والتوبيخ والتحضيض راجعان لمن يسمع.

قوله: (أُرِيدَ أَهْلُهَا) أشار بذلك إلى أَنَّ في الكلمة مجازاً مرسلًا من باب: تسمية الحال باسم المحل، لا مجازاً بالحذف.

قوله: ﴿﴿إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ﴾﴾ أشار المفسر إلى أن الاستثناء منقطع؛ حيث عبّر بـ(لكن)، وضابط الاستدراك موجود، وهو رَفَعَ ما يتوهم ثبوته أو نفيه، فأتى به هنا؛ لدفع توهم أنهم كغيرهم لم يؤمنوا حتى نزل بهم العذاب، فرفع ذلك التوهم بأن قوم يونس آمنوا قبل نزول العذاب، بل عند حضور أماراته؛ ولذلك نفعهم إيمانهم، وأما غيرهم.. فلم يؤمن قبل نزوله أعم من أن يكون آمن وقت نزوله، أو لم يؤمن أصلاً.

قوله: (ولم يؤخروا إلى حلوله) أي: بل عجلوا الإيمان عند ظهور أماراته.

وحاصل قصتهم على ما ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم قالوا: إن قوم يونس كانوا بقرية تسمى نينوى من أرض الموصل، وكانوا أهل كفرٍ وشركٍ، فأرسل الله عزَّ وجلَّ إليهم يونس عليه السلام يدعوهم إلى الإيمان بالله، وترك عبادة الأصنام، فدعاهم، فأبوا عليه، فقليل له: أَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْعَذَابَ يَصْبِحُهم إلى ثلاث، فأخبرهم بذلك، فقالوا: إنا لم نُجَرِّبْ عليه كذباً قطُّ، فانظروا؛ فإن بات فيكم.. فليس بشيء، وإن لم يَبْتَ.. فاعلموا أَنَّ الْعَذَابَ مُصْبِحُكم، فلمَّا كان جوف الليل.. خرج يونس من بين أظهرهم، فلمَّا أصبحوا.. تغشاهم العذاب، فكان فوق رؤوسهم.

حاشية الصاوي

قال ابن عباس: إِنَّ الْعَذَابَ كَانَ أَهْبَطَ عَلَى قَوْمِ يُونُسَ حَتَّى لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ إِلَّا قَدْرُ ثَلَاثِي مِيلٍ، فَلَمَّا دَعَا.. كَشَفَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَقَالَ قَتَادَةُ: قَدْرُ مِيلٍ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: غَشِيَ قَوْمَ يُونُسَ الْعَذَابُ كَمَا يَغْشَى الثُّوبَ الْغُبْرُ، وَقَالَ وَهْبٌ: غَامَتِ السَّمَاءُ غَيْمًا أَسْوَدَ يَدْخُنُ دَخَانًا شَدِيدًا، فَهَبَطَ حَتَّى غَشِيَ مَدِينَتَهُمْ، وَاسْوَدَّتْ أَسْطَحَتَهُمْ، فَلَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ.. أَيْقَنُوا بِالْهَلَاكِ، فَطَلَبُوا نَبِيَّهُمْ يُونُسَ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ التَّوْبَةَ، فَخَرَجُوا إِلَى الصَّحَرَاءِ بِأَنْفُسِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَصَبْيَانِهِمْ وَدَوَابَّهُمْ، وَلَبَسُوا الْمَسْوُوحَ، وَأَظْهَرُوا الْإِيمَانَ وَالتَّوْبَةَ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ كُلِّ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا مِنَ النَّاسِ وَالِدَوَابِّ، فَحَنَّنَ الْبَعْضُ لِلْبَعْضِ، فَحَنَّتِ الْأَوْلَادُ إِلَى الْأُمَّهَاتِ، وَالْأُمَّهَاتُ إِلَى الْأَوْلَادِ، وَعَلَّتِ الْأَصْوَاتُ، وَلَجَّوْا جَمِيعًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ، وَقَالُوا: آمَنَّا بِمَا جَاءَ بِهِ يُونُسَ، وَتَابُوا إِلَى اللَّهِ، وَأَخْلَصُوا النِّيَّةَ، فَرَحِمَهُمُ رَبُّهُمْ، وَاسْتَجَابَ دَعَاءَهُمْ، وَكَشَفَ مَا نَزَلَ بِهِمْ بَعْدَ مَا أَظْلَمَهُمْ، وَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَكَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ.

قال ابن مسعود: بَلَغَ مِنْ تَوْبَتِهِمْ أَنَّهُمْ رَدُّوا الْمِظَالِمَ فِيمَا بَيْنَهُمْ؛ حَتَّى إِنْ كَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي إِلَى الْحَجَرِ وَقَدْ وَضَعَ عَلَيْهِ أَسَاسَ بَنَائِهِ، فَيَقْلَعُهُ فِيرُدُّهُ^(١).

وروي الطبراني بسنده قال: (لَمَّا غَشِيَ قَوْمَ يُونُسَ الْعَذَابَ.. مَشَوْا إِلَى شَيْخٍ مِنْ بَقِيَّةِ عُلَمَائِهِمْ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِنَا الْعَذَابَ فَمَا تَرَى؟ فَقَالَ: قُولُوا: «يَا حَيُّ حِينَ لَا حَيٍّ، وَيَا حَيُّ يَحْيِي الْمَوْتَى، وَيَا حَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»، فَقَالُوا، فَكَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَمُتَّعُوا إِلَى حِينٍ)^(٢).

وقال الفضيل بن عياض: إِنَّهُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ؛ إِنْ ذُنُوبُنَا قَدْ عَظُمَتْ وَجَلَّتْ، وَأَنْتَ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ، فَافْعَلْ بِنَا مَا أَنْتَ أَهْلُهُ، وَلَا تَفْعَلْ بِنَا مَا نَحْنُ أَهْلُهُ؛ فَلَمَّا خَرَجَ يُونُسَ.. جَعَلَ يَنْتَظِرُ الْعَذَابَ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ، قَالَ: وَكَيْفَ أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ فَيَجِدُونِي كَذَابًا، وَكَانَ كُلُّ مَنْ كَذَّبَ وَلَا بَيِّنَةَ لَهُ.. قُتِلَ، فَانصَرَفَ عَنْهُمْ مَغَاضِبًا، فَنَزَلَ فِي سَفِينَةٍ، فَلَمَّا بَلَغَتْ وَسْطَ الْبَحْرِ.. وَقَفَتْ وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ السَّفِينَةَ لَا تَقِفُ إِلَّا إِذَا كَانَ فِيهَا عَبْدٌ آبَقٌ، فَضَرَبُوا الْقِرْعَةَ، فَخَرَجَتْ عَلَى يُونُسَ، فَأَلْقَوْهُ فِي الْبَحْرِ، فَالْتَقَمَهُ الْحَوْتَ، فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ نِدَاءَهُ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ بَطْنِ الْحَوْتَ ضَعِيفًا، فَأَنْبَتَ اللَّهُ عَلَيْهِ شَجَرَةَ الْقَرَعِ،

(١) نقل هذه الأقوال عنهم العلامة الخازن في «تفسيره» (٢/٤٦٥).

(٢) انظر «تفسير الطبري» (١٥/٢١٠)، و«جليه الأولياء» (٦/٥٨).

كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾

﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ انقضاء آجالهم.
 ﴿٩٩﴾ ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾ بما لم يشأه الله مِنْهُمْ ﴿حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾؟ لا.
 ﴿١٠٠﴾ ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بإرادته، ﴿وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ﴾: العذاب ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: يتدبرون آيات الله.

حاشية الصاوي

ورجع إلى قومه وكانوا يزيدون عن مئة ألف، ففرحوا به وأحبوه وآمنوا به؛ فهنيئاً لمن رجع إلى مولاه، وندم على ما جناه؛ فإن الله يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات.
 قوله: (إلى انقضاء آجالهم) تفسير لـ(الحين)، ودفع بذلك ما قيل: إن قوم يونس من المنظرين، لا يموتون إلا عند النفخة الأولى، فأجاب المفسر: بأن معنى (الحين): انقضاء آجالهم.
 قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ مفعول ﴿شَاءَ﴾ محذوف؛ أي: إيمان جميع الناس.
 قوله: ﴿كُلُّهُمْ﴾ (توكيد لـ﴿مَنْ﴾، و﴿جَمِيعًا﴾ حال منها، والمعنى: لو أراد الله إيمان مَنْ في الأرض.. لآمنوا كلهم حال كونهم مجتمعين.
 قوله: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾ الهمزة داخله على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أتحزن على عدم إيمانهم وتأسف عليه فأنت تكره... إلخ.
 قوله: (لا) أي: لست بمكره للناس على الإيمان، والمعنى: ليس عليك إلا البلاغ، لا خلق الإيمان في قلوبهم، وإكراههم عليه؛ فإن الأمر لله، لا خالق سواه.
 قوله: ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ﴾... إلخ بيان وتعليل لما قبله، والمعنى: ما ثبت لنفس من الأنفس أن تؤمن في حال من الأحوال إلا في حال إرادة الله الإيمان لها.
 قوله: ﴿وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ﴾ معطوف على محذوف، والتقدير: فيريد الله الإيمان للبعض ويجعل الرجس... إلخ.

قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آيَاتِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ
.....

﴿١٠١﴾ ﴿قُلْ﴾ لِكُفَّارٍ مَكَّةَ: ﴿أَنْظَرُوا مَاذَا﴾ أي: الذي ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الآياتِ الدَّالَّةِ على وحدانيَّةِ الله تعالى، ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ﴾: جمع (نَذِير) أي: الرُّسُلُ ﴿عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في علم الله، أي: ما تَنْفَعُهُمْ.

﴿١٠٢﴾ ﴿فَهَلْ﴾: فما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ بِتَكْذِيبِكَ ﴿إِلَّا مِثْلَ آيَاتِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم، أي: مِثْلَ وَقَائِعِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ، ﴿قُلْ فَانظُرُوا﴾ ذَلِكَ ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾.

﴿١٠٣﴾ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ - الْمُضَارِعُ لِحِكَايَةِ الْحَالِ الْمَاضِيَةِ - ﴿رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مِنَ الْعَذَابِ، ﴿كَذَلِكَ﴾ الْإِنْجَاءُ
.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا﴾ بضم اللام وكسرهما، قراءتان سبعيتان^(١)؛ فالضَّمُّ على نقل ضمة الهمزة إلى اللام، والكسر على أصل التخلص، والمعنى: تفكروا وتأملوا واتعظوا.

قوله: (من الآيات) بيان لـ(ما).

قوله: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ﴾ أي: المذكورة في قوله: ﴿مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ ففي الكلام إظهارٌ في مقام الإضمار، والمعنى: لا تنفع الآيات والنذر قوماً لا يؤمنون.

قوله: (أي: مثل وقائعهم من العذاب) أي: وهو القتل بالسيف.

قوله: ﴿فَانظُرُوا﴾ (ذلك) أي: مثل وقائع الأمم السابقة.

قوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ بالتشديد باتفاق العشرة، وثبوت الياء لفظاً وخطاً.

قوله: ﴿رُسُلَنَا﴾ أي: مَنْ سَبَقَ عَلَى مُحَمَّدٍ.

قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ صفة لمصدر محذوف؛ أي: إنجاء مثل ذلك الإنجاء والعامل فيه ﴿شَجَّ الْمُؤْمِنِينَ﴾، و﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾ جملةٌ معترضةٌ بين العامل والمعمول.

(١) قرأ عاصم وحزمة في الوصل بكسر اللام والباقون بضمها. انظر «السراج المنير» (٢/٤٠).

حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقْدِرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا

﴿حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ حِينَ تَعَذِيبِ الْمُشْرِكِينَ .
 ﴿١٠٤﴾ ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ أَنَّهُ حَقٌّ ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره وهو الأصنام لِشَكِّكُمْ فِيهِ، ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ﴾ يَقْبِضُ أَرْوَاحَكُمْ، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ﴾ أي: بِأَنْ ﴿أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .
 ﴿١٠٥﴾ ﴿وَقِيلَ لِي﴾: ﴿أَنْ أَقْدِرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالتخفيف والتشديد، وتحذف منه الياء لفظاً وخطاً^(١).

قوله: (حين تعذيب المشركين) أي: في الدنيا والآخرة.

قوله: (أي: أهل مكة) أي: الكفار المعارضون.

قوله: ﴿مِنْ دِينِي﴾ أي: الذي جئت به عن ربي.

قوله: (أَنَّهُ حَقٌّ) بدل من ﴿دِينِي﴾، والمعنى: إن كنتم في شك من حقيّة ديني وصحته..

فلا أعبد... إلخ.

قوله: (لشككم فيه) أي: في ديني الحق؛ أي: فالحامل لكم على عبادة غير الله شككم في حقيّة ديني، وأما أنا.. فليس عندي شك في حقيّته؛ فلذلك لا أعبد غير الله، فكفرهم بالشك؛ لأنه لا يتأتى منهم إنكار كون الله حقاً ودين الإسلام حقاً على سبيل الجزم بذلك؛ لإقيام الأدلة العقلية القطعية على ذلك.

قوله: ﴿الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ﴾ خصّ هذا الوصف بالذكر؛ تهديداً وتخويفاً لكم.

قوله: ﴿أَنْ أَكُونَ﴾ (أَنْ): مصدرية مجرورة بالباء المقدّرة كما قال المفسّر؛ أي بكوني من المؤمنين المصدّقين بما جاء من عند الله؛ لأنه مرسلٌ لنفسه، فهو واجبٌ عليه الإيمان بما أرسل به.

قوله: ﴿وَأَنْ أَقْدِرَ﴾ قدّر المفسّر القول؛ إشارةً إلى أن (أَنْ) وما دخلت عليه في محل نصب

مقول لذلك القول.

(١) قرأ حفص والكسائي بسكون النون الثانية والباقون بفتحها. انظر «السراج المنير» (٢/٤٠).

وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِذَا يُرِيدُ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ

مائلاً إليه، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿١٠٦﴾ ﴿وَلَا تَدْعُ﴾: تَعْبُدُ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ﴾: إِنْ عَبَدْتَهُ، ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾: إِنْ لَمْ تَعْبُدْهُ، ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ﴾: ذَلِكَ قَرَضاً ﴿فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿١٠٧﴾ ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ﴾: يُصِيبُكَ ﴿اللَّهُ بِضُرٍّ﴾: كَفَقْرٍ وَمَرَضٍ ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾: رَافِعٍ ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِذَا يُرِيدُ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ﴾: دَافِعٍ ﴿لِفَضْلِهِ﴾: الَّذِي أَرَادَكَ بِهِ، ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾: أَي: بِالْخَيْرِ ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ

حاشية الصاوي

قوله: (مائلاً إليه) أي: مخلصاً له العمل ظاهراً وباطناً، فعلى المكلف أن يتخلق بخلق رسول الله؛ بألا يميل لغير الله ظاهراً أو باطناً، بل يكون كله معه؛ فلا يشرك معه غيره أصلاً؛ لا في الظاهر ولا في الباطن، فكما أن الخالق لا شريك له فيما خلقه.. كذلك ينبغي للمخلوق ألا يشرك في عبادته غيره.

قوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره.

قوله: (قرضاً) جوابٌ عما يقال: إن عبادة النبي غير الله مستحيلة؛ فكيف يخاطب بذلك؟! أجاب المفسر: بأن ذلك على سبيل الفرض والتقدير، وأجيب أيضاً: بأن الخطاب له، والمراد غيره.

قوله: ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا دافع ولا مانع له إلا الله حقيقة، فنسبة النفع والضرر لغير الله.. باعتبار أن الله أجرى على أيديهم ذلك، لا باعتبار أنهم الخالقون؛ فإن نسبة ذلك لهم من هذه الحيثية كفر.

قوله: ﴿وَإِذَا يُرِيدُ بِخَيْرٍ﴾: عَبَّرَ فِي جَانِبِ الْخَيْرِ بِالْإِرَادَةِ دُونَ الْمَسِّ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْخَيْرَ لَا يَتَوَقَّفُ إِيَّانَهُ عَلَى سَبَبٍ وَتَهَيُّؤٍ مِنَ الْعَبْدِ، بِخِلَافِ الضَّرِّ فَلَا بَدَّ مِنْ تَقَدُّمِ سَبَبِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

قوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ أي: والستار للذنوب الماحي لها.

الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ. وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾.

﴿١٠٨﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ ﴿١٠٧﴾ أي: أهل مَكَّةَ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾. لأنَّ ثواب اهْتِدَائِهِ لَهُ، ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾. لأنَّ وِبَالَ ضَلَالِهِ عَلَيْهَا، ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾. فَأَجْبِرْكُمْ عَلَى الْهُدَى.

﴿١٠٩﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴿١٠٨﴾ مِنْ رَبِّكَ ﴿وَأَصْبِرْ﴾ عَلَى الدَّعْوَةِ وَأَذَاهُمْ، ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ فِيهِمْ بِأَمْرِهِ، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾: أَعْدِلْهُمْ، وَقَدْ صَبَرَ حَتَّىٰ حُكِمَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ
 حاشية الصاوي

قوله: ﴿الرَّحِيمُ﴾ (أي: المنعم المحسن؛ فالغفور: المنجي من النار بسبب مَحْوِ الذُّنُوبِ، والرحيم: المدخل للجنة بسبب الإنعام والإحسان).

قوله: ﴿الْحَقُّ﴾ (أي: القرآن وَمَنْ جَاءَ بِهِ، وهو النبي ﷺ).

قوله: (لأنَّ ثواب اهْتِدَائِهِ لَهُ) أي: فلا يصل لله مَمَّنْ كَفَرَ ضُرًّا، ولا مَمَّنْ آمَنَ نَفْعًا، تنزَّه سبحانه وتعالى عن أن يتكَمَّلَ بمخلوق.

قوله: (لأنَّ وِبَالَ ضَلَالِهِ عَلَيْهَا) أي: عَذَابُ ضَلَالِهِ عَلَى نَفْسِهِ، فلا يشاركه أحدٌ؛ لا في هداية نفسه، ولا في ضلاله، بل كُلُّ امرئ بما كَسَبَ رَهينٌ.

قوله: ﴿بِوَكِيلٍ﴾ (أي: بحفيظ موكل إليَّ أَمْرُكُمْ، وإنما أنا بشيرٌ ونذيرٌ).

قوله: (فأجبركم على الهدى) أي: أكرهكم عليه.

قوله: ﴿مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ (أي: من القرآن).

قوله: (على الدعوة) أي: دعائك إياهم للإيمان.

قوله: (وأذاهم) أي: لك، فكان رسول الله يَسْمَعُ سَبَّهُ بِأُذُنِهِ ولا يتكلم.

قوله: (أعدلُّهم) أي: فلا يخطئ في حُكْمِهِ أَصْلًا، وأما غيره.. فتارة يخطئ في حُكْمِهِ، وتارة يعدل،

فأفعاله سبحانه وتعالى دائرة بين الفضل والعدل؛ فإثابة المؤمن بالفضل، وتعذيب العاصي بالعدل.

بِالْقِتَالِ وَأَهْلِ الْكِتَابِ بِالْجِزْيَةِ.

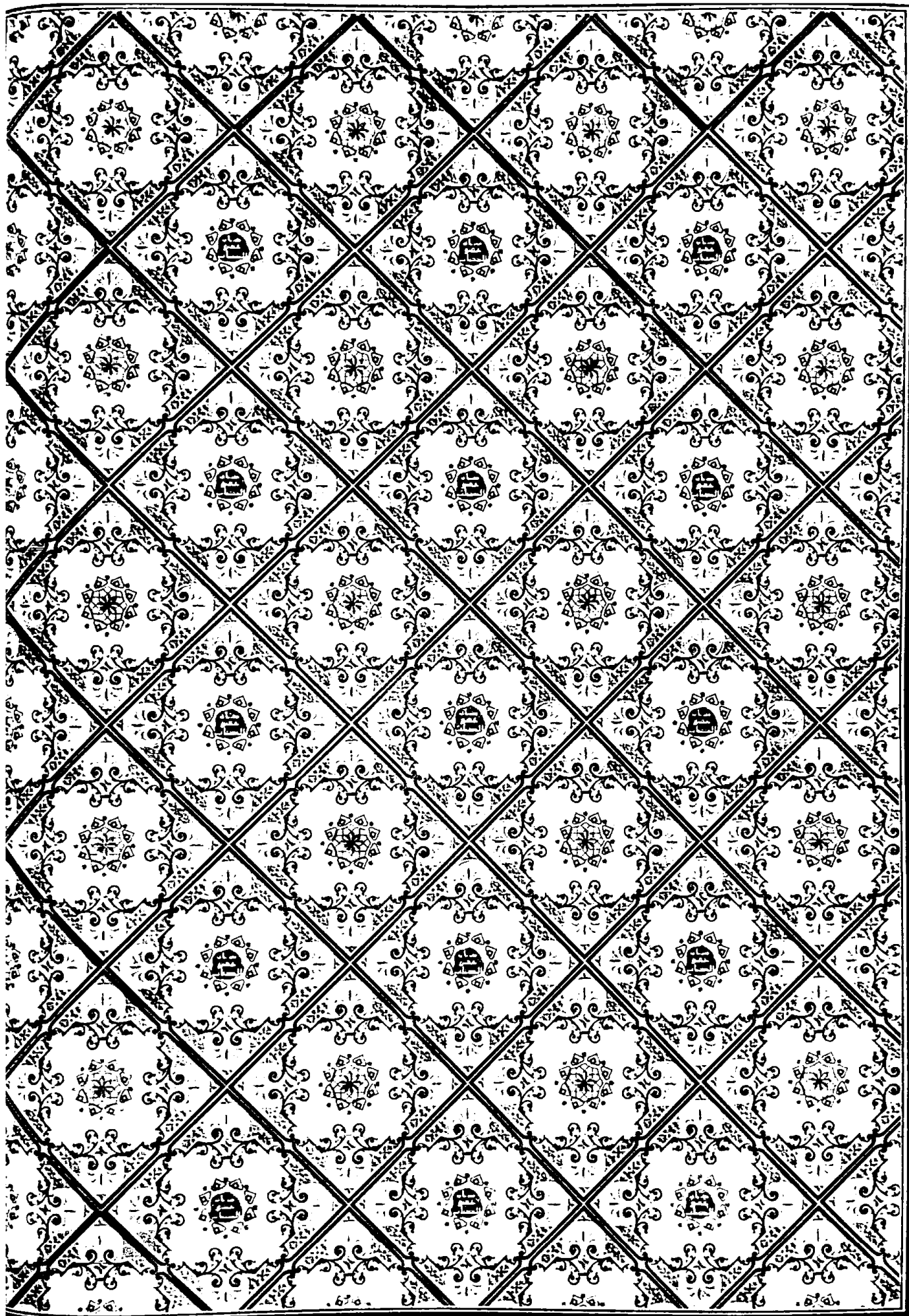


حاشية الصاوي

قوله: (بالقتال) أي: الجهاد، وأشار المفسر بذلك إلى قول ابن عباس: (إن هذه الآية منسوخة بآية القتال)^(١)، والله أعلم.



(١) انظر «زاد المسير» (٢/٣٥٤).



﴿الرَّ كُتِبَ﴾



مَكِّيَّةٌ إِلَّا ﴿وَأَقْرِمِ الصَّلَاةَ...﴾ الْآيَةُ، وَإِلَّا ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ...﴾ الْآيَةُ، وَ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ...﴾ الْآيَةُ. مِائَةٌ وَثِنْتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ﴾ اللَّهُ أَعْلَمَ بِمُرَادِهِ بِذَلِكَ، هَذَا ﴿كِتَبٌ﴾

حاشية الصاوي

سُورَةُ هُودٍ

بالصرف وتركه؛ فَإِنْ لُوْحِظَ أَنَّهُ اسْمٌ لِلسُّورَةِ.. منع الصرف، وَإِنْ لُوْحِظَ أَنَّ الْمُرَادَ: السُّورَةُ الْمَذْكُورَ فِيهَا هُوْدٌ.. صرف، ومثل ذلك يقال في (سورة نوح)؛ لأن هذه الأسماء مصروفة. (سورة): مبتدأ أخبر عنه بخبرين: قوله: (مكية)، وقوله: (مئة... إلخ).

قوله: (إِلَّا ﴿وَأَقْرِمِ الصَّلَاةَ﴾) التلاوة: ﴿وَأَقْرِمِ﴾ بالواو؛ فالصواب: أَنْ يَقُولَ: (إِلَّا ﴿وَأَقْرِمِ الصَّلَاةَ...﴾ إلخ)، وهذا قول ابن عباس، وقوله: (أَوْ: ﴿إِلَّا فَلَعَلَّكَ...﴾ إلخ) هو قول مقاتل^(١)؛ فالحاصل: أَنَّ الْمَدْنِيَّ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ آيَةٌ وَاحِدَةٌ وَهِيَ: ﴿وَأَقْرِمِ الصَّلَاةَ...﴾ الْآيَةُ، وَعِنْدَ مُقَاتِلٍ آيَتَانِ: قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ...﴾ الْآيَةُ، وقوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ...﴾ الْآيَةُ.

قوله: (اللَّهُ أَعْلَمَ بِمُرَادِهِ بِذَلِكَ) تقدّم: أَنَّ هَذَا هُوَ الْأَسْلَمُ فِي تَفْسِيرِ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ.

قوله: (﴿كِتَبٌ﴾) خبرٌ لمَحذُوفٍ قَدَّرَهُ الْمُفَسِّرُ بِقَوْلِهِ: (هَذَا)، يدل عليه قوله في آية أخرى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾، واسم الإشارة يصحُّ عودُهُ عَلَى مَا ذَكَرَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ فَقَطْ، أَوْ عَلَى جَمِيعِ الْقُرْآنِ، وَتَقَدَّمَ ذَلِكَ.

أَحْكَمْتَ ءَايَتُهُ ثُمَّ فَضَّلْتَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ
وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ

أَحْكَمْتَ ءَايَتُهُ ﴿١﴾ بِعَجِيبِ النَّظْمِ وَبَدِيعِ الْمَعَانِي، ﴿ثُمَّ فَضَّلْتَ﴾: بُيِّنْتَ بِالْأَحْكَامِ وَالْقَصَصِ
وَالْمَوَاعِظِ، ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ أَي: اللَّهُ.

﴿٢﴾ ﴿أَنْ﴾ أَي: بِأَنْ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ ﴿بِالْعَذَابِ﴾ إِنْ كَفَرْتُمْ،
﴿وَبَشِيرٌ﴾ بِالثَّوَابِ إِنْ آمَنْتُمْ.

﴿٣﴾ ﴿وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ مِنَ الشَّرِكِ، ﴿ثُمَّ تُوبُوا﴾: ارْجِعُوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بِالطَّاعَةِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَحْكَمْتَ﴾ (صفة لـ ﴿كَتَبَ﴾؛ إما من الإحكام؛ أي: الإتقان، ففعله متعدّد، والمعنى:
أَتَقَنَتْ آيَاتُهُ لَفْظاً وَمَعْنَى، فلا يحيط بمعنى آيات القرآن غيره تعالى، ولم يوجد تركيبٌ بديع الصنع
عديم النظر نظير القرآن؛ أو الهمزة للنقل من: (حُكْم) بضم الكاف بمعنى: جعلت حكيمة.

قوله: ﴿ثُمَّ فَضَّلْتَ﴾ (يَحْتَمِلُ أَنْ) (ثم) لمجرد الإخبار، والمعنى: أَخْبَرْنَا اللَّهَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ مُحْكَمٌ حَسَنٌ
الإحكام، مَفْضَلٌ أَحْسَنَ التَّفْصِيلِ؛ كما تقول: فلان كريم الأصل ثم كريم الفعل، ويحتمل أنها للترتيب
الزمني بحسب النزول؛ لأنها أَحْكَمَتْ أَوَّلًا حَيْثُ نَزَلَتْ جُمْلَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ فَضَّلَتْ ثَانِيًا بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ.

قوله: ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ (صفة ثانية لـ ﴿كَتَبَ﴾)، وفيه طباق حسن؛ لأن (حكيم) يناسب
(أَحْكَمْتَ)، و(خبير) يناسب (فَضَّلْتَ)، ويصح أن يكون من باب التنازع؛ أَعْمَلَ الْأَوَّلَ
وهو ﴿أَحْكَمْتَ﴾، وَأَضْمَرَ فِي الثَّانِي وَحَذَفَ، وَالْأَحْسَنَ: الْأَوَّلَ.

قوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ (وَالْأَحْسَنَ: أَنَّ) (أَنْ) تفسيرية؛ لوجود ضابطها، وهو: تقدم جملة فيها معنى
القول دون حُرُوفِهِ، وهي قوله: ﴿ثُمَّ فَضَّلْتَ﴾.

قوله: ﴿مِّنْهُ﴾ (يَصْحَحُ عَوْدُ الضَّمِيرِ عَلَى (اللَّهِ)، أَوْ عَلَى (الْكِتَابِ)).

قوله: (إِنْ كَفَرْتُمْ) أَي: دُمْتُمْ عَلَى الْكُفْرِ.

قوله: ﴿وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا﴾ عطف على قوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾، والسين والتاء للطلب، والمعنى:
اسْأَلُوهُ الْغَفْرَانَ لِذُنُوبِكُمْ فِيمَا مَضَى، وقوله: ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ (أَي: فِي الْمُسْتَقْبَلِ؛ لِأَنَّ شَرْطَ التَّوْبَةِ:
النَّدَمُ عَلَى مَا فَاتَ، وَالْإِقْلَاعُ فِي الْحَالِ، وَالْعَزْمُ عَلَى عَدَمِ الْعَوْدِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ؛ فَلَا يَقَالُ:
إِنْ الِاسْتِغْفَارُ هُوَ التَّوْبَةُ، بَلْ بَيْنَهُمَا التَّغَايُرُ.

يُمْنِعُكُمْ مِّنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ. وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٢﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣﴾

﴿يُمْنِعُكُمْ﴾ في الدنيا ﴿مِّنَّا حَسَنًا﴾ بِطَيْبِ عَيْشٍ وَسَعَةِ رِزْقٍ، ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو المَوْتُ، ﴿وَيُؤْتِ﴾ في الآخِرَةِ ﴿كُلَّ ذِي فَضْلٍ﴾ في العمل ﴿فَضْلَهُ﴾ جَزَاءَهُ، ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ - فِيهِ حَذَفٌ إِحْدَى الثَّانَيْنِ - أَي: تُعْرَضُوا ﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هو يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

﴿٤﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَمِنْهُ الثَّوَابُ وَالْعَذَابُ.

﴿٥﴾ وَنَزَلَ كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فَيَمَنُ كَانَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَتَخَلَّى أَوْ يُجَامِعَ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يُمْنِعُكُمْ﴾ (جواب الأمر).

قوله: (بطيب عيش) أي: في أمن وراحة ورضا؛ فمن تاب من ذنوبه، وأخلص عبادة ربه.. عاش في أمن وراحة ورضا، وإن ضَيِّقَتْ عليه الدنيا.. فهي رفع درجات له؛ لوجود رضا الله عليه، ومن لم يتب وأصرَّ على المعاصي والكفر.. عاش في خوف وتعبٍ وسخط وإن وسَّعت عليه ملاذُّ الدنيا؛ إذ لا خيرَ في خيرٍ بعده النار، وحينئذ: فلا ينافي هذا كون: «الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر»^(١).

قوله: (فيه حذف إحدى الثانين) أي: والأصل: (تَوَلَّوْا).

قوله: (أي: تعرضوا) أي: عن الأوامر والنواهي، وتذوموا على الكفر، وجواب الشرط محذوف، والتقدير: فلا تلوموا إلا أنفسكم، وقوله: ﴿فَإِنِّي أَخَافُ...﴾ (إلخ) تعليلٌ للجواب المحذوف.

قوله: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: فلا مفرَّ لكم منه.

قوله: (ومنه الثواب) أي: من الشيء المقدور عليه.

قوله: (فيمن كان يستحيي) أي: من المسلمين.

قوله: (أن يتخلى) أي: يقضي حاجته من البول والغائط.

(١) رواه مسلم (٧٢٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسْرُوكَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلَيْهِمْ بِلَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾

فيُفْضِي إلى السَّمَاءِ، وقيل في المنافقين: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ أي: الله، ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾: يَتَغَطُّونَ بِهَا ﴿يَعْلَمُ﴾ تعالى ﴿مَا يُسْرُوكَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فلا يُغْنِي استِخْفَاؤُهُمْ، ﴿إِنَّهُ عَلَيْهِمْ بِلَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما في القلوب.

حاشية الصاوي

قوله: (فيفضي) معطوف على (يتخلى)، وتنزيل الآية على هذا القول؛ باعتبار تعليم التوحيد والمراقبة، كأن الله يقول لهم: لا تظنوا أن تغطيتكم تحجبكم عن الله، بل الله يعلم ما تسرون وما تعلنون؛ فلا ينافي أن التغطية عند التخلي والجماع مندوبة، وليس المراد: ذمهم على هذا الفعل؛ إذ هو مطلوب حياء من الله والجن والملائكة.

قوله: (وقيل: في المنافقين) قال ابن عباس: (نزلت في الأخنس بن شريق من منافقي مكة، وكان رجلاً طلق الكلام، حلو المنظر، وكان يلقي رسول الله بما يحب، وينطوي بقلبه على ما يكره)^(١)، وقيل: كان الرجل من الكفار يدخل بيته، ويرخي ستره، ويحني ظهره، ويستغشي ثوبه، ويقول الكفر، ويظن أن الله لا يعلمه في تلك الحالة^(٢).

قوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونَ﴾ من: الشني، وهو: طي الشيء ليكون مستوراً، فالمراد: يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر؛ ليكون مخفياً مستوراً. وأصله: (يُثْنِيُونَ) نقلت ضمة الياء إلى ما قبلها، ثم حذفت الياء؛ لالتقاء ساكنة مع الواو، وهذا المعنى على أن سبب النزول في المنافقين، وأما على أنه فيمن يستحي حال قضاء الحاجة والجماع. فالمراد بثني الصدر: انحنائه بظهره حال قضاء الحاجة، وتغطيته بثوبه حين قضاء الحاجة والجماع، فتأمل.

قوله: ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ هذا هو علة ثني الصدر على ما فيه.

قوله: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ أي: يأوون إلى فراشهم، ويرتدون بثيابهم.

قوله: ﴿مَا يُسْرُوكَ﴾ أي: في قلوبهم، وقوله: ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي: بأفواههم.

قوله: (أي: بما في القلوب) أي: فالمراد بالصدور: القلوب، وما فيها هو: الخواطر، فأطلق المحل وأريد الحال فيه.

(١) انظر «السراج المنير» (٢/٤٥).

(٢) انظر «زاد المسير» (٢/٣٥٨).

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ

﴿٦﴾ وَمَا مِنْ - زائدة - ﴿دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ هي ما دَبَّ عَلَيْهَا ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ تَكْفُلَ بِهِ فَضلاً مِنْهُ تَعَالَى، ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾: مَسْكَنُهَا فِي الدُّنْيَا أَوِ الصُّلْبِ، ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ بَعْدَ الْمَوْتِ أَوْ فِي الرَّحِمِ، ﴿كُلٌّ﴾ مِمَّا ذَكَرَ ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾: بَيِّنٌ هُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ. ﴿٧﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ النكرة في سياق النفي تعمم، فدخلت جميع الدواب؛ عاقلة وغير عاقلة. قوله: (هي: ما دَبَّ عليها) أي: مشى وسار.

قوله: ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ ليس المراد: أَنَّ ذلك واجبٌ عليه، تنزّه سبحانه وتعالى، بل المراد: أَنه التزم به وتكفل به التزاماً لا يتخلف؛ ففي الحقيقة (على) بمعنى (من)، وإنما التعبير بـ(على)؛ ليزداد العبد ثقةً بربه وتوكلًا عليه، وإن أخذ في الأسباب.. فلا يعتمد عليها، بل يثق بالله ويعتمد عليه، وليكن أخذه في الأسباب امتثالاً لأمره تعالى؛ لأنَّ الله يكره العبد البطال.

وخصَّ دوابَّ الأرض بالذكر؛ لأنهم المحتاجون للأرزاق، وأما دوابُّ السماء كالملائكة والحُور العين.. فليسوا محتاجين لذلك، بل قوتهم التسبيح والتهليل.

قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ أتى بذلك؛ دفعاً لما يُتوهم من كونه متكفلاً لكلِّ دابة في الأرض برزقها: أَنه ربما يخفى عليه بعض أماكن تلك الدواب، فدفع ذلك التوهم: بأنه يعلم مكان كلِّ دابة؛ فلا تخفى عليه خافية، والمعنى: أَنه أحاط علمه بمكان كلِّ دابة وزمانها. قوله: (بعد الموت) أي: وهو القبر.

قوله: ﴿كُلٌّ﴾ مما ذكر) أي: من الدابة ورزقها، ومُسْتَقَرَّهَا ومستودعها؛ فاللوح المحفوظ أحاط بجميع أرزاق الدواب وأمكناتها وأزمنتها وأحوالها، وهذا من باهر قدرته تعالى؛ لزيادة طمأنينة العبيد، ومراجعة الملائكة الموكِّلين بالأرزاق، لا خوفاً من نسيانه؛ إذ هو مستحيل عليه تعالى.

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾ هذا بيانٌ لكونه قادراً على جميع الممكنات، وما تقدّم بيانٌ لكونه عالماً بالمعلومات كلها.

قوله: ﴿وَالْأَرْضَ﴾ أي: وما فيها من الأقوات والحيوانات وغير ذلك، والكلام على التوزيع؛

وَكَاثَ عَرْشُهُ، عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ

أَوَّلَهَا الْأَحَدَ وَآخِرُهَا الْجُمُعَةَ، ﴿وَكَاثَ عَرْشُهُ﴾ قَبْلَ خَلْقِهِمَا ﴿عَلَى الْمَاءِ﴾ وَهُوَ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ، ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾ - مُتَعَلِّقٌ بِ﴿خَلَقَ﴾ - أَي: خَلَقَهُمَا وَمَا فِيهِمَا مِنْ مَنَافِعَ لَكُمْ وَمَصَالِحَ لِيَخْتَبِرَكُمْ ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أَي: أَطْوَعُ لِلَّهِ، ﴿وَلَئِنْ قُلْتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ:

حاشية الصاوي

إِذْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ فِي يَوْمَيْنِ، وَالْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ، وَالْأَقْوَاتِ فِي يَوْمَيْنِ؛ كَمَا يَأْتِي فِي (سُورَةِ فَصَّلَتْ) (١).

قوله: (أَوَّلَهَا الْأَحَدَ) تَقَدَّمَ: أَنَّ هَذَا مُشْكَلٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ زَمَانٌ، فَضَلًّا عَنْ تَفْصِيلِهِ أَيَّامًا، فَضَلًّا عَنْ تَخْصِيصِ كُلِّ يَوْمٍ بِاسْمٍ، وَتَقَدَّمَ الْجَوَابُ عَنْهُ: بِأَنَّ ذَلِكَ بِاعْتِبَارِ مَا تَعَلَّقَ بِهِ عِلْمُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ كَانَ أَوْ يَكُونُ فَهُوَ فِي عِلْمِهِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، فَالْمَعْنَى: أَوَّلَهَا الْأَحَدَ الَّذِي عِلْمُ اللَّهِ أَنَّهُ يَكُونُ.

قوله: ﴿عَلَى الْمَاءِ﴾ أَي: لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا حَائِلٌ، بَلْ هُوَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ الْآنَ، وَهُوَ مَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَالْمَاءِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ فِيهِ الْآنَ، وَهُوَ مَا تَحْتَ الْأَرْضَيْنِ السَّبْعِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ النُّورَ الْمُحَمَّدِيَّ، ثُمَّ خَلَقَ مِنْهُ الْعَرْشَ، وَنَشَأَ الْمَاءُ مِنْ عَرْقِ الْعَرْشِ، فَخَلَقَ اللَّهُ مِنْهُ الْأَرْضَيْنِ وَالسَّمَاوَاتِ؛ فَالْأَرْضُونَ مِنْ رُبْدِهِ، وَالسَّمَاوَاتِ مِنْ دَخَانِهِ.

قوله: (لِيَخْتَبِرَكُمْ) أَي: لِيَتَمَيَّزَ الْمُحْسِنُ مِنَ الْمُسِيءِ بِتِلْكَ النِّعَمِ؛ فَمَنْ شَكَرَ.. فَهُوَ الْمُحْسِنُ، وَمَنْ كَفَرَ.. فَهُوَ الْمُسِيءُ، وَالْمَعْنَى: لِيُظْهَرَ بَيْنَ النَّاسِ الْمَطِيعِ؛ فَيُثَبِّتَ فِي الْآخِرَةِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالْعَاصِي؛ فَيُعَاقَبَ فِي الْآخِرَةِ عَلَى عَصْيَانِهِ.

قوله: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ مَبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ، وَالْجُمْلَةُ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ مَعْمُولَةٌ لـ (يَبْلُوكُمْ)، عُلِّقَ عَنْهَا بِالْإِسْتِفْهَامِ.

قوله: ﴿وَلَئِنْ قُلْتَ﴾ اللامُ مَوْطِئَةٌ لِقَسَمٍ مَحْذُوفٍ، وَ(إِنْ) حَرْفُ شَرْطٍ، وَقَوْلُهُ: ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ جَوَابُ الْقَسَمِ، وَحَذَفَ جَوَابُ الشَّرْطِ؛ لِتَأْخِرِهِ، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ (٢): [الرَّجْزُ]

وَاحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَمٍ جَوَابَ مَا أَخَّرْتَ فَهُوَ مُلْتَزِمٌ

وَكَذَا يُقَالُ فِيمَا بَعْدَهُ.

(١) انظر (٦/١٠٧).

(٢) «الخلاصة»، باب (عوامل الجزم).

إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَيَنْ أَخْرَأَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۚ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾

﴿إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾: ما ﴿هَذَا﴾ القرآن الناطق بالبعث أو الذي تقوله ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾: بين، - وفي قراءة: ﴿سِحْرٌ﴾ - والمُشارُ إليه النبي ﷺ. ﴿٨﴾ وَلَيَنْ أَخْرَأَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى مَجِيءِ أُمَّةٍ: أوقات ﴿مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ﴾ استهزاء: ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾ ما يمنعه من النزول؟ قال تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا﴾: مدفوعاً ﴿عَنْهُمْ وَحَاقَ﴾: نَزَلَ ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِلَّا سِحْرٌ﴾ أي: كالسحر، فالكلام على التشبيه البليغ من حيث إنه كلام مزين الظاهر، فاسد الباطن.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: ﴿وَلَيَنْ أَخْرَأَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ﴾ أي: الذي استعجلوه.

قوله: ﴿إِلَى أُمَّةٍ﴾ أي: طائفة من الأزمنة.

قوله: ﴿مَعْدُودَةٍ﴾ أي: قليلة.

قوله: ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ الفعل مرفوع بالنون المحذوفة لتوالي الأمثال، والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين: فاعل، وأعرب مع وجود نون التوكيد ولم يُبنَ؛ لأنَّ نون التوكيد لم تُباشره؛ إذ الأصل (ليقولون)، حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتقائهما، والمحذوف لعلَّه كالثابت، وهذا بخلاف ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ المتقدم؛ فإنه مبني لمباشرة النون في اللفظ والتقدير.

قوله: ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾ أي: أي شيء يمنعه من النزول؟ وهذا الاستفهام على سبيل السخرية.

قوله: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ ﴿أَلَا﴾: أداة افتتاح داخلية على ﴿لَيْسَ﴾ في المعنى، و﴿يَوْمَ﴾ معمول لخبر ﴿لَيْسَ﴾، واسمها ضمير فيها يعود على (العذاب)، وكذلك فاعل ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ ضمير يعود على (العذاب)، والتقدير: ألا ليس هو - أي: العذاب - مصروفاً عنهم يوم يأتيهم العذاب؛ ففي هذه الآية تقدّم معمول خبر ﴿لَيْسَ﴾ عليها.

(١) قرأ حمزة والكسائي بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء. انظر «السراج المنير» (٢/٤٧).

وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُفُّرٌ كَكُفُورٍ ﴿٩﴾ وَلَيْنَ أَذَقْتَهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسْتَه لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ.....

من العذاب.

﴿٩﴾ وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ : الكافر ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ : غنى وصيحة ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُفُّرٌ﴾ : فنوط من رحمة الله، ﴿كَكُفُورٍ﴾ : شديد الكفر به.

﴿١٠﴾ وَلَيْنَ أَذَقْتَهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ ﴿مَسْتَه لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ﴾ : المصائب ﴿عَنِّي﴾ ولم يتوقع زوالها ولا شكر عليها، ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ﴾ فرح بطر، ﴿فَخُورٌ﴾ على الناس بما أُوتِيَ.

﴿١١﴾ ﴿إِلَّا﴾ : لكن ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الضراء ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في النعماء، ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هو الجنة.

﴿١٢﴾ ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ يا مُحَمَّدٌ ﴿تَارِكٌ﴾.....

حاشية الصاوي

قوله : (من العذاب) بيان لـ (ما).

قوله : ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾ أي : أخذناها قهراً.

قوله : (قنوط) أي : لقلة صبره، وعدم رجائه في ربه.

قوله : ﴿لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾ أي : على سبيل عادة الدهر، ولا ينظر لفضل الله في ذلك، فهو مغضوب عليه على كل حال.

قوله : ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ مستثنى من قوله : ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ...﴾ إلخ، وقد أشار المفسر إلى أن هذا الاستثناء منقطع؛ حيث عبر بـ (لكن)، ويصح أن يكون متصلاً باعتبار أن المراد بالإنسان: الجنس، لا واحد بعينه.

قوله : ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ أي : لذنوبهم.

قوله : ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أي : عظيم مدخر لهم في الآخرة.

قوله : ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ﴾ (لعل) : تأتي للترجي في الأمر المحبوب؛ كما تقول : لعل الحبيب قادم، وتأتي للتوقع في الأمر المكروه؛ كما تقول : لعل العدو قادم، والآية من هذا الثاني،

بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ

بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴿١﴾ فَلَا تُبَلِّغُهُمْ إِنِّيَ لَنَهَاوِنُهُم بِهِ، ﴿٢﴾ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴿٣﴾ بِتِلَاوَتِهِ عَلَيْهِمْ لِأَجَلٍ ﴿٤﴾ أَن يَقُولُوا لَوْلَا ﴿٥﴾: هَلَّا ﴿٦﴾ أُنزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ﴿٧﴾ يُصَدِّقُهُ كَمَا اقْتَرَحْنَا، ﴿٨﴾ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ﴿٩﴾ فَلَا عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ لَا الْإِتْيَانُ بِمَا اقْتَرَحُوهُ، ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١١﴾: حَفِظَ فَيُجَازِيهِمْ.

﴿١٢﴾ ﴿أَمْ﴾: بَلْ أَمْ يَقُولُونَ

حاشية الصاوي

غير أن التوقع ليس على بابه؛ إذ مستحيل على رسول الله كتم بعض ما أمر بتبليغه والعزم على ذلك، بل المقصود منه: الاستفهام الإنكاري، والتحضيض على التبليغ مع عدم المبالاة بمن عاداه؛ كأن الله يقول لنبيه: بلغ ما أمرت به ولو كره المشركون ذلك، ولا تترك التبليغ محافظة على عدم استهزائهم؛ وذلك أن رسول الله كان إذا قرأ آية فيها سب المشركين وآلهتهم.. نفروا وقالوا: ائت بقرآن غير هذا أو بدله ونحن نتبعك، فردَّ الله عليهم ذلك؛ حيث حضه على التبليغ، ونهاه عن الكتم^(١).

قوله: ﴿بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ (أي: وهو ما فيه سب آلهتهم).

قوله: ﴿وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ (أي: لا يكن منك ضيق صدر بسبب استهزاء الكفار؛ فإن الله حافظك وناصرك عليهم، ومخذلهم).

قوله: ﴿أَن يَقُولُوا﴾ (أي: فقد قالوا: إن كنت صادقاً في الرسالة من عند الله الذي تصفه بالقدرة التامة، وأنت حبيبه وعزيز عنده مع أنك فقير.. فهلاً أنزل عليك ما تستغني به أنت وأصحابك، وهلاً أنزل عليك ملك يشهد لك بالرسالة).

قوله: ﴿كَتُبٌ﴾ (أي: مال كثير، وسمي بذلك؛ لأن شأنه أن يُكنز).

قوله: ﴿فَلَا عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ (أي: فلا تبال بقولهم، ولا تغتم منهم).

قوله: ﴿حَفِظَ﴾ (أي: فحفظك، ويجازيهم).

قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ (أي: منقطعة بمعنى (بل) والهمزة، والإضراب انتقالي، والهمزة

للتوبيخ والإنكار والتعجب.

أَفْتَرَنَّهُ قُلٌّ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَآئِمَّ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ

أَفْتَرَنَّهُ ﴿١٣﴾ أي: القرآن، ﴿قُلٌّ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾ في الفصاحة والبلاغة ﴿مُفْتَرِيَاتٍ﴾ فإنكم عَرَبِيُّونَ فَصَحَاءُ مِثْلِي، تَحَدَّاهُمْ بِهَا أَوَّلًا ثُمَّ بِسُورَةٍ، ﴿وَأَدْعُوا﴾ لِلْمُعَاوَنَةِ عَلَى ذَلِكَ ﴿مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غَيْرِهِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِي أَنَّهُ افْتِرَاءٌ.

﴿١٤﴾ ﴿فَإِذَا نَ﴾ ﴿لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أي: مَنْ دَعَوْتُمُوهُمْ لِلْمُعَاوَنَةِ، ﴿فَاعْلَمُوا﴾ خِطَابٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿أَنَّمَا أُنْزِلَ﴾ مُلْتَبِسًا ﴿بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ وَلَيْسَ افْتِرَاءً عَلَيْهِ، ﴿وَأَنْ﴾ - مُخَفَّفَةٌ - أي: أَنَّهُ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَفْتَرَنَّهُ﴾ (أي: اختلقه من عند نفسه).

قوله: ﴿قُلٌّ فَأَتُوا﴾ ... إلخ) ردُّ لما قالوه، والمعنى: إنكم عَرَبِيُّونَ مِثْلِي؛ فَأَتُوا بِكَلَامٍ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي جِئْتُ بِهِ؛ فَإِنَّكُمْ تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، بَلْ أَنْتُمْ أَقْدَرُ مِنِّي؛ لِمُمَارَسَتِكُمُ الْأَشْعَارَ وَالْوَقَائِعَ. قوله: ﴿مِثْلِهِ﴾ (نعت لـ ﴿سُورٍ﴾ وإن كان بلفظ الإفراد؛ فإنه يوصف به المثنى والجمع، والمذكر والمؤنث).

قوله: (تَحَدَّاهُمْ بِهَا أَوَّلًا) أي: بعد أن تَحَدَّاهُمْ بِجَمِيعِ الْقُرْآنِ كَمَا فِي (سُورَةِ الْإِسْرَاءِ)، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ...﴾ [الْإِسْرَاءِ: ٨٨] الْآيَةُ، ثُمَّ تَحَدَّاهُمْ بِعَشْرِ سُوَرٍ كَمَا هُنَا، ثُمَّ سُورَةُ كَمَا فِي (الْبَقَرَةِ) وَ(يُونُسَ)؛ فَ(الْإِسْرَاءِ) قَبْلَ (هُودَ) نَزُولًا، ثُمَّ (هُودَ)، ثُمَّ (يُونُسَ)، ثُمَّ (الْبَقَرَةَ).

قوله: (على ذلك) أي: الإتيان.

قوله: (أي: غيره) أي: من الأصنام، أو مِنْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ.

قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أي: أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ، وَقَوْلُهُ: (أي: مَنْ دَعَوْتُمُوهُمْ) تَفْسِيرٌ لِلَّوَاوِ فِي ﴿يَسْتَجِيبُوا﴾.

قوله: ﴿بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ أي: فَكَمَا أَنَّ عِلْمَهُ لَا يَشَابُهُ عِلْمٌ.. كَذَلِكَ كَلَامُهُ لَا يَشَابُهُ كَلَامٌ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَسَبِ عِلْمِ الْمُتَكَلِّمِ؛ فَكَلَّمَا كَانَ الْمُتَكَلِّمُ مَتَّعَ الْعِلْمِ.. كَانَ كَلَامُهُ فَصِيحًا بَلِيغًا، وَلَا أَوْسَعَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا.

قوله: (مخففة) أي: واسمها ضمير الشأن.

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ

 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٥﴾

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ بعد هذه الحُجَّة القاطعة؟ أي: أسلموا.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بِأَنْ أَصَرَ عَلَى الشُّرْكِ، وَقِيلَ: هِيَ فِي الْمُرَائِنِ،

 ﴿نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (أي: أسلموا) أي: فهو استفهام فيه معنى الطلب؛ لزوال العذر المانع من ذلك.

قوله: (﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾) اختلف في سبب نزولها؛ فقيل: في اليهود والنصارى، وقيل: في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله الغنائم؛ لأنهم كانوا لا يرجون ثواب الآخرة، وقيل: في المرأين، والحمل على العموم أولى؛ فيندرج فيه الكافر والمنافق والمؤمن الذي يأتي بالطاعات على وجه الرياء والسمعة^(١).

قوله: (﴿وَزِينَتَهَا﴾) أي: ما يتزين به فيها؛ من الصحة والأمن والسعة والرياسة وغير ذلك.

قوله: (بأن أصرّوا على الشرك) هذا شامل للقولين المتقدمين.

قوله: (وقيل: هي في المرأين) أي: ومعنى قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ أي: ابتداءً، ثم بعد استيفاء ما عليه يخرج منها، ويدلّ على أنّ له هذا الوعيد الشديد ما روي: «يقول الله: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري... تركته وشركه»^(٢)، وهذا القول اختاره البيضاوي؛ لحديث: (يقال لأهل الرياء: حججتم وصليتم وتصدقتم وجاهدتم وقرأتم؛ ليقال ذلك، فقد قيل ذلك)، ثم قال: «إِنَّ هَؤُلَاءِ أَوَّلَ مَنْ تُسْعَرُ لَهُمُ النَّارُ»، رواه أبو هريرة، ثم بكى بكاء شديداً، ثم قال: صدق رسول الله؛ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا...﴾ إلخ^(٣).

قوله: (﴿نُوفٍ﴾) بالنون مبنياً للفاعل، وفيه ضمير يعود على (الله)، وبالياء مبنياً للمفعول، و(أعمالهم) بالرفع نائب الفاعل، والفاء مشددة على كل حال، قراءتان: الأولى: سبعة، والثانية: شاذة^(٤).

(١) انظر «زاد المسير» (٣٦٢/٢).

(٢) رواه مسلم (٧٥٨٤) عن سيدنا أبي هريرة ؓ.

(٣) «تفسير البيضاوي» (١٣٠/٣)، والحديث رواه مسلم بمعناه (٤٩٥٨).

(٤) كذا في الأصول، ولكن الذي في «الدر المصون» (٢٩٦/٦): أن القراءات ثلاث: بالنون والياء مبنياً للفاعل، =

فِيهَا وَمَنْ فِيهَا لَا يَتُحْسِنُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا
فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَدَيْهِ مِنْ رَبِّهِ.....

أي: جَزَاءُ مَا عَمِلُوهُ مِنْ خَيْرٍ كَصَدَقَةٍ وَصِلَةٍ رَحِمَ، ﴿فِيهَا﴾ بِأَنْ تُوسَّعَ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ، ﴿وَمَنْ﴾
﴿فِيهَا﴾ أَي: الدُّنْيَا ﴿لَا يُخْسُونَ﴾: يُنْقِصُونَ شَيْئًا.

﴿١٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ بِطُلَّ مَا صَنَعُوا ۖ ﴿فِيهَا﴾
 أى: فى الآخرة، فلا ثواب له، ﴿وَبَطِّلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتْنِهِ﴾ : بَيَانٌ ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾.....

حاشية الصاوى

قوله: (أى: جزاء ما عملوه) أشار بذلك إلى أَنَّ الكلام على حذف مضاف.

قوله: (بأن نوسّع عليهم رزقهم) أي: فهذا هو جزاء أعمالهم الحسنة في الدنيا، وأما في الآخرة.. فليس لهم في نظير ذلك شيء، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، فجزاء الآخرة بالجنة ونعيمها مخصوصٌ بالمؤمن.

قوله: (فلا ثواب له) أي: لأنهم قد استوفوا في الدنيا جزاء أعمالهم الحسنة، فلم يبقَ لهم في الآخرة إلا العذاب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

قوله: ﴿وَبَطِلْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: في الدنيا من الخيرات.

قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتْنَةٍ مِّن رَّيِّهِ﴾ ﴿١٠﴾ لما تقدّم ذكرُ أوصاف أهل الدنيا الغافلين عن الآخرة وعاقبة أمرهم.. ذكر هنا أوصاف أهل الآخرة الذين يُريدون بأعمالهم وجه ربّهم.

واسم الموصول: مبتدأ، خبره محذوف، قدّره المفسّر فيما يأتي بقوله: (كمن ليس كذلك)، وجواب الاستفهام محذوف، قدّره بقوله: (لا)، وقد صرّح بهذين المحذوفين في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّنْ كَانُ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨].

قوله: (بيان) أي: نورٍ واضحٍ، ودليلٍ ظاهرٍ، وذلك نظير قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢].

= وبالتالي مبنياً للمفعول، قال فيه: (الجمهور على «تَوَفَّ» بنون العظمة وتشديد الفاء، وقرأ طلحة وميمون بياء الغيبة، وزيد بن علي كذلك إلا أنه خفف الفاء، والفاعل في هاتين القراءتين ضمير (الله)، وقُرى: «تَوَفَّ» بضم التاء وفتح الفاء مشددة مبنياً للمفعول)، فتنبه.

وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ

وهو النبي ﷺ أو المؤمنون وهي القرآن، ﴿وَيَتْلُوهُ﴾: يتبعه ﴿شَاهِدٌ﴾ له بصدقه، ﴿مِّنْهُ﴾ أي: من الله وهو جبريل، ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن ﴿كَتَبْتُ مُوسَى﴾: التوراة شاهد له أيضاً، ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ حال، كمن ليس كذلك؟ لا، ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: من كان على بينة ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي: بالقرآن فلهم الجنة، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ جميع الكفار

حاشية الصاوي

قوله: (وهو النبي) أي: وعليه: فالجمع للتعظيم في قوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، وقوله: (أو المؤمنون) والجمع فيها ظاهر، وفي نسخة: (والمؤمنون)، وهي ظاهرة.

قوله: (وهو القرآن) تفسير لـ (البينة) وقد أخذ هذا التفسير مما يأتي في (سورة البينة) في قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ فَيَعْمَهُ﴾ [البينة: ١-٣].

قوله: ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ (الضمير عائد على من).

قوله: (وهو جبريل) تفسير لـ (الشاهد)، والمعنى: من كان متمسكاً بالحق والحال أنه يتبعه شاهد من الله يصدقه على ذلك وهو جبريل؛ لأنه مَقْبُولٌ ومصدق للرسول، ويصح أن يكون المراد بالشاهد: معجزات القرآن، والضمير في (منه) إما عائد على الله، أو على القرآن، والمعنى على هذا: ويتبعه شاهد يشهد بكونه من عند الله، وهو الإعجاز في نظمه، واشتماله على عجائب المغيبات في معناه؛ فلا يستطيع أحد أن يأتي بمثله كلاً أو بعضاً، ويصح أن يراد بـ (الشاهد): المعجزات الظاهرة على يد رسول الله مطلقاً.

قوله: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ (الجار والمجرور: حال من ﴿كَتَبْتُ مُوسَى﴾ الواقع معطوفاً على ﴿شَاهِدٌ﴾.

قوله: (شاهد له أيضاً) الأوضح أن يقول: (يتلوه أيضاً)؛ إذ هو المسلط عليه.

قوله: ﴿إِمَامًا﴾ (أي: مقتدى به).

قوله: ﴿وَرَحْمَةً﴾ (أي: إحساناً ولطفاً لمن أنزل إليهم).

قوله: (أي: من كان على بينة من ربه) أشار بذلك إلى أن اسم الإشارة عائد على قوله: ﴿وَأَمَّنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾.

قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ (اسم الموصول راجع لقوله: (كمن ليس كذلك) فهو لفٌّ ونشْرٌ مرتّب.

﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُمْ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٧) ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٨)

﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُمْ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾: شَكٌّ ﴿مِّنْهُ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ، ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أَي: أَهْلَ مَكَّةَ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَمَنْ﴾ أَي: لَا أَحَدَ ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بِنِسْبَةِ الشَّرِيكِ وَالْوَلَدِ إِلَيْهِ، ﴿أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جُمْلَةِ الْخَلْقِ، ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾: جَمْعُ (شَاهِدٍ)، وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ لِلرُّسُلِ بِالْبَلَاغِ وَعَلَى الْكُفَّارِ بِالتَّكْذِيبِ، ﴿هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: الْمُشْرِكِينَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَلَا تَكُ﴾ (أصله: (تكون)، دخل الجازم فسكنت النون، فالتقى ساكنان، حذفت الواو؛ لالتقائهما، وحذفت النون تخفيفاً.

قوله: ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾ بكسر الميم باتفاق السبعة، وقرئ شذوذاً بضمها، وهي لغة قليلة^(١)، وهو خطابٌ للنبي، والمرادُ غيره.

قوله: ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ﴾ أَي: الثابت الذي لا محيص عنه.

قوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ يفيد أنَّ الأقل مؤمن، وهو كذلك في كل زمنٍ إلى يوم القيامة، وإنما خصَّ المفسر أهل مكة؛ لكون أصل الخطاب لهم.

قوله: (أَي: لَا أَحَدَ) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، وهذا شروع في ذكر أوصافهم، وقد ذكر منها هنا أربعة عشر وصفاً: أولها: قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، وآخرها: قوله: ﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِرُونَ﴾.

قوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أَي: عرض فضيحة، وهتك ستر.

قوله: (وهم الملائكة) أَي: والنبئون والأصفياء.

قوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ هذا من كلام الله تعالى يقوله لهم يوم القيامة، فيطردون بذلك عن الرحمة الحاصلة في الآخرة، وليس المراد أنهم يُطردون عن رحمة الدنيا.

(١) وبها قرأ السلمي وأبو رجاء وأبو الخطاب السدوسي والحسن، وهي لغة أسد وتميم. انظر «البحر المحيط» (٥/٢١٢).

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ

﴿١٩﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ: دِينَ الْإِسْلَامِ ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾: يَطْلُبُونَ السَّبِيلَ ﴿عِوَجًا﴾: مُعَوَّجَةً، ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾: تَأْكِيدٌ - ﴿كَافِرُونَ﴾.

﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ: اللَّهُ ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أَي: غَيْرِهِ ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾: أَنْصَارٍ يَمْنَعُونَهُمْ مِنْ عَذَابِهِ، ﴿يُضْعِفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾: بِإِضْلَالِهِمْ غَيْرَهُمْ، ﴿وَمَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾: لِلْحَقِّ ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾، أَي: لِفَرْطِ كِرَاهَتِهِمْ لَهُ كَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ ذَلِكَ.

﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ: لِمَصِيرِهِمْ إِلَى النَّارِ الْمُؤَبَّدَةِ عَلَيْهِمْ، ﴿وَضَلَّ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (أَي: يَمْنَعُونَ النَّاسَ عَنِ الدُّخُولِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ كَمَا ضَلُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ يُضِلُّونَ غَيْرَهُمْ).

قوله: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ (أَي: يَنْسَبُونَهَا لِلْعِوَجِ جَاحٍ، وَالْحَالُ أَنَّهُ قَائِمٌ بِقُلُوبِهِمْ).

قوله: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾ (أَي: فَارِّينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ وَإِنْ أَهْلَهُمْ لَا يُهْلِمُهُمْ).

قوله: ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ (مِنْ): زَائِدَةٌ فِي اسْمِ (كَانَ)، وَالْمَعْنَى: لَيْسَ لَهُمْ أَنْصَارٌ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ يَمْنَعُونَ عَذَابَ اللَّهِ عَنْهُمْ.

قوله: (بِإِضْلَالِهِمْ غَيْرَهُمْ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى جَوَابِ سُؤَالٍ وَارَدَ عَلَى الْآيَةِ، وَحَاصِلُهُ: أَنَّ الْمُضَاعَفَةَ مَخْصُوصَةٌ بِالْحَسَنَاتِ، وَأَمَّا السَّيِّئَاتِ.. فَلَا تُضَاعَفُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٦٠]، فَأَجَابَ الْمَفْسِّرُ: بِأَنَّ مَعْنَى الْمُضَاعَفَةِ: الشَّدَّةُ؛ لِأَنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابَيْنِ: عَذَابًا عَلَى ضَلَالَتِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَعَذَابًا عَلَى إِضْلَالَتِهِمْ غَيْرَهُمْ.

قوله: (وَمَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ) أَي: لَمْ يَقْبَلُوهُ؛ لَوْجُودِ الْحِجَابِ عَلَى قُلُوبِهِمْ.

قوله: ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ (أَي: لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ).

قوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ (أَي: الَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَلَا الْإِبْصَارَ).

عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ

غَابَ ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ عَلَى اللَّهِ مِنْ دَعْوَى الشَّرِيكَ.

﴿٢٢﴾ ﴿لَا جَرَمَ﴾: حَقًّا ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا﴾: سَكَنُوا وَاطْمَأَنَّنُوا أَوْ أَنَابُوا ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (من دعوى الشريك) بيان لـ(ما).

قوله: ﴿لَا جَرَمَ﴾ (اختلف العلماء في معنى (لا جرم) على ثلاثة أوجه: أولها: أن (لا): نافية لأماني الكفار، و(جرم): فعل ماضٍ بمعنى: حقٌّ وثبت، وقوله: ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ﴾ الجملة في محل رفع فاعل بـ(جرم)، ويصير المعنى: لا عبرة بأمانيتهم، بل حقٌّ وثبت خسراتهم في الآخرة، وهذا الوجه أحسنها.

ثانيها: أن (لا) كذلك، و(جرم) بمعنى: كسب، و(أنَّ) وما دخلته عليه في تأويل مصدر مفعوله، والفاعل ما دلَّ عليه السياق، والمعنى: ما كسب لهم كفرهم وأمنياتهم إلا خسراتهم في الآخرة.

ثالثها: أن (لا جرم) بمعنى: لا بدُّ؛ أي: لا بدَّ أنهم في الآخرة هم الأخسرون؛ فـ(لا): نافية للجنس، و(جرم): اسمها مبنيٌّ معها على الفتح، وجملة: (أنهم) في محل رفع خبرها.

إذا علمت ذلك.. فقول المفسر: (حقًّا) لم يوافق واحداً من هذه الثلاثة، إلا أن يقال: إنه مرَّ على الأول، ويكون (حقًّا) مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف، والتقدير: حقٌّ حقًّا. وقد وردت هذه اللفظة في القرآن في خمسة مواضع، ويقال في كلِّ واحد منها ما قيل هنا.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لما ذكر الله أحوال الكفار وما آل إليه أمرهم.. أتبعهم بذكر المؤمنين وما آل إليه أمرهم.

قوله: ﴿وَأَخْبَتُوا﴾ من الإخبات، وهو: الخشوع والخضوع، ويتعدى باللام، و(إلى)؛ فإن عُدِّي باللام.. فمعناه: خَشَعَ وخضع، وإن عُدِّي بـ(إلى).. فمعناه: اطمأنَّ وسكن، وقد اقتصر المفسر على هذا الثاني.

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْبَحِ وَالْبَصِيرِ
وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

﴿٢٤﴾ مَثَلُ: صِفَةُ ﴿الْفَرِيقَيْنِ﴾: الْكُفَّارِ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴿كَالْأَعْمَى وَالْأَصْبَحِ﴾ هذا مَثَلُ الْكَافِرِ، ﴿وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ هذا مَثَلُ الْمُؤْمِنِ، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾؟ لا، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ - فيه إدغامُ التَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الذَّالِ -: تَتَعَطَّوْنَ.

﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ التعبير بـ(أصحاب) إشارة إلى أنَّ أهل الجنة ما يكون لمنازلها ملكاً لا يحول ولا يزول.

قوله: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ لما ذكر أحوال الكفار وما هم عليه من الضَّمَمِ والعمى عن اتباع الحق، وذكر أحوال المؤمنين وما هم عليه من التبصر وسَماعِ الحق واتباعه.. أتبع ذلك بذكر مثلٍ لكل فريق.

قوله: ﴿كَالْأَعْمَى وَالْأَصْبَحِ﴾ هذا كناية عن كون الله سلبهم الانتفاع بالحق؛ لسبق شقاوتهم في علم الله، والمراد من الأعمى والأصم: ذاتٌ واحدة اتصفت بهذين الوصفين؛ فإنه هو الذي لا يقبل الهدى لمقصوده بأيِّ وجهٍ كان، ومثل ذلك يقال في نظيره، وهو: البصير والسميع.

قوله: ﴿مَثَلًا﴾ تمييز محوّل عن الفاعل، والأصل: هل يستوي مثلُهما.

قوله: (لا) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاري.

قوله: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ الهمزة داخلية على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أعيتم وتركتم الهدى فلا تذكرون؟ وهو خطاب للمشرّكين الذين كانوا في زمنه ﷺ.

قوله: (فيه إدغامُ التَّاءِ... إلخ) أي: والأصل: (تذكرون) أبدلت التَّاءِ الثانية ذالاً، وأدغمت في الذال، وفي قراءة سبعة بحذف إحدى التَّائين تخفيفاً^(١).

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ جرت عادة الله في كتابة العزيز أنه إذا أقام الحُجَجَ على الكفار

(١) قرأ حفص وحزمة والكسائي بتخفيف الذال، والباقون بالتشديد. انظر «السراج المنير» (٥٢/٢).

لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ
الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَزَّلَكَ

أي: بِأَنِّي، - وفي قراءة بالكسر على حذف القول - ﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: بَيِّنُ الْإِنذَارِ.
﴿٢٦﴾ ﴿أَنْ﴾ أي: بِأَنْ ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾: إِنْ عَبَدْتُمْ غَيْرَهُ ﴿عَذَابَ
يَوْمِ الْيَوْمِ﴾: مُؤَلِّمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

﴿٢٧﴾ ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾: وَهُمْ الْأَشْرَافُ: ﴿مَا نَزَّلَكَ

حاشية الصاوي

ووبَّخهم وضرب لهم الأمثال.. يذكر لهم بعض قصص الأنبياء المتقدمين وأممهم؛ لعلهم يهتدون،
وفي هذه السورة سبع قصص: الأولى: قصة نوح مع قومه، الثانية: قصة هود مع قومه، الثالثة: قصة
صالح مع قومه، الرابعة: قصة إبراهيم مع الملائكة، الخامسة: قصة لوط مع قومه، السادسة: قصة
شعيب مع قومه، السابعة: قصة موسى مع فرعون، وذكر هذه القصص على حسب الترتيب الزمني.
وتقدّم أن نوحاً اسمه عبد الغفار، ونوح لقبه، سَمِّيَ بذلك لكثرة نوحه؛ لما ورد: (أنه رأى كلباً
مجدوماً، فقال له: اخسأ يا قبيح، فأوحى الله إليه: أَعْبَتْنِي أَمْ عِبْتُ الْكَلْبَ؟! فكان ذلك عتاباً له،
فاستمرَّ ينوح على نفسه، فسَمِّيَ بذلك^(١)).

قوله: (أي: بِأَنِّي) أشار بذلك إلى أَنَّ قراءة الفتح على إظهار حرف الجرّ.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(٢).

قوله: (على حذف القول) أي: ومتى وقعت (إِنَّ) بعد القول كُسِرَتْ.

قوله: ﴿مُبِينٌ﴾ أي: بَيِّنُ الْإِنذَارِ وواضحه.

قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ هذا في قوّة التعليل لقوله: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾.

قوله: ﴿الْيَوْمِ﴾ صفة لليوم، وأسنده له؛ مبالغة على سبيل المجاز العقلي، وحقُّ الإسناد
للعذاب.

قوله: ﴿مَا نَزَّلَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ اعلم: أنهم احتجوا له بثلاثة حُجج: أولها قوله: ﴿مَا نَزَّلَكَ

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/٢١٤).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بفتح الهمزة، والباقون بكسرها. انظر «السراج المنير» (٢/٥٢).

إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَزَّلَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِكَ: أَسَافِلُنَا
مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ

إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا ﴿٢٧﴾ ولا فضل لك علينا، ﴿وَمَا نَزَّلَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِكَ﴾: أسافِلُنَا
كالحاكة والأساكفة، ﴿بَادِئُ الرَّأْيِ﴾: بالهمز وتركه - أي: ابتداءً من غير تفكير فيك، - ونصبه
على الظرف - أي: وقت حدوث أول رأيهم، ﴿وَمَا نَزَّلَكَ أَتْبَعَكَ مِنْ فَضْلٍ﴾ فتستحقون به
الاتباع منا، ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَذِبِينَ﴾ في دعوى الرسالة، أدرجوا قومه معه في الخطاب.
﴿٢٨﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ: أخبروني

حاشية الصاوي

إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا، وآخرها قوله: ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَذِبِينَ﴾، وقد أجابهم عنها إجمالاً بقوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ
كُنْتُ عَلَى يَمِينٍ مِنْ رَبِّي...﴾ إلخ، وتفصيلاً بقوله: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ...﴾ إلخ.
قوله: ﴿إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ أي: آدمياً مثلاً.

قوله: (ولا فضل لك علينا) أي: لا مزية لك علينا، وهذا من فرط جهلهم؛ حيث استبعدوا
فضل الله على البشر، وظنوا أن الرسل لا يكونون إلا من الملائكة.

قوله: ﴿أَرَادُوا بِكَ﴾ إما جمع الجمع، فهو جمع (أرذل) بضم الذال، جمع (رذل) بسكونها
ك: كلب وأكلب وأكالب، أو جمع المفرد، وهو (أرذل) ك: أكبر وأكابر، وأبطح وأباطح.
قوله: (كالحاكة) جمع: حائك، وهو: القزاز.

قوله: (والأساكفة) جمع: إسكاف، وهو: صانع النعال، وهذه عادة الله في الأنبياء والأولياء:
أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَتَّبِعُهُمْ ضَعْفَاءُ النَّاسِ؛ لِذَلِكَ، فلا يتكبرون عن الاتباع.
قوله: (بالهمز وتركه) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (من غير تفكير فيك) أي: ولو تفكروا... لما اتبعوك.

قوله: ﴿مِنْ فَضْلٍ﴾ أي: هدية من مال وغيره.

قوله: (في الخطاب) أي: في قوله: ﴿وَمَا نَزَّلَكَ أَتْبَعَكَ﴾، ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ﴾.

قوله: ﴿قَالَ يَقَوْمِ﴾ هذا خطاب فيه غاية التلطف بهم.

(١) قرأ أبو عمرو من السبعة وعيسى الثقفي بالهمز، والباقون بياء صريحة مكان الهمزة. انظر «الدر المصون» (٦/٣١٠).

إِنْ كُنْتُ عَلَى يَنْبَغٍ مِّن رَّبِّيْ وَءَالَنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكَوْ أَنْزِلْ مُكْمُوْهَا وَأَنْتَ لَهَا كَرِهَوْنَ ﴿٢٨﴾ وَيَقْوِمُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا.....

﴿إِنْ كُنْتُ عَلَى يَنْبَغٍ﴾ : بَيَانٍ ﴿مِّن رَّبِّيْ وَءَالَنِي رَحْمَةً﴾ : نُبُوَّةٌ ﴿مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ﴾ : خَفِيَتْ ﴿عَلَيْكَوْ﴾ ، - وفي قِرَاءَةِ تَشْدِيدِ المِيمِ وَالبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ - ﴿أَنْزِلْ مُكْمُوْهَا﴾ : أَنْجِرْكُمْ عَلَى قَبُولِهَا ﴿وَأَنْتَ لَهَا كَرِهَوْنَ﴾ ؟ لَا نَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ .

﴿٢٩﴾ ﴿وَيَقْوِمُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ : عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ ﴿مَالًا﴾ تُعْطُونِيهِ ، ﴿إِنْ﴾ : مَا ﴿أَجْرِي﴾ : ثَوَابِي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كَمَا أَمَرْتُمُونِي ،

حاشية الصاوي

قوله : (بيان) أي : حجة وبرهان .

قوله : ﴿فَعُمِّيَتْ﴾ أي : النبوة ؛ أي : خفيت عليكم .

قوله : (وفي قراءة) أي : وهي سبعة أيضاً^(١) .

قوله : (والبناء للمفعول) أي : والأصل : أعماها الله عليكم ؛ أي : أخفاها ، فأطلق العمى ، وأريد لازمه وهو الخفاء ؛ لأنَّ الأعمى تخفى عليه الأشياء ؛ فلا يهتدي ، ولا يهدي غيره .

قوله : (أنجبركم على قبولها) أي : لا قدرة لنا على إلزامكم إياها والحال أنكم كارهون لها ، بل الإيمان : إنما هو بالرضا والتسليم الباطني ، والمعنى : أخبروني إن كنت على حجة ظاهرة من ربي ، وأعطاني نبوة من عنده ، فأخفاها عليكم .. أأجبركم على قبولها والإيمان بها والحال أنكم كارهون منكرونها ؟ لا أستطيع ذلك ، بل لا قدرة لي إلا على البلاغ .

قوله : ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ أي : فهو المتكفل لي بالعون والعطايا .

قوله : (كما أمرتموني) أي : فقد قالوا له : امنع واطرُد هؤلاء الأسافلة عنك ونحن نتبعك ؛ فإننا نستحي أن نجلس معهم في مجلسك^(٢) ، وهذا كما قالت قريش لمحمد ﷺ كما في (سورة الأنعام) ، فنزل ردًّا عليهم : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ...﴾ الآية^(٣) .

(١) قرأ حفص وحمزة والكسائي بضم العين وتشديد الميم ، والباقون بفتح العين وتخفيف الميم . انظر «السراج المنير» (٥٣/٢) .

(٢) انظر «الدر المنثور» (٤١٦/٤) . (٣) رواه مسلم (٦٣٢٠) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص ؓ .

إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَلَكَيْفَ آرَأَيْتُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقُولُونَ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ

﴿إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ﴾ بِالْبَعْثِ فَيُجَازِيهِمْ وَيَأْخُذُ لَهُمْ مِمَّنْ ظَلَمَهُمْ وَطَرَدَهُمْ، ﴿وَلَكَيْفَ آرَأَيْتُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾ عَاقِبَةُ أَمْرِكُمْ.

﴿٢٩﴾ وَيَقُولُونَ مَنْ يَنْصُرُنِي: يَمْنَعُنِي ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أَي: عَذَابِهِ ﴿إِنْ طَرَدْتُهُمْ﴾؟ أَي: لَا نَاصِرَ لِي، ﴿أَفَلَا﴾: أَفْهَلًا ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ - بِإِدْغَامِ التَّاءِ الثَّانِيَةِ فِي الْأَصْلِ فِي الذَّالِ -: تَتَعَبُّونَ.

﴿٣١﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا ﴿إِنِّي﴾ ﴿أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾، بَلْ أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي﴾: تَحْتَقِرُ ﴿أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾: قُلُوبِهِمْ،

حاشية الصاوي

قوله: (فَيُجَازِيهِمْ) أَي: عَلَى مَا قَدَّمُوا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

قوله: ﴿يَجْهَلُونَ﴾ (أَي: لَا تُحَسِّنُونَ خُطَابًا).

قوله: (أَي: لَا نَاصِرَ لِي) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْإِسْتِفْهَامَ إِنكَارِي.

قوله: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ الهمزة داخلية عَلَى مَحْذُوفٍ، وَالْفَاءُ عَاطِفَةٌ عَلَى ذَلِكَ الْمَحْذُوفِ، وَالتَّقْدِيرُ: أَتَأْمُرُونِي بِطَرْدِهِمْ فَلَا تَذَكَّرُونَ.

قوله: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ هَذَا رَدٌّ لِقَوْلِهِمْ: ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾، وَالْمُرَادُ بِ(خَزَائِنِ اللَّهِ): مَغْيِبَاتِهِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا وَلَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا إِلَّا هُوَ.

قوله: ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ رَدٌّ لِقَوْلِهِمْ: ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾... إلخ، وَالْمَعْنَى: مَا قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ، فَاطَّلَعَ عَلَى بَوَاطِنِكُمْ.

قوله: ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ رَدٌّ لِقَوْلِهِمْ: ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾.

قوله: ﴿تَزْدَرِي﴾ أَصْلُهُ: (تَزْتَرِي) فَقُلْتُ تَاءَ الْاِفْتِعَالِ دَالًا.

قوله: ﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ أَي: تَوْفِيقًا وَهَدًى.

قوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أَي: مِنْ إِيْمَانٍ وَكُفْرٍ.

إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَنْتُوخُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأِنَّا بِمَا نَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾

﴿إِنِّي إِذَا﴾: إِنْ قُلْتُ ذَلِكَ ﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿٣٢﴾ ﴿قَالُوا يَنْتُوخُ قَدْ جَدَلْتَنَا﴾: خَاصَمْتَنَا ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأِنَّا بِمَا نَعِدُنَا﴾: بِهِ مِنَ الْعَذَابِ ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: فِيهِ.

﴿٣٣﴾ ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ﴾: تَعْجِيلُهُ لَكُمْ، فَإِنَّ أَمْرَهُ إِلَيْهِ لَا إِلَيَّ، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: بِفَاتَتَيْنِ اللَّهُ.

﴿٣٤﴾ ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾: أَي: إِغْوَاءَكُمْ، - وَجَوَابُ الشَّرْطِ دَلٌّ عَلَيْهِ: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾: -، ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: قَالَ تَعَالَى:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قَدْ جَدَلْتَنَا﴾: أَي: شَرَعْتُ فِي جِدَالِنَا.

قوله: (به) قَدَرُهُ؛ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ عَائِدَ الْمَوْصُولِ مَحْذُوفٌ، وَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ (مَا) مَصْدَرِيَّةً، وَالْمَعْنَى: بِوَعْدِكَ إِنَّا نَا.

قوله: (فيه) أَي: فِي الْوَعْدِ.

قوله: (تَعْجِيلُهُ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ مَفْعُولَ ﴿شَاءَ﴾ مَحْذُوفٌ.

قوله: (بِفَاتَتَيْنِ اللَّهُ) أَي: بِفَارَّيْنِ مِنْ عَذَابِهِ.

قوله: (وجواب الشرط) أَي: الْأَوَّلُ، وَهَذَا مُرُورٌ عَلَى مَذْهَبِ الْبَصَرِيِّينَ الْقَائِلِينَ: إِنْ جَوَابُ الشَّرْطِ لَا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ، وَجَوَّزَهُ الْكُوفِيُّونَ؛ وَحِينَئِذٍ: يَكُونُ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ؛ فَإِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ.. فَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقَاعِدَةَ: إِذَا اجْتَمَعَ فِي الْكَلَامِ شَرْطَانِ وَجَوَاب.. يُجْعَلُ الْجَوَابُ لِلثَّانِي، وَالشَّرْطُ لِلثَّانِي وَجَوَابُهُ جَوَاباً عَنِ الْأَوَّلِ.

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْنَاهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْحَرُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا نَبْتِيسَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

﴿٣٥﴾ : ﴿أَمْ﴾ : بل ﴿يَقُولُونَ﴾ : أي : كُفَّار مَكَّة ﴿افْتَرَيْنَاهُ﴾ : اختلق مُحَمَّدُ الْقُرْآنَ ، ﴿قُلْ﴾ : **إِنِ افْتَرَيْنَاهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي** : إثمِي ، أي : عُقُوبَتُهُ ، ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْحَرُمُونَ﴾ : مِنْ إِجْرَامِكُمْ فِي نِسْبَةِ الْاِفْتِرَاءِ إِلَيَّ .

﴿٣٦﴾ : ﴿وَأَوْحَىٰ﴾ : إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا نَبْتِيسَ ﴿تَحْزَنُ﴾ : بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿مِنْ الشُّرْكِ﴾ ، فِدْعَا عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ : ﴿رَبِّ لَا نَذَرُ عَلَى الْأَرْضِ... إلخ﴾ [نوح : ٢٦] ، فَأَجَابَ اللَّهُ تَعَالَىٰ دُعَاءَهُ فَقَالَ :

حاشية الصاوي

قوله : (أي : كفار مكة) هذا أحد قولين ، والثاني وعليه أكثر المفسرين : أنَّ هذه الآية من جملة قصة نوح ، ويكون الضمير في ﴿افْتَرَيْنَاهُ﴾ عائداً على الوحي الذي جاءهم به نوح .

قوله : (أي : عقوبته) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف .

قوله : ﴿وَأَوْحَىٰ﴾ : الجمهور على أنه مبني للمفعول ، و(أنه) بالفتح في تأويل مصدر نائب فاعل ، وقرى شذوذاً بالبناء للفاعل ، و(إنه) بالكسر ؛ إما على إضمار القول ؛ أي : أوحى الله إلى نوح قائلاً : إنه ... إلخ ، أو بتضمين الإيحاء معنى القول^(١) .

قوله : ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾ : أي : لن يستمرَّ على الإيمان إلا مَنْ ثبت إيمانه وحصل ، فاندفع ما يقال : إن فيه تحصيل الحاصل .

قوله : (فدعا عليهم) أي : بعد اليأس من إيمانهم ، وحصول غاية المشقة له منهم ، فكانوا يضربونه حتى يسقط ، فيلقونه في البلد ويلقونه في بيت يظنون موته ، فيخرج في اليوم الثاني ويدعوهم إلى الله ، وكانوا يخنقونه حتى يغشى عليه ، فإذا أفاق .. قال : رب اغفر لقومي فإنهم لا يعملون . وكان الوالد منهم يوصي أولاده بعدم اتباعه ويقول : قد كان هذا الشيخ مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنوناً ؛ فلا يقبلون منه شيئاً ، فلما أوحى الله إليه بعدم إيمانهم .. دعا عليهم كما قال المفسر .

(١) وهي قراءة أبي البرهسم . انظر «الدر المصون» (٦/ ٣٢١) .

وَأَصْنَعَ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا وَلَا تَخْطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ

﴿٣٧﴾ وَأَصْنَعَ الْفُلْكَ: السَّفِينَةُ ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾: بِمَرَأَى مِنَّا وَحِفْظِنَا، ﴿وَوَحَيْنَا﴾: أَمَرْنَا، ﴿وَلَا تَخْطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كَفَرُوا بِتَرْكِ إِهْلَاكِهِمْ، ﴿إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾.

﴿٣٨﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ: حِكَايَةُ حَالٍ مَاضِيَةٍ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَصْنَعَ الْفُلْكَ﴾ يطلق مفرداً وجمعاً، والمراد هنا: المفرد، وكان طولها ثمانين ذراعاً، وعرضها خمسين، وطولها لجهة العلو ثلاثين ذراعاً، والذراع: إلى المنكب، وهذه أشهر الروايات، وقيل: كان طولها ألفاً ومئتي ذراع، وعرضها ست مئة ذراع، وقيل غير ذلك، وجعلها ثلاث طبقات؛ فالسفلى للوحوش والسباع والهوام، وفي الوسطى الدواب والأنعام، وركب هو ومن معه في العليا، وقيل: السفلى للدواب والوحوش، والوسطى للإنس، والعليا للطير، وأول ما حمله نوح الدرة، وآخر ما حمله الحمار؛ فلما أراد أن يدخل الحمار. . أدخل صدره، فتعلق إبليس بذنبه، فاستثقل رجلاه^(١)، وجعل نوح يقول له: ويحك ادخل، فينهق فلا يستطيع؛ حتى قال له: ادخل ولو كان الشيطان معك، فدخل، فقال له نوح: ماذا أدخلك عليّ يا عدو الله؟ قال: ألم تقل: ادخل وإن كان الشيطان معك؟! قال: اخرج عني يا عدو الله، قال: لا بدّ من أن تحملني معك. هكذا قيل، وقيل: إنه لم يحمله معه في السفينة، وهو الصحيح؛ لأنه لم يثبت في حمله خبر صحيح. ومكث في صنع السفينة مئتي سنة: مئة في غرس الأشجار، ومئة في عملها، وهي من خشب الساج^(٢).

قوله: (بمرأى منّا وحفظنا) دفع بذلك ما يقال: إنّ ظاهره مستحيل؛ لاستحالة الأعين بمعنى: الجارحة المعلومة على الله، فأجيب: بأنه أطلق الملزوم وأراد اللازم؛ لأنه يلزم من كون الشيء بالأعين: أنه مبالغ في حفظه.

قوله: ﴿وَلَا تَخْطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: لا تُراجعني في شأنهم؛ فإنّ الهلاك لا بدّ لهم منه.

قوله: (حكاية حال ماضية) أي: فالمضارع بمعنى الماضي.

(١) كذا في الأصول، ولعلّها: (فاستثقلت رجلاه)، والخبر عند الطبري في «تفسيره» (٣٩٨/١٢)، وفيه: (فلم تستقل رجلاه).

(٢) وانظر «تفسير الخازن» (٤٨٥/٢)، وفيه: (فلم تستقل رجلاه).

وَكُلَّمَا مَرَ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُثْقِمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ

﴿وَكُلَّمَا مَرَ عَلَيْهِ مَلَأٌ﴾ : جَمَاعَةٌ ﴿مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ : اسْتَهْزَؤُوا بِهِ، ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ إِذَا نَجَوْنَا وَغَرِقْتُمْ.

﴿٣٩﴾ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ﴾ - مَوْصُولَةٌ مَفْعُولُ الْعِلْمِ - ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ﴾ : يَنْزِلُ ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُثْقِمٌ﴾.

﴿٤٠﴾ ﴿حَتَّى﴾ غَايَةٌ لِلصَّنْعِ ﴿إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بِإِهْلَاكِهِمْ ﴿وَفَارَ التَّنُورُ﴾ لِلخَبَازِ بِالمَاءِ، وَكَانَ ذَلِكَ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَكُلَّمَا مَرَ عَلَيْهِ مَلَأٌ﴾ الجملة حالية، والتقدير: يصنع الفلك والحال أنه كلما مر... إلخ.

قوله: (استهزؤوا به) أي: فقالوا: صرت نجاراً بعد أن كنت نبياً، وكان يعمل السفينة في بركة لا ماء فيها، واستهزأؤهم إما لكونهم لا يعرفون السفينة ولا الانتفاع بها، أو لكونهم يعرفونها غير أنهم تعجبوا من صنعه لها في أرض لا ماء بها.

قوله: ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ﴾ أي: أنتم محل السخرية والاستهزاء؛ لأنَّ مَنْ كَانَ عَلَى أَمْرٍ بَاطِلٍ.. فَهُوَ أَحَقُّ بِالْاِسْتِهْزَاءِ وَالسَّخْرِيةِ، وَلَا حَاجَةَ لَكُنْ الْكَلَامِ مِنْ بَابِ الْمَشَاكِلَةِ.

قوله: (موصولة) أي: و(علم) عرفانية تنصب مفعولاً واحداً، ويصح أن تكون استفهامية و(علم) على بابها من كونها متعدية لاثنين، ويكون الثاني محذوفاً.

قوله: ﴿عَذَابٌ﴾ أي: وهو الغرق.

قوله: (غاية للصنع) أي: في قوله: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلُوكَ﴾.

قوله: ﴿وَفَارَ التَّنُورُ﴾ وكان من حجارة، ورثه من أمه حواء، والأشهر: أنه كان بالكوفة على يمين الداخل مما يلي باب كندة، والتنور: مما اتفق فيه لغة العرب والعجم؛ كالصابون.

قوله: (للخباز) أي: وهي امرأة نوح، وكان فورانه وقت طلوع الفجر.

قوله: (ذلك) أي: فوران التنور وغليانه.

قُلْنَا اَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَاَهْلَكَ

علامة لنوح، ﴿قُلْنَا اَحْمِلْ فِيهَا﴾: في السفينة ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾ أي: ذكر وأنثى، أي: من كل أنواعهما ﴿اثْنَيْنِ﴾ ذكرًا وأنثى، - وهو مفعول - وفي القصة أن الله حَسَرَ لِنُوحِ السَّبَاعَ وَالطَّيْرَ وَغَيْرَهُمَا، فَجَعَلَ يَضْرِبُ بِيَدَيْهِ فِي كُلِّ نَوْعٍ فَتَقَعَ يَدُهُ الْيُمْنَى عَلَى الذَّكَرِ وَالْيُسْرَى عَلَى الْأُنْثَى، فَيَحْمِلُهُمَا فِي السَّفِينَةِ، ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: زوجته

حاشية الصاوي

قوله: (علامة لنوح) أي: على الطوفان، وكان في الثالث والعشرين من أيب في شدة القيظ^(١).
قوله: ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾^(٢) المراد بالزوجين: كلُّ اثنين لا يستغني أحدهما عن الآخر كالذكر والأنثى، ويقال لكل منهما: زوج، والمعنى: من كل صنف زوجين ذكر وأنثى، قال الحسن: لم يحمل نوح معه إلا ما يلد أو يبيض، وأما ما سوى ذلك مما يتولد من الطين كالبق والبعوض.. فلم يحمل منه شيئاً^(٣).

وروى بعضهم: أن الحيّة والعقرب أتيا نوحاً وقالوا: احملنا معك، فقال: إنكما سبب البلاء؛ فلا أحملكما، فقالوا: احملنا ونحن نضمن لك ألا نضرَّ أحداً ذكرك؛ فمن قرأ حين يخاف مضرَّتهما: ﴿سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾.. لم يُضَرَّ^(٤).

قوله: (وهو مفعول) أي: لفظ ﴿اثْنَيْنِ﴾، وقوله: ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾ حالٌ منه مقدّم عليه.
قوله: (أي: زوجته) أي: التي أسلمت؛ لأنه كان له زوجتان: إحداهما آمنت فحملها، والأخرى لم تؤمن فتركها.

(١) وهو الشهر الحادي عشر من السنة القبطية.

(٢) قرأ العامة بإضافة (كل) لـ(زوجين)، وقرأ حفص بتنوين (كل)، فأما العامة فقليل: إن مفعول (احمل) (اثنين)، و﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾ في محل نصب على الحال من المفعول؛ لأنه كان صفة للنكرة، فلمَّا قُدِّمَ عليها نصب حالاً، وقيل: بل (من) زائدة، و(كل) مفعول به، و(اثنين) نعت لـ(زوجين) على التأكيد، وهذا إنما يتم على قول من يرى زيادة (من) مطلقاً، أو في كلام موجب، وأما قراءة حفص.. فمعناها: من كل حيوان، و(زوجين) مفعول به، و(اثنين) نعت على التأكيد، و(من كل) على هذه القراءة يجوز أن يتعلق بـ(احمل)، وهو الظاهر، وأن يتعلق بمحذوف على أنها حال من (زوجين). انظر «الدر المصون» (٦/٣٢٣).

(٣) انظر «تفسير الخازن» (٢/٤٨٥).

(٤) انظر «تفسير البغوي» (٢/٤٤٩).

إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنُ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَحْرِبَهَا وَمُرسَهَا.....

وأولاده، ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي: مِنْهُمْ بِالْإِهْلَاكِ وَهُوَ زَوْجَتُهُ وَوَلَدُهُ كَنَعَان، بِخِلَافِ سَام وَحَام وَيَافِثَ، فَحَمَلَهُمْ وَزَوَّجَتَهُمُ الثَّلَاثَةَ، ﴿وَمَنْ ءَامَنُ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قيل: كَانُوا سِتَّةَ رِجَالٍ وَنِسَاءَهُمْ، وَقِيلَ: جَمِيعُ مَنْ كَانَ فِي السَّفِينَةِ ثَمَانُونَ؛ نِصْفُهُمْ رِجَالٌ وَنِصْفُهُمْ نِسَاءٌ.

﴿٤١﴾ ﴿وَقَالَ﴾ نُوحٌ: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَحْرِبَهَا وَمُرسَهَا﴾ - بِفَتْحِ الْمِيمَيْنِ، وَضَمِّهِمَا: مَصْدَرَانِ - حَاشِيَةُ الصَّاوِي

قوله: (وأولاده) أي: الثلاثة وزوجاتهم.

قوله: ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي: القضاء بالغرق.

قوله: (أي: منهم) هذا التقييد من (سورة المؤمنون).

قوله: (وهو زوجته) أي: التي لم تؤمن، واسمها: واعلة، وقيل: واعكة، ورد: أنه قبل مجيء الطوفان بأربعين سنة أُصيبوا بالعقم، فلم يلدوا في تلك المدة كي لا تصيبهم الرحمة؛ من أجل وجود الصغار بينهم.

قوله: (بخلاف سام) وهو أبو العرب، وحام وهو أبو السودان، ويافث وهو أبو الترك.

قوله: (ثمانون) أي: اثنان وسبعون من الأمة، وهو وأولاده الثلاثة وزوجاتهم.

قوله: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا﴾ خطابٌ لمن معه.

قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ جَحْرِبَهَا وَمُرسَهَا﴾ حال من الواو في ﴿ارْكَبُوا﴾، والتقدير: قائلين: باسم الله... إلخ، و﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ خبرٌ مقدَّم، وقوله: ﴿جَحْرِبَهَا وَمُرسَهَا﴾ مبتدأ مؤخر، روي: (أنه كان إذا أراد أن تجري.. قال: باسم الله، فجرت، وإذا أراد أن ترسو.. قال: باسم الله، فرست)^(١).

قوله: (بفتح الميمين) سبق قلم؛ إذ فتح (مُرسها) شاذٌّ؛ فالصواب أن يقول: (بضم الميمين، أو فتح الأولى مع ضم الثانية).

قوله: (مصدران) راجع لكلٍّ من الفتح والضم.

إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْرَلٍ

أي: جريها ورُسوها، أي: مُتَّهَى سِيرها، ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ حيث لم يُهْلِكنا. ﴿٤٢﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴿٤٢﴾ في الارتفاع والعِظَم، ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ كنعان، ﴿وَكَانَ فِي مَعْرَلٍ﴾ عن السَّفِينَةِ:

حاشية الصاوي

قوله: (أي: جريها) هذا يناسب الفتح، وأما الضم.. فيقال في تفسيره: (أي: إجراؤها وإرساؤها).

قوله: ﴿كَالْجِبَالِ﴾ روي: أن الله أرسل المطر أربعين يوماً وليلة، وخرج الماء من الأرض، قال تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: ١١-١٢]، وارتفع الماء على أعلى جبل وأطولُه أربعين ذراعاً حتى أغرق كل شيء^(١).

وروي: أنه لما كثر الماء في السَّكِّ.. خافت أمُّ الصبي على ولدها من الغرق، وكانت تحبُّه حباً شديداً، فخرجت به إلى الجبل حتى بلغت ثلثه.. لحقها الماء، فارتفعت حتى بلغت ثلثيه؛ فلما لحقها الماء.. ذهبت حتى استوت على الجبل، فلما بلغ الماء إلى رقبتها.. رفعت الصبي بيديها حتى ذهب بهما الماء فأغرقهما؛ فلو رحم الله منهم أحداً.. لرحم أمُّ الصبي^(٢). ولا ينافي ما تقدّم من أنهم أصابهم العُقم أربعين سنة؛ لجواز أن يكون هذا الولد ابن أكثر من أربعين.

قوله: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ أي: قبل سير السفينة.

قوله: ﴿وَكَانَ فِي مَعْرَلٍ﴾ الجملة حالية من ضمير ﴿ابْنَهُ﴾، وقوله: ﴿يَبْنِي﴾... إلخ هذا هو المنادى به، و(بني) بثلاث ياءات: الأولى: ياء التصغير، والثانية: لام الكلمة، والثالثة: ياء المتكلم؛ تحرّكت الياء وانفتح ما قبلها، فُلبت ألفاً، فالتقى ساكنان، حذفت لالتقائهما، وأدغمت إحدى الياءين في الأخرى؛ فيُقرأ بفتح الياء وكسرها، قراءتان سبعيتان^(٣)، وقوله: ﴿أَرْكَبَ مَعْنَا﴾ بإظهار الباء وإدغامها في الميم، سبعيتان^(٤).

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/٤٨٥).

(٢) انظر «الدر المنثور» (٤/٤١٩).

(٣) قرأ عاصم بفتح الياء، والباقون بكسرها. انظر «السراج المنير» (٢/٥٩).

(٤) قرأ البزي وقالون وخلاذ بإظهار باء «اركب» قبل ميم «معنا»، والباقون بالإدغام. انظر «الدر المصون» (٦/٣٣٠).

يَبْنِيَّ أَرْكَبَ مَعْنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَتَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ
قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾

﴿يَبْنِيَّ أَرْكَبَ مَعْنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿٤٣﴾ ﴿قَالَ سَتَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي﴾: يَمْنَعُنِي ﴿مِنَ الْمَاءِ﴾ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ
اللَّهِ: عَذَابِهِ ﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ ﴿مَنْ رَحِمَ﴾ الله فهو المَعْصُومُ، قال تعالى: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا
الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: في البعد عن الركوب معنا.

إن قلت: لا يخلو الحال؛ إما أن يكون هذا الولد مسلماً أو كافراً؛ فإن كان مسلماً.. فيبعده
كونه في معزل، وإن كان كافراً.. فلم عطف عليه وناداه مع علمه بكفره؟

أجيب: بأنه ذكر العلماء أنه كان مُنافقاً يظهر الإسلام، ويخفي الكفر؛ فعند مجيء الطوفان ظهر
ما كان يُخفيه، ولا مانع من كون الله يخرج الكافر من المؤمن، وبالعكس.

وهذا الولد؛ قيل: كان من صلبه وهو الراجح، وقيل: ابن زوجته من نكاح غيره، وقيل: كان
ولد خبث ولدته زوجته على فراشه ولم يعلم به، وهذا القول غير وجيه؛ لقول ابن عباس: (ما بَعَثَ
امرأة نبي قط)^(١).

قوله: ﴿سَتَأَوِي﴾ أي: أَلْتَجئ.

قوله: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ (عبر المفسر بـ(لكن)؛ إشارة إلى أن الاستثناء منقطع؛ لأنَّ ما بعد (إلا)
هو المعصوم، وما قبلها هو العاصم، ولا شك أنه غيره.

قوله: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا﴾ أي: بين نوح وابنه.

قوله: ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ أي: الهالكين بالماء، ورد: أنه أوى إلى جبل عالٍ، فدخل في غار
منه، وسدَّ على نفسه من كل جهة، فغرق في بوله وغائطه^(٢).

(١) انظر «الدر المنثور» (٤/٤٣٨)، وهذا القول من بدع التفاسير، وهو قولٌ شنيعٌ يدلُّ على الجهل بمقام النبوة،
ثم هو مردودٌ بنص القرآن؛ فإنَّ الله تعالى قال قبل هذه الآية: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾، فنسب الابن إليه، وهذا دليلٌ قاطعٌ
على أنه ابنه لِصُلبه؛ إذ من المستحيل أن يكون ابن زناً وينسبهُ الله إليه، وأما قوله: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ فهو من حذف
الصفة؛ للعلم بها؛ أي: الموعود بإنجائهم؛ لأنه كافر، ولا نجاة لكافر. انظر «بدع التفاسير» (ص ٦٨).

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (٩/٣٠).

وَقِيلَ يَتَّارِضْ أَبْلَى مَاءٍكِ وَيَنْسَمَاءُ أَقْلَى وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ
بُعْدًا

﴿٤٤﴾ وَقِيلَ يَتَّارِضْ أَبْلَى مَاءٍكِ الَّذِي نَبَعَ مِنْكَ، فَشَرِبَتْهُ دُونَ مَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، فَصَارَ
أَنْهَاراً وَبِحَاراً، ﴿وَيَنْسَمَاءُ أَقْلَى﴾: أَمْسِكِي عَنِ الْمَطَرِ فَأَمْسَكْتَ، ﴿وَغِيضَ﴾: نَقَصَ ﴿الْمَاءِ
وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾: تَمَّ أَمْرُ هَلَاكِ قَوْمِ نُوحٍ، ﴿وَاسْتَوَتْ﴾: وَقَفَتِ السَّفِينَةُ ﴿عَلَى الْجُودِيِّ﴾: جَبَلٍ
بِالْجَزِيرَةِ بِقُرْبِ الْمَوْصِلِ، ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾: هَلَاكاً

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَقِيلَ يَتَّارِضْ﴾... إلخ) أي: أمر الله الأرض بذلك، والمراد: تعلقت قدرته بزوال
الماء؛ على حدّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]،
وهذا القول وقع يوم عاشوراء، ونزول نوح السفينة لعشر خلون من رجب، فكان مكثهم في السفينة
سته أشهر، فلما نجوا.. صاموا جميعاً حتى الطيور والوحوش يوم عاشوراء؛ شكراً لله على النجاة،
ومرّت السفينة بالبيت الحرام، فطافت به سبع مرات، وأودع الله الحجر الأسود في جبل أبي قبيس.
وورد: (أن نوحاً حمل أباه آدم معه في السفينة)^(١).

قوله: (فصار أنهاراً وبحاراً) أي: فماء السماء بقي في أماكن من الأرض أنهاراً وبحاراً، وماء
الأرض ابتلعه الأرض، فصار في باطنها.

قوله: (نقص) أي: ولم يذهب بالكلية؛ لما علمت من بقاء ماء السماء.

قوله: (جبل بالجزيرة) هي مدينة بالعراق، روي: أن الله أوحى إلى الجبال أن السفينة تُرْسَى
على واحد منها، فَتَطَاوَلَتْ، وبقي الجودي لم يتناول؛ تواضعاً لله، فاستَوَتْ السفينة عليه، وبقيت
على أعوادها، وفي الحديث: «لقد بقي منها شيء أدركه أوائل هذه الأمة»^(٢)، ورد: أنهم لما
خرجوا من السفينة.. بنوا قرية، وسموها الثمانين؛ لأنهم كانوا ثمانين^(٣).

قوله: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾) منصوبٌ على المصدر بفعل مقدر؛ أي: بعدوا بُعْدًا، فهو مصدر بمعنى
الدعاء عليهم.

(١) حمل جسد أبيه آدم عليهما السلام، ووضعه بين الرجال والنساء. انظر «الدر المنثور» (٤/٤٢٥).

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (٩/٤١).

(٣) انظر «الدر المنثور» (٤/٤٣١).

لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَنْتُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ

﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين .

﴿٤٥﴾ ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي﴾ كنعان ﴿مِنْ أَهْلِي﴾ وقد وعدتني بنجاتهم، ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ الَّذِي لَا خُلْفَ فِيهِ، ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾: أَعْلَمُهُمْ وَأَعْدَلُهُمْ .

﴿٤٦﴾ ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿يَنْتُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الناجين، أو من أهل دينك، ﴿إِنَّهُ﴾ أي: سؤالك إِيَّايَ بنجاته ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾؛ فَإِنَّهُ كَافِرٌ وَلَا نَجَاةَ لِلْكَافِرِينَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: فهلكوا جميعاً حتى البهائم والطيور والأطفال على القول بأنهم لم يعقموا، ولا يُسأل عمّا يفعل، وهذا الغرق عقوبة للمكلفين، لا غيرهم .

قال بعضهم: هذه الآية أبلغ آية في القرآن؛ لاحتوائها على أحد وعشرين نوعاً من أنواع البديع، والحال أنَّ كلماتها تسعة عشر. وخطبت الأرض أولاً بالبلع؛ لأنَّ الماء نبع منها أولاً قبل أن تمطر السماء^(١).

قوله: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ﴾ أي: قبل مسير السفينة .

قوله: ﴿فَقَالَ﴾ هذا تفصيلٌ للنداء .

قوله: ﴿وقد وعدتني بنجاتهم﴾ أي: المدلول عليها بقوله: ﴿قُلْنَا أَخْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾ .

قوله: ﴿الناجين، أو من أهل دينك﴾ أشار المفسر إلى أنَّ الكلام إما على حذف الصفة، أو على حذف المضاف .

قوله: ﴿أي: سؤالك﴾ أشار بذلك إلى أنَّ الضمير في ﴿إنه﴾ عائدٌ على نوح، على حذف مضاف، والمعنى: قال الله له: يا نوح؛ إنَّ سؤالك عملٌ غيرُ صالح؛ أي: غير مقبول؛ لأنَّ الله لا يقبل

(١) كذا في «الفتوحات» (٤١٩/٢) نقلاً عن شيخه العلامة الأجهوري، وقد فصلها المفسر رحمه الله في كتابه «مُعْتَرِك

فَلَا تَسْتَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾

- وفي قراءة بِكسرِ ميم (عَمِلَ) فعل ونَصَبٍ (غَيْرِ)، فالضَّمِيرُ لِابْنِهِ - ﴿فَلَا تَسْتَلِنِ﴾ - بِالتَّشْدِيدِ والتَّخْفِيفِ - ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ مِنْ إِنْجَاءِ ابْنِكَ، ﴿إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بِسُؤَالِكَ مَا لَمْ تَعْلَمْ.

حاشية الصاوي

الشفاعة إلا في المسلمين؛ فسؤالك خطأ، وذلك نظير استغفار إبراهيم لأبيه، وهذا غيرُ قاذح في منصب النبوة؛ لأنَّ نوحاً كان يظنُّ إسلام ولده؛ لأنه كان يظهره، ومن المعلوم: أنَّ الرسل يحكمون بالظاهر، وقيل: إن الضمير عائد على الولد، ويقال في الإخبار عنه بـ(عمل) ما قيل في: (زيد عدل)، وهو الراجع^(١).

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(٢).

قوله: (ونصب «غير») أي: على المفعولية لـ(عَمِلَ).

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فعلى التخفيف تسكَّن اللام، وعلى التشديد تُفْتَح اللام، وفي قراءة التخفيف وجهان: حذف الياء، وإثباتها، وفي قراءة التشديد ثلاث: فتح النون مع حذف الياء لا غير، وكسر النون مع حذف الياء، وإثباتها، وكل هذا في حال الوصل، وأما عند الوقف.. فلا تثبت أصلاً^(٣).

قوله: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: ما لا تعلم أنه صواب أم لا.

قوله: ﴿إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ هذا العقاب فيه رفق وتلطُّف، والمعنى: كأنَّ الله يقول له: إنَّ مقامك عظيم، فشأنك ألاَّ تسأل ولا تشفع إلا فيمن يرجى فيه النجاة، وأمَّا فيمن تجهل قبول الشفاعة فيه.. فلا يليق منك أن تُقَدِّم على السؤال فيه.

(١) وهو أن المصادر يُخبر بها عن الذوات إذا لزم ذلك المعنى لتلك العين حتَّى صار كأنَّه هو؛ كما مثَّل المصنف رحمه الله تعالى.

(٢) قرأ الكسائي: «عَمِلَ» فعلاً ماضياً، و«غير» نصباً، والباقون: «عَمِلَ» بفتح الميم وتنوينه على أنه اسم. انظر «الدر المصون» (٦/٣٣٦).

(٣) قرأ نافع وابن عامر بتشديد النون مكسورة من غير ياء، وابن كثير بتشديدها مع الفتح، وأبو عمرو والكوفيون بنون مكسورة خفيفة. انظر «الدر المصون» (٦/٣٣٧).

قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنُوحُ أَهَيْطَ
.....

﴿٤٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ ﴿٤٧﴾ مِنْ ﴿أَنْ أَشْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي﴾ مَا فَرَطَ
مِنِّي ﴿وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ .

﴿٤٨﴾ قِيلَ يَنُوحُ أَهَيْطَ ﴿٤٨﴾ : انْزِلْ مِنَ السَّفِينَةِ
.....

حاشية الصاوي

قوله : ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِكَ﴾ أي : أتحصن بك .

قوله : ﴿أَنْ أَشْأَلَكَ﴾ أي : بعد ذلك .

قوله : (ما فرط مني) أي : تقدّم وسلف ، وهو الإقدام على سؤال ما ليس لي به علم ، وهذا لا يقتضي
صدور ذنب من نوح ؛ إذ هو معصوم من الذنوب كبيرها وصغيرها ؛ لأنّ الله وعد نوحاً عليه السلام بأن
يُنْجِيه وأهله ، فأخذ نوحٌ بظاهر اللفظ واتبع التأويل ؛ حيث ظنّ أن ولده من جملة أهله الناجين ، فلما
عابه ربّه . . رجع على نفسه باللوم والندم مما وقع منه ، وسأله المغفرة والرحمة ، وذلك كما وقع لآدم
في الأكل من الشجرة ، وليست هذه ذنباً ، بل هي من باب : حسنات الأبرار سيئات المقربين .

قوله : ﴿قِيلَ يَنُوحُ أَهَيْطَ﴾ أي : سلامة وأمن ، ودخل في هذا السلام كلُّ مؤمن ومؤمنة
إلى يوم القيامة ، وفيما بعده من المتاع والعذاب كلُّ كافر وكافرة إلى يوم القيامة .

قوله : (انزل من السفينة) وردّ : أنه لما نزل بها . . أراد أن يبعث من يأتيه بخبر الأرض ، فقال
الدجاج : أنا ، فأخذه وختم على جناحه وقال لها : أنت مختومة بخاتمي لا تطيري أبداً ، تنتفع بك
أمتي ، فبعث الغراب ، فأصاب جيفةً ، فوقع عليها فاحتبس ، فلّعه ودعا عليه بالخوف ؛ فلذلك يقتل
في الحل والحرم ، ولا يَأْلَفُ البيوت ، وبعث الحمامة فلم تجد قراراً ، فوقع على شجرة بأرض
سبأ ، فحملت ورقة زيتون ورجعت إلى نوح ، فعلم أنها لم تتمكن من الأرض ، ثم بعثها بعد ذلك ،
فطار حتى وقفت بوادي الحرم ؛ فإذا الماء قد ذهب من موضع الكعبة ، وكانت طينتها حمراء ،
فاختضبت رجلاها ، ثم جاءت إلى نوح فقالت : بُشراي منك أن تهب لي الطوق في عُنقي ،
والخضاب في رجلي ، وأن أسكن الحرم ، فمسح يده على عنقها وطوقها ، ووهب لها الحمرة
في رجلاها ، ودعا لها ولذريتها بالبركة^(١) .

يَسْلَمِ مِنَّا وَبَرَكَتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمِّهِ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمُّهُمْ سَنَمِتُهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُنْفِقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ.....

﴿يَسْلَمِ﴾: بِسَلَامَةٍ أَوْ بِتَحِيَّةٍ ﴿مِنَّا وَبَرَكَتٍ﴾: خَيْرَاتٍ ﴿عَلَيْكَ وَعَلَى أُمِّهِ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ في السَّفِينَةِ أَي: مِنْ أَوْلَادِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ، ﴿وَأُمُّهُمْ﴾ - بِالرَّفْعِ - مِمَّنْ مَعَكَ ﴿سَنَمِتُهُمْ﴾ في الدُّنْيَا ﴿ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الْآخِرَةِ وَهُمْ الْكُفَّارُ.

﴿٤٩﴾ ﴿تِلْكَ﴾ أَي: هَذِهِ الْآيَاتُ الْمُتَضَمِّنَةُ قِصَّةَ نُوحٍ ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾: أَخْبَارٍ مَا غَابَ عَنْكَ، ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ، ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ الْقُرْآنُ، ﴿فَاصْبِرْ﴾ عَلَى التَّبْلِغِ وَأَذَى قَوْمِكَ كَمَا صَبَرَ نُوحٌ، ﴿إِنَّ الْعَقِيبَةَ﴾ الْمَحْمُودَةَ ﴿لِلْمُنْفِقِينَ﴾. ﴿٥٠﴾ ﴿وَأَرْسَلْنَا﴾ إِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ ﴿مِنْ الْقَبِيلَةِ﴾ هُودًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ:

حاشية الصاوي

قوله: (أي: من أولادهم... إلخ) أشار بذلك إلى أن (من) تبعية، والكلام على حذف مضاف، والمعنى: وعلى أمم من ذرية من معك.

قوله: (﴿وَأُمُّهُمْ سَنَمِتُهُمْ﴾) يقال فيه ما قيل فيما قبله؛ أي: وأمم من ذرية من معك سَنَمِتُهُمْ... إلخ، والمعنى: أن ذرية الأمم الذين معه بعضها مؤمن؛ فعليه السلام، وبعضها كافر؛ فيمتنع في الدنيا، ثم يمسه العذاب الأليم في الآخرة، والذرية المذكورة لم تكن إلا من أولاده الثلاثة كما تقدّم، فهو الأب الثاني للخلق بعد آدم.

قوله: (﴿تِلْكَ﴾) مبتدأ، أخبر عنه بثلاثة أخبار.

قوله: (﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا﴾) أي: تفصيلاً.

قوله: (﴿فَاصْبِرْ﴾) هذا هو المقصود من ذكر تلك القصة؛ أي: فتسلّ ولا تحزن على عدم إيمان المشركين، ولا تنزعج من أذاهم.

قوله: (﴿وَإِلَى عَادٍ﴾) الجملة معطوفة على جملة ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ عطف قصة على قصة، وآخر هوداً؛ لأنه متأخر عن نوح في الزمن؛ إذ هو من أولاد سام بن نوح، وبين هود ونوح ثمان مئة سنة، و(عاد): اسم قبيلة تُنسب إلى أبيها عاد من ذرية سام بن نوح، وهود ينسب له؛ لأنه من تلك القبيلة؛ لأن عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح، وهود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد، وعاش هود أربع مئة سنة وأربعاً وستين سنة.

مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُٗٓ إِنَّ أَنتُمْ إِلَّا مُفْرَوُونَ ﴿٥٠﴾ يَنْقُومِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَنْقُومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ

وَحُدُوه، ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ﴾ - زائدة - ﴿إِلَهِ غَيْرُهُٗٓ إِنَّ﴾ : ما ﴿أَنتُمْ﴾ في عِبَادَتِكُمُ الْاَوْثَانِ ﴿إِلَّا مُفْرَوُونَ﴾ : كاذِبُونَ عَلَى اللَّهِ.

﴿٥١﴾ ﴿يَنْقُومِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ : عَلَى التَّوْحِيدِ ﴿أَجْرًا إِنَّ﴾ : ما ﴿أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ : خَلَقَنِي، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿٥٢﴾ ﴿وَيَنْقُومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ مِنْ الشَّرِكِ، ﴿ثُمَّ تُوبُوا﴾ : ارْجِعُوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بِالطَّاعَةِ، ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ الْمَطَرُ،

حاشية الصاوي

قوله: (وَحُدُوه) أي: وسمي التوحيد عبادة؛ لأنه أساسها ورأسها.

قوله: (﴿مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُٗٓ﴾) : نافية، و﴿لَكُمْ﴾ خبر مقدم، و﴿إِلَهِ﴾ مبتدأ مؤخر، و﴿غَيْرُهُٗٓ﴾ صفته، و(مِن) زائدة كما قال المفسر.

قوله: (كاذبون على الله) أي: حيث ادَّعَيْتُمْ أَنَّ اللَّهَ شُرَكَاءَ وَعَبَدْتُمُوهُمْ.

قوله: (﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾) أي: ليس مقصدي من تبليغ التوحيد والأحكام لكم: أنكم تعطوني^(١) أجراً على ذلك من مالٍ أو غيره، والمقصود من ذلك الخطاب: إراحة قلوبهم، واللفظ بهم، عسى أن يقبلوا ما جاء به بقلب سليم. وعبر هنا ب﴿أَجْرًا﴾، وفي قصة نوح ب﴿مَالًا﴾؛ تَفَنَّنَا.

قوله: (﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾) أي: لأنه هو المعطي المانع، الضار النافع، المقدم المؤخر؛ فلا أطلب من غيره.

قوله: (﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾) الهمزة داخلية على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أجهلتم وعميتم فلا تعقلون؟!

قوله: (﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾) أي: من كل ذنب مضى، وقوله: (﴿تُوبُوا إِلَيْهِ﴾) أي: أقبلعوا واعزموا على عدم الرجوع في المستقبل.

(١) كذا في الأصول، وهي لغة معروفة.

عَلَيْكُمْ مَذَرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ

وكانوا قد منعوهُ ﴿عَلَيْكُمْ مَذَرَارًا﴾: كثير الدُّرُور، ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى﴾: مع ﴿قُوَّتِكُمْ﴾
بالمال والولد، ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾: مُشْرِكِينَ.

﴿٥٣﴾ ﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾: بُرْهَانٍ عَلَى قَوْلِكَ، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾ أَي: لِقَوْلِكَ، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

(﴿٥٤﴾ - ﴿٥٥﴾) ﴿إِنْ﴾: مَا ﴿نَقُولُ﴾ فِي شَأْنِكَ ﴿إِلَّا اعْتَرَاكَ﴾: أَصَابَكَ ﴿بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ فَخَبَلَكَ لِسَبِّكَ إِيَّاهَا، فَأَنْتَ تَهْذِي، ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ عَلَيَّ

حاشية الصاوي

قوله: (وكانوا قد منعوهُ) أي: ثلاث سنين.

قوله: ﴿مَذَرَارًا﴾ حال من ﴿السَّمَاءِ﴾ أي: كثيرة النزول والتتابع.

قوله: (كثير الدرور) أي: فيقال: دَرٌّ يَدُرُّ دَرًّا، ودُرُورًا، فهو مِدْرَار.

قوله: (بالمال والولد) أي: وكانت قد عَقَمَتْ نساؤهم ثلاث سنين لم تلد.

قوله: ﴿قَالُوا يَهُودُ﴾ أي: استهزاء وعنادًا.

قوله: ﴿بَيِّنَةٍ﴾ أي: معجزة، وكانت مُعْجَزَتُهُ التي قامت بها الحجة عليهم ما يأتي في قوله: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾؛ فعصمته منهم هي معجزته، وكذا مُعْجَزَةُ نُوحٍ التي قامت بها الحجة عليهم في قوله: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً...﴾ [يونس: ٧١] الآية، وأما الريح والطوفان وإن كان كلُّ معجزة فيها هلاكهم... لإقامة الحجة عليهم.

قوله: (برهان) أي: دليل واضح على صحته.

قوله: (أي: لقولك) أشار بذلك إلى أَنَّ (عن) بمعنى لام التعليل.

قوله: ﴿إِنْ نَقُولُ﴾ أي: في شأنك.

قوله: (فخبلك) أي: أفسد عقلك، قوله: (لسببك) علة لقوله: (فخبلك).

قوله: (فأنت تهذي) أي: تتكلم بالهذيان، وهو: الكلام الساقط الذي لا معنى له.

وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا.....

﴿وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ به ﴿مِن دُونِهِ فَكِدُونِي﴾: احتالوا في هلاكي ﴿جَمِيعًا﴾ أنتم وأوثانكم، ﴿ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ﴾: تمهلون.

﴿٥٦﴾ ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن﴾ - زائدة - ﴿دَابَّةٍ﴾: نَسَمَةٌ تَدِبُ عَلَى الْأَرْضِ ﴿إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ أي: مَالِكُهَا وَقَاهِرُهَا، فَلَا نَفْعَ وَلَا ضَرَرَ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَخَصَّ النَّاصِيَةَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّ مَنْ أَخَذَ بِنَاصِيَتِهِ يَكُونُ فِي غَايَةِ الدَّلِّ، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: طَرِيقَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ.

﴿٥٧﴾ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ - فِيهِ حَذْفُ إِحْدَى التَّائِينَ - أي: تُعْرِضُوا.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾﴾ أي: خالصٌ ومتبرئٌ من جميع ما تُشركون مع الله.

قوله: ﴿﴿فَكِيدُونِي﴾﴾ بإثبات الياء وصلًا ووقفًا هنا لجميع القراء، والتي في (المرسلات) بحذفها لجميعهم، وأما التي في (الأعراف) فمن ياءات الزوائد؛ فتحذف وقفًا، ويجوز حذفها وإثباتها في الوصل. قوله: ﴿﴿ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ﴾﴾ أي: لا تؤخِّرون^(١) حتى آتي بشيء يحفظني من قراءة أو سلاح أو غير ذلك، وهذا من شدة وثوقه بربه، واعتماده عليه.

قوله: ﴿﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ﴾﴾ أي: فَوَّضْتُ أُمُورِي إِلَيْهِ، واعتمدت عليه.

قوله: ﴿﴿رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾﴾ هذا تبكيثٌ عليهم.

قوله: ﴿﴿فَلَا نَفْعَ وَلَا ضَرَرَ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾﴾ أي: وأنتم من جملة الدواب، فليس لكم تأثيرٌ في شيء أصلاً.

قوله: ﴿﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾﴾ شرطٌ حذف جوابه؛ لدلالة قوله: ﴿﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ...﴾﴾ إلخ عليه، والتقدير: فلا عذر لكم، ولا مؤاخذه عليّ؛ فقد أبلغتكم... إلخ^(٢).

(١) كذا في الأصول؛ بحذف ياء الضمير تخفيفاً، ومُراعاة للفظ الآية.

(٢) كذا في «الفتوحات» (٢/٤٢٥) نقلاً عن العلامة الأجهوري، وقال الزمخشري في «الكشاف» (٢/٣٨٣): ﴿﴿فإن قلت: =

فَقَدْ أَتَيْنَاكُمْ مَا أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيطٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ءَادٌ.....

﴿فَقَدْ أَتَيْنَاكُمْ مَا أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾ بإشراككم، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيطٌ﴾: رقيب.

﴿٥٨﴾ ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾: عذابنا ﴿وَنَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾: هداية ﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: شديد.

﴿٥٩﴾ ﴿وَتِلْكَ ءَادٌ﴾ إشارة إلى آثارهم، أي: فسيحوا في الأرض وانظروا إليها،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي﴾... إلخ) هذا وعيد شديد مترتب على إعراضهم، والمعنى: فإن تعرضوا عن الإيمان.. فلا مؤاخذه عليّ، بل يقبلني ربي، ويهلككم ويستخلف غيركم، ولا تضرّونه شيئاً بإعراضكم، بل ما ضرّ إلا أنفسكم.

قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيطٌ﴾) أي: فلا يخفى عليه أحوالكم، بل يجازي كلّ أحدٍ بعمله. قوله: (عذابنا) أي: وهو الريح الصّرصر المذكور في قوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ...﴾ [الحاقة: ٧] الآية، فأصابهم صبيحة الأربعاء لثمان بقين من شوال، وكان يدخل من أنف الواحد ويخرج من دبره، فيرفعه في الجو، فيسقط على الأرض، فتقطع أعضاؤه، وقد تقدّم بسطها في (الأعراف) (١).

قوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾) أي: وكانوا أربعة آلاف.

قوله: ﴿وَتِلْكَ ءَادٌ﴾) مبتدأ وخبرٌ على حذف مضاف كما أشار له المفسّر؛ أي: آثار عاد.

قوله: (في الأرض) أي: أرضهم.

قوله: (وانظروا إليها) أي: لتعتبروا، وهو خطابٌ للنبي ﷺ وأُمَّته، ولكن المراد: الأمة.

= الإبلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط؟ قلت: معناه: فإن تولوا لم أعاتب على تفريط على الإبلاغ، وكنتم محجوجين بأن ما أرسلت به إليكم قد بلغكم فأيتّم إلا التكذيب وعداوة الرسول).

(١) انظر (٢/٥٦٠).

جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ إِلَّا إِنَّا عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمِرُ اعْبُدُوا اللَّهَ.....

ثُمَّ وَصَفَ أحوالهم فقال: ﴿جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ جُمِعَ لِأَنَّ مَنْ عَصَى رَسُولًا عَصَى جَمِيعَ الرُّسُلِ؛ لِاشْتِرَاكِهم فِي أَصْلِ مَا جَاءُوا بِهِ وَهُوَ التَّوْحِيدُ، ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ أَيِ: السَّفَلَةِ ﴿أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾: مُعَانِدٍ لِلْحَقِّ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ.

﴿٦٠﴾ ﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ مِنَ النَّاسِ، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ لَعْنَةً عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، ﴿إِلَّا إِنَّا عَادًا كَفَرُوا﴾: جَحَدُوا ﴿رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدًا﴾ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴿لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾.

﴿٦١﴾ ﴿وَ﴾ أَرْسَلْنَا ﴿إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ مِنَ الْقَبِيلَةِ ﴿صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمِرُ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: وَحُدُوهُ،.....

حاشية الصاوي

قوله: (لأن من عصى رسولاً... إلخ) جوابٌ عما يقال: لِمَ جُمِعَ الرسل مع أنهم عَصَوْا رسولاً واحداً وهو هود؟!

قوله: ﴿عَنِيدٍ﴾ (أي: مُعَانِدٍ متجاوزٍ فِي الظلم).

قوله: ﴿لَعْنَةً﴾ (أي: طرداً وَبُعْداً).

قوله: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ لَعْنَةً (أي: طرداً عن رحمة الله، وهي الجنة وما فيها؛ لِاتِّصَافِهِم بِالشَّقَاوَةِ الدَّائِمَةِ الْمَوْجِبَةِ لِلْخُلُودِ فِي النَّارِ).

قوله: ﴿إِلَّا إِنَّا عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ (هذا بيان لِسَبَبِ اسْتِحْقَاقِهِمُ لِلْعَتْنِ).

قوله: ﴿إِلَّا بَعْدًا لِعَادٍ﴾ (هذا هو معنى قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، وَذِكْرُهُ تَأْكِيداً وَإِشَارَةً إِلَى أَنَّهُمْ مُسْتَحَقُونَ لذلك).

قوله: ﴿قَوْمِ هُودٍ﴾ (بدل من (عاد)، واحترز به عن (عاد) الثانية، وهي المسماة بـ: ثمود، وهي قوم صالح الآتية قَصَّتْهم بعدُ).

قوله: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ﴾ (عطف على قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ عطف قصة على قصة، وَقَدَّرَ الْمُفَسِّرُ (أرسلنا)؛ إِشَارَةً إِلَى أَن قَوْلَهُ: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ الْأَوَّلَ مَسْلُطٌ عَلَيْهِ، فَهُوَ مِنْ عَطْفِ الْجُمْلِ، وَ(ثمود) هنا بمنع

مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾

﴿مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ﴾ : ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ ﴿مِّنَ الْأَرْضِ﴾ بِخَلْقِ أَبِيكُمْ آدَمَ مِنْهَا، ﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ : جَعَلَكُمْ عُمَّارًا تَسْكُنُونَ بِهَا، ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ : مِنَ الشَّرْكِ، ﴿ثُمَّ تَوْبُوا﴾ : ارْجِعُوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بِالطَّاعَةِ، ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ : مِنْ خَلْقِهِ بِعِلْمِهِ، ﴿مُجِيبٌ﴾ : لِمَنْ سَأَلَهُ.

حاشية الصاوي

الصرف باتفاق القراء العشرة، وقرئ شاذًا بالصرف^(١)، بخلاف ما يأتي في قوله: ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُدَا لِثَمُودَ﴾ [هود: ٦٨] فبالصرف وعدمه، قراءتان سبعتان^(٢).

وتمود: اسم أبي القبيلة، سُمِّيَتْ باسمه لِشَهرته، وبين صالح وبينه خمسة أجداد، وبين صالح وهود مئة سنة، وعاش صالح مئتي سنة وثمانين سنة.

قوله: ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ﴾ هذا دليلٌ على كونه هو المستحقُّ للعبادة، دُون غيره.

قوله: ﴿مِّنَ الْأَرْضِ﴾ أي: مباشرة، أو بواسطة؛ فالأول: كخلق آدَمَ مِنْهَا، والثاني: كخلق مواد التُّظف التي منها النوع الإنساني.

قوله: (جعلكم عُمَّارًا تسكنون بها) أي: خُلُفاء في الأرض، ويصح أن يكون المعنى: جعلكم مُعَمَّرين لها بعد أن خربت.

قوله: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ أي: من الذنوب التي مضت.

قوله: ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ أي: أقبلوا عن الذنوب في المستقبل.

قوله: (بعلمه) أي: فالمراد: قرب مكانة ورفعة، والمعنى: أن الله قريبٌ من خلقه قريباً معنوياً منزهاً عن الإحاطة والجهة، فهو أقربُ من نور العين لها، ومن سمع الأذن لها، ومن لمس الجسم له، ومن شم الأنف له، سبحانه وتعالى.

قوله: ﴿مُجِيبٌ﴾ أي: فلا يخيب سائلاً.

(١) وبها قرأ الأعمش ويحيى بن وثاب. انظر «الدر المصون» (٦/٣٤٦).

(٢) قرأ حفص وحمزة: (ألا إن ثمود) بغير تنوين، والباقون بالتنوين، وقرأ الكسائي: (بعداً لثمود) بتنوين (ثمود) مع الكسر، والباقون بغير تنوين مع الفتح. انظر «السراج المنير» (٢/٦٨).

قَالُوا يَصْلِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَنَّا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا
تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَتَقَوَّرُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً
فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ

﴿٦٢﴾ قَالُوا يَصْلِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا نَرْجُو أَنْ تَكُونَ سَيِّدًا ﴿قَبْلَ هَذَا﴾ الَّذِي صَدَرَ
مِنْكَ، ﴿أَتَنْهَنَّا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ مِنَ الْأَوْثَانِ، ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ مِنَ
التَّوْحِيدِ ﴿مُرِيبٌ﴾: مُوقِعٌ فِي الرَّيْبِ.

﴿٦٣﴾ قَالَ يَتَقَوَّرُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ: بَيَانٍ ﴿مِنْ رَبِّي وَءَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾:
نُبُوءَةً، ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي﴾: يَمْنَعُنِي ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أَي: عَذَابِهِ

حاشية الصاوي

قوله: (نرجو أن تكون سيِّداً) أي: لأنه كان يُعِينُ ضَعِيفَهُمْ، وَيُعْطِي فَقِيرَهُمْ، وَكَانُوا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ
فِي الْأُمُورِ قَبْلَ تِلْكَ الْمَقَالَةِ، فَلَمَّا حَصَلَتْ.. قَالُوا: قَدْ انْقَطَعَ رَجَاؤُنَا فَيْكَ.

قوله: (الذي صدر منك) أي: وهو نهيمهم عن عبادة الأوثان.

قوله: ﴿أَتَنْهَنَّا أَنْ نَعْبُدَ﴾ أي: أتنهانا عن عبادة الذي كان يعبدُه آبَاؤُنَا؟ وقوله: (من الأوثان)
بيان لـ(ما).

قوله: ﴿وَإِنَّا﴾ هذا هو الأصل، ويصح (وإنّا) بنون واحدة مشددة؛ ولذا قرئ به في (سورة
إبراهيم) ^(١).

قوله: ﴿مُرِيبٌ﴾ وصف لـ﴿شَكِّ﴾، والإسناد مجازيٌّ، وحقُّ الإسناد لصاحبه.

قوله: (موقع في الرِّيب) أي: الدائم.

قوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أي: أخبروني.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ أي بـ(إن) مشاكلةً لاعتقادهم فيه، ومُسايرةً لخطابهم.

قوله: (بيان) أي: برهانٍ وحجّةٍ واضحة.

قوله: (أي: عذابه) أشار بذلك إلى أَنَّ الكلامَ على حذف مضاف.

(١) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْتِيَكُم بَبْؤًا مِنَ الذِّبْرِ مِنْ قَوْلِهِمْ قَوْلُ نَوْجٍ وَعَكَاذٌ وَمُؤَدَّاتٌ مِنَ الذِّبْرِ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ
جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ قَرْدُوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ، وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾.

إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَنْقُورُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ دَارِكُمْ

﴿إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ بِأَمْرِكُمْ لِي بِذَلِكَ ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾: تَضْلِيلٌ.

﴿٦٤﴾ وَيَنْقُورُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ - حال عامِلُهُ الإِشَارَةُ -، ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾: عَقَرِ ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾: إِنْ عَقَرْتُمُوهَا.

﴿٦٥﴾ ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عَقَرَهَا قَدَارَ بِأَمْرِهِمْ، ﴿فَقَالَ﴾ صَالِحٌ: ﴿تَمَتَّعُوا﴾: عِيشُوا ﴿فِي دَارِكُمْ﴾ دَارِكُمْ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ أي: على فرض وقوع المعصية مني، وإلا.. فهي مستحيلة عليه؛ كبيرها وصغيرها، قبل النبوة وبعدها.

قوله: ﴿بِأَمْرِكُمْ لِي بِذَلِكَ﴾ أي: بعصيانه وموافقكم.

قوله: ﴿تَضْلِيلٌ﴾ أي: لي إِنْ أَتَبَعْتَكُمْ، والمعنى: أخبروني إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ وَنَبْوَةٍ مِنْ رَبِّي.. فلا أحد يمنعني من عذاب الله إِنْ أَتَبَعْتَكُمْ وَعَصَيْتُهُ؛ وحينئذ: أكون خاسراً مضيعاً لما أعطاني الله من الحق، وهل رأيتم نبياً صار كافراً؟! وكلُّ هذا تنزُّلٌ منه لهم.

قوله: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾ أي: وقد طلبوا منه أَنْ يَخْرُجَ لَهُمْ نَاقَةٌ مِنْ صَخْرَةٍ عَيْنُوهَا؛ حيث قالوا: أَخْرِجْ لَنَا مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ نَاقَةً وَبَرَاءً عُشْرَاءً، فدعا الله، فتمخَّضت الصخرة كما تتمخَّض النساء عند الولادة، فخرجت منها ناقةٌ كما وصفوا، فولدت الناقة في الحال فصيلاً قدرها في الجنة يُشَبِّهُهَا، وأضيفت الناقة له تشريفاً؛ أي: لا اختصاص لأحد بها^(١).

قوله: ﴿تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ أي: من العشب والنبات، وفي الكلام اكتفاء؛ أي: وتشرب من ماء الله، على حدٍّ: ﴿سَرَّيْلَ تَفِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أي: والبرد.

قوله: ﴿قَرِيبٌ﴾ أي: عاجلٌ لا يتأخَّرُ عنهم إلا ثلاثة أيام.

قوله: ﴿عَقَرَهَا قَدَارٌ﴾ أي: ابن سالف؛ حيث ضربها في رجليها، فذبحوها واقتسموا لحمها، وقدار هذا من أشقى الأشقياء.

قوله: ﴿فِي دَارِكُمْ﴾ أي: أرضكم.

ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثَمِينَ ﴿٦٧﴾

ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ تَهْلِكُونَ، ﴿ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ فِيهِ.

﴿٦٦﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بِإِهْلَاكِهِمْ ﴿نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ وَهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ وَ﴿نَجَّيْنَاهُمْ﴾ مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ بِكَسْرِ الْمِيمِ إِعْرَابًا، وَفَتْحِهَا بِنَاءً لِإِضَافَتِهِ إِلَى مَبْنِيٍّ، وَهُوَ الْأَكْثَرُ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾: الْغَالِبُ.

﴿٦٧﴾ ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثَمِينَ﴾: بَارِكِينَ عَلَى الرُّكْبِ

مَيِّتِينَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ والحكمة في ذلك: بقاء الفصيل ينوح على أمّه ثلاثة أيام، ثم فُتحت له الصخرة ودخل فيها، قالوا: وما العلامة؟ قال: تُصْبِحُونَ في اليوم الأول وجوهكم مصفرةً، وفي اليوم الثاني وجوهكم محمرةً، وفي اليوم الثالث وجوهكم مُسَوَّدةً.

قوله: ﴿غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ فيه) أشار المفسر بتقدير (فيه) إلى أنه من باب الحذف والإيصال^(١).

قوله: ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ وهي: الإيمان.

قوله: ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ أي: يوم إهلاكهم بالصيحة.

قوله: (لإضافته إلى مبني) أي: فهي من أسباب البناء.

قوله: (وهو الأكثر) أي: عريّةً، وأما في القراءة... فمُستويان.

قوله: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ حُذفت تاء التانيث من الفعل؛ إما لكون المؤنث مجازيًا

كما يقال: طلع الشمس، أو للفصل بالمفعول ك: أتى القاضي بنتُ الواقف.

قوله: ﴿الصَّيْحَةُ﴾ أي: مع الزلزلة، فَتَقَطَّعت قلوبهم، والمراد: صيحة جبريل عليهم

من السماء، فسمعوا فيها صوت كل شيء، فماتوا جميعاً.

(١) أي: حذف الجار وإيصال الفعل إلى المفعول بنفسه بلا واسطة.

كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُدَا لَثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى

﴿٦٨﴾ كَانَ - مُخَفَّفَةً وَاسْمُهَا مَحْذُوفٌ - أَي: كَانَهُمْ «لَمْ يَغْنَوْا»: يُقِيمُوا ﴿فِيهَا﴾: فِي دِيَارِهِمْ، «أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُدَا لَثَمُودَ» - بِالصَّرْفِ وَتَرْكِهِ عَلَى مَعْنَى الْحَيِّ وَالْقَبِيلَةِ ..

﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَلَا بُدَا﴾ (أي: طرداً دائماً عن رحمة الله؛ فقد نزعوا من دائرة الحلم والرحمة.

قوله: (بالصرف وتركه) أي: فهما قراءتان سبعتان^(١).

قوله: (على معنى الحي) راجع للصراف، وقوله: (والقبيلة) راجع لتركه، فهو لفٌّ ونشرٌ مرتَّب، وقد تقدَّم بَسَطُ تلك القصة في (الأعراف)^(٢).

قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ أتى هنا بقصة إبراهيم؛ توطئة لقصة لوط، لا استقلالاً؛ لأنَّ الهلاك هنا لم يكن لِقَوْمِ إبراهيم؛ ولذا غاير الأسلوب؛ فلم يُقَل: (وأرسلنا إبراهيم إلى قومه) مثلاً. و(رسلنا): بضم السين وإسكانها، قراءتان سبعتان في جميع القرآن متى أُضيفت (رسل) للضمير؛ فإن أُضيفت للظاهر.. قُرئ بضم السين لا غير^(٣).

واختلف في عدَّة الرسل الذين جاؤوه؛ فعن ابن عباس: ثلاثة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وقيل: تسعة، وقيل: اثنا عشر، وقيل غير ذلك^(٤).

وعاش إبراهيم من العمر مئة وخمساً وسبعين سنة، وبينه وبين نوح ألفاً سنة وست مئة وأربعون سنة، وابنه إسحاق عاش مئة وثمانين سنة، ويعقوب بن إسحاق عاش مئة وسبعاً وأربعين سنة. قوله: ﴿يَالْبُشْرَى﴾ هي الخبر السارُّ، سُمِّيَتْ بذلك؛ لانبساط البشرة عند حصولها.

(١) قرأ حفص وحزمة: (ألا إن ثمود) بغير تنوين، والباقون بالتنوين، وقرأ الكسائي: (بعداً لثمود) بتنوين (ثمود) مع الكسر، والباقون بغير تنوين مع الفتح. انظر «السراج المنير» (٦٨/٢).

(٢) انظر (٥٦١/٢).

(٣) قرأ أبو عمرو بسكون السين، والباقون بضمها. انظر «السراج المنير» (١٢/٢).

(٤) انظر «تفسير الخازن» (٤٩٢/٢).

قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لِيَتْ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيزٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً
 بِإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ بَعْدَهُ، ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ - مَصْدَر - ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ عَلَيْكُمْ، ﴿فَمَا لِيَتْ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيزٍ﴾: مَشْوِيٌّ.

﴿٧٠﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ بِمَعْنَى أَنْكَرَهُمْ، ﴿وَأَوْجَسَ﴾: أَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾:
 حاشية الصاوي

قوله: (بإسحاق ويعقوب بعده) أفاد المفسر: أن المراد بالبشرى هنا: هي ما يأتي في قوله: ﴿فَبَشِّرْنَهَا بِإِسْحَاقَ...﴾ إلخ، ويحتمل أن المراد بقوله هنا: ﴿بِالْبُشْرَى﴾: ما هو أعم من ذلك؛ فيشمل بشره بنجاة لوط، وهلاك الكافرين، وغير ذلك.
 قوله: (﴿قَالُوا سَلَامًا﴾) هذه تحيتهم الواقعة منهم، وهو منصوب بفعله المحذوف، والتقدير: سلمنا عليك سلاماً.

قوله: (مصدر) أي: نائب عن لفظ الفعل.

قوله: (﴿قَالَ سَلَامٌ﴾) إنما أتى إبراهيم بالجملة الاسمية في الرد؛ لثبوت الدوام والثبوت؛ فيكون الرد أحسن من الابتداء؛ لأن الجملة الاسمية أشرف من الفعلية، وقوله: (عَلَيْكُمْ) قدره المفسر؛ إشارة إلى أن ﴿سَلَامٌ﴾ مبتدأ، والخبر محذوف، والمسوغ للابتداء بالنكرة: التعظيم؛ على حد: شرٌّ أهرّ ذا ناب، أو الدعاء.

قوله: (﴿فَمَا لِيَتْ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ﴾) (ما): نافية، و﴿لِيَتْ﴾: فعل ماضٍ، و﴿أَنْ جَاءَ﴾: في تأويل مصدر فاعل، والمعنى: لم يتأخر مجيئه بعجل حنيذ.

قوله: (مشوي) أي: على الحجارة المحمّاة في حفرة في الأرض، وهو من فعل أهل البادية، وكان سميناً يسيل منه الودك كما في (الذاريات)، وكان عامّة مال إبراهيم البقر.

قوله: (﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ﴾) هذا مرتب على محذوف كما في الآية الأخرى: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧]، ﴿فَلَمَّا رَأَى...﴾ إلخ.

قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرَانَهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ

خَوْفًا، ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ لِنُهْلِكَهُمْ.
﴿٧١﴾ وَأَمْرَانَهُ﴾ أي: امرأة إبراهيم سارة ﴿قَائِمَةٌ﴾ تَخْدُمُهُمْ، ﴿فَضَحِكَتْ﴾ استبشاراً
بِهْلَاكِهِمْ،

حاشية الصاوي

في بعض الروايات قالوا: لا نأكل طعاماً إلا بثمن، قال: فإن له ثمناً، قالوا: وما ثمنه؟ قال: تذكرون اسم الله على أوله، وتحمدون على آخره، فنظر جبريل إلى ميكائيل، قال: وحُقَّ لهذا أن يتَّخذه ربُّه خليلاً^(١).

قوله: (خَوْفًا) أي: من أجل امتناعهم من طعامه، فخاف منهم الخيانة؛ على عادة الخائن أنه لا يأكل طعام من أراد خيانه.

إن قلت: كيف يخاف إبراهيم منهم مع كونه خليل الرحمن وهم محضرون في بيته؟
أجيب: بأنَّ خوفه لما رأى فيهم من جلال الله وهيبته؛ فخوفه من ربِّه، لا من ذواتهم.
قوله: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ أي: جواباً لقوله لهم كما في سورة (الحجر): ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾
[الحجر: ٥٢].

قوله: ﴿إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ أي: وهو ابن أخي إبراهيم، وهو أوَّل مَنْ آمَنَ به، وأبوه هاران أخو
إبراهيم.

قوله: (لِنُهْلِكَهُمْ) أخذ هذا المقدَّر من قوله في سورة (الذاريات): ﴿وَنُرْسِلْ عَلَيْهِمْ حِجَابَةً مِّن طِينٍ﴾
﴿٢٣﴾ مَسْؤَمَةٌ... ﴿الذاريات: ٣٣-٣٤﴾ إلخ.

قوله: (سارة) بالتخفيف والتشديد، وهي بنت عمِّه.

قوله: (تخدمهم) أي: على عادة نساء العرب لا يتحاشون خدمة الضيوف.

قوله: ﴿فَضَحِكَتْ﴾ قيل: في سبب ذلك الضحك أقوال؛ قيل: البشري بهلاك قوم لوط كما قال
المفسِّر، وقيل: من خوف إبراهيم وهو في خدمه وحشمه، وقيل: سروراً بالولد، وقيل: تعجباً من
إتيان الولد على كبر، وقيل: لموافقة مجيء الملائكة بهلاك قوم لوط لما قالت لإبراهيم؛ فإنها قالت له
قبل مجيء الملائكة: اضمم إليك ابن أخيك لوطاً؛ فإنَّ العذاب نازلٌ بقومه، وقيل: غير ذلك^(٢).

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (١٨٨/٤) عن السُّدي. (٢) ذكر هذه الأقوال الخازن في «تفسيره» (٤٩٣/٤).

فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَوْنِلَيَّْ أَلَدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾

﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ﴾ : بعد ﴿إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ ولده تعيش إلى أن تراه.
 ﴿٧١﴾ ﴿قَالَتْ يَوْنِلَيَّْ﴾ كلمة تُقال عند أمرٍ عظيم، - والألف مُبدلة من ياء الإضافة -
 ﴿أَلَدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ لي تسع وتسعون سنة، ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ له مائة أو وعشرون سنة؟
 - ونصبه على الحال، والعامل فيه ما في (ذا) من الإشارة - ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ أن
 يُولد ولدٌ لِهَرَمَيْنِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا﴾ إنما نُسبت البشارة لها دونه؛ لأنها كانت أشوق منه إلى الولد؛ لأنه لم يأتها ولدٌ قط، بخلافه هو؛ فقد أتاه إسماعيل قبل إسحاق بثلاث عشرة سنة.

قوله: ﴿بِإِسْحَاقَ﴾ ولد بعد البشارة بسنة، فإسماعيل أسنُّ منه بأربع عشرة سنة.

قوله: ﴿يَعْقُوبَ﴾ بالرفع والنصب، قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (كلمة تقال) أي: على سبيل التعجب من مخالفة العادة، لا من قدرة الله؛ فإن ذلك كفرٌ، حاشاها منه.

قوله: (عند أمر عظيم) أي: خيراً كان أو شراً، ولكن المراد هنا: الخير.

قوله: (والألف مبدلة من ياء الإضافة) أي: فيقال في إعرابها: ﴿يَوْنِلَيَّْ﴾: منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المنقلبة ألفاً، منع من ظهورها اشتغال المحل بالفتحة النائية عن الكسرة المناسبة للألف، و(ويلتي) مضاف، والألف مضاف إليه مبني على السكون في محل جرٍّ، وترسم بالياء، وتقرأ بالألف والإمالة.

قوله: ﴿وَهَذَا بَعْلِي﴾ سُمِّي الزوج بذلك؛ لأنَّ البعل هو: المستعلي على غيره، ولا شك أن الزوج مُستعلي على المرأة، قائمٌ بأمورها.

(١) قرأ ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم بفتح الباء، والباقون برفعها. انظر «الدر المصون» (٦/٣٥٥)، ونقل العلامة الجمل توجيه القراءتين عن شيخه العلامة الأجهوري فقال: (فالرفع على الابتداء، والجار والمجرور قبله خبر عنه، والنصب على تقدير: ووهبنا يعقوب من وراء إسحاق، وأما كونه مجروراً بالفتحة عطفاً على «إسحاق».. فيبيده أنه لا يفصل بين العاطف والمعطوف). «فتوحات» (٢/٤٣٠).

قَالُوا اأَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلْنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾

﴿٧٣﴾ قَالُوا اأَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ: قُدْرَتُهُ، ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾: يَا ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾: بَيْتَ إِبْرَاهِيمَ، ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾: مَحْمُودٌ ﴿مَجِيدٌ﴾: كَرِيمٌ.
 ﴿٧٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ: الْخَوْفُ ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾: بِالْوَلَدِ، أَخَذَ ﴿يُجْدِلْنَا﴾: يُجَادِلُ رُسُلَنَا ﴿فِي﴾ شَأْنِ ﴿قَوْمِ لُوطٍ﴾.

﴿٧٥﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ: كَثِيرُ الْأَنَاءِ، ﴿أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾: رَجَّاعٌ، فَقَالَ لَهُمْ: أَتُهْلِكُونَ قَرْيَةً فِيهَا ثَلَاثُمِائَةِ مُؤْمِنٍ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: أَتُهْلِكُونَ قَرْيَةً فِيهَا مِائَتَا مُؤْمِنٍ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ﴾: هذا دعاء من الملائكة لهم.

قوله: ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾: أشار المفسر بتقدير (يا) إلى أَنَّ ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ منصوب على النداء، ويصح أن يكون منصوباً على الاختصاص.

قوله: ﴿حَمِيدٌ﴾: أي: كثير الحمد، قوله: ﴿مَجِيدٌ﴾: أي: عظيم شريف.

قوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ﴾: جوابها محذوف، قدره المفسر بقوله: (أخذ).

قوله: ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾: أي: بعد الروع.

قوله: (يجادل رسلنا...) إلخ) أشار بذلك إلى أَنَّ الكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾: أي: فالحامل له على المجادلة جلمه ورقة قلبه، فغرضه تأخير العذاب عنهم؛ لعلهم يؤمنون ويرجعون عما هم عليه من القبائح.

قوله: (كثير الأناء) أي: التأنّي في الأمور، وعدم العجلة.

قوله: ﴿أَوَّاهٌ﴾: في تفسيره أقوال كثيرة، تقدّم بعضها في سورة (براءة) ^(١).

قوله: (فقال لهم) هذه صورة المجادلة، والحاصل: أنه سألهم خمسة أسئلة، وأجابوه عنها،

قوله: (إلى آخره) أي: إلى آخر ما في سورة (العنكبوت).

يَتَّبِرْهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَمِنَ مَنَاقِبِهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ يَوْمِهِمْ

أَفْتَهْلِكُونَ قَرْيَةً فِيهَا أَرْبَعُونَ مُؤْمِنًا؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: أَفْتَهْلِكُونَ قَرْيَةً فِيهَا أَرْبَعَةٌ عَشَرَ مُؤْمِنًا؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ فِيهَا مُؤْمِنٌ وَاحِدٌ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: إِنَّ فِيهَا لُوطًا، قَالُوا: نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا... إلخ.

﴿٧٦﴾ فَلَمَّا أَطَالَ مُجَادَلَتُهُمْ قَالُوا: ﴿يَتَّبِرْهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الْجِدَالِ، ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بِهَلَاكِهِمْ، ﴿وَإِنَّهُمْ لَمِنَ مَنَاقِبِهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾.

﴿٧٧﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ يَوْمِهِمْ: حَزَنٌ بِسَبَبِهِمْ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَمْرُ رَبِّكَ﴾ أي: قضاؤه وحكمه.

قوله: ﴿غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ أي: غير مصروف عنهم؛ فإنه قضاء مبرم، لا محيص عنه.

قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ أي: الملائكة الذين كانوا عند إبراهيم، والمعنى: أنهم ارتحلوا من عند إبراهيم حتى أتوا قرية لوط، وتسمى: (سدوم)، بلد بينها وبين الخليل أربعة فراسخ نصف النهار، فوجدوا لوطاً يعمل في أرض له، وقيل: كان يحتطب، وقد قال الله للملائكة: لا تهلِكُوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات، فاستضافوه، فانطلق بهم، فلما مشى بهم ساعة.. قال: أما بلغكم أمر هذه القرية؟ قالوا: وما أمرها؟ قال: أشهد بالله إنها لشر قرية في الأرض عملاً، قال ذلك أربع مرات، فمضوا معه حتى دخلوا منزله.

وقيل: إنه مرَّ مع الملائكة على جماعة من قومه، فتغامزوا فيما بينهم، فقال لوط: إن قومي شرُّ خلق الله، فقال جبريل: هذه واحدة، فمرَّ على جماعة أخرى، فتغامزوا، فقال مثله، ثم مرَّ على جماعة أخرى، ففعلوا ذلك، فقال لوط مثل ما قال أولاً؛ حتى قال ذلك أربع مرات، وكلما قال لوط هذا القول.. قال جبريل للملائكة: اشهدوا.

وقيل: إن الملائكة جاؤوا إلى بيت لوط، فوجدوه في داره، فدخلوا عليه ولم يعلم أحد بمجيئهم إلا أهل بيت لوط، فخرجت امرأته الخبيثة، فأخرجت قومها وقالت: إن في بيت لوط رجالاً ما رأيت مثل وجوههم قط، ولا أحسن منهم^(١).

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مُصَنَّفِهِ» (٣١٨٣٥) بنحوه، وانظر الروايات في «الدر المنثور» (٤/٤٦٠).

وَصَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْفَوْرُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي

﴿وَصَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾: صدرًا؛ لِأَنَّهُمْ حَسَنُ الْوُجُوهِ فِي صُورَةِ أَضْيَافٍ، فَخَافَ عَلَيْهِمْ قَوْمَهُ،
﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾: شَدِيدٌ.

﴿٧٨﴾ ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ﴾: لَمَّا عَلِمُوا بِهِمْ ﴿يُهْرَعُونَ﴾: يُسْرِعُونَ ﴿إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ﴾ قَبْلَ مَجِيئِهِمْ
﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ وهي إتيان الرِّجَالِ فِي الْأَدْبَارِ، ﴿قَالَ﴾ لُوطٌ: ﴿يَنْفَوْرُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾
فَتَزَوَّجُوهُنَّ ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾: تَفْضَحُونِ ﴿فِي ضَيْفِي﴾: أَضْيَافِي،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَصَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ الأصل فيه: أن البعير يذرع بيديه في سيره ذرعاً على قدر سعة
خطوته، فإذا حمل عليه.. ضعف، ومدَّ عنقه، وصاق ذرعه، فأطلق الذرع، وأريد منه: الصدر؛
فالمراد: ضاق صدره؛ لعدم الخلاص من ذلك المكروه.

قوله: (فخاف عليهم قومه) منصوب بنزع الخافض؛ أي: من قومه.

قوله: ﴿عَصِيبٌ﴾ مأخوذ من العصب، وهو الشدة، ومنه: العصابة التي يُشدُّ بها الرأس.

قوله: (لَمَّا علموا بهم) أي: إِمَّا لِأَنَّهُمْ رَأَوْهُمْ مَعَ لُوطٍ فِي الطَّرِيقِ، أَوْ أَعْلَمَتْهُمْ زَوْجَتُهُ.

قوله: ﴿يُهْرَعُونَ﴾ أي: يَسُوقُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

قوله: ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ أي: فلا حيَاءَ عِنْدَهُمْ مِنْهَا؛ لِاعْتِيَادِهِمْ لَهَا.

قوله: ﴿قَالَ يَنْفَوْرُ هَؤُلَاءِ﴾ هذا الخطاب وَقَعَ مِنْ لُوطٍ وَهُمْ خَارِجُ الْبَلَدِ.

قوله: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ فَتَزَوَّجُوهُنَّ أي: وكان في شرعه يجوز تزوج الكافر بالمسلمة، وقيل:
عرض بناته عليهم بشرط الإسلام، وقيل: قال ذلك لِتَخْلِيصِ أَضْيَافِهِ، لَا إِبَاحَةَ لِتَزْوِيجِهِمْ بِهِنَّ؛
لَعَلَّهُمْ إِذَا رَأَوْهُ قَدْ فَدَى أَضْيَافَهُ بِنَاتِهِ.. يَنْزَجِرُوا وَيُرْتَدِعُوا وَيَتْرَكُوا هَذَا الْأَمْرَ، وقيل: إن المراد
ببناته: نساء قومه، وأضافهنَّ إليه؛ لِأَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ لِقَوْمِهِ كَالْأَبِ لِأَوْلَادِهِ فِي الشَّفَقَةِ وَاللُّطْفِ بِهِمْ.

قوله: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾: إِنْ قُلْتَ: إِنْ تِلْكَ الْفَعْلَةُ لَا طَهَارَةَ فِيهَا.. أَجِيبْ: بِأَنْ (أَفْعَلُ)

التفضيل ليس على بابِه؛ نظير قوله تعالى: ﴿أَذَلَّكَ حَيْرٌ تُرْلَا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ [الصافات: ٦٢].

قوله: (تفضحون) أي: تعيوني، قوله: ﴿فِي ضَيْفِي﴾ أي: في شأنه.

أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴿٧٩﴾
 قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا
 إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ

﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟

﴿٧٩﴾ ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾: حَاجَةٌ، ﴿وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾ مِنْ إِيَّانِ
 الرِّجَالِ.

﴿٨٠﴾ ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾: طَاقَةٌ، ﴿أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾: عَشِيرَةٌ تَنْصُرُنِي
 لَبَطَشْتُ بِكُمْ.

﴿٨١﴾ فَلَمَّا رَأَتِ الْمَلَائِكَةُ ذَلِكَ ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ بِسُوءٍ، ﴿فَأَسْرِ
 بِأَهْلِكَ

حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ﴾ استفهام توبيخ.

قوله: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ أي: لو ثبت أن لي بكم قُوَّةٌ، أو أنني آوي، وجواب (لو) محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (لبطشت بكم)، وإنما قال ذلك؛ لأنه لم يكن من قومه نسباً، بل كان غريباً فيهم؛ لأنه كان أولاً بالعراق مع إبراهيم ببابل، فهاجر إلى الشام بأمر من الله، فنزل إبراهيم بأرض فلسطين، ونزل لوط بالأردن، فأرسله إلى أهل سدوم، فمن ذلك الوقت لم يرسل الله رسولاَ إلا من قومه.

قوله: ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ أي: فافتح الباب، ودعنا وإياهم، ففتح الباب ودخلوا، فاستأذن جبريل ربَّه في عُقوبتهم، فأذن له، فتحوَّل إلى صورته التي يكون فيها، ونشَر جناحه، فضرب بها وجوههم، فأعماهم، وطَمَس أعينهم حتى ساوت وجوههم، فصاروا لا يعرفون الطريق، فانصرفوا وهم يقولون: النجاة النجاة، في بيت لوط سحرة قد سَحَرُونَا، يا لوط سترى منا غداً ما ترى.

قوله: ﴿فَأَسْرِ﴾ بقطع الهمزة ووصلها، وفعله: أسرى وسرى، قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿فَأَهْلِكَ﴾ أي: وهم بنتاه، فخرجوا، وطوى له الله الأرض حتى وصلوا إلى إبراهيم في وقته.

(١) قرأ نافع وابن كثير بهمزة وصل، والباقون بهمزة قطع. انظر «السراج المنير» (٧٢/٢).

يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَكَّ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ

يَقْطَعُ ﴿٨٠﴾: طَائِفَةٌ ﴿٨١﴾ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ ﴿٨٢﴾ لِئَلَّا يَرَىٰ عَظِيمَ مَا يَنْزِلُ بِهِمْ، ﴿٨٣﴾ إِلَّا أَمْرًا نَكَّ ﴿٨٤﴾ - بِالرَّفْعِ بَدَلٍ مِنْ ﴿أَحَدٌ﴾، وَفِي قِرَاءَةٍ بِالنَّصْبِ اسْتِثْنَاءٌ مِنَ (الْأَهْلِ) - أَي: فَلَا تُسَرِّ بِهَا، ﴿٨٥﴾ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ﴿٨٦﴾، فَقِيلَ: لَمْ يَخْرُجْ بِهَا، وَقِيلَ: خَرَجَتْ وَالتَّفَتَتْ فَقَالَتْ: وَاقَوْمَاهُ، فَجَاءَهَا حَجَرٌ فَقَتَلَهَا، وَسَلَّهْمٌ عَنْ وَقْتِ هَلَاكِهِمْ فَقَالُوا: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾، فَقَالَ: أُرِيدُ أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

﴿٨٢﴾ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴿٨٤﴾ بِإِهْلَاكِهِمْ ﴿٨٥﴾ جَعَلْنَا عَلَيْهَا ﴿٨٦﴾ أَي: قَرَاهُم ﴿٨٧﴾ سَافِلَهَا ﴿٨٨﴾ بِأَنْ رَفَعَهَا جِبْرِيلُ إِلَى السَّمَاءِ وَأَسْقَطَهَا مَقْلُوبَةً إِلَى الْأَرْضِ، ﴿٨٩﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٩٠﴾: طِينٍ طُبِخَ بِالنَّارِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يَقْطَعُ﴾ (الباء للمصاحبة، والمعنى: نصف الليل).

قوله: ﴿وَلَا يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ﴾ (خطابٌ له وَلِئْتِيهِ).

قوله: (بالرفع بدل من ﴿أَحَدٌ﴾) أَي: والمعنى: وَلَا يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَكَّ فَإِنَّهَا تَلْتَفَتُ.

قوله: (وفي قراءة) أَي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: (ف قيل: لم يخرج بها) راجع لقراءة النص.

قوله: (وقيل: خرجت والتفتت) راجع لقراءة الرفع.

قوله: (بأن رفعها جبريل إلى السماء) أَي: بأن أدخل جناحيه تحتها، وهي خمس مدائن، أكبرها سدوم، وهي: المؤتفكات المذكورة في سورة (براءة)، ويقال: كان فيها أربعة آلاف ألف، ورفع جبريل المدن كلها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب، ولم ينكب لهم إناء، ولم ينتبه لهم نائم، ثم قلبها.

قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ (أَي: على أهلها الخارجين عنها في الأسفار وغيرها، وقيل:

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو برفع «امراتك»، والباقون بنصبها. انظر «الدر المصون» (٦/٣٦٥).

﴿٨٢﴾ مَنضُودٌ ﴿٨٣﴾ مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا
قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ

﴿مَنضُودٌ﴾ : مُتَّبَعٌ .

﴿٨٣﴾ ﴿مُسَوِّمَةٌ﴾ : مُعَلِّمَةٌ عَلَيْهَا اسْمٌ مِّنْ يُرْمَى بِهَا ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ - ظَرْفٌ لَهَا - ﴿وَمَا هِيَ﴾ : الْحِجَارَةُ أَوْ بِلَادُهُمْ ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أَي : أَهْلُ مَكَّةَ ﴿يَبْعِدُ﴾ .
﴿٨٤﴾ ﴿وَوَ﴾ أَرْسَلْنَا ﴿إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ : وَحْدُوهُ،

حاشية الصاوي

على القرى بعد قلبها؛ فمن جملة ما وقع: أَنَّ رجلاً منهم كان في الحرم، فجاءه حجر ووقف في الهواء أربعين يوماً ينتظر ذلك الرجل حتى خرج من الحرم، فسقط عليه، فقتله^(١).
قوله: (متتابع) أي: في النزول.

قوله: (عليها اسم من يُرمى بها) أي: مكتوبٌ على كلِّ حجر اسم صاحبه الذي يُرمى به.

قوله: (الحجارة أو بلادهم) هذان تفسيران في مرجع الضمير؛ قيل: يعود على الحجارة؛ لأنها أقرب مذكور، وقيل: يعود على القرى المهلكة، وعلى الأول: فهو وعيدٌ عظيمٌ لكلِّ ظالمٍ من هذه الأمة؛ ففي الحديث: (سأل رسول الله ﷺ جبريل عن المراد بـ«الظالمين»، قال له جبريل: يعني ظالمي أمتك؛ ما من ظالمٍ منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة)^(٢).

قوله: ﴿يَبْعِدُ﴾ (أي: بـمكان بعيد، بل بـمكان قريب يمرُّون عليها في أسفارهم).

قوله: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ﴾ معطوف على قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ عطف قصة على قصة. و(مدین): اسم قبيلة، سميت باسم جدّها مدین بن إبراهيم، ويسمى: خطيب الأنبياء؛ لحسن مراجعته قومه.
قوله: ﴿أَخَاهُ شُعَيْبًا﴾ (أي: في النسب لا الدين؛ لأنه ابن ميكائيل بن يشجر بن مدین بن إبراهيم).

قوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أمرهم بالتوحيد أولاً؛ لأنه أهمُّ الأشياء وأصلها، وغيره فرع؛ فإذا صلح الأصل.. صلح الفرع.

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢٦/٥٠)، وانظر «الدر المنثور» (٤٦٤/٤).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٨٤/٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه من غير سند، وانظر «الفتح السماوي» للمناوي (٧٢٠/٢).

مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ، وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَقْوِمُوا أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾

﴿مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ، وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ﴾: نِعْمَةٌ تُغْنِيكُمْ عَنِ التَّطَفُّيفِ، ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾: إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ بِكُمْ يُهْلِكُكُمْ، وَوَصَفُ الْيَوْمِ بِهِ مَجَازٌ لِّوُقُوعِهِ فِيهِ.

﴿٨٥﴾ وَيَقْوِمُوا أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾: أَتِمُّوهُمَا ﴿بِالْقِسْطِ﴾: بِالْعَدْلِ، ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾: لَا تَنْقُصُوهُمْ مِنْ حَقِّهِمْ شَيْئاً، ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: بِالْقَتْلِ وَغَيْرِهِ، مِنْ عَثَى بِكَسْرِ الْمُثَلَّةِ: أَفْسَدَ، وَ﴿مُفْسِدِينَ﴾: حَالٌ مُّؤَكَّدَةٌ لِمَعْنَى عَامِلِهَا ﴿تَعْتُوا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ (نقص): يتعدى لمفعولين؛ فالمفعول الأول قوله: ﴿الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾، والمفعول الثاني محذوف، تقديره: شَيْئاً، والمعنى: لَا تَنْقُصُوهُمَا شَيْئاً أصلاً؛ لَا عِنْدَ الْأَخْذِ، وَلَا عِنْدَ الدَّفْعِ، فَتَنْقُصُهُمَا عِنْدَ الدَّفْعِ ظَاهِرٌ، وَنَقْصُهُمَا عِنْدَ الْأَخْذِ؛ بَأَنْ يَزِيدَ عَلَى حَقِّهِ فِي الْمَبِيعِ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ نَقْصٌ مِنَ الثَّمَنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَدِّلْ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١-٣].

قوله: ﴿إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ﴾ أي: فَاقْتَرِعُوا بِمَا أَعْطَاكُمْ اللَّهُ، وَلَا تُطَفِّفُوا الْكِيلَ وَلَا الْمِيزَانَ.

قوله: (وَوَصَفُ الْيَوْمِ بِهِ) أي: بِقَوْلِهِ: ﴿مُحِيطٍ﴾.

قوله: (مَجَازٌ) أي: عَقْلِيٌّ فِي الْإِسْنَادِ لِلزَّمَانِ.

قوله: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا﴾ كَرَّرَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ: أَوَّلُهَا قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾، وَثَانِيهَا: ﴿وَيَقْوِمُوا أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾، وَثَالِثُهَا قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾؛ تَأْكِيداً لِكُونِهِمْ مُصْرِّينَ عَلَى ذَلِكَ الْعَمَلِ الْقَبِيحِ، مِنْهُمْ كَيْفَ فِيهِ.

قوله: ﴿أَشْيَاءَهُمْ﴾ أي: أَمْوَالِهِمْ، وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ مَنْ يَسُومُ السَّلْعَ وَيَنْقُصُ قِيمَتَهَا وَهُوَ مَشْهُورٌ تَقْتَدِي بِهِ النَّاسُ، فَالْوَاجِبُ إِعْطَاءُ كُلِّ سَلْعَةٍ قِيمَتَهَا، وَإِعْطَاءُ كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَحِينَئِذٍ: فَهُوَ عَظْفٌ عَامٌ عَلَى خَاصٍّ.

قوله: ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: هَذَا أَعْمٌ مِمَّا قَبْلَهُ، وَالْمَعْنَى: لَا تَكُونُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ بِالْمَعَاصِي، بَلْ كُونُوا مُصْلِحِينَ لِدِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ.

بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعَبُ أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ

﴿٨٦﴾ بَقِيَتْ اللَّهُ: رِزْقُهُ الْبَاقِي لَكُمْ بَعْدَ إِيفَاءِ الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مِنْ الْبَخْسِ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾: رَقِيبٌ أَجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، إِنَّمَا بُعِثْتُ نَذِيرًا.

﴿٨٧﴾ قَالُوا لَهُ اسْتِهْزَاءً: ﴿يَشْعَبُ أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ بِتَكْلِيفِ ﴿أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ مِنَ الْأَصْنَامِ، ﴿أَوْ﴾ نَتْرَكَ ﴿أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾؟ الْمَعْنَى: هَذَا أَمْرٌ بَاطِلٌ لَا يَدْعُو إِلَيْهِ دَاعٍ بِخَيْرٍ،
حاشية الصاوي

قوله: ﴿بَقِيَتْ اللَّهُ﴾ يُرْسَمُ بِالتَّاءِ الْمَجْرُورَةِ، وَعِنْدَ الْوَقْفِ عَلَيْهَا لِلْإِضْطِرَارِ؛ يَجُوزُ بِالتَّاءِ الْمَجْرُورَةِ وَالْمَرْبُوطَةِ، وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ غَيْرُهَا.

قوله: ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أَي: لَوْجُودِ الْبَرَكَةِ فِيهِ.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أَي: مُصَدِّقِينَ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ وَنَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، وَهُوَ شَرْطٌ حَذَفَ جَوَابُهُ؛ لِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ عَلَيْهِ؛ أَي: فَارْضُوا بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ الْحَلَالِ.

قوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ أَي: حَافِظٌ لَكُمْ مِنَ الْقَبَائِحِ، وَلَا حَافِظٌ عَلَيْكُمْ النَّعَمَ، إِنَّمَا أَنَا مُبَلِّغٌ لَكُمْ الْأَحْكَامَ.

قوله: ﴿يَشْعَبُ﴾ خَاطَبُوهُ بِاسْمِهِ مِنْ غَيْرِ اقْتِرَانٍ بِالتَّعْظِيمِ؛ لِقَبَاحَتِهِمْ وَسُوءِ فَعْلِهِمْ.

قوله: ﴿أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ أَي: وَكَانَ كَثِيرُ الصَّلَاةِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهَا: الدِّينُ، وَخَصَّتْ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهَا أَعْظَمُ الشَّعَائِرِ.

قوله: ﴿بِتَكْلِيفٍ﴾ قَدَّرَهُ؛ دَفْعًا لِمَا يُقَالُ: إِنْ التَّرِكَ مِنْ وَصْفِهِمْ وَفَعْلِهِمْ، لَا فِعْلُ شَعِيبٍ، وَالْإِنْسَانُ يُؤْمَرُ بِفَعْلٍ نَفْسَهُ لَا فِعْلٍ غَيْرِهِ.

قوله: (مِنَ الْأَصْنَامِ) بَيَانٌ لِمَا (مَا).

قوله: ﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ﴾ قَدَّرَ الْمَفْسِّرُ (نَتْرَكَ)؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ مُعْطُوفٌ عَلَى ﴿مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾.

إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَنْقُورُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَمِينٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَكُمُ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَنْقُورُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ

﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ قالوا ذلك استهزاء.

﴿٨٨﴾ ﴿قَالَ يَنْقُورُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَمِينٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾: حَلَالًا أَفَاشُوبُهُ بِالْحَرَامِ مِنَ الْبَخْسِ وَالتَّطْفِيفِ؟ ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلِفَكُمْ﴾ وَأَذْهَبَ ﴿إِلَى مَا أَنْهَكُمُ عَنْهُ﴾ فَأَرْتَكِبَهُ، ﴿إِنْ﴾: مَا ﴿أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ لَكُمْ بِالْعَدْلِ ﴿مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي﴾: قُدْرَتِي عَلَى ذَلِكَ وَغَيْرِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ ﴿إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: أَرْجِعُ.

﴿٨٩﴾ ﴿وَيَنْقُورُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: يُكْسِبَنَّكُمْ ﴿شِقَاقِي﴾: خِلَافِي، فَاعِل (يَجْرِمُ)، وَالضَّمِيرُ مَفْعُولُ أَوَّلِ، وَالثَّانِي: ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ مِنْ الْعَذَابِ،

حاشية الصاوي

قوله: (قالوا ذلك استهزاء) أي: أو أرادوا: السفه الغاوي؛ من باب: تسمية الأضداد، والمراد: الحليم الرشيد في زعمك.

قوله: (﴿أَرَأَيْتُمْ﴾) أي: أخبروني، قوله: (﴿عَلَى يَمِينٍ﴾) أي: بُيُوتُهُ وَصَدَقَ.

قوله: (أَفَاشُوبُهُ) أي: أَخْلَطُهُ، قوله: (مِنْ الْبَخْسِ وَالتَّطْفِيفِ) بيان لـ (الْحَرَامِ).

قوله: (﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلِفَكُمْ﴾) أي: فَأَنَا أَمْرُكُمْ بِمَا أَمَرَ بِهِ نَفْسِي، وَلَيْسَ قَصْدِي أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْ شَيْءٍ وَأَفْعَلَهُ.

قوله: (﴿مَا اسْتَطَعْتُ﴾) أي: مُدَّةُ اسْتَطَاعَتِي، قوله: (﴿وَمَا تَوْفِيقِي﴾) أي: وَمَا كُونِي مُوَفَّقًا،

قوله: (﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾) أي: فَوَضَّتُ أُمُورِي إِلَيْهِ.

قوله: (﴿يُكْسِبَنَّكُمْ﴾) أي: فَهُوَ مُتَعَدٍّ لِمَفْعُولَيْنِ: الْأَوَّلِ: الضَّمِيرُ، وَالثَّانِي: (أَنْ) وَمَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ،

وَالْمَعْنَى: لَا يَكُنْ شِقَاقِي مَكْسِبًا لَكُمْ إِصَابَةً مِثْلَ مَا ذَكَرَ، فَلَا تَسْتَمِرُّوا عَلَيَّ مُخَالَفَتِي حَتَّى يُصِيبَكُمْ بِسَبَبِ تِلْكَ الْمُخَالَفَةِ مِثْلُ مَا أَصَابَ ... إلخ.

وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِّنْكُمْ يَبْعِدُ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ
وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ
لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ
وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا
وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ

﴿وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ﴾ أي: منازلهم أو زمن هلاكهم ﴿مِّنْكُمْ يَبْعِدُ﴾ فاعتبروا.
﴿٩٠﴾ ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ بِالْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَدُودٌ﴾: مُحِبٌّ
لَّهُمْ.

﴿٩١﴾ ﴿قَالُوا﴾ إِذْأَنَّا بِقِلَّةِ الْمُبَالَاةِ: ﴿يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ﴾: نَفَقَهُمْ ﴿كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا
لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾: ذَلِيلًا ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾: عَشِيرَتَكَ ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ بِالْحِجَارَةِ ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا
بِعَزِيزٍ﴾: كَرِيمٍ عَنِ الرَّجْمِ، وَإِنَّمَا رَهْطُكَ هُمُ الْأَعِزَّةُ.

﴿٩٢﴾ ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ فَتَتْرَكُونَ قَتْلِي لِأَجْلِهِمْ وَلَا تَحْفَظُونِي
لِلَّهِ؟ ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾ أي: الله ﴿وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا﴾:
حاشية الصاوي

قوله: (أي: منازلهم) أي: لأنهم كانوا مجاورين لقوم لوط، وبلادهم قريبة من بلادهم، وقوله:
(أو زمن هلاكهم) أي: فقد كان زمن هلاك قوم لوط قريباً من قوم شعيب.

قوله: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: اطلبوا منه المغفرة لذنوبكم.

قوله: ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ أي: ارجعوا إليه بفعل الطاعات.

قوله: ﴿وَدُودٌ﴾ صِيغة مبالغة إما بمعنى (فاعل) أي: محبٌ لهم كما قال المفسر، أو بمعنى
(مفعول) أي: أن عباده يُحِبُّونه، ويمثلون أوامره، ويَجْتَنِبُونَ نَوَاهِيه.

قوله: ﴿ضَعِيفًا﴾ أي: لا قوَّة لك.

قوله: ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ أي: رَمَيْنَاكَ بالحجارة، وقيل: المعنى: لَشَتَمْنَاكَ وَأَغْلَظْنَا عَلَيْكَ القول.

قوله: (هم الأعزة) أي: لموافقتهم لهم في الدين.

قوله: ﴿ظَهْرًا﴾ منسوب للظهر، والكسر من تَغْيِيرَاتِ النَسَبِ، والقياس: فتح الظاء، والهاء:
مفعول أول، و﴿ظَهْرًا﴾: مفعول ثانٍ لـ (اتَّخَذُوا)، و﴿وَرَاءَكُمْ﴾: ظرف له.

إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ
مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ
أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي
دِيرِهِمْ جَثَمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا آلَا بُعْدًا

مَنْبُودًا خَلْفَ ظُهُورِكُمْ لَا تُرَاقِبُونَهُ، ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ عِلْمًا فُجَازِيَكُمْ.
﴿٩٣﴾ ﴿وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾: حَالَتُكُمْ ﴿إِنِّي عَمِلٌ﴾ عَلَى حَالَتِي، ﴿سَوْفَ
تَعْلَمُونَ مَنْ﴾ - مَوْصُولَةٌ مَفْعُولُ الْعِلْمِ - ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا﴾:
انْتَظِرُوا عَاقِبَةَ أَمْرِكُمْ ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾: مُنْتَظَرٌ.
﴿٩٤﴾ ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بِإِهْلَاكِهِمْ ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ
ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ صَاحَ بِهِمْ جِبْرِيلُ ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثَمِينَ﴾: بَارِكِينَ عَلَى الرُّكْبِ
مَيِّتِينَ.
﴿٩٥﴾ ﴿كَأَن﴾ - مُخَفَّفَةٌ - أَي: كَأَنَّهُمْ ﴿لَّمْ يَغْنَوْا﴾: يُقِيمُوا ﴿فِيهَا آلَا بُعْدًا﴾

حاشية الصاوي

قوله: (منبؤداً خلف ظهوركم) أي: جعلتموه نسياً منسياً.
قوله: ﴿﴿أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾﴾ هذا وعيدٌ عظيمٌ، وتهديدٌ لهم.
قوله: ﴿﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾﴾ استئنافٌ بيانيٌّ، كأنَّ قائلًا قال: فماذا يكون بعد ذلك؟
قوله: (موصولة) أي: بمعنى (الذي).
قوله: ﴿﴿وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ﴾﴾ معطوفٌ على قوله: ﴿﴿مَنْ يَأْتِيهِ﴾﴾، والمعنى: سوف تعلمون الذي
يأتيه عذابٌ يُخْزِيهِ، وتعلمون الكاذب.
قوله: (صاح بهم جبريل) أي: فخرجت أرواحهم جميعاً، وهذا في أهل قريته، وأما أصحاب
الأيكة.. فأهلكوا بعذاب الظلَّة، وهي سحابة فيها ريح طيبة باردة، فأظلمت حتى اجتمعوا جميعاً،
فألهبها الله عليهم ناراً، ورجفت الأرض من تحتهم، فاحترقوا وصاروا رماداً.
قوله: ﴿﴿آلَا بُعْدًا﴾﴾ أي: هلاكاً.

لَمَدَيْنَ كَمَا بَعَدَتْ ثُمُودٌ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَتَسَّ الْأَوْرُدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾

لَمَدَيْنَ كَمَا بَعَدَتْ ثُمُودٌ.

﴿٩٦﴾ - ﴿٩٧﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: بُرْهَانٍ بَيِّنٍ ظَاهِرٍ ﴿إِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾: سَدِيد.

﴿٩٨﴾ ﴿يَقْدُمُ﴾: يَتَقَدَّمُ ﴿قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ فَيَتَّبِعُونَهُ كَمَا اتَّبَعُوهُ فِي الدُّنْيَا، ﴿فَأَوْرَدَهُمُ﴾: أَدْخَلَهُمُ ﴿النَّارَ وَيَتَسَّ الْأَوْرُدُ الْمَوْرُودُ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿كَمَا بَعَدَتْ ثُمُودٌ﴾ أي: كما هلكت ثمود، والتشبيه من حيث إنَّ هلاك كلِّ بالصيحة.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى﴾ هذه هي القصة السابعة.

قوله: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ أي: التسع، تقدَّم منها ثمانية في (الأعراف)، والتاسعة في (يونس)، وتقدَّم الكلام عليها^(١).

قوله: ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ قيل: المراد به: العصا، وَخُصِّتْ بالذكر؛ لِكُونِهَا أَكْبَرَ الْآيَاتِ وَأَعْظَمَهَا، وقيل: المراد به: المعجزات الباهرة، والحجج الظاهرة، وسمَّيت الحجة سلطاناً؛ لأنَّ بها قَهَرَ الْخَصْمَ؛ كما أنَّ السُّلْطَانَ به قَهَرُ غَيْرِهِ، فيكون عَطَفَ عام.

قوله: ﴿وَمَلَئِهِ﴾ أي: جماعته وأتباعه.

قوله: ﴿فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ أي: ما هو عليه من الكفر بِلِكِّ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ.

قوله: (سديد) أي: صائب محمود العاقبة، بل لا يدعو إلى خير.

قوله: ﴿يَقْدُمُ﴾ مضارع (قَدَّمَ) ك: نصر، ومصدره: (قَدَّمَ) ك: قُفِّلَ، و(قُدُّوم)؛ بمعنى: يتقدَّم^(٢).

قوله: (كما اتَّبَعُوهُ فِي الدُّنْيَا) أي: في دخول البحر والكفر والضلال.

قوله: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ الوُرُودُ فِي الْأَصْلِ: يقال لِلْمَرُورِ عَلَى الْمَاءِ لِلِاسْتِقَاءِ مِنْهُ، فَشَبَّهَ النَّارَ

(١) انظر (٥٧٨/٢).

(٢) كذا في «المختار»، مادة: (ق د م).

وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَهُ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَنْسُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾

هي .

﴿٩٩﴾ وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ ﴿﴾ أَي: الدُّنْيَا ﴿لَعْنَهُ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ لَعْنَةً، ﴿يَنْسُ الرِّفْدُ﴾: الْعَوْنُ ﴿الْمَرْفُودُ﴾ رِفْدُهُمْ.

﴿١٠٠﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورُ مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ: ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ، ﴿مِنْهَا﴾ أَي: الْقُرَى ﴿قَائِمٌ﴾ هَلَكَ أَهْلُهُ دُونَهُ، ﴿و﴾ مِنْهَا ﴿حَصِيدٌ﴾ هَلَكَ بِأَهْلِهِ فَلَا أَثَرَ لَهُ، كَالزَّرْعِ الْمَحْصُودِ بِالْمَنَاجِلِ.

حاشية الصاوي

بمَاءٍ يُورَد، وَطَوَى ذَكَرَ الْمَشَبَّهِ بِهِ، وَرَمَزَ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ لَوَازِمِهِ وَهُوَ الْوُرُودُ، فَأَثْبَاتَهُ تَخْيِيلًا، وَشَبَّهَ فِرْعَوْنَ فِي تَقَدُّمِهِ عَلَى قَوْمِهِ إِلَى النَّارِ بِمَنْ يَتَقَدَّمُ عَلَى الْوَارِدِينَ إِلَى الْمَاءِ لِيَكْسِرَ الْعَطَشَ؛ عَلَى سَبِيلِ التَّهْكِيمِ.

قوله: (هي) قَدَّرَهُ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْمَخْصُوصَ بِالذِّمِّ مَحْذُوفٌ.

قوله: ﴿لَعْنَةً﴾ أَي: طَرْدًا وَبَعْدًا عَنِ الرَّحْمَةِ.

قوله: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ هَذَا وَقْفٌ تَامٌّ، وَقَدَّرَ الْمَفْسِّرُ (لعنة)؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ فِيهِ الْحَذْفَ مِنَ الْآخِرِ؛ لِدَلَالَةِ الْأَوَّلِ عَلَيْهِ.

قوله: ﴿يَنْسُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ الْمُرَادُ بِالرِّفْدِ: اللَّعْنَةُ الْأُولَى، وَقَوْلُهُ: ﴿الْمَرْفُودُ﴾ أَي: الْمُعَانُ بِاللَّعْنَةِ الثَّانِيَةِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّعْنَةَ الْأُولَى أَرْفَدَتْ بِلَعْنَةٍ أُخْرَى تُقْوِيهَا وَتَعَاوِنُهَا، وَتَسْمِيَّتُهَا: رِفْدًا.. تَهْكِيمٌ.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أَي: مَا تَقَدَّمَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِنَ الْقَصَصِ.

قوله: ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى﴾ أَي: أَخْبَارِ أَهْلِ الْقُرَى، وَهُمْ: الْأُمَمُ الْمَاضِيَةُ.

قوله: ﴿نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ أَي: لِنُخْبِرَ بِهِ قَوْمَكَ؛ لِيَعْتَبِرُوا.

قوله: ﴿مِنْهَا قَائِمٌ﴾ أَي: أَثَرٌ قَائِمٌ مَوْجُودٌ.

قوله: ﴿حَصِيدٌ﴾ هَلَكَ بِأَهْلِهِ أَي: مُجِيٍّ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ، وَفِيهِ: تَشْبِيهُ الْقَائِمِ وَالْحَصِيدِ بِالزَّرْعِ الَّذِي بَعْضُهُ قَائِمٌ عَلَى سَاقِهِ، وَبَعْضُهُ قَدْ حُصِدَ وَذَهَبَ أَثَرُهُ.

وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾

﴿١٠١﴾ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ بِإِهْلَاكِهِمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ، ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بِالشُّرْكِ، ﴿فَمَا أَغْنَتْ﴾: دَفَعَتْ ﴿عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ﴾: يَعْبُدُونَ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَي: غَيْرِهِ ﴿مِنْ﴾ - زائدة - ﴿شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عَذَابُهُ، ﴿وَمَا زَادُوهُمْ بِعِبَادَتِهِمْ لَهَا﴾ ﴿غَيْرَ تَتْنِيبٍ﴾: تخسير.

﴿١٠٢﴾ وَكَذَلِكَ مِثْلُ ذَلِكَ الْآخِذِ ﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى﴾ أَرِيدَ أَهْلَهَا ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ بِالذُّنُوبِ، أَي: فَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مِنْ أَخْذِهِ شَيْءٌ، ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾، رَوَى الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»، ثُمَّ قَرَأَ ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ...﴾ الْآيَةَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَمَّا جَاءَ﴾ أَي: حِينَ جَاءَ.

قوله: ﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾ الضمير المرفوع للأصنام، والمنصوب لعباديتها، وعبر عنها بواو العقلاء؛ لِتَنْزِيلِهِمْ مِنْزِلَتَهُمْ.

قوله: ﴿غَيْرَ تَتْنِيبٍ﴾ التَّنَابُ: الْخُسْرَانُ، يُقَالُ: تَنَبَّتَ، وَتَبَّتْ يَدُهُ؛ بِمَعْنَى: خَسِرَتْ.

قوله: ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ الْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ.

قوله: ﴿أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ أَي: غَيْرُ مَرْجُوٍّ الْخَلَاصُ مِنْهُ.

قوله: (إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ) أَي: يُؤَمِّدُهُ بِطُولِ الْعُمُرِ، وَسَعَةِ الرِّزْقِ، وَبِقُوَّةِ الْكَلِمَةِ.

قوله: (ثم قرأ... إلخ) أَي: فَيُؤْخَذُ مِنْ ذَلِكَ: أَنَّ مِنْ قَدَمٍ^(١) عَلَى ظَلَمٍ... يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتُوبَ وَيَرْجِعَ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ، وَيُرَدَّ الْمَظَالِمُ لِأَهْلِهَا؛ لِثَلَا يَقَعُ فِي هَذَا الْوَعِيدِ الْعَظِيمِ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ لَيْسَتْ مَخْصُوصَةً بِالْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، بَلْ هِيَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ ظَالِمٍ غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ لَا يَنْزِلُ بِهَا عَذَابٌ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِثْنَاءِ؛ إِكْرَامًا لِنَبِيِّهَا ﷺ.

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَفِي «الْفَتْوحَاتِ» (٢/٤٤١): (أَقْدَمَ)، وَلَعَلَّهَا أُولَى مُرَاعَاةً لِلْمَعْنَى.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ﴿١٠٣﴾ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٤﴾ وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾

﴿١٠٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ المَذْكُورِ مِنَ الْقِصَصِ ﴿لَآيَةً﴾: لَعِبْرَةٌ ﴿لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ ذَلِكَ: أَي: يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ﴾: فِيهِ ﴿النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾: يَشْهَدُهُ جَمِيعُ الْخَلَائِقِ.

﴿١٠٤﴾ وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ: لَوْقَتٍ مَعْلُومٍ عِنْدَ اللَّهِ.

﴿١٠٥﴾ ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ ﴿لَا تَكَلِّمُ﴾ - فِيهِ حَذْفُ إِحْدَى التَّاءَيْنِ - ﴿نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ تَعَالَى، ﴿فَمِنْهُمْ﴾ أَي: الْخَلْقِ ﴿شَقِيٌّ وَ﴾ مِنْهُمْ ﴿سَعِيدٌ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (من القصص) أي: السبعة.

قوله: (﴿لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾) أي: لأنه إذا تأمل ما حصل لهؤلاء في الدنيا من العذاب.. كان ذلك باعثاً له على الخوف من ذلك اليوم.

قوله: (فيه) أشار بذلك إلى أنَّ اللام بمعنى (في)، والمعنى: أن يوم القيامة تُجمع فيه الخلائق من الإنس والجن وغيرهم.

قوله: (يشهده) أي: يحضره.

قوله: (﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ﴾) أي: ذلك اليوم، وهو يوم القيامة.

قوله: (لوقت معلوم) أي: وهو مدة الدنيا.

قوله: (﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ذلك اليوم) إن قلت: إنَّ اليوم لا يصلح أن يكون ظرفاً لليوم، وإلا.. لزم تعيين الشيء بنفسه، وأجيب: بأنَّ الكلام على حذف مضاف؛ أي: هَوْلُهُ وعذابه، أو المعنى: حين يأتي ذلك اليوم... إلخ.

قوله: (﴿لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾) أي: فجميعُ الخلائق يسكتون في ذلك اليوم، فلا يتكلم أحدٌ إلا بإذنه.

فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ

كُتِبَ كُلُّ فِي الْأَزْلِ.

﴿١٠٦﴾ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا﴾ فِي عِلْمِهِ تَعَالَى ﴿فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾: صَوْتُ شَدِيدٍ،
﴿وَشَهِيقٌ﴾: صَوْتُ ضَعِيفٌ.

﴿١٠٧﴾ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أَي: مُدَّةٌ دَوَامِهِمَا فِي الدُّنْيَا، ﴿إِلَّا﴾:
غَيْرُ ﴿مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ مِنَ الزِّيَادَةِ عَلَى مُدَّتِهِمَا مِمَّا لَا مُنْتَهَى لَهُ، وَالْمَعْنَى: خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا،

حاشية الصاوي

إِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يُجْمَعُ بَيْنَ مَا هُنَا وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَدِّدُ عَنْ نَفْسِهَا﴾
[النحل: ١١١]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ الْكُفَّارِ: ﴿وَاللَّهُ رِنًا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]؟!

أَجِيب: بِأَنَّ الْقِيَامَةَ مُوَاطِنٌ مُخْتَلِفَةٌ؛ فِي بَعْضِهَا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْكَلَامِ؛ لَشِدَّةِ الْهَوْلِ،
وَفِي بَعْضِهَا يَتَحَاجُّونَ وَيَجَادِلُونَ، أَوِ الْمُرَادُ: لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ بِمَا يَنْفَعُ وَيُنْجِي، بَلْ قَدْ يَتَكَلَّمُ الْكُفَّارُ
بِكَلَامٍ لَا نَفْعَ بِهِ، بَلْ لِإِظْهَارِ بُطْلَانِ حُجَجِهِمْ.

قَوْلُهُ: (كُتِبَ مِنَ الْأَزْلِ) أَي: وَظَهَرَتِ الْخَاتِمَةُ عَلَى طَبَقِ مَا كُتِبَ.

قَوْلُهُ: (فِي عِلْمِهِ) أَي: وَهُمْ مَنْ مَاتُوا كُفَّارًا وَإِنْ تَقَدَّمَ مِنْهُمْ إِيْمَانٌ.

قَوْلُهُ: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ (الزَّفِيرُ فِي الْأَصْلِ: تَرْدِيدُ النَّفْسِ فِي الصَّدْرِ حَتَّى تَتَفَتَّحَ مِنْهُ
الْأَضْلَاعُ، وَالشَّهِيْقُ: رُدُّ النَّفْسِ إِلَى الصَّدْرِ، وَهَذَا التَّفْسِيرُ الَّذِي ذَكَرَهُ الْمَفْسَّرُ لِابْنِ عَبَّاسٍ، وَقِيلَ:
الزَّفِيرُ: أَوَّلُ صَوْتِ الْحِمَارِ، وَالشَّهِيْقُ: آخِرُهُ، وَقِيلَ: الزَّفِيرُ: صَوْتُ الْحِمَارِ، وَالشَّهِيْقُ: صَوْتُ
الْبَغْلِ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ^(١).

قَوْلُهُ: (أَي: مُدَّةٌ دَوَامِهِمَا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ (مَا) مَصْدَرِيَّةٌ ظَرْفِيَّةٌ، وَ(دَامَ) تَامَّةٌ؛ لِأَنَّهَا بِمَعْنَى:
بَقِيَتْ؛ أَي: بِمِقْدَارِ دَوَامِهِمَا.

قَوْلُهُ: (فِي الدُّنْيَا) أَي: فَالْمُرَادُ: سَمَاوَاتُ الدُّنْيَا وَأَرْضُهَا.

قَوْلُهُ: (غَيْرُ ﴿مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾) أَفَادَ أَنَّ (إِلَّا) بِمَعْنَى (غَيْرِ)، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ يَخْلُدُونَ فِي النَّارِ بِمِقْدَارِ

إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ إِلَّا

﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ .

﴿١٠٨﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا﴾ - بَفَتْحِ السَّيْنِ وَضَمِّهَا - ﴿فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ إِلَّا﴾ : غَيْرَ

حاشية الصاوي

مكث الدنيا غير الزيادة التي شاء الله، وما شاء الله قد بُيِّنَ في آيات أُخَر؛ منها قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: ١٦٩]، ومنها: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ومنها قوله: ﴿لَا يُفَرِّقُهُمْ فِيهِ مُبَلِّسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥].

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ دفع بذلك ما يتوهم من التعبير بالمشيئة أنها قد تتخلف، فأجاب بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾؛ فلا تخلف لمشيئة الله بخلود الكافر؛ لأنه متى أراد شيئاً.. حصل ولا بدّ، وما قيل: إِنَّ وَعِيدِهِ قَدْ يَتَخَلَّفُ.. فالمراد: وعيد العاصي، لا وعيد الكافر.

قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا﴾ هذا مُقَابِلُ قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾، وفي هذه الآية من المحسنات البديعية: الجمع والتفريق والتقسيم؛ فالجمع في قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، والتفريق في قوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾، والتقسيم في قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا...﴾ إلخ، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا...﴾ إلخ.

قوله: (بفتح السين وضمتها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١)؛ فالفتح من قولهم: سَعِدَ الرجل بمعنى: قامت به السعادة، والضمُّ من قولهم: سَعَدَهُ الله؛ أي: أسعده؛ فالأول: قاصر، والثاني متعَدٌّ، والمعنى: إن الذين سَبَقَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ من الله بموتهم على الإيمان وإن سَبَقَ مِنْهُمْ الْكُفْرُ فِي الدُّنْيَا؛ فهم في الْجَنَّةِ، والمراد بالسَّعَادَةُ: رِضَا الله على العبد، وعلامة ذلك: أن يكون العبد محباً لربه، ساعياً في مَرْضَاتِهِ، دائم الإقبال على طاعته، راضياً بأحكامه.

قوله: ﴿فَفِي الْجَنَّةِ﴾ المراد بها: دار النعيم بجميع دُورِها؛ فيشمل جنة الفردوس وغيرها.

قوله: ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي: مُدَّة دَوَامِهِمَا فِي الدُّنْيَا، والمعنى: قدر مكث السماوات والأرض من أول الدنيا إلى آخرها.

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص: (سعدوا) بضم السين، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٦/٣٨٨).

مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُورٍ ﴿١٠٨﴾

﴿مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ كما تقدّم ودلّ عليه فيهم قوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُورٍ﴾: مقطوع، وما تقدّم من التأويل هو الذي ظهر، وهو خالي من التكلف، والله أعلم بمُراده.

حاشية الصاوي

قوله: (كما تقدّم) أي: فيقال: غير ما شاء ربك من الزيادة التي لا تنتهي لها؛ فالمعنى: خالدين فيها أبداً، ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾؛ فالزيادة التي شاءها الله فسّرت في آيات أخر بالخلود المؤبد.

قوله: (ودلّ عليه) أي: على الخلود المؤبد، وقوله: (فيهم) أي: السعداء.

قوله: ﴿عَطَاءٌ﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف، وتقديره: أعطاهم ذلك، و(عطاء): اسم مصدر (أعطى)، والمصدر: إعطاء.

قوله: (مقطوع) أي: ولا ممنوع، بل هو عطاء دائم؛ لا يزول ولا يحول.

قوله: (هو الذي ظهر) أي: من نحو عشرين وجهاً في تفسير تلك الآية؛ منها: أن المراد بـ(السموات والأرض): سقف الجنة والنار وأرضهما، ويحتمل الاستثناء في جانب أهل الشقاوة على عصاة الأمة؛ فيكون المعنى: خالدين فيها أبداً إلا عصاة المؤمنين الذين نفذ فيهم الوعيد؛ فل يخلدون أبداً، بل يخرجون بشفاعة النبي ﷺ، والاستثناء حينئذ: إمّا منقطع؛ لعدم دخول هؤلاء في الأشقياء، أو متصل بجعل هؤلاء أشقياء باعتبار، وسعداء باعتبار آخر، وفي جانب أهل السعادة على عصاة المؤمنين أيضاً، لكن باعتبار تعذيبهم أولاً؛ فيتأخرون في الدخول مع السابقين؛ فتحصل: أن الاستثناء في كلٍّ محمول على العصاة، لكن في جانب أهل الشقاوة مُستثنون من الخلود، وفي جانب أهل السعادة مُستثنون من المبدأ، كأنه قال: وأما الذين سعدوا.. ففي الجنة من أول الأمر إلا ما شاء ربك من العصاة؛ فليسوا في الجنة من أول الأمر، بل هم في النار يعذبون ثم يخرجون.

ومنها: أن المراد بـ(الذين شقوا): الكفار، وبـ(الذين سعدوا): المؤمنون، والاستثناء باعتبار أن بعض الكفار قد يُنقلون من النار لغيرها كالزُمهرير، وبعض المؤمنين قد يُنقلون من النعيم فيما تشبهه الأنفس وتلدّ الأعين إلى أعلى منه، وهو رؤية وجه الله الكريم ومخاطبته.

ومنها: أن الاستثناء راجع لمدة تأخرهم عن دخول الجنة والنار كمدة الدنيا والبرزخ؛ لأنهم لم يدخلوها حين خلّقوا سعداء وأشقياء، ومنها: غير ذلك.

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ
نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١٠٩﴾

﴿١٠٩﴾ ﴿فَلَا تَكُ﴾ يا مُحَمَّدُ ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾: شَكٌّ ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾ مِنَ الْأَصْنَامِ،
إِنَّا نَعَذِّبُهُمْ كَمَا عَذَّبْنَا مَنْ قَبْلَهُمْ، وَهَذَا تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ﴾
أَي: كِعِبَادَتِهِمْ ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ وَقَدْ عَذَّبْنَاهُمْ، ﴿وَإِنَّا لَمُوفُونَ﴾ مِثْلَهُمْ ﴿نَصِيبَهُمْ﴾: حَظُّهُمْ مِنَ
العَذَابِ ﴿غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ أَي: تَامًا.

حاشية الصاوي

وما تقدّم من أنّ نعيم الجنان وعذاب النار دائم.. هو ما دلّت عليه الآيات القرآنية، والأحاديث
النبويّة؛ ووراء ذلك أقوال يجب تأويلها، والأخذ بظاهرها كفر؛ فمنها: ما قيل: إن الجنة والنار
ينقضيان؛ بدليل ظاهر هذه الآية.

ومنها: أنّ أهل النار تنقلب عليهم النار نعيمًا حتى لو صبّ عليهم ماء الجنة.. يتأذّون.

ومنها: أن النار تخرب حتى لا يصير فيها أحد.

ومنها: غير ذلك، وهذه الأقوال باطلة، ونسبتها لمحبي الدين بن العربي.. كذب، وعلى فرض
صحة نقلها عنه يجب تأويلها^(١).

قوله: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ هذا شروع في ذكر أحوال المخالفين من هذه الأمة إثر بيان
المخالفين من غيرهم، وهذا الخطاب للنبي، والمراد غيره.

قوله: (من الأصنام) بيان لـ(ما).

قوله: ﴿مَا يَعْبُدُونَ﴾ أي: فليس لهم في ذلك إلا محض تقليد آبائهم.

قوله: (وقد عذبناهم) أي: آباءهم.

قوله: ﴿وَإِنَّا لَمُوفُونَ﴾ أي: هؤلاء.

قوله: (تأمًا) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ حالٌ من (نصيب) مبينة له.

(١) وهو ما ذهب إليه الإمام الشعراني في كتابه «اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر»، فجعل فصلاً منه لبيان الدسّ
على الشيخ ابن العربي، وفصلاً في تأويل بعض كلمات نسبت للشيخ على تقدير ثبوتها عنه، جهل أكثر الناس
معانيها.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ
لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ كُلًّا لَمَّا

﴿١١٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ: التَّوْرَةَ ﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ بِالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ
كَالْقُرْآنِ، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بِتَأْخِيرِ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ لِلْخَلَائِقِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أَي: الْمُكْذِبِينَ بِهِ ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ
مُرِيبٍ﴾: مُوقِعٌ فِي الرَّيْبَةِ.

﴿١١١﴾ ﴿وَإِنْ﴾ - بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ - ﴿كُلًّا﴾ أَي: كُلَّ الْخَلَائِقِ ﴿لَمَّا﴾ - (مَا) زَائِدَةٌ، .

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ هذا تسلية له ﷺ؛ أَي: فلا تحزن على ما وقع لك؛ فإنه قد وقع لغيرك.

قوله: ﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أَي: لجُوزِي المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته في الدنيا.

قوله: (أَي: المكذبين به) أَي: بالقرآن.

قوله: (مُوقِعٌ فِي الرَّيْبَةِ) أَي: لأنهم إذا نظروا لآبائهم وما كانوا عليه.. قالوا: لو كان ما هم
عليه ضلالاً.. ما اجتمعوا عليه، وإذا نظروا إلى النبي ومُعْجَزَاتِهِ الظَّاهِرَةِ.. قالوا: إنه لحقٌّ، وما
جاء به صدقٌ، فهم في شكٍّ، ولا شكَّ أنه كفرٌ، وكلُّ هذا ناشئٌ من الطبع على قلوبهم، وإلا..
فالحقُّ ظاهرٌ لمن تدبَّره.

قوله: ﴿وَإِنْ كُلًّا﴾ أَي: من الطائِعِينَ والعاصِينَ، وأتى بالجملة الاسميَّة المؤكِّدة بـ(إِنَّ) ولام
القسم؛ زيادةً في تأكيد بُشْرَى المطيع، ووعيد العاصي.

قوله: (بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ) أَي: و(لَمَّا) كذلك، فتكون القراءات أربعاً، وكلُّها سبعة^(١).

قوله: (أَي: كل الخلائق) أشار بذلك إلى أن التنوين عوضٌ عن المضاف إليه.

قوله: (ما: زائدة) أَي: والأصل: (لِلْيُوقِفِينَهِمْ)، فاستثقل اجتماع اللَّامَيْنِ، فوسَّطت بينهما (ما)؛
لدفع ذلك الثقل.

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو بكر عن عاصم: «وَإِنْ» بالتخفيف، والباقون بالتشديد، وأما «لَمَّا».. فقرأها مُشَدَّدَةٌ ابن عامر
وعاصم وحمزة، والباقون بالتخفيف. انظر «الدر المصون» (٦/٣٩٧).

وَاللَّامُ مُوْطِئَةٌ لِقَسَمٍ مُقَدَّرٍ أَوْ فَارِقَةٌ، وَفِي قِرَاءَةِ بَشْدِيدٍ ﴿لَمَّا﴾ بِمَعْنَى (إِلَّا)، فَ(إِنْ) نَافِيَةٌ -

حاشية الصاوي

قوله: (وَاللَّامُ موطئة أي: والأخرى للتأكيد.

قوله: (أو فارقة) أي: أتى بها فرقاً بين المهملة والنافية، وفيه: أن (إن) عاملة على كلِّ حال، فليست حينئذ فارقة، فكان المناسب حذف قوله: (أو فارقة)، إلا أن يقال: إنها مُهملة، و(كلاً) منصوب بفعل مقدَّر، وتقديره: وإن يرى كلاً، وفيه: أن هذا تكلفٌ، وما لا كلفة فيه خيرٌ ممَّا فيه كلفة، وما ذكره المفسِّر من الإعراب مبنيٌّ على قراءة تشديد (إن)، وتخفيفها مع تخفيف (لما)، وتوضيحه أن يقال: (إن): حرف توكيد ونصب، و(كلاً): اسمها، واللام: موطئة لقسم محذوف، و(ما) زائدة، واللام الثانية: للتأكيد، و(يُوفينهم): فعل مضارع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والهاء: مفعول، و(ربك): فاعل، وجملة القسم في محل رفع خبر (إن).

قوله: (بمعنى «إلا»، فـ«إن» نافية) هذا ظاهرٌ على قراءة تخفيف (إن)، وحينئذٍ: فيقال: (إن): نافية، و(كلاً) منصوب بفعل مقدَّر، والتقدير: وإن يرى كلاً إلا ليوفينهم... إلخ، ولم يتكلم على تشديدهما، هذا حاصل تقدير المفسِّر، ولا يخفى عليك ما فيه من المناقشة والكلفة، والإعراب السالم من ذلك كله أن يقال: إنَّ القراءات السبعية أربعٌ: تخفيفهما، وتشديدهما، وتخفيف (إن) فقط، وتخفيف (لما) فقط، مع نصب (كلاً) في الجميع؛ فعلى الأولى: (إن): مخففة من الثقيلة، و(كلاً): اسمها، واللام الأولى: لام الابتداء، و(ما): اسم موصول، واللام الثانية: موطئة لقسم محذوف، و(يوفينهم): جواب القسم، وجمله القسم وجوابه صلة الموصول، والموصول وصلته خبر (إن).

وعلى الثانية: (إن): عاملة، و(لما): أصله: (لمن ما) بدخول اللام على (من) الجارة، قلبت النون ميماً؛ لتوالي الأمثال، حُذفت إحدى الميمات، وأدغمت إحدى الميمين في الأخرى، ف(ما): اسم موصول، وجمله (ليوفينهم): قسمة صلة الموصول، وهو وصلته خبر (إن).

وعلى الثالثة: فـ(إن) المخففة: عاملة، وأصل (لما): (لمن ما) فعل بها ما تقدَّم.

وعلى الرابعة: (أنَّ) المشددة: عاملة، واللام: لام الابتداء، و(ما): اسم موصول، و(ليوفينهم): جملة قسمة صلة الموصول، وهو وصلته خبر (إن).

فتحصَّل: أن (إن): عاملة، و(ما): اسم موصول في جميع الأوجه كلها، واللام الثانية: موطئة للقسم، والأولى: لام الابتداء، فتأمل، وما قرَّرناه زُبدة كلام طويل في هذا المقام؛ فليُحفظ.

لِيُوفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَغْفِرْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَزْكُتُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا

﴿لِيُوفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: جزاءها، ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: عالم بيوأطنه كظواهره.
 ﴿١١٢﴾ ﴿فَاسْتَغْفِرْ﴾ على العمل بِأمرِ رَبِّكَ والدُّعاءِ إليه، ﴿كَمَا أَمَرْتَ وَ﴾ لِيَسْتَغْفِرَ ﴿مَنْ تَابَ﴾: آمَنَ ﴿مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾: تُجَاوِزُوا حُدُودَ اللَّهِ، ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيُجَازِيكُمْ به.

﴿١١٣﴾ ﴿وَلَا تَزْكُتُوا﴾ تَمِيلُوا ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بِمَوَدَّةٍ أَوْ مُدَاهَنَةٍ أَوْ رِضًا بِأَعْمَالِهِمْ،

حاشية الصاوي

قوله: (أي: جزاءها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿فَاسْتَغْفِرْ﴾ (أي: دُم على الاستقامة التي أَمَرْتَ بها في خاصّة نفسك؛ كقيام الليل، وتبليغ ما أَمَرْتَ بتبليغه للخلق، وعدم فرارك من قتال الكفار ولو اجتمعت أهل الدنيا، وغير ذلك من التكليف العامة له ولغيره والخاصة به).

قوله: ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ (قدّر المفسّر قوله: (ليستقم) جواباً عمّا يقال: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿مَنْ تَابَ﴾ معطوفٌ على الضمير المستتر في ﴿استقم﴾، فيلزم عليه أن فعل الأمر قد رفع الظاهر، فأجاب المفسّر: بأنّ ذلك من عطف الجمل، والمحذور إنما يلزم لو كان من عطف المفردات، ويجاب أيضاً: بأنه يغتفر في التابع ما لا يُغْتَفَرُ في المتبوع.

قوله: ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾ خطابٌ للنبي والأمة، ولكن المراد: الأمة؛ فإنّ الطغيان مستحيلٌ على النبي ﷺ، وهذه الآية صعبةُ التكليف؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: «شَيَّبَنِي هُودٌ»^(١).

قوله: ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ (أي: بالكفر والمعاصي).

قوله: (بِمَوَادَّةٍ) مصدر (وَادَدَ) ك(قاتل) أي: محبّة.

قوله: (أو مداهنة) أي: مُصَانَعَة، والمداهنة: بذلُ الدين لإصلاح الدنيا.

قوله: (أو رضاً بأعمالهم) أي: وتزيينها لهم، ولا عذر في الاحتجاج بضرورات الدنيا؛ فإنّ الله هو الرزاق ذو القوة المتين.

(١) رواه الترمذي (٣٢٩٧) عن سيدنا ابن عباس ؓ.

فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَتِ يَذْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ

﴿فَتَمَسَّكُمُ﴾ تُصِيبُكُمُ ﴿النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِّن﴾ - زائدة - ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ يَحْفَظُونَكُمْ مِنْهُ، ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ تُنْمَعُونَ مِنْ عَذَابِهِ.

﴿١١٤﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ: الغَدَاةُ والعِشَاءُ، أي: الصُّبْحُ وَالظُّهْرُ والعَصْرُ، ﴿وَزُلْفًا﴾: جَمْعُ (زُلْفَةٍ) أي: طَائِفَةٌ ﴿مِّنَ اللَّيْلِ﴾ أي: الْمَغْرِبُ والعِشَاءُ، ﴿إِنَّ الْحَسَنَتِ﴾ كَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ﴿يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾: الذُّنُوبَ الصَّغَائِرَ، نَزَلَتْ فِيْمَن قَبْلَ أَجْنَبِيَّةٍ فَأَخْبَرَهُ ﷺ فَقَالَ: أَلِي هَذَا؟ فَقَالَ: «لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ أي: لَأَنَّ الْمَرْءَ يُحْشَرُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ.

قوله: (يَحْفَظُونَكُمْ مِنْهُ) أي: مِنْ عَذَابِ النَّارِ.

قوله: ﴿طَرَفِي النَّهَارِ﴾ مَنْصُوبٌ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ؛ لِإِضَافَتِهِ إِلَى الظَّرْفِ.

قوله: (الغداة والعشي) تَفْسِيرُ لِّلْظَرْفَيْنِ).

قوله: (أي: الصبح) رَاجِعٌ لِّلْغَدَاةِ، وَقَوْلُهُ: (وَالظُّهْرُ وَالْعَصْرُ) رَاجِعٌ لِّلْعِشَاءِ).

قوله: ﴿وَزُلْفًا﴾ بِضَمٍ فَفَتْحٌ ك: غُرْفٌ، وَقَوْلُهُ: (جَمْعُ: زُلْفَةٍ) أَي: ك: غُرْفَةٌ.

قوله: ﴿إِنَّ الْحَسَنَتِ﴾ أَي: الْوَاجِبَةُ وَالْمُنْدُوبَةُ.

قوله: (نزلت فيمن قبل أجنبية) أي: وَهُوَ أَبُو الْيَسْرِ، قَالَ: (أَتَنِي امْرَأَةٌ تَبْتَاعُ تَمْرًا، فَقُلْتُ لَهَا: إِنَّ فِي الْبَيْتِ تَمْرًا أَطْيَبَ مِنْ هَذَا، فَدَخَلْتُ مَعِيَ الْبَيْتَ، فَقَبَّلْتُهَا، فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: اسْتِرْ عَلَى نَفْسِكَ، وَتُبْ، وَلَا تَخْبِرْ أَحَدًا، فَأَتَيْتُ عَمْرَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: اسْتِرْ عَلَى نَفْسِكَ، وَتُبْ، وَلَا تَخْبِرْ أَحَدًا، فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «أُحْنِتَ رَجُلًا غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي أَهْلِهِ بِمِثْلِ هَذَا؟!»، وَأَطْرَقَ طَوِيلًا حَتَّى أَوْحِيَ إِلَيْهِ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ...﴾ إِلَى ﴿لِلذَّكْرِينَ﴾، فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: أَلِي هَذَا خَاصَّةٌ أَمْ لِلنَّاسِ عَامَةً؟ فَقَالَ: «بَلِ لِلنَّاسِ عَامَةً»^(١).

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٣١١٥)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكَبَرِيِّ» (٤١٨/٦)، وَأَصْلُهُ فِي «الصَّحِيحِينَ»: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٢٦)، وَمُسْلِمٌ (٧١٠٤).

ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَتَهُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ﴿ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ﴾: عِظَةٌ لِلْمُتَعِظِينَ.

﴿١١٥﴾ يا مُحَمَّدُ عَلَى أَدَى قَوْمِكَ أَوْ عَلَى الصَّلَاةِ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بِالصَّبْرِ عَلَى الطَّاعَةِ.

﴿١١٦﴾ ﴿فَلَوْلَا﴾: فَهَلَا ﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾: الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ﴾: أَصْحَابُ دِينٍ وَفَضْلٍ ﴿يَتَهُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ الْمُرَادُ بِهِ النَّفْيُ أَي: مَا كَانَ فِيهِمْ ذَلِكَ، ﴿إِلَّا﴾: لَكِنَّ ﴿قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ نَهَوْنَا فَنَجَّوْنَا، وَ(مِنْ) لِلْبَيَانِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: المذكور من الأمر بالاستقامة وما بعده.

قوله: ﴿وَأَصْبِرْ﴾ أي: لا تنزعج من قومك.

قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: بل يُعْطِيهِمْ فَوْقَ مَا يَطْلُبُونَ.

قوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾... إلخ) لما بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا حَلَّ بِالْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ مِنْ عَذَابِ الْاسْتِثْصَالِ.. بَيَّنَّ هُنَا أَنَّ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ أَمْرَانِ: الْأَوَّلُ: عَدَمُ وَجُودِ مَنْ يَنْهَى عَنِ الْفَسَادِ، الثَّانِي: عَدَمُ رَجُوعِهِمْ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ.

قوله: ﴿فَهَلَا﴾ أَفَادَ الْمَفْسَّرُ أَنَّ (لَوْلَا) تَحْضِيضِيَّةٌ، وَالْمُرَادُ بِهَا: النَّفْيُ.

قوله: ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ صِفَةٌ لـ ﴿الْقُرُونِ﴾، وَ﴿أُولُوا﴾ فَاعِلٌ ﴿كَانَ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ الْقُرُونِ﴾ حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ ﴿كَانَ﴾.

قوله: (أَصْحَابُ دِينٍ وَفَضْلٍ) أَي: وَسَمُّوا أُولُو بَقِيَّةٍ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْبَقَاءِ بِرَبِّهِمْ لَا يَتَحَوَّلُونَ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ وَالصَّلَاحِ، فَلَهُمُ الْبَقَاءُ وَالتَّجَاةُ مِنَ الْهَلَاكِ.

قوله: (المراد به) أَي: بِالتَّحْضِيضِ الْمُسْتَفَادِ مِنَ (لَوْلَا).

قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ هَذَا اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ؛ وَلِذَا عَبَّرَ الْمَفْسَّرُ بِ(لَكِنْ)، فَالْمُسْتَثْنَى مِنْهُ: الْقُرُونُ الْمَهْلُكَةُ بِالْعَذَابِ؛ لِعَدَمِ نَهْيِهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْمُسْتَثْنَى: مَنْ أَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ الْعَذَابِ بِسَبَبِ أَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيِهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ.

وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَوْا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾

﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بِالْفَسَادِ وَتَرَكَ النَّهْيَ ﴿مَا أَتَوْا﴾ : نَعْمُوا ﴿فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ .
 ﴿١١٧﴾ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾ مِنْهُ لَهَا ﴿وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ : مُؤْمِنُونَ .
 ﴿١١٨﴾ ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ : أَهْلَ دِينٍ وَاحِدٍ ، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾
 فِي الدِّينِ .

حاشية الصاوي

قوله : ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَوْا فِيهِ﴾ (أي : دأبوا على شهواتهم ، ولم يتذكروا عذاب الله .

قوله : (نَعْمُوا) أي : من النعيم الذي يغضب الله تعالى ، فالمعنى : أَنْ سَبَبَ هَلَاكِهِمْ : انشغالهم بالشهوات المغضبة لله ، وعدم رُجوعهم عنها .

قوله : ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ الجملة حالية ؛ أي : والحال أنهم فاعلون الجرائم ، مصرُّون عليها .
 قوله : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى﴾ هذا كالدليل لما قبله ، والمعنى : ما صحَّ أَنْ يُهْلِكَ القرى بظلمٍ منه لها والحال أَنَّ أهلها مصلحون ، وسمَّى الأخذ من غير ذنب ظلماً ؛ تكرماً منه ، وإلَّا . . فحقيقة الظلم : التَّصَرُّفُ فِي مَلِكٍ الْغَيْرِ مِنْ غَيْرِ إِذْنِهِ ، وَلَا مَلِكٌ لِأَحَدٍ مَعَهُ ، وَهُوَ بِهَذَا الْمَعْنَى مُسْتَحِيلٌ عَقْلاً عَلَى اللَّهِ ، وَأَمَّا أَخْذُهُ بِغَيْرِ ذَنْبٍ . . فَهُوَ وَإِنْ كَانَ جَائِزاً عَقْلاً فَمُسْتَحِيلٌ شَرْعاً ؛ لِأَنَّهُ سَمَّاهُ ظُلْماً ؛ تَفَضُّلاً مِنْهُ ، وَنَزَّهَ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ عَنْهُ كَمَا أُلْزِمَ نَفْسَهُ بِالرَّحْمَةِ ؛ تَفَضُّلاً مِنْهُ .

قوله : (منه لهم) ويصح أن يكون المعنى : بظلمٍ منهم ، ويُراد بالظلم : الترك ، والمعنى : أنه لا يهلك أهل القرى بمجرد شركهم إذا كانوا مصلحين فيما بينهم ؛ لِفَرَطِ مَسَامَحَتِهِ تَعَالَى فِي حَقِّهِمْ ؛ وَلِذَلِكَ تُقَدَّمُ حَقُوقُ الْعِبَادِ عَلَى حَقُوقِ خَالِقِهِمْ .

قوله : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (أي : لكنه لم يشأ ذلك ، فلم يجعلهم أمة واحدة ؛ ف(لو) : امتناعية ، والمعنى : امتنع ذلك لِعدم مشيئة الله له .

قوله : (أهل دين واحد) أي : وهو دين الإسلام .

قوله : ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (أي : على أديان شتى ، واستفيد من هذا : أَنَّ الاختلاف كما كان حاصلًا في الأمم الماضية لا يزال مستمرًا في هذه الأمة ؛ فمنهم الكافر والمؤمن ، والطائع

إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ

﴿١١٩﴾: ﴿إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ﴾: أراد لهم الخير فلا يَخْتَلِفُونَ فيه، ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي: أهل الاختلاف له وأهل الرحمة لها، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وهي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿١٢٠﴾: ﴿وَكُلًّا﴾ نصب بـ ﴿نَقُصُّ﴾، وتنوينه عوض عن المضاف إليه، أي: كل ما يحتاج إليه ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾

حاشية الصاوي

والعاصي؛ ولذلك ورد في الحديث: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وستفترقون ثلاثاً وسبعين فرقة: اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة»^(١)، والمراد بالفرقة الواحدة: أهل السنة والجماعة.

قوله: (فلا يَخْتَلِفُونَ فيه) بل هم على دين واحد لا يَتَفَرَّقُونَ، قال تعالى: ﴿أَنَّا أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا نَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

قوله: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ اللام: للعاقبة والصيرورة، والمعنى: خلق أهل الاختلاف ليكون عاقبة أمرهم هو الاختلاف، وخلق أهل الرحمة ليكون عاقبة أمرهم الرحمة.
قوله: ﴿وَتَمَّتْ﴾ أي: حَقَّتْ ووجبت.

قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ أي: حتى تقول: (قَطْ قَطْ) بمعنى: يكفي يكفي؛ كما في الحديث، وذلك بعد أن تمدَّ أعناقها وتطلب الزيادة، فيتجلَّى الله عليها بصفة الجلال، فتخضع وتذلَّ وتقول: (قَطْ قَطْ).^(٢)

قوله: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ أي: الكفار منهم؛ لأنَّ الامتلاء على سبيل الخلود لا يكون إلا من الكفار.

قوله: (نَصَبُ بـ ﴿نَقُصُّ﴾) أي: على أنه مفعول له^(٣).

(١) رواه أبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩٢).

(٢) رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٧٢٧٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أي: للفعل (نقص)، وقد ذكر السمين في «الدر المصون» (٤٢٧/٦) أوجهاً أخرى للنصب، فانظرها.

مِّنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾
وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٢٢﴾

مِّنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا - بَدَلٌ مِّنْ (كُلًّا) - ﴿نُثَبِّتُ﴾ : نَظْمُنُ ﴿بِهِ فُؤَادَكَ﴾ : قَلْبِكَ، ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾ : الْأَنْبَاءُ أَوِ الْآيَاتِ ﴿الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ خُصُّوا بِالذِّكْرِ لِانْتِفَاعِهِمْ بِهَا فِي الْإِيمَانِ، بِخِلَافِ الْكُفَّارِ.

﴿١٢١﴾ ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ : حَالَتِكُمْ، ﴿إِنَّا عَمِلُونَ﴾ عَلَى حَالَتِنَا، تَهْدِيدٌ لَهُمْ.

﴿١٢٢﴾ ﴿وَانظُرُوا﴾ عَاقِبَةُ أَمْرِكُمْ ﴿إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ ذَلِكَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِّنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾ أي: أخبارهم.

قوله: ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ أي: القصص والأخبار التي يزداد فؤادك ثباتاً على أداء الرسالة، وتحمل أذى قومك، وعلماً بفضل أمتك وشرفها؛ حيث انقاد منها خلق كثير في مدة يسيرة، بخلاف الأمم الماضية.

قوله: (الأنباء) أي: الأخبار، وقوله: (أو الآيات) تفسير ثان، والمراد به (الآيات): آيات هذه السورة، وخصت بالذكر وإن كان جاءه الحق في جميع السور؛ تشريفاً لها؛ لكونها جمعت من قصص الأمم الماضية ما لم يكن في غيرها.

قوله: ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾ أي: اتعاظ، وقوله: ﴿وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: تذكروا وتدبروا.

قوله: (حالتكم) أي: وهي الكفر.

قوله: (على حالتنا) أي: وهي الإيمان.

قوله: (تهديد لهم) أي: تخويف، وليس المراد: الأمر بدوامهم على الكفر، بل هو على حد: إذا لم تستح.. فاصنع ما شئت.

قوله: ﴿إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ (ذلك) أي: عاقبة أمركم.

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ
عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

﴿١٢٣﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿١﴾ أي: عِلْمُ مَا غَابَ فِيهِمَا، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ﴾ - بِالْبِنَاءِ
لِلْفَاعِلِ: يَعُودُ، وَلِلْمَفْعُولِ: يُرَدُّ - ﴿الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ فَيَنْتَقِمُ مِمَّنْ عَصَى، ﴿فَاعْبُدْهُ﴾: وَحْدَهُ
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾: ثِقْ بِهِ؛ فَإِنَّهُ كَافِيكَ، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ وَإِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ
لِوَقْتِهِمْ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال كعب الأحبار: (خاتمة التوراة هي خاتمة «سورة
هود»^(١)).

قوله: (أي: علم ما غاب فيهما) أي: فلم يُكَلِّفْنَا بمعرفته.

قوله: (للمفعول) فهما قراءتان سبعيتان، والمعنى واحد^(٢).

قوله: ﴿الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ أي: أمر الخلائق كلُّهم في الدنيا والآخرة؛ من خير وشر.

قوله: (فينتقم ممن عصى) أي: ويُثِيبُ من أطاع.

قوله: ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ هذا مفرّع على قوله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ إلخ؛ أي: فحيث
كان هو العالم بما غاب في السماوات والأرض... إلخ، وإليه مرجع الأمور كلّها.. فهو حقيق
بعبادته هو لا غيره، وحقيق بالتوكل عليه، وتقويض الأمور إليه.

قوله: (ثِقْ به) أي: اعتمد عليه، ولا تَلْتَفِتْ لغيره؛ فإنه لا يضرُّ ولا ينفع، بل الضارُّ النافع
المعطي المانع هو الله، وبهذا تعلم أَنَّ التَّوَكَّلَ: أمرٌ زائدٌ على التوحيد؛ فالتوحيد ينفي الشرك،
والتوكل ينفي الأوهام المعطّلة عن مراتب الأخيار.

قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (ما): حجازية، و﴿رَبُّكَ﴾: اسمها، و﴿يَغْفِلُ﴾: خبرها
منصوب بفتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد.

(١) انظر «زاد المسير» (٢/٤١٠).

(٢) قرأ نافع وحفص بالبناء للمفعول، والباقون بالبناء للفاعل. انظر «السراج المنير» (٢/٨٧).

- وفي قِرَاءة بالفوقانية -.



حاشية الصاوي

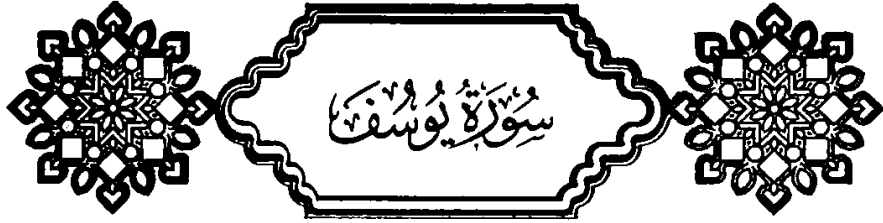
قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: (بالفوقانية) أي: خطاباً للنبي والمؤمنين.



(١) قرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب، والباقون بالياء على الغيبة. انظر «السراج المنير» (٨٧/٢).

﴿الرَّ تِلْكَ



مَكِّيَّةٌ، مائةٌ وإحدى عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ﴾ الله أعلم بِمُرَادِهِ بِذَلِكَ، ﴿تِلْكَ﴾

حاشية الصاوي

سُورَةُ يُوسُفَ (عليه السلام)

مناسبة هذه السورة لما قبلها: جمع قصص الأنبياء؛ فإنَّ ما قبلها ذُكِرَ فيها سبعُ قصص للأنبياء، وهذه من مَحاسن قصص الأنبياء، وأيضاً: ليتسلَّى النبي ﷺ بما وقع لِلأنبياء من أذى الأقارب والأباعد على ما وقع له من أذى قومه الأقارب والأباعد.

وحكمة قصِّ القصص عليه: ليتأسَّى بهم، ويتخلَّق بأخلاقهم؛ فيكون جامعاً لكمالات الأنبياء. وسببُ نزول هذه السورة: أنَّ اليهود سألت النبي ﷺ وقالوا: حدِّثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف^(١).

وهذه السورة فيها من الفوائد الشريفة والحكم المُنيفة ما لا يدخل تحت حصر؛ ولذا قال خالد بن معدان: سورة (يوسف) وسورة (مريم) تتفكَّ بهما أهل الجنة في الجنة، وقال عطاء: لا يسمع سورة (يوسف) محزونٌ إلا استراح إليها^(٢).

قوله: (مَكِّيَّة) خبرٌ أول عن (سورة)، وقوله: (مئة... إلخ) خبرٌ ثانٍ.

قوله: ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ مبتدأٌ وخبرٌ، وأشير إليها بإشارة البعيد؛ إشارةً لبعدها رتبها عن كلام الحوادث، وعلَّو شأنها.

(١) انظر «زاد المسير» (٢/٤١٢).

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٢/٥١١).

ءَايَتُ الْكِتَابِ الْمُتَيْنِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا

هذه الآيات ﴿ءَايَتُ الْكِتَابِ﴾: القرآن، والإضافة بِمَعْنَى (مِنْ)، ﴿الْمُتَيْنِ﴾: المظهر للحق من الباطل.

﴿٢﴾ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ بِلُغَةِ الْعَرَبِ، ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يَا أَهْلَ مَكَّةَ ﴿تَعْقِلُونَ﴾: تَفْقَهُونَ مَعَانِيَهُ.

﴿٣﴾ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (هذه الآيات) أي: آيات هذه السورة.

قوله: (المظهر للحق) أي: فهو مأخوذ من (أبان) المتعدي، ويصح أخذه من اللازم، ويكون المعنى: البين حلاله وحرامه.

قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: نحن بعظمتنا وجلالنا.

قوله: ﴿عَرَبِيًّا﴾ نعت لـ (القرآن)، والعربي: منسوب للعرب؛ لكونه نزل بلغتهم، والمعنى: أن القرآن نزل بلغة العرب، فليس فيه شيء غير عربي.

إن قلت: إنه قد ورد فيه شيء غير عربي ك: (سجّل)، و(مشكاة)، و(إستبرق)، وغير ذلك.

أجيب: أن هذا مما توافقت فيه اللغات، أو المراد: أن تراكيبه وأساليبه عربيّة، وإن ورد فيه غير عربي. فهو على أسلوب العرب، لا على أسلوب غيرهم. وإنما كان عربيًّا؛ لأنّ تلك اللغة أفصح اللغات، ولأنها لغة أهل الجنة في الجنة.

قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ علّة لكونه عربيًّا، والمعنى: لكي تفهموا معانيه، وتأمّلوا فيها؛ فتعلموا أنه من عند الله.

قوله: ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ صفة لمصدر محذوف، مفعول مطلق، والتقدير: قصصاً أحسن القصص، و(القصص) في اللغة: من: قصّ الأثر: تبّعهُ، سمّي الكلام الذي يُحكى عن الغير بذلك؛ لأنّ المتكلم يقص الخبر شيئاً فشيئاً، والمعنى: نحن نبين لك أخبار الأمم السابقة أحسنّ البيان.

وقيل: المراد: خصوص قصة يوسف، وإنما كانت أحسن القصص؛ لما فيها من الحكم والنكت، وسير الملوك والمماليك والعلماء، ومكر النساء، والصبر على الأذى، والتجاوز عنه أحسنّ التجاوز، وغير ذلك من المحاسن.

إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفْلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَتَابَتِ

بِإِحَائِنَا ﴿إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ﴾ - مُخَفِّفَةٌ - أي: وإنه ﴿كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفْلِينَ﴾.

﴿٤﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يَعْقُوبُ: ﴿يَتَابَتِ﴾ - بِالْكَسْرِ دَلَالَةٌ عَلَى يَاءِ الْإِضَافَةِ الْمَحذُوفَةِ،

حاشية الصاوي

قوله: (بِإِحَائِنَا) الباء سببية، وأشار بذلك إلى أَنَّ (ما) مصدرية، والجار والمجرور: متعلق بـ(نقص).

قوله: ﴿هَذَا الْقُرْآنَ﴾ اسم الإشارة: مفعول لـ ﴿أَوْحَيْنَا﴾، و﴿الْقُرْآنَ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان، أو نعت.

قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ الجملة حالية.

قوله: ﴿لَمَنِ الْغَفْلِينَ﴾ أي: لم تخطر ببالك تلك القصة، ولم تسمعها قط، بل كنت خالي الذهن منها، وهذا من معجزاته ﷺ؛ حيث يخبر عن المتقدمين والمتأخرين بأحسن تعبير وأبلغ وجه؛ ولذا قال البوصيري^(١): [البسيط]

كفَّاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمِّيِّ مُعْجَزَةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْتَّأْدِيبِ فِي الْيُسْتِمِ
فأكبر دليل على فضل الإنسان: غزارة علمه، وسعة اطلاعه على ما أعطاه الله من العلوم
اللدنية، والمعارف الربانية.

قوله: (اذكر) قدره؛ إشارة إلى أن (إذ) ظرف لمحذوف، وقيل: معمول لقوله: ﴿قَالَ يَبْنِي﴾، وهو الأولى؛ لما فيه من عدم الحذف.

قوله: ﴿يُوسُفُ﴾ هو اسم عبراني ممنوع من الصرف، وعاش من العمر مئة وعشرين سنة، وعاش أبوه مئة وسبعاً وأربعين سنة، وعاش جدّه إسحاق مئة وثمانين سنة، وعاش جدّه إبراهيم مئة وخمساً وسبعين سنة.

قوله: (بالكسر) أي: وأصلها: (يا أبي) حذفت الياء، وعوض عنها تاء التانيث، ونقلت كسرة

(١) كما في قصيدة البردة المشهورة.

إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ

وَالْفَتْحَ دَلَالَةً عَلَى أَلْفٍ مَحذُوفَةٍ قُلِبَتْ عَنِ الْيَاءِ - ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ فِي الْمَنَامِ ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾ - تَأْكِيدٌ -

حاشية الصاوي

ما قبلها لها، وفتحت الياء لمناسبة تاء التانيث، وتقول في إعرابها: (يا): حرف نداء، و(أبت): منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المعوض عنها تاء التانيث.

قوله: (والفتح) أي: وأصلها: (أبي) بكسر الباء وفتح الياء، ففتحت الباء، ثم تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، حذفت الألف، وعوض عنها تاء التانيث، وفتحت؛ للدلالة على الألف المحذوفة، وتعويض تاء التانيث عن ياء المتكلم مختص بلفظين: (أبت) و(أمت)، وهذان الوجهان زائدان على أوجه المنادى المضاف لياء المتكلم، وهي خمس جمعها ابن مالك في قوله^(١): [الرجز]

وَاجْعَلْ مُنَادَى صَحَّ إِنْ يُضَفَّ لِيَا كَعَبْدِ عَبْدِي عَبْدَ عَبْدًا عَبْدِيَا

فيكون في (أبت) و(أمت) سبعة أوجه، يجوز منها وجهان قراءة لا غير^(٢).

قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ هذه الرؤيا كانت ليلة الجمعة، ليلة القدر، وكان سنه إذ ذاك اثنتي عشرة سنة، وقيل: سبع سنين، وقيل: سبع عشرة سنة، وبين هذه الرؤيا واجتماعه بأبيه وإخوته في مصر أربعون سنة، وقيل: ثمانون، وقيل: اثنان وعشرون، وقيل: ثمانية عشر، وسيأتي تحقيق ذلك. والمراد بالسجود: قيل: الخضوع والانحناء، وقيل: المراد: حقيقة السجود.

قوله: ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ أي: وهي جريّان، والطارق، والذیال، وقابس، وعمودان، والفليق، والمصبح، والصروح، والفرع، ووثاب، وذو الكتفين؛ قد رأى الجميع نزلن من السماء، وسجدن له.

وجريان: بفتح الجيم وكسر الراء، وتشديد الياء التحتية، وقابس: بقاف وموحدة وسين مهملة، وعمودان: تشنية عمود، والفليق: بفاء آخره قاف، والمصبح: اسم مفعول، والفرع: بفاء وراء مهملة ساكنة وعين مهملة، ووثاب: بتشديد المثلة، وذو الكتفين: تشنية كتف.

قوله: (تأكيد) أي: هذه الجملة تأكيد للجملة الأولى، ويصح أن يكون قوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ جواباً

(١) «الخلاصة»، باب (المنادى المضاف لياء المتكلم).

(٢) قرأ ابن عامر بفتح التاء، والباقون بكسرها. انظر «الدر المصون» (٦/٤٣١).

لِي سَجْدِيكَ ﴿٤﴾ قَالَ يَبْنَىٰ لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ
لِلْإِنْسَنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾

﴿لِي سَجْدِيكَ﴾ جُمِعَ بِالْيَاءِ وَالنُّونِ لِلْوَصْفِ بِالسُّجُودِ الَّذِي هُوَ مِنْ صِفَاتِ الْعُقَلَاءِ .

﴿٥﴾ قَالَ يَبْنَىٰ لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾: يَحْتَالُوا فِي هَلَاكِكَ
حَسَدًا لِعِلْمِهِمْ بِتَأْوِيلِهَا مِنْ أَنَّهُمْ الْكَوَاعِبُ وَالشَّمْسُ أُمُّكَ وَالْقَمَرُ أَبُوكَ، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ
لِلْإِنْسَنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظَاهِرُ الْعَدَاوَةِ .

حاشية الصاوي

لسؤال مقدر، نشأ من قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾، كَأَنَّ قَائِلًا قَالَ: وما كيفية
رؤياك فيهم؟ فقال: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَجْدِيكَ﴾ .

قوله: (جمع بالياء والنون) أي: قوله: ﴿سَجْدِيكَ﴾ .

قوله: ﴿لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ﴾ إنما نهاه أبوه عن ذلك؛ لأنه فهم من رؤياه أَنَّ الله
يُصْطَفِيهِ لِرِسَالَتِهِ، وَيَفُوقُ إِخْوَتَهُ، فَخَافَ عَلَيْهِ حَسَدَهُمْ، وَيُؤْخِذُ مِنْ ذَلِكَ: أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى خَيْرًا
فِي مَنَامِهِ . . فلا يخبر به إلا حبيباً أو لبيباً غير حسود؛ لما قيل: (إن الرؤيا على رجلٍ طائر؛ متى
فُضَّت . . وقعت)، بخلاف رؤيا المكروه فلا يقصها؛ لما في الحديث: «إذا رأى أحدكم ما يحب . .
فلا يحدث بها إلا من يحبُّ، وإذا رأى ما يكره . . فليقل عن يساره ثلاثاً، وليتعوذ بالله من الشيطان
وشرِّها؛ فإنها لن تضرَّه»^(١) .

قوله: (والشمس أمُّك، والقمر أبوك) حكمة تأويل أمُّه بالشمس؛ لأنها يظهر منها الأقمار وهم
الأنبياء، وأبيه بالقمر؛ لأنَّ القمر يُهْتَدَى بِهِ فِي الظُّلَمِ، فكذا الرسول يهتدى به في ظلمات الجهل
والشرك، والإخوة بالكواكب؛ لأنَّ نورهم لا يبلغ نور أبيهم؛ إمَّا لأنهم أنبياء فقط وليسوا برسل،
أو أولياء فقط وليسوا بأنبياء . وما مشى عليه المفسر من أن المراد بالشمس: أمُّه . . أحد قولين،
وقيل: إنَّ أمَّه راحيل قد ماتت، والمراد بالشمس: حالته لَيَّا .

قوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ أي: فيوقع الإنسان في المعاصي؛ لفرط عداوته له .
واعلم أنَّ ما وقع من إخوة يوسف معه مما يأتي في القصة باقي على ظاهره، ولا تأويل فيه على القول

(١) رواه البخاري (٧٠٤٤)، ومسلم (٥٩٦٥) عن سيدنا أبي قتادة رضي الله عنه .

وَكَذَلِكَ يَجْجِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ
كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ ﴿٦﴾ كَمَا رَأَيْتَ ﴿٦﴾ يَجْجِيكَ ﴿٦﴾ : يَخْتَارُكَ ﴿٦﴾ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴿٦﴾ :
تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا، ﴿٦﴾ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴿٦﴾ بِالنُّبُوَّةِ، ﴿٦﴾ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ ﴿٦﴾ : أَوْلَادِهِ، ﴿٦﴾ كَمَا أَتَمَّهَا ﴿٦﴾
بِالنُّبُوَّةِ ﴿٦﴾ عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ ﴿٦﴾ بِخَلْقِهِ، ﴿٦﴾ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ فِي صُنْعِهِ بِهِمْ.

حاشية الصاوي

بعدم نبوتهم ؛ لأنَّ الولي تجوز عليه المعصية، ولكن لا يصرُّ عليها بل يتوب، وهؤلاء آل أمرهم
لحسن التوبة، وأما على القول بنبوتهم . . فهو مشكلٌ غاية الإشكال ؛ إذ كيف يقع ذلك من الأنبياء ؟!
فأجاب العلماء عن ذلك : بأنَّ هذا مبنيٌّ على أنَّ النبي معصوم بعد النبوة لا قبلها، أو كانوا لم
يبلغوا الحلم، وكلُّ هذا ليس بسديد، بل الحقُّ : أنَّ النبي معصومٌ ظاهراً وباطناً، قبل النبوة وبعدها،
وإنما الجواب الذي يشفي الغليل ويريح العليل أن يقال : إنَّ الله أطلعهم على أنَّ يوسف يُعطى النبوة
والملك بمصر، ولا يتصور ذلك إلا بهذا الفعل، فهم مأمورون به باطناً، مخالفون ظاهراً ؛ إذ ليسوا
مشرِّعين، فلا يكلِّفون إلا بخلوص بواطنهم مع ربِّهم، ونظير ذلك : قصة الخضر مع موسى ؛ حيث
قال بعدما فعل ما فعل : ﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِئِ﴾ [الكهف : ٨٢]، فهم مأمورون بحكم الباطن، مُخالفون
بحكم الظاهر، وقصة آدم في أكله من الشجرة، وتقدَّم ما يفيد ذلك في (البقرة) بأبلغ وجه^(١).
قوله : ﴿وَكَذَلِكَ يَجْجِيكَ رَبُّكَ﴾ (أي : كما رفع منزلتك بهذه الرؤيا العظيمة . . يختارك ويصطفيك
ربك .

قوله : (تعبير الرؤيا) أي : تفسيرها .

قوله : ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ (أي : يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة .

قوله : ﴿وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾ (لم يقل : (بالنبوة) ؛ إشارة للخلاف في نبوتهم .

قوله : ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ (إما بدل من ﴿أَبَوَيْكَ﴾، أو عطف بيان عليه .

قوله : ﴿عَلِيمٌ﴾ (بخلقه) أي : فيصطفي من يشاء، وقوله : ﴿حَكِيمٌ﴾ (في صنعه) أي : فيضع
الأشياء في محلِّها .

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلسَّالِيلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ

﴿٧﴾ ﴿لَقَدْ كَانَ فِي﴾ خَبَرَ ﴿يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾ وَهُمْ أَحَدَ عَشَرَ ﴿ءَايَاتٌ﴾: عِبْرٌ ﴿لِّلسَّالِيلِينَ﴾
عن خَبَرِهِمْ.

﴿٨﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالُوا﴾ أَي: بَعْضُ إِخْوَةِ يُوسُفَ لِبَعْضِهِمْ: ﴿لِيُوسُفُ﴾ مُبْتَدَأٌ ﴿وَأَخُوهُ﴾:
شَقِيقُهُ بَنِيَامِينَ ﴿أَحَبُّ﴾ - خَبَرٌ -
حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ﴾ اللام: موطئة لقسم محذوف، والتقدير: والله لقد كان... إلخ^(١).
قوله: (وهم أحد عشر) أي: وهم يهودا، وروبييل، وشمعون، ولاوي، وزبالون^(٢)، ويشجر،
وهؤلاء الستة من بنت خال يعقوب ليا، ثم بعد موتها تزوج أختها راحيل، وقيل: جمع بينهما، ولم
يكن الجمع بين الأختين محرماً في شرعه، فولدت له بنيامين، ويوسف، وأما الأربعة الباقية: دان،
ونفتالي، وجاد، وآشر... فمن سريتين: زلفة، وبلهة.

قوله: ﴿ءَايَاتٌ لِّلسَّالِيلِينَ﴾ أي: وغيرهم؛ ففيه اكتماء، وذلك: أنَّ اليهود لما سألوا رسول الله ﷺ
عن قصة يوسف - وقيل: سألوا عن انتقال أولاد يعقوب من أرض كنعان إلى أرض مصر - فذكر لهم
تلك القصة، فوجدوها مطابقة لما في التوراة، وحينئذٍ: فهي من دلائل نبوته ﷺ؛ حيث قصَّ عليهم
تلك القصة بأبلغ وجه، مع كونه لم يسبق له تعلُّم من أحد، ولا قرأ ولا كتب.
قوله: ﴿لِيُوسُفُ﴾ اللام: موطئة لقسم محذوف^(٣).

قوله: (بنيامين) بكسر الباء وفتحها، وهو أصغر من يوسف.
قوله: ﴿أَحَبُّ﴾ خبرٌ أي: عن (يوسف وأخوه)، ولم تحصل المطابقة؛ لأنه اسم تفضيل
مجرد، وهو يلزم التذكير والتوحيد، قال ابن مالك^(٤): [الرجز]

وإن لمَنكُورٍ يُضَفَّ أو جُرِّدَا أُلْزِمَ تَذَكِيرًا وَأَن يُوَحَّدَا
(وَأَحَبُّ): مصوغ من: (حُبَّ) المبني للمجهول، وهو سماعي، ولو جاء على القياس... لتوصل
إليه ب(أشد)، قال ابن مالك^(٥): [الرجز]

(١) اللام واقعة في جواب قَسَمٍ مقدر؛ كما قدره المصنف رحمه الله.

(٢) في (ط٢): (ريالون).

(٣) اللام واقعة في جواب قسم محذوف.

(٥) «الخلاصة»، باب (التعجب).

(٤) «الخلاصة»، باب (أفعل التفضيل).

إِلَى آيِنَا مِنَّا وَنَحْنُ غَضَبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَيِّكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾

﴿إِلَى آيِنَا مِنَّا وَنَحْنُ غَضَبَةٌ﴾ : جماعة، ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ﴾ : خطأ ﴿مُبِينٍ﴾ : بَيِّنٌ بِإِثَارِهِمَا عَلَيْنَا .

﴿٩﴾ ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ أي : بِأَرْضٍ بَعِيدَةٍ ، ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَيِّكُمْ﴾ : بِأَنْ يَقْبَلَ عَلَيْكُمْ وَلَا يَلْتَفِتَ لِغَيْرِكُمْ ، ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي : بَعْدَ قَتْلِ يُوسُفَ أَوْ طَرْجِهِ ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ : بِأَنْ تَتُوبُوا .

حاشية الصاوي

وَأَشَدُّ أَوْ أَشَدَّ أَوْ شَبَّهُهُمَا يَخْلُفُ مَا بَعْضُ الشَّرُوطِ عَدِمًا

واعلم : أَنَّ مادة الحب والبغض إذا بني (أفعل) التفضيل منها . . تعدَّى للفاعل بـ(إلى)، وللمفعول باللام، أو بـ(في)، والآية الكريمة من الأول؛ فإن الأب هو فاعل المحبة، وإذا قلت : زيد أحبُّ لي من عمرو، وأحبُّ فيَّ منه . . كان معناه : أَنَّ زيدا يحبني أكثر من عمرو .

قوله : ﴿وَنَحْنُ غَضَبَةٌ﴾ الجملة حالية، و(الغضب) قيل : من العشرة إلى الأربعين، وقيل : من ثلاثة إلى عشرة، وقيل : من عشرة إلى خمسة عشر، وقيل غير ذلك .

قوله : (خطأ) أي : في أمر الدنيا وما يُصلحها ؛ لأنَّا أَشَدُّ قُوَّةً، وأكبر سنًا، وأكثر منفعة من يوسف، فلمَ أثره علينا في المحبة؟ إِنَّ هذا الخطأ بيِّن، وليس المراد : الخطأ في الدين؛ فإنَّ اعتقاده كفرٌ .

قوله : (بإِثَارِهِمَا) أي : تقديمهما .

قوله : ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ . . . إلخ) إنما قالوا ذلك ؛ لأنَّ خبر المنام بلغهم، فتشاوروا في كيدهِ بين أحد أمرين : إما قتله، أو تغريبه بأرض بعيدة .

قوله : (أي : بأرض) أشار بذلك إلى أن قوله : ﴿أَرْضًا﴾ منصوب بنزع الخافض، ويصح نصبه على الظرفية ؛ لأنَّ المقصود : أيُّ أرضٍ بعيدة .

قوله : ﴿وَجْهَ أَيِّكُمْ﴾ أي : قلبه، والمعنى : لا يكون لكم منازعٌ في محبَّته فيكم حينئذٍ .

قوله : (بأن تتوبوا) أي : تُصلحوا دينكم بعد هذه الفعلة .

قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيِّبَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَتَّبَعْنَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنْصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا

﴿١٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ ﴿هُوَ يَهُودَا﴾: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ﴾: اطرَحُوهُ ﴿فِي غَيِّبَتِ الْجُبِّ﴾: مُظْلِمِ الْبُئْرِ، وفي قِرَاءَةِ الْجَمْعِ، ﴿يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾: الْمُسَافِرِينَ، ﴿إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ مَا أَرَدْتُمْ مِنَ التَّفْرِيقِ فَافْعَلُوا بِذَلِكَ.

﴿١١﴾ قَالُوا يَتَّبَعْنَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنْصِحُونَ: لِقَائُمُونَ بِمَصَالِحِهِ.

﴿١٢﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا إِلَى الصَّحَرَاءِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قَالَ قَائِلٌ﴾ هذا رأي ثالث أرفق بيوسف مما تقدّم من الخصلتين.

قوله: (هو يهودا) بدال مهملة، وأصله بالعبرانية: بالمعجمة، لكن لما استعملته العرب.. أهملته، وكان أكبرهم سنًا، وأحسنهم رأيًا، وقيل: القائل روبيل.

قوله: ﴿فِي غَيِّبَتِ الْجُبِّ﴾ الغيبة: الشيء المظلم، و(الجب): البئر التي لم تُطَوَّ، والمعنى: اطرَحُوهُ فِي قَعْرِ الْبُئْرِ الْمَظْلَمِ، وكان بأرض بيت المقدس، وقيل: بالأردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب.

قوله: ﴿يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ أي: لأن هذا الجب كان يَرُدُّ عليه كثير من المسافرين.

قوله: ﴿فَافْعَلُوا بِذَلِكَ﴾ قدره؛ إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف.

قوله: ﴿قَالُوا يَتَّبَعْنَا﴾ هذا مرتب على محذوف، وذلك أنهم قالوا أولاً ليوسف: اخرج معنا إلى الصحراء إلى مواشينا، فنستبق ونصيد، وقالوا له: سَلْ أَبَاكَ أَنْ يَرْسَلَكَ مَعَنَا، فسأله، فتوقف يعقوب، فقالوا: ﴿مَا لَكَ...﴾ إلخ، والمعنى: أي شيء ثبت لك في عدم أمتنا؟

قوله: ﴿تَأْمَنَّا﴾ اتفق القراء على إخفاء النون الساكنة عند النون المتحركة، واتفقوا أيضاً على إدغامها مع الإشمام كما في «الخطيب»^(١)، ومن الشواذ: ترك الإدغام كما في «أبي السعود»^(٢).

قوله: ﴿لِقَائُمُونَ بِمَصَالِحِهِ﴾ أي: لعاطفون عليه، حافظون له.

قوله: ﴿غَدًا﴾ منصوب على الظرفية، والغد: اليوم الذي بعد يومك.

(١) «السراج المنير» (٩٣/٢).

(٢) «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» (٢٥٧/٤).

يَرْتَع وَيَلْعَب وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ
الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا
لَخَسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَبَتِ الْجُبِّ

﴿يَرْتَع وَيَلْعَب﴾ - بالنون والياء فيهما -: نَشِطٌ وَنَتَّسِعُ، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

﴿١٣﴾ ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ أي: ذهابكم ﴿به﴾ لفراقه، ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ
الذِّئْبُ﴾ المراد به الجنس، وكانت أرضهم كثيرة الذئاب، ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾:
مَشْغُولُونَ.

﴿١٤﴾ ﴿قَالُوا لَئِنْ﴾ - لام قَسَمَ - ﴿أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: جماعة، ﴿إِنَّا إِذَا
لَخَسِرُونَ﴾: عاجزون، فأرسله معهم.

﴿١٥﴾ ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا﴾: عَزَمُوا ﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَبَتِ الْجُبِّ﴾ - وجواب (لَمَّا)

حاشية الصاوي

قوله: (بالنون والياء فيهما) أي: في ﴿يَرْتَع وَيَلْعَب﴾، وهما قراءتان سبعيتان^(١)، والرتع:
التمتع في أكل الفواكه ونحوها، واللعب: بالاستيقاق والانتضال تمريناً لقتال الأعداء، وهو غرض
صحيح مباح؛ لما فيه من تعلم المحاربة والإقدام على العدو.

قوله: ﴿لَيَحْزُنُنِي﴾ (الحزن: ألم القلب بفراق المحبوب).

قوله: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ بالهمز وتركه، قراءتان سبعيتان^(٢)، وسبب خوفه: أنه كان
رأى في المنام أن ذئباً تعرض ليوسف، فكان يخاف عليه الذئب.

قوله: ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ هذا جواب عن غرضه الثاني، وهو قوله: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ
الذِّئْبُ﴾، وأما الأول وهو قوله: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي﴾ إلخ.. فلم يجيبوا عنه؛ لأن غرضهم حصوله.
قوله: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ الجملة حالية.

قوله: (عاجزون) أي: فالخسران مجاز عن الضعف والعجز؛ لأنه يشبهه.

قوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ﴾ تقدم أنه كان بين ذهابهم به واجتماعه بأبيه أربعون سنة، وقيل:
ثمانون سنة، لم تجف فيها عين يعقوب.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالنون فيهما، والباقون بالياء. انظر «السراج المنير» (٩٣/٢).

(٢) قرأ السوسي والكسائي وورش بعدم الهمز، والباقون بالهمز. انظر «الدر المصون» (٤٥٢/٦).

وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ

مَحْذُوف - أي: فَعَلُوا ذَلِكَ، بِأَنْ نَزَعُوا قَمِيصَهُ بَعْدَ ضَرْبِهِ وَإِهَانَتِهِ وَإِرَادَةِ قَتْلِهِ، وَأَدْلَوْهُ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى نِصْفِ الْبَيْتِ الْقَوَّةَ لَيَمُوتَ، فَسَقَطَ فِي الْمَاءِ، ثُمَّ أَوَى إِلَى صَخْرَةٍ فَنَادَوْهُ فَأَجَابَهُمْ يُظَنُّ رَحْمَتَهُمْ، فَأَرَادُوا رَضْخَهُ بِصَخْرَةٍ فَمَنَعَهُمْ يَهُودًا، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ فِي الْجُبِّ وَحْيَ حَقِيقَةٍ وَلَهُ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً

حاشية الصاوي

قوله: (بأن نزعوا قميصه... إلخ) روي: أنهم لما برزوا به إلى الصحراء.. أخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه، فصار يصيح ويستغيث، فقال يهودا: أما عاهدتموني على ألا تقتلوه، فأتوا به إلى البئر، فدلّوه فيها، فتعلّق بشفيرها، ونزعوا قميصه؛ ليلطخوه بالدم، ويحتالوا به على أبيهم، فقال: يا إخوتاه؛ ردّوا عليّ قميصي أتواري به، فقالوا له: ادعُ الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر يُلبسوك ويؤنسوك^(١).

وفي القصص: أنّ إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار جرّد عن ثيابه، فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة، فألبسه إياه، فدفعه إبراهيم إلى إسحاق، ودفعه إسحاق إلى يعقوب، فجعله في عنق يوسف، فألبسه الملك إياه حين ألقي في الجب، فأضاء له الجب^(٢)، وسيأتي أنه القميص الذي أرسله مع البشير بأمر جبريل، وأخبره: أنه لا يُلْقَى على مبتلى إلاّ عوفي.

قوله: (ثم أوى إلى الصخرة) أي: جاء له بها الملك، فأجلسه عليها، قال الحسن: لما ألقي يوسف في الجب.. عذّب ماؤه؛ فكان يُغنيه عن الطعام والشراب، ودخل عليه جبريل، فأنس به، فلما أمسى.. نهض ليذهب، فقال: إنك إذا خرجت.. استوحشت، فقال: إذا رهبت من شيء.. فقل: يا صريخ المستصرخين، ويا غوث المستغيثين، ويا مفرّج كرب المكروبين؛ قد ترى مكاني، وتعلم حالي، ولا يخفى عليك شيء من أمري؛ فلما قالها يوسف.. حفّته الملائكة، واستأنس في الجب، وفرّج الله عنه بخروجه من ليلته - وقيل: إنه مكث في الجب ثلاثة أيام - فكان إخوته يرعون حوله، وكان يهودا يأتيه بالطعام^(٣).

(١) انظر «تفسير البغوي» (٤/٢٢١).

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٢/٥١٦).

(٣) انظر «زاد المسير» (٢/٤١٩).

لَتَنبِتَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءُوا آبَاءَهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِثُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكُلْهُ الْذِّبْتُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ

أَوْ دُونَهَا تَطْمِئِنَّا لِقَلْبِهِ، ﴿لَتَنَتَّهِمُ﴾ ﴿بَعْدَ الْيَوْمِ﴾ ﴿بِأَمْرِهِمْ﴾ ﴿بِصْنِيعِهِمْ﴾ ﴿هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾
بِكَ حَالِ الْإِنْبَاءِ.

﴿۱۶﴾ ﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمَا عِشَاءً﴾: وَقْتَ الْمَسَاءِ ﴿يَبْكُونَ﴾.

﴿١٧﴾ قَالُوا يَبْنَائَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ ﴿١﴾: نَرْمِي ﴿٢﴾ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا ﴿٣﴾: ثِيَابِنَا، ﴿٤﴾ فَأَكَلَهُ الذِّبُّ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ ﴿٥﴾: بِمُصَدِّقٍ ﴿٦﴾ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿٧﴾ عِنْدَكَ لَا تَهْمَتْنَا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ؛ لِمَحَبَّةِ يُوسُفَ، فَكَيْفَ وَأَنْتَ تُسِيءُ الظَّنَّ بِنَا؟

﴿١٨﴾ ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَيْصِهِ﴾ - مَحَلُّهُ نَصَبٌ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ - أَي: فَوْقَهُ ﴿يَدْمِرُ كَذِبٌ﴾
 أَي: ذِي كَذِبٍ،

حاشية الصاوى

قوله: (أو دونها) قيل: خمسة عشر، وقيل: اثني عشر، وقيل: سبعة.

قوله: ﴿لَتَيْتَنَّهُمْ﴾ أي: كما سيأتي في قوله: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ...﴾ [يوسف: ٥٨] الآية.

قوله: ﴿عِشَاءً﴾ أي: ليكونوا في الظلّة؛ ليقبل اعتذارهم، فلما بلغوا منزل يعقوب.. جعلوا يَبْكُون ويصرخون، فسمع أصواتهم، ففزع من ذلك وسألهم، فأجابوه بما ذكر.

قوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾... إلخ) في هذا الكلام فتحُ باب اتِّهام لهم كما لا يخفى.

قوله: (لَا تَهْمُنَا... إلخ) قَدَّرَهُ المفسِّر؛ إشارةً إلى أن (لو) شرطية، وجوابها محذوف، والأسهل من هذا جعل الواو حالية، و(لو) زائدة، والتقدير: وما أنت بمؤمن لنا والحال أنا كنا صادقين في نفس الأمر.

قوله: (محلّه: نصب) أى: فـ(على) ظرفٌ بمعنى (فوق).

قوله: (أي: ذي كذب) أشار بذلك إلى أنَّ وصف الدم بالكذب على حذفٍ مضاف، ويصح أن يكون مبالغةً على حدٍّ: زيدٌ عدلٌ.

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

بِأَن ذَبَحُوا سَخْلَةً وَلَطَّخُوهُ بِدَمِهَا، وَذَهَلُوا عَنْ شَقِّهِ وَقَالُوا: إِنَّهُ دَمُهُ، ﴿قَالَ﴾ يَعْقُوبُ لَمَّا رَأَاهُ صَاحِبِحاً وَعَلِمَ كَذِبَهُمْ: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾: زَيَّنَتْ ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: فَعَمَلْتُمُوهُ بِهِ، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: لَا جَزَعَ فِيهِ، وَهُوَ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ أَي: أَمْرِي، ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾: الْمَطْلُوبُ مِنْهُ الْعَوْنُ ﴿عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾: تَذْكُرُونَ مِنْ أَمْرِ يُوسُفَ.

حاشية الصاوي

قوله: (سخله) هي: الصغيرة من الغنم.

قوله: (وذهلوا عن شقه) أي: عن تمزيقه؛ لأنَّ العادة أنَّ الذئب إذا أكل الإنسان.. يشقُّ قميصه، وقد ذهلوا عن هذه الحيلة كي لا تتمَّ لهم.

قوله: (لما رآه صحيحاً) روي: أنه قال: (ما أحلم هذا الذئب يأكل ابني، ولا يقدرُ قميصه!)^(١)، وقيل: إنهم أتوه بذئب وقالوا: هذا أكله، فقال يعقوب: أيها الذئب أنت أكلت ولدي وثمره فؤادي؟! فأنطقه الله وقال: والله ما أكلتُ ولدك ولا رأيته قط، ولا يحل لنا أن نأكلُ لحوم الأنبياء، فقال له يعقوب: فكيف وقعت بأرض كنعان؟ فقال: جئت لصلة الرحم، فأخذوني وأتوا بي إليك، فأطلقه يعقوب^(٢).

قوله: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ أي: سهَّلت لكم أنفسكم أمراً عظيماً فَعَمَلْتُمُوهُ بيوسف، وهَوَّنْتُمُوهُ فِي أَعْيُنِكُمْ.

قوله: (لا جزع فيه) فسَّرَ المفسِّرُ الصبرَ الجميل: بأنه الذي لا جزع فيه، والأولى: أن يفسَّره بما في الحديث: (بأنه الذي لا شكوى فيه لغير الله)^(٣)، وأما الهجر الجميل.. فهو الذي لا إيذاء معه، والصفح الجميل: هو الذي لا عتاب بعده، وقد تحقَّق بجميعها كلُّ من يوسف ويعقوب.

قوله: (المطلوب منه العون) أي: فالسين والتاء للطلب.

قوله: ﴿عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ أي: على تحمُّلِ المكارة التي تذكرونها في أمر يوسف.

(١) انظر «السراج المنير» (٩٥/٢).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٢٢٣/٤)، وهو من الأخبار الإسرائيلية الغريبة.

(٣) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٥٨٥/١٥).

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلْمٌ

﴿١٩﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ: مُسَافِرُونَ مِنْ مَدِينٍ إِلَى مِصْرَ، فَتَنَزَّلُوا قَرِيباً مِنْ جُبِّ يُوسُفَ، ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ الَّذِي يَرِدُ الْمَاءَ لِيَسْتَقِي مِنْهُ، ﴿فَأَدْلَى﴾: أَرْسَلَ ﴿دَلْوَهُ﴾ فِي الْبَيْتِ، فَتَعَلَّقَ بِهَا يُوسُفُ فَأَخْرَجَهُ، فَلَمَّا رَأَاهُ ﴿قَالَ يَبُشْرَى﴾ - وَفِي قِرَاءَةٍ: (بُشْرَى) - وَنَدَاؤُهَا مَجَازٌ، أَي: احْضُرِي فِهَذَا وَقْتُكَ، ﴿هَذَا غُلْمٌ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ جمع سائر؛ أي: مسافر، سُمُوا بذلك؛ لسيَرهم في الأرض.

قوله: (من مدين إلى مصر) أي: فأخطوا الطريق ونزلوا بأرض قفراء قريباً من الجب.

قوله: ﴿فَأَرْسَلُوا﴾ ذكر باعتبار المعنى، ولو راعى اللفظ.. لقال: (فأرسلت واردة).

قوله: ﴿وَارِدَهُمْ﴾ وهو مالك بن ذعر الخزاعي، وهو من أهل مدين.

قوله: ﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ يقال: أدلى بالهمز: إذا أرسل الدلو في البئر، ودلّاه بالتضعيف:

إذا نَزَعَهُ، والدلو: مؤنث، وقد يذكر.

قوله: (فأخرجه) أي: بعد أن مكث فيها ثلاثة أيام على ما قيل، ولما أخرج.. صارت جذران

البئر تبكي عليه.

قوله: ﴿قَالَ يَبُشْرَى﴾ أي: منادى مضاف لياء المتكلم.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: (ونداؤها مجاز) أي: لتزليها منزلة العاقل.

قوله: ﴿هَذَا غُلْمٌ﴾ التنكير للتعظيم؛ لأنه كان عليه السلام حسن الوجه، جعد الشعر، ضخم

العينين، مستوي الخلق، أبيض اللون، غليظ الساعدين والعضدين والساقين، خميص البطن، صغير

السرة، وكان إذا ابتسم.. ظهر النور من ضواحه، وإذا تكلم.. ظهر من ثناياه، وبالجملة: لم يكن

أحسن منه إلا سيدنا محمداً ﷺ؛ فَإِنَّ يُوسُفَ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحَسَنِ، ورسول الله أعطي الحسن كاملاً،

قال البوصيري^(٢): [البسيط]

(١) قرأ حمزة وعاصم والكسائي بحذف الياء بعد الألف، والباقون بإثبات الياء. انظر «السراج المنير» (٢/ ٩٧).

(٢) كما في قصيدة البردة المشهورة.

وَأَسْرُوهُ بِضْعَةَ وَاللَّهِ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

فَعَلِمَ بِهِ إِخْوَتَهُ فَأَتَوْهُ، ﴿وَأَسْرُوهُ﴾ أَي: أَخْفَوْا أَمْرَهُ جَاعِلِيهِ ﴿بِضْعَةً﴾ بِأَنْ قَالُوا: هَذَا عَبْدُنَا أَبَقَ، وَسَكَتَ يُوسُفُ خَوْفًا أَنْ يَقْتُلُوهُ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

حاشية الصاوي

مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكَ فِي مَحَاسِنِهِ فَجَوْهَرُ الْحَسَنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمٍ

إِنْ قُلْتَ: إِذَا كَانَ كَذَلِكَ.. فَلِمَ لَمْ تُفَتِّنِ النِّسَاءَ بِجَمَالِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَمَا افْتَتَنَ بِجَمَالِ يُوسُفَ؟

أَجِيبَ: بِأَنَّ جَمَالَ مُحَمَّدٍ ﷺ قَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ بِالْجَلَالِ؛ كَالشَّمْسِ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَتَأَمَّلَ فِيهَا إِذَا قَرَّبَ مِنْهَا؛ وَلِذَا لَمْ تُرَوِّ الشَّمَائِلُ الشَّرِيفَةُ إِلَّا عَنْ صِغَارِ الصَّحَابَةِ كَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ وَغَيْرِهِمْ، لَا عَنْ كِبَارِهِمْ؛ لِقِيَامِ الْجَلَالِ بِقُلُوبِهِمْ، فَيَمْنَعُهُمْ مِنْ وَصْفِهِ، وَأَمَّا جَمَالُ يُوسُفَ.. فَهُوَ ظَاهِرٌ لَمْ يَسْتَتِرْ بِجَلَالِ كَالْبَدْرِ؛ فَحِينَئِذٍ: يَتَأَمَّلُ فِيهِ الْمُتَأَمِّلُ، وَيَصِفُهُ الْوَاصِفُ، غَيْرَ أَنَّهُ يَعْجُزُ عَنْ اسْتِيعَابِ مَحَاسِنِهِ، وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ ابْنِ الْفَارُضِ^(١): [الكامل]

لَوْ أَسْمَعُوا يَعْقُوبَ ذِكْرَ مَلَا حَةٍ فِي وَجْهِهِ نَسِيَ الْجَمَالَ الْيُوسُفِي

قَوْلُهُ: (فَعَلِمَ بِهِ إِخْوَتَهُ) أَي: حِينَ نَظَرُوا إِلَى الْقَافِلَةِ وَاجْتَمَاعِهَا عَلَى الْبَثْرِ، فَأَتَوْهُمْ وَقَدْ ظَنُّوا مَوْتَ يُوسُفَ، فَرَأَوْهُ أَخْرَجَ حَيًّا، فَضْرِبُوهُ وَشَتَمُوهُ وَقَالُوا: هَذَا عَبْدُ أَبَقَ مِنَّا؛ فَإِنْ أَرَدْتُمْ.. بِعْنَاهُ لَكُمْ، ثُمَّ قَالُوا لَهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ: لَا تَنْكَرِ الْعِبُودِيَّةَ نَقْتَلُكَ، فَأَقْرَبَهَا، فَاشْتَرَاهُ مَالِكُ بْنُ ذَعْرِ الْخَزَاعِي.

قَوْلُهُ: ﴿وَأَسْرُوهُ﴾ (الضمير عائد على (السيارة) بمعنى: بعضهم، وهو مَالِكُ بْنُ ذَعْرِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْبَائِعَ وَالْمَشْتَرِيَّ أَخْفَوْا أَمْرَهُ وَجَعَلُوهُ بِضَاعَةً؛ أَي: قَالُوا: إِنَّهُ بِضَاعَةٌ اسْتَبْضَعْنَاهُ لِبَعْضِ أَهْلِ الْمَاءِ؛ لِئَنِّيَعَهُ لَهُمْ بِمِصْرَ، وَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ؛ خِيفَةَ أَنْ يَطْلُبُوا مِنْهُ الشَّرَكَةَ فِيهِ، وَقَوْلُهُ: (جَاعِلِيهِ) حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ (أَسْرُوهُ)، وَقَوْلُهُ: ﴿بِضْعَةً﴾ (معمولٌ لتلك الحال، وهذا في الحقيقة، وأما بحسب الظاهر.. فهو حالٌ من الواو في (أَسْرُوهُ)، ومعنى قَوْلُهُ: ﴿بِضْعَةً﴾: أَنَّهُ مَلِكٌ لِلْغَيْرِ، أَعْطَوْهُ لَهُ؛ لِيَبِيعَهُ لَهُمْ، وَيَصْحُحُّ أَنْ يَعُودَ الضَّمِيرُ عَلَى الْإِخْوَةِ، وَيَكُونُ مَعْنَى الْبِضَاعَةِ: الشَّيْءُ الْمَتَمَوِّلُ الَّذِي يُبَاعُ وَيَشْرَى، وَعَلَيْهِ دَرَجُ الْمَفْسَّرِ.

قَوْلُهُ: ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (أَي: مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي ظَاهِرُهُ قَبِيحٌ، وَبَاطِنُهُ حَسَنٌ؛ حَيْثُ تَرْتَّبَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْفَوَائِدِ الْعَظِيمَةِ مَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ حَصْرِ، وَهَذَا تَعْلِيمٌ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ التَّفْوِيزَ وَالتَّسْلِيمَ لَهُ فِي شَأْنِ إِخْوَةِ يُوسُفَ، وَالْمَعْنَى: لَا تَخْضُ أَثْنُهَا السَّامِعُ فِي شَأْنِهِمْ بِسَوْءٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ.

وَشَرَّوْهُ بِشَمْسٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا

﴿٢٠﴾ وَشَرَّوْهُ: باعوه منهم ﴿بِشَمْسٍ بَخْسٍ﴾: ناقص ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ عشرين أو اثنين وعشرين، ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾، فجاءت به السيَّارة إلى مصر، فباعه الَّذِي اشترَاهُ بِعِشْرِينَ دِينَاراً وَزَوْجِي نَعْلٍ وَثَوْبَيْنِ. ﴿٢١﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ ﴿وَهُوَ قُطْفِيرُ الْعَزِيزِ﴾ لِأَمْرَأَتِهِ: زَلِيخَا: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَهُ﴾: مُقَامَهُ عِنْدَنَا، ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾

حاشية الصاوي

قوله: (باعوه) أي: إخوته، وقوله: (منهم) أي: السيَّارة، والمعنى: باعه إخوته للسيَّارة؛ أي: بعضهم، وهو مالك بن ذعر الخزاعي.

قوله: (ناقص) أي: عن قيمته لو كان رقيقاً، وقيل: إنَّ البخس معناه: الحرام؛ لأنه ثمن حرٍّ، وهو حرام.

قوله: ﴿مَعْدُودَةٍ﴾ أشار بذلك إلى أنها قليلة؛ لأنهم كانوا لا يزنون ما قلَّ عن أربعين درهماً، ويأخذونها عدداً، ويزنون ما بلغها وهو أوقية.

قوله: (أي: إخوته) ويصح أن يعود الضمير على (السيَّارة)، وإنما زهدوا فيه؛ لخوفهم منه حيث وُصِفَ لهم بالإباق.

قوله: ﴿الَّذِي اشْتَرَاهُ﴾ أي: وهو مالك بن ذعر الخزاعي.

قوله: (بعشرين ديناراً... إلخ) وقيل: لما عرض للبيع... ترفع الناس في ثمنه حتى بلغ وزنه ذهباً، وقيل: فضة، وقيل: مسكاً، وقيل: حريراً، وكان وزنه أربع مئة رطل.

قوله: (وهو قطفير العزيز) أي: وكان وزيراً للريان ملك مصر، وقد آمن بيوسف، ومات في حياته، وقد اشترى العزيز يوسف وهو ابن سبع عشرة سنة، ومكث في منزله ثلاث عشرة سنة، واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين سنة، وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وتوفي وهو ابن مئة وعشرين سنة.

قوله: (زليخا) بفتح الزاي وكسر اللام والمد، وبضم الزاي وفتح اللام.

قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ أي: يكفيننا بعض أمورنا إذا قوي وبلغ، أو يريح إذا أردنا بيعه.

أَوْ نَنخِذْهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ؕ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا . . .

أَوْ نَنخِذْهُ وَلَدًا ﴿٢١﴾ وَكَانَ حَصُورًا، ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما نَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَتْلِ وَالْجُبِّ وَعَظَّمْنَا عَلَيْهِ قَلْبَ الْعَزِيزِ، ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾: أَرْضِ مِصْرَ حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ، ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا، عُطِفَ عَلَى مُقَدَّرٍ مُتَعَلِّقٍ بِ﴿مَكَّنَّا﴾، أَي: لِنَمْلِكُهُ، أَوْ الْوَاقِعِ زَائِدَةً، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ تَعَالَى لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وَهُمْ الْكُفَّارُ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذَلِكَ.

﴿٢٢﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ؕ وَهُوَ ثَلَاثُونَ سَنَةً أَوْ ثَلَاثٌ، ﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾: حِكْمَةً

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَوْ نَنخِذْهُ وَلَدًا﴾ أي: نَتَبَّاهُ، و(أو): مانعة خلوّ تجوُّز الجمع، وهو المقصود لهما.

قوله: (وكان حصوراً) أي: لا يأتي النساء، أو عقيماً.

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ إلى قوله: ﴿تَجَزَّى الْمُحْسِنِينَ﴾ معترضٌ بين وصية العزيز وما وقع من زوجته.

قوله: (من القتل) أي: الذي عزم عليه إخوته، وقوله: (والجُبِّ) أي: الذي رموه فيه.

قوله: (وعظفنا عليه قلب العزيز) أي: خلقنا فيه الميل والمحبة؛ حيث دفع فيه المال الكثير، وأوصى زوجته عليه.

قوله: ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ أي: أعطيناه مكانةً ورتبةً عاليةً في الأرض.

قوله: (حتى بلغ ما بلغ) أي: من السلطنة والعزِّ.

قوله: (لنملكه) إما من: المِلْك بكسر الميم؛ أي: نجعله مالِكاً لما فيها، أو من: المُلْك بضمُّها؛ أي: نجعله سلطاناً على أهلها.

قوله: (أو: الواو زائدة) أي: والمعنى: مكَّنَّا ليوسف في الأرض لنعلمه . . . إلخ.

قوله: (لا يعجزه شيء) أي: لأنه يحكم ما يشاء، ويفعل ما يريد؛ فلا رادَّ لما قضاه.

قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ جمع (شِدَّة) ك(نِعْمَة) و(أَنْعَم)، ولم يقل هنا: ﴿وَأَسْتَوَى﴾ كما قال في حقِّ موسى؛ لأنَّ موسى بلغ الأربعين، وهي سنُّ النبوة؛ فقد استوى وتهيَّأ لحمل أسرار النبوة، وأمَّا يوسف . . . فلم يكن إذ ذاك بلغ هذا السن.

قوله: (حكمة) هي: العلم مع العمل.

وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ

﴿وَعِلْمًا﴾: فقهاً في الدين قبل أن يُبعث نبياً، ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جَزَيْنَاهُ ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسِهِمْ.

﴿٢٢﴾ وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي: طَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يُوَاقِعَهَا، ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ لِلْبَيْتِ، ﴿وَقَالَتْ﴾ لَهُ: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ أي: هَلُمَّ، وَاللَّامُ لِلتَّبْيِينِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَعِلْمًا﴾ عطف عام.

قوله: (كما جزيناه) أي: بكل خير.

قوله: ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: فاعلين الإحسان، والمعنى: لا خصوصية ليوسف بذلك، بل سَنَّهُ اللهُ فِي خَلْقِهِ: أَنَّ كُلَّ مُحْسِنٍ لَهُ مِنَ اللهِ الْجَزَاءُ الْحَسَنُ.

قوله: ﴿وَرَوَدَتْهُ﴾ هذه الآية مرتبطة بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ...﴾ إلخ، وما بينهما اعتراضٌ قَصِدَ بِهِ بَيَانُ عَوَاقِبِ صَبْرِ يُوسُفَ مِنَ السَّيَادَةِ وَالْخَيْرِ الْعَظِيمِ.

والمراودة: مفاعلة، وهي في الأصل تكون من الجانبين، ولكنها هنا من جانب واحد، ولما كان الجانب الآخر سبباً في حصول الفعل.. نزل منزلته فقليل فيه: مُفاعلة؛ وذلك أَنَّ جَمَالَ يُوسُفَ سَبَبٌ لِمِيلِهَا وَطَلِبُهَا لَهُ؛ فالمفاعلة ليست على بابها، نظير مداواة المريض؛ فَإِنَّ سَبَبَ المداواة: المرض القائم بالمريض.

قوله: (هي زليخا) أي: ولم يصرَّح باسمها استهجاناً له، وسترأ، وتعليماً للأدب؛ كأن الله يقول: من الآداب ألا يذكر أحد زوجته باسمها، بل يُكنِّي عنها، ولم يذكر القرآن اسم امرأة إلا مريم، وتقدَّم الجواب عنه: أن النصارى زعموا أنها زوجة الله، فذكرها باسمها؛ ردّاً عليهم، كأنه يقول: إِنَّ أَحَدَكُمْ يَسْتَنَكِفُ عَنْ ذِكْرِ اسْمِ زَوْجَتِهِ بَيْنَ النَّاسِ؛ فَلَوْ كَانَتْ زَوْجَةً لَهُ كَمَا تَزْعُمُونَ.. لَكُنِّي عَنْهَا كَمَا يَكْنِي الرَّجُلُ عَنْ زَوْجَتِهِ.

قوله: (أي: طلبت منه) أشار بذلك إلى أَنَّ المِراوِدَةَ من جانبها فقط.

قوله: ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ أي: وكانت سبعة.

قوله: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ أي: بفتح الهاء والتاء؛ ك: كَيْفَ.

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا

وفي قراءة بكسر الهاء، وأخرى بضم التاء، ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، ﴿إِنَّهُ﴾: أَي: الَّذِي اشْتَرَانِي ﴿رَبِّي﴾: سَيِّدِي، ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾: مُقَامِي فَلَا أَخُوْنَهُ فِي أَهْلِهِ، ﴿إِنَّهُ﴾: أَي: الشَّانَ ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: الزُّنَاة.

﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ: قَصَدَتْ مِنْهُ الْجَمَاعَ، ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾: قَصَدَ ذَلِكَ،

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة: بكسر الهاء) أي: مع فتح التاء؛ ك: (قِيلَ)، وقوله: (وأخرى بضم التاء) أي: مع فتح الهاء؛ ك: (حَيْثُ)، فهذه ثلاث قراءات، وبقي قراءتان وهما: (هَيْتُ) بكسر الهاء، وبالهززة الساكنة، وفتح التاء أو ضمها، وكلُّها سبعة^(١).

قوله: (واللام للتبيين) أي: تبيين المفعول الذي هو المخاطب؛ كأنها تقول: الخطابُ لك؛ نظير: سقياً لك، ورعياً لك.

قوله: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ منصوبٌ على أنه مصدر نائب من الفعل، والأصل: أَعُوذُ بِاللَّهِ مَعَاذًا؛ ك: سبحان الله؛ بمعنى: أسبِّح الله.

قوله: ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ الهاء: اسم (إِنَّ)، و﴿رَبِّي﴾: خبرها، و﴿أَحْسَنَ﴾ جملةٌ حاليةٌ، أو خبرٌ ثانٍ. وما درج عليه المفسِّر من أَنَّ الضمير للحال والشأن، ومراده برَبِّهِ: الذي اشتراه.. أحدُ تفسيريْن، والآخر: أَنَّ الضمير يعود على الله تعالى، وهو الأقرب والأظهر^(٢).

قوله: ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ أي: تعهّدي حيثُ أمرُك بإكرامي؛ فلا يُلَيِّقُ مِنِّي أن أخونه، وفيه إرشادٌ لها إلى رعاية حقِّ العزيز بلطفٍ.

قوله: (قصدت منه الجماعة) أي: مع العزم والتّصميم.

قوله: (قصد ذلك) أي: بمقتضى الطّبع البشريِّ من غير رضا ولا تصميم؛ كميلِ الصائم للماء

(١) قرأ نافع وابن ذكوان: (هَيْتُ) بكسر الهاء، وباء ساكنة، وتاء مفتوحة، وقرأ ابن كثير: (هَيْتُ) بفتح الهاء، وباء ساكنة، وتاء مضمومة، وقرأ هشام: (هَيْتُ) بكسر الهاء، وهززة ساكنة، وتاء مفتوحة أو مضمومة، وقرأ الباقون: (هَيْتُ) بفتح الهاء، وباء ساكنة، وتاء مفتوحة. انظر «الدر المصون» (٦/٤٦٣).

(٢) وقد أنكر جماعة الأول، قال مجاهد والسدي وابن إسحاق: يبعد جدًّا أن يطلق نبيُّ كريمٍ على مخلوق أنه ربُّه، ولا بمعنى السيّد؛ لأنه ليس مملوكاً في الحقيقة. انظر «الدر المصون» (٦/٤٦٦).

لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ ۖ﴾

﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ قال ابن عباس: مُثِّلَ لَهُ يَعْقُوبُ فَضْرَبَ صَدْرَهُ فَخَرَجَتْ شَهْوَتُهُ مِنْ أَنَامِلِهِ، وَجَوَابُ (لَوْلَا): لَجَامَعَهَا، ﴿كَذَلِكَ﴾ أَرَيْنَاهُ الْبُرْهَانَ ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾:

حاشية الصاوي

البارد، ولكنه يمنعه دينه عنه، وهذا لا يؤاخذ به الإنسان، بل في مدافعتة الثواب الجزيل، والأجر الجميل، فمخالفة النفس عن شهواتها مع وجود ميل الطبع.. أعلى وأجل من تركها لعدم الميل لها؛ ولذا يباهي الله بالشباب التارك لشهواته الملائكة الكرام، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿[النازعات: ٤٠-٤١].

قوله: (قال ابن عباس... إلخ) أي: وفي رواية: (أنه انفرج سقف البيت، فرأى يعقوب عاصاً على أصبعه)، وفي رواية: (أنه نودي: يا يوسف؛ أتوقعها، إنما مثلك ما لم تُواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق عليه، وإنما مثلك إن واقعتها مثل الطير إذا وقع على الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيئاً، ومثلك ما لم تواجهها مثل الثور الصعب الذي لا يطاق، ومثلك إذا واقعتها كمثله إذا مات ودخل النمل في قرنه، لا يستطيع أن يدفع عن نفسه)^(١)، وبالجمله: فقد كثرت عليه الواردات في هذا الشأن.

قوله: (وجواب «لولا»: «لجامعها») أي: فيكون المعنى: امتنع جماعه لها لرؤيته برهان ربّه، وقيل: إنَّ قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ هو الجواب^(٢)، والمعنى: ولولا أن رأى برهان ربّه.. لهم بها؛ أي: امتنع همّه لها؛ لرؤيته برهان ربّه، فلم يقع منه هم أصلاً، وحينئذ: فالوقف على قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهَا﴾، وهذا هو الأحسن في هذا المقام؛ لخلوّه من الكلفة والشبهة.

قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ أَرَيْنَاهُ... إلخ) أشار بذلك إلى أن الكاف مع مجرورها في محل نصب معمول لمحذوف، وقوله: ﴿لِنَصْرِفَ﴾ متعلّق بذلك المحذوف.

(١) انظر الروايتين في «تفسير البغوي» (٢٣٢/٤)، وهذه الروايات من بدع التفاسير التي لا تليق بمقام النبوة؛ كما بين العلامة الغماري في كتابه «بدع التفاسير» (ص ٧١).

(٢) لعل الأولى أن يقول: (دليل الجواب)؛ لأن (لولا) لا يتقدم عليها جوابها من قبل أنه في حكم الشرط، وللشرط صدر الكلام، وهو مع ما في حيّزه من الجملتين مثل كلمة واحدة، ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض، وأما حذف بعضها إذا دلّ عليه الدليل.. فهو جائز. انظر «الكشاف» (٤٣٠/٢).

وَالْفَحْشَاءُ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ...

الْخِيَانَةُ، ﴿وَالْفَحْشَاءُ﴾: الزَّنى، ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ في الطَّاعة. - وفي قِرَاءَةِ بِفَتْحِ اللَّامِ أَي: الْمُخْتَارِينَ ..

﴿٢٥﴾ ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾: بَادَرَ إِلَيْهِ يُوسُفُ لِلْفِرَارِ، وَهِيَ لِلتَّشَبُّثِ بِهِ، فَأَمْسَكَتْ ثَوْبَهُ وَجَذَبَتْهُ إِلَيْهَا، ﴿وَقَدَّتْ﴾: شَقَّتْ ﴿قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا﴾: وَجَدَا ﴿سَيِّدَهَا﴾: زَوْجَهَا ﴿لَدَا الْبَابِ﴾، فَتَرَهَّتْ نَفْسَهَا ثُمَّ ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾: زِنَا ﴿إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ﴾: يُحْبَسَ، أَي: سَجَنُ ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤْلِمٌ، بِأَنْ يُضْرَبَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ (في الطاعة) أي: الذين لا يشركون في طاعته غيره.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: (بفتح اللام) أي: اسم مفعول من (أخلص) أي: اجتباه واختاره.

قوله: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ (حكمة أفراد الباب هنا، وجمعه فيما تقدّم: أنها لم تتمكّن من المراودة إلا بعد غلق تلك الأبواب، وأمّا فراره وتسابقها .. فلم يكن إلا عند بابٍ من تلك الأبواب.

إن قلت: مقتضى قوّة الرجولية: أنه يسبقها، ولم يعقه عائق.

أجيب: بأنّ الذي عاقه عن السبق إنما هو الاشتغال بفتح الأبواب.

قوله: (للتشبّث) أي: التعلّق.

قوله: (فأمسكت ثوبه) أي: وقطعت منه قطعة بقيت في يدها.

قوله: ﴿لَدَا الْبَابِ﴾ أي: البراني الأقصى.

قوله: (فترهت نفسها) أي: بادرت بذلك.

قوله: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ﴾ ... (إلخ) (ما): يحتمل أن تكون نافية، أو استفهاميّة، و(من): إما موصولة، أو نكرة موصوفة.

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في ذلك إشارة لطيفة إلى أنّ زليخا لشدة حبّها ليوسف

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالكسر، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٦/ ٤٧٠).

قَالَ هِيَ رَوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ

﴿٢٦﴾ قَالَ يُوسُفُ مُتَبَرِّئًا: ﴿هِيَ رَوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾
ابْنُ عَمِّهَا، رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي الْمَهْدِ فَقَالَ: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ﴾: قُدَّامٌ،
حاشية الصاوي

بدأت بذكر السجن؛ لخَفَّتْه، وأُخِّرَتِ العذاب؛ لِشِدَّتْه؛ لِأَنَّ المحبَّ لَا يسعى في إيْلَامِ المحبوب،
وأيضاً: فإن قولها: ﴿إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ﴾ فيه إشارة إلى أنها أرادت تخفيف السجن، وإلَّا؛ فلو أرادت
التطويل والتعذيب بالسجن.. لَقَالَتْ: إِلَّا جَعَلُهُ مِنَ الْمَسْجُونِينَ؛ كما قال فرعون لموسى: ﴿لَأَجْعَلََنَّكَ
مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩].

قوله: ﴿قَالَ هِيَ رَوَدَتْنِي﴾... إلخ) إنما قال ذلك لِكُونِهَا اتَّهَمَتْهُ، وإلَّا؛ فلو سَكَتَتْ.. لما كان
يوسف متكلماً بشيءٍ من ذلك.

قوله: ﴿مِّنْ أَهْلِهَا﴾) أي: ليكون أقوى في نفي التهمة عن يوسف، وهي منفية عنه بأمور:
منها: أنه خرج هارباً، والطالب لا يهرب، ومنها: كونها متزينةً بأكمل الوجوه، ومنها: شَقُّهَا
للقميص من خلف.

قوله: (ابن عمها) وقيل: ابن خالها.

قوله: (روي: أنه كان في المهد) أي: في الأحاديث الصحيحة^(١)، وهو أحد قولين، وقيل:
كان كبيراً حكيماً، وكان في ذلك الوقت جالساً مع الملك، فلَمَّا رآهما خارج الباب وحصل منهما
ما حصل.. قال: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ﴾، فكان ذلك على سبيل الفتيا^(٢).

قوله: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ﴾... إلخ) إن قلت: إن قُدَّ القميص أمرٌ ثابت من قبل؛ فلا معنى
للتعليق عليه.

والجواب أن يقال: إن المعنى: إن ثَبَتَ أَنَّ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ قبل... إلخ.

(١) روى الإمام أحمد في «مسنده» (٣١٠/١) عن سيدنا ابن عباس ؓ: (تكلم أربعة صغار: عيسى ابن مريم عليه
السلام، وصاحب جريج، وشاهد يوسف، وابن ماشطة ابنة فرعون)، وكذا رواه الحاكم في «المستدرک» (٥٩٤/٢)
من حديث سيدنا أبي هريرة ؓ.

(٢) انظر الأقوال في الشاهد في «تفسير البغوي» (٢٣٥/٤).

فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ
الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾
يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾

﴿فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾.

﴿٢٧﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ: خَلْفٍ، ﴿فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿٢٨﴾ فَلَمَّا رَأَى زَوْجُهَا ﴿قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ﴾ أَي: قَوْلِكَ: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ
أَرَادَ...﴾ إلخ ﴿مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ﴾ أَيُّهَا النِّسَاءُ ﴿عَظِيمٌ﴾.

﴿٢٩﴾ ثُمَّ قَالَ: يَا ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الْأَمْرِ وَلَا تَذْكُرْهُ لِيَلَّا يَشِيعَ، ﴿وَاسْتَغْفِرِي﴾
يَا زُلَيْخَا ﴿لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾: الْآثِمِينَ. وَاشْتَهَرَ الْخَبْرُ وَشَاعَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿فَصَدَقَتْ﴾﴾ أَي: الكلام، على تقدير (قد)؛ لتصحيح دخول الفاء في الجواب؛
لأنَّ جواب الشرط لا يُقرن بالفاء إلا إذا كان لا يصلح لمباشرة الأداة، وهذا ماضٍ متصرفٌ يصلح
لمباشرتها.

قوله: ﴿﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾﴾ أَي: فيما يتعلق بأمر الجماع والشهوة، وإلَّا... فالرجال أعظمُ
في الحِيل والمكايد، وإنما وصف كيد النساء بالعظم، وكيد الشيطان بالضعف؛ لأنَّ كيد النساء أقوى
بسبب أنهنَّ حباثل الشيطان، فكيدهنَّ مقرونٌ بكيد الشيطان، فهما كيدان، بخلاف كيد الشيطان
دونهنَّ فكيدٌ واحدٌ؛ ولذا قال بعضهم: إني أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان؛ لأنَّ الله
تعالى يقول: ﴿﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾﴾ [النساء: ٧٦]، وقال في حقِّ النساء: ﴿﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾﴾.

قوله: ﴿﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾﴾ إِنْ قُلْتَ: إِنَّهُمْ قَوْمٌ مُشْرِكُونَ؛ فلا يعرفون ذنباً مع خالقهم، فما
الذنب الذي يطلب الاستغفار منه؟

أجيب: بأنَّ المراد بالذنب: خيانتها لزوجها، ورمي يوسف وهو بريء، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ
العزیز قليلُ الغيرة؛ ولذا قال بعضهم: إنَّ تربة مصر تقتضي ذلك؛ ولذا لا ينشأ فيها الأسد، ولو دخل
فيها... لا يبقى.

قوله: (واشتهر الخبر) قدره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾﴾ مرتَّبٌ على محذوف، وهذا
الاشتهار منها؛ وذلك أنها أخبرت بعض النساء بذلك، وأمرتهنَّ بالكتم، فلم يكتمن.

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ

﴿٣٠﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ: مَدِينَةُ مِصْرَ: ﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا﴾: عَبْدَهَا ﴿عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾: تَمِيِيزُ، أَي: دَخَلَ حُبُّهُ شِغَافَ قَلْبِهَا أَي: غِلَافَهُ، ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: خَطَأً ﴿مُبِينٍ﴾ بَيِّنٌ بِحُبِّهَا إِيَّاهُ.

﴿٣١﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ: غَيَّبَتْهُنَّ لَهَا ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ﴾: أَعَدَّتْ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾: اخْتَلَفَ فِي عَدَّتْهُنَّ؛ فَقِيلَ: خَمْسٌ، وَقِيلَ: أَرْبَعُونَ، وَجُمِعَ بَيْنَهُمَا: بِأَنَّ أَصْلَ الْإِشَاعَةِ كَانَ مِنْ خَمْسٍ، وَهَنَّ: امْرَأَةٌ صَاحِبُ الْمَلِكِ، وَامْرَأَةٌ صَاحِبُ دَوَابِّهِ، وَامْرَأَةٌ خَبَازِهِ، وَامْرَأَةٌ سَاقِيهِ، وَامْرَأَةٌ صَاحِبُ سَجْنِهِ. وَ(نِسْوَةٌ): اسْمُ جَمْعٍ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ. قوله: ﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾: مُبْتَدَأٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿تُرَاوِدُ فَتَاهَا﴾: خَبَرُ أَوَّلٍ، وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾: خَبَرُ ثَانٍ، وَ(حُبًّا): تَمِيِيزُ مَحْوَلٌ عَنِ الْفَاعِلِ، وَالْأَصْلُ: قَدْ شَغَفَ حُبُّهُ قَلْبَهَا. قوله: ﴿فَتَاهَا﴾: الْفَتَى هُوَ: الشَّابُّ الْقَوِيُّ.

قوله: (أَي: دَخَلَ حُبُّهُ شِغَافَ قَلْبِهَا) الشُّغَافُ: جِلْدَةٌ رَقِيْقَةٌ عَلَى الْقَلْبِ، تَمْنَعُ أَذَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ عَنِ الْقَلْبِ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْمَعْنَى: إِنْ حُبُّهُ خَرَقَ تِلْكَ الْجِلْدَةَ، وَوَصَلَ لِلْقَلْبِ وَسَكَنَهُ، وَقِيلَ: إِنَّ مَعْنَى ﴿شَغَفَهَا﴾: صَارَ مُحِيطًا بِقَلْبِهَا؛ كَمَا يُحِيطُ الشُّغَافُ بِالْقَلْبِ حَتَّى لَا يَكَادُ يَنْظُرُ لغيرِهِ. قوله: (خَطَأً مُبِينٍ) أَي: حَيْثُ تَرَكْتَ مَا يَلِيقُ بِهَا مِنَ الْعِفَّةِ وَالسَّتْرِ، وَأَحَبَّتْ غَيْرَ زَوْجِهَا. قوله: ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾ أَي: حَدِيثْهُنَّ، وَسَمِّيَ مَكْرًا؛ لِأَنَّهُنَّ طَلَبْنَ بِذَلِكَ رُؤْيَا يُوسُفَ؛ لِأَنَّهُنَّ قَدْ وَصَفَ لَهُنَّ حُسْنَ وَجْهَالِهِ، فَتَعَلَّقْنَ بِهِ، وَأَحْبَبْنَ أَنْ يَرِيَنَّهُ.

قوله: (غَيَّبَتْهُنَّ) إِنَّمَا سَمِّيَتْ الْغَيْبَةُ مَكْرًا؛ لِاخْتِفَائِهَا عَنِ الْمَغْتَابِ كَمَا يَخْفَى الْمَكْرُ.

قوله: ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ أَي: وَكُنَّ أَرْبَعِينَ امْرَأَةً مِنْ أَشْرَافِ الْمَدِينَةِ، فَصَنَعَتْ لَهُنَّ ضِيَافَةً عَظِيمَةً.

قوله: ﴿وَأَعْتَدَتْ﴾ أَي: هَيَّأتْ وَأَحْضَرَتْ.

لَمَنْ مُتَّكَأً وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرِجْ عَلَيْنَ فُلَمَا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ
حَشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا

﴿لَمَنْ مُتَّكَأً﴾: طعاماً يُقَطَّعُ بِالسِّكِّينِ لِلاتِّكَاءِ عِنْدَهُ، وهو الأترج، ﴿وَأَتَتْ﴾: أعطت ﴿كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ﴾: لِيُوسُفَ: ﴿اَخْرِجْ عَلَيْنَ فُلَمَا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾: أعظمناه ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ بِالسَّكَاكِينِ وَلَمْ يَشْعُرْنَ بِالْأَلَمِ لِشُغْلِ قُلُوبِهِنَّ بِيُوسُفَ، ﴿وَقُلْنَ حَشَ لِلَّهِ﴾: تنزيهاً له، ﴿مَا هَذَا﴾ أي: يُوسُفَ ﴿بَشَرًا﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿مُتَّكَأً﴾﴾ سُمِّيَ الطعامُ بذلك؛ لأنه يُتَّكَأُ عِنْدَهُ عَلَى عَادَةِ الْمُتَكَبِّرِينَ مِنْ أَكْلِ الْفَوَاكِهِ حَالِ الْإِتِّكَاءِ.

قوله: (وهو الأترج) بضم الهمزة، وسكون التاء، وضم الراء، وتشديد الجيم: جمع أترجة، ويقال فيه: ترنج، والأولى هي الفصحى.

قوله: ﴿﴿سِكِّينًا﴾﴾ أي: خنجرًا، وكان من عاداتهنَّ أَكْلُ الْفَوَاكِهِ وَاللَّحْمِ بِالسِّكِّينِ.

قوله: ﴿﴿وَقَالَتِ اخْرِجْ عَلَيْنَ﴾﴾ أي: وقد زينت بأحسن الزينة، وحبسته في مكان آخر.

قوله: ﴿﴿فُلَمَا رَأَيْنَهُ﴾﴾ مرتَّبٌ عَلَى مُحذُوفٍ، تقديره: فخرج، فلما رأيناه... إلخ.

قوله: (أعظمناه) أي: هبَّته ودهشن عند رؤيته من شدة حُسْنِهِ وَجَمَالِهِ؛ يُقَالُ: إِنَّهُ وَرَثَ حَسَنَ آدَمَ يَوْمَ خَلَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْجَنَّةِ^(١)، وقيل: إنهنَّ أعظمناه؛ لأنهنَّ رَأَيْنَ عَلَيْهِ آثَارَ النَّبُوَّةِ وَالْمَهَابَةِ، وَعَدَمَ الْإِلْتِفَاتِ إِلَيْهِنَّ، فَوَقَعَ الرَّعْبُ فِي قُلُوبِهِنَّ، وَتَخَيَّنَ عَنْهُ.

قوله: ﴿﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾﴾ أي: جَرَحْنَهَا حَتَّى سَالَ الدَّمُ، قَالَ وَهْبٌ: مَاتَ مِنْهُنَّ جَمَاعَةٌ^(٢).

قوله: ﴿﴿وَقُلْنَ حَشَ﴾﴾ بِإِثْبَاتِ أَلْفٍ بَعْدَ الشَّيْنِ وَحَذْفِهَا، قَرَأَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(٣)، وَهَذَا بِالنَّظَرِ لِلنُّطْقِ، وَأَمَّا فِي الرَّسْمِ.. فَلَا تُكْتَبُ فِيهِ أَلْفٌ بَعْدَ الشَّيْنِ.

قوله: ﴿﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾﴾ أي: معاذ الله أن يكون هذا بشرًا، إنما هو ملكٌ كريمٌ عَلَى رَبِّهِ.

(١) انظر «تفسير الخازن» (٥٢٥/٢).

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٥٢٦/٢).

(٣) قرأ أبو عمرو في الوصل دون الوقف بألف بعد الشين، والباقون بغير ألف وقفًا ووصلًا. انظر «السراج المنير»

إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَكُونَنَّ لَيْسَجَنَ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ

إِنْ: ﴿٣١﴾ مَا ﴿٣١﴾ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ لِمَا حَوَاهُ مِنَ الْحُسْنِ الَّذِي لَا يَكُونُ عَادَةً فِي النَّسْمَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ.

﴿٣٢﴾ قَالَتْ: امْرَأَةُ الْعَزِيزِ لَمَّا رَأَتْ مَا حَلَّ بِهِنَّ: ﴿٣٢﴾ فَذَلِكُنَّ: ﴿٣٢﴾ هَذَا هُوَ ﴿٣٢﴾ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ: ﴿٣٢﴾ فِي حُبِّهِ، بَيَانٌ لِعُذْرِهَا، ﴿٣٢﴾ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ: ﴿٣٢﴾ امْتَنَعَ، ﴿٣٢﴾ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ: ﴿٣٢﴾ بِهِ ﴿٣٢﴾ لَيَكُونَنَّ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ: ﴿٣٢﴾ الدَّلِيلِينَ، فَقُلْنَ لَهُ: أَطِيعِ مَوْلَاتِكَ.

﴿٣٣﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿٣١﴾ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ المقصودُ من هذا: إثباتُ الحسنِ العظيمِ ليوسفَ؛ لسماعهم أنه لا شيءَ أحسنَ من الملك، ولأنه لما كان الملكَ مطهراً من بواعث الشهوة، مُهاباً، لا تحكم عليه الصورة.. شُبِّهَ به.

قوله: (شطر الحسن) أي: نصفه، والمعنى: أن الله خلق حسناً، فأعطى يوسفَ نصفه، وقسم نصفه بين الخلائق.

قوله: ﴿٣٢﴾ فَذَلِكُنَّ (ذا): اسم إشارة القريب؛ لحضوره بالمجلس، وقرن باللام المفيدة للبعد؛ إشارةً لبعد رتبته عن غيره؛ ولذا فسرّها المفسّر بـ(هذا) التي للقريب.

قوله: ﴿٣٢﴾ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ ﴿٣٢﴾ خبرٌ محذوف، قدره المفسّر بقوله: (هو).

قوله: (امتنع) أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان.

قوله: ﴿٣٢﴾ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ ﴿٣٢﴾ اللام: موطئة لقسم محذوف، و(إن): شرطية، وقوله: ﴿٣٢﴾ لَيَكُونَنَّ: جواب القسم، وحذف جواب الشرط؛ لدلالة جواب القسم عليه؛ على القاعدة في اجتماع الشرط والقسم: أنه يحذف جواب المتأخر منهما.

قوله: (فقلن: له أطع مولاتك) ورد: أنه ما من امرأةٍ إِلَّا دَعَتْهُ لِنَفْسِهَا^(١).

قوله: ﴿٣٣﴾ قَالَ رَبِّ ﴿٣٣﴾ لما اشتد به الكرب.. توجّه لربّه في الفرج.

مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ.....

مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ: أَمِلْ ﴿إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ﴾: أَصِرْ ﴿مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: الْمُذْنِبِينَ، وَالْقَصْدُ بِذَلِكَ الدُّعَاءِ، فَلِذَا قَالَ تَعَالَى:

﴿٣٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ دُعَاءَهُ، ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لِقَوْلِ، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِالْفِعْلِ.

﴿٣٥﴾ ثُمَّ بَدَأَ: ظَهَرَ ﴿لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ﴾ الدَّلَالَاتِ عَلَى بَرَاءَةِ يُوسُفَ أَنْ يَسْجُنُوهُ، دَلٌّ عَلَى هَذَا: ﴿لَيْسَجُنَّهُ.....

حاشية الصاوي

إن قلت: هو مجاب الدعوة، فلم طلب النجاة بالسجن ولم يطلب النجاة العامة؟

أجيب: بأنه اطلع على أن السجن محتم عليه، فدعا به؛ لأن النبي لا يتنطق عن الهوى.

قوله: ﴿مِمَّا يَدْعُونِي﴾ فعل مضارع مبني على سكون الواو، والنون الأولى للنسوة فاعل، والثانية نون الوقاية، وهو مثل: النسوة يعفون؛ فالواو ليست ضميراً، بل هي لام الكلمة.

قوله: (والقصد بذلك) أي: بقوله: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفَ عَنِّي...﴾ إلخ، كأنه قال: اللهم؛ اصرف عني كيدهن؛ لأجل ألا أصير من الجاهلين؛ لأنك إن لم تصرفه عني.. صرت منهم؛ إذ لا قدرة لي على الامتناع إلا بإعانتك لي.

قوله: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ﴾ أي: للعزیز وأصحابه؛ وذلك: أن زليخا قالت لزوجها: إن هذا العبد العبراني قد فضحني عند الناس يخبرهم أنني قد راودته عن نفسه؛ فإما أن تأذن لي، فأخرج وأعتذر إليهم، وإما أن تسجنه، فظهر لهم سجنه؛ لما فيه من المصلحة بحسب رأيهم، مع علمهم ببراءته ونزاهته.

قوله: (أن يسجنوه) «أن» وما دخلت عليه: في تأويل مصدر فاعل ﴿بَدَأَ﴾.

قوله: ﴿لَيْسَجُنَّهُ﴾ اللام: موطئة لقسم محذوف^(١)، والجملة في محل نصب مَقُول لِقَوْلِ محذوف، والتقدير: ثم ظهر لهم سجنه، قائلين: والله لَيْسَجُنَّهُ^(٢).

(١) اللام واقعة في جواب قسم محذوف، كما قدره المصنف رحمه الله تعالى.

(٢) أو أن القسم وجوابه تفسير للضمير في (بَدَأَ) الراجع إلى البدء المفهوم منه، ويجوز أن تكون جملة (لَيْسَجُنَّهُ) جواباً =

حَتَّى حِينَ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرْنِي آعِصِرُ خَمْرًا

حَتَّى: إلى ﴿حِينَ﴾ يَنْقَطِعُ فِيهِ كَلَامُ النَّاسِ، فَسُجِنَ.

﴿٣٦﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ: غُلَامَانِ لِلْمَلِكِ؛ أَحَدُهُمَا سَاقِيهِ وَالْآخَرُ صَاحِبُ طَعَامِهِ، فَرَأْيَاهُ يَعْبُرُ الرُّؤْيَا فَقَالَا: لِنَخْتَبِرَنَّهُ، ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾ وَهُوَ السَّاقِي: ﴿إِنِّي أَرْنِي آعِصِرُ خَمْرًا﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿حَتَّى حِينَ﴾ أي: وهو سبع سنين، أو اثنتا عشرة سنة، وسيأتي ذلك.

قوله: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ﴾ أي: بِصُحْبَتِهِ، والمعنى: كانا مقارنين له في الدخول، وهذا مرتَّبٌ على قول المفسِّر: (فُسُجِنَ).

قوله: (غُلَامَانِ) تثنية غلام، وهو اسم للشخص من حين ولادته إلى أن يَشِبَّ، وقوله: (لِلْمَلِكِ) أي: لملك مصر، وهو الريان بن وليد العمليقي.

قوله: (أَحَدُهُمَا سَاقِيهِ) أي: واسمه سرهم، وقوله: (وَالْآخَرُ صَاحِبُ طَعَامِهِ) أي: واسمه برهم، وسبب سَجْنِهِمْ: أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ مِصْرَ أَرَادُوا قَتْلَ الْمَلِكِ، فَجَعَلُوا لَهُمَا رِشْوَةً عَلَى أَنْ يُسَمِّمَا الْمَلِكَ فِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ، فَأَجَابَا، ثُمَّ إِنَّ السَّاقِي نَدِمَ وَرَجَعَ، وَالْخَبَّازُ قَبِلَ الرِّشْوَةَ وَسَمَّ الطَّعَامَ؛ فَلَمَّا حَضَرَ الطَّعَامُ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ.. قَالَ السَّاقِي: لَا تَأْكُلْ أَيُّهَا الْمَلِكُ؛ فَإِنَّ الطَّعَامَ مَسْمُومٌ، فَقَالَ الْمَلِكُ لِلْسَّاقِي: اشْرَبْ مِنَ الشَّرَابِ فَشَرِبَ، وَقَالَ لِلْخَبَّازِ: كُلْ مِنَ الطَّعَامِ، فَأَبَى، فَأَطْعَمَ دَابَّةً، فَهَلَكَتْ، فَأَمَرَ بِحَبْسِهِمَا، فَاتَّفَقَ أَنَّهُمَا دَخَلَا مَعَ يُوسُفَ^(١).

قوله: (فَرَأْيَاهُ يَعْبُرُ الرُّؤْيَا) أي: يَنْشُرُ عِلْمَهُ وَيَقُولُ: إِنِّي أَعْبُرُ الْأَحْلَامَ.

قوله: (لِنَخْتَبِرَنَّهُ) أي: لِنَمْتَحِنَنَّهُ؛ لِيُظْهِرَ لَنَا حَالَهُ.

قوله: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾ أي: بَعْدَ مَضِيِّ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ دُخُولِهِمُ السِّجْنَ.

قوله: ﴿إِنِّي أَرْنِي آعِصِرُ خَمْرًا﴾ تنصب مفعولين: الياء مفعول أول، وجملة ﴿آعِصِرُ خَمْرًا﴾ مفعول ثانٍ.

= ل (بَدَأَ)؛ لِأَنَّ أَفْعَالَ الْقُلُوبِ لِإِفَادَتِهَا التَّحْقِيقَ تَجَابَ بِمَا يَجَابُ بِهِ الْقِسْمُ؛ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَلَقَدْ عَلِمْتَ لِتَأْتِيَنِ مَنِّي

انظر «مغني اللبيب» (ص ٥٢٤).

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/ ٥٢٧).

وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْتَنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُزْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَاتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا

أي: عنباً، ﴿وَقَالَ الْآخَرُ﴾ وهو صاحب الطعام: ﴿إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْتَنَا﴾: خَبَرْنَا ﴿بِتَأْوِيلِهِ﴾: بِتَعْبِيرِهِ؛ ﴿إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿٣٧﴾ قَالَ ﴿لَهُمَا مُخْبِرًا أَنَّهُ عَالِمٌ بِتَعْبِيرِ الرُّؤْيَا﴾: ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُزْزَقَانِهِ﴾ في منامكما ﴿إِلَّا نَبَاتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ في اليَقَظَةِ، ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ تَأْوِيلُهُ،

حاشية الصاوي

قوله: (أي: عنباً) أي: فتسميته خمراً من باب: مجاز الأول؛ أي: عنباً يقول إلى كونه خمراً، وفي القصة: أنه قال: رأيت في المنام كأنني في بستان، وفيه شجرة، وعليها ثلاثة عناقيد من العنب، وكان كأس الملك في يدي، فعصرتها فيه، وسقيت الملك.

قوله: ﴿إِنِّي أَرْنِي﴾ أي: رأيتني، فالتعبير بالمضارع استحضار للحال الماضية.

قوله: ﴿أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا﴾ وذلك أنه قال: رأيت في المنام كأن فوق رأسي ثلاث سلال، وفيها الخبز وألوان الأطعمة، وسباع الطير تنهش منها.

قوله: ﴿إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: العالمين بتعبير الرؤيا، وإنما قالوا ذلك؛ لأنهما رأياه في السجن يعود المرضى، ويقوم الليل، ويصوم النهار، ويصبر أهل السجن، ويبشّرهم، ويواسي فقيرهم، فكان يقول: اصبروا وأبشروا، فيقولون: بارك الله لنا فيك يا فتى، ما أحسن وجهك وخلقك وحديثك! لقد بُورك لنا في جوارك؛ فمن أين أنت؟ قال: أنا يوسف ابن صفى الله يعقوب ابن ذبيح الله إسحاق ابن خليل الله إبراهيم، قال له صاحب السجن: يا فتى؛ والله لو استطعت.. لخليت سبيلك، ولكن سأرفق بك، وأحسن جوارك، واختار أي بيوت السجن شئت^(١).

قوله: (مخبراً أنه عالم) أي: لأجل أن يُقبلوا عليه ويؤمنوا به، وهكذا ينبغي للعالم الخامل أن يظهر نفسه؛ ليقتدى به، ويؤخذ عنه، وإنما أخبرهما بذلك؛ توطئة لدعائهما إلى الإيمان.

قوله: (في منامكما) أي: فالمعنى: أي طعام رأيتم في المنام وأخبرتني به إلا فسّرته لكما

(١) انظر «تفسير البغوي» (٤/٢٤١)، والخبر دليل لقول عمر وعلي والعباس بن عبد المطلب وابن مسعود وكعب الأحبار وقتادة وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمة والزهري والسدي ومقاتل في أن الذبيح سيدنا إسحاق عليه السلام، والصحيح: أن الذبيح سيدنا إسماعيل كما سيأتي في (الصفات). وانظر «تفسير الرازي» (٢٦/٣٤٦).

ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾
وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ

﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ ، فيه حثٌّ على إيمانهما ، ثُمَّ قَوَّاهُ بِقَوْلِهِ : ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ﴾ : دِينَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ . تأكيدٌ - ﴿كَافِرُونَ﴾ .

﴿٣٨﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ يَنْبَغِي ﴿لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ

مِنْ﴾ - زائدة -

حاشية الصاوي

قبل أن يقع في الخارج . وَخَصَّ رؤية الطعام ؛ لأنهما من أهل الطعام والشراب ، والشأن أن رؤيا المنام تتعلق باشتغال الشخص في اليقظة .

وقيل : المراد : إتيان الطعام لهما في اليقظة ، والمعنى : لا يأتيكما طعام تُرزقانه من منازلكما إلا أخبرتكما بقدره وكيفيته والوقت الذي يأتي فيه قبل أن يصلكما ، فهو إشارة إلى أن من معجزاته الإخبار بالمغيبات ، وهذا مثل معجزة عيسى حين قال : ﴿وَأَنبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران : ٤٩] ، فقالا ليوسف : هذا من علم العرافين والكهنة ؛ فَمِنْ أَيْنَ لك هذا العلم ؟ فقال : ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ . إلخ .

قوله : (فيه حثٌّ) أي : تعريضٌ لطلب الإيمان .

قوله : ﴿إِنِّي تَرَكْتُ﴾ المراد بالترك : عدمُ التلبس بالشيء من أوّل الأمر .

قوله : ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي﴾ لما بَيَّنَّ أنه ادَّعى النبوة وأظهر المعجزة . . بَيَّنَّ هنا أنه لا غرابة في ذلك ؛ لأنَّه من بيت النبوة ؛ وذلك لأنَّ إبراهيم وإسحاق ويعقوب كانوا مشهورين بالرسالة ، وذكر الفخر الرازي : أنه نُبِّي في السجن^(١) ، ولا مانع أنه نُبِّي قبل الأربعين كيحيى وعيسى ؛ وذلك لأنَّ إخوته رموه في الجبِّ وهو ابن سبع عشرة سنة ، ومكث تحت يد العزيز ثلاث عشرة سنة من جُمْلَتِهَا مدة السجن ، فتكون الجملة ثلاثين سنة .

قوله : ﴿مَا كَانَتْ لَنَا﴾ أي : لا يصحُّ ولا يليقُ مِنَّا معشرُ الأنبياء أن نُشْرِكَ بالله شيئاً مع اصطفاؤه لنا وإنعامه علينا بأنواع النعم ، وفي هذا تعريضٌ لهم بترك ما هم عليه من الشرك ؛ كأنه قال : لا يصح للعبد الضعيف العاجز المفتقر أن يعبد غيرَ مَنْ هو مفتقرٌ إليه ، ومُنعمٌ عليه .

شَيْءٌ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْدِحِي السِّجْنَ ءَازِبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾

﴿شَيْءٌ﴾ لِعِصْمَتِنَا، ﴿ذَلِكَ﴾ التَّوْحِيدُ ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وَهُمْ الْكُفَّارُ ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ اللَّهُ فَيُشْرِكُونَ، ثُمَّ صَرَّحَ بِدُعَائِهِمَا إِلَى الْإِيمَانِ فَقَالَ:
﴿٣٩﴾ يَصْدِحِي السِّجْنَ ءَازِبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ خَيْرٌ؟
استفهام تقرير.

﴿٤٠﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ أَي: غَيْرِهِ ﴿إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ سَمَّيْتُمْ بِهَا أَصْنَاماً ﴿أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ بِعِبَادَتِهَا ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾: حُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ، ﴿إِنْ﴾: مَا ﴿الْحُكْمُ﴾: الْقَضَاءُ ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾ وَحْدَهُ، ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ﴾ التَّوْحِيدُ ﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ الْمُسْتَقِيمُ، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وَهُمْ الْكُفَّارُ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ مَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْعَذَابِ فَيُشْرِكُونَ.

حاشية الصاوي

قوله: (لعصمتنا) أي: فليس المراد: أنه حرم ذلك عليهم، بل المراد: أنه طهرهم عن الكفر.

قوله: (مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا) أي: بالوحي، وقوله: (وَعَلَى النَّاسِ) أي: بإرشادهم.

قوله: (يَصْدِحِي السِّجْنَ) قَدَّرَ الْمَفْسَّرُ (ساكني)؛ إشارةً إِلَى أَنَّ الْإِضَافَةَ لِأَدْنَى مُلَابَسَةٍ، وَيَصَحُّ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: يَا صَاحِبِي فِي السِّجْنِ؛ فَالْإِضَافَةُ لِلظَّرْفِ.

قوله: (مُتَفَرِّقُونَ) أي: مِنْ ذَهَبٍ وَفُضَّةٍ، وَحَدِيدٍ وَخَشَبٍ وَحِجَارَةٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

قوله: (مَا تَعْبُدُونَ) خُطَابٌ لِأَهْلِ السِّجْنِ جَمِيعاً.

قوله: (سَمَّيْتُمُوهَا) أي: فَكَأَنْكُمْ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا الْأَسْمَاءَ الْمَجْرَدَةَ، وَالْمَعْنَى: إِنَّكُمْ سَمَّيْتُمْ مَا لَمْ يَدُلَّ عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ لِلْأُلُوهِيَّةِ عَقْلٌ وَلَا نَقْلٌ، ثُمَّ أَخَذْتُمْ تَعْبُدُونَهَا.

قوله: (المستقيم) أي: الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ.

قوله: (ما يصيرون) قَدَّرَهُ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ مَفْعُولَ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ مَحْذُوفٌ.

يَصْحَبِي السِّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ

﴿٤١﴾ ﴿يَصْحَبِي السِّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾ أي: السَّاقِي فيخرج بعد ثلاث، ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ﴾: سَيِّدَهُ ﴿خَمْرًا﴾ على عادته، ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ﴾ فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾، هذا تأويل رؤياكما، فقالا: ما رأينا شيئاً، فقال: ﴿قُضِيَ﴾: تَمَّ ﴿الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾: سَأَلْتُمَا عَنْهُ، صَدَقْتُمَا أَمْ كَذَبْتُمَا.

﴿٤٢﴾ ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾: أَيَقَنَ ﴿أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ وهو السَّاقِي: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾: سَيِّدِكَ، فَقُلْ لَهُ: إِنَّ فِي السِّجْنِ غُلَاماً مَّحْبُوساً ظُلماً، فَخَرَجَ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يَصْحَبِي السِّجْنَ﴾ هذا شروع في تعبير رؤياهما.

قوله: (فيخرج بعد ثلاث) أي: من الأيام، وهي العناقيد الثلاثة التي عصرها.

قوله: (سَيِّدَهُ) أي: وهو الملك.

قوله: ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ﴾.. فيخرج بعد ثلاث) أي: من الأيام، وهي السلال الثلاث.

قوله: (فقالا: ما رأينا شيئاً) هذا أحد قولين، وقيل: إنهما رأيا ذلك حقيقة، فرأهما مهمومين، فسألهما عن شأنهما، فذكر كل واحد له رؤياه.

قوله: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ المراد به: الجنس؛ أي: قُضِيَ أمر كل واحد وما يؤول إليه شأنه، كذب أو صدق.

قوله: (سَأَلْتُمَا) تفسير لـ ﴿تَسْتَفْتِيَانِ﴾، فالمراد من المضارع: الماضي.

قوله: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ﴾ إن كان الظن واقعاً من الساقِي.. فالأمر ظاهر، وإن كان من

يوسف.. فهو بمعنى اليقين كما قال المفسر، على حدّ: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا رَبَّهُمْ﴾ [البقرة: ٤٦].

قوله: (سَيِّدِكَ) أي: وهو الملك.

قوله: (محبوساً) أي: طال حبسه ظلماً خمس سنين.

فَأَنسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ، فَلَيْتَ فِي السِّجْنِ بِضَعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ

﴿فَأَنسَهُ﴾ أي: السَّاقِي ﴿الشَّيْطَانُ ذِكْرَ﴾ يوسفَ عِنْدَ ﴿رَبِّهِ، فَلَيْتَ﴾: مَكَثَ يُوسُفُ
﴿فِي السِّجْنِ بِضَعَ سِنِينَ﴾ قِيلَ: سَبْعًا، وَقِيلَ: اثْنَتَيْ عَشْرَةَ.

﴿٤٣﴾ ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾: مَلِكُ مِصْرَ الرِّيَّانِ بْنِ الْوَلِيدِ:

حاشية الصاوي

قوله: (أي: الساقِي) أي: والمعنى: أنسى الشيطانُ الساقِي أن يذكر يوسفَ عند الملك؛ وذلك
للكم الباهرة التي ستظهر، وهو أحد قولين.

وقيل: إنَّ الضمير عائدٌ على يوسف، والمعنى: أنَّ الشيطان أنسى يوسفَ ذكرَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حين
استغاثَ بمخلوق، وإسناد الإنساء للشيطان؛ لأنه يفرح به ويحبُّه ظانًّا أنَّ يوسفَ يطرد بذلك، وإلا..
فالذي أنساه ذلك رَبُّهُ، لا الشيطان؛ فإنه لا تسلُّطَ له على المرسلين، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ
عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، فلمَّا وقع من يوسف ذلك.. عُوتِبَ ببقائه في السِّجْنِ تلك المدة،
من باب: حسناتُ الأبرارِ سيئاتُ المقرِّين.

قوله: (قيل: سبْعًا) أي: وهي مدَّة مكثَ أيوب في البلاء، وقوله: (وقيل: اثنتي عشرة) هذا
قول ثانٍ في مُدَّة السِّجْنِ، وقيل: خمساً ونصفاً قبل قوله: ﴿أذْكُرْنِي﴾، وسبْعًا بعده، وقيل: أربع
عشرة سنة: خمس قبل القول، وتسع بعده.

وحكمةُ مكثه تلك المدة في السِّجْنِ: ليؤمن أهل السِّجْنِ، وليصل أمره للملك، فيخرج والحال
أنه مطلوبٌ لا طالب، فيتحقَّق له العزُّ الذي بُشِّرَ به سابقاً، فترتَّب على طلبه السِّجْنِ وإبقائه فيه الزمن
الطويل من الحِكم العظيمة والأسرار الفخيمة والعزُّ والسُّودد ما لا تُحيط به العبارة، ولا تحصيه
الإشارة؛ فأمور يوسف صلوات الله وسلامه عليه ظاهرها ذلٌّ، وباطنها غايةُ العزِّ؛ على حدِّ قول
البوصيري^(١): [الخفيف]

لَوْ يَمَسُّ النَّضَارُ هُونٌ مِنَ النَّارِ رَلَمَا اخْتِيرَ لِلنُّضَارِ الصَّلَاةُ

فبلايا الأنبياء والمقرِّين لا تزيدهم إلا رفعةً وعزًّا.

قوله: (﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾... إلخ) أي: لما أراد الله الفرج عن يوسف وإخراجه من السِّجْنِ..

(١) كما في قصيدته المشهورة: الهمزية.

إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخَرَ يَابِسَتٍ يَأْتِيهَا أَلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

﴿إِنِّي أَرَى﴾ أي: رَأَيْتُ ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ﴾: يَبْتَلِعُهُنَّ ﴿سَبْعٌ﴾ من البقر ﴿عِجَافٌ﴾: جَمْعُ عَجْفَاءَ، ﴿وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخَرَ﴾ أي: سَبْعَ سُنبُلَاتٍ ﴿يَابِسَتٍ﴾ قد التَوَّتْ عَلَى الْخُضِرِ وَعَلَتْ عَلَيْهَا، ﴿يَأْتِيهَا أَلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ﴾: بَيَّنُّوا لِي تَعْبِيرَهَا ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ فاعبروها.

حاشية الصاوي

رأى ملك مصر رؤيا عجيبة أهالته، فجمع سحرته وكهنته ومعبريه، وأخبرهم بما رأى في منامه، وسألهم عن تأويلها، فأعجزهم الله جميعاً؛ ليكون ذلك سبباً لخلاص يوسف من السجن.

قوله: (أي: رأيت) أشار بذلك إلى أنَّ المضارع بمعنى الماضي؛ استحضاراً للحال الماضية، وحاصل رؤياه: أنه رأى في منامه سبع بقرات سمان قد خرجت من البحر، ثم خرج بعدهنَّ سبع بقرات عجاف في غاية الهزال والضعف، فابتلعت العجاف السمان، ودخلت في بطونها، ولم يرَ منها شيئاً، ولم يتبين على العجاف شيء منها، ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبُّها، وسبعاً آخر يابسات قد احتصدن، فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهنَّ ولم يبقَ من خضرتهنَّ شيء.

قوله: (جمع عجفاء) أي: جمع سماعي، والقياسي: (عجف)، قال ابن مالك^(١): [الرجز]

فَعَلَ لِنَسْخَوِ أَحْمَرَ وَحُمْرًا

قوله: ﴿خُضِرٍ﴾ أي: انعقد حبُّها.

وقوله: ﴿وَأُخَرَ يَابِسَتٍ﴾ أي: بلغت أوان الحصد، وهو معطوف على (سبع)، ويكون قد حذف اسم العدد منه؛ لدلالة ما قبله عليه.

قوله: ﴿يَأْتِيهَا أَلْمَلَأُ﴾ أي: السحرة والمعبرون.

قوله: ﴿تَعْبُرُونَ﴾ من (عبر) بالتخفيف، يقال: عبر البحر: جاوزه، وعبر الرؤيا: فسرها، كأن المعبر لما فسّر الرؤيا.. خلص من ورطتها؛ كالذي يجاوز البحر. وزيدت اللام في (للمرؤيا) تقوية للعامل؛ لتأخره عن معموله.

قوله: (فاعبروها لي) قدره؛ إشارة إلى أنَّ جواب الشرط محذوف، دلَّ عليه ما قبله.

(١) «الخلاصة»، باب (جمع التكسير).

قَالُوا أَضْغَنْتُ أَخْلَطٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَخْلَطِ يَعْلَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾

﴿٤٤﴾ قَالُوا: هَذِهِ ﴿أَضْغَنْتُ﴾: أَخْلَاطٌ ﴿أَخْلَطٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَخْلَطِ يَعْلَمِينَ﴾.

﴿٤٥﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا أَي: مِنَ الْفَتَيَيْنِ وَهُوَ السَّاقِي ﴿وَادَّكَرَ﴾ فِيهِ إِبْدَالُ التَّاءِ فِي الْأَصْلِ دَالًا وَإِدْغَامُهَا فِي الدَّالِ، أَي: تَذَكَّرَ ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾: حِينَ حَالَ يُوسُفَ: ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ فَأَرْسَلُوهُ، فَأَتَى يُوسُفَ فَقَالَ:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿أَضْغَنْتُ أَخْلَطٍ﴾﴾ أَي: تَخَالِيظُهَا، جَمْع: ضِغْثٌ، وَأَصْلُهُ: مَا جُمِعَ وَحُزِمَ مِنَ النَّبَاتِ كَالْحَزْمَةِ مِنَ الْحَشِيشِ، اسْتَعِيرَ لِلرُّؤْيَا الْكَاذِبَةِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ هَذِهِ الرُّؤْيَا أَخْلَاطٌ أَحْلَامٌ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ فَلَا تُعْبَرُ، وَهَذَا لِفَرْطِ عَجْزِهِمْ وَجَهْلِهِمْ بِتَعْبِيرِهَا، عَلَى الْعَادَةِ: أَنَّ مَنْ جَهِلَ شَيْئًا.. عَادَهُ.

قوله: ﴿﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا﴾﴾... إلخ) أَي: بَعْدَ أَنْ جَلَسَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ، وَقَالَ لَهُ: إِنَّ فِي السَّجْنِ رَجُلًا عَالِمًا بِتَعْبِيرِ الرُّؤْيَا.

قوله: ﴿﴿وَادَّكَرَ﴾﴾ إِمَّا حَالٌ مِنَ ﴿الَّذِي﴾، أَوْ عَطْفٌ عَلَى ﴿نَجَا﴾.

قوله: (فِيهِ إِبْدَالُ التَّاءِ) أَي: تَاءُ الْإِفْتَعَالِ، وَالْأَصْلُ: (ادَّكَرَ) بَتَاءٍ بَعْدَ الدَّالِ، قَلِبَتِ التَّاءُ دَالًا، فَاجْتَمَعَ مُتْقَارِبَانِ، أَبْدَلَ الْأَوَّلَ مِنْ جِنْسِ الثَّانِي، وَأَدْغَمَ.

قوله: (وَإِدْغَامُهَا فِي الدَّالِ) الْمُنَاسِبُ قَلْبُ الْعِبَارَةِ؛ بِأَنْ يَقُولَ: (وَإِدْغَامُ الدَّالِ فِي الدَّالِ؛ أَي: بَعْدَ قَلْبِهَا دَالًا).

قوله: ﴿﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾﴾ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ، وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ: هِيَ فِي الْأَصْلِ: الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى الْجَمَاعَةِ مِنَ الْأَيَّامِ.

قوله: (حِينَ) أَي: وَهُوَ سَتْنَانٌ، أَوْ سَبْعٌ، أَوْ تِسْعٌ.

قوله: (حَالَ يُوسُفَ) أَي: مِنْ كَوْنِهِ عَالِمًا بِتَعْبِيرِ الرُّؤْيَا.

قوله: ﴿﴿فَأَرْسِلُونِ﴾﴾ إِنَّمَا جَمَعَ وَإِنْ كَانَ الْخَطَابُ لَوَاحِدٍ؛ لِأَجْلِ التَّعْظِيمِ.

قوله: (فَأَرْسَلُوهُ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ فِي الْكَلَامِ حَذْفَ ثَلَاثِ جُمَلٍ، وَجُمْلَةٌ مُجِيءُ الرَّسُولِ لِيُوسُفَ فِي السَّجْنِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ: الْأُولَى فِي قَوْلِهِ: ﴿﴿فَأَرْسِلُونِ﴾﴾ يُوْسُفُ...، وَالثَّانِيَةُ فِي قَوْلِهِ:

يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابَّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ

﴿٤٦﴾ يا ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾: الكثير الصدق ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ﴾ أي: المملك وأصحابه ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ تعبيرها.

﴿٤٧﴾ ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ﴾ أي: ازرعوا ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَابَّا﴾: مُتَابِعَةٌ وهي تأويل السبع السمان، ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ﴾ أي: اتركوه ﴿فِي سُنْبُلِهِ﴾ لئلا يفسد، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ﴾ فادرُسوه.

﴿٤٨﴾ ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: السبع المُخَصِّبَاتِ ﴿سَبْعُ شِدَادٍ﴾: مُجْدِبَاتٌ صِيبَابٌ،

حاشية الصاوي

﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾، والثالثة في قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ...﴾ إلخ، والرابعة في قوله: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِدِهْ أَسْتَخْلَصُهُ لِنَفْسِي﴾.

قوله: (الكثير الصدق) وصفه بذلك؛ لأنه جرب في السجن في تعبير الرؤيا وغيره.

قوله: (أي: الملك) أي: ومن عنده.

قوله: (أي: ازرعوا) إنما حمله على الأمر؛ لمناسبة قوله: ﴿فَذَرُوهُ﴾، وإلا... فالمناسب: إبقاؤه على حاله من الإخبار؛ لأنه تفسير للرؤيا، وفيه إشارة إلى أن الله أمر بذلك؛ لتحتم حصوله في علمه تعالى.

قوله: ﴿دَابَّا﴾ بفتح الهمزة وسكونها، قراءتان سبعيتان^(١)، وهو مصدر واقع موقع الحال.

قوله: (وهي تأويل السبع السمان) أي: والسبع الخضر.

قوله: (لئلا يفسد) أي: بأكل الشوس كما هو شأن غلال مصر ونواحيها، ومنعه من الفساد ببقائه في سنبله من خصوصيات يوسف، وإلا... ففي زمننا؛ بقاءه في سنبله لا يدفع عنه الفساد.

(١) قرأ حفص بفتح الهمزة، والباقون بسكونها. انظر «الدر المصون» (٦/٥٠٩).

يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ

وهي تأويل السبع العجاف، ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ من الحَبِّ المَزْرُوع في السَّنِينَ الْمُخْصِبَاتِ، أي: تَأْكُلُونَهُ فِيهِنَّ، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾: تَدَّخِرُونَ. ﴿٤٩﴾ ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: السَّبْعُ الْمُجْدِبَاتِ ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ بِالمَطَرِ، ﴿وَفِيهِ يَعَصِرُونَ﴾ الأَعْنَابَ وَغَيْرَهَا لِخَصْبِهِ.

﴿٥٠﴾ ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ لَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ وَأَخْبَرَهُ بِتَأْوِيلِهَا: ﴿ائْتُونِي بِهِ﴾ أي: بِالَّذِي عَبَّرَهَا، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ﴾ أي: يُوسُفُ ﴿الرَّسُولُ﴾ وَطَلَبَهُ لِلخُرُوجِ ﴿قَالَ﴾ قاصِداً إظهارَ بَرَاءَتِهِ:

حاشية الصاوي

قوله: (وهي تأويل السبع العجاف) أي: والسبع اليابسات.

قوله: (أي: تأكلونه فيهن) أشار بذلك إلى أنَّ الإسناد مجازيٌّ من الإسناد للظرف؛ كما في: نهاره صائم.

قوله: (تدخرون) أي: للبذر.

قوله: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ﴾... إلخ) هذه بشارةٌ لهم زيادةً على تعبير الرؤيا.

قوله: ﴿يُغَاثُ النَّاسُ﴾ (إمّا من العَوْثِ، وهو: الفرج وزوال الكرب، أو من الغَيْثِ، وهو: المطر، والمعنى: فيه يزول كرب الناس ويُفرج عنهم بنزول المطر وتتابع الخير عليهم).

قوله: (الأعناب) أي: يعصرونها خمراً، وقوله: (وغيرها) أي: كالزيتون والسَّمْسَمِ والكَتَّانِ والقصب وغير ذلك.

قوله: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ مرتبةً على محذوف، قدّره المفسّر بقوله: (لما جاءه الرسول... إلخ)، وذلك أنَّ السَّاقِيَّ لما رجع إلى الملك وأخبره بما عبّر به يوسف رؤياه واستحسنه الملك، وعرف أنَّ الذي قاله كائنٌ لا محالة.. قال: ائْتُونِي بِهِ حَتَّى أَبْصِرَهُ، فرجع السَّاقِيُّ وقال له: أَجِبَ الْمَلِكُ، فقال له: ارجع... إلخ.

قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ مرتبٌ على محذوف؛ أي: فذهب الرسول إلى طلبه، فلما جاءه... إلخ.

قوله: (إظهار براءته) أي: لِيَتَّظَهَرَ بَرَاءَةُ سَاحَتِهِ، وَيَعْلَمَ أَنَّهُ سُجِّنَ ظُلْماً.

أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلُهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾

﴿أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلُهُ﴾: أَنْ يَسْأَلَ ﴿مَا بَالُ﴾: حَالُ ﴿النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي﴾: سَيِّدِي ﴿بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾، فَرَجَعَ فَأَخْبَرَ الْمَلِكَ فَجَمَعَهُنَّ.

﴿٥١﴾ ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾: شَأْنُكُنَّ ﴿إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾: هَلْ وَجَدْتُنَّ مِنْهُ مَيْلًا إِلَيْكُنَّ؟ ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكُنْ حَصْحَصَ﴾: وَضَحَ ﴿الْحَقِّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾، فَأَخْبَرَ يُوسُفُ بِذَلِكَ فَقَالَ:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي﴾ أي: وهو الملك.

قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي﴾ سيدي أي: فالمراد به: العزيز، وهو استشهادٌ بكونه يعلم مكرهنَّ وكيدهنَّ، ويصح أن يكون المراد بالرب: الله تعالى، وحينئذ: يكون في كلامه التفويض لله، وهو الأقرب.

قوله: ﴿فَجَمَعَهُنَّ﴾ أي: وكانت زليخا معهنَّ، وخاطبهنَّ جميعاً، ولم يخصَّ زليخا بالخطاب؛ سترًا عليها.

قوله: ﴿مِنْ سُوءٍ﴾ أي: خيانة.

قوله: ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾ هذا إقرارٌ منها بالحق، والحاملُ لها على ذلك كونُ يوسف راعي جانبها حيث قال: ﴿ما بال النسوة... إلخ﴾، ولم يذكرها مع أنَّ الفتن كلها إنما نشأت من جهتها، فكافأته بأن اعترفت بأنَّ الذنب منها.

قوله: ﴿وَضَحَ﴾ أي: اتَّضَحَ.

قوله: ﴿فَأَخْبَرَ يُوسُفَ بِذَلِكَ﴾ أي: بجواب النسوة المذكور.

قوله: ﴿فَقَالَ﴾ أي: يوسف، وهذا أحدُ قولين، وقيل: إنَّ قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ... إلخ﴾ من كلام زليخا، ويكون المعنى: ذلك الذي قلته؛ ليعلم يوسف أنني لم أخنه، ولم أكذب عليه، وجئتُ بما هو الحق الواقع، وما أبرئ نفسي من الخيانة؛ إنَّ النفس لأمارَةٌ بالسوء إلا نفساً رحمها الله بالعفة كنفس يوسف.

ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾

﴿٥٢﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ أي: طَلَبُ الْبَرَاءَةِ ﴿لِيَعْلَمَ﴾ الْعَزِيزُ ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾ فِي أَهْلِهِ ﴿بِالْغَيْبِ﴾ - حال -، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾. ثُمَّ تَوَاضَعَ لِلَّهِ فَقَالَ:

﴿٥٣﴾ ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ مِنَ الزَّلَلِ، ﴿إِنَّ النَّفْسَ﴾ الْجِنْسَ ﴿لَأَمَّارَةٌ﴾: كَثِيرَةُ الْأَمْرِ ﴿بِالسُّوءِ إِلَّا مَا﴾ - بمعنى: مَنْ - ﴿رَحِمَ رَبِّي﴾ فَعَصَمَهُ، ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لِيَعْلَمَ﴾ (العزیز) أي: زوج زليخا.

قوله: (حال) أي: إمَّا من الفاعل؛ أي: وأنا غائب عنه، أو من المفعول؛ أي: وهو غائب عني.

قوله: ﴿لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ أي: لا يُسَدِّدُهُ.

قوله: (ثم تواضع لله) أي: فوقع منه هذا القول على سبيل التواضع، وإلَّا... فيستحيل في حقِّه أن تأمره نفسه بالسوء؛ لِعِصْمَتِهِ.

قوله: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ هذه الجملة حالية من محذوف، والتقدير: طلبت البراءة؛ لِيَعْلَمَ... إلخ، والحال أنني لم أقصد بذلك تنزيه نفسي ولا براءتها.

قوله: (الجنس) أي: جنس النفوس.

قوله: (كثيرة الأمر) أي: لصاحبها.

واعلم: أَنَّ النَّفْسَ وَاحِدَةً، وَلَهَا صِفَات؛ فَأَوَّلُ أَمْرِهَا تَكُونُ أَمَّارَةً بِالسُّوءِ؛ تَدْعُو إِلَى الشَّهَوَاتِ، وَتَمِيلُ لَهَا، وَلَا تُبَالِي، وَهَذِهِ نَفْسُ الْكَفَّارِ وَالْعُصَاةِ الْمَصْرِيْنَ؛ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ لَهَا بِالْهُدَى... جَعَلَ لَهَا وَاعِظًا يَأْمُرُهَا وَيَنْهَاهَا؛ فَحِينَئِذٍ تَصِيرُ لَوَّامَةً تَلُومُ صَاحِبَهَا عَلَى ارْتِكَابِ الرِّذَائِلِ، فَيَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ مَجَاهِدَتُهُ وَتَوْبَتُهُ وَرَجُوعُهُ لِمَخَالِقَتِهِ؛ فَإِذَا أَكْثَرَ عَلَيْهَا ذَلِكَ وَاسْتَمَرَّ... صَارَتْ مُطْمَئِنَّةً سَاكِنَةً تَحْتَ قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، رَاضِيَةٌ بِأَحْكَامِهِ، فَتَسْتَحِقُّ مِنَ اللَّهِ الْعَطَايَا وَالتُّخَفَّ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَابَتُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [٢٧] إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةٌ مَرْضِيَّةٌ [٢٨] فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي [٢٩] وَأَدْخُلِي جَنَّتِي [٣٠-٢٧]، وَهَذَا مَقَامُ الْوَاصِلِينَ، وَقِيلَ: ذَلِكَ يَسْمَى مَقَامَ السَّائِرِينَ.

وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِسُ بِيْهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِيْ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾

﴿٥٤﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِسُ بِيْهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِيْ: أَجْعَلُهُ خَالِصاً لِيْ دُونَ شَرِيكِ، فَجَاءَهُ الرَّسُولُ وَقَالَ: أَجِبِ الْمَلِكَ، فَقَامَ وَوَدَّعَ أَهْلَ السَّجْنِ وَدَعَا لَهُمْ، ثُمَّ اغْتَسَلَ وَلَبَسَ ثِيَاباً حَسَناً وَدَخَلَ عَلَيْهِ، ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ لَهُ: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾: ذُو مَكَانَةٍ وَأَمَانَةٍ عَلَى أَمْرِنَا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ أي: وهو الريان بن الوليد، وذلك: أنه لما ظهر له في يوسف من المزايا التي لم تُوجد في غيره.. قال ما ذكر.

قوله: (فجاء الرسول... إلخ) قَدَّرَ المفسِّر هذه الجملة، وهي ثمانية؛ إشارةً إلى أن قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾ مرَّتَّبٌ على محذوف.

قوله: (ودعا لهم) أي: بقوله: اللهم عَظِّفْ عليهم قلوبَ الأخيار، ولا تعمَّ عنهم الأخبار.

قوله: (ثم اغتسل) أي: فلَمَّا خرج من السجن.. كتب على بابه: (هذا بيت البلوى، وقبر الأحياء، وشماتة الأعداء، وتجربة الأصدقاء)^(١).

قوله: (ولبس ثياباً حسناً) يُؤخذ من هذا: أن مما ينبغي عند الدُّخول على السلاطين الطهارة، وتحسين الهيئة، وهذه الثياب يحتمل أنها كانت عنده، أو أرسلها له الملك.

قوله: (ودخل عليه) ورد: أنه لما دخل.. سلَّم عليه بالعربية، فقال الملك: ما هذا اللسان؟ قال: لسان عمِّي إسماعيل، ثم دعا له بالعبرانية، فقال له: ما هذا اللسان أيضاً؟ قال: هذا لسان آبائي، وكان الملك يتكلَّم بسبعين لساناً، ولم يعرف هذين اللسانين، وكان كلما تكلم بلسان.. أجابه يوسف به، فتعجب الملك من أمره مع صغر سنِّه؛ لأنه كان إذ ذاك ابن ثلاثين سنة: ثلاثة عشر منها مُدة إقامته مع زليخا والسجن، وسبع عشرة قبلها^(٢)، وعلى هذا: فدعواه لعبادة الله في السجن؛ إما نبوة قبل الأربعين، أو نصيحة منه لِدِين آبائه على عادة العلماء، وتأسيساً لِنُبُوته.

قوله: ﴿مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ أي: قريبُ المنزلة، ورفيعُ الرتبة، مؤتمنٌ على سرِّنا.

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/٥٣٤).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٤/٢٥٠).

فماذا تَرَى أن نَفْعَل؟ قال: اجمَع الطَّعامَ وازرَعْ زَرْعاً كَثِيراً في هذه السَّنينِ المُخَصَّبةِ، وادَّخِرِ الطَّعامَ في سُنْبُلِهِ، فَيَأْتِي إِلَيْكَ الخَلْقُ لِيَمْتَارُوا مِنْكَ، فقال: وَمَنْ لِي بِهَذَا؟

حاشية الصاوي

قوله: (قال: فماذا ترى أن نفعل... إلخ) رُوي: أنَّ الملك قال ليوسف عليه السلام: أُحِبُّ أن أسمع تأويل رؤيائي منك شِفاهاً، قال: نعم أيها الملك، رأيت سبعَ بقراتٍ سمانٍ شهبٍ حِسانٍ غيرِ عجافٍ، كشف لك عنهنَّ النيل، فطلعن من شاطئه تشخب أخلافهنَّ لبناً، فبينما أنت تنظر إليهنَّ وقد أعجبك حُسنهنَّ؛ إذ نضب النيل، فغار ماؤه، وبدا يُيسه، فخرج من حمته سبع بقراتٍ عجافٍ شعث غير ملصقات البطون، ليس لهنَّ ضرعٌ ولا أخلافٌ، ولهنَّ أنياب وأضراس وأكفٌ كأكف الكلاب، وخراطيم كخراطيم السباع، فاختلطن بالسَّمان، فافترسن السَّمانَ افتراسَ السَّبع، فأكلن لحومهنَّ، ومزَّقن جلودهنَّ، وحطَّمن عظامهنَّ، ومَشَّمَشْنَ مَحَّهً^(١)؛ فبينما أنت تنظرُ وتتعجب كيف غلبنهنَّ وهنَّ مهازيل ثم لم يظهر فيهنَّ سمنٌ ولا زيادةٌ بعد أكلهنَّ؛ وإذا سبعُ سنبلاتٍ خضرٍ، وسبعُ سنبلاتٍ أُخرَ سودٍ يابساتٍ في منبتٍ واحدٍ، عروقهنَّ في الثرى والماء، فبينما أنت تقولُ في نفسك: أيُّ شيءٍ هذا هؤلاء خضرٌ مثمراتٌ، وهؤلاء سودٌ يابساتٌ، والمنبت واحد، أصولهنَّ في الثرى والماء؟! إذ هبَّت ريحٌ فردَّت أوراق اليابسات السود على الخضر المثمرات، فاشتعلت فيهنَّ النار، فاحترقن، فصرن سوداً، فهذا ما رأيت أيها الملك، ثم انتبهت مذعوراً، فقال الملك: والله ما أخطأت فيها شيئاً؛ فما شأن هذه الرؤيا؟ وإن كانت عجباً... فما هي بأعجب مما سمعتُ منك، وما ترى من تأويل رؤيائي أيها الصديق؟.

قال يوسف عليه السلام: أرى أن تجمعَ الطعامَ، وتزرعَ زرعاً كثيراً في هذه السنينِ المُخَصَّبةِ، وتجعل ما يتحصَّل من ذلك الطعامِ في الخزائن بقصبه وسنبله؛ فإنه أبقى له، فيكون ذلك القصب والسنبُل علفاً للدوابِّ، وتأمر الناس أن يدفعوا الخمس من زرعهم أيضاً، فيُكفِّيك ذلك الطعام الذي جمعته لأهل مصر ومَن حولها، وتأتيك الخَلْق من سائر النواحي للميرة، ويجتمع عندك من الكنوز والأموال ما لا يجتمع لأحد من قبلك.

فقال الملك: وَمَنْ لِي بِهَذَا، ومن يجمعه ويبيعه لي؟ ولو جمعتُ أهل مصر... ما طاقوا ذلك ولم يكونوا أُمْناء، فقال يوسف عند ذلك: اجعلني... إلخ^(٢).

(١) مَشَّمَشْنَ مَحَّهً: مَصَّضْنَهَا مَمْضُوغَةً.

(٢) انظر «زاد المسير» (٢/٤٤٩).

قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا ۚ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا
مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ

﴿٥٥﴾ قَالَ يُوسُفُ: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾: أَرْضِ مِصْرَ، ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا﴾: ذُو حِفْظٍ وَعِلْمٍ بِأَمْرِهَا، وَقِيلَ: كَاتِبٌ حَاسِبٌ.

﴿٥٦﴾ وَكَذَلِكَ: كَانِعَامِنَا عَلَيْهِ بِالْخَلَاصِ مِنَ السَّجْنِ، ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾: أَرْضِ مِصْرَ ﴿يَتَّبِعُوا﴾: يَنْزِلُ ﴿مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ بَعْدَ الضِّيقِ وَالْحَبْسِ، وَفِي الْقِصَّةِ أَنَّ الْمَلِكَ
حاشية الصاوي

قوله: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ (إِنْ قُلْتَ: إِنَّ فِي ذَلِكَ الْقَوْلِ طَلَبَ التَّقَدُّمِ وَالْإِمَارَةِ، وَهُوَ لَا يَلِيقُ بِالْأَخْيَارِ؟

أَجِيب: بَأَنَّ مَحَلَّ هَذَا: مَا لَمْ تَتَّعِنَ عَلَيْهِمْ، وَإِلَّا... فحَيْثُ: يَجِبُ طَلِبُهَا، وَأَيْضاً: ذَلِكَ بُوْحِي مِنْ اللَّهِ. وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ الْقَوْلِ وَتَوَلِيَّتِهِ عَلَى الْخَزَائِنِ سَنَةً، وَإِنَّمَا أَخَّرَهُ الْمَلِكُ سَنَةً قَبْلَ التَّوَلِيَةِ بِالْفِعْلِ مَعَ مَزِيدِ رَغْبَتِهِ فِيهِ؛ لِيَشْتَهَرَ قَبْلَ التَّوَلِيَةِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ فِي أَطْرَافِ الْقَصْرِ، وَيَصِيرَ مَعْرُوفاً لِلْعَامِّ وَالْخَاصِّ، وَأَنَّهُ ذُو الْأَمَانَةِ وَالْمَكَانَةِ عِنْدَ الْمَلِكِ.

قوله: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا﴾ تعليلٌ لما قبله، ومفعول (اجْعَلْ) الثاني محذوف، والتقدير: اجْعَلْنِي أَمِيناً عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ؛ فَإِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ.

إِنْ قُلْتَ: إِنَّ فِي هَذَا تَرْكِيزَ النَّفْسِ، وَقَدْ نَهَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢].
أَجِيب: بَأَنَّ مَحَلَّ النِّهْيِ: حَيْثُ قُصِدَ بِهَا الْفَخْرُ وَالْكِبَرُ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ، بِخِلَافِ مَا إِذَا قُصِدَ بِهَا إِيْصَالُ النِّفْعِ لِلْغَيْرِ، وَالْإِخْبَارُ بِالْوَقْعِ... فَلَا ضَرَرَ فِي ذَلِكَ، بَلْ ذَلِكَ مِنْ بَابِ: التَّحَدُّثِ بِالنِّعَمِ، وَهُوَ مَأْمُورٌ بِهِ شَرْعاً.

قوله: ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ (أَي: مَلَّكْنَاهُ إِيَّاهَا) ^(١).

قوله: (بَعْدَ الضِّيقِ وَالْحَبْسِ) أَي: بَعْدَ صَبْرِهِ عَلَى الضِّيقِ؛ حِينَ وُضِعَ فِي الْجَبِّ، وَحِينَ حُبِسَ.
قوله: (وَفِي الْقِصَّةِ: أَنَّ الْمَلِكَ... إلخ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: لَمَّا انْقَضَتِ السَّنَةُ مِنْ يَوْمِ سَأَلَ يُوسُفَ الْإِمَارَةَ... دَعَاهُ الْمَلِكُ، فَتَوَّجَهُ، وَقَلَّدَهُ بِسَيْفِهِ، وَحَلَّاهُ بِخَاتَمِهِ، وَوَضَعَ لَهُ سَرِيراً مِنْ ذَهَبٍ

(١) فِي (ط ٢): (مَكَّنَّاهُ إِيَّاهَا).

تَوَجَّهْ وَخَتَّمَهُ وَوَلَّاهُ مَكَانَ الْعَزِيزِ،

حاشية الصاوي

مكلاً بالدُّر والياقوت، طوله ثلاثون ذراعاً، وعرضه عشرة أذرع، ووضع له ثلاثين فراشاً، وستين مائدة، وضرب له عليه حلّة من إستبرق، وأمره أن يخرج متوجّجاً لونه كالثلج، ووجهه كالقمر، يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه، فانطلق حتى جلس على ذلك السرير، ودانت ليوسف الملوك، وفوّض الملك الأكبر إليه مُلكه، وعزل قطفير عمّا كان عليه، وجعل يوسف مكانه^(١).

قال الزمخشري: إنّ يوسف قال للملك: أمّا السرير.. فأشدُّ به مُلكك، وأمّا الخاتم.. فأدبّر به أمرك، وأمّا التاج.. فليس من لباسي، ولا لباس آبائي، فقال الملك: قد وضعته إجلالاً لك، وإقراراً بفضلك، وكان لملك مصر خزائن كثيرة، فسلمها ليوسف، وسلم له سُلطانه، وجعل أمره وقضاه نافذاً حتى بمملكته.

ثم هلك قطفير عزيز مصر في تلك الليالي، فزوّج الملك يوسف امرأة العزيز بعد هلاكه، فلمّا دخل عليها يوسف.. قال لها: أليس هذا خيراً مما كنت تُريدين؟ قالت له: أيها الصديق؛ لا تُلمني؛ فإني كنت امرأة ناعمة كما ترى، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنت كما جعلك الله في حسنك، فغلّبتني نفسي، وعصمتك الله، قالوا: فوجدها يوسف عذراء، فأصابها، فولدت له ولدين ذكرين: أفرائيم، وميشا، وبتاً واسمها رحمة زوجة أيوب عليه السلام - وميشا هو: جد يوشع بن نون - وأقام في مصر العدل، وأحبّه الرجال والنساء، فلما اطمأن يوسف في ملكه.. دبّر في جمع الطعام أحسن التدبير، فبنى الحصون والبيوت الكثيرة، وجمع فيها الطعام للسنين المجدة، وأنفق المال بالمعروف حتى خلت السنين المخصبة، ودخلت السنين المجدة بهولٍ وشدة لم يرَ الناس مثله^(٢).

وقيل: إنه دبّر في طعام الملك وحاشيته؛ كل يوم أكلة واحدة نصف النهار، فلمّا دخلت سنة القحط.. كان أول من أصابه الجوع الملك، فجاء نصف الليل، فنادى: يا يوسف؛ الجوع الجوع، فقال يوسف: هذا أوان القحط، فهلك في السنة الأولى من سني القحط كلُّ ما أعدّوه في السنين المخصبة، فجعل أهل مصر يتاعون الطعام من يوسف، فباعهم في السنة الأولى بالنقود حتى لم يبقَ بمصر دينارٌ ولا درهمٌ إلا أخذه منهم، وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبقَ بمصر في أيدي الناس منهما شيءٌ، وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي والأنعام حتى لم يبقَ دابةٌ

(١) انظر «تفسير القرطبي» (٩/٢١٣).

(٢) «الكشاف» (٢/٤٨٣).

وَعَزَلَهُ وَمَاتَ بَعْدُ، فَزَوَّجَهُ امْرَأَتَهُ فَوَجَدَهَا عَذْرَاءَ، وَوَلَدَتْ لَهُ وَلَدَيْنِ، وَأَقَامَ الْعَدْلَ بِمِصْرَ،

حاشية الصاوي

ولا ماشية إلا احتوى عليها، وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والجواري حتى لم يبق بأيدي الناس عبدٌ ولا أمةٌ، وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى أتى عليها كلها، وباعهم في السنة السادسة بأولادهم حتى استرقَّهم، وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حرٌّ ولا حرَّةٌ إلا ملكه، فصاروا جميعاً عبيداً ليوسف عليه السلام، فقال أهل مصر: ما رأينا كالיום ملكاً أجلاً ولا أعظم من يوسف، فقال يوسف للملك: كيف رأيت صنَّع الله بي فيما خَوَّلني؟ فما ترى في هؤلاء؟ قال الملك: الرأي رأيك ونحن لك تبعٌ، قال: فإني أشهد الله وأشهدك أني قد اعتقتهم عن آخرهم، ورددتُ عليهم أملاكهم^(١).

ولم يزل يوسف يدعو الملك إلى الإسلام ويتلطف به حتى أسلم هو وكثيرٌ من الناس، ومات في حياة يوسف، وأمّا العزيز.. فلم يثبت إسلامه.

قوله: (ومات بعدُ) أي: مات العزيز بعد عزله.

قوله: (فزوجه امرأته) أي: بعد أن ذهب مالها، وعمي بصرها من بكائها على يوسف، فصارت تتكفَّف الناس، وكان يوسف يركب في كلِّ أسبوع في مركب زُهاء مئة ألف من عظماء قومه، فقيل لها: لو تعرَّضتِ له.. لعلَّه يُسَعِّفك بشيءٍ، فلمَّا ركب في مركبه.. قامت فنادت بأعلى صوتها: سبحان مَنْ جعل الملوك عبيداً بمَعْصِيَتِهِمْ، وجعل العبيد ملوكاً بطاعتهم، فقال يوسف: ما هذه؟ فقُدِّمت إليه، فعرفها، فرقَّ لها وبكى بكاءً شديداً، ثم دعاها للزواج، وأمر بها، فهَيَّئَتْ ثم زُفَّت إليه، فقام يوسف يصلي ويدعو الله، وقامت وراءه، فسأل الله تعالى أن يُعيد لها شبابها وجمالها وبصرها، فردَّ الله عليها ذلك حتى عادت أحسن ما كانت يومَ راودته؛ إكراماً له عليه السلام لمَّا عفَّ عن محارم الله، فأصابها؛ فإذا هي عذراء، فعاشا في أرغدٍ عيش^(٢).

روي: أن الله ألقى في قلب يوسف محبَّتها أضعاف ما كان في قلبها، فقال لها: ما شأنك لا تُحِبِّينني كما كنتِ أوَّل مرة؟! فقالت: لما ذقتُ محبة الله.. شغلني ذلك عن كلِّ شيء^(٣).

قوله: (ولدين) أي: وبتاً.

(١) انظر «تفسير الخازن» (٥٣٧/٢).

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (٢١٣/٩ - ٢١٤).

(٣) انظر «تفسير القرطبي» (٢١٥/٩).

نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا جُرْ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾

ودانت له الرقاب، ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿٥٧﴾ ﴿وَلَا جُرْ الْآخِرَةَ خَيْرٌ﴾ من أجر الدنيا ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ﴾.

﴿٥٨﴾ ودخلت سنو القحط وأصاب أرض كنعان والشام، ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾
إلا بنيامين ليمتاروا لما بلغهم أن عزيز مصر يعطي الطعام بثمنه، ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾
أنهم إخوته ﴿وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ لا يعرفونه؛ لبعد عهدهم به، وظنهم هلاكه، فكلموه

حاشية الصاوي

قوله: (ودانت له الرقاب) أي: خضعت له الناس.

قوله: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾ (أي: نخص بنعمتنا من أردنا).

قوله: ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (أي: بل نضاعفه لهم).

قوله: ﴿وَلَا جُرْ الْآخِرَةَ خَيْرٌ﴾ (اللام: موطئة لقسم محذوف^(١)).

قوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (أي: اتصفوا بالإيمان، وقوله: ﴿وَكَانُوا يَنْقُونَ﴾) أي: يمثلون الأوامر،

ويجتنبون النواهي.

قوله: (ودخلت سنو القحط... إلخ) قدره؛ إشارة إلى أن قوله: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ مرتب

على محذوف؛ أي: سبب مجيئهم: أنه لما فرغت سنو الخصب وأتت سنو القحط والجذب، واحتاجت الناس للطعام.. بلغ يعقوب أن بمصر ملكاً يبيع الطعام للمحتاجين، فبعثهم ليبتاعوا منه.

قوله: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ (أي: وكانوا عشرة، وكان مسكنهم بالعربات من أرض فلسطين،

وهي ثغور الشام، وكانوا أهل بادية وإبل وشياؤ).

وحكمة ذهاب العشرة جميعاً: أنه بلغهم أن الملك لا يزيد الواحد عن حمل بعير؛ قصداً للعدل

بين الناس، فغرضهم بذلك: أن تكون الأحمال عشرة.

قوله: (ليمتاروا) أي: ليحملوا الميرة، وهي: الطعام المجلوب من بلد أخرى.

قوله: (لبعد عهدهم به) قال أبو صالح عن ابن عباس: كان بين أن القوه في الجب وبين

(١) اللام واقعة في جواب قسم محذوف.

وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالِ اثْنُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَيْكُمُ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾

بالعبرانية فقال كالمنكر عليهم: ما أقدمكم بلادي؟ فقالوا: للميرة، فقال: لعلكم عيون، قالوا: معاذ الله، قال: فمن أين أنتم؟ قالوا: من بلاد كنعان وأبونا يعقوب نبي الله، قال: وله أولاد غيركم؟ قالوا: نعم، كُنَّا اثْنِي عَشَرَ فَذَهَبَ أَصْغَرُنَا هَلَكًا فِي الْبَرِّيَّةِ، وَكَانَ أَحَبَّنَا إِلَيْهِ، وَبَقِيَ شَقِيقُهُ فَاحْتَبَسَهُ لِيَتَسَلَّى بِهِ عَنْهُ، فَأَمَرَ بِإِنْزَالِهِمْ وَإِكْرَامِهِمْ.

﴿٥٩﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ: وَفَى لَهُمْ كَيْلَهُمْ، ﴿قَالَ اثْنُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَيْكُمُ﴾ أَي: بِنِيَامِينَ لِأَعْلَمَ صِدْقَكُمْ فِيمَا قُلْتُمْ، ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾: أُنِّمَهُ مِنْ غَيْرِ بَخْسٍ، ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾؟

حاشية الصاوي

دخولهم عليه اثنتان وعشرون سنة؛ فلذا أنكروه؛ لأنه كان على سرير الملك، وكان على رأسه تاج الملوك، وزِيُّ الملوك^(١).

قوله: (فقالوا: للميرة) أي: لأخذها.

قوله: (لعلكم عيون) أي: جواسيس تطلعون على غوراتنا، وتخبرون بها أعداءنا.

قوله: (﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ﴾) أي: هَيَّأْ لَهُمُ الطَّعَامَ، وَأَكْرَمَهُمْ فِي النُّزُولِ، وَأَحْسَنَ ضِيَافَتِهِمْ، وَأَعْطَاهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي سَفَرِهِمْ.

قوله: (﴿اثْنُونِي بِأَخٍ لَكُمْ﴾) أي: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي ذَلِكَ.. فَأَنَا أَكْتَفِي مِنْكُمْ بِذَلِكَ، قَالُوا: إِنْ أَبَانَا يَحْزَنُ لِفِرَاقِهِ، قَالَ: فَاتْرَكُوا بَعْضَكُمْ عِنْدِي رَهِينَةً حَتَّى تَأْتُونِي بِهِ، فَاقْتَرَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَأَصَابَتِ الْقِرْعَةُ شَمْعُونَ، فَخَلَّفُوهُ عِنْدَهُ، وَقَوْلُهُ: ﴿بِأَخٍ لَكُمْ﴾ إِنَّمَا لَمْ يَقُلْ: (بِأَخِيكُمْ)؛ زِيَادَةً فِي الْإِبْهَامِ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ لِلْفَرْقِ بَيْنَ قَوْلِكَ: رَأَيْتُ غَلَامَكَ، وَغَلَامًا لَكَ؛ فَإِنَّ الْأَوَّلَ يَقْتَضِي أَنَّ عِنْدَكَ بِهِ نَوْعَ مَعْرِفَةٍ، دُونَ الثَّانِي.

قوله: (﴿أَلَا تَرَوْنَ﴾... إلخ) غَرَضُهُ بِذَلِكَ: التَّرْغِيبُ فِي الْعُودِ مَرَّةً أُخْرَى.

قوله: (﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾) أي: خَيْرٌ مَنْ يَكْرُمُ الضُّيْفَانَ.

(١) أحد أقوال سبعة في المدة بين رؤياه وتأويلها، ذكرها ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٤٧٤).

فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَرْوُدٌ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفَتْنِيْنِهِ أَجْعَلُوا يَضَعَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا أُنْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ

﴿٦٠﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي ﴿٦٠﴾ أي: مِيرة، ﴿وَلَا تَقْرُبُونِ﴾ - نهي أو عطف على محلّ ﴿فَلَا كَيْلَ﴾ - أي: تُحَرِّمُوا وَلَا تَقْرُبُوا.

﴿٦١﴾ قَالُوا سَرْوُدٌ عَنْهُ أَبَاهُ ﴿٦١﴾: سَنَجْتَهُدُ فِي طَلْبِهِ مِنْهُ، ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ ذلك.

﴿٦٢﴾ وَقَالَ لِفَتْنِيْنِهِ ﴿٦٢﴾ - وفي قِرَاءة: ﴿لِفَتْنِيْنِهِ﴾ -: غِلْمَانِهِ: ﴿أَجْعَلُوا يَضَعَهُمْ﴾ الَّتِي أَتُوا بِهَا ثَمَنَ الْمِيرة - وَكَانَتْ دَرَاهِمَ - ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾: أَوْعِيَتِهِمْ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا أُنْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ﴾ وَفَرَّغُوا أَوْعِيَتَهُمْ،
حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ إذا عدتُمْ مَرَّةً أُخْرَى.

قوله: (أي: مِيرة) أشار بذلك إلى أَنَّ المراد بـ(الكيل): الْمَكِيلُ.

قوله: (نهي) أي: والفعل مجزوم بحذف النون، وحُذِفَتْ ياء المتكلم؛ تخفيفاً، وهذه النون للوقاية.

قوله: (أو عطف على محلّ ﴿فَلَا كَيْلَ﴾) أي: وهو الجزم؛ لأنه جواب الشرط؛ وحينئذ: فـ(لا): نافية، ونون الرفع محذوفة؛ للجازم على كلِّ حال، وعليه: فيكون المعنى: فلا كيل ولا قرب.

قوله: ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ ذلك) أي: المِراوْدَة والاجتهاد.

قوله: (وفي قِرَاءة) أي: وهي سَبْعِيَّةٌ أَيْضاً^(١)، وكلُّ من (فتية) و(فتيان) جمع لـ(فتى)، لكن الأول: جمع قِلَة، والثاني: جمع كَثَرَة.

قوله: ﴿أَجْعَلُوا يَضَعَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ أي: فقد وُكِّلَ بكلِّ رجلٍ واحداً من غِلْمَانِهِ يَضَعُ فِيهِ ثَمَنَ الطعام الذي في هذا الرجل.

قوله: (وكانت دراهم) وقيل: كانت نعالاً وجُلوداً، والأقرب: الأول؛ لأنَّ شأن الدراهم أن تخفى، ولا شكَّ أنهم لم يعلموا بها إلا عند تفرغ أَوْعِيَتِهِمْ.

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص: «لِفَتْيَانِهِ»، والباقون: «لِفَتْنِيْنِهِ». انظر «الدر المصون» (٥١٧/٦).

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْدُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُتُمْ عَلَى أَخِيهِ

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إِلَيْنَا؛ لَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَحِلُّونَ إِمْسَاكَهَا.

﴿٦٣﴾ ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْدُ﴾ إِنْ لَمْ تُرْسِلْ أَخَانًا إِلَيْهِ، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلْ﴾ - بِالنُّونِ وَالْيَاءِ -، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

﴿٦٤﴾ ﴿قَالَ هَلْ﴾: مَا ﴿ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُتُمْ عَلَى أَخِيهِ﴾ يُوسُفَ.....

حاشية الصاوي

قوله: (لأنهم لا يستحلون إمساكها) أي: لأن ديانتهم وأمانتهم تحملهم على رد البضاعة إليه إذا وجدوها؛ لأنهم مطهرون من أكل ما لا يحل لهم، وقيل: قصد يوسف بذلك مؤاساة أبيه وإخوته؛ خوفاً ألا يكون عندهم شيء من المال، وقيل: أراد أن يُريهم برّه وكرمه؛ ليكون ذلك باعناً لهم على الرجوع، وقيل: رأى أن أخذ ثمن الطعام من أبيه وإخوته لؤماً^(١)، وقيل: أراد أن يُحسن إليهم على وجه لا يلحقهم فيه منّة ولا عيب.

قوله: (﴿فَلَمَّا رَجَعُوا﴾) أي: التسعة؛ لما تقدّم أنه أخذ شمعون رهينة على أن يأتوه ببنيامين.

قوله: (﴿مُنِعَ مِنَّا الْكَيْدُ﴾) أي: بعد هذه المرة.

قوله: (بالنون والياء) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢)، وأصل (نكتل): (نكتيل)، تحركت الياء وانفتح ما قبلها؛ قلبت ألفاً، ثم حذفت؛ لالتقاء الساكنين.

قوله: (﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ﴾) الاستفهام إنكاري؛ ولذا فسر (هل) بـ(ما)، والمعنى: كيف آمنكم على ولدي بنيامين وقد فعلتم بأخيه يوسف ما فعلتم، وإنكم ذكرتم مثل هذا في شأن يوسف؛ حيث قلت: وإنا له لحافظون؟! فلما لم يحصل الحفظ هناك.. فكيف آمنكم هنا؟!.

قوله: (﴿إِلَّا كَمَا ءَامَنُتُمْ﴾) الكاف: بمعنى (مثل) صفة لمصدر محذوف، والتقدير: إلا ائتماناً مثل ائتماني لكم على أخيه... إلخ.

(١) كذا في الأصول، ولعله سبق قلم، والأولى: إسقاط (أن)، أو رفع (لؤماً)، وعبارة «الفتوحات» (٤٨٧/٢): (رأى أن في أخذ ثمن الطعام من أبيه وإخوته لؤماً)، وهي ظاهرة.

(٢) قرأ الأخوان: حمزة، والكسائي: «يكتل» بالياء، والباقون بالنون. انظر «الدر المصون» (٥١٧/٦).

مِنْ قَبْلُ ۖ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا يَتَابَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ ۖ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ وقد فعلتم به ما فعلتم، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا﴾ - وفي قراءة: ﴿حَفِظًا﴾ تمييز، كقولهم: لله درّه فارساً -، ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ فأرجو أن يَمُنَّ بِحِفْظِهِ.

﴿٦٥﴾ ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَتَابَانَا مَا نَبْغِي﴾ - (ما) استِفهامية - أي: أي شيء نطلب من إكرام الملك أعظم من هذا؟ - وقُرئ بالفوقانية خطاباً ليعقوب، وكانوا ذكروا له إكرامه لهم - ﴿هَذِهِ﴾ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا: نأتي بالميرة لهم وهي الطعام،
حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة) وهي: سبعة أيضاً^(١).

قوله: (تمييز) أي: على كل من القراءتين.

قوله: (فأرجو أن يَمُنَّ بحفظه) أي: ولا يجمع عليّ مصيبتين، قال كعب الأحبار: لما قال يعقوب ذلك.. قال الله له: لأردنّ عليك كليهما؛ حيث توكلت عليّ واستحفظتني عليه^(٢).

قوله: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ﴾ بحضرة أبيهم.

قوله: ﴿وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ﴾ أي: وهي ثمن الميرة.

قوله: (أعظم من هذا) ورد: أنهم كانوا قد ذكروا ليعقوب إحسان ملك مصر إليهم، وحثوا يعقوب على إرساله بنيامين معهم، فلما وجدوا بضاعتهم ردت إليهم.. قالوا: أي شيء نطلب بعد هذا الإكرام؟! أوفى لنا الكيل، وردّ لنا الثمن؛ لو كان رجلاً من أولاد يعقوب.. ما أكرمنا كرامته، فقال لهم يعقوب: إذا رجعتُم إلى مصر.. فأقرئوه منِّي السلام، وقولوا له: إنّ أبانا يُصلي عليك، ويدعو لك بما أوليتنا^(٣).

(١) قرأ حفص وحزمة والكسائي: بفتح الحاء وألف بعدها، وكسر الفاء، والباقون بكسر الحاء، وسكون الفاء. انظر

«السراج المنير» (١٢١/٢).

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٥٤٠/٢).

(٣) انظر «تفسير البغوي» (٢٥٦/٤).

وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ

﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ لِأَخِينَا، ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾: سَهْلٌ عَلَى الْمَلِكِ لِسَخَائِهِ.

﴿٦٦﴾ ﴿قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا﴾: عَهْدًا ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ بِأَنْ تَحْلِفُوا ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ بِأَنْ تَمُوتُوا أَوْ تُغْلَبُوا فَلَا تُطِيقُوا الْإِتْيَانَ بِهِ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ، ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ بِذَلِكَ ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾ نَحْنُ وَأَنْتُمْ ﴿وَكَيْلٌ﴾: شَهِيدٌ، وَأَرْسَلَهُ مَعَهُمْ.

﴿٦٧﴾ ﴿وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا﴾ مِصْرَ ﴿مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ لِثَلَا تُصِيبَكُمْ الْعَيْنُ، ﴿وَمَا أُغْنِي﴾: أَدْفَعُ ﴿عَنْكُمْ﴾ بِقَوْلِي ذَلِكَ
حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ على أحمالنا.

قوله: ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ هذا هو جواب القسم.

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ استثناء من عموم الأحوال، والتقدير: لتأتُنَّنِي به في كل حال إلا حال الإحاطة بكم.

قوله: ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ أي: بقولهم: بالله ربِّ محمد؛ لتأتُنَّنِيك به، و(الموثق): العهد المؤكَّد باليمين.

قوله: ﴿مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ أي: وكانت أبواب مصر إذ ذاك أربعة.

قوله: ﴿لثَلَا تُصِيبَكُمْ الْعَيْنُ﴾ إنما خاف عليهم العين؛ لجمالهم وجمالهم وقوتهم واشتہارهم من أهل مصر بإكرام الملك لهم واحترامهم، فأمرهم بالتفرق؛ لیسلموا من إصابة العين؛ فإنها كما قال أهل السنة: سببٌ عادي للضرر كالسم والسيف، يُوجد الضرر عندها لا بها، وقالت الفلاسفة: إن العائن ينبعث من عينه قوة سُمِّية بالمعيون، فيهلك أو يفسد؛ فأثبتوا للعَيْن تأثيراً بنفسها، وهو كلام باطلٌ، واعتقاده كفرٌ. وأعظم نافع في الرقي من العين: سورتا (المعوذتين).

مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا

﴿مِنَ اللَّهِ مِنْ﴾ - زائدة - ﴿شَيْءٍ﴾ قَدَرُهُ عَلَيْكُمْ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ شَفَقَةٌ، ﴿إِنْ﴾: ما ﴿الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ وحده، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: بِهِ وَثَقْتُ، ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

﴿٦٨﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ أي: مُتَفَرِّقِينَ ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: قَضَائِهِ ﴿مِنْ﴾ - زائدة - ﴿شَيْءٍ إِلَّا﴾: لَكِنْ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ (أي: من قضائه).

قوله: (وإنما ذلك) أي: القول.

قوله: (شفقة) أي: رأفة بكم.

إن قلت: لِمَ أَمَرَهُمْ بِذَلِكَ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ وَلَمْ يَأْمُرَهُمْ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى؟

أجيب بجوابين: الأول: لكون معهم بنيامين، وهو عزيزٌ عليه، فخاف عليهم لِكُونِهِ مَعَهُمْ، والثاني: أَنَّهُمْ اشْتَهَرُوا فِي مِصْرَ بِأَنَّهُمْ أَوْلَادُ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَفِيهِمْ نُورُ النُّبُوَّةِ وَالشَّهَامَةِ وَالْجَمَالِ، سَيِّمًا وَقَدْ كَانُوا عِنْدَ الْمَلِكِ بِمَنْزِلَةٍ، بِخِلَافِ الْمَرَّةِ الْأُولَى.

قوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ (أي: فَوَضَعْتُ أُمُورِي وَاعْتَمَدْتُ عَلَيْهِ، لَا عَلَى مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ؛ لِأَنَّ الْأَخَذَ فِي الْأَسْبَابِ مَعَ التَّوَكُّلِ أَفْضَلُ مِنْ تَرْكِ الْأَسْبَابِ).

قوله: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ (اختُلفَ فِي جَوَابِ (لَمَّا)؛ فَقِيلَ: هُوَ قَوْلُهُ: ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ...﴾ إلخ، والمعنى: أَنَّ دُخُولَهُمْ مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ لَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ مِمَّا قَدَرَهُ اللَّهُ شَيْئًا، بَلِ الدُّخُولُ مُتَفَرِّقًا كَالدُّخُولِ مُجْتَمِعًا بِالنِّسْبَةِ لِقَضَاءِ اللَّهِ.

وقيل: هُوَ قَوْلُهُ: ﴿ءَاوَيْتَ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾، وَهُوَ جَوَابُ (لَمَّا) الثَّانِيَةِ أَيْضًا؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ بِدُخُولِ الْمَدِينَةِ: الدُّخُولُ عَلَى يُوسُفَ، وَالْمَقْصُودُ بِهِ: إِيوَاءُ الْأَخِ، فَ(لَمَّا) الثَّانِيَةِ مَرْتَبَةً عَلَى الْأُولَى، فَصَلَحَ أَنْ يَكُونَ جَوَابَهُمَا وَاحِدًا.

قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ (أي: مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ).

قوله: ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ﴾ (أي: يَدْفَعُ عَنْهُمْ التَّفَرُّقَ، ففَاعِلُ ﴿يُغْنِي﴾: ضَمِيرُ يَعُودُ عَلَى التَّفَرُّقِ).

حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

﴿حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ وهي إرادة دفع العين شفقةً، ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ لتعليمنا إياه، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ إلهام الله لأصفيائه. ﴿٦٩﴾ ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ﴾ : ضَمَّ ﴿إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ : تَحَزَّنَ ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الْحَسَدِ لَنَا، وَأَمْرُهُ أَنْ لَا يُخْبِرَهُمْ وَتَوَاطَأَ مَعَهُ عَلَى أَنَّهُ سَيَحْتَالُ عَلَى أَنْ يُبْقِيَهُ عِنْدَهُ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿(إِلَّا حَاجَةً)﴾ الاستثناء منقطع؛ ولذا فسره بـ(لكن)، والمعنى: لم يكن تفرقهم دافعاً عنهم من قدر الله شيئاً، لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها، وهي دفع العين عنهم التي كانت تُصيبهم عند دخولهم مجتمعين؛ فإنَّ التفرُّق في الدخول دفعها بإرادة الله. قوله: (لتعليمنا إياه) أشار بذلك إلى أنَّ (ما) مصدرية.

قوله: ﴿(وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ)﴾ أي: مَنْزِلُهُ وَمَحَلُّ حُكْمِهِ، وهذا الدخول غير الدخول السابق؛ فإنَّ المراد به: دخول المدينة.

قال المفسرون: لما دخلوا عليه.. قالوا: أيها الملك؛ هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به، فقد جئناك به، فقال: أحسنت وأصبتم، ستجدون ذلك عندي، ثم أنزلهم وأكرم منزلهم، ثم أضافهم وأجلس كل اثنين على مائدة، فبقي بنيامين وحيداً، فبكى وقال: لو كان أخي يوسف حياً.. لأجلسني معه، فقال لهم يوسف: لقد بقي هذا وحده، فقالوا: كان له أخ، فهلك، قال لهم: فأنا أجلسه معي، فأخذه وأجلسه معه على مائدة، وجعل يؤاكله، فلَمَّا دخل الليل.. أمر لهم بمثل ذلك من الفراش، وقال: كل اثنين ينامان على فراش واحد، فبقي بنيامين وحده، فقال يوسف: هذا ينام عندي على فراشي، فقام بنيامين مع يوسف على فراشه، فجعل يوسف يضمُّه إليه وَيَشْمُ رِيحَ أَبِيهِ مِنْهُ حَتَّى أَصْبَحَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ.. قال لهم: إني أرى هذا الرجل وحيداً ليس معه ثان، فأنا أضُمَّه إِلَيَّ، فيكون معي في منزلي، ثم إنه أنزلهم وأجرى لهم الطعام، فقال روبيل: ما رأينا مثل هذا، فلَمَّا خَلَّى بِهِ.. قال له يوسف: ما اسمك؟ قال: بنيامين، قال: فهل لك من ولد؟ قال: عشرة بنين،

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا آلُ عِيزُ إِنَّكُمْ لَسَّرِقُونَ ﴿٧٠﴾

﴿٧٠﴾ ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ﴾ هي صاعٌ مِنْ ذَهَبٍ مُرَصَّعٌ بِالْجَوْهَرِ ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ بِنِيَامِينَ، ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: نَادَى مُنَادٍ بَعْدَ انْفِصَالِهِمْ عَنْ مَجْلِسِ يُوسُفَ: ﴿أَتَتْهَا آلُ عِيزُ﴾: الْقَافِلَةُ ﴿إِنَّكُمْ لَسَّرِقُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قال: فهل لك من أخ لأم؟ قال: كان لي أخٌ فهلك، قال يوسف: أتحب أن أكون أنا أخاك بدل أخيك الهالك؟ قال بنيامين: ومن يجد أخاً مثلك أيها الملك؟! ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل، فبكى يوسف عليه السلام وقام إليه وعانقه وقال: إني أنا أخوك... إلخ.

وقال كعب: لما قال له يوسف: إني أنا أخوك.. قال بنيامين: لا أفارقك، فقال يوسف: قد علمت اغتنام والدي بي؛ فإذا حبستك عندي.. ازداد غمُّه ولا يمكنني هذا إلا بعد أن أشهرك بأمر فظيع، وأنسبك إلى ما لا يُحمد، فقال: لا أبالي، افعل ما بدا لك؛ فإني لا أفارقك، قال يوسف: فإني أدسُّ صاعِي في رَحْلِكَ، ثم أنادي عليك بالسرقة؛ لأحتالَ في ردِّك بعد إطلاقك، قال: فافعل ما شئت؛ فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ...﴾ إلخ^(١).

قوله: ﴿﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ﴾﴾ عبَّرَ هنا بالفاء؛ إشارةً إلى طلب سرعة سيرهم وذهابهم لبلادهم، بخلاف المرة الأولى، كان المطلوب طُول إقامتهم؛ ليتعرف حالهم.

قوله: (هي صاع من ذهب) وكان يشرب فيه الملك، فيسمَّى: سقايةً باعتبار أول حاله، وصاعاً باعتبار آخر أمره؛ لأنَّ الصاع آلة الكيل.

قوله: (مرصَّع بالجواهر) أي: مزَّين ومحلَّى بها.

قوله: (بعد انفصالهم عن مجلس يوسف) أي: خُروجهم وسيرهم، بل قيل: إنهم وصلوا إلى بليس، وردُّوا من عندها.

قوله: ﴿﴿أَتَتْهَا آلُ عِيزُ﴾﴾ هي في الأصل: كلُّ ما يُحمل عليه من إبل وحمير، ويقال: أُطلقت وأريد أصحابها، فهو مجازٌ علاقته المجاورة.

(١) انظر «تفسير الخازن» (٥٤٢/٢).

قَالُوا وَأَقْبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ
وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا
سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾

﴿٧١﴾ قَالُوا وَ﴿٧١﴾ قَالُوا وَأَقْبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا﴿٧١﴾: مَا الَّذِي ﴿تَفْقِدُونَ﴾؟

﴿٧٢﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ﴿٧٢﴾: صَاعُ ﴿الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ مِنَ الطَّعَامِ، ﴿وَأَنَا
بِهِ﴾: بِالْحِمْلِ ﴿زَعِيمٌ﴾: كَفِيلٌ.

﴿٧٣﴾ قَالُوا تَاللَّهِ﴿٧٣﴾ - قَسَمَ فِيهِ مَعْنَى التَّعَجُّبِ - ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ
وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾: مَا سَرَقْنَا قَطُّ.

﴿٧٤﴾ قَالُوا﴿٧٤﴾: الْمُؤَذَّنُ وَأَصْحَابُهُ: ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ أَي: السَّارِقِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ
كَاذِبِينَ﴾ فِي قَوْلِكُمْ: (مَا كُنَّا سَارِقِينَ) وَوُجِدَ فِيكُمْ؟

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَقْبِلُوا﴾ (قد)؛ إشارة إلى أن الجملة حالية، والمعنى: أنهم التفتوا إليهم،
وخاطبوا بما ذكر.

قوله: ﴿مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ (أي: أي شيء ضاع منكم؟)

قوله: ﴿صُوعَ الْمَلِكِ﴾ (أي: آلة كيّله، وإنما اتخذ آلة كيّل؛ لِعِزَّةٍ مَا يُكَالُ بِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ،
وفيه قراءات كثيرة؛ السبعيّة منها واحدة، وهي (صُوع)، وما عداها شاذٌّ^(١)).

قوله: ﴿حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ (أي: جعلاً له).

قوله: ﴿تَاللَّهِ﴾... إلخ) إنما قالوا ذلك لما ظهر من أحوالهم ما يدلُّ على صدقهم؛ حيث
كانوا مواظبين على الطاعات والخيرات، حتى بلغ من أمرهم أنهم سدّوا أفواه دوابهم؛ لئلا تاكل
شيئاً من أموال الناس.

قوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ (اللام: مُوطئة لقسم محذوف، تأكيد لما قبله^(٢)).

قوله: ﴿وَوُجِدَ فِيكُمْ﴾ (الجملة حالية، والمعنى: فما جزاؤه إن كنتم صادقين في قولكم والحال
أنه ظهر خلاف ما قلتم).

(١) انظر «المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها» (١/٣٤٦).

(٢) اللام واقعة في جواب قسم محذوف.

قَالُوا جَرَّؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَرَّؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ

﴿٧٥﴾ ﴿قَالُوا جَرَّؤُهُ﴾ - مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ: - ﴿مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ يُسْتَرْقُ، ثُمَّ أُكِّدَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَهُوَ﴾ أَيِ: السَّارِقِ ﴿جَرَّؤُهُ﴾ أَيِ: الْمَسْرُوقِ لَا غَيْرَ، وَكَانَتْ سُنَّةَ آلِ يَعْقُوبَ، ﴿كَذَلِكَ﴾ الْجَزَاءِ ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ بِالسَّرِقَةِ، فَصَرَّحُوا لِيُوسُفَ بِتَفْتِيشِ أَوْعِيَّتِهِمْ.

﴿٧٦﴾ ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ﴾ فَفَتَّشَهَا ﴿قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ لِئَلَّا يُتَّهَمَ، ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾ أَيِ: السَّقَايَةَ ﴿مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ﴾ الْكَيْدِ ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾: عَلَّمْنَاهُ الْإِحْتِيَالَ فِي أَخْذِ أَخِيهِ، ﴿مَا كَانَ﴾ يُوسُفُ ﴿لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ رَقِيقًا عَنِ السَّرِقَةِ

حاشية الصاوي

قوله: (خبره: ﴿مَنْ وُجِدَ﴾) أَيِ: فـ ﴿مَنْ﴾: اسم موصول، و﴿وُجِدَ﴾: صلتها، والكلام على حذف مضاف؛ أَيِ: استرقاق من وجد، أشار له المفسر بقوله: (يُسْتَرْقُ).

قوله: (وكانت سنة آل يعقوب) أَيِ: طريقتهم وشريعتهم، يُسْتَرْقُ السارق سنة.

قوله: (فصبروا) أَيِ: ردوا من المكان الذي لحقهم فيه جماعة الملك.

قوله: ﴿﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ﴾﴾ أَيِ: فكان يفتح وعاء وعاء ويفتشه، ثم بعد فراغه منه يستغفر الله مما قذفهم به إلى أن وصل إلى رحل بنيامين، فقال: ما أظنُّ هذا أخذ شيئاً، فقالوا: والله لا نترك حتى تنظر في رحله؛ فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا، فلمَّا فتحوا متاعه . . وجدوا الصواع فيه.

قوله: ﴿﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾﴾ أَيِ: فلمَّا أخرجها منه . . نكس الإخوة رؤوسهم من الحياء، وأقبلوا على بنيامين يُلومونه ويقولون له: فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل، ما زال لنا منكم بلاء، فقال بنيامين: بل بنو راحيل ما زال لهم منكم بلاء؛ ذهبتم بأخي فأهلكتموه في البرية، إنَّ الذي وضع هذا الصواع في رحلي هو الذي وضع البضاعة في رحالكم.

قوله: ﴿﴿كَذَلِكَ﴾﴾ الكيد) أَيِ: الحيلة، وهي: استفتاء يوسف من إخوته.

قوله: ﴿﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾﴾ أَيِ: ألهمناه أن يضع الصواع في رحل أخيه؛ لِيُضْمَّه إليه على ما حكم به إخوته.

قوله: (علَّمْنَاهُ الْإِحْتِيَالَ . . إلخ) أَيِ: فما وقع من يوسف في تلك الواقعة بوحي من الله تعالى، وحينئذٍ: فلا يقال: كيف نادى على إخوته بالسرقه واتهمهم بها مع أنهم بريئون؟!!

فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَتٍ مِّنْ نَّشَأٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾
قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ

﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾: حُكْمَ مَلِكٍ مِصْرٍ؛ لِأَنَّ جَزَاءَهُ عِنْدَهُ الضَّرْبُ وَتَغْرِيمُ مِثْلِي الْمَسْرُوقِ لَا الْاسْتِرْقَاقُ، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أَخَذَهُ بِحُكْمِ أَبِيهِ، أَي: لَمْ يَتِمَكَّنْ مِنْ أَخْذِهِ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِإِلْهَامِهِ سُؤَالَ إِخْوَتِهِ وَجَوَابِهِمْ بِسُتْتِهِمْ، ﴿نَرْفَعُ دَرَجَتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾ - بِالإِضَافَةِ وَالتَّنْوِينِ - فِي الْعِلْمِ كَيُوسُفَ، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ﴾ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ ﴿عَلِيمٌ﴾ أَعْلَمَ مِنْهُ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

﴿٧٧﴾ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ أَي: يُوسُفُ، وَكَانَ سَرَقَ لِأَبِي أُمِّهِ صَنَمًا مِنْ ذَهَبٍ فَكَسَرَهُ

حاشية الصاوي

قوله: (لَأَنَّ جَزَاءَهُ عِنْدَهُ الضَّرْبُ... إلخ) أي: وهذه الطريقة لا تُوصله إلى أخذ أخيه.

قوله: (مِثْلِي الْمَسْرُوقِ) أي: مِثْلِي قِيَمَتِهِ.

قوله: (﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾) استثناء منقطع، والمعنى: ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك، ولكن أخذه بشريعة يعقوب لمشيئة الله لأخذه؛ إذ لو شاء عدم أخذه.. لما علّمه تلك الحيلة.

قوله: (بِحُكْمِ أَبِيهِ) أي: شريعته.

قوله: (بِالإِضَافَةِ وَالتَّنْوِينِ) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (﴿وَفَوْقَ﴾) خبر مقدّم، و﴿عَلِيمٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والمعنى: إِنَّ إِخْوَةَ يُوسُفَ وَإِنْ كَانُوا عُلَمَاءَ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ يُوسُفَ فَوْقَهُمْ فِي الْعِلْمِ، بَلْ فَضَّلَهُ عَلَيْهِمْ بِمَزَايَا عَظِيمَةٍ؛ مِنْهَا: الرِّسَالَةُ، وَالْمَلِكُ، وَالْإِنْعَامُ عَلَيْهِمْ، وَغَيْرَ ذَلِكَ.

قوله: (﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ﴾... إلخ) سبب هذه المقالة: أَنَّهُ لَمَّا أَخْرَجَ الصَّاعَ مِنْ رَحْلِ بَنِيَامِينَ.. افْتَضَحَ الْإِخْوَةُ، وَنَكَسُوا رُؤُوسَهُمْ، فَقَالُوا تَبَرُّةً لِّسَاحَتِهِمْ: ﴿إِن يَسْرِقْ﴾... إلخ، وَأَتَوْا بِ(إِن) الْمَفِيدَةِ لِلشَّكِّ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ عَنْدهُمْ تَحَقُّقُ سَرَقَتِهِ بِمَجَرَّدِ إِخْرَاجِ الصَّاعِ مِنْ رَحْلِهِ، وَبِالْمُضَارَعِ؛ لِحِكَايَةِ الْحَالِ الْمَاضِيَةِ.

قوله: (وَكَانَ سَرَقَ لِأَبِي أُمِّهِ صَنَمًا... إلخ) هذا أحد أقوال في السرقة التي نسبوها له، وقيل:

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بتنوين التاء، والباقيون بغير تنوين. انظر «السراج المنير» (٢/١٢٧).

فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾

لَيْثًا يَعْبُدُهُ، ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا﴾: يُظْهِرُهَا ﴿لَهُمْ﴾ وَالضَّمِيرُ لِلْكَلِمَةِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ: ﴿قَالَ﴾ فِي نَفْسِهِ: ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ لِسْرِقَتِكُمْ أَخَاكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ وَظُلْمِكُمْ لَهُ، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾: عَالِمٌ ﴿بِمَا تَصِفُونَ﴾: تَذْكُرُونَ مِنْ أَمْرِهِ.

حاشية الصاوي

جاء سائل يوماً، فأخذ بيضة من البيت، فناولها للسائل، وقيل: أخذ دجاجة من الطير التي كانت في بيت يعقوب، فأعطاه سائلاً، وقيل: كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء.

وقيل: لم يسرق أصلاً؛ لا ظاهراً ولا باطناً، وإنما كانت تهمة فقط؛ وذلك: أَنَّ عَمَّتَهُ حَضَنَتْهُ بَعْدَ مَوْتِ أُمِّهِ، فَأَحَبَّتَهُ حُبًّا شَدِيدًا، فَلَمَّا تَرَعَرَعَ.. وَقَعَتْ مَحَبَّةُ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ، فَأَحَبَّهُ، فَقَالَ لِأَخْتِهِ: يَا أَخْتَاهُ؛ سَلِّمِي إِلَيَّ يَوْسُفَ؛ فَوَاللَّهِ؛ مَا أَقْدِرُ أَنْ يَغِيبَ عَنِّي سَاعَةً وَاحِدَةً، فَقَالَتْ: لَا أُعْطِيكَهُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ؛ مَا أَنَا بِتَارِكِهِ عِنْدَكَ، فَقَالَتْ: دَعِهِ عِنْدِي أَيَّامًا.. أَنْظِرْ إِلَيْهِ؛ لَعَلَّ ذَلِكَ يُسَلِّينِي عَنْهُ، ففعل ذلك، فعمدت إلى منطقة كانت لإسحاق، وكانوا يتوارثونها بالكبر، وكانت أكبر أولاد إسحاق، وكانت عندها، فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه، وهو صغير لا يشعر، ثم قالت: لقد فقدت منطقة إسحاق، ففتشوا أهل البيت، فوجدوها مع يوسف، فقال يعقوب: إن كان فعل ذلك.. فهو سَلَمٌ لَكَ، فأمسكته عندها حتى ماتت^(١).

قوله: (لَيْثًا يَعْبُدُهُ) أَي: يَدُومُ عَلَى عِبَادَتِهِ.

قوله: (وَالضَّمِيرُ لِلْكَلِمَةِ) أَي: فهو عائدٌ على متأخر لفظاً ورتبةً، وحينئذٍ: يكون في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: (قال أنتم شرُّ مكاناً، وأسرها في نفسه)، وهذا أحد قولين، وقيل: إنه عائد على قوله: ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾، ومعنى قوله: (أسرها): لم يرد لها جواباً.

قوله: ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ أَي: منزلة، والمعنى: إِنَّ مَا ظَهَرْتُمْ بِهِ شَرٌّ مِمَّا ظَهَرَ بِهِ يَوْسُفَ وَأَخُوهُ؛ فَإِنَّهُمَا أَتَاهُمَا بِالسَّرْقَةِ ظَاهِرًا، وَأَنْتُمْ سَرَقْتُمْ يَوْسُفَ مِنْ أَبِيهِ، وَفَعَلْتُمْ بِهِ مَا فَعَلْتُمْ.

قوله: (لسرقتكم أخاكم من أبيكم) أَي: وهو يوسف.

قوله: (عالم) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابهِ؛ إذ لا مشاركة بين الحادث والقديم.

(١) عزاه البغوي في «تفسيره» إلى محمد بن إسحاق (٥٦٣/٤)، والسَّلَمُ: الأسير.

قَالُوا يَتَّخِذُهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

﴿٧٨﴾ قَالُوا يَتَّخِذُهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا يُحِبُّهُ أَكْثَرُ مِنَّا وَيَتَسَلَّى بِهِ عَنْ وَلَدِهِ الْهَالِكِ، وَيُحْزِنُهُ فِرَاقُهُ، ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا﴾: اسْتَعِيدْهُ ﴿مَكَانَهُ﴾: بَدَلًا مِنْهُ، ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فِي أَعْمَالِكَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قَالُوا يَتَّخِذُهَا الْعَزِيزُ﴾... إلخ سبب هذه المقالة: أنه لما استخرج الصاع من رحل بنيامين.. غضب روبيل لذلك، وكان بنو يعقوب إذا غضبوا.. لم يُطاقوا، وكان روبيل إذا غضب.. لم يَقم لغضبه شيء، وكان إذا صاح.. أَلْقَتْ كُلُّ حَامِلٍ حَمْلَهَا إذا سمعت صوته، وكان مع ذلك إذا مسّه أحدٌ من ولد يعقوب.. يَسْكُنْ غضبه، وكان أقوى الإخوة وأشدّهم. وقيل: كان هذا صفة شمعون بن يعقوب. فسأل إخوته: كم عدد الأسواق بمصر؟ قالوا: عشرة، قال: اكفوني أنتم الأسواق وأنا أكفيكم الملك، أو: اكفوني أنتم الملك وأنا أكفيكم الأسواق، فدخلوا على يوسف، فقال روبيل: أيها الملك؛ لتردّن علينا أخانا أو لأصيحنّ صيحة لا يبقى بمصر امرأة حاملٌ إلا وَضَعَتْ حملها، وقامت كلُّ شعرة في جسد روبيل حتى خَرَجَتْ من ثيابه، فقال يوسف لابن صغير له: قُم إلى جنب هذا فمسّه أو خُذْ بيده، فأتى فلماً مسّه.. سكن غضبه، فقال لإخوته: مَنْ مَسَّنِي مِنْكُمْ؟ قالوا: لَمْ يُصِيبْكُ مِنَّا أَحَدٌ، فقال روبيل: إِنَّ هَذَا بَذَرَ مِنْ بَذْرِ يَعْقُوبَ، فغضب ثانياً، فقام يوسف إليه، فوكّزه برجله، وأخذ يداً من يده، فوقع على الأرض، وقال لهم: أنتم يا معشر العبرانيين تزعمون أن لا أحد أشدُّ منكم، فلماً رأوا ما نزل بهم، ورأوا أن لا سبيلَ إلى الخلاص.. خضعوا وذُلُّوا وقالوا: يا أيها العزيز... إلخ^(١).

قوله: ﴿كَبِيرًا﴾ أي: فِي السِّنِّ، أو القدر؛ لأنه نبيٌّ من أولاد الأنبياء.

قوله: ﴿اسْتَعِيدْهُ﴾ أي: اسْتَرْقَّه.

قوله: ﴿مَكَانَهُ﴾ منصوبٌ على الظرفية، أو ضَمَّنَ (خُذْ) معنى (اجْعَلْ)؛ ف﴿مَكَانَهُ﴾: مفعولٌ ثانٍ.

قوله: ﴿مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: فِي أَعْمَالِكَ، وإلينا فِي تَوْفِيَةِ الْكِيلِ، وَحُسْنِ الضِّيَافَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(١) انظر الخبر بطوله عند الطبري في «تاريخه» (٣٥٦/١)، وهو من الأخبار الإسرائيلية.

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعْنَا عَنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُوتٌ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِيَ أَبِي

﴿٧٩﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ - نصب على المصدر حذف فعله وأضيف إلى المفعول - أي: نعوذ بالله من ﴿أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعْنَا عَنْدَهُ﴾ لم يقل: (من سرق) تحرزاً من الكذب، ﴿إِنَّا إِذَا﴾ إن أخذنا غيره ﴿لَطَلِمُوتٌ﴾.

﴿٨٠﴾ ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا﴾: يَسُّوا ﴿مِنْهُ خَلَصُوا﴾: اعتزلوا ﴿نَجِيًّا﴾ مصدر يصلح للواحد وغيره، أي: يُناجي بعضهم بعضاً، ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ سينا روبيل، أو رايأ يهوذا: ﴿أَلَمْ نَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا﴾: عهداً ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ في أخيكُم، ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا﴾ - زائدة - ﴿فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾، - وقيل: (ما) مصدرية مبتدأ خبره: (من قبل) - ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ﴾: أفارق ﴿الْأَرْضَ﴾: أرض مصر ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِيَ أَبِي﴾ بالعود إليه

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّا إِذَا لَطَلِمُوتٌ﴾ أي: في أخذ أحدكم مكانه.

قوله: (يسسوا) أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان.

قوله: (اعتزلوا) أي: مجلس الملك.

قوله: ﴿نَجِيًّا﴾ هو حال، والمعنى: خلصوا حال كونهم مُتَنَاجِينَ ومتشاورين في أمر هذه القضية.

قوله: (في أخيكُم) أي: في رده.

قوله: ﴿مَا﴾ زائدة أي: والجار والمجرور متعلق بـ ﴿فَرَّطْتُمْ﴾.

قوله: (وقيل: ﴿مَا﴾ مصدرية مبتدأ) أي: وهي وما دخلت عليه: في تأويل مصدر، مبتدأ، فالمبتدأ في الحقيقة المصدر المنسبك، والمعنى: وتفريطكم كائن من قبل تفريطكم في بنيامين. واعترض هذا الإعراب: بأن الظروف المنقطعة عن الإضافة لا تقع خبراً، ويجاب: بأن محل ذلك: ما لم يتعين المضاف إليه كما هنا.

قوله: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿أَبْرَحَ﴾ ضمنت معنى (أفارق)؛ فـ ﴿الْأَرْضَ﴾: مفعول به، و﴿أَبْرَحَ﴾: تامة.

أَوْ يَحْكُمُ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَتَابَانَا إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴿٨٢﴾

﴿أَوْ يَحْكُمُ اللَّهُ لِي﴾ بِخَلَاصِ أُخِي، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾: أَعْدَلُهُمْ.
 ﴿٨١﴾ ﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَتَابَانَا إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا﴾ عَلَيْهِ ﴿إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾: تَيَقَّنَّا مِنْ مُشَاهَدَةِ الصَّاعِ فِي رَحْلِهِ، ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ﴾: لِمَا غَابَ عَنَّا حِينَ إعطاء الموثق ﴿حَافِظِينَ﴾، وَلَوْ عَلَّمْنَا أَنَّهُ يَسْرِقُ لَمْ نَأْخُذْهُ.
 ﴿٨٢﴾ ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ هِيَ مِصْرُ، أَي: أَرْسِلْ إِلَى أَهْلِهَا فَاسْأَلْهُمْ، ﴿وَالْعِيرَ﴾: أَي: أَصْحَابَ الْعِيرِ ﴿الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ وَهُمْ قَوْمٌ مِنْ كَنْعَانَ، ﴿وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ فِي قَوْلِنَا، فَارْجِعُوا إِلَيْهِ وَقَالُوا لَهُ ذَلِكَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَوْ يَحْكُمُ اللَّهُ﴾ إما: معطوف على ﴿يَأْذَنَ﴾، أو منصوب بـ(أن) مضمرة في جواب النفي؛ كأنه قال: فلن أبرح الأرض إلا أن يحكم الله؛ كقولهم: لألزمَنَّك أو تقضيَنِي حَقِّي؛ أي: إلا أن تقضيَنِي حَقِّي.

قوله: ﴿فَقُولُوا يَتَابَانَا﴾... إلخ) إنما أمرهم بذلك؛ لِتَزُولِ التَّهْمَةُ عَنْهُمْ عِنْدَ آبِيهِمْ.
 قوله: ﴿إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقَ﴾) إنما نسبوه للسرقة؛ لأنهم شاهدوا الصواع قد أُخرج من متاعه، فغلب على ظنهم أنه سرق؛ فلذلك نسبوه إلى السرقة في ظاهر الحال، لا في الحقيقة.
 قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾) أي: وما كُنَّا للعواقب عالمين، فلم نَذِرْ حين إعطيناك الموثق أنه سَيَسْرِقُ وتصاب به كما أصبت يوسف.

قوله: (أي: أَرْسِلْ إِلَى أَهْلِهَا) أشار بذلك إلى أَنَّ الكلام على حذف مضاف، وكذا في قوله: ﴿وَالْعِيرَ﴾.

قوله: (وهو قوم كنعان) أي: وكانوا جيراناً ليعقوب.

قوله: ﴿وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾) سواءً نسبنا إلى التهمة أم لا، وليس غرضهم: أن يشتبوا صِدْقَ أَنفُسِهِمْ بهذه المقالة؛ لأنَّ دعوى الخصم لا تثبت بنفسها.

قوله: (فرجعوا) أي: التسعة، وقدره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ...﴾ مرتَّبٌ على محذوف.

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَأسَفُ عَلَى يُونُسَ

﴿٨٣﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ: زَيَّنَتْ ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: فَعَلَتْهُمْ، أَتَمَّهُمْ لِمَا سَبَقَ مِنْهُمْ مِنْ أَمْرِ يُونُسَ، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: صَبْرِي ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾: يُونُسَ وَأَخَوِيهِ ﴿جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾: بِحَالِي ﴿الْحَكِيمُ﴾: فِي صُنْعِهِ.

﴿٨٤﴾ ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾: تَارِكًا خِطَابَهُمْ ﴿وَقَالَ يَتَأسَفُ﴾: - الْأَلْفُ بَدَلٌ مِنْ يَاءِ الْإِضَافَةِ -
أَي: يَا حُزْنِي ﴿عَلَى يُونُسَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، قدّره المفسّر بقوله: (صبري)، وتقدّم: أن الصبر الجميل هو الذي لا شكوى معه لمخلوق، ولا جزع من فعل الخالق؛ ولذلك فوّض أمره لله، ولم يسأل العير، ولم يرسل يستخير من القرية التي كانوا فيها، بل استسلم للقضاء، ولم يقطع الرجاء. قوله: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾: إنما قال ذلك؛ لأنه لما طال حزنه، واشتدّ كرب. . علم أنّ الله سيجعل له فرجاً ومخرجاً؛ لأنه إذا اشتدّ الكرب. . كان إلى الفرج أسرع. وقيل: إنّ يعقوب أطلعه الله على باطن الأمر، وأنّ أولاده أحياء لم يُصابوا بشيء، وأنه سيجتمع عليهم غير أنه أمر بكتّم ذلك، فلوّح بتلك الإشارة إلى علمه.

قوله: (وَأَخَوِيهِ) بنيامين وكبيرهم.

قوله: ﴿الْحَكِيمُ﴾: في صنعته) أي: لأنه يضع الأشياء في محلّها.

قوله: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾: مرّتّبٌ على ما ذكره له.

قوله: (الْأَلْفُ بَدَلٌ مِنْ يَاءِ الْإِضَافَةِ) أي: والأصل: (يا أسفِي) بكسر الفاء، وفتح الياء، قلبت الكسرة فتحة، ثم تحركت الياء وانفتح ما قبلها، قلبت الفاء؛ فيقال في إعرابها: (أسفِي): منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المنقلبة ألفاً.

قوله: ﴿عَلَى يُونُسَ﴾: إنما تجدد حزنه على يوسف عند إخباره بواقعة بنيامين؛ لأنّ الحزن القديم إذا صادفه حزنٌ آخر. . كان أوجع للقلب، وأعظم لهيجان الحزن، وليس في هذا إظهارُ جزع، بل هو شكوى لله، لا لِلْخَلْقِ؛ فمعنى ﴿يَتَأسَفُ﴾: أشكو إلى الله شدة حزني؛ فلا ينافي قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾.

وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُونُسَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا

وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ: انمحق سوادهما وبُذِلَ بياضاً مِنْ بُكَائِهِ، ﴿مِنَ الْحُزْنِ﴾ عَلَيْهِ، ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مَغْمُومٌ مَكْرُوبٌ لَا يُظْهَرُ كَرَبُهُ.

﴿٨٥﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَا تَفْتَوُا: تَزَالُ ﴿تَذَكَّرُ يُونُسَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾: مُشْرِفًا

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ﴾ وقيل: معناه: عَمِيَ فَلَمْ يُبْصِرْ شَيْئاً سِتَ سَنِينَ، وهذا بناء على جواز مثل هذا على الأنبياء بعد التبليغ واشتهاره.

وقيل: معناه ضعف بصره من كثرة البكاء واتصال الدمع ببعضه ببعض، ولم يكن عَمَى حقيقةً، بل من كثرة البكاء صار على إنسان العين^(١) غشاوة مانعة له من النظر، ولم يذهب أصلاً، وهذا هو الأقرب.

قوله: ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي: مكظوم، ممتلئ من الحزن، ممسك عليه، لا يذكره لأحد، قال قتادة: الكظيم: الذي يردُّ حزنُهُ في جَوْفِهِ ولم يقل إلا خيراً^(٢).

قوله: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ تسليّة له على ما نَزَلَ به من الحزن العظيم.

إن قلت: كيف حلفوا على شيء لا يعلمون حقيقته؟

أجيب: بأنهم حلفوا على غلبة الظن، وهي بمنزلة اليقين، فهو من لغو اليمين الذي لا يؤاخذ به العبد.

قوله: ﴿تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُونُسَ﴾... إلخ إنما قَدَّرَ المفسّر (لا)؛ لأنَّ القسم المثبت جوابُهُ مُؤَكَّدٌ بالنون أو اللام عند الكوفيين، أو بهما عند البصريين، فلَمَّا رَأَيْنَا الجواب هنا خالياً منهما.. عَلِمْنَا أَنَّ القسم على النفي؛ بمعنى: أَنَّ جوابه منفيٌّ لا مُثَبَّتٌ؛ فلو قيل: والله أحبك.. كان المراد: لا أحبك، وهو من قبيل التورية، ومن ذلك: إذا قال: والله أجيتك غداً.. فَيَحْنُثُ بالمجيء، بخلاف ما إذا قال: لأجيتك.. فَيَحْنُثُ بعدمه.

قوله: ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ هو من باب (تعب)؛ يقال: حَرَضَ حَرَضاً: أَشْرَفَ على الهلاك.

(١) إنسان العين: حدّقتها، والجمع فيها: أناسي.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٤٨٦) عنه في تفسير الآية.

أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

على الهلاك لِطُولِ مَرَضِكَ، وهو مَصْدَرٌ يَسْتَوِي فِيهِ الْوَاحِدُ وَغَيْرُهُ، ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾: الْمَوْتَى.

﴿٨٦﴾ قَالَ لَهُمْ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي﴾ هو عَظِيمُ الْحُزْنِ الَّذِي لَا يُصْبِرُ عَلَيْهِ حَتَّى يُبَثَّ إِلَى النَّاسِ، ﴿وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ لَا إِلَى غَيْرِهِ، فهو الَّذِي تَنْفَعُ الشَّكْوَى إِلَيْهِ، ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مِنْ أَنَّ رُؤْيَا يُوسُفَ صِدْقٌ وَهُوَ حَيٌّ، ثُمَّ قَالَ:

حاشية الصاوي

قوله: (وغیره) أي: المثنى والمجموع، والمذكر والمؤنث.

قوله: ﴿قَالَ لَهُمْ﴾ أي: جواباً لقولهم.

قوله: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي﴾ البث: تفريق الحزن وإظهاره؛ لأنَّ الإنسان إذا ستر الحزن وكتّمه.. كان همّاً، وإذا ذكره لغيره.. كان بثّاً؛ فالبث: أشدُّ الحزن، وهذه المقالة قالها لجبريل عليه السلام؛ لما ورد: (أنه كان ليعقوب شخصٌ مُواخ له، فقال له ذات يوم: يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك؟ وما الذي قوّس ظهرك؟ قال: أما الذي أذهب بصري.. فالبكاء على يوسف، وأما الذي قوّس ظهري.. فالحزن على بنيامين، فأتاه جبريل فقال له: يا يعقوب؛ إنَّ الله يُقرئك السلام ويقول لك: أما تستحي أن تشكوَ إلى غيري، فقال: إنما أشكو بَثِّي وحزني إلى الله، فقال جبريل: الله أعلم بما تشكو).^(١) وإنما عوتب يعقوب بهذا؛ لأنَّ حَسَنَاتِ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتِ الْمُقْرَبِينَ؛ لأنَّ الْعِتَابَ عَلَى قَدَرِ الْمَرْتَبَةِ.

قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: من رحمته وإحسانه.

قوله: (وهو حي) أي: لما روي: (أن ملك الموت زار يعقوب، فقال له يعقوب: أيها الملك الطيب ريحه، الحسن صورته، الكريم على ربه؛ هل قبضت روح ابني يوسف؟ قال: لا)^(٢)، فطابت نفس يعقوب، وطمع في رؤيته.

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٣٤٩/٢)، والبيهقي في «الشعب» (٣١٣١) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

(٢) انظر «زاد المسير» (٤٦٦/٢).

يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ

﴿٨٧﴾ ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: اطلبوا خبرهما، ﴿وَلَا تَأْتَسُوا﴾: تقنطوا ﴿مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾: رحمته، ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا﴾... إلخ) سبب تلك المقالة: أن أولاده لما أخبروه بسيرة ملك مصر وكمال حاله في جميع أقواله وأفعاله.. أحسّت نفس يعقوب، وطمع أن يكون هو يوسف؛ فعند ذلك قال: يا بني... إلخ.

قوله: ﴿فَتَحَسَّسُوا﴾ هو بالحاء المهملة: طلب الخير بالحاسة، والتجسس: بمعناه، روي: (أن يعقوب حين أمر أولاده أن يذهبوا ليأتوا بخبر يوسف وأخيه.. كتب لهم كتاباً إلى يوسف لما حبس عنده بنيامين: من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى ملك مصر؛ أما بعد: فإننا أهل بيت وكل بنا البلاء؛ أما جدّي إبراهيم.. فشددت يداه ورجلاه، وألقي في النار، فصبر لأمر الله، وأما عمي إسماعيل.. فابتلي بالغبية في صغره، فصبر لأمر الله، وأما أبي إسحاق.. فابتلي بالذبح ووضع السكين على قفاه، ففداه الله، وأما أنا.. فكان لي ابن، وكان أحب أولادي إليّ، فذهب به إخوته إلى البرية، ثم أتوني بقميصه ملطخاً بالدم وقالوا: قد أكله الذئب، فذهبت عينا، ثم كان لي ابن آخر، وكان أخاه من أمه، فكنت أتسلى به، وإنك حبسته وزعمت أنه سرق، وإننا أهل بيت لا نسرق، ولا نلد سارقاً؛ فإن ردّته إليّ، وإلا.. دعوت عليك دعوة تدرك السابغ من ولدك، فلما قرأ يوسف كتاب أبيه.. اشتد بكاءه، وقلّ صبره، وأظهر نفسه لإخوته)^(١).

قوله: (وأخيه) لم يقل: (وأخويه)؛ لأنه كان يعلم أن الثالث مقيم بمصر، فلم يخف عليه حاله. قوله: (اطلبوا خبرهما) أي: بالحاسة؛ كما أن التجسس: طلب الخبر بالحاسة أيضاً، فهما بمعنى واحد؛ ولذا قرئ هنا بالجيم شذوذاً^(٢).

قوله: ﴿مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ بالفتح: مصدر بمعنى: الرحمة، وهو في الأصل: استراحة القلب من غمّه، والمعنى: لا تقنطوا من راحة تأتيكم من الله.

(١) رواه بهذا السياق الواحدي في «الوسيط» (٢/٢٧٦)، والخبر دليل لقول عمر وعلي والعباس بن عبد المطلب وابن مسعود وكعب الأحبار وقتادة وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمة والزهري والسدي ومقاتل في أن الذبيح سيدنا إسحاق عليه السلام، والصحيح: أن الذبيح سيدنا إسماعيل كما سيأتي في (الصفات). انظر «تفسير الرازي» (٢٦/٣٤٦).

(٢) انظر «الدر المصون» (٦/٥٤٩).

إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ مَسْنًا وَأَهْلُنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِضْعَةَ مُرْجَةٍ فَآوَيْ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ

إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ ، فانطلقوا نحو مصر ليوسف .

﴿٨٨﴾ ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ مَسْنًا وَأَهْلُنَا الضَّرُّ﴾ : الْجُوعُ ، ﴿وَجِئْنَا بِضْعَةَ مُرْجَةٍ﴾ مدفوعة يدفعها كُلُّ مَنْ رآها لِرَدَائِهَا ، وكانت درايم زيوفاً أو غيرها ، ﴿فَآوَيْ﴾ : أَيْمٌ ﴿لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا﴾ بِالمُسامحة عن رداءة بضاعتنا ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ : يُشِيئُهُمْ ، فرق لهم وأدركته الرحمة ورفع الحجاب بينه وبينهم .

﴿٨٩﴾ ثُمَّ ﴿قَالَ﴾ لَهُمْ تَوْبِيخاً : ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُّوسُفَ﴾ مِنْ الضَّرْبِ وَالْبَيْعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ﴿وَأَخِيهِ﴾

حاشية الصاوي

قوله : (فانطلقوا نحو مصر) قدره ؛ إشارة إلى أن قوله : ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ مرتب على محذوف .
قوله : (مدفوعة) أي : مردودة .
قوله : (وكانت درايم زيوفاً) أي : معيبة .
قوله : (أو غيرها) (أو) : لـتنويع الخلاف ؛ فقيل : كانت نعلاً ، وقيل : صوفاً .
قوله : (﴿فَآوَيْ لَنَا الْكَيْلَ﴾) أي : أعطينا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد ؛ فإننا نريد أن نقيم لنا الناقص مقام الزائد .

قوله : (بالمسامحة) وقيل : برد أخينا بنيامين .

إن قلت : إن ما فعلوه خلاف ما أمرهم به أبوهم من التحسس من يوسف وأخيه؟!
أجيب : بأن أبواب التحسس كثيرة ، وهذا منها ؛ لأن الاعتراف بالعجز وضيق اليد وشدة الحاجة مما يرقق القلب ؛ فإن كان يوسف . . . فسيظهر لهم حاله ؛ لحصول الرقة والعطف منه لهم ، وإن كان غيره . . . فلا يرق ولا يعطف .

قوله : (ورفع الحجاب . . . إلخ) قيل : هو اللثام الذي كان يتلثم به ، وقيل : هو الستر الذي كان يكلمهم من خلفه ، وقيل : هو تاج الملك الذي كان يضعه على رأسه ، وكان له في قرنه علامة تشبه الشامة ، وكان ليعقوب مثلها ، ولإسحاق مثلها ، ولـسارة مثلها ، فعرفوه بها .

قوله : (﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ﴾) أي : هل علمتم عاقبة ما فعلتم بهما من تسليم الله إليهما من كل مكروه ، وإنعام الله عليهما بتلك النعمة العظيمة؟

إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَيْنَ نَكِّ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ

مِنْ هَضْمِكُمْ لَهُ بَعْدَ فِرَاقِ أَخِيهِ ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ مَا يُؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُ يُوسُفَ؟

﴿٩٠﴾ ﴿قَالُوا﴾ بَعْدَ أَنْ عَرَفُوهُ لِمَا ظَهَرَ مِنْ شَمَائِلِهِ مُتَثَبِّتِينَ: ﴿أَيْنَ نَكِّ﴾ - بِتَحْقِيقِ الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين -: ﴿لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ﴾: أَنْعَمَ ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بِالاجْتِمَاعِ، ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ﴾: يَخْفِ اللَّهُ ﴿وَيَصْبِرْ﴾ عَلَى مَا يَنَالُهُ

حاشية الصاوي

قوله: (من هضمكم له) أي: ظلمكم وإذائتكم له.

قوله: ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ أي: وقت جهلكم بعاقبة أمرهما.

قوله: (من شمائله) أي: أخلاقه.

قوله: (وإدخال ألف بينهما... إلخ) أي: فالقراءات أربع: التحقيق، والتسهيل للهمزتين مع الألف بينهما، وبدونها، وبقي قراءة خامسة سبعة أيضاً وهي: (إنك) بهمزة واحدة^(١).

قوله: ﴿أَنَا يُوسُفُ﴾ إنما عرّض باسمه^(٢)؛ تعظيماً لما نزل به من ظلم إخوته، ولما عوّضه الله من النصر والملك.

قوله: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ﴾ بإثبات الياء وصلّاً ووقفاً، وبحذفها فيهما، قراءتان سبعيتان^(٣)؛ فعلى الإثبات: تكون (مَن) موصولة، والفعل صلتها^(٤)، وعلى الحذف: تكون شرطية، والفعل مجزوم بحذفها.

(١) قرأ قالون و أبو عمرو بهمزة مفتوحة بعدها همزة مكسورة مسهلة بينهما ألف على الاستفهام، وقرأ ورش بغير ألف بينهما، والتسهيل في الثانية على الاستفهام أيضاً، وقرأ الباقون بتحقيق الهمزتين مع القصر، وقرأ المكي و أبو جعفر بهمزة واحدة مكسورة. انظر «السراج المنير» (١٣٣/٢)، «البدور الزاهرة» (ص ١٦٦).

(٢) أي: ولم يقل: أنا هو، بل عدل إلى الظاهر.

(٣) قرأ قبل بإثبات الياء بعد القاف وقفّاً ووصلّاً، وقرأ الباقون بالحذف. انظر «السراج المنير» (١٣٣/٢).

(٤) والقول الثاني: وهو أجود - كما قاله السمين في «الدر المصون» (٥٥٢/٦) -: أن إثبات حرف العلة في الجزم لغة لبعض العرب، وأنشدوا على ذلك قول قيس ابن زهير:

ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد؟

فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾

﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، - فِيهِ وَضَعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ - .
 ﴿٩١﴾ ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ﴾ : فَضَّلَكَ ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بِالْمُلْكِ وَغَيْرِهِ، ﴿وَإِنْ﴾ - مُخَفَّفَةٌ - أَيِ : إِنَّا ﴿كُنَّا لَخَطِئِينَ﴾ : آثَمِينَ فِي أَمْرِكَ فَأَذَلَّلْنَاكَ .
 ﴿٩٢﴾ ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ﴾ : عَتَبَ ﴿عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ خَصَّهُ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ مَظْنَّةُ التَّثْرِيبِ فَغَيْرُهُ أَوْلَى، ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ . وَسَأَلَهُمْ عَنْ أَبِيهِ فَقَالُوا : ذَهَبَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ :

حاشية الصاوي

قوله : (فيه وضع الظاهر... إلخ) أي : والأصل : لا يُضِيعُ أَجْرَهُمْ .
 قوله : (وغيره) أي : كالصبر والصفح والحلم .
 قوله : ﴿لَخَطِئِينَ﴾ يقال : (خطئ) : إذا كان عن عمد، و(أخطأ) : إذا لم يكن عن عمد؛ ولذا عبّر بـ(خاطئين)، دون (مخطئين) .
 قوله : ﴿لَا تَثْرِيبَ﴾ أي : لا توبيخ، ولا لوم عليكم .
 قوله : ﴿الْيَوْمَ﴾ خبر ثانٍ، أو متعلّق بالخبر، فالوقف عليه، وهو الأقرب؛ ولذا مشى عليه المفسّر، وقوله : ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ استئناف، ويصحّ أن يكون ظرفاً لقوله : ﴿يَغْفِرُ﴾، فالوقف على قوله : ﴿عَلَيْكُمْ﴾ .
 قوله : ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ الجملة دعاية .
 قوله : ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ أي : يقبل التوبة، ويعفو عن المذنبين، ومن كرم يوسف عليه السلام : أنهم لما عرفوه . . قالوا له : إنك تدعونا بكرةً وعشيّاً إلى الطعام ونحن نستحيي منك؛ لما تقدّم منا، فقال : إن أهل مصر كانوا ينظرون إليّ بعين العبودية ويقولون : سبحان مَنْ بَلَغَ عَبْدًا يَبِيعُ بعشرين درهماً ما بلغ، ولقد شرفت بكم، وعظمت في عيونهم؛ حيث علموا أنكم إخواني، وأني من حفدة إبراهيم عليه السلام^(١) .

قوله : (وسألهم عن أبيه) أي : حين وقع التعارف، وهو تمهيدٌ لقوله : ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي﴾ .

أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَقْلَامِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ

﴿٩٣﴾ ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ وهو قميص إبراهيم الذي لبسه حين أُلقي في النار، كان في عُنْقِهِ فِي الْجُبِّ، وهو مِنَ الْجَنَّةِ، أَمَرَهُ جَبْرِيلُ بِإِرْسَالِهِ وَقَالَ: إِنَّ فِيهِ رِيحَهَا وَلَا يُلْقَى عَلَى مُبْتَلًى إِلَّا عُوفِي، ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ﴾: يَصِرُ ﴿بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَقْلَامِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾. ﴿٩٤﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾: خَرَجَتْ مِنْ عَرِيشِ مِصْرَ

حاشية الصاوي

قوله: (وهو قميص إبراهيم الذي لبسه حين أُلقي في النار) أي: لأنه لما أُلقي فيها عرياناً.. أناه جبريل بقميص من حرير الجنة، فألبسه إياه، فكان ذلك القميص عند إبراهيم، فلما مات.. ورثه إسحاق، فلما مات.. ورثه يعقوب وجعله في قصبة من فضة، وسدَّ رأسها، وعلَّقها في عُنْقِ يوسف؛ حفظاً من العين، فلما أُلقي في الجب عرياناً.. أناه جبريل وأخرج له ذلك القميص من القصبة، وألبسه إياه^(١).

قوله: (وقال) أي: جبريل.

قوله: ﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾ (يَحْتَمِلُ أَنْ ﴿يَأْتِ﴾ بِمَعْنَى (يَصِيرُ)؛ ف﴿بَصِيرًا﴾ مَفْعُولُ ثَانٍ^(٢)، وهو الذي درج عليه المفسر، ويحتمل أنها بمعنى (يجيء)؛ ف﴿بَصِيرًا﴾ حال.

قوله: ﴿بِأَقْلَامِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: وكانوا اثنين وسبعين ما بين رجل وامرأة، وقيل: ثلاثاً وسبعين، فأرسل لهم مئتي راحلة، وكانوا حين خرجوا من مصر مع موسى ست مئة ألف وخمس مئة وبضعة وسبعين رجلاً سوى الدَّارِي والضعفاء، وكانت الذرية إذ ذاك ألف ألف ومئتي ألف؛ فقد بُورِكَ فِيهِمْ حَتَّى بَلَغُوا هَذَا الْعَدَدَ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ الْيَسِيرَةِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ بَيْنَ يَعْقُوبَ وَمُوسَى أَرْبَعُ مِائَةِ سَنَةٍ.

قوله: (خرجت من عريش مصر) أي: مُتَوَجِّهَةً إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ، وَالْعَرِيشُ: بَلَدَةٌ مَعْرُوفَةٌ آخَرُ بِلَادِ مِصْرَ وَأَوَّلُ بِلَادِ الشَّامِ، وَمَا ذَكَرَهُ الْمَفْسِّرُ أَحَدُ قَوْلَيْنِ، وَالْآخَرُ: أَنَّ الْمُرَادَ: خَرَجَتْ مِنْ نَفْسِ مِصْرَ.

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/٥٥٤).

(٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَلَعَلَّ الْمَصْنَفَ رَحِمَهُ جَرَى عَلَى قَوْلٍ مِنْ يَسْمِي ثَانِي مَعْمُولِي (كَانَ) وَأَخَوَاتُهَا مَفْعُولًا، وَإِلَّا لَقَالَ: (خَبِرَ)، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ

﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لِمَنْ حَضَرَ مِنْ بَنِيهِ وَأَوْلَادِهِمْ: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أَوْصَلَتْهُ إِلَيْهِ الصَّبَا بِإِذْنِهِ تَعَالَى مِنْ مَسِيرِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَوْ ثَمَانِيَةِ

حاشية الصاوي

قوله: (لمن حضر من بنيه وأولادهم... إلخ) مقتضى هذا: أَنَّ الأولاد لم يذهبوا جميعاً لمصر، بل بقي بعضهم، وقال غيره: إِنَّ الأولاد ذهبوا جميعاً، وهذا الخطاب لأولادهم.

قوله: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أي: ريح الجنة من قميص يوسف؛ فالإضافة لأدنى مُلابسة، وفي هذا دليل على أَنَّ كُلَّ سَهْلٍ فَهُوَ فِي مُدَّةِ الْمُحَنَةِ صَعْبٌ، وَكُلُّ صَعْبٍ فَهُوَ فِي زَمَانِ الْإِقْبَالِ سَهْلٌ؛ حَيْثُ وَصَلَ إِلَيْهِ رِيحُ الْقَمِيصِ مِنَ الْمَكَانِ الْبَعِيدِ عِنْدَ انْقِضَاءِ مُدَّةِ الْفِرَاقِ، وَمَنْعِ مِنْ وَصُولِ خَبَرِهِ إِلَيْهِ مَعَ قَرَبِ إِحْدَى الْبَادِيَتَيْنِ مِنَ الْآخَرَى فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ الْعَظِيمَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ الْفَارُضِ^(١): [البسيط]

أَعْوَامٌ إِقْبَالُهُ كَالْيَوْمِ فِي قِصَرٍ وَيَوْمٌ إِعْرَاضُهُ فِي الطُّولِ كَالْحَجَجِ

قوله: (أوصلته إليه الصبا) هي ريح تهب من مطلع الشمس.

إِنْ قُلْتَ: إِنَّ رِيحَ الصَّبَا تُقَابِلُ الْذَاهِبِ مِنْ مِصْرَ إِلَى الشَّامِ؛ فَإِذَا كَانَتْ تُقَابِلُهُ.. فَكَيْفَ تَحْمِلُ الرِّيحُ مِنَ الْقَمِيصِ الَّذِي مَعَهُ إِلَى جِهَةِ الشَّامِ، فَمُقْتَضَى الْعَادَةِ: أَنَّ الَّتِي حَمَلَتْ هِيَ الدَّبُورُ؛ لِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَذْهَبُ مِنْ جِهَةِ مِصْرَ إِلَى الشَّامِ؟!

أُجِيبُ: بِأَنَّ هَذَا خَرَقُ عَادَةٍ، أَوْ يُقَالُ: إِنَّ هَذَا ظَاهِرٌ إِذَا كَانَتْ حَمَلَتْهُ لِمُقَابِلَتِهَا فَقَطْ، وَأَمَّا مَا حَصَلَ.. فَقَدْ فَاحَ شَذَاهُ عَلَى جَمِيعِ الدُّنْيَا؛ وَلِذَا قَالَ مُجَاهِدٌ: هَبَّتْ رِيحٌ فَصَفَقَتِ الْقَمِيصَ، فَفَاحَتْ رَوَائِحُ الْجَنَّةِ فِي الدُّنْيَا، وَاتَّصَلَتْ بِعِيقُوبَ، فَوَجَدَ رِيحَ الْجَنَّةِ مِنْ ذَلِكَ الْقَمِيصِ^(٢)؛ وَحِينَئِذٍ: فَحَمَلَ الصَّبَا لِرِيحِهِ ظَاهِرٌ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَحْمِلْ رِيحَهُ لِعِيقُوبَ فَقَطْ، بَلْ حَمَلَتْهُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا.

وَقَدْ بَالِغُ النَّاسِ فِي مَدْحِ الصَّبَا حَتَّى قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: لَوْ تَوَالَّتْ عَلَى الْأَرْضِ سَبْعَةُ أَيَّامٍ.. لِأَنْبَتِ الزَّرْعُفَرَانُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَادِحاً لَهَا: [الطويل]

أَيَا جِبَلِي نَعْمَانَ بِاللهِ خَلِيَا نَسِيمَ الصَّبَا يَصْبُو إِلَيَّ نَسِيمُهَا

(١) كما في «ديوانه» (ص ١٠).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٥١٣/٢).

لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَنَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَأَرْتَدَّ بِصِيرًا

أو أكثر، ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾: تُسَفِّهُونَ لَصَدَقْتُمُونِي.

﴿٩٥﴾ ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ﴾: خَطِئْتَ ﴿الْقَدِيمِ﴾ مِنْ إِفْرَاطِكَ فِي مَحَبَّتِهِ وَرَجَاءِ لِقَائِهِ عَلَى بَعْدِ الْعَهْدِ.

﴿٩٦﴾ ﴿فَلَمَّا أَنْ﴾ - زائدة - ﴿جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ يَهُوذَا بِالْقَمِيصِ، وَكَانَ قَدْ حَمَلَ قَمِيصَ الدَّمِ فَأَحَبَّ أَنْ يُفْرِحَهُ كَمَا أَحْزَنَهُ، ﴿أَلْقَنَهُ﴾: طَرَحَ الْقَمِيصَ ﴿عَلَى وَجْهِهِ فَأَرْتَدَّ﴾: رَجَعَ ﴿بَصِيرًا﴾ حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

فَإِنَّ الصَّبَا رِيحٌ إِذَا مَا تَنَسَّمَتْ عَلَى نَفْسٍ مَهْمُومٍ تَجَلَّتْ هُمُومُهَا
أَجْدُ بَرْدَهَا أَوْ تَشْفِ مَنِّي حَرَارَةً عَلَى كَبِدٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا رُسُومُهَا
قوله: (أو أكثر) قيل: عشرة، وقيل: شهر.

قوله: ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ («أَنْ») وما دَخَلَتْ عَلَيْهِ: فِي تَأْوِيلِ مُصَدَّرٍ مُبْتَدَأٍ، خَبَرَهُ مَحْذُوفٌ وَجُوبًا، وَجَوَابُ ﴿لَوْلَا﴾ مَحْذُوفٌ أَيْضًا، وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: لَوْلَا تُفَنِّدُكُمْ لِي مَوْجُودٌ.. لَصَدَقْتُمُونِي. وَالتَّفْنِيدُ هُوَ: تَضْعِيفُ الرَّأْيِ.

قوله: ﴿قَالُوا﴾) أَي: مَنْ حَضَرَ عِنْدَهُ مِنْ أَوْلَادِ بَنِيهِ.

قوله: ﴿لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾) أَي: مِنْ ذِكْرِ يُوسُفَ، وَعَدَمِ نَسْيَانِكَ إِيَّاهُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمْ قَدْ مَاتَ وَهَلَكَ.

قوله: (فَأَحَبَّ أَنْ يُفْرِحَهُ) أَي: فَقَالَ لِأَخَوْتِهِ: إِنِّي ذَهَبْتُ بِالْقَمِيصِ مُلَطَّخًا بِالدَّمِ، فَأَنَا أَذْهَبُ بِهِذَا الْقَمِيصِ، فَأُفْرِحُهُ كَمَا أَحْزَنْتَهُ، فَحَمَلَهُ وَخَرَجَ بِهِ حَافِيًا حَاسِرًا، وَمَعَهُ سَبْعَةُ أَرْغِفَةٍ لَمْ يَسْتَوْفِ أَكْلَهَا حَتَّى أَتَى أَبَاهُ، وَكَانَتِ الْمَسَافَةُ ثَمَانِينَ فَرَسَخًا، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ.. عَلَّمَهُ فِي نَظِيرِ تِلْكَ الْبَشَارَةِ كَلِمَاتٍ كَانَتْ وَرَثَتَهَا عَنْ أَبِيهِ إِسْحَاقَ، وَهُوَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ، وَهِيَ: (يَا لَطِيفًا فَوْقَ كُلِّ لَطِيفٍ؛ الطُّفُّ بِي فِي أُمُورِي كُلِّهَا كَمَا أَحَبُّ، وَرَضُّنِي فِي دُنْيَايَ وَآخِرَتِي) (١).

قوله: ﴿فَأَرْتَدَّ بِصِيرًا﴾) أَي: رَجَعَ بِصَرِّهِ لِحَالَتِهِ الْأُولَى.

قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَتَّبِعُنَا مَا نَفْعُهُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا
خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾

قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ .

﴿٩٧﴾ قَالُوا يَتَّبِعُنَا مَا نَفْعُهُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ .

﴿٩٨﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ أَخْرَجَ ذَلِكَ إِلَى السَّحَرِ
لِيَكُونَ أَقْرَبَ إِلَى الْإِجَابَةِ، وَقِيلَ: إِلَى لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ. ثُمَّ تَوَجَّهُوا إِلَى مِصْرَ، وَخَرَجَ يُوسُفُ
وَالْأَكَابِرَ لِيَتَلَقَّيْهِمْ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (أي: من أمور باطنية لا تعلمونها؛
فأنتم تنظرون للظاهر، وأنا أنظر للباطن).

قوله: ﴿قَالُوا يَتَّبِعُنَا مَا نَفْعُهُ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ (إلخ) أي: لما ظهر الحق وتبين.. اعتذروا لأبيهم مما وقع منهم.

قوله: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (أي: اطلب لنا من ربنا غفران ذنوبنا).

قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (أي: آثمين).

قوله: (أَخْرَجَ ذَلِكَ إِلَى السَّحَرِ) أي: فلما انتهى إلى وقت السحر.. قام إلى الصلاة متوجهاً
إلى الله، فلما فرغ منها.. رفع يديه وقال: اللهم اغفر لي جزعي على يوسف، وقلة صبري عنه،
واغفر لأولادي ما أتوا إلي وإلى أخيه يوسف، فأوحى الله إليه: إني قد غفرت لك ولهم أجمعين.

قوله: (وقيل: ليلة الجمعة) أي: وقيل: إلى الاجتماع بيوسف؛ ليجتمع معه على الاستغفار
والدعاء لهم، ويؤيده: ما روي: (أنه استقبل القبلة قائماً يدعو، وقام يوسف خلفه يؤمن، وقاموا
خلفهما أذلة خاشعين، حتى نزل جبريل عليه السلام وقال: إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك،
وعقد موثيقهم بعدك على النبوة)^(١)، وهذا إن صح.. فهو دليل على نبوتهم، ويجاب حينئذ عما
وقع منهم بما مر.

قوله: (ثم توجهوا إلى مصر) قال أصحاب الأخبار: لما دنا يعقوب من مصر.. كلم يوسف
الملك الأكبر، وعرفه بمجيء أبيه وأهله، فخرج يوسف في أربعة آلاف من الجند، وركب أهل مصر
معهم يتلقون يعقوب عليه السلام، وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على يد ابنه يهودا، فلما نظر

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مَصْرَ

﴿٩٩﴾ ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ في مَضْرِبِهِ ﴿ءَاوَىٰ﴾: ضَمَّ ﴿إِلَيْهِ أَبْوَيْهِ﴾: أَبَاهُ وَأُمُّهُ
أَوْ خَالَتَهُ، ﴿وَقَالَ﴾ لَهُمْ: ﴿ادْخُلُوا مَصْرَ﴾
حاشية الصاوي

إلى الخيل والناس.. قال: يا يهودا؛ هذا فرعون مصر؟ قال: لا، بل هذا ابنك يوسف، فلما دنا كل واحد من صاحبه.. أراد يوسف أن يبدأ يعقوب بالسلام، فقال له جبريل: خلّ يعقوب يبدأ بالسلام، فقال يعقوب: السلام عليك يا مُذهب الأحزان، وقيل: إنهما نزلا وتعانقا وفعلوا كما يفعل الوالد بولده، والولد بوالده وبكى، وقيل: إن يوسف قال لأبيه: يا أبت؛ بكيت عليّ حتى ذهب بصرك، ألم تعلم أنّ القيامة تجمّعنا؟ قال: بلى، ولكن خشيت أن يُسلَب دينك، فيُحال بيني وبينك^(١).

وخرج يوسف للقاء أبيه في أربعة آلاف من الجند؛ لكل واحد منهم جبة من فضة وراية قرّ وقصب، فتزيّنت الصحراء بهم، واصطفوا صفوفاً، ولما صعد يعقوب ومعه أولاده وحفدته.. نظر إلى الصحراء مملوءة بالفرسان مُزينة بالألوان، فنظر إليهم متعجباً، فقال جبريل: انظر إلى الهواء؛ فإنّ الملائكة قد حضّرت سروراً بحالك، كانوا باكين محزونين مدّة لأجلك، وهاجت الفرسان بعضهم في بعض، وصهّلت الخيول، وسبّحت الملائكة، وضربت الطبول والبوقات، فصار كأنه يوم القيامة، قيل: وكان دخولهم يوم عاشوراء.

قوله: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا﴾ أي: يعقوب وأولاده.

قوله: (في مضربه) أي: خيمته، وكان ذلك خارج المدينة على عادة الملوك.

قوله: ﴿ءَاوَىٰ إِلَيْهِ﴾ أي: قرّبهما منه.

قوله: (وأُمّه) أي: على القول بحياتها حينئذٍ، وقوله: (أو خالته) واسمها: ليا، وهذا على القول بموت أمّه راحيل، وقيل: المراد بخالته: امرأة أخرى غير ليا، تزوّجها يعقوب بعدهما، وقيل: أحيا الله أمّه بعد موتها، وسجدت له؛ تحقيقاً لرؤياه، والله أعلم بحقيقة الحال.

قوله: ﴿ادْخُلُوا مَصْرَ﴾ هذا الدخول غير الدخول الأول؛ لأنّ المراد هنا: دخول نفس المدينة، وأمّا الأول.. فالمراد به: دخول خيمته خارج البلد.

إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَبَّابُ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ

إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ ﴿٩٩﴾، فَدَخَلُوا وَجَلَسَ يُوسُفُ عَلَى سَرِيرِهِ.

﴿١٠٠﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ ﴿٩٩﴾: أَجْلَسَهُمَا مَعَهُ ﴿٩٩﴾ عَلَى الْعَرْشِ ﴿٩٩﴾: السَّرِيرِ، ﴿٩٩﴾ وَخَرُّوا ﴿٩٩﴾ أَي: أَبَوَاهُ وَإِخْوَتُهُ ﴿٩٩﴾ سُجَّدًا ﴿٩٩﴾ سُجُودَ انْحِنَاءٍ لَا وَضَعَ جَبْهَةً، وَكَانَ تَحِيَّتُهُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، ﴿٩٩﴾ وَقَالَ يَبَّابُ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي ﴿٩٩﴾: إِلَيَّ ﴿٩٩﴾ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴿٩٩﴾ لَمْ يَقُلْ: (مِنْ الْجُبِّ) تَكْرُمًا لِئَلَّا تَخْجَلَ إِخْوَتُهُ،
حاشية الصاوي

قوله: ﴿٩٩﴾ (إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ) ﴿٩٩﴾ أَي: مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ؛ لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَخَافُونَ مِنْ مُلُوكِ مِصْرَ، فَلَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ إِلَّا بِجَوَارِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ يُوسُفُ: ادْخُلُوا مِصْرَ آمِنِينَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ؛ لِأَنَّكُمْ أَنْتُمْ مُلُوكُهَا، فَلَا تَخَافُونَ مِنْ أَحَدٍ.

قوله: (فَدَخَلُوا) قَدَّرَ ذَلِكَ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ ﴿٩٩﴾ مَرَّتَبٌ عَلَى مَحْذُوفٍ.

قوله: ﴿٩٩﴾ (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) ﴿٩٩﴾ يَحْتَمِلُ أَنَّ يَكُونُ ذَلِكَ السُّجُودَ خَارِجَ الْبَلَدِ عِنْدَ أَوَّلِ اللَّقَاءِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ بَعْدَ الدَّخُولِ وَجُلُوسِ يُوسُفَ وَأَبَوَيْهِ عَلَى السَّرِيرِ.

قوله: (سُجُودَ انْحِنَاءٍ) أَي: عَلَى عَادَةِ تَحِيَّةِ الْمُلُوكِ، وَهَذَا أَحَدُ قَوْلَيْنِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالسُّجُودِ: حَقِيقَتُهُ، وَهُوَ: وَضَعَ الْجَبْهَةَ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَا يُشْكَلُ عَلَى هَذَا: أَنَّ حَقِيقَةَ السُّجُودِ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ؛ لِأَنَّهُ يَقَالُ: إِنْ يُوسُفُ جُعِلَ كَالْقِبْلَةِ لِذَلِكَ السُّجُودِ، وَمَا قِيلَ فِي سُجُودِ الْمَلَائِكَةِ لِآدَمَ.. يَقَالُ هُنَا.

إِنْ قُلْتَ: كَيْفَ رَضِيَ يُوسُفُ بِسُّجُودِ أَبِيهِ لَهُ مَعَ كَوْنِهِ أَكْبَرَ مِنْهُ وَكَانَ الْوَاجِبُ مُرَاعَاةَ الْأَدَبِ؟ أَجِيبْ: بِأَنَّ هَذَا بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ؛ تَحْقِيقًا لِرُؤْيَا يُوسُفَ؛ لِأَنَّ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ.

قوله: ﴿٩٩﴾ (هَذَا) ﴿٩٩﴾ أَي: السُّجُودُ.

قوله: ﴿٩٩﴾ (حَقًّا) ﴿٩٩﴾ أَي: صَدَقًا؛ حَيْثُ وَجَدْتَ وَتَحَقَّقْتَ فِي الْخَارِجِ عَلَى طَبَقِ مَا فِي النَّوْمِ.

قوله: ﴿٩٩﴾ (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي) ﴿٩٩﴾ أَي: أَنْعَمَ عَلَيَّ.

قوله: (لِئَلَّا تَخْجَلَ إِخْوَتُهُ) أَي: وَلِأَنَّ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي الْخُرُوجِ مِنَ السِّجْنِ كَانَتْ سَبَبًا لِوُصُولِهِ إِلَى الْمَلِكِ، بِخِلَافِ إِخْرَاجِهِ مِنَ الْجُبِّ؛ فَإِنَّهُ أَعْقَبَهَا الرِّقَّ وَالتَّهْمَةَ وَالسِّجْنَ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ إِدْخَالُ سُرُورٍ عَلَى أَبَوَيْهِ.

وَجَاءَ بِكُمْ مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾

﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِّنَ الْبَدْوِ﴾: البادية ﴿مِن بَعْدِ أَنْ نَزَغَ﴾: أفسد ﴿الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾: في صنعه. وأقام عنده أبوه أربعاً وعشرين سنة أو سبع عشرة سنة، وكان مدة فراقه ثماني عشرة أو أربعين أو ثمانين سنة، وحضره الموت فوصى يوسف أن يحمله ويدفنه عند أبيه، فمضى بنفسه ودفنه ثمّة، ثم عاد إلى مصر وأقام بعده ثلاثاً وعشرين سنة، ولما تمّ أمره وعلم أنّه لا يدوم، تآقت نفسه إلى الملك الدائم، فقال:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِّنَ الْبَدْوِ﴾ عطف على ﴿أَخْرَجَنِي﴾، والمعنى: وقد أنعم عليّ وقت إخراجي من السجن، ووقت مجيئكم من البدو.

قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ﴾ ضمته معنى (مدبر) فعده باللام، واللطف معناه: الرفيق المحسن.

قوله: (وكانت مدة فراقه ثماني عشرة... إلخ) حاصله: أنه اختلّف في مدة فراق يوسف لأبيه؛ فذكر المفسّر ثلاثة أقوال، وقيل: اثنان وعشرون، وقيل: ست وثلاثون، وقيل: خمس وثلاثون، وقيل: سبعون، ولا يعلم الحقيقة إلا الله، واتفقوا على أن عمر يوسف مئة وعشرون سنة.

قوله: (فوصى يوسف أن يحمله... إلخ) وقد فعل، فحمله في تابوت من ساج حتى قدم به الشام، فوافق ذلك موت عيصو أخي يعقوب، وكانا قد وُلدا في بطن واحد، فدُفنا في قبر واحد. قوله: (ولما تمّ أمره) أي: في ملكه.

قوله: (وعلم أنه) أي: الملك.

قوله: (إلى الملك الدائم) أي: وهو نعيم الآخرة.

قوله: (فقال) أي: طلب الملك الدائم بوفاته على الإسلام، وما قبل ذلك فهو ثناء على الله، قدّم على الدعاء لمُراعاة الأدب؛ إشارة إلى أن الإنسان ينبغي له إذا أراد أن يدعو... يقدّم الثناء على الله؛ اعترافاً بالنعم، ثمّ بعد ذلك يسأل مطلوبه.



رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾

﴿١٠١﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ: تعبير الرؤيا، ﴿فَاطِرَ﴾: خالق ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ﴾: مُتَوَلِّي مَصَالِحِي ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾: من آبائي، فعاش بعد ذلك أسبوعاً أو أكثر، ومات وله مائة وعشرون سنة، وتشاح المصريون في قبره، فجعلوه في صندوق من مرمَر ودفنوه في أعلى النيل لتعم البركة جانيه، فسبحان من لا انقضاء لمملكه.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِنَ الْمُلْكِ﴾ أي: بعضه، وهو ملك مصر؛ إذ لم يملك جميع الأقطار إلا أربعة: اثنان مسلمان: إسكندر ذو القرنين، وسليمان بن داود، واثنان كافران: بُخْت نَصْر^(١)، وشداد بن عاد.
قوله: ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يصح أن يكون نعتاً لـ ﴿رَبِّ﴾، أو بدلاً، أو عطف بيان، أو نداء ثانياً.

قوله: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾: إن قلت: كيف يطلب الموت مع أن تمنّيه لا يجوز؟
أجيب: بأنه علم بالوحي قُرب أجله، فطلب ما يكون عند الموت، وهو اللحق بالصالحين، فمحط طلب الموت على ما بعده.

إن قلت: إن كل نبي مقطوع بموته على الإسلام؛ فلم طلب ذلك؟
أجيب: بأن الله تجلّى على يوسف بخوف الإجلال، فطلب ذلك؛ لأن المعصوم عند ذلك ينسى العصمة.

قوله: (من آبائي) أي: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فالمراد: لحوقاً خاصاً الذي هو أعلى المراتب.
قوله: (ومات) أي: وقد توارثت الفراعنة من العمالة بعد يوسف مصر، ولم يزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا من دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله موسى عليه السلام، وأغرق فرعون وقومه، فقطع الله الفراعنة منها، وأورثها الله بني إسرائيل.

قوله: (وتشاح المصريون في قبره) أي: حتى هموا أن يقتتلوا، ثم اصطلحوا على أن يدفنوه

(١) بخت نصر البابلي: يجوز كتابة اسمه موصولاً ومفصلاً كما جرى عليه المخطوط، قيل: بخت بمعنى: ابن، ونصر: اسم صنم وجد مطروحاً عنده، فنسب إليه.

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾

﴿١٠٢﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ المَذْكُورُ مِنْ أَمْرِ يُوسُفَ ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾: أَخْبَارِ مَا غَابَ عَنْكَ يَا مُحَمَّدُ، ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾: لَدَى إِخْوَةِ يُوسُفَ ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ فِي كَيْدِهِ أَيْ: عَزَمُوا عَلَيْهِ ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ بِهِ، أَيْ: لَمْ تَحْضُرْهُمْ فَتَعَرَّفَ قِصَّتَهُمْ فَتُخْبِرُ بِهَا، وَإِنَّمَا حَصَلَ لَكَ عِلْمُهَا مِنْ جِهَةِ الْوَحْيِ.

حاشية الصاوي

في أعلى النيل من جهة الصعيد؛ لِتَعَمَّ بركته الجميع، فجعلوه في صندوق من مَرمر - وهو نوعٌ من أجود الرخام - ودَفَنُوهُ فِي الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ، فَأَخْصَبَ، وَأَجْدَبَ الْجَانِبِ الْأَيْسَرَ، فَنُقِلَ لَهُ، فَأَخْصَبَ، وَأَجْدَبَ الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ، فَدَفَنُوهُ فِي وَسْطِ النَّيْلِ، وَرَبَطُوهُ بِسِلْسَلَةٍ، فَأَخْصَبَ الْجَانِبَانِ، فَبَقِيَ أَرْبَعُ مِائَةِ سَنَةٍ، فَلَمَّا أَمَرَ اللَّهُ مُوسَى بِالْخُرُوجِ مِنْ مِصْرَ.. أَمَرَهُ بِأَخْذِ يُوسُفَ مَعَهُ، وَدَفْنِهِ فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ بِقُرْبِ آبَائِهِ، فَلَمْ يَهْتَدِ إِلَى مَكَانِهِ، فَدَلَّتهُ عَلَيْهِ عَجُوزٌ - قِيلَ: إِنَّهَا مِنْ أَوْلَادِ يَعْقُوبَ - وَشَرَطَتْ عَلَيْهِ أَنْ تَكُونَ مَعَهُ فِي الْجَنَّةِ، فَضَمَّنَ لَهَا ذَلِكَ، وَشَرَطَتْ عَلَيْهِ أَيْضاً أَنْ يَدْعُوَ لَهَا أَنْ تَرْجِعَ شَابَّةً كُلَّمَا هَرِمَتْ، فَدَعَا لَهَا، فَكَانَتْ كُلَّمَا وَصَلَتْ فِي السَّنِّ خَمْسِينَ سَنَةً.. رَجَعَتْ بِنْتُ ثَلَاثِينَ، فَعَاشَتْ أَلْفاً وَسِتِّ مِائَةِ سَنَةٍ، فَحَمَلَهُ مُوسَى وَدَفَنَهُ بِالْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَهُوَ الْآنَ هُنَاكَ. وَأَمَّا إِخْوَتُهُ.. فَلَمْ يَثْبُتْ فِي مَحَلِّ دَفْنِهِمْ شَيْءٌ، وَمَا قِيلَ مِنْ أَنَّهُمْ مَدْفُونُونَ فِي الْمَحَلِّ الْمَعْرُوفِ بِالْقِرَافَةِ الْكُبْرَى.. فَهُوَ بِالظَّنِّ فَقَطْ^(١).

قوله: (الْمَذْكُور) أَيْ: مِنْ أَمْرِ يُوسُفَ وَقِصَّتِهِ.

قوله: ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ أَيْ: الْأَخْبَارُ الْمُغَيَّبَةُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُهَا قَبْلَ الْوَحْيِ.

قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ كَالْعَلَّةِ لِقَوْلِهِ: ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾، وَلِقَوْلِهِ: ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾.

قوله: ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ أَيْ: يَحْتَالُونَ فِيمَا دَبَّرُوهُ.

قوله: (وَإِنَّمَا حَصَلَ لَكَ عِلْمُهَا مِنْ جِهَةِ الْوَحْيِ) أَيْ: فَيَكُونُ إِخْبَارُهُ بِهَا مُعْجَزَةً؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَطَالِعِ الْكُتُبَ الْقَدِيمَةَ، وَلَمْ يَأْخُذْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ، فَإِتْيَانُهُ بِتِلْكَ الْقِصَّةِ الْعَظِيمَةِ عَلَى أَبْلَغِ وَجْهِ مِنْ غَيْرِ غَلْطٍ وَلَا تَحْرِيفٍ.. غَايَةُ الْإِعْجَازِ.

(١) انظر «تفسير الخازن» (٥٥٨/٢)، وحديث العجوز رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي «المستدرک» (٤٠٥/٢)، وابن حبان فِي «صحيحه» (٧٢٣)، وَلَيْسَ فِيهِمَا شَرْطُ أَنْ تَعُودَ شَابَّةً.

وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا
يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾

﴿١٠٣﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ ﴿١﴾ أي: أهل مَكَّة ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ على إيمانهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿١٠٤﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ ﴿١﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ تَأْخُذُهُ، ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عِظَةٌ ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾.

﴿١٠٥﴾ وَكَأَيِّن ﴿١﴾ وكم ﴿مِّنْ آيَةٍ﴾ دَالَّةٍ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ الله ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾: يُشَاهِدُونَهَا ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ لا يَتَفَكَّرُونَ فِيهَا.

﴿١٠٦﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ ﴿١﴾ حَيْثُ يَقْرَءُونَ بِأَنَّهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ ﴿إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾ بِهِ بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَلِذَا كَانُوا يَقُولُونَ فِي تَلْبِيَّتِهِمْ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكاً هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكٌ، يَعْنُونَهَا.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ هذه الجملة مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ (مَا) وَخَبَرِهَا.

قوله: ﴿وَكَأَيِّن﴾ مَبْتَدَأٌ، وَ﴿مِّنْ آيَةٍ﴾: تَمْيِيزٌ، وَهُوَ تَسْلِيَةٌ أُخْرَى لَهُ ﷺ، وَالْمَعْنَى: لَا تَتَعَجَّبُ مِنْ إِعْرَاضِهِمْ عَنْكَ؛ فَإِنَّ إِعْرَاضَهُمْ عَنْ هَذِهِ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ الله وَقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ.. أَغْرَبَ وَأَعْجَبَ.

قوله: (كم) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ (كَأَيِّن) بِمَعْنَى (كم) الْخَبَرِيَّةُ الَّتِي لِلتَّكْثِيرِ.

قوله: ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ صِفَةٌ لِّ﴿آيَةٍ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ خَبَرُ الْمَبْتَدَأِ.

قوله: ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ الْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ.

قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ﴾ أي: وما يَعْتَرِفُ أَكْثَرُهُمْ بِالتَّوْحِيدِ؛ حَيْثُ يَقُولُونَ: اللهُ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمَعْطِي الْمَانِعَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ.

قوله: (يعنونها) أي: الأصنام بقولهم: (إلا شريكاً هو لك).

أَفَآمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي.....

﴿١٠٧﴾ ﴿أَفَآمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ﴾: نِقْمَةٌ تَغْشَاهُمْ ﴿مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾: فجأة، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بِوَقْتِ إِيْتَانِهَا قَبْلَهُ.

﴿١٠٨﴾ ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾ وَفَسَّرَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿أَدْعُوا إِلَى﴾ دِينِ ﴿اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾: حُجَّةٌ وَاضِحَةٌ ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾: آمَنَ بِي، - عُطِفَ عَلَى ﴿أَنَا﴾ الْمُبْتَدَأُ الْمُخْبَرِ عَنْهُ بِمَا قَبْلَهُ - ﴿وَسُبْحَنَ اللَّهُ﴾ تَزْيِيهًا لَهُ عَنِ الشُّرَكَاءِ، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ مِنْ جُمْلَةٍ سَبِيلُهُ أَيْضاً.

﴿١٠٩﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي﴾.....

حاشية الصاوي

قوله: (نِقْمَةٌ تَغْشَاهُمْ) أي: عُقُوبَةٌ تَشْمَلُهُمْ وَتَحِيطُ بِهِمْ.

قوله: ﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾ أي: طَرِيقِي وَشَرِيعَتِي.

قوله: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: أَدُلُّ النَّاسَ عَلَى طَاعَتِهِ وَدِينِهِ.

قوله: (حُجَّةٌ وَاضِحَةٌ) أي: بِهَا يَتَمَيَّزُ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ.

قوله: (عُطِفَ عَلَى ﴿أَنَا﴾ الْمُبْتَدَأُ... إلخ) أي: ف﴿أَنَا﴾: مُبْتَدَأٌ، وَ(مَنِ اتَّبَعَنِي): عُطِفَ عَلَيْهِ،

وقوله: ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾: جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ، خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، فَالْوَقْفُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾، وَيَكُونُ فِي الْمَقَامِ جَمْلَتَانِ: الْأُولَى: تَنْتَهِي لِقَوْلِهِ: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾، وَالثَّانِيَةُ: مَبْدُؤُهَا قَوْلُهُ: ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ...﴾ إلخ، وَهَذَا مَا جَرَى عَلَيْهِ الْمَفْسَرُ فِي الْإِعْرَابِ^(١).

قوله: (من جملة سبيله) راجع لقوله: ﴿وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، فَهُمَا مَعْطُوفَانِ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾، كَأَنَّهُ قَالَ: شَرِيعَتِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ، وَأَسْبَحَ اللَّهَ، وَكُونِي لَسْتُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي.

قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ رَدُّ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ؛ حَيْثُ قَالُوا: هَلَّا بَعَثَ اللَّهُ لَنَا

(١) وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: (وَمَنِ اتَّبَعَنِي) عَطْفًا عَلَى فَاعِلِ (أَدْعُو)؛ وَلِذَلِكَ أَكَّدَ بِالضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلِ فِي قَوْلِهِ: (أَنَا)، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُبْتَدَأً وَالْخَبَرُ مَحْذُوفٌ؛ أَيْ: وَمَنِ اتَّبَعَنِي يَدْعُو أَيْضاً، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ (عَلَى بَصِيرَةٍ) وَحْدَهُ حَالاً، وَ(أَنَا) فَاعِلٌ بِهِ، (وَمَنِ اتَّبَعَنِي) عَطِفَ عَلَيْهِ أَيْضاً. انظر «الدر المصون» (٥٦١/٦).

إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ
الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾

- وفي قراءة بالنون وكسر الحاء - ﴿إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة، ﴿مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾: الأمصار؛ لأنَّهم أعلم وأحلم، بخلاف أهل البوادي لجفائهم وجهلهم، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أهل مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: آخر أمرهم من إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم، ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الله ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ - بالياء، والتاء - أي: يا أهل مكة هذا فتؤمنون؟

حاشية الصاوي

ملكاً؟ والمعنى: كيف يتعجبون من ذلك مع أنَّ جميع رُسل الله الذين كانوا من قبلك بشرٌ مثلك؟! قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: (لجفائهم) أي: غلظ طبعهم، وهو مقابل لقوله: (أحلم)، وقوله: (وجهلهم) مقابل لقوله: (أعلم)، فهو لفٌّ ونشْرٌ مشوّشٌ.

قوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ الهمزة داخله على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أَعْمُوا فلم يسيروا...؟ إلخ، والاستفهام للتوبيخ.

قوله: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أي: في أسفارهم.

قوله: ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: كقوم هودٍ وصالحٍ ولوطٍ وغيرهم ممَّنْ هلكوا.

قوله: (من إهلاكهم) بيان لـ (آخر أمرهم).

قوله: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ أي: الدار الآخرة.

قوله: ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي: وأماً لغيرهم.. فليست خيراً لهم؛ لحرمانهم من نعيمها.

قوله: (الله) قدره؛ إشارة إلى أن مفعول ﴿اتَّقَوْا﴾ محذوف.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: (يا أهل مكة) راجع لقراءة التاء، فيكون خطاباً لهم، وعلى الياء يكون إخباراً عنهم.

(١) قرأ حفص بالنون وكسر الحاء، والباقون بالياء وفتح الحاء. انظر «السراج المنير» (١٤٢/٢).

(٢) قرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتاء على الخطاب لأهل مكة، والباقون بالياء على الغيبة لهم وللمشركين المكذَّبين.

انظر «السراج المنير» (١٤٢/٢).

حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ
الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ

﴿١١٠﴾ ﴿حَتَّى﴾ غاية لما دَلَّ عَلَيْهِ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾، أي: فتراخى نصرهم حتى ﴿إِذَا اسْتَيْسَسَ﴾: يَيْسَسَ ﴿الرُّسُلُ وَظَنُّوا﴾: أيقن الرُّسُلُ ﴿أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ - بالتَّشْدِيدِ - تكذيباً لا إيمان بعده - والتَّخْفِيفِ - أي: ظنَّ الأُمَمَ أَنَّ الرُّسُلَ أُخْلِفُوا ما وَعَدُوا بِهِ مِنَ النَّصْرِ، ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ﴾ - بُنُونٍ مُشَدَّدًا وَمُخَفَّفًا، وَبُنُونٍ مُشَدَّدًا ماضٍ - ﴿مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾: عَذَابُنَا ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾: الْمُشْرِكِينَ.

﴿١١١﴾ ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ﴾ أي: الرُّسُلِ

حاشية الصاوي

قوله: (غاية لما دَلَّ عليه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾... إلخ) أي: وحينئذ: فيكون المعنى: وما أَرْسَلْنَا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم، فكذبوا أُمَمَهُمْ، فتراخى نصرهم حتى... إلخ.

قوله: (أيقن الرسل) هذا راجع لقراءة التشديد، والمعنى: أيقن الرسل بالوحي من الله بأن قومهم يكذبونهم تكذيباً لا إيمان بعده، وأما قراءة التخفيف... فالظنُّ على بابه.
قوله: (من النصر) بيان لـ(ما).

قوله: (بنونين مشدداً... إلخ) حاصل ما ذكره ثلاث قراءات: التشديد والتخفيف مع النونين، والتشديد مع النون الواحدة، وظاهرُ كلامه: أَنَّ جميعها سبعيٌّ، وليس كذلك، بل التشديد مع النونين قراءة شاذة^(١).

قوله: (ماضٍ) أي: مبني للمفعول، و﴿مَنْ نَشَاءُ﴾: نائب فاعل.

قوله: ﴿فِي قَصَصِهِمْ﴾ (القَصَصُ: مصدر (قَصَّ): إذا تَبَّعَ الأثر والخبر، والمراد: الأخبار.

قوله: (الرسل) كهود وصالح ولوط وشعيب وغيرهم، ويحتمل أَنَّ الضمير عائدٌ على يوسف وإخوته؛ بدليل قوله تعالى في أول السورة: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾، والمعنى: إِنَّ الذي قدر على إخراج يوسف من الجبِّ والسجن، ومنَّ عليه بالعزِّ والملك، وجمع شمله بأبيه وإخوته بعد المدة الطويلة... قادرٌ على إعزاز محمد ﷺ، وإعلاء كلمته، وإظهار دينه، رغماً على أنف كلِّ معارض.

(١) قرأ ابن عامر وعاصم بنون مضمومة بعدها جيم مشددة، والباقون بنونين الأولى مضمومة والثانية ساكنة وتخفيف الجيم، وقرأ الحسن: «فَنُجِّيَ» بنونين والجيم مشددة. انظر «الدر المصون» (٦/٥٦٧).

عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

﴿عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: أصحاب العُقُول، ﴿مَا كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾: يُخْتَلَقُ، ﴿وَلَكِنْ﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ، ﴿وَتَفْصِيلَ﴾: تَبْيِينَ ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الدِّينِ، ﴿وَهُدًى﴾ مِنَ الضَّلَالَةِ، ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خُصُّوا بِالذِّكْرِ لِانْتِفَاعِهِمْ بِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ.



حاشية الصاوي

قوله: ﴿عِبْرَةٌ﴾ أي: تفكّر واتّعاظ.

قوله: ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ تعريضٌ بأنهم ليسوا بأولي ألباب.

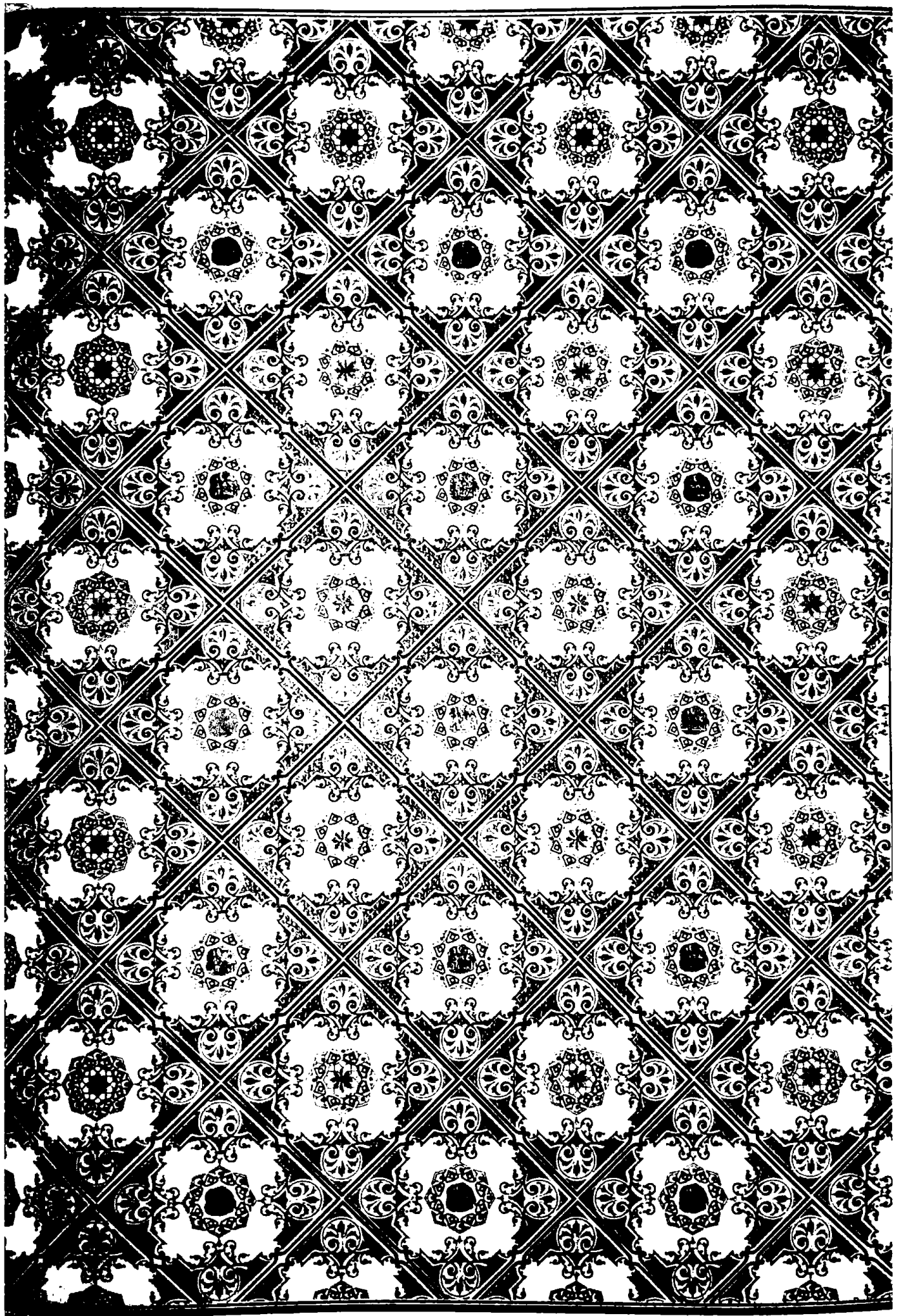
قوله: (هذا القرآن) أي: الذي تقدّم ذكره في قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾.

قوله: ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ هذه أخبارٌ أربعة، أخبر بها عن (كان) المحذوفة التي قدّرها المفسّر، والمعنى: أن هذا القرآن مصدّق لما تقدّم قبله من الرُّسل ومن الكتب التي جاؤوا بها، فقول المفسّر: (من الكتب) .. لا مفهوم له.

قوله: (في الدين) أي: من الحلال والحرام والمواظع وغير ذلك.

قوله: ﴿وَرَحْمَةً﴾ أي: إنعاماً وإحساناً.





﴿الْمَرْ تِلْكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ﴾



مَكِّيَّةٌ إِلَّا ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ الْآيَةُ، و﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا...﴾ الْآيَةُ، أَوْ مَدَنِيَّةٌ إِلَّا ﴿وَلَوْ أَن قُرْءَانًا...﴾ الْآيَتَيْنِ. ثَلَاثٌ أَوْ أَرْبَعٌ أَوْ خَمْسٌ أَوْ سِتٌّ وَأَرْبَعُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَرْ﴾ اللَّهُ أَعْلَمَ بِمُرَادِهِ بِذَلِكَ، ﴿تِلْكَ﴾: هَذِهِ الْآيَاتُ ﴿ءَايَتُ الْكِتَابِ﴾: الْقُرْآنُ،

حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

سُورَةُ الرَّعْدِ

مَبْتَدَأٌ، وَقَوْلُهُ: (مَكِّيَّةٌ) خَبَرٌ أَوَّلٌ، وَقَوْلُهُ: (ثَلَاثٌ... إلخ) خَبَرٌ ثَانٍ.

قَوْلُهُ: (مَكِّيَّةٌ إِلَّا: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ الْآيَةُ) وَقِيلَ: الْمَدَنِيُّ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾.

قَوْلُهُ: (أَوْ مَدَنِيَّةٌ إِلَّا: ﴿وَلَوْ أَن قُرْءَانًا...﴾ الْآيَةُ) وَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ كُلُّهَا، وَقِيلَ: مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا؛ فَتَحْصُلُ: أَنَّ فِيهَا خَمْسَةَ أَقْوَالٍ.

وَسُمِّيَتْ بِ(الرَّعْدِ)؛ لِذِكْرِهِ فِيهَا، وَمِنْ فَضَائِلِهَا: أَنَّ قِرَاءَتَهَا عِنْدَ الْمُحْتَضِرِّ تَسْهِّلُ خُرُوجَ الرُّوحِ.

قَوْلُهُ: (ثَلَاثٌ أَوْ أَرْبَعٌ... إلخ) حَاصِلُ مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْخِلَافِ فِي عَدَدِ آيَاتِهَا: أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ.

قَوْلُهُ: (اللَّهُ أَعْلَمَ بِمُرَادِهِ بِذَلِكَ) تَقَدَّمَ: أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ هُوَ الْأَسْلَمُ فِي تَفْسِيرِ تِلْكَ الْأَحْرَفِ الْمُقَطَّعَةِ.

قَوْلُهُ: (هَذِهِ الْآيَاتُ) أَي: آيَاتُ السُّورَةِ، وَأَشِيرَ لَهَا بِاعْتِبَارِ عِلْمِ اللَّهِ بِهَا، أَوْ بِاعْتِبَارِ وَجُودِهَا فِي اللَّوْحِ الْمُحْفُوظِ؛ فَلَا يَقَالُ: إِنَّ اسْمَ الْإِشَارَةِ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ لِحَاضِرٍ وَهِيَ لَمْ تَوْجَدْ فِي الْخَارِجِ. وَيَصَحُّ أَنْ يَعُودَ اسْمُ الْإِشَارَةِ عَلَى مَا مَضَى مِنْ أَوَّلِ الْقُرْآنِ إِلَى هُنَا.

وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا

- والإضافة بِمَعْنَى (من) - ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: القرآن - مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ: - ﴿الْحَقُّ﴾ لا شكَّ فِيهِ، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: أهل مَكَّةَ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِهِ تَعَالَى.
﴿٢﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أي: العَمَدَ جَمْعُ عِمَادٍ، وهو الأَسْطُوَانَةُ، وهو صَادِقٌ بِأَن لا عَمَدَ أَصْلًا،
حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ اسم الموصول: مبتدأ، و﴿أَنْزَلَ﴾: صلته، و﴿مِنْ رَبِّكَ﴾: متعلق به، أو حال، وقوله: ﴿الْحَقُّ﴾ خبرٌ كما قال المفسّر، والمعنى: إِنَّ القرآن الذي أنزل عليك من ربك هو الحق الذي لا شكَّ فيه.

قوله: (أي: أهل مكة) هذا تفسيرٌ لـ ﴿أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ باعتبار النزول، وإلا... فالعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب؛ فأكثر الناس لا يؤمنون في كلِّ زمان.

قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يصدّقون بذلك، والمعنى: لا تعتبرهم؛ فإنهم لا يُعوّل عليهم.

قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ...﴾ إلخ) هذا شروعٌ في ذكر الأدلّة على وجوب وجوده تعالى، واتصافه بالكمالات، وبدأ بأدلة من العالم العلوي، وأعقبها بأدلة من العالم السفلي بقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ...﴾ إلخ.

قوله: (جمع: عماد) أي: على غير قياس، وقياسه: أن يُجمع على (عُمَد) بضمّتين، وقد قرئ به شاذًّا^(١)، وقيل: جمع: عمود.

قوله: (وهو: الأستوانة) ويقال له: سارية.

قوله: (وهو صادق بأن لا عمد أصلاً) أي: وهو المراد، فالنفي منصبٌ على المقيّد بقيده؛ أي: لم تروها لعدم وجودها، وقيل: إنّ لها عمداً على جبل قاف، وهو: جبل من زُمرد محيط بالدنيا، والسماء عليه مثل القبة؛ فالنفي منصبٌ على القيد دون المقيّد، وعلى ذلك: فجملة ﴿تَرَوْنَهَا﴾ صفة لـ ﴿عَمَدٍ﴾، والضمير عائد عليها، وقيل: إنّ ﴿تَرَوْنَهَا﴾ حال من ﴿السَّمَوَاتِ﴾،

(١) وبها قرأ أبو حيوة ويحيى بن وثاب. انظر «السراج المنير» (١٤٤/٢).

ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ
الْآيَاتِ

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواءٌ يليقُ به، ﴿وَسَخَّرَ﴾: ذَلَّلَ ﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ مِنْهُمَا
﴿يَجْرِي﴾ فِي فَلَكِهِ ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾: يَقْضِي أَمْرَ مُلْكِهِ،
﴿يُفَصِّلُ﴾: يُبَيِّنُ ﴿الْآيَاتِ﴾: دَلَالَاتِ قُدْرَتِهِ،
حاشية الصاوي

والتقدير: رفع السماوات حال كونها مرئية لكم بغير عمد، وقيل: إنها جملة مستأنفة، لا محل لها
من الإعراب، وعلى هذين القولين: فالضمير عائد على السماوات.

قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾: ﴿ثُمَّ﴾: لمجرد العطف، لا للترتيب؛ إذ لا ترتيب بين رفع
السماوات والاستواء على العرش.

والاستواء في الأصل: الركوب والتمكّن، وذلك مستحيلٌ عليه تعالى؛ لاستلزامه الجسمية
والجهة، والمراد به هنا: القهر والغلبة؛ لأنَّ شأن مَنْ ركب على شيء أن يكون قاهراً له، ومن ذلك
قول الشاعر^(١): [الرجز]

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقِ

وهذه طريقة الخلف، وما مشى عليه المفسرون طريقة السلف، وكلٌّ من الطريقتين صحيح^(٢).

قوله: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ أي: لِنفع العالم بهما.

قوله: (يوم القيامة) أي: وحينئذٍ: فَيُلْقِيَانِ فِي النَّارِ بَعْدَ ذَهَابِ نُورِهِمَا؛ لِيُعَذَّبَ بِهِمَا عِبَادُهُمَا،
وما درج عليه المفسر من أنَّ المراد بـ(الأجل المسمى) هو: يوم القيامة.. أحدُ تفسيرين، والآخر:
أنَّ المراد به: الوقت المعين لقطع الفلك؛ فَإِنَّ الشَّمْسَ تَقْطَعُهُ فِي سَنَةٍ، والقمر في شهر، لا يختلف
جري واحد منهما، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا...﴾ إلخ، وكلُّ صحيح.

قوله: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ أي: أمر العالم العلوي والسفلي؛ وذلك بالإحياء والإماتة، والإعزاز
والإذلال، وغير ذلك من أنواع التصرفات.

(١) هو للبعيث كما قاله ابن عباد، أو للأخطل كما قاله الجوهري. انظر «إتحاف السادة المتقين» (١٠٦/٣).

(٢) وإليهما أشار صاحب «الجوهرة» بقوله:

وَكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيهِهَا أَوَّلُهُ أَوْ فَوْضُ وَرُمُ تَنْزِيهِهَا

لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءَ رَبِّكُمْ تَوْفَنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾

﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿يَلْقَاءَ رَبِّكُمْ﴾ بِالْبَعَثِ ﴿تَوْفَنُونَ﴾.

﴿٣﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ﴾: بَسَطَ ﴿الْأَرْضَ وَجَعَلَ﴾: خَلَقَ ﴿فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: جِبَالاً ثَوَابِتَ، ﴿وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: مِنْ كُلِّ نَوْعٍ، ﴿يُغْشَى﴾: يُغْطَى ﴿الَّيْلُ﴾ بِظُلُمَتِهِ ﴿النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورِ ﴿لَآيَاتٍ﴾: دِلَالَاتٍ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ تَعَالَى ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فِي صُنْعِ اللَّهِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءَ رَبِّكُمْ تَوْفَنُونَ﴾ (أي: لَأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ.. فهو قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْإِنْسَانَ بَعْدَ مَوْتِهِ).

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ (شُرُوعٌ فِي ذِكْرِ أَدَلَّةٍ مِنَ الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ).

قوله: (بسط الأرض) أي: طَوَّلاً وَعَرْضاً؛ لِيَرْتَاحَ الْحَيَوَانُ عَلَيْهَا.

قوله: (ثوابت) أي: لَتَمْسِكْهَا عَنِ الْاضْطِرَابِ بِأَهْلِهَا، وَفِي الْحَدِيثِ: «أَوَّلُ بُقْعَةٍ وَضَعْتَ مِنَ الْأَرْضِ مَوْضِعَ الْبَيْتِ، ثُمَّ مُدَّتْ مِنْهَا الْأَرْضُ، وَأَوَّلُ جَبَلٍ وَضَعَهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَبُو قَبَيْسٍ، ثُمَّ مُدَّتْ مِنْهُ الْجِبَالُ»^(١).

قوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ (مَتَعَلِّقٌ بِ﴿جَعَلَ﴾، وَمَفْعُولُهَا الثَّانِي مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: (لَكُمْ).

قوله: ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ (بَيَانٌ لِأَقْلَ مَرَاتِبِ الْعَدَدِ، وَإِلَّا.. فَقَدْ يَكُونُ أَكْثَرُ مِنْ نَوْعَيْنِ كَمَا هُوَ بِالْمُشَاهَدَةِ، وَالْمُرَادُ بِالثَّمَرِ: مَا يَشْمَلُ الْحَبَّ. وَتَعْدَادُ الْأَصْنَافِ الْمَذْكُورَةِ؛ إِمَّا بِاعْتِبَارِ الْأَلْوَانِ كَالْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ، أَوْ الطُّعُومِ كَالْحَلَاوَةِ وَالْمُلُوحَةِ وَالْحَمُوضَةِ وَالْمَزُوزَةِ، أَوْ الْقَدْرِ كَالْكَبَرِ وَالصَّغَرِ، أَوْ الْكَيْفِيَّةِ كَالْحَرَارَةِ وَالْبُرُودَةِ وَالنَّعْمَةِ وَالخُسُونَةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ).

قوله: (يُغْشَى) ﴿الَّيْلُ﴾ بِظُلُمَتِهِ ﴿النَّهَارُ﴾ (أي: وَيَزِيلُ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ بِضِيَاءِ النَّهَارِ، فَيُعْدِمُ كَلًّا بِوُجُودِ الْآخَرِ؛ فَفِي الْآيَةِ اكْتِفَاءٌ).

قوله: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ (أي: يَتَأَمَّلُونَ فَيَسْتَدِلُّونَ بِتِلْكَ الصَّنِيعَةِ عَلَى وُجُودِ صَانِعِهَا، وَيَعْرِفُونَ أَنَّ لَهَا

(١) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الشَّعْبِ» (٣٦٩٨) عَنْ سَيِّدِنَا ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَةٌ وَجَنَّتْ مِّنْ أَعْتَبٍ وَزَرَعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُقْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ.....

﴿٤﴾ ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ﴾: بِقَاعٌ مُّخْتَلِفَةٌ ﴿مُتَجَوِّرَةٌ﴾: مُتَلَصِّقَاتٌ، فَمِنْهَا طَيِّبٌ وَسَبَخٌ وَقَلِيلُ الرِّيعِ وَكَثِيرُهُ، وَهُوَ مِنْ دَلَائِلِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى، ﴿وَجَنَّتْ﴾: بَسَاتِينَ ﴿مِّنْ أَعْتَبٍ وَزَرَعٍ﴾ - بِالرَّفْعِ عَطْفًا عَلَى (جَنَّاتٍ)، وَالْجَرُّ عَلَى ﴿أَعْتَبٍ﴾ -، وَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ﴾: جَمْعُ (صِنُو) وَهِيَ النَّخْلَاتُ يَجْمَعُهَا أَصْلٌ وَاحِدٌ وَتَتَشَعَّبُ فُرُوعُهَا، ﴿وَغَيْرُ صِنَوَانٍ﴾: مُنْفَرِدَةٌ، ﴿يُسْقَى﴾ - بِالتَّاءِ - أَي: الْجَنَّاتُ وَمَا فِيهَا، - وَالْيَاءِ - أَي: الْمَذْكُورُ ﴿بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُقْضِلُ﴾ - بِالنُّونِ وَالْيَاءِ - ﴿بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾.....

حاشية الصاوي

صانعاً حكيماً قادراً مُتَصِفاً بِالْكَمَالَاتِ، وَخُصَّ الْمُتَفَكِّرُونَ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَحْصُلُ لَهُمُ الْإِيمَانُ وَالْإِعْتِبَارُ.

قوله: (طَيِّب) أي: يُنْبِتُ، وقوله: (وسبخ) أي: لا ينبت شيئاً.

قوله: (وهو) أي: هذا الاختلاف.

قوله: (بالرفع) أي: له وللمثلاثة بعده، وقوله: (والجر) أي: كذلك، فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (وهي: النخلات) أي: الصنوان.

قوله: (بالتاء) أي: وحينئذ فيقرأ (نفضل) بالنون والياء، وقوله: (والياء) أي: حينئذ: يقرأ

(نفضل) بالنون لا غير، فالقراءات ثلاث، وكلُّها سبعة، خلافاً لما يُوهمه المفسر من أنها أربع^(٢).

قوله: ﴿فِي الْأَكْلِ﴾ وغيره كاللون والرائحة والقدر والحلاوة والحموضة وغير ذلك، وهذا

كمثل بني آدم؛ منهم الصالح الهين اللين، والخبيث الغليظ الطبع، خُلِقُوا مِنْ آدَمَ، وَفَضَّلَ اللَّهُ مَنْ شَاءَ عَلَى مَنْ شَاءَ؛ وَلِذَا قَالَ الْحَسَنُ: (هَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ لِقُلُوبِ بَنِي آدَمَ، كَانَتْ الْأَرْضُ طِينَةً وَاحِدَةً فِي يَدِ الرَّحْمَنِ، فَسَطَحَهَا، فَصَارَتْ قِطْعاً مُتَجَاوِرَاتٍ، وَأَنْزَلَ عَلَى وَجْهِهَا مَاءَ السَّمَاءِ، فَتَخْرُجُ هَذِهِ زَهْرَتُهَا وَثَمَرَتُهَا، وَتَخْرُجُ هَذِهِ نَبَاتُهَا، وَتَخْرُجُ هَذِهِ سَبَخُهَا وَمِلْحُهَا وَخَبِيثُهَا، وَكُلٌّ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ؛

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص بالرفع، والباقون بالخفض. انظر «السراج المنير» (١٤٦/٢).

(٢) قرأ عاصم وابن عامر وزيد بن علي: (يسقى) بالياء، وباقي السبعة بالتاء، وقرأ حمزة والكسائي: (يفضل) بالياء،

والباقون بالنون. انظر «السراج المنير» (١٤٦/٢).

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِن تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ

- بِضَمِّ الكاف وسُكُونِهَا - فَمِنْ حُلُوِّ وَحَامِضٍ وَهُوَ مِنْ دَلَائِلِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورِ ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يَتَدَبَّرُونَ.

﴿٥﴾ ﴿وَإِن تَعَجَّبَ﴾ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ تَكْذِيبِ الْكُفَّارِ لَكَ، ﴿فَعَجَبٌ﴾ حَقِيقٌ بِالْعَجَبِ ﴿قَوْلُهُمْ﴾ مُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾

حاشية الصاوي

كذلك الناس خُلِقُوا مِنْ آدَمَ، فَيُنْزَلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ تَذَكُّرٌ، فَتَرَقُّ قُلُوبُ قَوْمٍ وَتَخْشَعُ وَتَخْضَعُ، وَتَقْسُو قُلُوبُ قَوْمٍ فَتَلْهُو وَلَا تَسْمَعُ^(١).

قوله: (بضم الكاف وسكونها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢)، بمعنى: مأكول.

قوله: ﴿وَإِن تَعَجَّبَ﴾ (بإدغام الباء في الفاء، وبتحقيقها، قراءتان سبعيتان^(٣))، والعجب: استعظام أمرٍ خَفِيَ سَبَبُهُ.

قوله: (من تكذيب الكفار لك) أي: مع كونك كنت مشهوراً بالأمانة والصدق، فلما جئت بالرسالة.. كذبوك.

قوله: ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ لا بدَّ هنا من صفة محذوفة؛ لِتَمَّ الفائدة، والتقدير: (فَعَجَبٌ عَظِيمٌ)، أو (أَيُّ عَجَبٍ)، و(عَجَبٌ): خَيْرٌ مُّقَدَّمٌ، و﴿قَوْلُهُمْ﴾: مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ^(٤).

قوله: (منكرين للبعث) حال من الضمير في ﴿قَوْلُهُمْ﴾.

قوله: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾ هذه الجملة في محل نصب مَقُولُ الْقَوْلِ، وهو أَحْسَنُ مَا يُقَالُ^(٥).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٤٠/١٦).

(٢) قرأ نافع وابن كثير بسكون الكاف، والباقون بالرفع. انظر «السراج المنير» (١٤٧/٢).

(٣) قرأ أبو عمرو وخالد والكسائي بإدغام الباء في الفاء، والباقون بالإظهار. انظر «السراج المنير» (١٤٧/٢).

(٤) ويجوز أن يكون (عَجَبٌ) مُبْتَدَأٌ، وَسَوْغُ الْإِبْتِدَاءِ مَا ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ مِنَ الْوَصْفِ الْمَقْدَّرِ، وَلَا يَضُرُّ حِينَئِذٍ كَوْنُ خَبَرِهِ مَعْرِفَةً. «فتوحات» (٥١٥/٢).

(٥) ويجوز أن تكون في محل رفع بدلاً من (قولهم)، وبه بدأ الزمخشري، ويكون بدل كل من كل، لأنَّ هذا هو نفس قولهم. انظر «الدر المصون» (١٦/٧).

لِأَنَّ الْقَادِرَ عَلَى إِنِشَاءِ الْخَلْقِ وَمَا تَقَدَّمَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَتِهِمْ . - وَفِي الْهَمْزَتَيْنِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ التَّحْقِيقُ، وَتَحْقِيقُ الْأُولَى وَتَسْهِيلُ الثَّانِيَةِ، وَإِدْخَالُ أَلْفٍ بَيْنَهُمَا عَلَى الْوَجْهَيْنِ، وَتَرْكُهَا، وَفِي قِرَاءَةٍ بِالِاسْتِفْهَامِ فِي الْأَوَّلِ وَالْخَبَرِ فِي الثَّانِي، وَأُخْرَى عَكْسُهُ . . . حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: (لأنَّ القادر . . . إلخ) تعليلٌ لقوله: ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾.

قوله: (وما تقدّم) أي: من رفع السماوات بغير عمدٍ، وتسخير الشمس والقمر، وغير ذلك من الأمور المتقدّمة.

قوله: (قادرٌ على إعادتهم) أي: لأنه إذا تعلّقت قُدرته بشيء . . . كان؛ فلا فرق بين الابتداء والإعادة، وأمّا قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] . . . فذلك باعتبار عادة المخلوقات: أنَّ القادر على الابتداء تسهل عليه الإعادة بالأولى، وإلّا . . . فالكلُّ في قدرته تعالى سواءً.

قوله: (وفي الهمزتين في الموضعين . . . إلخ) من هنا إلى قوله: (وتركها) أربع قراءات.

قوله: (وفي قراءة بالاستفهام في الأول . . . إلخ) وفي ذلك ثلاث قراءات: تخفيف الهمزتين من غير إدخال ألف بينهما، وتحقيق الأولى وتسهيل الثانية مع إدخال ألف بينهما، وبدونها، وقوله: (وأخرى عكسه) فيه قراءتان: التحقيق مع الألف، ودونها، ولا يجوز تسهيل الثانية، فتكون القراءات تسعاً، وكلها سبعة^(١).

واختلف القراء في هذا الاستفهام المكسور اختلافاً منتشراً، وهو في أحد عشر موضعاً في تسع سورٍ من القرآن؛ فأولها: ما في هذه السورة.

والثاني والثالث: في سورة (الإسراء) بلفظ واحد: ﴿أَوَدَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفُنَا أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾

[الإسراء: ٤٩].

(١) قرأ قالون بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الهمزة الثانية، ويدخل بينهما ألفاً على الاستفهام، وفي الآية الثانية بهمزة مكسورة وبعدها نون مشددة على الخبر، وورش كذلك إلا أنه لا يدخل بين الهمزتين في (أئذا) ألفاً، وينقل في الثاني على أصله، وابن كثير يقرأ بالاستفهام فيهما من غير إدخال ألف بين الهمزتين مع تحقيق الأولى وتسهيل الثانية فيهما، وأبو عمرو كذلك مع إدخال ألف بينهما، وابن عامر في الأول بهمزة مكسورة وبعدها ذال مفتوحة على الخبر، وفي الثاني بهمزة مفتوحة محققة وهمزة مكسورة محققة على الاستفهام، وأدخل هشام بينهما ألفاً بخلاف عنه، والباقون بهمزتين محققتين الأولى مفتوحة، والثانية مكسورة، ولا ألف بينهما في الموضعين. انظر «السراج المنير» (١٤٧/٢).

أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿٦﴾ وَنَزَلَ فِي اسْتِعْجَالِهِمُ الْعَذَابَ اسْتِهْزَاءً: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ﴾: العذاب

حاشية الصاوي

والرابع: في (المؤمنون): ﴿قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢].

والخامس: في (النمل): ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَبَاؤُنَا إِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ [النمل: ٦٧].

والسادس: في (العنكبوت): ﴿إِنَّكُمْ لَنَآتُونَ الْفَجْشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [٢٨] أَيْنَكُمْ لَنَآتُونَ الرِّجَالَ ﴿[العنكبوت: ٢٨-٢٩].

والسابع: في (آلم السجدة): ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [السجدة: ١٠].

والثامن والتاسع: في (الصفات): ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الصفات: ١٦]، ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الصفات: ٥٣].

والعاشر: في (الواقعة): ﴿أَيُّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الواقعة: ٤٧].

والحادي عشر: في (النازعات): ﴿أَءِذَا نَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ [١١] ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا نُخْرَجُ﴾ [النازعات: ١٠-١١].

والوجه في الاستفهام في الموضعين: أن الأول للإنكار، والثاني تأكيد له، والوجه في كونه في موضع واحد: حصول الإنكار به، وإحدى الجملتين مرتبطة بالأخرى، فإذا أنكر في أحدهما.. حصل الإنكار في الأخرى.

قوله: ﴿الْأَغْلَالُ﴾ جمع غُلٍّ، وهو: طوق من حديد يُجعل في أعناقهم.

قوله: ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أي: لا محيص لهم عنها، فهم ملازمون لها؛ كالصاحب الملازم لصاحبه.

قوله: (ونزل في استعجالهم العذاب) وذلك: أن مشركي مكة كانوا يطلبون تعجيل العذاب استهزاء؛ حيث يقولون: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَهُ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اقْتِنَا بِعَذَابِ إِلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]^(١).

قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّْمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ

﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: الرَّحْمَةُ ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ﴾: جَمْعُ الْمَثَلَةِ بِوزنِ السَّمَرَةِ، أي: عُقُوبَاتُ أَمْثَالِهِمْ مِنَ الْمُكْذِبِينَ، أَفَلَا يَعْتَبِرُونَ بِهَا؟ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى﴾: مع ﴿ظُلْمِهِمْ﴾، وَإِلَّا لَمْ يَتْرُكْ عَلَى ظَهْرِهَا دَابَّةً، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لِمَنْ عَصَاهُ. ﴿٧﴾ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾: عَلَى مُحَمَّدٍ ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كَالْعَصَا وَالْيَدِ وَالنَّاقَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّْمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾: مُخَوِّفُ الْكَافِرِينَ وَلَيْسَ عَلَيْكَ إِتْيَانُ الْآيَاتِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ أي: وهي تأخير العذاب عنهم.

قوله: ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ﴾ الجملة حالية.

قوله: (جمع المَثَلَةِ) بفتح الميم وضم المثَلَةِ، وهي: الفِتْنُ تنزل بالشخص، فيجعل مثلاً يَرتدع به غيره.

قوله: (بوزن: السَّمَرَةِ) أي: وهو شجر الطَّلْح؛ أي: الموز.

قوله: ﴿لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ المراد بها: ستر الذنوب، وعدم المؤاخذه بها حالاً، بل يؤخَّر الأخذ بها؛ فإن تاب الشخص ورجع.. دام ذلك الستر عليه، وإلَّا.. أخذه أَخَذَ عزيزٍ مقتدرٍ.

قوله: ﴿عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ الجملة حالية؛ أي: والحال أنهم ظالمون لأنفسهم بالمعاصي.

قوله: (لمن عصاه) أي: وداوم على ذلك؛ فرحمة الله في الدنيا غلبت غضبه لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، وأمَّا في الآخرة.. فقد انفردت رحمته للمؤمنين خاصَّةً.

قوله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: تعتُّأ.

قوله: (هَلَّا) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿لَوْلَا﴾ للتحضيض.

قوله: (كالعصا واليد) أي: وغير ذلك مما اقترحوا؛ قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا...﴾ [الإسراء: ٩٠] الآية.

قوله: ﴿إِنَّْمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ أي: ليس عليك إلا الإنذار بما أوحى إليك؛ لأنهم معاندون كفَّار ليس قصدُهم بذلك الإيمان، بل التعتُّت في الكفر.

وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ نَبِيٌّ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ بِمَا يُعْطِيهِ مِنَ الْآيَاتِ لَا بِمَا يَقْتَرِحُونَ.
 ﴿٨﴾ ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَوَاحِدٌ وَمُتَعَدِّدٌ وَغَيْرُ ذَلِكَ، ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾: تَنْقُصُ ﴿الْأَرْحَامُ﴾ مِنْ مُدَّةِ الْحَمْلِ ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ مِنْهُ، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ الجملة مستأنفة، و﴿هَادٍ﴾ بإثبات الياء وحذفها في الوقف، ويحذفها في الوصل لا غير، ثلاثُ قراءاتٍ سبعيات، وأما في الرسم.. فهي محذوفة^(١).

قوله: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ أي: لأنه الخالق المصور؛ فلا تخفى عليه خافية. و﴿يَعْلَمُ﴾: عرفانية متعدية لواحد، و﴿مَا﴾: اسم موصول مفعوله، والعائد محذوف.

قوله: (وغير ذلك) أي: من أوصاف الحمل؛ من كونه أبيض أو أسود، قصيراً أو طويلاً، سعيداً أو شقيّاً، قوياً أو ضعيفاً.

قوله: (تنقص الأرحام من مدة الحمل) أي: المعتادة، وهي تسعة أشهر، فهو يعلم الحمل الناقص على تلك المدة، وقوله: ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ أي: وما تزيد، فهو يعلم الناقص من تلك المدة والزائد عليها، لا يخفى عليه شيء من أوقات الحمل، ولا من أحواله.

وقيل: النقصان: السقط، والزيادة: زيادتها على تسعة أشهر، وأقل مدة الحمل ستة أشهر، وقد يُولد لهذه المدة ويعيش.

قوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ هذا أعمُّ ممَّا قبله؛ ف(الشيء): يشمل الحمل وغيره من أفعال العباد وأحوالهم وخواطرهم؛ فقد دبر سبحانه وتعالى العالم بأسره على طبق ما تعلقت به قدرته وإرادته، ولا يُعجزه شيء، ولا يشغله شأن عن شأن، قال تعالى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُبُكُمْ إِلَّا كَنَفٍ وَحِدَةً﴾؛ فينبغي للإنسان ألا يدبر لنفسه شيئاً، ولا يشتغل بشيء تكفل به غيره، بل يعتمد على مَنْ يدبر الأمور، ويفوض له أحواله، ويترك الأوهام التي حجبَت القلوب عن مُطالعة الغيوب.

(١) قرأ ابن كثير في الوقف بياء بعد الدال، وفي الوصل بغير ياء وتووين الدال، والباقون بغير ياء في الوقف والوصل مع تووين الدال. انظر «السراج المنير» (٢/١٤٩).

عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ.

يَقْدِرُ وَحْدًا لَا يَتَجَاوَزُهُ.

﴿٩﴾ ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: ما غابَ وما شُوهِدَ، ﴿الْكَبِيرُ﴾: العَظِيمُ ﴿الْمُتَعَالِ﴾: على خَلْقِهِ بِالْقَهْرِ، بِيَاءٍ وَدُونِهَا.

﴿١٠﴾ ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ﴾: فِي عِلْمِهِ تَعَالَى ﴿مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾.....

حاشية الصاوي

قوله: (يقدر وحده لا يتجاوزه) أي: لا يتخلف شيء عن الحد الذي قدره الله له؛ من سعادة وشقاوة، ورزق وغير ذلك.

قوله: (ما غاب وما شُهِد) أي: ما غاب عنا، وما شُهِد لنا، وإلا... فكل شيء بالنسبة له مشاهد، فلا فرق بين ما في أعلى السماوات، وما في تخوم الأرضين.

قوله: ﴿الْكَبِيرُ﴾ (أي: الذي يصغر كل شيء عند ذكره، وليس المراد به: كبر الجثة؛ إذ هو مستحيل عليه تعالى، فالمراد بـ﴿الْكَبِيرُ﴾: المتَّصِفُ بكلِّ كمالٍ أزلاً وأبداً.

قوله: ﴿الْمُتَعَالِ﴾ (أي: المنزّه عن كلِّ نقص).

قوله: (بياء ودونها) أي: فهما قراءتان سبعيتان في الوصل والوقف، وأما في الرسم... فالياء محذوفة لا غير^(١).

قوله: ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ...﴾ (إلخ) ﴿سَوَاءٌ﴾: خبرٌ مقدَّم، و﴿مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾: مبتدأ مؤخرٌ، ولم يُشَنَّ الخبر؛ لأنه في الأصل مصدر، وهو لا يثنى ولا يجمع، و﴿مِّنْكُمْ﴾: حال من الضمير المستتر في ﴿سَوَاءٌ﴾؛ لأنه بمعنى: مُستَوٍ.

قوله: (في علمه تعالى) أي: فهو يعلم الجميع على حدٍّ سواءٍ، لا يتفاوت مَنْ جهر على مَنْ أسرَّ.

قوله: ﴿مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ﴾ (أي: في نفسه فلم يسمعه غيره).

قوله: ﴿وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ (أي: سمعه غيره، والمعنى: سواءٌ ما أضمرته القلوب وما نطقت به الألسنة).

(١) قرأ ابن كثير في الوقف والوصل بياء بعد اللام، والباقون بغير ياء وفقاً ووصلاً. انظر «السراج المنير» (١٤٩/٢).

وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٍ بِالِّلِّ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقَّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ

وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٍ: مُسْتَرٌّ ﴿بِالِّلِّ﴾ بِظِلَامِهِ ﴿وَسَارِبٌ﴾: ظَاهِرٌ بِذَهَابِهِ فِي سَرِبِهِ أَي: طَرِيقِهِ ﴿بِالنَّهَارِ﴾.

﴿١١﴾ لَهُ: لِلْإِنْسَانِ ﴿مُعَقَّبَتٌ﴾: مَلَائِكَةٌ تَعَقِّبُهُ ﴿مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾: قُدَّامِهِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٍ بِالِّلِّ﴾ أي: وسواءٌ مَنْ استخفى في ظلام الليل وَمَنْ هو ظاهرٌ في النهار؛ لأنه الخالق لليل وظلمته، والنهار ونوره، وما تفعله العبيد فيها من خير وشرٍّ، وهذه الآية مَنْ تدبَّرها وعمل بمقتضاها.. ورثته الإخلاصَ في أعماله؛ فيستوي عنده إسرار العبادة وإظهارها، ليلاً أو نهاراً، والمراقبة؛ لأنه إذا علم أنَّ هذه الأشياءَ مستويةٌ عنده لا يخفى عليه شيءٌ منها.. فلا يستطيع أن يُقدِّمَ على ما نُهي عنه؛ لا ظاهراً ولا باطناً.

قوله: (في سَرِبِهِ) بفتح السين وسكون الراء؛ يقال: سَرَبَ في الأرض سُرُوباً: ذهب فيها ذهاباً، والسَّرَبُ بفتحيتين: بيتٌ في الأرض لا منفذَ له، وهو الوكر، وليس مراداً هنا، بل المراد: الطريق الظاهرة، وهي بفتح السين وسكون الراء.

قوله: (ملائكة) قيل: خمسة بالليل، وخمسة بالنهار؛ واحدٌ على اليمين يكتب الحسنات، وواحدٌ على الشمال يكتب السيئات، وواحدٌ موَكَّلٌ بِنَاصِيَتِهِ؛ فإذا تواضع.. رفعه، وإذا تكبَّر.. وضعه، وواحدٌ موَكَّلٌ بِعَيْنَيْهِ يحفظهما من الأذى، وواحدٌ موَكَّلٌ بِفَمِهِ يمنع عنه الهوامَّ، والصحيح: أنهم عشرة بالليل، وعشرة بالنهار؛ كما في شُراح «الجوهرة» نقلاً عن حديث البخاري: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين كانوا من قبل، فيسألهم الله ويقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يُصلُّون، وأتيناهم وهم يُصلُّون»^(١)، ولا يفارقون الشخص أبداً إلى الممات؛ فإذا مات.. فقد فرغَ حفظهم له؛ وهم واحدٌ على يَمِينِهِ، وآخر على شماله، وآخر أمامه، وآخر خلفه، واثنان على عَيْنَيْهِ، وواحد على شفته، واثنان على فمه يحفظان الصلاة على النبي ﷺ، وواحد أخذ بِنَاصِيَتِهِ؛ فإن تواضع.. رفعه، وإن تكبَّر.. خفضه، وهؤلاء العشرة غير رقيب وعتيد كاتبي الحسنات والسيئات على المعتمد.

(١) «صحيح البخاري» (٥٥٥) عن سيدنا أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وانظر «شرح المصنف على الجوهرة» (ص ٣٥١)، وشرح عبد السلام على الجوهرة» (ص ٢١٥).

وَمِنْ خَلْفِهِ، يَحْفَظُونَهُ، مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِيَّاكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ.....

﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾: ورأيه ﴿يَحْفَظُونَهُ، مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي: بأمره من الجن وغيرهم، ﴿إِيَّاكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾: لا يَسْلُبُهُمْ نِعَمَتَهُ ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ من الحالة الجميلة بالمعصية، ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾: عَذَابًا ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ من المُعَقَّبَاتِ ولا غيرها،

حاشية الصاوي

وحكمة هذا السؤال وإن كان الله عالماً بكل شيء: تشریف بني آدم بين أهل الملائكة الأعلى، وحكمة إجابة الملائكة بقولهم: (تركناهم وهم يصلون) ولم يذكروا الكافر والتارك للصلاة: أن العمل الصالح يرفع لأهل السماء، فيتشرف بنو آدم على العموم، وتنزل عليهم الرحمة، وتكثر أرزاقهم؛ لأن الرحمة تعم الطائع والعاصي، فأخبار الملائكة بطاعة بني آدم على العموم؛ لاستجلاب الرحمة لهم من عالم الغيب.

قوله: ﴿مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (اختلف المفسرون في (من)؛ ف قيل: بمعنى الباء، والمحفوظ منه محذوف، والتقدير: يحفظونه بأمر الله من الحوادث.

وقيل: إن (من) على حقيقتها، والمحفوظ منه مذكور بقوله: ﴿مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي: يحفظونه من الجن والحوادث وغير ذلك؛ إذا علمت ذلك.. فالمفسر قد أفاد القول الأول.

قوله: (من الحالة الجميلة) أي: وهي الطاعة، والمعنى: إنه جرت عادة الله أنه لا يقطع نعمه عن قوم إلا إذا بدلوا أحوالهم الجميلة بأحوال قبيحة، وبمعنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ لَمْ يَكْ مُعْتَرِكًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا رأيت قسوة في قلبك، وحرماناً في رزقك، ووهناً في بدنك.. فاعلم أنك قد تكلمت بما لا يعينك»^(١)، فالنعم تأتي من الله بلا سبب، وسلبها يكون بسبب المعاصي.

قوله: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ (إذا): شرطية، وجوابها قوله: ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾، والعامل فيها محذوف؛ لدلالة الجواب عليه، تقديره: لم يُرَدِّ، أو واقع، والمعنى: متى سبق في علم الله نزول بلاء بقوم.. فلا يقدر على دفعه أحد من الملائكة ولا من غيرهم، إذا علمت ذلك.. تعلم جهل مَنْ يقول: لو كانت الأولياء موجودين.. لما نزل علينا البلاء.

(١) أورده السمرقندي في «تنبيه الغافلين» (ص ٢٢٠).

وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِّنْ وَّالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾

﴿وَمَا لَهُمْ﴾ إن أراد الله بهم سوءاً ﴿مِّنْ دُونِهِ﴾ أي: غير الله ﴿مِّنْ﴾ - زائدة - ﴿وَالٍ﴾ يَمْنَعُهُ عَنْهُمْ.

﴿١٢﴾ ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ لِلْمُسَافِرِينَ مِنَ الصَّوَاعِقِ، ﴿وَطَمَعًا﴾ لِلْمُقِيمِ فِي الْمَطَرِ، ﴿وَيُنشِئُ﴾: يَخْلُقُ ﴿السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ بِالْمَطَرِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِّنْ وَّالٍ﴾ أي: ناصر يَدْفَعُهُ، قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِّنْ مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُفْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَن بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرَضَى﴾ [النجم: ٢٦]، فلا دافع لما قضاه، ولا راد لما قدره.

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ﴾ لما أخبر سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾.. رَتَّبَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ﴾... إلخ؛ إشارة إلى أنه سبحانه وتعالى منه الرَّحْمَةُ وَالْعِقَابُ.

قوله: ﴿الْبَرْقَ﴾ هو: لَمَعَانٌ يَظْهَرُ مِنْ خِلَالِ السَّحَابِ، وقيل: لَمَعَانُ الْمِطْرَاقِ الَّذِي يُزْجَرُ بِهِ السَّحَابُ.

قوله: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ منصوبان على الحال من الكاف في ﴿يُرِيكُمْ﴾، وليس مفعولاً لأجله؛ لعدم اتحاد الفاعل؛ فَإِنَّ فاعِلَ الْإِرَاءَةِ اللَّهُ، وفاعل الخوف والطمع العبيد، وبعضهم جعله مفعولاً لأجله بتأويل ﴿يُرِيكُمْ﴾ ب: يجعلكم رائيين، فتخافون وتطمعون.

قوله: (للمسافرين) لا مفهوم له، بل المقيمون الذين يَضُرُّهُمْ المطر؛ كَمَنْ يَجْفُفُ الثَّمَارَ وَالْحَبُوبَ.. كذلك، وقوله: (وطمعاً للمقيم.. إلخ) لا مفهوم له أيضاً، بل المسافر المحتاج للمطر للشرب مثلاً.. كذلك، فالبرق تارة يكون خيراً، وتارة يكون شراً، للمسافرين والمقيمين؛ فينبغي للإنسان أن يكون دائماً خائفاً راجياً؛ لأنَّ الله تعالى قد يأتي بالخير فيما ظاهره شراً، ويأتي بالشر فيما ظاهره خيراً.

قوله: ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ﴾ هو: ثمر شجرة في الجنة يَخْلُقُهُ اللهُ وَيَنْزِلُ فِيهِ الْمَاءُ مِنَ السَّمَاءِ، فالسحاب من الجنة، وماؤه من الجنة، تهبُّ الرِّيحُ مِنْ تَحْتِ سَاقِ الْعَرْشِ، فَتُخْرِجُ الْحَامِلَ وَالْمَحْمُولَ مِنَ الْجَنَّةِ، وهذا مذهب أهل السنة^(١).

(١) قال العلامة الأمير في «حاشيته على شرح الجوهرة» (ص ٧٨): (وفي بعض الآثار ما يدلُّ على أنه من الجنة)، وقد روى ذلك ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٤٧٠٨) عن خالد بن معدان، والسحاب: مشتق من السَّحْبِ؛ لَجَرٍّ بَعْضُهُ بَعْضاً.

وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلَيِّكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ، وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ

﴿١٣﴾ ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ﴾ هو ملك موكل بالسحاب يسوقه ملتبساً ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أي: يقول: سبحان الله وبحمده، ﴿و﴾ يُسَبِّحُ ﴿الْمَلَيِّكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ أي: الله، ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ وهي نار تخرج من السحاب ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ فتحرقه، نزل في رجل بعث إليه حاشية الصاوي

وقالت المعتزلة: إنَّ السحاب له خراطيم كالإبل، فينزل فيشرب من البحر المالح، ويرتفع في الجو، فتتسفه الرياح، فيحلُّو، فينزله الله على من أراد من خلقه^(١).

قوله: (هو ملك موكل بالسحاب... إلخ) هذا هو المشهور بين المفسرين، وعليه: فما نسمعه هو صوت تسبيح الملك الموكل بالسحاب، فإذا سمعته الملائكة.. ضجَّت معه بالتسبيح، فعندها ينزل المطر، وقيل: هو صوت الآلة التي يضرب بها السحاب.

قوله: (أي: يقول سبحان الله وبحمده) أي: تنزيهاً له عن النقائص، واتصافاً له بالكمالات.

قوله: (ملتبساً) أشار بذلك إلى أنَّ الباء للملابسة.

قوله: ﴿وَالْمَلَيِّكَةُ﴾ قيل: المراد بهم: إخوان ملك السحاب، وقيل: المراد: جميع الملائكة.

قوله: ﴿مِنْ خِيفَتِهِ﴾ أي: هيئته وجلاله.

قوله: (وهي نار... إلخ) وقيل: هي الصوت الشديد النازل من الجوّ، ثم يكون فيه نار.

قوله: (تخرج من السحاب) أي: فإذا نزلت من السماء.. فربما تغوص في البحر، فتقتل الحيتان.

قوله: (نزل في رجل) أي: من طواغيت العرب، وقد اختصرها المفسر، وحاصلها: أنَّ رسول الله ﷺ بعث إليه نفرًا من أصحابه يدعونه إلى الله تعالى ورسوله، فقال لهم أخبرونا مَنْ ربُّ محمد الذي يدعوني إليه؟ فهل هو من ذهب، أم فضة، أم حديد، أم نحاس؟! فاستعظم القوم كلامه، فانصرفوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: ما رأينا أكفر قلباً، ولا أجراً على الله تعالى من هذا الرجل، قال: «ارجعوا إليه»، فرجعوا، فبينما هم عنده يدعونه ارتفعت سحابة، فكانت فوق رؤوسهم، فرعدت وبرقت ورمّت بصاعقة وأحرقت الكافر وهم جُلوسٌ عنده، فرجعوا ليُخبروا

(١) هذه التفسيرات بناء على النظريات الشائعة في أيامهم، وليس في القرآن أو السنة الصحيحة شيء من ذلك، والله أعلم.

وَهُمْ يُجَدِّلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ

النَّبِيُّ ﷺ مَنْ يَدْعُوهُ فَقَالَ: مَنْ رَسُولُ اللَّهِ، وما الله؟ أَمِنْ ذَهَبٍ هُوَ أَمْ فِضَّةٍ أَمْ نُحَاسٍ؟ فَنَزَلَتْ بِهِ صَاعِقَةٌ فَذَهَبَتْ بِقَحْفِ رَأْسِهِ، ﴿وَهُمْ﴾ أَي: الْكُفَّارُ ﴿يُجَدِّلُونَ﴾: يُخَاصِمُونَ النَّبِيَّ ﷺ ﴿فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾: الْقُوَّةُ أَوْ الْأَخْذُ.

﴿١٤﴾ ﴿لَهُ﴾ تَعَالَى ﴿دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ أَي: كَلِمَتُهُ، وَهِيَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ - بِالْبَاءِ وَالتَّاءِ -: يَعْبُدُونَ ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أَي: غَيْرِهِ وَهُمْ الْأَصْنَامُ ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ مِمَّا يَطْلُبُونَهُ ﴿إِلَّا﴾ اسْتِجَابَةً ﴿كَبْسِطٍ﴾ أَي: كَاسْتِجَابَةٍ بَاسِطٍ ﴿كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ﴾ عَلَى شَفِيرِ حَاشِيَةِ الصَّائِلِ.

النبي ﷺ، فبادرهم وقال لهم: «احترق صاحبكم»، فقالوا: مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ؟ قَالَ: قَدْ أَوْحِيَ إِلَيَّ ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقُ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾^(١).

قوله: (بِقَحْفِ رَأْسِهِ) بكسر القاف: عَظْمُ الرَّأْسِ الَّذِي فَوْقَ الدِّمَاغِ.

قوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ بكسر الميم، من الْمُحَاحِلَةِ، وَهِيَ: الْمَكَائِدَةُ، وَقِيلَ: مِنَ الْمَحَلِّ، وَهُوَ: الْقُوَّةُ وَالْأَخْذُ، وَهُوَ الْأَوَّلَى؛ وَلِذَا مَشَى عَلَيْهِ الْمَفْسَّرُ.

قوله: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ أَي: شَرَعَهَا وَأَمَرَ بِهَا.

قوله: (وَهِيَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) أَي: مَعَ عَدِيلَتِهَا وَهِيَ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَهِيَ كَلِمَةُ الْحَقِّ، جُعِلَتْ مِفْتَاحًا لِلْإِسْلَامِ، فَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِالْإِقْرَارِ بِهَا.

قوله: (بِالْبَاءِ وَالتَّاءِ) أَمَا الْيَاءُ.. فَمُتَوَاتِرَةٌ، وَأَمَا التَّاءُ.. فَشَاذَةٌ^(٢)، وَكَانَ الْمُنَاسِبُ لِلْمَفْسَّرِ التَّنْبِيْهُ عَلَيْهَا.

قوله: ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ أَي: لَا يُجِيبُونَهُمْ.

قوله: ﴿إِلَّا﴾ (اسْتِجَابَةً) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى تَقْدِيرِ مَصْدَرٍ مضافٍ إِلَى الْمَفْعُولِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْأَصْنَامَ الَّتِي يَعْبُدُهَا الْكُفَّارُ لَا تَعْقِلُ وَلَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ، فَلَا تَجِيبُ عَابِدِيهَا بِشَيْءٍ

(١) رَوَاهُ بَنُوهُ النَّسَائِيُّ فِي «السنن الكبرى» (١١٢٥٩) عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَانْظُرْ «تفسير البغوي» (٣٠٤/٤).

(٢) وَبِهَا قَرَأَ الْيَزِيدِيُّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو. انْظُرْ «الدر المصون» (٣٥/٧).

لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغٍ وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا

البشر يدعوه ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ بارتفاعه من البشر إليه، ﴿وَمَا هُوَ بِبَلِغٍ﴾ أي: فاه أبدأ، فكذلك ما هم بمُستجيبين لهم، ﴿وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ﴾: عبادتهم الأصنام أو حقيقة الدعاء ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾: ضياع.

﴿١٥﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا كَالْمُؤْمِنِينَ وَكَرْهًا كَالْمُنَافِقِينَ،

حاشية الصاوي

أصلاً، وقد ضرب الله مثلاً لعدم إجابتها لهم بقوله: ﴿إِلَّا كَبَسِطَ...﴾ إلخ، والمعنى: أن من بسط كفيه للماء ليدخل في فيه.. لا يجيبه الماء؛ لعدم إشعاره ببسط كفيه وعطشه وعدم قدرته على ذلك، فكذلك من يدعو الأصنام لتدفع عنه كربة أو توليه نعمة.. لا تجيبه بشيء؛ لعدم قدرتها على ذلك لنفسها، فضلاً عن غيرها.

قوله: ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: الماء.

قوله: (عبادتهم الأصنام، أو حقيقة... إلخ) هذان قولان في تفسير الدعاء، والأقرب: الأول؛ بدليل قوله أولاً: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: يعبدون.

قوله: (ضياع) إنما كان دعاؤهم ضائعاً؛ لأنه طلب من غير من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً^(١)، وأما دعاؤهم لله.. فليس بضائع، بل يستجيب لهم إن شاء؛ فإن كان بأمور الدنيا.. فظاهراً، وإن كان بالجنة.. فيهديهم للإيمان، هذا هو الذي يجب المصير إليه، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]؛ فإنها في مشركي مكة، وجملة ﴿وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ نتيجة ما قبلها.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ أي: وهم الملائكة، ولا يكون إلا طوعاً، وقوله: ﴿وَالْأَرْضِ﴾ أي: من الإنس والجن، وقوله: ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ حالان من الفاعل؛ أي: طائعين ومكرهين، والكره في المنافقين كما قال المفسر، وأما باقي الكفار.. فلم يكن منهم سجود، وهذا إن حمل السجود على حقيقته، وهو: وضع الجبهة على الأرض بالفعل، وإن أريد من السجود: الأمر به.. بقيت (من) على عمومها، فيندرج تحتها الإنس والجن والملك.

(١) كذا في الأصول، ولعل الصواب حذف (غير)؛ ليستقيم المعنى.

وَبَلَّغْنَاهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا

وَمَنْ أَكْرَهَ بِالسَّيْفِ، ﴿و﴾ يَسْجُدُ ﴿وَبَلَّغْنَاهُمْ بِالْعُدُوِّ﴾: الْبُكْرِ ﴿وَالْأَصَالِ﴾: الْعَشَايَا.

﴿١٦﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِقَوْمِكَ: ﴿مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ إِنْ لَمْ يَقُولُوهُ لَا جَوَابَ غَيْرِهِ، ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ أَي: غَيْرِهِ ﴿أَوْلِيَاءَ﴾: أَصْنَامًا تَعْبُدُونَهَا ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾

حاشية الصاوي

ويصح حمله على معناه المجازي، وهو: الخضوع والانقياد، والمعنى: والله خضع وانقاد وذلل من في السماوات والأرض جميعاً، وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، وعلى هذا: فالمراد بـ ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: السماوات والأرض ومن فيهن، وغلب العاقل؛ لشرفه، ولأنه المكلف بالسجود الحقيقي واللغوي؛ فالعارف بربه المسلم لأحكامه ولو غير عاقل؛ بدليل: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].. خضع طوعاً إجلالاً لهيبة الله وجلاله، والجاهل خضع كرهاً، بمعنى: جرت المقادير عليه رغماً على أنفه.

قوله: ﴿وَبَلَّغْنَاهُمْ﴾ (معطوف على (مَنْ) مسلط عليه ﴿يَسْجُدُ﴾ كما قدّره المفسر، ومعنى سجدوا الظل: سجوده حقيقة تبعاً لصاحبه إن أريد بالسجود حقيقة، وخضوعه وانقياده إن أريد به المعنى المجازي، وسجود الظلال كلها طوعاً؛ لخلوها عن النفس التي تحمل الإنسان على عدم الرضا؛ ففي الحقيقة: الكاره إنما هو النفس التي حوّاها الجسم، وأما الجسم والظل.. فخضوعهما طوعاً؛ ولذا قيل: إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا سَجَدَ لِلصَّنَمِ.. سجد ظلّه لله.

قوله: (الْبُكْر) جمع بُكرة، وهي: أوّل النهار.

قوله: ﴿وَالْأَصَالِ﴾ (جمع أصيل، وهو: من بعد العصر إلى الغروب، فالمراد: جميع الأوقات إن أريد بالسجود الخضوع والانقياد، وأوقات الصلوات إن أريد بالسجود حقيقة).

قوله: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا مرتّب على ما قبله.

قوله: (لا جواب غيره) أي: لتعيّنه عليهم؛ لاعترافهم به، وإنما يتركون هذا الجواب عناداً.

قوله: ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ﴾... إلخ) المعنى: أبعد إقراركم أنه رب السماوات والأرض واعترافيكم به يليق بكم أن تتخذوا من دونه مَنْ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً؟!!

قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ سَتَوَى الظُّلُمْتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ

وتركتُم مالِكهما؟ استِفهام توبيخ، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾: الكافر والمؤمن ﴿أَمْ هَلْ سَتَوَى الظُّلُمْتُ﴾: الكفر ﴿وَالنُّورُ﴾: الإيمان؟ لا، ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ﴾ أي: خَلَقُ الشُّرَكَاءِ بِخَلْقِ اللَّهِ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ فاعتقدوا استحقات عبادتهم بِخَلْقِهِمْ؟ - استِفهام إنكار - أي: ليس الأمر كذلك، ولا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةُ إِلَّا الْخَالِقُ، ﴿قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (وتركتُم مالِكها^(١)) أي: وهو الله.

قوله: (استِفهام توبيخ) أي: الثاني، وأما الأول.. فهو للتقرير.

قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ هذا ترقُّ في الرد عليهم.

قوله: (الكافر والمؤمن) أي: فالمراد بالأعمى: أعمى القلب، والبصير: بصيره.

قوله: (الكفر) أي: وعبر عنه بـ ﴿الظُّلُمْتُ﴾؛ جمعاً ليعدد أنواعه، بخلاف الإيمان فهو متحد؛ فلذا عبر عنه بالنور مفرداً، وسمي الكفر ظلمات؛ لأنه موصلٌ لدار الظلمات، وهي النار، وسمي الإيمان بالنور؛ لأنه موصلٌ لدار النور، وهي الجنة.

قوله: (لا) أشار بذلك إلى أنَّ الاستِفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي، وبمعنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ...﴾ [النور: ٣٥] الآية، وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّي...﴾ [النور: ٤٠] الآية.

قوله: ﴿أَمْ جَعَلُوا﴾ أي: بل أجعلوا، فـ ﴿أَمْ﴾ منقطعةٌ تفسَّر بـ (بلى) والهمزة.

قوله: ﴿شُرَكَاءَ﴾ أي: الأصنام.

قوله: ﴿خَلَقُوا﴾ أي: الأصنام، وقوله: ﴿كَخَلْقِهِ﴾ أي: الله، والمعنى: هل لهذه الأصنام خلقٌ كخلق الله فاشتبه بخلقه فاستحقت العبادَةَ لذلك؟! وهو إنكارٌ عليهم؛ أي: لم يخلقوا أصلاً، بل ولا يستطيعون دفع ما ينزل بهم، فكيف العاجز يُعبد؟!

قوله: (أي: ليس الأمر كذلك) أي: لم يخلقوا كخلق الله حتى يشتبه بخلق الله، بل الكفار

(١) أي: الأصنام، وفي نسخة: (مالِكهما) أي: النفع والضرر، واختارها في «الفتوحات» (٢/ ٥٢٢).

وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا
وَمِمَّا يُوقِدُونَ

لا شَرِيكَ لَهُ فِيهِ، فلا شَرِيكَ لَهُ في العِبَادَةِ، ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ لِعِبَادِهِ.

﴿١٧﴾ ثُمَّ ضَرَبَ مَثَلًا لِلْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فَقَالَ: ﴿أَنْزَلَ﴾ تَعَالَى ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: مَطَرًا
﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾: بِمِقْدَارِ مِلْئِهَا، ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾: عَالِيًا عَلَيْهِ، هو ما على
وَجْهِهِ مِنْ قَدَرٍ وَنَحْوِهِ، ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ﴾ - بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ -

حاشية الصاوي

يعلمون بالضرورة أنَّ هذه الأصنام لم يَصْدُرْ عنها فعلٌ ولا خلقٌ ولا أثرٌ أصلاً، وإذا كان كذلك..
فجعلهم إِيَّاهَا شركاءَ لله في الألوهية محضٌ جهلٍ وعنادٍ.

قوله: ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ أي: المنفرد بالإيجاد والإعدام، القاهر لِعِبَادِهِ، المختار في أفعاله؛
فلا يُسألُ عما يفعل.

قوله: (ثم ضرب مثلاً) أي: بيّنه، والمراد بالمَثَلِ: الجنس؛ لأنَّ المذكور للحقِّ مثلاً، وللباطل
كذلك.

قوله: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾ أي: أنهارٌ، جمع وادٍ، وهو: الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة،
وحينئذٍ: فهو مجاز عقليٌّ من إسناد الشيء لمكانه، والأصل: فسال الماء في الأودية.

قوله: ﴿بِقَدَرِهَا﴾ بفتح الدال باتفاق السبعة، وقرئ شذوذاً بسكونها^(١).

قوله: (بمقدار ملئها) أي: ما يملأ كلَّ واحدٍ بحسبه صغراً وكبراً.

قوله: ﴿زَبَدًا﴾ الزَّبْدُ: ما يظهر على وجه الماء من الرِّغوة، أو على وجه القَدَرِ عند غليانه،
وقد تمَّ المثل الأول.

قوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ﴾ الجارُّ والمجرورُ: خبرٌ مقدَّم، و﴿زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾: مبتدأ مؤخَّر.

قوله: (بالنَّاء والياء) أي: وهما قراءتان سبعيتان^(٢).

(١) وهي قراءة زيد بن علي والأشهب العقيلي وأبي عمرو في رواية. انظر «الدر المصون» (٣٨/٧).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء من تحت؛ أي: الناس، والباقون بالنَّاء من فوق على الخطاب. انظر «الدر

عَلَيْهِ فِي النَّارِ أَبْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ

﴿عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ مِنْ جَوَاهِرِ الْأَرْضِ كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ، ﴿أَبْتِغَاءَ﴾: طَلَبَ ﴿حِلْيَةٍ﴾: زِينَةٍ ﴿أَوْ مَتَاعٍ﴾ يُنْتَفَعُ بِهِ كَالْأَوَانِي إِذَا أُذِيبَتْ ﴿زَبَدٌ مِثْلَهُ﴾ أَي: مِثْلُ زَبَدِ السَّيْلِ، وَهُوَ خَبَثُهُ الَّذِي يَنْفِيهِ الْكَبِيرُ، ﴿كَذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورُ ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ أَي: مِثْلَهُمَا؛ ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ﴾ مِنَ السَّيْلِ وَمَا أُوقِدَ عَلَيْهِ مِنَ الْجَوَاهِرِ ﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾: بِاطِلًا مَرْمِيًّا بِهِ، ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ مِنَ الْمَاءِ وَالْجَوَاهِرِ ﴿فَيَمْكُثُ﴾: يَبْقَى ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ زَمَانًا، كَذَلِكَ الْبَاطِلُ يَضْمَحِلُّ وَيَنْمَحِقُ وَإِنْ عَلَا عَلَى الْحَقِّ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ، وَالْحَقُّ ثَابِتٌ بَاقٍ، ﴿كَذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورُ حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: ﴿فِي النَّارِ﴾ متعلق بـ ﴿تُوقَدُونَ﴾، وقوله: ﴿أَبْتِغَاءَ حِلْيَةٍ﴾ علة لـ ﴿تُوقَدُونَ﴾.

قوله: ﴿كَالْأَوَانِي﴾ أي: والمسكوك^(١) الذي ينتفع به الناس في معاشهم.

قوله: ﴿زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾ أي: في كونه يصعد ويعلو على أصله.

قوله: (الكبير) هو: منفاخ الحداد، وأما الكور.. فهو الموضع الذي توقد فيه النار كالكانون.

قوله: (المذكور) أي: من الأمور الأربعة التي للحق والباطل.

قوله: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ﴾ لفٌ ونشرٌ مشوشٌ.

قوله: (مرميًا به) أي: يرميه الماء إلى الساحل، ويرميه الكبير فلا ينتفع به.

قوله: (والحق ثابت) أي: ما كُتِبَ كما أن الماء والجوهر ثابتان، وإنما يرمى زبدهما، والمعنى:

أن مثل الباطل كمثّل الرّغوة التي تعلو على وجه الماء وخبث الجوهر الذي يصعد على وجهه عند نفخ النار عليه، ومثّل الحق كمثّل الماء الصافي والجوهر الصافي، فكما أن الرغوة في كل لا قرار لها ولا ينتفع بها بل تُرمى.. كذلك الباطل يضمحل ولا يبقى، والحق ثابت ينتفع به كالجوهر والماء الصافيين.

وفي هذه الآية بشرى للأمم المحمدية بأنها ثابتة على الحق، لا يضرهم من خالفهم في العقائد،

بل وإن علا وارتفع لا بدّ من اضمحلاله وزواله.

(١) السّك: ضرب النقود المعدنيّة؛ سواء كانت ذهباً أو فضة أو غيرهما، ومُراده بالمسكوك: النقود المتداولة.

يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَفِيهَا يَلَهُدُونَ ﴿١٨﴾

﴿يَضْرِبُ﴾ : يُبَيِّنُ ﴿اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ .

﴿١٨﴾ ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ : أَجَابُوهُ بِالطَّاعَةِ ﴿الْحُسْنَى﴾ : الْجَنَّةُ، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ وَهُمْ الْكُفَّارُ ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ مِنْ الْعَذَابِ، ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ وَهُوَ الْمُؤَاخَذَةُ بِكُلِّ مَا عَمِلُوهُ، لَا يُغْفَرُ مِنْهُ شَيْءٌ، ﴿وَمَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَفِيهَا يَلَهُدُونَ﴾ : الْفِرَاشُ هِيَ .

حاشية الصاوي

قوله : ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ أي : لإرشاد عبده باللطف والرفق ؛ فَإِنَّ مِنْ جُمْلَةٍ مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ الْأَمْثَالَ .

قوله : ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ (خبرٌ مقدّم، وقوله : ﴿الْحُسْنَى﴾) مبتدأ مؤخرٌ .

قوله : (الجنة) أي : وزيادة ؛ بدليل الآية الأخرى : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس : ٢٦] .

قوله : ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ مبتدأ أخبر عنه بثلاثة أمور : الأول : قوله : ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ ، الثاني : قوله : ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ ، الثالث : قوله : ﴿وَمَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ ، إلخ ، والمعنى : أَنَّ الْكُفَّارَ يَتَمَنَّوْنَ أَنَّ لَوْ كَانَ لَهُمْ قَدْرُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَرَّتَيْنِ وَيَقْتَدُونَ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ النَّازِلِ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

قوله : ﴿سُوءُ الْحِسَابِ﴾ أي : الحساب السيئ، فهو من إضافة الصفة للموصوف، والمراد : أنهم يُناقشون الحساب، ويسألون عن النقيير والقطمير ؛ ولذا ورد في الحديث : «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ.. هَلَكَ»^(١) .

قوله : ﴿وَمَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي : منزلهم المعدُّ لهم .

قوله : ﴿وَفِيهَا يَلَهُدُونَ﴾ هو : ما يُمهّد ؛ أي : يُفرش، وقدر (هي) ؛ إشارةً إلى أَنَّ الْمَخْصُوصَ بِالذَّمِّ مَحذُوفٌ .

(١) رواه البخاري (٦٥٦٣)، ومسلم (٢٨٧٦) عن سيدتنا عائشة ؓ .

أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَذَّكَّرُ أُولَٰئِكَ الْأَلْبَابُ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُؤْفُونَ
بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ ﴿٢٠﴾

﴿١٩﴾ ونَزَلَ في حمزة وأبي جهل: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ فَمَنْ بِهِ ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ لا يَعْلَمُهُ ولا يُؤْمِنُ بِهِ؟ لا، ﴿إِنَّمَا يَذَّكَّرُ﴾: يَتَّعِظُ ﴿أُولَٰئِكَ الْأَلْبَابُ﴾: أصحاب العُقُول.

﴿٢٠﴾ ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ المَأْخُوذ عَلَيْهِمْ وَهُمْ فِي عَالَمِ الذَّرِّ، أو كُلِّ عَهْدٍ، ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (ونزل في حمزة وأبي جهل) أي: سبب نزول هذه الآيات: مدح حمزة بالصفات الجميلة والوعد عليها بالخير، وذم أبي جهل بالصفات القبيحة والوعيد عليها بالشر، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فأيات الوعد لحمزة ومن كان على قدمه وخلقه إلى يوم القيامة، وأيات الوعيد لأبي جهل ومن كان على قدمه وخلقه إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ﴾ (الهمزة داخلية على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أيستوي المؤمن والكافر فمن يعلم...؟ إلخ.

قوله: (لا) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاري بمعنى النفي.

قوله: (أصحاب العقول) أي: السليمة الكاملة.

قوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ﴾ (بدل من (من)، وحاصل ما ذكره من الصفات لهم ثمانية: أولها: قوله: ﴿يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾، وآخرها: قوله: ﴿وَيَذَرُونِ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾.

قوله: (المأخوذ عليهم) وهم في عالم الذر؛ أي: بالتوحيد، وهو قول الله لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾

[الأعراف: ١٧٢].

قوله: (أو كلُّ عهد) أي: كلُّ ميثاق أُخِذَ عليهم، كان للخالق أو للمخلوق ولو كافراً؛ فيجب الوفاء بالعهد، ولا تجوز الخيانة. ولما كانت الأوصاف الآتية لازمة للموفي بالعهد.. قدم عليها، وجعل ما بعده تفصيلاً له، وحينئذ: فالمراد بالوفاء بالعهد: امتثال الأمور على حسب الطاقة، واجتناب المنهيات.

قوله: ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ﴾ تأكيد لما قبله ولازم له؛ لأنَّ الموفِّي بالعهد غير ناقض للميثاق؛

فالعهد هو: الميثاق، وقيل: الميثاق: التزام المخلوق بالوفاء بأمر الخالق، والعهد هو: أمر الله.

وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا

بِتَرْكِ الْإِيمَانِ أَوْ الْفَرَائِضِ .

﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴿٢١﴾ مِنَ الْإِيمَانِ وَالرَّجْمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴿٢١﴾ أَي: وَعِيدَهُ، ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ تَقَدَّمَ مِثْلُهُ.

﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ﴿٢٢﴾ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْبَلَاءِ وَعَنِ الْمَعْصِيَةِ

حاشية الصاوي

قوله: (بترك الإيمان) راجع للأول، وقوله: (أو الفرائض) راجع للثاني في تفسير العهد.

قوله: (من الإيمان) بيان لـ(ما)، والمعنى: أنهم يأتون بالإيمان بشروطه وأركانه وآدابه.

قوله: (والرحم) أي: القرابة؛ لما في الحديث: «يقول الله تعالى: أنا الرحمن، خلقت الرحم، وشققت لها اسماً من اسمي؛ فمن وصلها.. وصلته، ومن قطعها.. قطعته»^(١)، وقال عليه الصلاة والسلام: «الرحم مُعَلَّقة بالعرش تقول: مَنْ وصلني.. وصله الله، وَمَنْ قَطَعَنِي.. قطعته الله»^(٢)، وصلة الرحم تكون ببذل المعروف، والإنفاق بحسب الاستطاعة.

قوله: (وغير ذلك) أي: كالتَّوَادُّدِ للناس، وعيادة المريض، وغير ذلك؛ لما في الحديث: «التَّوَادُّدُ مَعَ النَّاسِ نِصْفُ الْعَقْلِ»^(٣)، وفي الحديث: «وخالقِ الناس بخلقٍ حسنٍ»^(٤)، والتَّوَادُّدُ: بِإِعْطَاءِ مَنْ حَرَمَكَ، وَوَصْلِ مَنْ قَطَعَكَ، وَالْعَفْوُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ.

قوله: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي: يهابونه إجلالاً وتعظيماً، فلا يخشون غيره، ولا يلتفتون لما سواه.

قوله: ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ أي: يخافون الحساب السيئ المؤدِّي لدخول النار.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ عَلَى الطَّاعَةِ... إلخ) أشار المفسر إلى أنَّ مراتب الصبر ثلاثة: أعلاها:

(١) رواه أبو داود (١٦٩٤)، والترمذي (١٩٠٧) عن سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وأصله في «البخاري» (٥٩٨٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٦٦١١) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه البيهقي في «الشعب» (٦١٤٨)، والطبراني في «الأوسط» (٦٧٤٤) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما، وفيهما: (التَّوَدُّدُ) بدل (التَّوَادُّدِ).

(٤) رواه الترمذي (١٩٨٧) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه.

أَتْبِعَا وَجْهَ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُوكَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ

﴿أَتْبِعَا﴾: طَلَبَ ﴿وَجْهَ رَبِّهِمْ﴾ لَا غَيْرَهُ مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا﴾ فِي الطَّاعَةِ ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُوكَ﴾: يَدْفَعُونَ ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ كَالْجَهْلِ بِالْحِلْمِ وَالْأَذَى بِالصَّبْرِ،

حاشية الصاوي

الصبرُ عن المعصية، وهو: عدمُ فعلها رأساً، ويُلِيها الصبر على الطاعات؛ أي: دَوَامُ فعلها على حسب الطاقة، ويُلِيها الصبر على البلياء، وأعلى الجميع: الصبرُ عن الشهوات؛ لأنه مرتبة الأولياء والصديقين.

قوله: ﴿أَتْبِعَا وَجْهَ رَبِّهِمْ﴾ أي: طلباً لمرضاته.

قوله: (لا غيره من أغراض الدنيا) أي: كالصبر ليقال: ما أكمل صبره وأشدَّ قوته، أو لثلا يعاب على الجزع، أو لثلا تشمت به الأعداء، وغير ذلك من الأمور التي تكون لغير وجه الله، وفضلُ الصبر لوجه الله عظيمٌ جداً، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ...﴾ [البقرة: ١٥٥] الآية، وورد: «إذا كان يوم القيامة.. نادى مناد: ليقيم أهل الصبر، فيقوم ناسٌ من الناس، فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة، فتلقاهم الملائكة فتقول: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة، قالوا: قبل الحساب؟ قال: نعم، فيقولون: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر، قالوا: وما كان صبركم؟ قالوا: صبرنا أنفسنا على طاعة الله، وصبرناها عن معاصي الله، وصبرناها على البلاء والمحن في الدنيا، فتقول الملائكة لهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الَّذِينَ﴾»^(١).

قوله: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: فرضاً أو نفلاً بالإتيان بها بشروطها وأركانها وآدابها.

قوله: ﴿وَأَنفَقُوا﴾ في الطاعة أي: إنفاقاً واجباً كالزكاة والنفقات الواجبة، أو مندوباً كالتطوعات.

قوله: ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ أي: لم يعلم به أحدٌ، أو علم؛ فالمدار على الإخلاص في النفقة، أسرّاً بها أو أعلن.

قوله: (كالجهل بالحلم) أي: فيدفع السَّفَهَ والتَّعَدِّيَ بالحلم وعدمِ المؤاخذه.

قوله: (والأذى بالصبر) أي: فلا يكافئون الشرَّ بالشرِّ، بل يدفعون الشرَّ بالخير والصبر.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (٥)، وانظر «المطالب العالية» لابن حجر (٦١٨/١٨).

أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة.

﴿٢٢﴾ هي ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾: إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ هُمْ ﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾: آمَنَ ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ﴾ وإن لم يعملوا بعملهم، يَكُونُونَ في درجاتهم تَكْرِمَةً لَهُمْ، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ من أبواب الجنة

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿أُولَئِكَ﴾﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿﴿لَهُمْ﴾﴾ خبرٌ مقدَّم، و﴿﴿عَقَبَى الدَّارِ﴾﴾ مبتدأ مؤخر، والجمله خبر المبتدأ الأول، وهي مستأنفة لبيان جزاء مَنْ ذَكَرَ.

قوله: (أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة) أشار بذلك إلى أَنَّ النعت محذوف، والإضافة على معنى (في)، فالعقبى المحمودة هي: الجنة.

قوله: ﴿﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾﴾ قَدَّرَ المفسِّر (هي)؛ إشارةً إلى أَنَّ ﴿﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾﴾ خبرٌ مبتدأ محذوف، والمراد بـ﴿﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾﴾: الجنة بجميع دُورها، لا خصوص الدار المسماة بذلك.

قوله: (هم ﴿﴿وَمَنْ﴾﴾... إلخ) قَدَّرَ الضمير؛ للإيضاح، وإلا... فالفصل حاصلٌ بالضمير المنصوب.

قوله: ﴿﴿مِنْ آبَائِهِمْ﴾﴾ أي: أصولهم وإن علوا، ذكوراً وإناثاً.

قوله: ﴿﴿وَأَزْوَاجِهِمْ﴾﴾ أي: اللاتي مُتْنَ في عصمتهم.

قوله: ﴿﴿وَذُرِّيَّتِهِمْ﴾﴾ أي: فروعهم وإن سفلوا.

قوله: (وإن لم يعملوا) أي: الآباء والأزواج والذريات.

قوله: (تكرمهم لهم) أي: لأنَّ الله جعل مِنْ ثوابِ المطيع سروره بما يراه في أهله، ولو كان دخولهم الجنة بأعمالهم الصالحة.. لم تكن في ذلك كرامةٌ للمطيع؛ إذ كلُّ مَنْ كان صالحاً في عمله.. فله الدرجات العلية استقلالاً.

سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ

أو القصور أول دخولهم للتهنئة.

﴿٢٤﴾ يَقُولُونَ: ﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ هذا الثواب ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾: بِصَبْرِكُمْ فِي الدُّنْيَا، ﴿فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ عُقْبَاكُمْ.

﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ

حاشية الصاوي

قوله: (أو القصور) جمع قصر، وهو كما ورد: «خيمة من دُرَّةٍ مَجُوفَةٍ، طولها فرسخ، وعرضها فرسخ، لها ألف باب، مَصَارِعُهَا من ذهب، يدخلون عليهم من كلِّ باب بالتحف والهدايا، يقولون: ﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾»^(١).

قوله: (أول دخولهم للتهنئة) هذا التفسير لم يُرَ لغيره، بل في كلام غيره ما يدلُّ على خلاف ذلك، قال مقاتل: (إنَّ الملائكة يدخلون في مقدار كلِّ يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون: ﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾»^(٢).

قوله: (يقولون) قَدَّرَه؛ إشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ في محلِّ نصبٍ، مقول لقول محذوف.

قوله: ﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: سَلَّمَكُم الله من آفات الدنيا، فهو دعاءٌ لهم وتحيَّةٌ.

قوله: ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ الجارُّ والمجرور متعلق بمحذوف خبرٍ لمحذوف، قَدَّرَه المفسِّر بقوله: (هذا الثواب... إلخ).

قوله: (بصبركم) أشار بذلك إلى أنَّ (ما) مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر.

قوله: ﴿فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ المراد بالدار: قيل: الدنيا، وقيل: الآخرة.

قوله: (عقباكم) قَدَّرَه؛ إشارة إلى أنَّ المخصوص بالمدح محذوف.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ﴾ جَرَتْ عادة الله في كتابه أنه إذا ذكر أوصاف أهل السعادة.. أتبعه بذكر أوصاف أهل الشقاوة، وهذه أوصاف أبي جهل وَمَنْ حَذَا حَذْوَهُ إلى يوم القيامة.

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٠٥٨)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٣٠٤) موقوفاً من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنه، وانظر «السراج المنير» (١٥٧/٢).

(٢) رواه أبو نعيم في «صفة أهل الجنة» (٩٥) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنه، وانظر «الدر المنثور» (٦٣٩/٤).

مِنْ بَعْدِ مِثْقَلِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾

مِنْ بَعْدِ مِثْقَلِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴿٢٥﴾ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي، ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾: الْبُعْدُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾: الْعَاقِبَةُ السَّيِّئَةُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وَهِيَ جَهَنَّمُ.

﴿٢٦﴾ ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ﴾: يُوسِّعُهُ ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: يُضَيِّقُهُ لِمَنْ يَشَاءُ، ﴿وَفَرِحُوا﴾ أي: أَهْلُ مَكَّةَ فَرِحَ بَطَرٍ ﴿بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: بِمَا نَالُوهُ فِيهَا، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي﴾ جَنْبِ حَيَاةِ ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾: شَيْءٌ قَلِيلٌ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مِثْقَلِهِ﴾ (أي: مِنْ بَعْدِ الْاعْتِرَافِ وَالْقَبُولِ).

قوله: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ (أي: مَنْ هَذِهِ صِفَاتُهُ).

قوله: (وهي جهنم) تفسيراً للعاقبة السيئة.

قوله: ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ﴾... إلخ) هذا جوابٌ عن شبهة الكفار حيث قالوا: لو كان الله غضباناً^(١) علينا كما زعمتم أيها المؤمنون.. لما بسط لنا الأرزاق ونعمنا في الدنيا، فردَّ الله عليهم شبهتهم بذلك، والمعنى: أن بسط الرزق في الدنيا ليس تابعاً للإيمان، بل ذلك بتقدير الله في الأزل لمن يشاء؛ فقد يسط الرزق للكافر استدراجاً، ويضيقه على المؤمن امتحاناً.

قوله: (يوسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾) أي: مؤمن أو كافر، وقوله: (يضيقه لمن يشاء) أي: مؤمن أو كافر.

قوله: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ هذا بيانٌ لقبح أحوالهم، فهو مستأنف.

قوله: ﴿فَرِحَ بَطَرٍ﴾ أي: لا فرح سرورٍ وشكرٍ لنعم الله.

قوله: ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ (أي: منسوبة للآخرة، والمعنى: وما الحياة الدنيا منسوبة في جنب الحياة

الآخرة إلا متاع).

(١) كذا في (أ) بالتونين، وجرى المصنف رحمه الله على لغة بني أسد؛ لأنهم يؤنثون باب (سكران) بالتاء، فيستغنون فيه بـ(فعلانة) عن (فعلَى)، بخلاف غيرهم من العرب، ولما ألحقوا التاء.. فقد شبه بـ(حمراء)، فلم يسعهم إلا أن يصرفوا فيقولون: رأيت رجلاً سكراناً، وصبيّاً غضباناً، وغصناً رياناً، وإناء ملاًناً، وأشباه ذلك. انظر شرح الكافية الشافية لابن مالك (٣/١٤٤١)، وفي (ط٢): (غضبان) وهي ظاهرة.

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن
 أَنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ

يَتَمَتَّعَ بِهِ وَيَذْهَبَ.

﴿٢٧﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ﴾: ﴿لَوْلَا﴾: ﴿هَلَّا﴾: ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾: عَلَى مُحَمَّدٍ
 ﴿آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾: كَالْعَصَا وَالْيَدِ وَالنَّاقَةِ، ﴿قُلْ﴾: ﴿لَهُمْ﴾: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾: إِضْلَالَهُ،
 فَلَا تُغْنِي عَنْهُ الْآيَاتُ شَيْئاً ﴿وَيَهْدِي﴾: يُرْشِدُ ﴿إِلَيْهِ﴾: إِلَى دِينِهِ ﴿مَنْ أَنَابَ﴾: رَجَعَ إِلَيْهِ.
 - وَيُبَدِّلُ مِنْ ﴿مَنْ﴾: -

﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ: تَسْكُنُ ﴿قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾: أَي: وَعَدِهِ،

حاشية الصاوي

قوله: (يَتَمَتَّعَ بِهِ وَيَذْهَبَ) أي: فلا بقاء لها، قال تعالى: ﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي
 الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧].

قوله: (هَلَّا) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿لَوْلَا﴾ تحضيضية.

قوله: ﴿آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ أي: غير ما جاء به؛ من نبع الماء، وتسبيح الحصى، وغير ذلك.

قوله: (فلا تغني عنه الآيات شيئاً) أي: فمجيئها لا يفيدهم شيئاً؛ إذ ما جاز على أحد المثلين..
 يجوز على الآخر؛ فما قالوه في حق ما جاء به من كونه سحراً وكهانة.. يقولونه في حق ما لم يأت به
 على فرض إتيانه به، قال تعالى: ﴿وَمَا تَعْنِي الْأَيْتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

قوله: ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ﴾ أي: يوصله لمرضاته ولما يحبه.

قوله: (ويبدل من ﴿مَنْ﴾) أي: بدل كل، ويصح جعله مبتدأ، خبره الموصول الثاني، وما بينهما
 اعتراض.

قوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: اتَّصَفُوا بالتصديق الباطني الناشئ عن إذعان وقبول.

قوله: ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ﴾ هذه علامة المؤمن الكامل، والطمأنينة بذكر الله هي ثقة القلب بالله،
 والاشتغال به عمّن سواه.

ثم اعلم أن هذه الآية تفيد أن ذكر الله تطمئن به القلوب، وآية (الأنفال) تفيد أن ذكر الله يحصل
 به الوجل والخوف، فمقتضى ذلك: أنه بين الآيتين تناف؟

أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى.....

﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أي: قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿٢٩﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ - مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ: - ﴿طُوبَى﴾: مَصْدَرٌ مِنَ الطَّيِّبِ أَوْ شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا،.....
حاشية الصاوي

وأجيب: بأن الطمأنينة هنا معناها: السكون إلى الله، والثوق به، فينشأ عن ذلك عدم خوف غيره، وعدم الرجاء في غيره؛ فلا يُنافي حصول الخوف من الله والوجل منه، وهذا معنى آية (الأنفال)، وحينئذ: فصار الغير عنده هباءً منثوراً، ليس مُعدّاً لدفع ضررٍ، ولا لجلب نفع، وبمعنى الآيتين قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًى نَقَّشَ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، فتحصل: أن المؤمن الكامل هو: المطمئن بالله، الواثق به، الخائف من هيئته وجلاله؛ فلا يُشاهد غيره لا في جلب نفع ولا دفع ضرر؛ لأن الله هو المالك المتصرف في الأمور كلها، خيرها وشرها؛ فحيث شاهد المؤمن وحدانية الله في الوجود.. أعرض عما سواه واكتفى به؛ فلا يعرج على غيره أصلاً، وهذا أتم مما ذكره المفسر؛ حيث دفع التنافي بأن: معنى الطمأنينة: سكون القلب بذكر الوعد والبشارات، والوجل بذكر الوعيد والنذارات.

قوله: ﴿تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أي: الكاملة في الإيمان.

قوله: ﴿طُوبَى﴾ أصله: (طُيْبَى) وقعت الياء ساكنة بعد ضمة قلبت واواً، والمعنى: عيشة طيبة لهم، وقد فسرت في آية أخرى بقوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢١-٢٣].

قوله: (أو شجرة في الجنة) أي: وأصلها في دار النبي ﷺ، وفي كل دارٍ وغرفةٍ في الجنة منها غصنٌ لم يخلق الله لونها ولا زهرة إلا وفيها منها إلا السواد، ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة إلا وفيها منها، ينبع من أصلها عينان: الكافور، والسلسبيل، كل ورقةٍ منها تُظلُّ أمة، ثياب أهل الجنة من أكمامها، فتثبت الحلل والحلي، ويخرج منها الخيل المسرجة الملجمة، والإبل برحالها وأزمتها^(١).

(١) سياق المصنف عند البغوي في «تفسيره» (٤/٣١٦)، وبين ابن عطية رحمه الله في «المحرر الوجيز» (٣/٣١٢) اختلاف المفسرين في معناها، وأن هذه الروايات الإسرائيلية مما لم يثبت، فقال: (طوبى: اسم شجرة في الجنة، وبهذا تواترت الأحاديث، قال رسول الله ﷺ: «طوبى شجرة في الجنة، يسير الراكب المجدُّ في ظلها مئة عام =

لَهُمْ وَحُسْنُ مَثَابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَاتَتْلُوْا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ

﴿لَهُمْ وَحُسْنُ مَثَابٍ﴾: مرجع.

﴿٣٠﴾ ﴿كَذَلِكَ﴾: كما أرسلنا الأنبياء قبلك ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَاتَتْلُوْا﴾: تَقْرَأُ ﴿عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن، ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ حيثُ قَالُوا لَمَّا أُمِرُوا بِالسُّجُودِ لَهُ: وما الرَّحْمَنُ؟

حاشية الصاوي

وما ذكره المفسر في تفسير (طوبى) قولان من أقوال كثيرة، وقيل: إنه دعاء من الله لهم، والتقدير: طيب الله عيشكم، وقيل غير ذلك.

قوله: ﴿وَحُسْنُ مَثَابٍ﴾ أي: ولهم حُسن مَرَجع ومقلب في الآخرة، وهي الجنة.

قوله: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ﴾ هذا تسليية له ﷺ؛ أي: فلا تحزن على عدم إيمان قومك؛ فإننا أرسلنا الأنبياء إلى قومهم، فكفروا ولم يُطيعوا، فليس مَنْ كَذَّبَكَ بِأَوَّلِ مَكْذِبٍ. قوله: ﴿فِي أُمَّةٍ﴾ أي: إلى أمة.

قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ أي: سَبَقَتْ ومضت.

قوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ الجملة حالية.

قوله: (لما أمروا بالسجود له) أي: كما ذكر في سورة (الفرقان) بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ؟﴾ [الفرقان: ٦٠]، وهذا القول منهم على سبيل العناد، ويسمى عند أرباب المعاني تجاهل العارف^(١)؛ فإنَّ الرحمن هو المنعم على عباده، وهم يُشاهدون نعمه عليهم، ومع ذلك قالوا: وما الرحمن؟ وهذا كقول فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣].

= لا يقطعها، اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَيُظِلُّ تَمْدِيرٌ﴾، وحكى الطبري عن أبي هريرة وعن مغيث بن سمي وعتبة بن عبد يرفعه أخباراً مقتضاها أن هذه الشجرة ليس دار في الجنة إلا وفيها من أغصانها، وأنها تثمر بثياب أهل الجنة، وأنه يخرج منها الخيل بسروجها ولجمها ونحو هذا ممَّا لم يثبت سنده.

(١) وهو سؤال المتكلم عمَّا يَعْلَمُه حقيقة تجاهلاً منه؛ ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذم، أو ليدلَّ على شِدَّة التدلُّه في الحبِّ، أو لقصد التعجُّب أو التوبيخ أو التقرير؛ ولكثرة وُروده في كلام الله تعالى سمَّاه السكاكي (سَوْقَ المعلوم مساق غيره لنكته). انظر «عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح» (٢/٢٧٥).

قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ
أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتُ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا

﴿قُلْ﴾ لَّهُمْ يَا مُحَمَّدُ: ﴿هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾.

﴿٣١﴾ وَنَزَلَ لَمَّا قَالُوا لَهُ: إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا فَسَيِّرْ عَنَّا جِبَالَ مَكَّةَ وَاجْعَلْ لَنَا فِيهَا أَنْهَاراً وَعُيُوناً
لِنَغْرِسَ وَنَزْرِعَ، وَابْعَثْ لَنَا أَبَاءَنَا الْمَوْتَى يُكَلِّمُونَا أَنَّكَ نَبِيٌّ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ
الْجِبَالُ﴾ نُقَلَّتْ عَنْ أَمَاكِنِهَا ﴿أَوْ قُطِعَتْ﴾: شَقَّقَتْ ﴿بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتُ﴾ بِأَنْ يُحْيُوا
لَمَّا آمَنُوا، ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ لَا لِغَيْرِهِ فَلَا يُؤْمِنُ إِلَّا مَنْ شَاءَ إِيْمَانَهُ دُونَ غَيْرِهِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿هُوَ رَبِّي﴾ أي: الرحمن الذي أنكرتموه هو خالقي.

قوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: فَوَضْتُ أُمُورِي إِلَيْهِ.

قوله: ﴿مَتَابِ﴾ أي: تَوْبَتِي وَمَرْجَعِي.

قوله: (ونزل لما قالوا) أي: كفار مكة؛ منهم: أبو جهل، وعبد الله بن أمية، جلسوا خلف
الكعبة، وأرسلوا إلى النبي ﷺ فأتاهم - وقيل: إنه مرَّ بهم وهم جلوس - فدعاهم إلى الله، فقال
عبد الله بن أمية: إِنْ سَرَّكَ أَنْ نَتَّبِعَكَ.. فسَيَّرَ جِبَالَ مَكَّةَ بِالْقُرْآنِ فَادْفَعَهَا عَنَّا حَتَّى تَنْفَسَحَ؛ فَإِنَّهَا أَرْضُ
ضَيْقَةٍ لِمَزَارِعِنَا، وَاجْعَلْ لَنَا فِيهَا أَنْهَاراً وَعُيُوناً؛ لِنَغْرِسَ الْأَشْجَارَ وَنَزْرِعَ وَنَتَّخِذَ الْبِسَاتِينَ؛ فَلَسْتُ
كَمَا زَعَمْتَ بِأَهْوَنَ عَلَى رَبِّكَ مِنْ دَاوُودَ؛ حَيْثُ سَخَّرَ لَهُ الْجِبَالَ تَسِيرَ مَعَهُ، أَوْ سَخَّرَ لَنَا الرِّيحَ؛ لِنَرْكَبَهَا
إِلَى الشَّامِ لِمِيرَتِنَا وَحَوَائِجِنَا وَنَرْجِعَ فِي يَوْمِنَا؛ كَمَا سُخِّرَتْ لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ كَمَا زَعَمْتَ؛ فَلَسْتُ أَهْوَنَ
عَلَى رَبِّكَ مِنْ سُلَيْمَانَ، وَأَحْيِ لَنَا جَدَّكَ قَصِيًّا؛ فَإِنَّ عِيسَى كَانَ يَحْيِي الْمَوْتَى وَلَسْتُ بِأَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ
مِنْهُ، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ^(١).

قوله: ﴿أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾ أي: مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عِنْدَ قِرَاءَتِهِ، فَجَعَلَتْ أَنْهَاراً أَوْ عُيُوناً.

قوله: (لما آمنوا) جواب (لو)، والمعنى: لو فعل الله ما ذكر وأجابهم.. لم يحصل منهم
إيمان؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَلِمَ عَدَمَ هِدَاهِمَ.

قوله: ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ أي: الْقُدْرَةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ إِضْرَابٌ عَمَّا تَضَمَّنَتْهُ الْجُمْلَةُ

أَفَلَمْ يَأْتِسَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا

وإن أوتوا ما اقترحوا. ونزل لما أراد الصحابة إظهار ما اقترحوا طمعاً في إيمانهم: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِسَ﴾: يَعْلَمُ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ﴾ - مُخَفَّفَةٌ - أي: أَنَّهُ ﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ إلى الإيمان من غير آية؟ ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مَكَّةَ ﴿تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا﴾:
حاشية الصاوي

الشرطية من معنى النفي، والمعنى: بل الله قادرٌ على الإتيان بما اقترحوه إلا أنَّ إرادته لم تتعلَّق بذلك؛ لعلَّه بأنهم لا يؤمنون.

قوله: (وإن أوتوا ما اقترحوا) أي: أُعْطُوا ما طَلَبُوهُ.

قوله: (لما أراد الصحابة... إلخ) أي: فقالوا: يا رسول الله؛ إنك مُجَابُ الدعوة، فاطلب لهم ما اقترحوه عسى أن يؤمنوا.

قوله: (يعلم) يُطْلَق اليأس على العلم في لغة هَوازَن ونَحْع؛ لتَضَمُّنِهِ معناه؛ فَإِنَّ الْإِسْ مِنْ الشَّيْءِ عَالِمٌ بِأَنَّهُ لَا يَكُونُ.

قوله: ﴿أَنْ﴾ مخففة) أي: واسمها ضمير الشأن، وجملة ﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ... إلخ﴾ خبر (أن).

قوله: ﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ أي: ولكن لم يفعل ذلك؛ لعدم تعلُّق مشيئته باهتدائهم.

إن قلت: لِمَ لَمْ يَجِبِ اللَّهُ نَبِيَّهَ بعين ما طَلَبُوهُ كما أجاب صالحاً في الناقة، وعيسى في المائدة مع علمه بأنهم لا يؤمنون؟

أجيب: بأنه جرَّت عادة الله في عباده الكفار أنهم متى طلبوا شيئاً من المعجزات وعاهدوا نبيَّهم على الإيمان عند مجيئها ولم يؤمنوا... أنه يهلكهم، ويقطع دابرهم عن آخرهم، وقد أراد إبقاء هذه الأمة المحمدية، وعدم استيعابها بالهلاك؛ إكراماً لنبيِّها، فلم تحصل الإجابة بعين ما طلبوا؛ رحمةً بهم، وإكراماً لنبيِّهم.

قوله: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إخبارٌ من الله لنبيِّه بالنصر القريب على صبره، وقوله: ﴿تُصِيبُهُمْ﴾ خبر (يزال).

قَارِعَةً أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ
رِئُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾

بِصُنْعِهِمْ أَي: كُفْرِهِمْ ﴿قَارِعَةً﴾: دَاهِيَةٌ تَقْرَعُهُمْ بِصُنُوفِ الْبَلَاءِ مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَالْحَرْبِ
وَالْجَدْبِ، ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ يَا مُحَمَّدُ بِجَيْشِكَ ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾: مَكَّةَ، ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾
بِالنَّصْرِ عَلَيْهِمْ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾، وَقَدْ حَلَّ بِالْحُدَيْبِيَّةِ حَتَّى أَتَى فَتَحَ مَكَّةَ.

﴿٣٢﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ رِئُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴿كَمَا اسْتَهْزَى بِكَ﴾، وَهَذَا تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ،
﴿فَأَمَلَيْتُ﴾: أَمَهَلْتُ ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بِالْعُقُوبَةِ، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أَي: هُوَ وَاقِعٌ

حاشية الصاوي

قوله: (بصنعهم) أشار بذلك إلى أن (ما) مصدرية تسبك ما بعدها بمصدر، والباء: سببية؛
أي: بسبب صنعهم.

قوله: ﴿قَارِعَةً﴾ التَّنْوِينُ لِلتَّنْكِيرِ؛ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ مَخْصُوصَةٌ بِشَيْءٍ مَّعْيْنٍ، بَلْ هِيَ عَامَّةٌ
فِي كُلِّ مَا يُهْلِكُهُمْ.

قوله: (تقرعهم) أي: تهللكهم.

قوله: ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿قَارِعَةً﴾، وَالْمَعْنَى: تَصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً، أَوْ حُلُولُكَ
قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ، وَالْعَطْفُ يَقْتَضِي الْمَغَايِرَةَ، فَالْمُرَادُ بِ(القَارِعَةِ) غَيْرُ حُلُولِهِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَعْظَمِ
الْقَوَارِعِ، وَهَذَا تَسْلِيَةٌ لَهُ ﷺ، وَالْمَعْنَى: اصْبِرْ فَإِنَّكَ مَنْصُورٌ وَمُؤَيَّدٌ، وَهُمْ مَخْذُولُونَ؛ فَإِنَّ الدَّوَاهِيَ
مُسَلَّطَةٌ عَلَيْهِمْ.

قوله: ﴿قَرِيبًا﴾ أَي: مَكَانًا قَرِيبًا، وَهُوَ الْحُدَيْبِيَّةُ.

قوله: (بالنصر عليهم) أَي: بفتح مكة.

قوله: (وقد حلَّ بالحديبية) أَي: مَرَّتَيْنِ: الْأُولَى سَنَةَ سِتْ حِينَ أَرَادَ الْعِمْرَةَ وَبَعَثَ عِثْمَانَ،
وَقَدْ صَدُّوا النَّبِيَّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْبَيْتِ، فَصَالِحُ الْكُفَّارِ النَّبِيُّ عَلَى أَنْ يُمْكِّنُوهُ مِنَ الدَّخُولِ فِي السَّنَةِ
السَّابِعَةِ، فَدَخَلَهَا وَاعْتَمَرَ.

والثَّانِيَّةُ: سَنَةُ ثَمَانٍ حِينَ أَرَادَ فَتَحَ مَكَّةَ؛ فَإِنَّهُ حَلَّ بِهَا هُوَ وَجَيْشُهُ، وَأَمْرُهُمْ أَنْ يَتَفَرَّقُوا وَيُوقِدَ كُلُّ
شَخْصٍ نَارًا عَلَى حِجَّةٍ؛ إِرْهَابًا لِلْعَدُوِّ؛ فَفِي صَبِيحَتِهَا حَصَلَ الْفَتْحُ الْعَظِيمُ، وَدَخَلُوا مَكَّةَ.

قوله: ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هَذَا تَنْزِيلٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ حَيْثُ عَامِلُ عِبَادِهِ مُعَامِلَةٌ مُلْكٌ

أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ
فِي الْأَرْضِ

مَوْقِعَهُ فَكَذَلِكَ أَفْعَلُ بِمَنْ اسْتَهْزَأَ بِكَ .

﴿٣٣﴾ ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾ : رَقِيبٌ ﴿عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ : عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَهُوَ اللَّهُ كَمَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ مِنَ الْأَصْنَامِ؟ لَا ، دَلٌّ عَلَى هَذَا : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ لَهُ مَنْ هُمْ؟ ﴿أَمْ﴾ : بَلْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ : تُخْبِرُونَ اللَّهَ ﴿بِمَا﴾ أَي : بِشَرِيكِ ﴿لَا يَعْلَمُ﴾ هُ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ - اسْتَفْهَامُ إنْكَارٍ - أَي : لَا شَرِيكَ لَهُ إِذْ لَوْ كَانَ لَعَلِمَهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ ،

حاشية الصاوي

عَدَلُ فِي رَعِيَّتِهِ ؛ حَيْثُ أَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ ، وَأَغْدَقَ عَلَيْهِمُ النِّعَمَ ، وَكَلَّمَا عَصَوْهُ .. سَتَرَهُمْ وَأَمَدَّهُم بِالْعَطَايَا ، فَلَمَّا تَكَرَّرَ مِنْهُمْ الْعَصْيَانُ وَعَدِمَ الْخَوْفُ .. أَخَذَهُم بِالْعِقَابِ ، فَهَلْ هَذَا ظُلْمٌ مِنْهُ أَوْ عَدْلٌ؟ وَجَوَابُ الاسْتَفْهَامِ : أَنَّهُ عَدْلٌ وَلَوْ كَانَ صَادِرًا مِنْ سُلْطَانٍ فِي رَعِيَّتِهِ ؛ فَكَيْفَ مِنَ الْخَالِقِ الَّذِي يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الظُّلْمُ عَقْلًا؟!

قوله : (فَكَذَلِكَ أَفْعَلُ بِمَنْ اسْتَهْزَأَ بِكَ) أَي : لَا عَلَى الْعُمُومِ ؛ إِكْرَامًا لِنَبِيِّهِ ﷺ .

قوله : ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾ الهمزة داخله على محذوف ، والفاء عاطفةٌ على ذلك المحذوف ، والتقدير : أَعْمِيتُمْ وَسَوَّيْتُمْ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ فَمَنْ هُوَ قَائِمٌ... إلخ؟! والمعنى : أَفَمَنْ كَانَ حَافِظًا لِلنَّفُوسِ وَرَازِقَهَا وَعَالِمًا بِهَا كَمَنْ لَيْسَ بِقَائِمٍ بَلْ هُوَ عَاجِزٌ عَنِ الْقِيَامِ بِنَفْسِهِ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِ؟! قوله : (لَا) هَذَا هُوَ جَوَابُ الاسْتَفْهَامِ .

قوله : (دَلٌّ عَلَى هَذَا) أَي : عَلَى الْجَوَابِ الْمَحْذُوفِ ، وَهَذَا نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ أَي : كَمَنْ قَسَا قَلْبَهُ ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ : ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ ، وَنَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل : ١٧] ، وَلَكِنَّهُ صَرَحَ فِيهَا بِالْمُقَابِلِ .

قوله : ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أَي : صِفُوهُمْ وَانظُرُوا هَلْ بَتَلَكِ الْأَوْصَافُ تُسْتَحَقُّ الْعِبَادَةُ؟

قوله : (مَنْ هُمْ؟) أَي : بَيِّنُوا حَقِيقَتَهُمْ مِنْ أَيِّ جِنْسٍ وَمِنْ أَيِّ نَوْعٍ؟

قوله : ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ﴾... إلخ ﴿أَمْ﴾ : مُنْقَطِعَةٌ ؛ فَلِذَا فَسَّرَهَا بِ(بَل) وَالْهَمْزَةِ ، وَالْمَعْنَى : أَنْخَبِرُونَ اللَّهَ بِشَرِيكِ لَا يَعْلَمُهُ فِي الْأَرْضِ ؛ لِعَدَمِ وَجُودِهِ؟ إِذْ لَوْ وَجُدَ .. لَعَلِمَهُ ، وَخَصَّ الْأَرْضَ ؛ لَكُونَ آلِهَتُهُمُ الَّتِي جَعَلُوهَا شُرَكَاءَ كَاتِبِينَ فِيهَا .

أَمْ يَظْهَرُ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

﴿أَمْ﴾: بل تُسَمُّونَهُمْ شُرَكَاءَ ﴿يَظْهَرُ مِنَ الْقَوْلِ﴾: يَظُنُّ بَاطِلٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ فِي الْبَاطِنِ، ﴿بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ﴾: كُفْرُهُمْ ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾: طَرِيقِ الْهَدَى، ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَمْ يَظْهَرُ﴾ (﴿أَمْ﴾): هنا للإضراب الإبطالي؛ ولذا فسرها بـ(بل) فقط، والمعنى: أن تسميتهم شركاء ظنٌ باطلٌ فاسدٌ لا يعتبر، وإنما هو اسمٌ من غير مسمى.
قوله: ﴿بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (إضرابٌ عن محاججتهم؛ كأنه قال: لا تلتفت لهم ولا تعتبر بهم؛ فإنهم لا فائدة فيهم؛ لأنهم زين لهم ما هم عليه من المكر والكفر.
قوله: ﴿وَصُدُّوا﴾ (بضم الصاد وفتحها، قراءتان سبعيتان^(١))، والمعنى: مُنِعُوا عن طريق الهدى، أو مَنَعُوا الناس عنه.

فائدة

قال الطيبي: في هذه الآية احتجاجٌ بليغٌ مبنيٌّ على فُتُونٍ من علم البيان، أولها: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ كَمَنْ ليس كذلك: احتجاجٌ عليهم وتوبيخٌ لهم على القياس الفاسد؛ لِفَقْدِ الجهة الجامعة لهما.

ثانيها: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾: من وضع الظاهر موضع المضمَر؛ للتنبيه على أنهم جعلوا شركاء لمن هو فردٌ واحدٌ لا يشاركه أحدٌ في اسمه.

ثالثها: قوله: ﴿قُلْ سَوَّاهُمْ﴾ أي: عَيَّنُوا أسماءهم فقولوا: فلان وفلان، فهو إنكارٌ لوجودها على وجهٍ برهانيٍّ، كما تقول: إن كان الذي تدَّعيه موجوداً.. فسمِّه؛ لأنَّ المراد بالاسم: العلم.

رابعها: قوله: ﴿أَمْ تَدَّيْنُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾: احتجاجٌ من باب: نفي الشيء بنفي لازمه، وهو المعلوم، وهو كناية.

خامسها: قوله: ﴿أَمْ يَظْهَرُ مِنَ الْقَوْلِ﴾: احتجاجٌ من باب الاستدراج، والهمزة للتقرير؛ ليعثم على التفكير، المعنى: أتقولون بأفواهكم من غير رؤية؟! فتفكروا فيه؛ لتقفوا على بطلانه.

(١) قرأ الكوفيون: عاصم وحمزة والكسائي وخلف بضم الصاد، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٧/ ٥٧).

لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا نَبَّاحٌ عَقَبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا

﴿٣٤﴾ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾: أَشَدُّ مِنْهُ، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أَي: عَذَابِهِ ﴿مِن وَاقٍ﴾: مَانِعٍ.

﴿٣٥﴾ ﴿مَثَلُ﴾: صِفَةُ ﴿الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ - مُبْتَدَأٌ خَبَرَهُ مَحْذُوفٌ - أَي: فِيمَا نَقُصُّ عَلَيْكُمْ ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا﴾: مَا يُؤْكَلُ فِيهَا ﴿دَائِمٌ﴾: لَا يَفْنَى، ﴿وَزُلْظُلُهَا﴾ دَائِمٌ لَا تَنْسَخُهُ شَمْسٌ لِعَدَمِهَا فِيهَا، ﴿تِلْكَ﴾ أَي: الْجَنَّةُ ﴿عَقَبَى﴾: عَاقِبَةُ ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾

حاشية الصاوي

سادسها: التدرج في كلٍّ من الإضرابات على اللطف وجه. وحيث كانت الآية تشتمل على هذه الأساليب البديعة مع اختصارها.. كان الاحتجاج المذكور منادياً على نفسه بالإعجاز، وأنه ليس من كلام البشر. انتهى^(١).

قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ خبرٌ مقدَّم، و﴿وَاقٍ﴾ مبتدأ مؤخر، و﴿مِنَ اللَّهِ﴾ متعلق به؛ أي: ليس لهم مانعٌ من عذاب الله إذا جاءهم.

قوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ مبتدأ، و﴿الَّتِي﴾ صفة، و﴿وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ صلة الموصول، والخبر محذوف، والتقدير: كائن فيما نقص عليك كما قال المفسر.

قوله: ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي: من تحت قصورها وغرفها.

قوله: ﴿الْأَنْهَارُ﴾ فسرت في آية أخرى في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ...﴾ إلخ.

قوله: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾ أي: كل شيء يؤكل يتجدد غيره، فلا تنقطع أنواع مأكولاتها، فليست كثمار الدنيا تنقطع في بعض الأحيان.

قوله: ﴿وَزُلْظُلُهَا﴾ دائم المراد بالظل فيها: عدم الشمس، فلا يُنافي أنها نورٌ، ونورها حاصل من نور العرش؛ لأنه سَقَفُهَا، ومع ذلك فأنوار أهلها تغلب على ضوء الشمس.

قوله: ﴿عَقَبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي: مآلهم ومُنْتَهَاهم.

(١) انظر «حاشية الطيبي على الكشاف» (٥٢٥/٨).

وَعُقِبَ الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَخْرَابِ
مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ

الشُّرْكَ، ﴿وَعُقِبَ الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾.

﴿٣٦﴾ ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَغَيْرِهِ مِنْ مُؤْمِنِي الْيَهُودِ ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ لِمُوَافَقَتِهِ مَا عِنْدَهُمْ، ﴿وَمِنَ الْأَخْرَابِ﴾ الَّذِينَ تَحَرَّبُوا عَلَيْكَ بِالْمُعَادَاةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْيَهُودِ ﴿مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ كَذِكْرِ الرَّحْمَنِ وَمَا عَدَا الْقَصَصِ، ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ﴾
فِيمَا أُنْزِلَ إِلَيَّ ﴿أَنْ﴾ أَي: بِأَنْ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ (الشرك) تقدّم أنّ هذا أدنى مراتب التقوى.

قوله: ﴿وَعُقِبَ الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ أي: مآلهم ومُنتهاهم.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي: التوراة والإنجيل؛ فال (أل) في ﴿الْكِتَابِ﴾ للجنس.

قوله: (من مؤمني اليهود) أي: ومؤمني النصارى كأهل نجران والحبشة واليمن؛ فإنهم كانوا إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول.. فاضّت أعينهم دموعاً كما تقدّم في (المائدة).

قوله: (لموافقته ما عندهم) أي: في التوراة والإنجيل.

قوله: ﴿مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ أي: فكانوا إذا سمعوا شيئاً يُوافق هواهم.. سلّموه وأقرّوا به،

وإذا خالف هواهم.. أنكروه؛ فمثل القصص لا ينكرونها، ومثل الدعاء إلى التوحيد يُنكرونه.

قوله: (كذكر الرحمن) أي: بالنسبة إلى مشركي العرب، وذلك: أنّ رسول الله ﷺ لما كتب

لهم كتاب الصلح يوم الحديبية.. قال فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، قالوا: وما نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة، يصفون مسيلمة الكذاب^(١)؛ لقول بعضهم مادحاً له: [البسيط]

سُميت^(٢) بالمجد يا ابن الأكرمين أباً وأنت غيث الورى لا زلت رحماناً

(١) انظر «شرح الزرقاني على المواهب» (١٤٧/٥).

(٢) كذا في الأصول في الموضعين، ورواية البيت في كتب التفسير: (سموت)، وهذا من تعنتهم في كفرهم؛ إذ سمّوا المخلوق باسم الخالق كما سمّوا الحجارة آلهة. انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (١/٦٨)، و«حاشية الطيبي على الكشاف» (١/٧١٢).

أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكْ بِهِ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ

﴿أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكْ بِهِ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾: مَرْجِعِي.

﴿٣٧﴾ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الْإِنْزَالِ ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أَي: الْقُرْآنَ ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ بِلُغَةِ الْعَرَبِ تَحْكُمُ بِهِ بَيْنَ النَّاسِ، ﴿وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أَي: الْكُفَّارَ فِيمَا يَدْعُونَكَ إِلَيْهِ مِنْ مِلَّتِهِمْ فَرَضًا ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بِالتَّوْحِيدِ، ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ﴾ - زائدة - ﴿وَلِيٍّ﴾: نَاصِرٍ ﴿وَلَا وَاقٍ﴾: مانعٍ مِنْ عَذَابِهِ.

﴿٣٨﴾ وَنَزَلَ لِمَا عَيَّرُوهُ بِكَثْرَةِ النِّسَاءِ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ.....﴾

حاشية الصاوي

وقد هجاه بعض الصحابة بقوله: [البسيط]

سُميت بِالْحُبِّ يَا ابْنَ الْأَخْبَثِينَ أَبَا وَأَنْتَ شَرُّ الْوَرَى لَا زِلْتَ شَيْطَانًا

قوله: ﴿أَعْبُدَ اللَّهَ﴾ (أَي: أَوْحِدْهُ).

قوله: ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا﴾ (أَي: إِلَى عِبَادَتِهِ وَشَرِيعَتِهِ).

قوله: (مَرْجِعِي) أَي: فِي الْآخِرَةِ.

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ (أَي: مِثْلَ إِنْزَالِ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ).

قوله: ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ حَالَانِ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾، وَالْمَعْنَى: أَنْزَلْنَاهُ حَاكِمًا بَيْنَ النَّاسِ بِلُغَةِ الْعَرَبِ، وَأَسْنَدَ الْحُكْمَ لَهُ؛ لِأَنَّهُ تَرْجَمَانٌ عَنِ اللَّهِ، فَطَاعَتُهُ طَاعَةُ اللَّهِ.

قوله: (فِيمَا يَدْعُونَكَ إِلَيْهِ مِنْ مِلَّتِهِمْ) أَي: كَقَوْلِهِمْ لَهُ: اعْبُدْ آلِهَتَنَا سَنَةً، وَنَعْبُدْ إِلَهَكَ سَنَةً، وَكَالصَّلَاةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ بَعْدَ مَا حُوِّلَتْ عَنْهُ.

قوله: (فَرَضًا) أَي: عَلَى سَبِيلِ الْفَرَضِ وَالتَّقْدِيرِ، وَالْمَقْصُودُ: تَحْذِيرُ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ اتِّبَاعُ الْهَوَى؛ لِأَنَّ الْمَعْصُومَ إِذَا خُوطِبَ بِمِثْلِ ذَلِكَ.. كَانَ الْمَقْصُودُ غَيْرَهُ.

قوله: ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ (أَصْلُهُ: (وَاقِي) اسْتَثْقَلَتِ الْكُسْرَى عَلَى الْيَاءِ فَحُذِفَتْ، فَالتَقَى سَاكِنَانِ، فَحُذِفَ الْيَاءُ لِاتِّقَائِهِمَا).

قوله: (لَمَّا عَيَّرُوهُ بِكَثْرَةِ النِّسَاءِ) أَي: حَيْثُ قَالُوا: لَوْ كَانَ مَرْسَلًا حَقًّا.. لَكَانَ مُشْتَغَلًا بِالزَّهْدِ

قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ.....

قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً: أولاداً وأنت مثلهم، ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ مِنْهُمْ﴾ ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لَأَنَّهُمْ عِبِيدٌ مَرْبُوبُونَ،

حاشية الصاوي

وترك الدنيا والنساء، فردَّ الله تعالى عليهم مَقَالَتَهُمْ بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ؛ فقد كان لسليمان ثلاث مئة امرأة حُرَّة، وسبع مئة سُرِّيَّة، وكان لأبيه داود مئة امرأة، ومع ذلك فلم يُقدِّح في نبوتها، فكيف يجعلون ذلك قاذحاً في نبوتك؟!

واعلم أن القوم كانوا يذكرون أنواعاً من الشبهات في إبطال النبوة؛ فالشبهة الأولى: قولهم: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]، وسيأتي ذكرها في (الفرقان).

الثانية: قولهم: رسول الله إلى الخلق لا بدَّ وأن يكون من جنس الملائكة؛ كما قالوا: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٨]، وقالوا: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكِ﴾ [الحجر: ٧] وستأتي أيضاً.

الثالثة: قولهم: لو كان رسولاً من عند الله.. لما اشتغل بالنساء، فأجاب الله بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ...﴾ الآية.

الرابعة: قولهم: لو كان رسولاً من عند الله.. لكان أيُّ شيء طلبناه من المعجزات أتى به، فأجاب تعالى بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾ الآية.

الخامسة: قولهم: لو كان رسولاً.. لحصل ما وعدنا به من نُزُولِ العذاب، فأجاب الله تعالى بقوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ أي: لكلِّ حادث وقتٌ معيَّن لا يتأخَّر عنه ولا يتقدَّم عليه.

السادسة: قولهم: لو كان صادقاً.. ما نسخ الأحكام التي هي ثابتة في التوراة والإنجيل، وما نسخ بعض الأحكام التي جاء بها، فأجاب الله تعالى عنه بقوله: ﴿يَمَحُورُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾.

قوله: ﴿وَذُرِّيَّةً﴾ أي: وقد كان لرسول الله سبعة أولاد: ثلاثة ذكور، وأربعُ إناث، وترتيبهم في الولادة هكذا: القاسم، فزئب، فرقيَّة، ففاطمة، فأم كلثوم، فعبد الله، فإبراهيم، وكلُّهم من خديجة إلا إبراهيم فمن مارية القبطيَّة، وكلُّهم ماتوا في حياته إلا فاطمةً فماتت بعده بستة أشهر.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾... إلخ أي: لم يجعل الله للرسول الإتيانَ بآيةٍ مما اقترحه قومه إلا بإرادته تعالى.

قوله: (مربوبون) أي: مَقهورون مغلوبون.

لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ مَا نُزِّلَتْكَ

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾: مُدَّةٌ ﴿كِتَابٌ﴾ مَكْتُوبٌ فِيهِ تَحْدِيدُهُ.

﴿٣٩﴾ ﴿يَمْحُوا اللَّهُ﴾ مِنْهُ ﴿مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ - بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ - فِيهِ مَا يَشَاءُ مِنَ الْأَحْكَامِ وَغَيْرِهَا ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾: أَصْلُهُ الَّذِي لَا يَتَغَيَّرُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَهُوَ مَا كَتَبَهُ فِي الْأَزْلِ.

﴿٤٠﴾ ﴿وَأَمَّا﴾ - فِيهِ إِدْغَامُ نُونِ (إِنْ) الشَّرْطِيَّةِ فِي (مَا) الْمَزِيدَةِ - ﴿نُزِّلَتْكَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (رُدُّ لاسْتِعْجَالِهِمُ الْعَذَابَ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَخَوْفُهُمْ بِذَلِكَ، فَاسْتَعْجَلُوهُ عَنَادًا).

قوله: (مَكْتُوبٌ فِيهِ) أَي: فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ، وَهُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ.

قوله: (بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ) أَي: فَهُمَا قَرَأَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(١).

قوله: (وَهُوَ مَا كَتَبَهُ فِي الْأَزْلِ) أَي: قَدَرَهُ؛ بِمَعْنَى: تَعَلَّقَ بِهِ عِلْمُهُ وَإِرَادَتُهُ، وَمَا مَشَى عَلَيْهِ الْمَفْسَّرُ مِنْ أَنَّ الصَّحْفَ وَاللَّوْحَ الْمَحْفُوظَ يَقَعُ فِيهَا التَّغْيِيرُ وَالتَّبْدِيلُ، وَالْمُرَادُ بِ﴿أُمِّ الْكِتَابِ﴾: عِلْمُ اللَّهِ الْمُتَعَلِّقُ بِالْأَشْيَاءِ أَزْلاً.. هُوَ أَحَدُ تَفْسِيرَيْنِ.

إِنْ قُلْتَ: يَرِدُ عَلَى هَذَا مَا وَرَدَ: «أَنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ اللَّوْحَ وَالْقَلَمَ وَأَمَرَهُ بِكِتَابَةِ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ.. قَالَ: رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^(٢).

أَجِيب: بِأَنَّ الْمُرَادَ: رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ عَمَّا هُوَ مُطَابِقٌ لِعِلْمِ اللَّهِ.

والتفسير الآخر: أَنَّ الْمَحْوَ وَالْإِثْبَاتَ يَقَعَانِ فِي صَحْفِ الْمَلَائِكَةِ فَقَطْ، وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾: اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ، وَهُوَ لَا يَقْبَلُ التَّغْيِيرَ وَالتَّبْدِيلَ.

وَالْحَاصِلُ: أَنَّ مَا فِي عِلْمِ اللَّهِ لَا يَقْبَلُ التَّغْيِيرَ جُزْئاً، وَمَا فِي الصَّحْفِ يَقْبَلُ التَّغْيِيرَ جُزْئاً، وَالْخِلَافُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَالْآيَةُ مُحْتَمَلَةٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ.

قوله: ﴿وَأَمَّا نُزِّلَتْكَ﴾ (إِنْ): شَرْطِيَّةٌ مُدْغَمَةٌ فِي (مَا) الزَّائِدَةِ كَمَا قَالَ الْمَفْسَّرُ، وَ﴿نُزِّلَتْكَ﴾ فَعْلُ الشَّرْطِ، وَالْفَاعِلُ مُسْتَتِرٌ تَقْدِيرُهُ: (نَحْنُ)، وَالْكَافُ: مَفْعُولُ أَوَّلٍ، وَ﴿بَعْضَ الَّذِي﴾ مَفْعُولُ ثَانٍ، وَالْمَفْعُولُ الثَّالِثُ مَحْذُوفٌ، قَدَرَهُ الْمَفْسَّرُ بِقَوْلِهِ: (فِي حَيَاتِكَ).

(١) قرأ أبو عمرو وابن كثير وعاصم: «وَيُثَبِّتُ» بالتخفيف، والباقون بالتشديد والتضعيف. انظر «الدر المصون» (٦٠/٧).

(٢) رواه بنحوه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥) عن سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

بَعْضَ الَّذِي نَعِدُّهُمْ أَوْ نَتَوَفِّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي
الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ.....

بَعْضَ الَّذِي نَعِدُّهُمْ ﴿٤٠﴾ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ فِي حَيَاتِكَ، - وَجَوَابُ الشَّرْطِ مَحْذُوفٌ أَي: فَذَاكَ - ﴿٤٠﴾ أَوْ
نَتَوَفِّيَنَّكَ ﴿٤٠﴾ قَبْلَ تَعْذِيبِهِمْ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ ﴿٤٠﴾: مَا عَلَيْكَ إِلَّا التَّبْلِغُ، ﴿٤٠﴾ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾
إِذَا صَارُوا إِلَيْنَا فَتُجَازِيهِمْ.

﴿٤١﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أَي: أَهْلُ مَكَّةَ ﴿أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾: نَقْصِدُ أَرْضَهُمْ ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾
بِالْفَتْحِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ؟ ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ﴾ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ، ﴿لَا مُعَقَّبَ﴾: لَا رَادَّ ﴿لِحُكْمِهِ﴾....

حاشية الصاوي

قوله: (أَي: فَذَاكَ) مبتدأ، خبره محذوف، تقديره: شافِ صَدْرَكَ مِنْ أَعْدَائِكَ.

قوله: (﴿أَوْ نَتَوَفِّيَنَّكَ﴾) معطوفٌ عَلَى ﴿نُرِيَنَّكَ﴾، فهو شرطٌ أيضاً، وجوابه محذوف، والتقدير:
فَلَا لَوْمَ عَلَيْكَ، وقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾ دليلٌ للمحذوف.

قوله: (﴿فُتُجَازِيهِمْ﴾) أَي: عَلَى أَعْمَالِهِمْ خَيْرَهَا وَشَرَّهَا، وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ بَيْنَ تَعْذِيبِهِمْ عَلَى يَدِهِ
فِي الدُّنْيَا، وَمَجَازَاةِ اللَّهِ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ.

قوله: (﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾) الهمزة داخلَةٌ عَلَى محذوف، والواو عاطفةٌ عَلَى ذَلِكَ المحذوف،
والتقدير: أَيْنَكُرُونَ مَا وَعَدْنَاهُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ وَلَمْ يَرَوْا... إلخ؟

قوله: (﴿نَقْصِدُ أَرْضَهُمْ﴾) أَي: أَرْضُ أَهْلِ مَكَّةَ، فَالْمَقْصُودُ: نَصْرُ النَّبِيِّ بِزَوَالِ نِعْمَةِ الْكُفَّارِ، وَمُلْكِهِ
إِيَّاهُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْرَثْنَاكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ...﴾ [الْأَحْزَابُ: ٢٧] الْآيَةُ، فَالْمُرَادُ بِنَقْصِ
أَطْرَافِ الْأَرْضِ: مَلِكٌ كِبَرَاتُهَا وَخَذْلَانُهُمْ.

وَمَا ذَكَرَهُ الْمَفْسِّرُ هُوَ أَحَدُ قَوْلَيْنِ، وَالْآخَرُ: أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَرْضِ: جَمِيعُهَا، لَا خُصُوصَ أَرْضِ
الْكُفَّارِ، وَبِنَقْصِ أَطْرَافِهَا: مَوْتُ الْعُلَمَاءِ وَالْأَشْرَافِ وَالْكَبَرَاءِ وَالصُّلَحَاءِ، وَحِينَئِذٍ: فَوْجُهُ مُنَاسِبَةٌ هَذَا
لِمَا قَبْلَهُ: كَأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: أَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى التَّغْيِيرَاتِ الْحَاصِلَةِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْخَرَابِ بَعْدَ الْعِمَارَةِ،
وَالْمَوْتِ بَعْدَ الْحَيَاةِ، وَالذَّلِّ بَعْدَ الْعِزِّ؟ فَإِذَا كَانَ هَذَا مُشَاهِداً لَهُمْ... فَمَا الْمَانِعُ مِنَ اللَّهِ يُصَيِّرُ الْكُفَّارَ
أَذْلَاءَ بَعْدَ عِزِّهِمْ، وَمَقْهُورِينَ بَعْدَ قُدْرَتِهِمْ؟

قوله: (﴿لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾) أَي: لَا مُغَيِّرَ وَلَا نَاقِضَ لَهُ.

وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ.

﴿٤٢﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ الْأُمَمِ بِأَنْبِيَائِهِمْ كَمَا مَكَرُوا بِكَ، ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ وَلَيْسَ مَكْرُهُمْ كَمَكْرِهِ لِأَنَّهُ تَعَالَى ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ فَيُعَذِّبُ لَهَا جَزَاءَهُ، وَهَذَا هُوَ الْمَكْرُ كُلُّهُ؛ لِأَنَّهُ يَأْتِيهِمْ بِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ، ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ﴾ - الْمُرَادُ بِهِ الْجِنْسُ، وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿الْكُفْرُ﴾ - ﴿لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ أَي: الْعَاقِبَةُ الْمَحْمُودَةُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ أَلَهُمْ أَمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ؟

﴿٤٣﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَكَ: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ عَلَى صِدْقِي ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ مِنْ مُؤْمِنِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: فيحاسبهم في زمنٍ يسير.

قوله: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هذا تسليةٌ له ﷺ.

قوله: ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ أي: لأنه الخالق لهم، العالم بأحوالهم، فهو يُوصل إليهم العذاب من جهة لا يعلمونها.

قوله: ﴿فَيُعَذِّبُ لَهَا﴾ أي: يهَيِّئُ ويحضر.

قوله: ﴿وَفِي قِرَاءَةٍ﴾ أي: وهي سبعةٌ أيضاً^(١).

قوله: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي: لأنه الخالق للمعجزات على يدي.

قوله: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ معطوف على لفظ الجلالة، والمعنى: أَنَّ اللَّهَ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ فِيهِمُ الْكَفَايَةُ فِي الشَّهَادَةِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ.

و(أل) في ﴿الْكِتَابِ﴾ للجنس؛ فيشمل التوراة والإنجيل والقرآن، فقوله: (من مؤمني اليهود والنصارى) أي: أو مطلقاً، فهو نظير قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالالف بعد الكاف على الإفراد، والباقون بالالف بعد الفاء على الجمع. انظر «السراج المنير» (١٦٦/٢).

﴿الرَّ كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾



مَكِّيَّةٌ إِلَّا ﴿الرَّ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا...﴾ الْآيَتَيْنِ. إِحْدَى أَوْ ثِنْتَانِ أَوْ أَرْبَعٌ أَوْ خَمْسٌ وَخَمْسُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿الرَّ﴾ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ بِذَلِكَ. هَذَا الْقُرْآنُ ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدٌ ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾: الْكُفْرِ ﴿إِلَى النُّورِ﴾: الْإِيمَانِ
حاشية الصاوي

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام)

سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِذِكْرِ قِصَّتِهِ فِيهَا. إِنْ قُلْتَ: إِنَّ قِصَّةَ إِبْرَاهِيمَ قَدْ ذُكِرَتْ فِي غَيْرِ هَذِهِ السُّورَةِ كَ(الْأَنْبِيَاءِ) وَ(البقرة).

أُجِيبُ: بِأَنَّ عِلَّةَ التَّسْمِيَةِ لَا تَقْتَضِي اطِّرَادَ التَّسْمِيَةِ، بَلِ التَّسْمِيَةُ أَمْرٌ تَوْقِيفِيٌّ.

قوله: (الآيتين) أي: إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾.

قوله: (إحدى... إلخ) أي: ففي آياتها أربعة أقوال.

قوله: (هذا القرآن) قدره؛ إشارة إلى أن قوله: ﴿كِتَابٌ﴾ خبرٌ لمحذوف.

قوله: (﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾) أي: لفظاً ومعنى.

قوله: (﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ﴾) هذا هو حكمة الإنزال.

قوله: (الكفر) عبّر عنه بـ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ جمعاً؛ لِتَعَدُّدِ طَرَفِهِ، بِخِلَافِ الْإِيمَانِ فَهُوَ مَتَّحِدٌ لَا تَعَدُّدُ

فِيهِ، وَحِكْمَةُ التَّعْبِيرِ عَنِ الْكُفْرِ بـ﴿الظُّلُمَاتِ﴾: أَنَّهُ يُوَصِّلُ لِدَارِ الظُّلُمَاتِ، وَهِيَ النَّارُ، وَعَنِ الْإِيمَانِ بـ﴿النُّورِ﴾؛ لِأَنَّهُ يُوَصِّلُ إِلَى دَارِ النُّورِ، وَهِيَ الْجَنَّةُ.

يَاذُنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ

﴿يَاذُنِ﴾ : بِأَمْرِ ﴿رَبِّهِمْ﴾ - وَيُبَدَّلُ مِنْ ﴿إِلَى النُّورِ﴾ - : ﴿إِلَى صِرَاطِ﴾ : طَرِيقُ ﴿الْعَزِيزِ﴾ : الْغَالِبُ ﴿الْحَمِيدِ﴾ : الْمَحْمُودُ.

﴿٢﴾ ﴿اللَّهُ﴾ - بِالْجَرِّ بَدَلٌ أَوْ عَطْفٌ بَيَانٌ وَمَا بَعْدَهُ صِفَةٌ، وَالرَّفْعُ مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ - : ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا وَعَبِيدًا، ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾. ﴿٣﴾ ﴿الَّذِينَ﴾ - نَعْتٌ - ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ : يَخْتَارُونَ ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾

حاشية الصاوي

قوله : ﴿يَاذُنِ رَبِّهِمْ﴾ (فسره بـ(الأمر)؛ إشارة إلى أن المعنى : لتأمرهم بالخروج من الظلمات إلى النور.

قوله : (ويبدل من ﴿إِلَى النُّورِ﴾) أي : بإعادة الجارِّ، وهو بدل كلٍّ من كلٍّ.

قوله : (طريق ﴿الْعَزِيزِ﴾) أي : وهو الإسلام، وسمي بذلك؛ لأنه الموصل لدار السَّعادة.

قوله : (بدل أو عطف بَيَان) أي : من ﴿الْعَزِيزِ﴾، وهذا على القاعدة من أنَّ نعت المعرفة إذا تقدَّم عليها.. يُعْرَبُ بِحَسَبِ الْعَوَامِلِ، وتُعْرَبُ هِيَ مِنْهُ بَدَلًا أَوْ عَطْفٌ بَيَانٌ، وحينئذٍ : فالأصل : إلى صراط الله العزيز الحميد.

قوله : (والرفع مبتدأ) أي : فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله : (ملكاً وخلقاً وعبيداً) أي : فلا شريك له في شيء من ذلك.

قوله : ﴿وَوَيْلٌ﴾ قيل : معناه : دمار وهلاك للكافرين، وقيل : وادٍ في جهنم لو وُضعت فيه جبال الدنيا.. لذابت من حرِّه. وهو مبتدأ، وسوَّغ الابتداء به قصد الدعاء.

قوله : (نعت) أي : للكافرين، وفيه الفصل بين النعت والمنعوت بأجنبي، وهو قوله : ﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾، فالأوضح : أن يكون مبتدأ، خبره : ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾.

قوله : ﴿يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي : يحبونها ويألفونها زيادةً على الآخرة، والمعنى : يقدِّمون الدنيا على الآخرة.

(١) قرأ نافع وابن عامر برفع الهاء وصلًا وابتداءً، وقرأ الباقون بالجرِّ. انظر «السراج المنير» (٢/١٦٧).

وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا

وَيَصُدُّونَ ﴿٣﴾ النَّاسَ ﴿٣﴾ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿٣﴾: دِينَ الْإِسْلَامِ، ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ أي: السَّبِيلَ ﴿عِوَجًا﴾: مُعَوَّجَةً، ﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾: عَنِ الْحَقِّ.

﴿٤﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ﴾: بِلُغَةٍ ﴿قَوْمِهِ﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴿٤﴾: لِيُفَهِّمَهُمْ مَا أَتَى بِهِ، ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فِي مُلْكِهِ، ﴿الْحَكِيمُ﴾ فِي صُنْعِهِ.

﴿٥﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: يَمْنَعُونَ النَّاسَ عَنِ الدِّينِ الْحَقِّ.

قوله: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: يَطْلُبُونَ الْعُدُولَ وَالْإِنْحِرَافَ عَنْهَا، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ يُضِلُّونَ غَيْرَهُمْ، وَيَضِلُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ.

قوله: ﴿فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ أي: كَفَرٍ مَبْعَدٍ لَهُمْ عَنِ الرَّحْمَةِ وَالْخَيْرِ.

قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ﴾ أي: مُحَمَّدًا أَوْ غَيْرِهِ.

إِنْ قُلْتَ: إِنْ كَانَ الْمُرَادُ: بِقَوْمِهِ الَّذِينَ نَشَأَ فِيهِمْ فِظَاهَرٌ، وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ: الَّذِينَ أَرْسَلَ لَهُمْ فِرْسُولَ اللَّهِ أَرْسَلَ لِكَاثَةِ الْخَلْقِ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَظْهَرِ مِنْهُ إِلَّا اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ، وَهُوَ لِسَانُ بَعْضِ قَوْمِهِ.

أَجِيبْ: بِأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ جَمِيعَ اللُّغَاتِ، فَكَانَ يَخَاطِبُ كُلَّ قَوْمٍ بِلُغَتِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَثْبُتْ أَنَّهُ تَكَلَّمَ بِاللُّغَةِ التَّرْكِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَّفَقْ أَنَّهُ خَاطَبَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهَا، وَلَوْ خَاطَبَهُ.. لَكَلَّمَهُ بِهَا.

قوله: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ اسْتِثْنَاءٌ مَفْصُلٌ لِقَوْلِهِ: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾.

قوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: الْغَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ، وَهُوَ كَالْعَلَّةِ لِقَوْلِهِ: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ...﴾ إلخ.

قوله: ﴿الْحَكِيمُ﴾ أي: الَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ فِي مَحَلِّهِ.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ﴾ تَفْصِيلٌ لِمَا أَجْمَلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ...﴾.

الْآيَةُ.

أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرْتَهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ

التَّسْعِ وَقُلْنَا لَهُ: ﴿أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ﴾ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾: الْكُفْرِ ﴿إِلَى النُّورِ﴾: الْإِيمَانِ، ﴿وَذَكَرْتَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾: بِنِعَمِهِ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: التَّذْكِيرِ ﴿لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عَلَى الطَّاعَةِ، ﴿شَكُورٍ﴾ لِلنَّعَمِ.

﴿٥﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ الْمَوْلُودِينَ، ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾: يَسْتَبْقُونَ ﴿نِسَاءَكُمْ﴾.....

حاشية الصاوي

قوله: (التسعة) تقدّم منها ثمانية في (الأعراف)، والتاسعة في (يونس).

قوله: (وقلنا له) لا حاجة لتقديره، بل المناسب أن يفسّر (أن) بـ(أي) التفسيرية؛ لأنّ ضابطها موجود، وهو تقدّم جملة فيها معنى القول دون حروفه، وهو ﴿أَرْسَلْنَا﴾، ويصح جعلها مصدرية؛ أي: بإخراج قومك، وهذه الباء للتعديّة، وفي ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ للحال.

قوله: (بنعمه) أي: فالمراد بـ(الأيام): النعم، وعبر عنها بـ(الأيام) لحصولها فيها.

قوله: ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ أي: كثير الصبر، وقوله: ﴿شَكُورٍ﴾ أي: كثير الشكر، وحُصِّوا بالذكر؛ لأنهم المتفعّلون بها.

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ والمعنى: اذكر لقومك ما وقع لموسى وقومه لعلمهم يعتبرون.

قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي: يُذَيِّقُونَكُمْ.

قوله: ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي: العذاب السيئ، وهو الشديد.

قوله: ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ عطف بالواو هنا؛ إشارة إلى أنه غير العذاب السيئ المذكور، وأما في (البقرة)... فهو تفسيرٌ لـ(سوء العذاب)، فصَحَّ التّغاير بهذا الاعتبار وإن كانت القصة واحدة.

قوله: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ أي: لِلْخِدْمَةِ، فكانوا يستخدمونهنّ ويمنعونهنّ عن أزواجهنّ.

وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ

لِقَوْلِ بَعْضِ الْكَهَنَةِ: إِنَّ مَوْلُوداً يُوَلَّدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَكُونُ سَبَبَ ذَهَابِ مُلْكِ فِرْعَوْنَ، ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ﴾ الْإِنْجَاءُ أَوِ الْعَذَابِ ﴿بَلَاءٌ﴾: إِنْعَامٌ أَوْ ابْتِلَاءٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿٧﴾ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾: أَعْلَمَ ﴿رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ نِعَمَتِي بِالتَّوْحِيدِ وَالطَّاعَةِ، ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾: جَحَدْتُمُ النِّعْمَةَ بِالْكَفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ، لَأُعَذِّبَنَّكُمْ، دَلٌّ عَلَيْهِ: ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

﴿٨﴾ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لِقَوْمِهِ:

حاشية الصاوي

قوله: (لقول بعض الكهنة) جمع كاهن، وهو: المخبر عن المغيبات المستقبلية، وأما العرّاف.. فهو المخبر عن الأمور الماضية.

قوله: ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (أي: فالله سبحانه وتعالى يُخبر عباده بالخير والشر، قال تعالى: ﴿وَنَبَلِّغُكُمْ بِالْخَيْرِ وَالْخَيْرِ فَتَنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]؛ لأنَّ النعمة أو البلية إذا أصابت الشخص.. فهو معرض إما لرضا الله إن شكر وصبر، أو لغضبه إن جزع وكفر.

قوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ من جملة كلام موسى لقومه، كأنه قيل: واذكروا نعمة الله عليكم، واذكروا حين تأذَّن ربكم.

قوله: (بالتوحيد والطاعة) أي: بأن وُحِّدْتُمُونِي ودُئِمْتُمْ عَلَى طَاعَتِي.

قوله: ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (أي: من خيرَي الدنيا والآخرة، فيحصل لكم النعم والرضا، فتظفرون بالسعادتين).

قوله: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ لم يصرَّح بالجواب في جانب الوعيد، وصرَّح به في جانب الوعد؛ إشارةً إلى كرمه سبحانه وتعالى، وأنَّ رحمته غلبت غضبه، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، ولم يقل: بيدك الشرُّ.

قوله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّكُمْ﴾ هذا هو جواب القسم، وحذف جواب الشرط؛ للقاعدة: أنه عند اجتماعهما يحذف جواب المتأخر.

قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ (أي: بعد أن أيس من إيمانهم).

إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ.....

﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفِيٌّ﴾ عن خلقه، ﴿حَمِيدٌ﴾: مَحْمُودٌ فِي صُنْعِهِ بِهِمْ.

﴿٩﴾ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ - اسْتِفْهَام تَقْرِير - ﴿نَبَأُ﴾: خَبَرُ ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ قَوْمِ هُودٍ، وَثَمُودَ﴾ قَوْمٌ صَالِحٌ، ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ لِكَثْرَتِهِمْ، ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بِالْحُجَجِ الْوَاضِحَةِ عَلَى صِدْقِهِمْ، ﴿فَرَدُّوا﴾ أَي: الْأُمَمَ ﴿أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ أَي: إِلَيْهَا لِيَعْضُوا عَلَيْهَا مِنْ شِدَّةِ الْغَيْظِ، ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ فِي زَعْمِكُمْ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفِيٌّ﴾ أي: عن شكركم وإيمانكم.

قوله: ﴿حَمِيدٌ﴾ أي: مستحق للحمد، والمعنى: إِنَّ كَفْرَكُمْ بِاللَّهِ أَنْتُمْ وَأَهْلُ الْأَرْضِ جَمِيعًا.. لا ينقص في ملكه شيئاً، وإيمانكم لا يزيد في ملكه شيئاً، كُلُّ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى أَنْفُسِكُمْ، وَهُوَ غَنِي عَنْكُمْ.

قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ من كلام موسى أيضاً، أو من كلام الله.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ إما مبتدأ خبره قوله: ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾، أو معطوف على قوله: ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾، وقوله: ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ اعتراض.

قوله: ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر، تقديره: ما صفتهم وما شأنهم؟

قوله: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: لِكِرَاهَتِهِمْ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ شَأْنَ الْإِنْسَانِ إِذَا كَرِهَ شَيْئاً وَاغْتَاظَ مِنْهُ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى دَفْعِهِ.. يَعْضُ عَلَى يَدَيْهِ.

قوله: ﴿لِيَعْضُوا عَلَيْهَا﴾ بفتح العين وضمها.

قوله: ﴿فِي زَعْمِكُمْ﴾ أي: وإلا.. فلم يعترفوا برسالة رسلهم.

وَأِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ

﴿وَأِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾: موقع في الرّيبة.

﴿١٠﴾ ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ﴾ - استفهام إنكار - أي: لا شك في توحيدِهِ لِلدَّلَائِلِ الظَّاهِرَةِ عَلَيْهِ، ﴿فَاطِرِ﴾: خالق ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ﴾ إلى طَاعَتِهِ ﴿لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ - ﴿مِنْ﴾ زائدة، فإنَّ الإسلام يُغْفِرُ بِهِ ما قبله، أو تَبَعِيضِيَّةٌ لإخراج حُقُوقِ الْعِبَادِ -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأِنَّا لَفِي شَكٍّ﴾... إلخ) والشك كفرٌ، فلا ينافي قولهم: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾.

قوله: (في الرّيبة) أي: وهي عدمُ اطمئنان النفس إلى الشيء.

قوله: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ﴾) أي: جواباً لقول الأمم: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾.

قوله: ﴿أَفِى اللَّهِ شَكٌّ﴾) الهمزة للاستفهام، والجارُّ والمجرور متعلق بمحذوف تقديره: أثبت؟ و﴿شَكٌّ﴾: فاعل بالجار والمجرور؛ لاعتماده على الاستفهام، أو الجارُّ والمجرور خبرٌ مقدَّم، و﴿شَكٌّ﴾: مبتدأ مؤخر، والأول أولى؛ لسلامته من الفصل بين الصفة وهو ﴿فَاطِرِ﴾ والموصوف وهو لفظ الجلالة بأجنبيٍّ وهو المبتدأ.

قوله: (للدلائل الظاهرة) أي: العقلية والنقلية.

قوله: ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾) هذا من جملة أدلة توحيدِهِ.

قوله: ﴿يَدْعُوكُمْ﴾) الجملة حالية.

قوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكُمْ﴾) أي: لا ليتكامل بطاعتكم، بل ثمرة امتثالكم وطاعتكم عائدة عليكم.

قوله: (من: زائدة) هذا مبنيٌّ على مذهب الأخفش من أنها تُزاد في الإثبات، وهي طريقة ضعيفة^(١)؛ فلا يناسب تخريج القرآن عليها، وقوله: (أو تَبَعِيضِيَّة) فيه: أنه ظاهرٌ في المسلّم الأصلي، وأما الكافر إذا أسلم... فلا يظهر؛ لأنَّ الإسلام يُجِبُّ ما قبله ولو حقوقَ العباد، وحينئذٍ: فالجواب الأنتم: أن تجعل (من) بمعنى (بدل) أي: يغفر لكم بدل عقوبة ذنوبكم، أو ضمَّن (يغفر) معنى (يخلص)، و(من) على بابها؛ للتعدية، والتقدير: ليخلصكم من ذنوبكم، ولعلَّ هذا هو الجواب الأقرب.

(١) وجمهور البصريين لا يُجيزون زيادتها إلا في النفي، إذا جرَّت نكرةً.

وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ
يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَاتُّونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ
وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ بلا عَذَاب ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أَجَلِ الْمَوْتِ، ﴿قَالُوا إِنْ﴾: مَا ﴿أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ
مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ مِنَ الْأَصْنَامِ، ﴿فَاتُّونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾:
حُجَّةٍ ظَاهِرَةٍ عَلَىٰ صِدْقِكُمْ.

﴿١١﴾ ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ﴾: مَا ﴿نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ كَمَا قُلْتُمْ، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ
عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ بِالنُّبُوَّةِ، ﴿وَمَا كَانَتْ﴾: مَا يَنْبَغِي ﴿لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ
اللَّهِ﴾ بِأَمْرِهِ؛ لِأَنَّا عَبِيدٌ مَرْبُوبُونَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ (معطوف على (يغفر)، والمعنى: يدعوكم إلى طاعته لأمرين: عُفْرَانِ
ذنوبكم، وتأخير العذاب إلى أجل مسمى؛ بأن تعيشوا في الدنيا سالمين من الخزي كالخسف
والمسخ؛ فإذا مَثَّم على الإيمان.. دَخَلْتُمُ الْجَنَّةَ فَفَرْتُمُ بِالسَّعَادَتَيْنِ.

قوله: ﴿قَالُوا﴾ (أي: الأممُ جواباً لمقالة الرسل).

قوله: ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ (أي: فلا مزية لكم علينا؛ فلم اختصاصتم بالنبوة دوننا؟!

قوله: ﴿أَنْ تَصُدُّونَا﴾ (أَنْ): مصدرية، و(تصدوا) منصوب بـ(أَنْ)، وعلامة نصبه حذف النون،
والواو: فاعل، و(نا): مفعوله.

قوله: (من الأصنام) بيانٌ لـ(ما).

قوله: (حجة ظاهرة) أي: غير ما جِئْتُمْ بِهِ.

قوله: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ (أي: جواباً لمقالتهم).

قوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾ (أي: فإننا وإن كنا بشراً مثلكم إلا أَنَّ اللَّهَ فَضَّلَنَا عَلَيْكُمْ
بِالنُّبُوَّةِ، وَأَعْطَانَا الْمَعْجَزَاتِ عَلَىٰ مُرَادِهِ؛ فَإِنْ آمَنْتُمْ.. فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَإِنْ كَفَرْتُمْ.. فَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ،
فَلَا قُدْرَةَ لَنَا عَلَىٰ إِيْتَانِ مَا تَطْلُبُونَهُ؛ لِأَنَّا عَبِيدٌ مَقْهُورُونَ.

قوله: (بأمره) المناسب أن يقول: (بإرادته).

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصِيرَنَّ عَلَى مَا ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: يَتَّقُوا بِهِ.

﴿١٢﴾ ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: لا مانع لنا من ذلك ﴿وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصِيرَنَّ عَلَى مَا ءَاذَيْتُمُونَا﴾: على أذاكم، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

﴿١٣﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾: لَتَصِيرُنَّ ﴿فِي مِلَّتِنَا﴾: دِينِنَا، ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: يفوضوا أمورهم إليه، ويصبروا على ما أصابهم.

قوله: ﴿وَمَا لَنَا﴾ أي: أي شيء ثبت لنا؟!

قوله: (أي: لا مانع لنا من ذلك) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي.

قوله: ﴿وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ أي: أرشدنا إلى طرقنا الموصلة للسعادة العظمى.

قوله: ﴿وَلَنَصِيرَنَّ عَلَى مَا ءَاذَيْتُمُونَا﴾ أي: فلا نبالي بكم ولا بإذايتكم.

قوله: (على أذاكم) أشار بذلك إلى أن (ما) مصدرية.

قوله: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ أي: يدوموا على التوكل.

قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: المتعتنون المتمردون.

قوله: ﴿لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا﴾ أي: فلا تُخالطونا، بل أريحونا من هذا التعب.

قوله: (لَتَصِيرُنَّ) دفع بذلك ما يقال: إنَّ العود يقتضي أنه سبق لهم التلبس بملئهم مع أن الرسل

معصومون من ذلك، فأجاب المفسر: بأن المراد بالعود: الصيرورة؛ أي: لتصيرن داخلين في ملئتنا.

قوله: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾ أي: إلى الرسل بعد هذه المقالات؛ لليأس من إيمانهم.

قوله: ﴿لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ أي: نستأصلهم بالهلاك، فلا يبقى منهم أحد.

وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾

- ﴿١٤﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ: أَرْضُهُمْ ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: بَعْدَ هَلَاكِهِمْ، ﴿ذَلِكَ﴾ النَّصْرُ وإيراث الأرض ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ أي: مقامه بَيْنَ يَدَيَّ، ﴿وَخَافَ وَعِيدٍ﴾ بِالْعَذَابِ.
- ﴿١٥﴾ وَأَسْتَفْتَحُوا: اسْتَنْصَرَ الرُّسُلَ بِاللَّهِ عَلَى قَوْمِهِمْ، ﴿وَخَابَ﴾: خَسِرَ ﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾: مُتَكَبِّرٌ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ ﴿عَنِيدٍ﴾: مُعَانِدٌ لِلْحَقِّ.
- ﴿١٦﴾ ﴿مِنْ وَرَائِهِ﴾ أي: أَمَامَهُ ﴿جَهَنَّمُ﴾ يَدْخُلُهَا، ﴿وَيُسْقَى﴾ فِيهَا ﴿مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ هو مَا يَسِيلُ مِنْ جَوْفِ أَهْلِ النَّارِ مُخْتَلِطًا بِالْقَيْحِ وَالْدَّمِ.

حاشية الصاوي

- قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ (مبتدأ، خبره قوله: ﴿لِمَنْ خَافَ... إلخ﴾.
- قوله: (أي: مقامه بين يدي) أي: مَوْقِفُهُ عِنْدِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
- قوله: ﴿وَخَافَ وَعِيدٍ﴾ بالعذاب) أي: فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْخَوْفَ مِنَ اللَّهِ غَيْرُ الْخَوْفِ مِنْ وَعِيدِهِ؛ لِأَنَّ الْعَطْفَ يَقْتَضِي الْمَغَايِرَةَ.
- قوله: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا﴾) أي: طَلَبَ الرُّسُلَ الْفَتْحَ مِنَ اللَّهِ لِمَا أَيْسَا مِنْ إِيمَانِ قَوْمِهِمْ.
- قوله: (استنصر الرسل) أي: طَلَبُوا مِنَ اللَّهِ النَّصْرَ.
- قوله: ﴿وَخَابَ﴾) معطوف على مقدَّر، والتقدير: فَنُصِرُوا وَخَابَ... إلخ.
- قوله: (خسر) أي: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
- قوله: (متكبر عن طاعة الله) أي: مُتَعَطِّفٌ فِي نَفْسِهِ، مُحْتَقِرٌ لِمَا سِوَاهُ.
- قوله: (أي: أَمَامَهُ) أي: فَالْوَرَاءُ يُسْتَعْمَلُ فِي الْأَمَامِ وَالْخَلْفِ، فَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ، وَقِيلَ: هُوَ اسْمٌ لِمَا تَوَارَى عَنْكَ، سِوَاءٍ كَانَ مِنْ خَلْفِكَ أَوْ مِنْ أَمَامِكَ.
- قوله: ﴿صَدِيدٍ﴾) بدل أو عطف بيان.
- قوله: (هو ما يسيل... إلخ) وقيل: هُوَ مَا يَسِيلُ مِنْ فُرُوجِ الزَّانَةِ يُسْقَاهُ الْكَافِرُ.

يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِحَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ

﴿١٧﴾ يَتَجَرَّعُهُ: يَبْتَلِعُهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ لِمَرَارَتِهِ، ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾: يَزْدَرِيهِ لِقُبْحِهِ وَكَرَاهَتِهِ، ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ﴾ أَي: أَسْبَابُهُ الْمُقْتَضِيَةُ لَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِحَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ﴾ بَعْدَ ذَلِكَ الْعَذَابِ ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾: قَوِيٌّ مُتَّصِلٌ.

﴿١٨﴾ ﴿مَثَلُ﴾: صِفَةُ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ - مُبْتَدَأٌ وَيُبَدَلُ مِنْهُ -: ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾ الصَّالِحَةُ كَصِلَةٍ وَصَدَقَةٍ فِي عَدَمِ الْإِنْتِفَاعِ بِهَا

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ أي: يَكْلَفُ تَجَرُّعَهُ وَيُقْهَرُ عَلَيْهِ.

قوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ أي: لَا يَقْرُبُ مِنْ إِسَاغَتِهِ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسُقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ﴾ قَالَ: «يَقْرَبُ إِلَى فِيهِ فَيَكْرَهُهُ، فَإِذَا دَنَا مِنْهُ.. شَوَى وَجْهَهُ، وَوَقَعَتْ فَرُوءُ رَأْسِهِ - أَي: جَلَدَتِهَا بِشَعْرِهَا - فَإِذَا شَرِبَهُ.. قَطَعَ أَمْعَاءَهُ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ﴾، وَقَالَ: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ يَنْسَكُ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]»^(١).

قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِحَيِّتٍ﴾ أي: فَيَسْتَرِيحُ، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: تَعْلُقُ نَفْسُهُ عِنْدَ حُنْجَرَتِهِ فَلَا تَخْرُجُ مِنْ فِيهِ فَيَمُوتُ، وَلَا تَرْجِعُ إِلَى مَكَانِهَا مِنْ جَوْفِهِ فَتَنْفَعَهُ الْحَيَاةُ^(٢).

قوله: (بَعْدَ ذَلِكَ الْعَذَابِ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الضَّمِيرَ فِي ﴿وَرَائِهِ﴾ عَائِدٌ عَلَى الْعَذَابِ، وَقِيلَ: عَائِدٌ عَلَى (كُلِّ جَبَارٍ)، وَالْمَعْنَى: وَيَسْتَقْبَلُ فِي كُلِّ وَقْتٍ عَذَابًا أَشَدَّ مِمَّا هُوَ فِيهِ كَالْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبِ وَالزَّمْهِرِيرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، أَجَارَنَا اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ.

قوله: (مُتَّصِلٌ) أَي: لَا يَنْقَطِعُ، بَلْ هُوَ دَائِمٌ مُسْتَمِرٌّ.

قوله: (وَيُبَدَلُ مِنْهُ) أَي: مِنَ الْمَوْصُولِ، وَالْأَصْلُ: مَثَلُ أَعْمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا.

قوله: (فِي عَدَمِ الْإِنْتِفَاعِ بِهَا) أَي: فَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ أَعْمَالًا بَرًّا إِلَّا أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ صَاحِبَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسَبَبِ كُفْرِهِ؛ لِأَنَّ كُفْرَهُ أَحْبَطَهَا وَأَبْطَلَهَا، وَإِنَّمَا جَزَاؤُهَا إِنْ كَانَتْ لَا تَتَوَقَّفُ عَلَى الْإِسْلَامِ يَكُونُ فِي الدُّنْيَا بِتَوْسِعِ الرِّزْقِ وَالْعَافِيَةِ فِي الْبَدَنِ.

(١) رواه الترمذي (٢٥٣٨)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٩٩) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه.

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٣/٣٤).

كَرَّمَادٍ أَسْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَلُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾

﴿كَرَّمَادٍ أَسْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾: شديد هبوب الريح، فجعلته هباءً منثوراً لا يُقدَرُ عليه، - والمَجْرورُ خبر المبتدأ - ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ أي: الكُفَّارُ ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾: عملوا في الدنيا ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ أي: لا يجدون له ثواباً لعدم شرطه، ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَلُ﴾: الهلاك ﴿الْبَعِيدُ﴾.

(﴿١٩﴾ - ﴿٢٠﴾) ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تنظرياً مخاطباً - استفهام تقرير - ﴿أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ - متعلق بـ ﴿خَلَقَ﴾ - ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بذكركم، ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: شديد.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَسْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾ أي: حملته وذهبت به.

قوله: (لعدم شرطه) أي: وهو الإيمان.

قوله: ﴿الْبَعِيدُ﴾ أي: الذي لا يرجى زواله.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الخطاب لكل مَنْ يتأتى منه التأمل والنظر، فليس خاصاً بالنبى ﷺ.

قوله: (تنظر) أي: ببصرك، وتأمل ببصيرتك، فتستدل على أن الخالق متصف بالكمالات.

قوله: (استفهام تقرير) أي: والمعنى: أقر يا مخاطب بذلك واعترف ولا تُعاند؛ فإنَّ القادر على خلق السماوات والأرض.. لا يُعجزه شيء، فهو حقيق بالعبادة دون غيره.

قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ الباء: إما للسببية، أو للملابسة، والمعنى: خلق السماوات والأرض بسبب الحق، أو ملتبساً بالحق؛ أي: الحكمة الباهرة، لا عبثاً.

قوله: (متعلق بـ ﴿خَلَقَ﴾) أي: أو بمحذوف حال من فاعل ﴿خَلَقَ﴾.

قوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أي: يُعِدِّمُكُمْ؛ فإنَّ القادر لا يصعب عليه شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّا

لَقَدِيرُونَ﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ [المعارج: ٤٠-٤١].

قوله: ﴿وَمَا ذَلِكَ﴾ أي: الإذهاب والإتيان بشديد على الله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَبْعَثُكُمْ

إِلَّا كَفِّسَ وَحْدَةً﴾ [لقمان: ٢٨].

وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سُوءًا عَلَىٰ نَفْسِنَا أَوْ جَزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ

﴿٢١﴾ ﴿وَبَرَزُوا﴾ أي: الخلائق، والتعبير فيه وفيما بعده بالماضي لِتَحَقُّقِ وَقُوعِهِ، ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾: الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: المتبوعين: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ﴾: دافعون ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ - ﴿مِنْ﴾ الأولى للتبيين، والثانية للتبعيض - ﴿قَالُوا﴾ أي: المتبوعون: ﴿لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ﴾: لدعوناكم إلى الهدى، ﴿سُوءًا عَلَىٰ نَفْسِنَا أَوْ جَزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ﴾ - زائدة -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَبَرَزُوا﴾ هذا إخبار من الله تعالى عن محاجة الكفار مع بعضهم ومع إبليس يوم القيامة.

والبروز: الظهور، والمعنى: يظهرون بين الخلائق فلا يغيب لهم شيء من أوصافهم أبداً.

قوله: ﴿اخرجوا من القبور﴾ للحساب والجزاء.

قوله: ﴿والتعبير... إلخ﴾ جواب عما يقال: إن هذه الأشياء لم تحصل، فأجاب: بأن ذلك لتحقق^(١) الوقوع؛ أي: لأن الله سبحانه وتعالى عالم بما كان وما يكون وما هو كائن؛ فالماضي والمستقبل في علمه على حد سواء.

قوله: ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ أي: في الرأي.

قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ أي: في تكذيب الرسل والدخول في دينكم.

قوله: ﴿مِنْ﴾ الأولى: للتبيين... إلخ أي: والكلام فيه تقديم وتأخير، والتقدير: فهل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله؟

قوله: ﴿قَالُوا﴾ أي: جواباً لهم واعتذاراً عما فعلوا بهم.

قوله: ﴿لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ﴾ أي: لو وصلنا الله لدار السعادة في الدنيا بالإيمان.. لهديناكم، لكن حصل لنا الضلال فأضللناكم، فاخترنا لكم ما لأنفسنا.

قوله: ﴿سُوءًا عَلَىٰ نَفْسِنَا أَوْ جَزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾ هذا من كلام جميع الكفار؛ الأتباع والرؤساء، ويؤيده

(١) في (أ): (للتحقق)، والمثبت من (ط) (٢).

مَحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي

﴿مَحِيصٍ﴾ : مَلَجًا .

﴿٢٢﴾ ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ : إِبْلِيسُ ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ وَأَدْخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ بِالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ فَصَدَقَكُمْ ، ﴿وَوَعَدْتُكُمْ﴾ أَنَّهُ غَيْرُ كَائِنٍ ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ﴾ - زائدة - ﴿سُلْطَانٍ﴾ : قُوَّةٌ وَقُدْرَةٌ أَقْهَرُكُمْ عَلَى مُتَابَعَتِي ﴿إِلَّا﴾ : لَكِنْ ﴿أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي

حاشية الصاوي

ما روي : «أنهم يقولون: تعالوا نجزع، فيجزعون خمس مئة عام فلا ينفعهم، فيقولون: تعالوا نصبر، فيصبرون كذلك فلا ينفعهم، ثم يقولون: سواء علينا... إلخ»^(١)، والجزع: القلق وعدم تحمُّل الشدائد.

قوله: (ملجاً) أي: محل هروب نلتجئ له.

قوله: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ أي: حين يُوضع له منبرٌ من نار في النار، فيجتمع عليه أهل النار يلومونه، فيقول لهم: إن الله وعدكم... إلخ.

قوله: ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي: نفذ قضاؤه باستقرار أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار.

قوله: ﴿وَعَدَ الْحَقِّ﴾ أي: الوعد الثابت الناجز، وليس المراد: الوعد بالخير، بل المراد به:

الجزاء والبعث.

قوله: (فصدقكم) أشار بذلك إلى أن في الكلام حذفاً؛ بدليل قوله: ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾.

قوله: (إنه غير كائن) قدره؛ إشارة إلى أن معمول (وعد) الثاني محذوف.

قوله: ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ أي: تبين خلافه.

قوله: (لكن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع؛ لأنَّ دعوته ليست من جنس السلطان.

قوله: ﴿فَلَا تَلُمُونِي﴾ أي: على وسوستي لكم.

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٢٤٠/٧) عن سيدنا كعب بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً.

وَلَوْ مُوًّا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُغِيثِكُمْ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ
إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا

وَلَوْ مُوًّا أَنْفُسَكُمْ ﴿﴾ على إجابتي، ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾: بِمُغِيثِكُمْ ﴿﴾ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ﴿﴾ - بفتح
الياء وكسرها -، ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾: بِإِشْرَاكِكُمْ إِيَّايَ مَعَ اللَّهِ ﴿﴾ مِنْ قَبْلُ ﴿﴾
فِي الدُّنْيَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾: الْكَافِرِينَ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤْلِمٌ.

﴿٢٣﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ ﴿﴾ - حَال
مُقَدَّرَةٌ - ﴿فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَوْ مُوًّا أَنْفُسَكُمْ﴾ (أي: وبئوها على اتباعي؛ فإني لم أكن مُكْرِهاً لكم على اتباعي،
بل جاءتكم البيّنات والرسُل، وسمعتُم الدَّلَائلَ الظَّاهِرةَ على توحيد الله، فتركتموها واتبعتموني.
قوله: (على إجابتي) أي: ومخالفة ربكم.
قوله: (بمغيثكم) أي: من العذاب.

قوله: (بفتح الياء وكسرها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١)، والأصل: بمصْرِخِينَ لي، حذفت
اللام للتخفيف، والنون للإضافة، فاجتمع مثلاًن، أدغم أحدهما في الآخر، فحركات ياء الإضافة
بالفتح؛ طلباً للخفة على إحدى القراءتين، وكُسرت على أصل التخلص من التقاء الساكنين
على الأخرى.

قوله: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾ (أي: تبرأت وأنكرت إشراككم إِيَّايَ مَعَ اللَّهِ؛ حيث
أطعتموني في وسوستي لكم بالشرك، فكانهم أشركوه مع الله).

قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أنه ليس من كلام إبليس، وقيل: مِنْ كَلَامِهِ.

قوله: ﴿وَأَدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (لما ذكر أحوال الأشقياء.. شرع في ذكر أحوال السعداء).

قوله: (حال مقدرة) أي: مقدّرين الخلود، وتقديرُ الخلود عند الدخول من تمام النعيم.

قوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ (متعلق بـ(أدخل)).

(١) قرأ حمزة بكسر الياء، والباقون بالفتح. انظر «الدر المصون» (٨٨/٧).

سَلَّمَ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا

مِنْ اللَّهِ وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ وَفِيمَا بَيْنَهُمْ ﴿سَلَّمَ﴾ .

﴿٢٤﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ : تَنْظُرُ ﴿كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ - وَيُبَدِّلُ مِنْهُ - : ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ أي : لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هِيَ النَّخْلَةُ ، ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ فِي الْأَرْضِ ﴿وَفَرْعُهَا﴾ : غُصْنُهَا ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ .

﴿٢٥﴾ ﴿تُؤْتِي﴾ : تُعْطِي ﴿أُكْلَهَا﴾ : ثَمَرَهَا ﴿كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ : بِإِرَادَتِهِ ، كَذَلِكَ كَلِمَةُ الْإِيمَانِ ثَابِتَةٌ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ

حاشية الصاوي

قوله : (من الله) قال تعالى : ﴿سَلَّمَ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس : ٥٨] .

قوله : (وفيما بينهم) أي : ومن الملائكة أيضاً ، قال تعالى : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ ﴿سَلَّمَ عَلَيْهِمْ﴾ [الرعد : ٢٣-٢٤] .

قوله : ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الخطاب إمّا للنبي ، أو لكل مَنْ يَتَأَتَّى مِنْهُ الْخُطَابُ .

قوله : ﴿مَثَلًا﴾ المَثَلُ : تَشْبِيهُ مَجْهُولٍ بِمَعْلُومٍ ؛ لِيُقَاسَ عَلَيْهِ .

قوله : (أي : لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) خَصَّهَا بِالذِّكْرِ ؛ لِأَنَّهَا مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ الْإِيمَانُ إِلَّا بِهَا ، وَقِيلَ : كُلُّ كَلِمَةٍ حَسَنَةٍ كَالْتَسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

قوله : ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ أي : عُرْوَتُهَا ثَابِتَةٌ فِي الْأَرْضِ مَاكُثَّةٌ فِيهَا حَتَّى إِنَّهَا لَا تَحْتَاجُ لِسَقْيٍ ، بَلْ تَشْرَبُ مِنْ عُرْوَتِهَا .

قوله : ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي : لُجَّةُ الْعُلُوِّ .

قوله : ﴿كُلَّ حِينٍ﴾ اِخْتَلَفَ فِي مِقْدَارِهِ ؛ فَقِيلَ : الْحِينُ : كُلُّ سَنَةٍ ؛ لِأَنَّ النَّخْلَةَ تُثْمِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً ، وَقِيلَ : سِتَّةَ أَشْهُرٍ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ وَقْتِ طُلْعِهَا إِلَى طَيِّبِهَا كَذَلِكَ ، وَقِيلَ : ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ ؛ لِأَنَّ حَمْلَهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا كَذَلِكَ ، وَقِيلَ : أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ حِينِ ظَهُورِهَا - أَي : إِدْرَاكِهَا - كَذَلِكَ ، وَقِيلَ : شَهْرَانِ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ وَقْتِ أَكْلِهَا إِلَى قَطْعِ ثَمَرِهَا كَذَلِكَ ، وَقِيلَ : كُلُّ وَقْتٍ ؛ لِأَنَّ ثَمَرَ النَّخْلِ يُوَكَّلُ دَائِمًا ، فَيُوَكَّلُ مِنْهَا الطَّلَعُ وَالْبَلَحُ وَالْبَسْرُ وَالرُّطْبُ وَالتَّمْرُ ، وَهُوَ الْأَوَّلَى .

وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَيِّثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ
أَجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾

وَعَمَلُهُ يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ وَيَنَالُهُ بَرَكَتُهُ وَثَوَابُهُ كُلَّ وَقْتٍ، ﴿وَيَضْرِبُ﴾: يُبَيِّنُ ﴿اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يَتَعَذَّبُونَ فَيُؤْمِنُونَ.

﴿٢٦﴾ ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَيْثَةٍ﴾ هِيَ كَلِمَةُ الْكُفْرِ ﴿كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ﴾ هِيَ الْحَنْظَلُ ﴿أَجْتُثَّتْ﴾:
اسْتُؤْصِلَتْ ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾: مُسْتَقَرٌّ وَثَبَاتٌ، كَذَلِكَ كَلِمَةُ الْكُفْرِ لَا ثَبَاتَ
لَهَا وَلَا فَرْعَ وَلَا بَرَكَه.

حاشية الصاوي

قوله: (وعمله يصعد إلى السماء) قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾
[فاطر: ١٠]، ووجه الشبه بين الإيمان والشجر: أَنَّ الشجرة لها عرقٌ راسخٌ، وفرعٌ عالٍ، وثمرٌ يؤكل،
والإيمان تصديقٌ بالقلب، وقولٌ باللسان، وعملٌ بالأبدان؛ فإذا أكثر الإنسان من ذكر هذه الكلمة..
ظهرت عليه أنوارها، ولمعت في فؤاده أسرارها، فدام نفعها بها في العاجل والآجل، ومن هنا
اختصَّ الصوفية بها؛ بمعنى: أنهم تلقَّوها من أشياخهم بالسند المتصل، وتعلَّقوا بها، فصارت
شعارهم ودثارهم؛ ولذا قال السنوسي: (فعلى العاقل أن يكثر من ذكرها مستحضراً لما احتوت عليه
من المعاني حتى تمتزج مع معناها بلحمه ودمه؛ فإنه يرى لها من الأسرار والعجائب ما لا يدخل
تحت حصر) (١).

قوله: (هي كلمة الكفر) أي: كل ما يدل عليه.

قوله: (هي الحنظل) حكمة التشبيه بها: أنها لا تغوص في الأرض، بل عروقتها في وجه الماء،
ولا غصون لها تصعد إلى جهة السماء، بل ورقها يمتدُّ على الأرض كشجر البطيخ، وثمرها رديءٌ،
وتسميتها شجراً مُشاكلة؛ لأنها من النجم لا من الشجر؛ لأنَّ الشجر: ما له ساقٌ، والنجم:
ما لا ساق له.

قوله: ﴿أَجْتُثَّتْ﴾ أي: قُلعت جُثتها، والمعنى على التشبيه؛ أي: كأنها لعدم ثبات أصلها
وامتدادها على الأرض كالشيء المقلوع جُثته.

يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ
الظَّالِمِينَ

﴿٢٧﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴿﴾ هِيَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ ﴿﴾ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ ﴿﴾ أَي: فِي الْقَبْرِ لَمَّا يَسْأَلُهُمُ الْمَلَكَانِ عَنْ رَبِّهِمْ وَدِينِهِمْ وَنَبِيِّهِمْ، فَيُجِيبُونَ بِالصَّوَابِ
كَمَا فِي حَدِيثِ الشَّيْخَيْنِ، ﴿﴾ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴿﴾: الْكُفَّارَ فَلَا يَهْتَدُونَ لِلْجَوَابِ بِالصَّوَابِ،
بَلْ يَقُولُونَ: لَا نَدْرِي كَمَا فِي الْحَدِيثِ،
حاشية الصاوي

قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هذا راجع للمثل الأول.

قوله: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أَي: فَلَا يَتَزَلْزَلُونَ عَنِ الدِّينِ إِذَا ابْتُلُوا بِالمَصَائِبِ؛ كَالْقَتْلِ وَأَخْذِ
الْمَالِ وَفَقْدِ الْأَحْبَابِ وَالفِتَّانَاتِ^(١) عِنْدَ الْمَوْتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَهَذِهِ بُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ إِيْمَانَهُمْ ثَابِتٌ
فِي قُلُوبِهِمْ لَا يَتَزَلْزَلُ أَبَدًا، بَلْ يُثَبِّتُهُمُ اللَّهُ دُنْيَا وَآخِرَى.

قوله: (أَي: فِي الْقَبْرِ) خَصَّهُ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ بَعْدَ سُؤَالِهِ لَا يَفْتَنُونَ فِي التَّوْحِيدِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ
حِسَابُهُمْ فِي الْمَوْقِفِ عَلَى فُرُوعِ الدِّينِ.

قوله: (لَمَّا يَسْأَلُهُمُ الْمَلَكَانِ) أَي: حِينَ يَحْيِي اللَّهُ الْمَيِّتَ حَتَّى يَسْمَعَ قَرْعَ نَعَالِ مَنْ كَانَ مَاشِيًا
فِي جَنَازَتِهِ، فَيَقْعِدَانِهِ وَيَقُولَانِ لَهُ: «مَا رَبُّكَ، وَمَا دِينُكَ، وَمَا نَبِيُّكَ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ.. فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ،
وَدِينِي الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: نَمْ نَوْمَةَ الْعُرُوسِ؛ قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمَوْقِنًا،
وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ.. فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُ مِثْلَ مَا يَقُولُونَ،
فَيُضْرَبَانِهِ بِمِطْرَاقٍ مِنْ نَارٍ، فَيَصْبِحُ صَبِيحَةً يَسْمَعُهُ كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ غَيْرِ الثَّقَلَيْنِ، وَيَقُولَانِ لَهُ:
لَا دَرِيْتَ وَلَا تَلَيْتَ»^(٢).

(١) كَذَا جَمَعَهُ فِي الْأَصُولِ، وَلَعَلَّ الْأَوَّلَى (فُتَّان) كَ(رُمَّان)، وَفِي الْحَدِيثِ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» (٣٠٧٠): «الْمُسْلِمُ
أَخُو الْمُسْلِمِ يَتَعَاوَنَانِ عَلَى الْفُتَّانِ» يَرُوى بِضَمِّ الْفَاءِ وَفَتْحِهَا، فَالضَّمُّ: جَمْعُ فَاتْنٍ؛ أَي: يُعَاوَنُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ عَلَى
الَّذِينَ يُضِلُّونَ النَّاسَ عَنِ الْحَقِّ وَيَقْتَنُونَهُمْ، وَبِالْفَتْحِ هُوَ الشَّيْطَانُ؛ لِأَنَّهُ يَفْتِنُ النَّاسَ عَنِ الدِّينِ. انْظُرْ «تَاجَ الْعُرُوسِ»،
مَادَّةُ (فَتْنٍ)، وَ«النَّهْيَاة» لِابْنِ الْأَثِيرِ (٤١٠/٣).

(٢) كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٣٧٤)، وَمُسْلِمٌ (٧٣١٨) عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ، وَقَوْلُهُ: (وَلَا تَلَيْتَ) أَصْلُهُ: (تَلَوْتُ)
بِالْوَاوِ، وَالمُحَدَّثُونَ إِنَّمَا يَرَوُونَهُ بِالْيَاءِ لِلزَّادِ وَاجٍ؛ أَي: لَا فَهَمْتُ وَلَا قَرَأْتُ الْقُرْآنَ، أَوْ الْمَعْنَى: لَا دَرِيْتَ وَلَا اتَّبَعْتُ
مَنْ يَدْرِي. «إِرْشَادُ السَّارِي» (٤٦٤/٢).

وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَنَسُّ الْقَرَارَ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾.

(﴿٢٨﴾ - ﴿٢٩﴾) ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَنْظُرُ ﴿إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ أي: شُكْرَهَا ﴿كُفْرًا﴾ هُمْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ، ﴿وَأَحَلُّوا﴾: أَنْزَلُوا ﴿قَوْمَهُمْ﴾ بِإِضْلَالِهِمْ إِيَّاهُمْ ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾: الْهَلَاكُ، ﴿جَهَنَّمَ﴾ - عَطْفٌ بَيَانٍ - ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: يَدْخُلُونَهَا ﴿وَيَنَسُّ الْقَرَارَ﴾: الْمَقَرُّ هِيَ. ﴿٣٠﴾ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا﴾: شُرَكَاءَ ﴿لِيُضِلُّوا﴾.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: يَحْكُمُ، لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ، وَهُوَ جَوَابٌ عَنْ سُؤَالٍ مُقَدَّرٍ تَقْدِيرُهُ: لَمْ هَدَى هَؤُلَاءِ وَأَضَلَّ هَؤُلَاءِ؟! فَأُجَابُ: بِأَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ؛ فَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ. قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهامٌ تَعْجِيبٌ، وَهُوَ خُطَابٌ لِرَسُولِ اللَّهِ وَلِكُلِّ عَاقِلٍ. قوله: (أي: شُكْرَهَا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ. قوله: (هم كفار قريش) أي: فَنِعِمَّ اللَّهُ الَّتِي بَدَّلُوا شُكْرَهَا كُفْرًا: كَوْنُ نَسَبِهِمْ أَشْرَفَ الْأَنْسَابِ، وَيَلِدُهُمْ أَشْرَفُ الْبِلَادِ، وَكَوْنُ الْخَلْقِ تَسْعَى إِلَيْهِمْ، وَلَا يَسْعَوْنَ، فَبَدَّلُوا ذَلِكَ؛ حَيْثُ كَذَّبُوا خَيْرَ الْخَلْقِ، وَعَبَدُوا الْأَصْنَامَ.

قوله: ﴿قَوْمَهُمْ﴾ أي: أَتْبَاعَهُمْ.

قوله: ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ يُقَالُ: بَارِ يَبُورُ بُورًا بِالضَّمِّ: هَلَكٌ، وَبَارَ الشَّيْءُ بَوَارًا: كَسَدَ، فَأُطْلِقَ الْإِلَازِمَ وَأَرِيدَ الْمَلْزُومَ؛ لِأَنَّهُ يَلْزَمُ مِنَ الْكِسَادِ الْهَلَاكُ.

قوله: ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ حالٌ مِنَ الْقَوْمِ.

قوله: ﴿وَجَعَلُوا﴾ عَطْفٌ عَلَى ﴿بَدَّلُوا﴾.

قوله: ﴿أُنْدَادًا﴾ جَمْعُ نَدٍّ يَعْنِي: النِّظِيرَ.

قوله: ﴿لِيُضِلُّوا﴾ اللَّامُ: لِلْعَاقِبَةِ وَالصِّيْرُورَةِ؛ لِأَنَّ اتِّخَاذَهُمُ الْأُنْدَادَ لَيْسَ لِأَجْلِ الضَّلَالِ، بَلْ لِكُونِهِمْ يُقَرَّبُونَهِمْ إِلَى اللَّهِ زَلْفَى.

عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ

- يَفْتَحُ الْيَاءَ وَضَمُّهَا - ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾: دِينِ الْإِسْلَامِ، ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿تَمَتَّعُوا﴾ بِدُنْيَاكُمْ قَلِيلًا ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ﴾: مَرْجِعَكُمْ ﴿إِلَى النَّارِ﴾.

﴿٣١﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ

حاشية الصاوي

قوله: (بفتح الياء وضمها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١)، والمعنى: لِيُضِلُّوا في أنفسهم، وهذا على الفتح، أو لِيُضِلُّوا غيرهم، وهذا على الضم.

قوله: (بدنياكم) أي: أو عبادتكم الأصنام؛ لأنها من جملة الشهوات التي يتمتع بها، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ فإن هذا تهديد لكل ظالم.

قوله: ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ أي: مآلكم إليها.

قوله: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ﴾ بثبوت الياء مفتوحة، وبحذفها لفظاً لا خطأ، قراءتان سبعيتان هنا وفي أربعة مواضع من القرآن: في سورة (الأنبياء) في قوله: ﴿أَنْتَ الْآرِضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وفي (العنكبوت) في قوله: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، وقوله في (سبأ): ﴿وَقِيلَ مَنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، وقوله في سورة (الزمر): ﴿قُلْ يَعْجَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٣]^(٢)، والإضافة في (عبادي) للتشريف؛ ولذا قال العارف^(٣): [الوافر]

وَمَا زَادَنِي شَرْفًا وَتِيهَا وَكِدْتُ بِأَحْمَصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا

دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ: يَا عَبَادِي وَأَنْ صَيَّرْتُ أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا

قوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: اتَّصَفُوا بِالْإِيمَانِ، وفي ذلك إشارة إلى أَنَّ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَغَيْرَهُمَا مِنْ وَجْهِ الْبَرِّ... لا تكون إلا لمن اتصف بالإيمان؛ فلا تنفع الكافر في حال كفره، فلا يُنافي أنه مخاطب بفروع الشريعة، لكن لا تصح منه إلا بالإسلام، وفائدة خطابه بها: أنه يُعَذَّبُ عليها زيادةً على عذاب الكفر؛ بدليل قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَوْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَكُ نَطْلِعُ مِنَ السِّكِّينَ... [المدثر: ٤٢-٤٤] الآية.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء، والباقون بضم الياء. انظر «السراج المنير» (١٨١/٢).

(٢) قرأ الشامي وحمزة والكسائي وروح بإسكان الياء، فتسقط وصلًا وتثبت وقفًا، والباقون بفتحها وصلًا، وإسكانها وقفًا. انظر «البدور الزاهرة» (ص ١٧٤).

(٣) نسبهما مُلا علي القاري في «مرقاة المفاتيح» (٩/١) للقاضي عياض.

وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ

وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ: مُخَالَةٌ أَي: صَدَاقَةٌ تَنْفَعُ، هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

﴿٣٢﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أي: النَّفَقَةُ الواجبة كالزكاة، والمندوبة كالتطوعات، وقوله: ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ أي: فالإنسان مخير في الإنفاق إمَّا سِرًّا أو جَهْرًا، لكن الأفضل في الواجبة الجهر؛ لثلاثتهم بَقْلَةُ الدين، وفي التطوعات السِّرُّ؛ لِكَوْنِهِ أَقْرَبَ إِلَى الْإِخْلَاصِ.

قوله: (فداء) مشى المفسر على أن المراد بـ(البيع): الفداء، ومشى غيره على إبقاء (البيع) على ظاهره؛ أي: لا شيء يُبَاعُ فِيهِ لِلْفِدَاءِ.

قوله: (مُخَالَةٌ) أشار المفسر إلى أن قوله: ﴿خِلَالٌ﴾ مصدر بمعنى: المخَالَة، وقال غيره: إن ﴿خِلَالٌ﴾ جمع خُلَّةٍ؛ كـ(قِلَال) جمع (قُلَّة).

قوله: (أي: صداقة تنفع) هذا محمولٌ على الكفار؛ بدليل آية (الزخرف): ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، فالمتَّقون لهم الأخلاء يوم القيامة، وفي القبور، وفي كل موطن مَخُوفٍ، والكفار قد تَقَطَّعت بهم الأسباب؛ فليس لهم أخلاء نافعون أصلاً.

قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ شروعٌ في ذكر دلائل وحدانيته تعالى واتصافه بالكمالات، وهذه الآيات مشتملة على عشرة أدلة.

قوله: ﴿مِنْ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي: فمَاءُ الْمَطَرِ مِنَ السَّمَاءِ؛ كما ذكره أهل السنة^(١).

قوله: ﴿مِنْ الثَّمَرَاتِ﴾ المراد بها: ما يَشْمَلُ المَطْعُومَ والملبوس.

قوله: ﴿رِزْقًا لَكُمْ﴾ حال من ﴿الثَّمَرَاتِ﴾.

لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ
وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ

السُّفُنَ ﴿لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ﴾ بِالرُّكُوبِ وَالْحَمْلِ ﴿بِأَمْرِهِ﴾: بِإِذْنِهِ، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾.
﴿٣٢﴾ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾: جَارِيَيْنِ فِي فَلَكَيْهِمَا لَا يَفْتُرَانِ، ﴿وَسَخَّرَ
لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ لِتَسْكُنُوا فِيهِ، ﴿وَالنَّهَارَ﴾ لِتَبْتَغُوا فِيهِ مِنْ فَضْلِهِ.
﴿٣٣﴾ ﴿وَأَتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (السفن) أي: الكبار والصغار، وقوله: (بالركوب) أي: على ظهورها، وقوله:
(والحمل) أي: حمل الأثقال من محلٍّ إلى آخر.

قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ جمع نهر؛ أي: ذلَّلها لكم في جميع الأرض على ما تشتهي
أنفسكم.

قوله: ﴿دَائِبَيْنِ﴾ الدَّابُّ: العادة المستمرة دائماً على حالة واحدة، والمعنى: أن الله سَخَّرَ
الشمس والقمر يجريان من يوم خلقهما الله، لا يختلان ولا يتغيَّران عن سِيرهما إلى آخر الدهر؛
فالشمس نعمة النهار، والقمر نعمة الليل، وهما منافع للعالم، بهما يَهْتَدُونَ، ويعرفون السنين
والحساب، وتطيب ثمارهم وزرُوعاتهم، فهما سببٌ عادي لنفع العالم، يُوجد النفع عندهما لا بهما.
قوله: (لا يَفْتُرَانِ) أي: لا يَضْعِفَانِ ولا يَنْكسرَانِ.

قوله: (في فلكهما) أي: محلَّهما ومقرَّهما، وهو السماء الرابعة للشمس، وسماء الدنيا للقمر.

قوله: (لتسكنوا فيه) أي: تطمئنوا فيه من تعب النهار.

قوله: (لتبتغوا من فضله) أي: تسعوا في معاشكم ومعادكم، قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ
الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [القصص: ٧٣].

قوله: ﴿وَأَتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ عطف عام على خاص، و(من): قيل: صلة
على مذهب الأخفش من زيادتها في الإثبات^(١)؛ أي: آتاكم كلَّ ما سألتموه، وقيل: تبعيضية؛ أي:
آتاكم بعض كل ما سألتموه؛ أي: احتجتم إليه ولو لم يحصل سؤال بالفعل، فالمراد: شأنكم تسألون

(١) وجمهور البصريين لا يجيزون زيادتها إلا في النفي، إذا جرَّت نكرة.

وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا

على حَسَبِ مَصَالِحِكُمْ، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ بِمَعْنَى إِنْعَامِهِ ﴿لَا تَحْصُوهَا﴾: لَا تُطِيقُوا عَدَّهَا، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ الْكَافِرَ ﴿لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾: كَثِيرُ الظُّلْمِ لِنَفْسِهِ بِالْمَعْصِيَةِ وَالْكَفْرِ لِنِعْمَةِ رَبِّهِ.

﴿٣٥﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾: مَكَّةَ ﴿آمِنًا﴾: ذَا أَمْنٍ،

حاشية الصاوي

عنه لا احتياجكم إليه؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَعْطَانَا النِّعَمَ مِنْ غَيْرِ سَوْأَلٍ مِنَّا، والمعنى: أَعْطَى اللَّهُ كُلَّ فَرْدٍ فَرْدٍ بَعْضَ كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعَالَمُ، فَأَصُولُ النِّعَمِ اشْتَرَكُ فِيهَا جَمِيعُ الْعَالَمِ؛ عُقْلَاءٌ وَغَيْرُهُمْ، مُسْلِمِينَ وَكُفَرَاءً. و(ما): يَحْتَمِلُ أَنَّهَا مُوصُولَةٌ، وَهُوَ الْأَتَمُّ، وَالتَّقْدِيرُ: بَعْضُ كُلِّ الَّذِي سَأَلْتُمُوهُ، أَوْ مُصَدَّرَةٌ، وَالتَّقْدِيرُ: بَعْضُ كُلِّ مَسْئُولِكُمْ.

قوله: (على حسب مصالحكم) جوابٌ عَمَّا يُقَالُ: إِنَّ الْإِنْسَانَ لَمْ يُعْطَ بَعْضُ كُلِّ مَا سَأَلَ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَسْأَلُ السُّلْطَنَةَ مِثْلًا وَلَا يُعْطَاهَا، فَأَجَابَ: بِأَنَّ هَذِهِ الْعَطِيَّةَ لَيْسَتْ عَلَى حَسَبِ مَا يَصْلُحُ لِلْعَبْدِ، بَلْ عَلَى حَسَبِ مُرَادِ اللَّهِ تَعَالَى، فَعَطَايَاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى حَسَبِ مُرَادِهِ فِي خَلْقِهِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ رِزْقَهُ وَاسِعًا، وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ رِزْقَهُ ضَيِّقًا... وهكذا.

قوله: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ أي: أَفْرَادَهَا؛ فَإِنَّهَا غَيْرُ مَتْنَاهِيَّة.

قوله: (بمعنى: إنعامه) أشار بذلك إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالنِّعْمَةِ: الْإِنْعَامُ، وَهُوَ صِفَةُ فِعْلٍ، وَدَفَعَ بِذَلِكَ مَا يُقَالُ: كَيْفَ يَقُولُ اللَّهُ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ مَعَ أَنَّ كُلَّ نِعْمَةٍ دَخَلَتْ الْوُجُودَ مَتْنَاهِيَّةً وَيُمْكِنُ عَدُّهَا؟! فَأَجَابَ: بِأَنَّ الْمُرَادَ بِالنِّعْمَةِ: الْإِنْعَامُ؛ بِمَعْنَى: تَجَدُّدُهَا شَيْئًا فَشَيْئًا.

قوله: (الكافر) المراد به: أَبُو جَهْلٍ؛ لِأَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ، وَالْعَبْرَةُ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ.

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ (إِذْ): ظَرْفٌ مَعْمُولٌ لِمَحْذُوفٍ، قَدَّرَهُ الْمُفَسِّرُ بِقَوْلِهِ: (اذْكُرْ)، وَهُوَ خُطَابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ أَي: اذْكُرْ لَهُمْ قِصَّةَ إِبْرَاهِيمَ وَدَعْوَاتِهِ لِسَاكِنِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَلِإِبْنَيْهِ لَعَلَّهُمْ يَتَعَبَّرُونَ، فَيَنْزَجِرُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ لَمْ يَتَعَبَّرُوا... فَقَدْ تَعَرَّضُوا لِمَا يَحِلُّ بِهِمْ.

قوله: ﴿هَذَا الْبَلَدَ﴾ قَالَ الْأَشْيَاخُ: حِكْمَةٌ تَعْرِيفُ الْبَلَدِ هُنَا، وَتَنْكِيرُهَا فِي (الْبَقَرَةِ): أَنَّ إِبْرَاهِيمَ

وقد أجاب الله دُعَاءَهُ، فَجَعَلَهُ حَرَمًا لَا يُسْفَكُ فِيهِ دَمُ إِنْسَانٍ وَلَا يُظْلَمُ فِيهِ أَحَدٌ، وَلَا يُصَادُ صَيْدُهُ وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهُ،

حاشية الصاوي

تَكَرَّرَ مِنْهُ الدُّعَاءُ؛ فَمَا فِي (البقرة) كَانَ قَبْلَ بَنَائِهَا، فَطَلَبَ مِنْ اللَّهِ أَنْ تَجْعَلَ بَلَدًا، وَأَنْ تَكُونَ آمِنًا، وَمَا هُنَا بَعْدَ بَنَائِهَا، فَطَلَبَ مِنْ اللَّهِ أَنْ تَكُونَ آمِنًا^(١).

قوله: (لَا يَسْفَكُ فِيهِ دَمُ إِنْسَانٍ) أَي: لَا يَتِمَكَّنُ مِنْهُ جَبَارٌ بِقَصْدِ إِهَانَةِ الْبَيْتِ وَأَهْلِهِ، وَمَا وَقَعَ مِنَ الْحَجَّاجِ فِي مُقَاتَلَتِهِ لَابْنِ الزَّبِيرِ وَهَدْمِهِ الْبَيْتِ.. إِنَّمَا كَانَ بِقَصْدِ التَّعْظِيمِ لِلْبَيْتِ؛ بِسَبَبِ دَعْوَاهُ: أَنَّ ابْنَ الزَّبِيرِ كَانَ مَخْطُئًا فِي بَنَائِهِ الْبَيْتَ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ، وَقوله: (لَا يَسْفَكُ فِيهِ دَمُ إِنْسَانٍ) أَي: وَلَوْ قِصَاصًا، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ، وَإِنَّمَا يُضَيَّقُ عَلَيْهِ لِيُخْرِجَ، فَإِذَا خَرَجَ.. اقْتَصَرَ مِنْهُ^(٢).

قوله: (وَلَا يُظْلَمُ فِيهِ أَحَدٌ) أَي: وَمَنْ تَجَرَّأَ وَظَلَمَ فِيهِ.. تَعَرَّضَ لِعَذَابِ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

قوله: (وَلَا يَصَادُ صَيْدُهُ) أَي: يَحْرَمُ صَيْدُ الْبَرِّ فِي الْحَرَمِ عَلَى كُلِّ شَخْصٍ، مُحَرَّمًا أَوْ غَيْرِهِ.

قوله: (وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهُ) أَي: لَا يُقَطَّعُ حَشِيشُهُ النَّابِتُ بِنَفْسِهِ، وَاسْتَثْنَى الْعُلَمَاءُ مِنْ ذَلِكَ الْإِذْخَرَ وَالسَّنَا وَالسَّوَاكَ وَالْعَصَا، وَقَطَعَ الشَّجَرُ لِلْبِنَاءِ مُحَلَّةً؛ لِأَنَّهُ يَنْبَغِي تَوْسِيعُهُ.

إِنْ قُلْتَ: إِنْ قَوْلُهُ: ﴿ءَامِنًا﴾ يَعَارِضُهُ مَا رَوَى: «أَنَّ ذَا السَّوِيقَتَيْنِ يُخْرِبُ الْبَيْتَ وَيُخَيِّفُ أَهْلَهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ»^(٣).

أَجِيب: بِأَنَّ مَعْنَى الْأَمْنِ: الطَّمَأْنِينَةُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا مِنْ سَطَوَاتِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ لِلْحَيَوَانِ الْعَاقِلِ وَغَيْرِهِ؛ فَلَا يَنَافِي حُدُوثُ النُّوَادِرِ مِنْ بَعْضِ الْجَبَابِرَةِ.

وَأَجِيبْ أَيْضًا: بِأَنَّ الْمُرَادَ: الْأَمْنُ مِنَ الْخَرَابِ إِلَى قُرْبِ السَّاعَةِ؛ فَإِنَّ ذَا السَّوِيقَتَيْنِ يُخْرِبُ الْكَعْبَةَ قُرْبَ السَّاعَةِ بَعْدَ مَوْتِ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فائدة:

قول إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ...﴾ إلخ يقتضي أَنْ دَابَّهَ الدُّعَاءُ، وَمَا وَرَدَ مِنْ قَوْلِهِ حِينَ

(١) انظر «الفتوحات» (٥٥٢/٢) نقلًا عن «حاشية العلامة الكرخي على الجلالين».

(٢) انظر «حاشية ابن عابدين» (٦٢٥/٢).

(٣) رواه البخاري (١٥٩٦)، ومسلم (٧٤١١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنِّي أَخْلَلْتُ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ يَتَعَنَّى

﴿وَأَجْنِبْنِي﴾: بَعْدَنِي ﴿وَبَنِيَّ﴾ عَنْ ﴿أَنْ نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾.

﴿٣٦﴾ ﴿رَبِّ إِنِّي أَخْلَلْتُ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ بِعِبَادَتِهِمْ لَهَا، ﴿فَمَنْ يَتَعَنَّى﴾

حاشية الصاوي

ألقي في النار: «حسبي من سؤالي علمه بحالي»^(١) يقتضي أنه لم يكن دأبه الدعاء؛ فما السرُّ في ذلك؟

أجيب: بأنه كان في زمن إلقائه في النار في مقام الفناء والسكر، وهو: الغيبة عن شهود الخلق بشهود الحق؛ فلا يشهد أثراً، وفي زمن دعائه في مقام البقاء وجمع الجمع، وهو: البقاء بالله؛ بمعنى: شهود الآثار بعد شهود مؤثرها، فمقامه في حال دعائه أعلى وأجلُّ من مقامه في حال تركه له، ولا يقاس بمقامات الأنبياء مقام، بل بدايتهم أعلى وأجلُّ من نهاية غيرهم؛ فالأولياء وإن عظموا لا يصلون لأدنى رتب الأنبياء، وأمّا قول أبي الحسن الشاذلي: (واقرب منِّي بقدرتك قرباً تمحق به عني كل حجاب محقته عن إبراهيم خليلك... إلخ)^(٢). . فمعناه: قرباً معنوياً يليق بي، لا كقرب الخليل؛ فقد طلب من الله أن يُذيقه قطرة من بحار تجلياته التي تجلّى بها على الخليل حتى أسكره فلم يشهد شيئاً سواه.

قوله: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ﴾ المراد: أولاده وأولاد أولاده كإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط.

إن قلت: إن الأنبياء معصومون من الشرك؛ ففي دعائه تحصيل الحاصل؟

والجواب الأتم: أن دعاءه تشريع وتعليم وتذلل وتواضع مع كونه يعلم عصمة نفسه، ويقال مثل هذا في دعوات باقي الأنبياء بالنجاة مما هم معصومون منه؛ كعذاب النار، وغضب الجبار، ونحو ذلك.

قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي أَخْلَلْتُ﴾ كرّر النداء؛ تأكيداً.

قوله: (بعبادتهم لها) أشار بذلك إلى أن نسبة الإضلال للأصنام مجاز؛ لأنها سبب في الضلال بسبب عبادتها.

(١) رواه البغوي في «تفسيره» (٣/٢٩٤)، وانظر «كشف الخفاء» (١/٤١١).

(٢) كما في الحزب الكبير من أوراده ﷺ، وتماه: (فَلَمْ يَخْتِجْ لِجِبْرِيلَ رَسُولِكَ وَلَا لِسُؤَالِهِ مِنْكَ، وَحَاجَّتُهُ بِذَلِكَ عَنْ نَارِ عَذْوِهِ، وَكَيْفَ لَا يُحْجَبُ عَنْ مَضَرَّةِ الْأَعْدَاءِ مَنْ غَيَّبَتْهُ عَنْ مَنْفَعَةِ الْأَحْبَاءِ؟).

فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ

على التَّوْحِيد ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾: مِنْ أَهْلِ دِينِي، ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ هذا قَبْلَ عِلْمِهِ أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَغْفِرُ الشُّرْكَ.

﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي ﴿أَي﴾: بَعْضَهَا، وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ مَعَ أُمِّهِ هَاجِرَ ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ هُوَ مَكَّةُ، ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ الَّذِي كَانَ قَبْلَ الطُّوفَانِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ (أي: مَنْسُوبٌ لِي وَمُلْحَقٌ بِي) ^(١).

قوله: (هذا قَبْلَ عِلْمِهِ... إلخ) جوابٌ عَمَّا يُقَالُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ الشُّرْكَ، فَكَيْفَ يَقُولُ: ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؟

وَأُجِيبُ أَيْضاً: بِأَن قَوْلَهُ: ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ (أي: بِغَيْرِ الْكُفْرِ، وَبِأَنَّ طَلِبَ الْغُفْرَانِ لِدُرَيْتِهِ الْكُفَّارِ إِنْ مَاتُوا عَلَى الْإِسْلَامِ).

قوله: (وهو إِسْمَاعِيلُ مَعَ أُمِّهِ هَاجِرِ) وَسَبَبُ ذَلِكَ الْإِسْكَانُ: أَنَّ هَاجِرَ كَانَتْ جَارِيَةً لِسَارَةَ، فَوَهَبَتْهَا لِإِبْرَاهِيمَ، فَوُلِدَتْ مِنْهُ إِسْمَاعِيلُ، فَغَارَتْ سَارَةُ مِنْهَا؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ قَدْ وُلِدَتْ قَطْ، فَانْشَدَتْهُ بِاللَّهِ أَنْ يَخْرِجَهُمَا مِنْ عِنْدِهَا، فَأَمَرَهُ اللَّهُ بِالْوَحْيِ أَنْ يَنْقُلَهَا إِلَى أَرْضِ مَكَّةَ، وَأَتَى لَهُ بِالْبَرَاقِ، فَركبَ عَلَيْهِ هُوَ وَهَاجِرُ وَالطُّفْلُ، فَاتَى مِنَ الشَّامِ وَوَضَعَهُمَا فِي مَكَّةَ عِنْدَ الْبَيْتِ مَكَانَ زَمْزَمَ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ أَحَدٌ وَلَا بِنَاءٌ وَلَا مَاءٌ، ثُمَّ قَامَ إِبْرَاهِيمُ مَنْطَلِقاً، فَتَبِعَتْهُ هَاجِرُ وَقَالَتْ: أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرَكْنِي بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ لَهُ أَنْيْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَلَمْ يَلْتَفِتْ، فَقَالَتْ: اللَّهُ أَمْرُكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَا لَا يُضِيعُنِي، ثُمَّ رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ... إلخ﴾ ^(٢).

قوله: ﴿بِوَادٍ﴾ (أي: فِي وَادٍ، وَالْوَادِي هُوَ: الْمُنْخَفَضُ بَيْنَ الْجِبَلَيْنِ).

قوله: ﴿غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ (أي: لَا يَصْلَحُ لِلزَّرْعِ بِهِ؛ لَكُونِهِ أَرْضاً حَجَرِيَّةً لَا تَنْبِتُ شَيْئاً).

قوله: (الَّذِي كَانَ قَبْلَ الطُّوفَانِ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ تَسْمِيَتَهُ بَيْتاً مُحَرَّماً فِيهِ مَجَازٌ بِاعْتِبَارِ مَا كَانَ، وَيَصَحُّ أَنْ يَكُونَ مَجَازاً بِاعْتِبَارِ مَا يَأْوُلُ إِلَيْهِ الْأَمْرُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيْهِ وَأَعْلَمَهُ أَنَّ هُنَاكَ بَيْتاً حَرَاماً، وَأَنَّهُ سَيَعْمُرُهُ.

(١) كَذَا فِي (أ)، وَفِي (ط) (٢): (مُلْحَقٌ)، وَهِيَ أَوْلَى؛ لِأَنَّهُ اسْمُ مَفْعُولٍ مِنَ (الْحَقِّ بِهِ).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٣٦٤) عَنْ سَيِّدِنَا ابْنِ عَبَّاسٍ ؓ.

رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ
يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾

﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً﴾ : قُلُوباً ﴿مِنَ النَّاسِ تَهْوِي﴾ : تَمِيلُ وَتَحْنُ ﴿إِلَيْهِمْ﴾
قال ابنُ عباس: لو قال: أَفْئِدَةُ النَّاسِ لَحَنَّتْ إِلَيْهِ فَارِسَ وَالرُّومَ وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ، ﴿وَارْزُقْهُمْ
مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ وقد فَعَلَ بِنَقْلِ الطَّائِفِ إِلَيْهِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿رَبَّنَا﴾ كَرَّرَ النداء؛ لَأَنَّ الدعاء ينبغي فيه الإطناب وكثرة الابتهاال.

قوله: ﴿لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ اللام: لام (كي) متعلقة بـ ﴿أَسْكَنْتُ﴾، والمعنى: أسكنتهم بهذا
الوادي الخالي من كل مُرتفق؛ ليشغلوا بأشرف العبادات في أشرف الأماكن، والمراد من الدعاء
بإقامة الصلاة: توفيقهم لأدائها على الوجه الأكمل.

قوله: ﴿تَهْوِي﴾ القراء السبعة على كسر الواو؛ أي: تُسرع وتطير شوقاً إليهم، وقرئ شذوذاً
بفتح الواو^(١)، وخرُجَتْ على زيادة (إلى) أي: تهواهم. وخصَّ الأفئدة بالذكر؛ لَأَنَّ القُلُوبَ سلاطين
الأعضاء، فإذا حَنَّتْ إليهم القُلُوبُ.. سَعَتْ لَهُمُ الأجسام قهراً.

قوله: (تميل وتحن) أشار بذلك إلى أنه ضَمَّنَ ﴿تَهْوِي﴾ معنى (تميل) فعَدَّاهُ بِ(إلى)، وإلَّا.. فهو
يتعدَّى باللام، وفي هذا دعاء للمؤمنين بأن يرزقهم الله حجَّ البيت، ودعاء لسكان مكة من ذريته بميل
الناس إليهم؛ ليرتفقوا بهم ويَنْتَفِعُوا بهم، فقد جمع في هذا الدعاء بين أمر الدين والدنيا للناس
ولذريته.

قوله: (لو قال: «أفئدة الناس...» إلخ) أي: ولكنه لم يقل ذلك فلم يحصل؛ لسابق علم الله
تعالى أنه لا يحنُّ إليهم جميع الناس؛ لوجود الكفار منهم، فإبراهيم دعا بما سيحصل في الخارج
المطابق لما علمه الله.

قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ أي: يَصْرِفُونَ النعم في مصارفها.

قوله: (وقد فعله بنقل الطائف إليه) أي: وهو قطعة من أرض الشام من مكان يقال له: حوران،
بُدلت بقطعة من الحجاز، فصارت العيون والأشجار بالطائف، والحجارة والحصى والقفر بأرض
حوران يشاهده كلُّ مَنْ رآه، وهو إجابة قوله: ﴿وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾.

(١) وهي قراءة مسلمة بن عبد الله. انظر «المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات» (١/٣٦٤).

رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ

﴿٣٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي : نُسِرُ ﴿وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ﴾ - زائدة - ﴿شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِهِ تَعَالَى أَوْ كَلَامِ إِبْرَاهِيمَ .

﴿٣٩﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي : أَعْطَانِي ﴿عَلَى﴾ : مع ﴿الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ﴾ وُلِدَ وَلَهُ

حاشية الصاوي

وأما قوله : ﴿فَاجْعَلْ أَفْتَدَةً مِنَ النَّاسِ...﴾ إلخ .. فقد حصلت إجابته بجُرْهِمَ، وذلك : أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لما وضع إسماعيل وأُمَّهُ .. تركهما ومعهما جِرَابٌ من تمرٍ، وسقاءٌ من ماء، فلَمَّا نَفَدَ الماء .. عطشت هي وولدها، فصعدت على الصفا؛ لتنظر هل ترى أحداً، فلم ترَ أحداً، فهبطت، ثم أتت المروة، فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً، فلم ترَ أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات؛ ولذلك شَرَعَ السعي بينهما سبْعاً، فعند ذلك جاء جبريل وضرب زمزمَ بجناحيه، فخرج الماء، فجعلت تحوط عليه وتقول: زمي زمي، وفي الحديث: «يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم .. لكانت عيناً مَعِيناً»^(١)، فجعلت تشرب منه، فمكثوا كذلك حتى مرَّت بهم قَبِيلَةٌ من جُرْهِمَ كانوا ذاهبين إلى الشام، فعطشوا فأروا الماء عندها، فقالوا لها: أتأذنين لنا أن ننزلَ عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حقَّ لكم في الماء، فقالوا لها: أشركينا في مائك فنشركك في ألباننا، ففعلت، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم، فلَمَّا شَبَّ إسماعيل .. تعلَّم منهم العربية وكان أنفُسَهُم، فزوَّجوه بامرأة منهم، وماتت أُمُّهُ بعدما تزوَّج .

قوله : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾ (أي: تعلم ما نُسرُّه من جميع أمورنا، وما نظهره منها، والمعنى: تعلم ما نخفي من الوجد بفرقة إسماعيل وأُمِّهِ حيث أسكتتهما بوادٍ غير زرع، وما نُعلن؛ أي: من قول هاجر: الله أمرك بهذا؟ وقولي لها: نعم .

قوله : (يحتمل أن يكون) أي: قوله : ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾؛ فعلى الأول: هو اعتراض بين كلامي إبراهيم، وعلى الثاني: وضع الظاهر موضع المضمَر .

قوله : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ...﴾ إلخ) هذا قاله إبراهيم في وقت آخرَ بعد الدعاء؛ فإنه حين الدعاء لم يكن إسحاق موجوداً، بل كان إسماعيل فقط طفلاً، وحين الحمد كان إسحاق موجوداً، ومعلوم أن بينهما ثلاث عشرة سنة .

(١) رواه البخاري (٢٣٦٨) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

وَإِسْحَقُ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ

تِسْعَ وَتِسْعُونَ سَنَةً، ﴿وَإِسْحَقُ﴾ وُلِدَ وَلَهُ مِائَةٌ وَاثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً، ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.
 ﴿٤٠﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَ﴿اجْعَلْ﴾ مِنْ ذُرِّيَّتِي مَنْ يُقِيمُهَا، وَأَتَى بِ«مِنْ» لِإِعْلَامِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ أَنَّ مِنْهُمْ كُفَّارًا، ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ الْمَذْكُورِ.
 ﴿٤١﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ ﴿هَذَا قَبْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهُ عِدَاوَتُهُمَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقِيلَ: أَسَلَّمْتَ أُمَّهُ، - وَقُرِئَ: (وَالِدِي) مُفْرَدًا وَ(وَلَدَيَّ) - ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ أي: مجيبه.

قوله: ﴿مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾ أي: مُوَظِّبًا عَلَيْهَا بِشُرُوطِهَا وَأَرْكَانِهَا وَأَدَابِهَا.

قوله: ﴿وَاجْعَلْ﴾ مِنْ ذُرِّيَّتِي ﴿أشار المفسر إلى أن قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ معطوف على الياء في ﴿اجْعَلْنِي﴾ فيكون الفعل مسلطاً عليه.

قوله: ﴿وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ بثبوت الياء وصلاً ووقفًا، وحذفها كذلك، قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي﴾ إن قلت: كيف يطلب المغفرة مع أنه نبيٌّ معصومٌ من جميع الذنوب؟ أجيب: بأنَّ المغفرة لا تستدعي سبقَ ذنبٍ، بل تكون من الطاعات؛ كما إذا ارتقى مقاماً أعلى مما كان فيه، فيستغفر الله مما كان فيه، على حدِّ ما قيل في قوله ﷺ: «إني ليغان على قلبي، فاستغفر الله سبعين مرة»^(٢).

قوله: (هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله) جوابٌ عما يقال: كيف ساغ لإبراهيم طلب المغفرة لأبويه وهما كفار؟! لا بؤيه وهما كفار؟! لا

قوله: (وقرئ) أي: شذوذاً في هذه والتي بعدها، وقرئ شذوذاً أيضاً: (وَوُلْدِي) بضم الواو وسكون اللام؛ فالقراءات الشواذ ثلاث: (والدي) مفرداً، و(وَلَدَيَّ) بالثنية، و(وُلْدِي) جمع ولد^(٣).

(١) قرأ أبو عمرو وحمزة وورش بإثبات الياء وصلاً وحذفها وقفًا، والبيزي بإثباتها في الحالين، والباقون بحذفها وصلاً ووقفًا. انظر «الدر المصون» (١١٧/٧).

(٢) رواه مسلم (٦٩٥٧) عن سيدنا الأغر المزني، وفيه: (مئة مرة) بدل (سبعين مرة)، وروى البخاري (٦٣٠٧): «والله إني لاستغفرُ الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة».

(٣) العامة على «والدي» بألف بعد الواو وتشديد الياء، وقرأ الحسين بن علي ومحمد وزيد ابنا علي بن الحسين وابن =

الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾

يُثَبَّتُ ﴿الْحِسَابُ﴾.

﴿٤٢﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾: الْكَافِرُونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ بِإِلَاءِ عَذَابٍ ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ لِهَوْلِ مَا تَرَى، يُقَالُ: شَخَصَ بَصَرُ فُلَانٍ أَيْ: فَتَحَهُ فَلَمْ يُغْمِضْهُ.

حاشية الصاوي

قوله: (يثبت) أي: يُوجد ويظهر، وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة.

قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ بكسر السين وفتحها، قراءتان سبعيتان في هذه وفي قوله الآتي: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلِّفًا وَعْدَهُ رُسُلَهُ﴾^(١)، وفي هذه الآية تسليّة لكلّ مظلوم، ووعدٌ عظيمٌ لكلّ ظالم؛ فإنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ فإنها وإن كان نزولها في حقّ كفار قريش إلا أنّ المراد عمومها لكلّ ظالم؛ لأنّ كلّ آية وردت في الكفار؛ فإنها تجرّ بذيلها على عصاة المؤمنين.

قوله: ﴿غَفِيلاً﴾ الغفلة في الأصل: معنًى يعتري الإنسان من قلة التحفّظ، وقيل: معنًى يمنع الإنسان من الوقوف على حقائق الأمور، وهذا المعنى في حق الله مستحيل، فظنه كفرًا، بل المراد: لازم الغفلة، وهو: عدم المجازاة؛ لأنه يلزم من الغفلة عن الشيء تركه، والمعنى: لا تحسبنّ الله يا مخاطب تاركًا مجازاة الظالمين، بل مُجازيهم ولا بدّ وإمهالهم مُدَّةَ حلمٍ منه، وسيخرجهم منه في الآخرة؛ لما ورد: «الظّلمة وأعاونهم كلاب النار»^(٢).

قوله: (من أهل مكة) خصّهم بالذكر وإن كان المراد العموم؛ لأنّ الآية نزلت فيهم.

قوله: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ في معنى التعليل لقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً...﴾ إلخ، والتقدير: لا تظنّ أن الله تاركٌ مُجازاتهم، ولا تحزن بتأخير العذاب؛ لأنّ تأخيرهُ للتشديد والتغليظ.

قوله: ﴿لِيَوْمٍ﴾ أي: لأجل حصول يوم، أو اللام بمعنى (إلى) التي للغاية.

قوله: ﴿تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ أي: فلا تقرّ في أماكنها.

= يعمر: «ولولدي» دون ألف، تثنية ولّد، وروي عن ابن يعمر أنه قرأ: «ولولدي» بضم الواو وسكون الياء. انظر «الدر المصون» (١١٨/٧).

(١) قرأ ابن عامر وعاصم وحزمة بفتح السين، والباقون بكسرها. انظر «السراج المنير» (٢٦٨/١).

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢١/٤) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ

﴿٤٣﴾ مُهْطِعِينَ: مُسْرِعِينَ - حال - ﴿مُقْنِعِي﴾: رَافِعِي ﴿رُءُوسِهِمْ﴾: إِلَى السَّمَاءِ، ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾: بَصَرُهُمْ، ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ﴾: قُلُوبُهُمْ ﴿هَوَاءٌ﴾: خَالِيَةٌ مِنَ الْعَقْلِ لِفَزَعِهِمْ.
 ﴿٤٤﴾ وَأَنْذِرِ: خَوْفٌ يَا مُحَمَّدُ ﴿النَّاسَ﴾: الْكُفَّارَ ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾: هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كَفَرُوا: ﴿رَبَّنَا أَخْرِنَا﴾ بِأَنْ تَرُدَّنَا إِلَى الدُّنْيَا ﴿إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾
 حاشية الصاوي

قوله: (مسرعين) أي: إلى الداعي وهو إسرافيل - وقيل: جبريل - حيث يُنادي على صخرة بيت المقدس، وهي أقرب موضع من الأرض إلى السماء، يقول: أيها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة؛ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَجْتَمَعَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، فعند ذلك ينفخ إسرافيل في الصور^(١).

قوله: (حال) أي: من المضاف المحذوف، والتقدير: تشخص فيه أبصارهم حال كون أصحاب الأبصار مهطعين.

قوله: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أي: لَا يَنْطَبِقُ لَهُمْ جَفَنٌ؛ لِعَظَمِ الْهَوْلِ، وهو تأكيدٌ لشخص البصر.

قوله: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ﴾ هو إما مُسْتَأْنَفٌ، أو حال.

قوله: (خالية من العقل؛ لفزعهم) أي: خالية من الفهم؛ لِشِدَّةِ الْحَيْرَةِ وَالْدَهْشَةِ، والمعنى: أَنَّ الْقُلُوبَ حِينَئِذٍ تَكُونُ فَارِغَةً مِنَ الْإِدْرَاكِ وَالْفَهْمِ، وَالْأَبْصَارُ شَاخِصَةً، وَالرُّؤُوسُ مَرْفُوعَةٌ إِلَى السَّمَاءِ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَشِدَّتِهِ.

قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ مفعول ثانٍ لـ (أنذر) على حذف مضاف؛ أي: أَنْذِرْهُمْ هَوْلَهُ وَشِدَّتَهُ.

قوله: ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فيه إظهارٌ في مقام الإضمار؛ لزيادة التشنيع عليهم.

قوله: ﴿إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أي: أَخْرَجْ الْعَذَابَ وَرُدَّنَا إِلَى الدُّنْيَا مَدَّةً مِنَ الزَّمَانِ. . نستدرك فيها ما فات.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٨٢/٢٢) من حديث كعب.

يُحِبُّ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أُولَئِكَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾
وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا
لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ

يُحِبُّ دَعْوَتَكَ ﴿٤٤﴾ بِالتَّوْحِيدِ ﴿وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ ، فيُقَالُ لَهُمْ تَوْبِيخًا : ﴿أُولَئِكَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ﴾ :
حَلَفْتُمْ ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿مَا لَكُمْ مِنْ﴾ - زائدة - ﴿زَوَالٍ﴾ عنها إِلَى الْآخِرَةِ ؟
﴿٤٥﴾ ﴿وَسَكَنتُمْ﴾ فِيهَا ﴿فِي مَسْكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بِالْكَفْرِ مِنَ الْأَمَمِ السَّابِقَةِ ،
﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ مِنَ الْعُقُوبَةِ فَلَمْ تَنْزَجِرُوا ، ﴿وَضَرَبْنَا﴾ : بَيَّنَّا ﴿لَكُمْ
الْأَمْثَالَ﴾ فِي الْقُرْآنِ فَلَمْ تَعْتَبِرُوا .
﴿٤٦﴾ ﴿وَقَدْ مَكَرُوا﴾ بِالنَّبِيِّ ﷺ ﴿مَكْرَهُمْ﴾ حَيْثُ أَرَادُوا قَتْلَهُ أَوْ تَقْيِيدَهُ أَوْ إِخْرَاجَهُ ،

حاشية الصاوي

قوله : ﴿يُحِبُّ دَعْوَتَكَ﴾ مجزومٌ في جواب الأمر .

قوله : ﴿فيقال لهم﴾ القائل لهم الملائكة ، أو الله .

قوله : ﴿حلفتُمْ﴾ أي : كما حكى الله عنهم ذلك في سورة (النحل) بقوله : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ
أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ [النحل : ٣٨] .

قوله : ﴿وَسَكَنتُمْ﴾ معطوف على ﴿أَقْسَمْتُمْ﴾ .

قوله : ﴿فِي مَسْكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ المراد بمساكينهم : دار الدنيا ، لا خصوص منازل
الذين ظلموا ؛ فَإِنَّ كِفَارَ قَرِيشٍ لَمْ يَسْكُنُوا دِيَارَ الْكِفَارِ الَّذِينَ هَلَكُوا قَبْلَهُمْ .

قوله : ﴿السَّابِقَةِ﴾ أي : كقوم نوح وعاد وثمود ولوط وغيرهم .

قوله : ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ أي : حالهم وخبرهم .

قوله : ﴿من العقوبة﴾ بيان لقوله : ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ .

قوله : ﴿وَقَدْ مَكَرُوا﴾ أي : أهل مكة .

قوله : ﴿حيث أرادوا قتله... إلخ﴾ أي : حين اجتمعوا بدار الندوة يتشاورون في شأنه ، وقد تقدّم
ذلك في (الأنفال) في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ [الأنفال : ٣٠] إلخ^(١) .

وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ لِنَزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾

﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي: عِلْمُهُ أو جَزَاؤُهُ، ﴿وَإِنْ﴾: ما ﴿كَانَتْ مَكْرُهُمْ﴾ وإن عَظُمَ ﴿لِنَزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ المَعْنَى: لا يُعْبَأُ بِهِ ولا يَضُرُّ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ، والمُرَادُ بِالْجِبَالِ هُنَا قِيلَ: حَقِيقَتُهَا، وَقِيلَ: شَرَائِعُ الْإِسْلَامِ الْمُشَبَّهَةٌ بِهَا فِي الْقَرَارِ وَالثَّبَاتِ، - وفي قِرَاءَةٍ بِفَتْحِ لَامِ (لَتَزُولُ) وَرَفَعَ الْفِعْلَ، (فَإِنْ) مُخَفَّفَةٌ - والمُرَادُ تَعْظِيمَ مَكْرِهِمْ، وَقِيلَ: المُرَادُ بِالْمَكْرِ كُفْرُهُمْ، وَيُنَاسِبُهُ عَلَى الثَّانِيَةِ: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٩٠]، وعلى الأول ما قُرئ: (وما كان).

حاشية الصاوي

قوله: (ما كان) فسر (إن) بـ(ما)؛ لأن اللام في ﴿لَتَزُولُ﴾ لامُ الجحود، وهي لا تقع إلا بعد كون منفي بـ(ما) أو (لم).

قوله: (لا يعبا به) أي: لا يلتفت إليه.

قوله: (والمراد بالجبال هنا) أي: ففيها قولان: قيل: المراد: حقيقتها، وقيل: شرائع الإسلام، فهي مستعملة في مجازها.

قوله: (في القرار والثبات) هذا هو وجه الشبه بينهما.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: (فإن) مخففة) أي: واللام في ﴿لَتَزُولُ﴾ فارقة.

قوله: (والمراد: تعظيم مكرهم) أي: على هذه القراءة الثانية، فتحصل: أن المعنى على القراءة الأولى: ما كان مكرهم مزيلاً للجبال؛ لضعفه وعدم العبرة به، وعلى الثانية: والحال أن مكرهم لتزول منه الجبال؛ لعظمه وشدته، والمكر على القراءتين: قيل: تشاورهم في شأن النبي، وقيل: كفرهم، ولكن القول الثاني يوافق القراءة الثانية؛ بدليل آية: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ ﴿٩١﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٠-٩١].

قوله: (وعلى الأولى) أي: القراءة الأولى، وهي النافية.

قوله: (ما قرئ) أي: الذي قرئ، وهي شاذة^(٢).

(١) قرأ العامة بكسر اللام، والكسائي بفتحها. انظر «الدر المصون» (١٢٦/٧).

(٢) وهي قراءة سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. انظر «الدر المصون» (١٢٦/٧).

فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعْدِهِ رَسُولُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ

﴿٤٧﴾ ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعْدِهِ رَسُولُهُ﴾ بِالنَّصْرِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غَالِبٌ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ مِمَّنْ عَصَاهُ.

﴿٤٨﴾ اذْكُرْ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ هو يَوْمُ الْقِيَامَةِ، فَيُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ نَقِيَّةٍ، كَمَا فِي حَدِيثِ «الصَّحِيحَيْنِ»، وَرَوَى مُسْلِمٌ حَدِيثَ: «سُئِلَ حَاشِيَةُ الصَّاوِي

قوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ﴾ هذا مفرّع على قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا﴾، وهو تسلية للنبي ﷺ، وتهديدٌ للظالمين.

قوله: ﴿مُخَلَّفَ وَعْدِهِ رَسُولُهُ﴾ القراءة السبعية بإضافة ﴿مُخَلَّفَ﴾ إِلَى ﴿وَعْدِهِ﴾ و﴿رَسُولُهُ﴾ بالنصب، وقرئ شذوذاً بإضافته إلى (رَسُولُهُ)، ونصب (وَعْدَهُ)، فيكون قد فصل بين المتضايقين بالمفعول، وهذا نظير قراءة ابن عامر في (الأنعام): ﴿قَتَلُوا وَلَدَهُمْ شُرَكَاءَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧] (١).

قوله: (اذْكُرْ) قَدْرُهُ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿يَوْمَ﴾ ظرف معمول لمحذوف، ويصح أن يكون معمولاً لقوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعْدِهِ رَسُولُهُ﴾، ويصح أن يكون بدلاً من ﴿يَوْمَ﴾ الأول في قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾.

قوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ اختلف المفسرون في هذا التبديل؛ فقيل: المراد: تبديل صفاتهما، فتسوى الجبال، وتقلع الأشجار، وتنسف الأنهار، وتذهب الكواكب من السماوات، وتكسف شمسها، ويخسف قمرها.

وقيل: تبديل ذاتهما؛ فتبدل الأرض بأرض نقيّة بيضاء كالفضة لم يُسْفَكْ عليها دُمٌّ، وتبدل السموات بسما من ذهب، وعلى هذا القول: فالخلائق يكونون؛ قيل: على الصراط، وما زاد منهم يكون على متن جهنم، وقيل: يكونون في ظلمة قبل المحشر، وقيل: على أكفّ ملائكة سماء الدنيا، وجمع بين القولين بأن تبديل الصفات يكون أولاً قبل نفخة الصعق، وتبديل الذات يكون بعد النفخة الثانية.

قوله: (فيحشر الناس على أرض بيضاء نقيّة) أي: ويؤيد ذلك: ما روي عن ابن عباس والضحاك: أن الخلائق إذا جُمِعُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ؛ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.. أَمَرَ الْجَلِيلُ جَلَّ جَلَالُهُ

وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ

النَّبِيُّ ﷺ: أَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ؟ قال: على الصُّرَاطِ، ﴿وَبَرَزُوا﴾: خَرَجُوا مِنَ الْقُبُورِ ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

(٤٩ - ٥٠) ﴿وَتَرَى﴾ يا مُحَمَّدُ: تُبَصِّرُ ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: الْكَافِرِينَ ﴿يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ﴾:

حاشية الصاوي

بملائكة سماء الدنيا أن يتولَّوهم، فيأخذ كلُّ واحد منهم إنساناً وشخصاً من المبعوثين إنساً وجناً ووحشاً وطيراً، وحولَّوهم إلى الأرض التي تُبَدَّل، وهي أرض بيضاء من فضة نورانيَّة، وصارت الملائكة من وراء الخلق حلقة واحدة، فإذا هم أكثر من أهل الأرض بعشر مرات، ثم إنَّ الله يأمر بملائكة السماء الثانية فيُحدِّقون بهم حلقة واحدة، وإذا هم مثلهم عشرين مرة، ثم تنزل ملائكة السماء الثالثة فيحدِّقون من وراء الكل حلقة واحدة، فإذا هم مثلهم ثلاثين ضعفاً، ثم تنزل ملائكة السماء الرابعة فيحدِّقون من وراء الكل حلقة واحدة، فيكونون أكثر منهم بأربعين ضعفاً، ثم تنزل ملائكة السماء الخامسة فيحدِّقون من ورائهم حلقة واحدة، فيكونون مثلهم خمسين مرة، ثم تنزل ملائكة السماء السادسة فيحدِّقون من وراء الكل حلقة واحدة، وهم مثلهم ستين مرة، ثم تنزل ملائكة السماء السابعة فيحدِّقون من وراء الكل حلقة واحدة، وهم مثلهم سبعين مرة، والخلق تتداخل وتندمج حتى يعلو القدم ألف قدم؛ لشدة الزحام، ويخوض الناس في العرق على أنواع مختلفة: إلى الأذقان، وإلى الصدور، وإلى الحَقْوَيْن، وإلى الركبتين، ومنهم من يُصِيبُه الرشح اليسير كالقاعد في الحمام، ومنهم من يُصِيبُهُم البلة كالعاطش إذا شرب الماء، وكيف لا يكون القلق والعرق والأرق وقد قربت الشمس من رؤوسهم حتى لو مدَّ أحد يده.. لَنَالَهَا وتضاعف حرُّها سبعين مرة؟! وقال بعض السلف: لو طلعت الشمس على الأرض كهَيْئَتِهَا يوم القيامة.. لاحتَرقت الأرض، وذاب الصخر، ونُشِفت الأنهار؛ فبينما الخلائق يُوجون في تلك الأرض البيضاء التي ذكرها بقوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ...﴾ إلخ^(١).

قوله: ﴿وَبَرَزُوا﴾ عطف على ﴿تُبَدَّلُ﴾، فهو بمعنى المضارع؛ أي: اذكر يوم تُبدل الأرض وتبرز الخلائق.

قوله: ﴿وَتَرَى﴾ معطوف على ﴿تُبَدَّلُ﴾ أيضاً.

(١) أورده الغزالي في «كشف غُلوَم الآخرة» (ص ٦٧)، ونقله عنه في «الفتوحات» (٥٦٢/٢).

فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

مَشْدُودِينَ مَعَ شَيَاطِينِهِمْ ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾: الْقِيُودُ أَوْ الْأَغْلَالُ، ﴿سَرَابِيلُهُمْ﴾: قُمُصُهُمْ ﴿مِّنْ قَطِرَانٍ﴾ لِأَنَّهُ أَبْلَغُ لِاشْتِعَالِ النَّارِ، ﴿وَتَغْشَى﴾: تَعْلُو ﴿وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾. ﴿٥١﴾ ﴿لِيَجْزِيَ﴾ - مُتَعَلِّقٌ بِ(بَرَزُوا) - ﴿اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ مِّنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يُحَاسِبُ جَمِيعَ الْخَلْقِ فِي قَدَرِ نِصْفِ نَهَارٍ مِّنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا لِحَدِيثِ ذَلِكَ. ﴿٥٢﴾ ﴿هَذَا﴾ الْقُرْآنُ ﴿بَلَغٌ لِّلنَّاسِ﴾ أَي: أَنْزَلَ لِتَبْلِيغِهِمْ، ﴿وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾ وَلِيَعْلَمُوا ﴿بِمَا فِيهِ مِنَ الْحُجَجِ﴾ ﴿أَنَّمَا هُوَ﴾ أَي: اللَّهُ ﴿إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ﴾ - بِإِدْغَامِ التَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الذَّالِ -: يَتَّعِظُ ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾: أَصْحَابُ الْعُقُولِ.

حاشية الصاوي

قوله: (مشدودين مع شياطينهم) أي: فتُجمع أيديهم وأرجلهم في أعناقهم، ويُشدُّ كلُّ واحدٍ مع شيطانه^(١) الذي كان معه في الدنيا.

قوله: ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾ جمع صَفَدَ بفتحين، وهو: القيد.

قوله: (والأغلال) جمع غُلٌّ بالضم، وهو: طَوْقٌ مِنْ حَدِيدٍ.

قوله: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ﴾ أي: جُلُودُهُمْ تُطْلَى بِالْقَطِرَانِ حَتَّى يَكُونَ الطَّلَاءُ كَالْقَمِيصِ.

قوله: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمُ﴾ أي: وقلوبهم.

قوله: (متعلق بـ«برزوا») أي: وما بينهما اعتراضٌ.

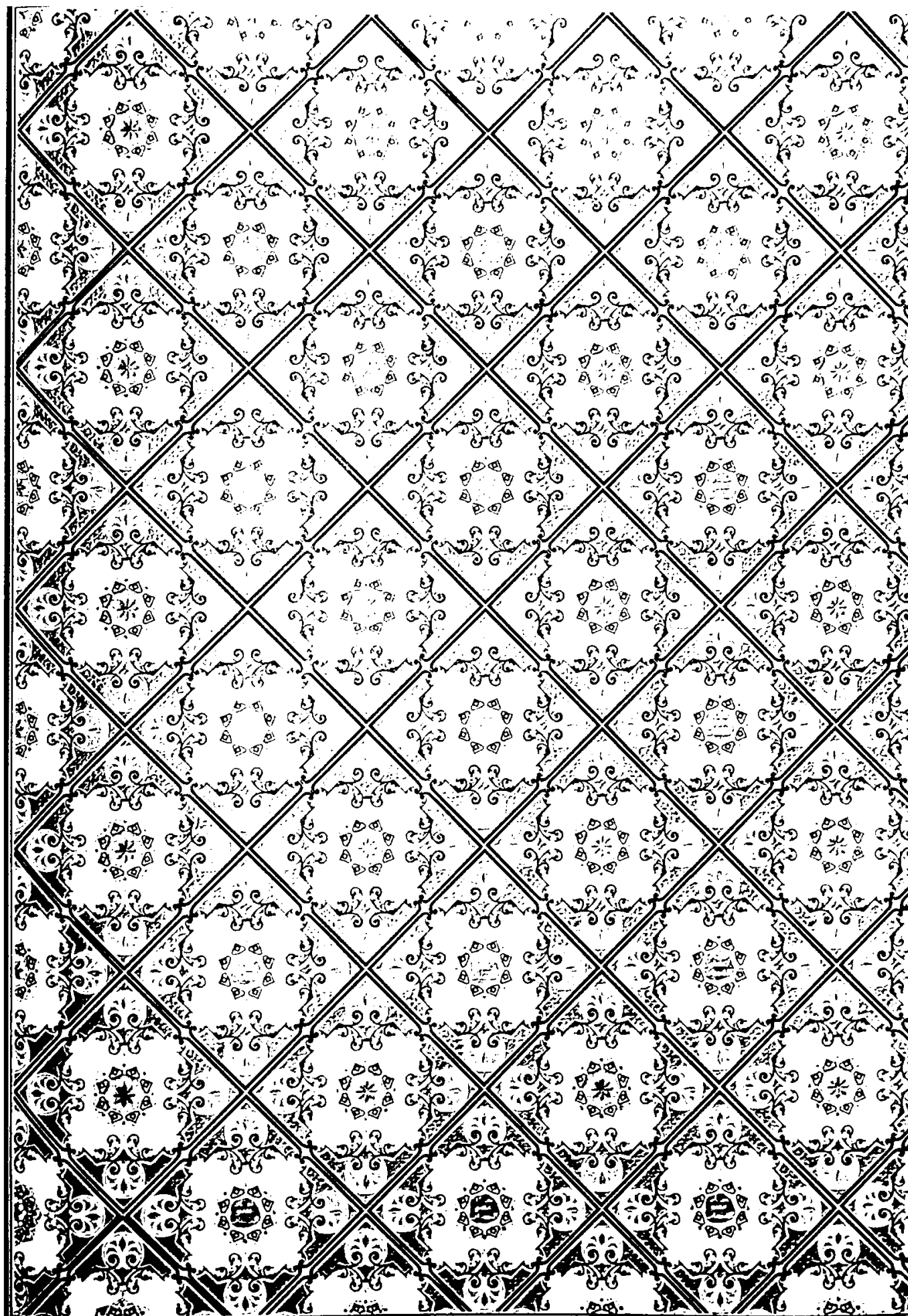
قوله: (في قدر نصف نهار) أي: وكلُّ واحدٍ يرى أَنَّهُ يُحَاسَبُ وَحْدَهُ.

قوله: ﴿هَذَا بَلَغٌ لِّلنَّاسِ﴾ في هذه الآية من المحسنات البديعية: رَدُّ الْعَجْزِ عَلَى الصِّدْرِ؛ فَقَدْ

اِفْتَتَحَتْ هَذِهِ السُّورَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.

قوله: (لتبليغهم) أي: توصيلهم إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ وَرَشْدُهُمْ.

(١) فِي (أ): (شياطينه)، والتصويب من (ط) (٢).



﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرَّانٍ مُبِينٍ ۝١ رَبِّمَا يَوَدُّ﴾



مكية، تسع وتسعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿الرَّ﴾ الله أعلم بمُراده بذلك، ﴿تِلْكَ﴾: هذه الآيات ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾: القرآن، - والإضافة بمعنى (من) - ﴿وَقُرَّانٍ مُبِينٍ﴾: مظهر للحق من الباطل، - عطف بزيادة صفة -.

﴿٢﴾ ﴿رَبِّمَا﴾ - بالتشديد والتخفيف - ﴿يَوَدُّ﴾: يتمنى

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْحَجَرِ

(مكية) أي: بإجماع، وسميت الحجر؛ لذكره فيها، وهو: واد بين المدينة والشام، وستأتي قصّة أصحابه.

قوله: (الله أعلم بمُراده) تقدّم أنّ هذا هو التحقيق عند ذوي التحقيق.

قوله: (هذه الآيات) أي: آيات السورة.

قوله: (والإضافة بمعنى «من») أي: لأنّ الآيات بعضُ الكتاب.

قوله: (عطف) أي: مرادف، وإنما سوّغه وحسنه تغاير اللفظ وزيادة الصفة في المعطوف، فحيثل يؤخذ من الآية: أنه كما يسمّى كتاباً... يسمّى قرآناً.

قوله: (بزيادة صفة) أي: وهي قوله: ﴿مُبِينٍ﴾.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) أي: فهما قراءتان سبعيتان، ولغتان في (رُبَّ) ^(١).

(١) قرأ عاصم ونافع بالتخفيف، والباقون بالتشديد. انظر «السراج المنير» (٢/١٩٣).

الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَّهُمْ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا عَايَنُوا حَالَهُمْ وَحَالَ الْمُسْلِمِينَ ﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾،
و(رُبَّ) لِلتَّكْثِيرِ؛ فَإِنَّهُ يَكْثُرُ مِنْهُمْ تَمَنَّى ذَلِكَ، وَقِيلَ: لِلتَّقْلِيلِ فَإِنَّ الْأَهْوَالَ تُدْهَشُهُمْ فَلَا يُفِيْقُونَ
حَتَّى يَتَمَنَّوْا ذَلِكَ إِلَّا فِي أَحْيَانٍ قَلِيلَةٍ.

﴿٣﴾ ذَرَّهُمْ: اترك الكفار يا مُحَمَّد

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: من أهل مكة وغيرهم.

قوله: (إِذَا عَايَنُوا حَالَهُمْ) أي: من العذاب.

قوله: (وَحَالَ الْمُسْلِمِينَ) أي: من النعيم المقيم.

قوله: ﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ يصح في ﴿لَوْ﴾ أَنْ تَكُونَ امْتِنَاعِيَّةً، وَجَوَابُهَا مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: سُرُّوا
بِذَلِكَ، أَوْ مَصْدَرِيَّةٌ تَنْسَبُكَ مَعَ مَا بَعْدَهَا بِمَصْدَرٍ مَعْمُولٍ لـ ﴿يَوَدُّ﴾، وَالتَّقْدِيرُ: رَبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا
كُونَهُمْ مُسْلِمِينَ.

قوله: و(رُبَّ) لِلتَّكْثِيرِ) أي: و(ما) كَافَّةٌ لَهَا عَنِ الْجَرِّ.

إِنْ قُلْتَ: إِنْ (رُبَّ) إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهَا (مَا) الْكَافَّةُ اخْتَصَّتْ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي، وَهَنَا قَدْ دَخَلَتْ
عَلَى الْمَضَارِعِ.

أَجِيبُ: بِأَنَّ التَّعْبِيرَ بِالْمَضَارِعِ؛ لِتَحَقُّقِ وَقْعِهِ، فَهُوَ بِالنِّسْبَةِ لِعِلْمِ اللَّهِ وَقَعٌ وَلَا شَكٌّ، فَلَا تَفَاوُتَ
بَيْنَ مَاضٍ وَمُسْتَقْبَلٍ بِالنِّسْبَةِ لِعِلْمِهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِالنَّظَرِ لِعَقُولِنَا.

قوله: (وَقِيلَ: لِلتَّقْلِيلِ) أي: بِاعْتِبَارِ الْأَزْمَانِ الَّتِي يُفِيْقُونَ فِيهَا مِنَ الدَّهْشَةِ، فَالْكَفَّارُ مِنْ شِدَّةِ
الْهَوْلِ يَدْهَشُونَ فَلَا يُفِيْقُونَ إِلَّا بَعْضَ الْأَوْقَاتِ، فَإِذَا أَفَاقُوا.. كَثُرَ مِنْهُمْ التَّمَنَّى.

قوله: ﴿ذَرَّهُمْ﴾ لَمْ يُسْتَعْمَلْ لِهَذَا الْأَمْرِ مَاضٍ؛ اسْتِغْنَاءً عَنْهُ بِ(تَرَكَ)، بَلْ يُسْتَعْمَلُ مِنْهُ
الْمَضَارِعُ، وَقَدْ جَاءَ مِنْهُ الْمَاضِي قَلِيلًا، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ذَرُّوا الْحَبْشَةَ مَا وَذَرْتَكُمْ»^(١).

(١) سَبَّاقُ الْمَصْنُفِ عِنْدَ أَبِي حَيَّانٍ فِي «الْبَحْرِ الْمَحِيطِ» (٥/٤٣١)، وَهُوَ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ (٤٣٠٢)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْمَجْتَبَى»
(٤٣/٦) بَلْفَظٍ: «دَعُوا الْحَبْشَةَ مَا وَدَعَوْكُمْ»، وَمَنْ مَجِيءُ الْمَاضِي أَيْضًا: مَا رَوَاهُ الْبَزَارُ فِي «مُسْنَدِهِ» (٨١٠١) عَنْ
سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَرُّونِي مَا وَذَرْتَكُمْ؛ فَإِنَّمَا هَلَكُ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسْوَائِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ
عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ...» الْحَدِيثُ.

يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا

﴿يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ بِدُنْيَاهُمْ، ﴿وَيُلْهِمُ﴾: يَشْغَلُهُمْ ﴿الْأَمَلُ﴾ بِطُولِ الْعُمَرِ وَغَيْرِهِ عَنِ الْإِيمَانِ، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عَاقِبَةُ أَمْرِهِمْ، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ.
(٤ - ٥) ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ﴾ - زَائِدَةٌ - ﴿قَرْيَةٍ﴾ أُرِيدَ أَهْلُهَا ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ﴾: أَجَلٌ ﴿مَعْلُومٌ﴾: مَحْدُودٌ لِإِهْلَاكِهَا. ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ﴾ - زَائِدَةٌ - ﴿أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يَأْكُلُوا﴾ مجزوم بحذف النون في جواب الأمر، وكذا قوله: ﴿وَيَتَمَتَّعُوا﴾.

قوله: ﴿وَيُلْهِمُ﴾ مجزوم أيضاً بحذف الياء، وفيه ثلاث قراءات سبعية: كسر الهاء الثانية والميم، وضمُّهما، وكسرُ الهاء وضمُّ الميم^(١)، وأما الهاء الأولى.. فمكسورة لا غير؛ لأنها من بنية الكلمة.

قوله: ﴿الْأَمَلُ﴾ فاعل (يلهمهم).

قوله: (عاقبة أمرهم) قَدَّرَهُ؛ إشارةً إلى أن مفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾ محذوف.

قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) أي: قوله: ﴿ذَرَهُمْ...﴾ إلخ، فهذه الآية منسوخة بآية القتال.

قوله: (زائدة) أي: في المفعول.

قوله: (أريد أهلها) أي: ففيه مجاز؛ إما بالحذف، أو مرسلٌ من إطلاق المحل وإرادة الحال

فيه.

قوله: ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ الجملة حالية، والمعنى: وما أهلكنا قريةً في حال من الأحوال إلا في حال أن يكون لها كتابٌ - أي: أجلٌ - مؤقتٌ لهلاكها. وجعلنا الواوَ حاليةً أسهلُّ من جعلها زائدةً بين الصفة والموصوف.

قوله: ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ فاعل ﴿تَسْبِقُ﴾، و(من) زائدةٌ في الفاعل للتأكيد.

قوله: ﴿أَجَلَهَا﴾ أي: وهو الكتاب المتقدم.

(١) قرأ أبو عمرو في الوصل بكسر الهاء والميم، وحمزة والكسائي برفع الهاء والميم، والباقون بكسر الهاء ورفع

الميم. انظر «السراج المنير» (١٩٣/٢).

وَمَا يَسْتَفْخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَتَّيِّبُهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكِ إِنَّ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنْزِلُ

وَمَا يَسْتَشْخِرُونَ ﴿١٠﴾ : يَتَأَخَّرُونَ عَنْهُ .

(٦ - ٧) ﴿وَقَالُوا﴾ أَي: كُفَّارٌ مَكَّةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِي نُزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾: الْقُرْآنُ فِي زَعْمِهِ ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ ٦ ﴿لَوْ مَا﴾: هَلَّا ﴿تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فِي قَوْلِكَ: إِنَّكَ نَبِيٌّ وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

٨ قال تعالى: ﴿مَا نَزَّلُ﴾ - فِيهِ حَذْفُ إِحْدَى التَّائِينَ -

حاشية الصاوى

قوله: (يتأخرون عنه) أي: الأجل.

قوله: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ نادوه ﷺ بذلك على سبيل التهكم والاستهزاء، لا إقراراً بأنه نُزِّلَ عليه الذكر؛ ولذا قال المفسر: (في زعمه)، فدفع به ما قد يقال: إِنَّ في الآية مضاربة أولها لآخرها.

قوله: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ أي: إنك لتقول قول المجانين؛ حيث تدّعي أنّ الله نزل عليك الذكر، وقولهم هذا كقول فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧]. والحاصل: أنهم قالوا مقالتين: الأولى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾، والثانية: ﴿لَوْ مَا تَأْتَيْنَا بِالْمَلَكِ كَذِبًا﴾، وقد ردّ الله ذلك على سبيل اللف والنشر المشوّش؛ فقوله: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكِ كَذِبًا﴾ ردّ للثانية، وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ ردّ للأولى.

قوله: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا﴾ تستعمل (لوما) حرف تحضيض، وحرف امتناع لوجود؛ فالتحضيضية لا يليها إلا الفعل ظاهراً أو مضمرأ، والامتناعية لا يليها إلا الأسماء لفظاً أو تقديرأ؛ إذا علمت ذلك.. فهي هنا للتحضيض؛ ولذا فسرها به(هلاً).

قوله: ﴿بِالْمَلَكَةِ﴾ أي: لَتُخْبِرُنَا بِصَدَقِكَ.

قوله: (فيه حذف إحدى التاءين) أي: والأصل (تتنزل)، وفي قراءة سبعية أيضاً: ﴿نَزَّلُ﴾ بضمّ النون الأولى، وفتح الثانية، وكسر الزاي المشدّدة، ونصب (الملائكة) على المفعوليّة^(١)، وقرئ

(١) قرأ الأخوان: حمزة والكسائي وحفص بضم النون وفتح الثانية وكسر الزاي، و«الملائكة» نصباً على المفعولية، والباقون من السبعة: بفتح التاء والنون والزاي مشددة، وقرأ شعبة بياء مضمومة، ونون مفتوحة، وزاي مفتوحة =

الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾

﴿الْمَلَائِكَةُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: بِالْعَذَابِ، ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا﴾: أَي: حِينَ نَزُولِ الْمَلَائِكَةِ بِالْعَذَابِ ﴿مُنْظَرِينَ﴾: مُؤَخَّرِينَ.

﴿٩﴾ إِنَّا نَحْنُ - تَأْكِيدٌ لِاسْمِ (إِنَّ) أَوْ فَصْلٌ - ﴿نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾: الْقُرْآنَ ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ مِنْ التَّبْدِيلِ وَالتَّحْرِيفِ وَالزِّيَادَةِ وَالتَّقْصِصِ.

حاشية الصاوي

شدوذاً: (مَا تَنْزَلُ) بفتح التاء، وسكون النون، وكسر الزاي، و(الملائكة) فاعل^(١).

قوله: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: إِلَّا تَنْزِيلاً مُلْتَبِساً بِالْحَقِّ، لَا بِمَا قُلْتُمْ وَاقْتَرَحْتُمْ، وَالْمَعْنَى: جَرَتْ عَادَةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ أَنَّهُ لَا يَظْهَرُ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا لِمَنْ يُرِيدُ إِهْلَاكَهُمْ، وَهُوَ لَا يُرِيدُ ذَلِكَ مَعَ أَمَّتِهِ ﷺ؛ لِعِلْمِهِ بِقَاءِهَا، وَأَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَيُوَحِّدُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَهُمْ لَا يُجَابُونَ لِمَا اقْتَرَحُوا.

قوله: ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ أَصْلُ (إِذَا): (إِذْ) بِمَعْنَى (حِينَ)، فَضُمْتُ لَهَا (أَنْ) فَصَارَ (إِذَا) فَاسْتَقْلُوا الْهَمْزَةَ، فَحَذَفُوهَا فَصَارَ (إِذَنْ)، وَمَجِيءُ لَفْظَةِ (أَنْ) دَلِيلٌ عَلَى إِضْمَارِ فِعْلٍ بَعْدَهَا، وَالتَّقْدِيرُ: وَمَا كَانُوا إِذْ كَانَ مَا طَلَبُوهُ.

قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ أي: وَلَيْسَ أَنْزَالُهُ بِزَعْمِكَ كَمَا اعْتَقَدُوا.

قوله: (أَوْ فَصْل) أي: ضَمِيرُ فَصْلٍ، وَاعْتَرَضَ: بِأَنَّ ضَمِيرَ الْفَصْلِ لَا يَكُونُ إِلَّا ضَمِيرَ غِيْبَةٍ^(٢)، وَلَا يَقَعُ إِلَّا بَيْنَ اسْمَيْنِ، وَهُنَا لَيْسَ كَذَلِكَ^(٣)، وَحِينَئِذٍ: فَالْمُنَاسِبُ لِلْمَفْسَّرِ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى الْأَوَّلِ.

قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أي: حَيْثُ جَعَلَهُ مَعْجِزاً لِلْبَشَرِ، مُغَايِراً لِكَلَامِهِمْ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، بَاقٍ عَلَى مَمَرِّ الدَّهْوَرِ سَيِّماً وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ خَدَمَةً مِنَ الْبَشَرِ يَحْفَظُونَهُ، فَتَرَى

= كذلك، ورفع «الملائكة»، ولم يذكر المصنف رحمه الله قراءته. انظر «السراج المنير» (٢/١٩٤)، و«الدر المصون» (١٤٤/٧).

(١) وهي قراءة زيد بن علي. انظر «الدر المصون» (٧/١٤٥).

(٢) كذا في «الفتوحات» (٢/٥٦٠) نقلاً عن العلامة الأجهوري، وإنما الشرط فيه: مطابقته لما قبله غيبة وحضوراً، وأن يكون من الضمائر المنفصلة المرفوعة الموضع. انظر «شرح المفصل» (٢/٣٢٩)، و«شرح التسهيل» لناظر الجيش (١/٥٦٥).

(٣) لعل المفسر رحمه الله تبع الجرجاني ومن وافقه في تجويز وقوع ضمير الفصل قبل الفعل. انظر «مغني اللبيب» (ص ٦٤٢).

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾

(١٠ - ١١) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا فِي شَيْعٍ﴾: فِرَقِ ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﷺ. ﴿١٢﴾ ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ﴾ أي: مثل إدخالنا التكذيب في قلوب أولئك ندخله ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: كُفَّارِ مَكَّة. ﴿١٣﴾ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بِالنَّبِيِّ ﷺ ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: سُنَّةُ اللَّهِ فِيهِمْ مِنْ تَعْذِيهِمْ

حاشية الصاوي

الكبير العظيم إذا غلط وهو يقرأ يرؤه أصغر صغير في المجلس مع عدم العيب في ذلك، بخلاف الكتب السماوية؛ فقد دخل فيها التبديل والتغيير، والزيادة والنقص، ومن معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَفَرَأْنَا أَنَّهُ يَفْقَاهُ عَلَى الْتَأْسِ عَلَى مَكٍّ...﴾ [الإسراء: ١٠٦] الآية.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ هذا تسلية له ﷺ.

قوله: (رسلاً) قدره؛ إشارة إلى أن مفعول ﴿أَرْسَلْنَا﴾ محذوف، وعدتهم ثلاث مئة وثلاثة عشر أو أربعة عشر، وقيل: لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى.

قوله: ﴿فِي شَيْعٍ﴾ جمع شبيعة، والمراد بهم هنا: الفرقة المتفقة في مذهب، كان حقاً أو باطلاً، وإضافة ﴿شَيْعٍ﴾ لـ ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ على حذف مضاف؛ أي: في شيع الأمم الأولين.

قوله: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ﴾ قدر المفسر (كان)؛ إشارة إلى أن المضارع بمعنى الماضي، وأتى به مضارعاً؛ استحضاراً للحال الماضية المتعجب منها.

قوله: ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: يسخرون.

قوله: (وهذا تسلية له) أي: فاصبر ولا تحزن، فلست بأول من سخر به قومه، بل وقع لمن قبلك مثلك.

قوله: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ﴾ السلك بالفتح: إدخال الخيط في اللؤلؤ، وبالكسر: نفس الخيط.

قوله: (أي: مثل إدخالنا التكذيب) أي: الذي دلّ عليه بقوله: ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

قوله: ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: طريقتهم، والجملة مستأنفة.

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْزُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا

بِتَكْذِيبِهِمْ أَنْبِيَاءَهُمْ، وهؤلاء مثلهم.

(١٤ - ١٥) ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ﴾: في الباب ﴿يَعْزُجُونَ﴾: يصعدون، ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ﴾: سُدَّتْ ﴿أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾: يُخَيِّلُ إِلَيْنَا ذَلِكَ. ﴿١٦﴾ ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر: الحَمَل والثَّور والجُوزاء والسَّرطَان

حاشية الصاوي

قوله: (وهؤلاء مثلهم) أي: فانتظر ما ينزل بالمكذِّبين من العذاب.

قوله: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: على كفار مكة.

قوله: ﴿فَظَلُّوا﴾ الضمير إما عائد على (المشركين)، والمعنى: لو فَتَحْنَا باب السماء لهؤلاء المشركين وصعدوا إلى السماء ورأوا عجائبها... لقالوا... إلخ، أو على (الملائكة)، والمعنى: لو كَشَفْنَا عن أبصار الكفار فرأوا باب السماء مفتوحاً والملائكة تصعد منه... لما آمنوا.

قوله: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد، قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (سُدَّتْ) أي: فيقال: سَكَّرَتِ النهر؛ من باب (قتل): سَدَّدَتْه، والسُّكْر بالكسر: ما يُسَدُّ به، والمعنى: يسدُّ أبصارنا عن محسوساتنا المعتادة بتلك التخيُّلات.

قوله: ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ إضرابٌ انتقاليٌّ عمَّا أفاده أولاً من خصوص سحر العين بالحصَر، والمعنى: أنهم يقولون: إنما سُدَّتْ أبصارنا، فخيَّلَ لها أمرٌ لا حقيقة له، ولم يتجاوزها لقلوبنا، ثم أضربوا عن ذلك وجعلوا السحر واصلاً لقلوبهم.

قوله: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ هذا من أدلَّة توحيده سبحانه وتعالى، والبروج: جمع برج، والمراد: منازل وطُرق تسير فيها الكواكب السبعة.

قوله: (اثني عشر برجاً) أي: وقد جمعها بعضهم في قوله: [الخفيف]

حَمَلَ الثَّورُ جَوْزَةَ السَّرطَانِ وَرَعَى اللَّيْثُ سُنْبُلَ المِيزَانِ
وَرَمَى عَقْرَبٌ بِقَوْسٍ لِّجَدْيِ نَزَحَ الدَّلُّو بِرَكَّةَ الحِيتَانِ

(١) قرأ ابن كثير بالتخفيف، والباقون بالتشديد. انظر «الدر المصون» (١٤٩/٧).

وَزَيَّنَّهَا لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾

والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، وهي منازل الكواكب السبعة السيارة: المريخ وله الحمل والعقرب، والزهرة ولها الثور والميزان، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة، والقمر وله السرطان، والشمس ولها الأسد، والمشتري وله القوس والحوت، وزحل وله الجدي والدلو، ﴿وَزَيَّنَّهَا﴾ بالكواكب ﴿لِلنَّظِيرِينَ﴾.

﴿١٧ - ١٨﴾ ﴿وَحَفِظْنَهَا﴾ بالشَّهْب ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾: مرجوم،

حاشية الصاوي

قوله: (وهي منازل الكواكب... إلخ) أي: محل سيرها.

قوله: (المريخ) بكسر الميم: نجم في السماء الخامسة، وقد جمع الكواكب بعضهم في قوله:

[الكامل]

زُحْلٌ شَرَى مَرِيخُهُ مِنْ شَمْسِهِ فَتَزَاهَرَتْ لِعُطَارِدِ الْأَقْمَارِ

فرحل في السماء السابعة، والمشتري في السادسة، والمريخ في الخامسة، والشمس في الرابعة، والزهرة في الثالثة، وعطارد في الثانية، والقمر في الأولى، وهي سماء الدنيا.

قوله: (الشمس ولها الأسد) أي: بيتها المنسوب لها؛ فلا يُنافي أنها تسير في البروج كلها المنقسمة لثمانية وعشرين منزلة؛ لكل برج منزلتان وثلث، وتقطعها الشمس في سنة، والقمر في شهر، وقد جعل الله لهذه الكواكب النفع في العالم السفلي؛ كالأكل والشرب يُوجد النفع عندها، لا بها، فهي أسبابٌ عادية.

قوله: ﴿وَزَيَّنَّهَا﴾ بالكواكب) أي: جعلنا الكواكب زينةً للسماء، وهل الكواكب في السماء الدنيا أو ثوابت في العرش؟ قولان للعلماء.

قوله: ﴿لِلنَّظِيرِينَ﴾ أي: المتأملين بأبصارهم وبصائرهم.

قوله: ﴿وَحَفِظْنَهَا﴾ أي: السماء.

قوله: ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ أي: وذلك لأن الشياطين كانوا لا يُحجبون عن السماوات فيدخلونها ويأتون بأخبارها إلى الكهنة، فلما وُلِدَ عيسى.. مُنِعُوا من ثلاث سماوات، ولما ولد سيدنا محمد ﷺ.. مُنِعُوا من السماوات كلها، ولما بُعِثَ.. رَمِيت عليهم الشهب؛ فكانت تخطئ وتُصيب، فلما عُرج به ﷺ.. صارت لا تخطئهم أبداً.

إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ ﴿١٨﴾ شَهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٩﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿٢٠﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ

﴿إِلَّا﴾ : لَكِنْ ﴿مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ : خَطَفَهُ ﴿فَاتَّبَعَهُ﴾ : شَهَابٌ مُبِينٌ ﴿﴾ : كَوْكَبٌ يُضِيءُ وَيُحْرِقُهُ أَوْ يَتَّبِعُهُ أَوْ يُخَبِّلُهُ .

﴿١٩﴾ ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ : بَسَطْنَاهَا ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ﴾ : جِبَالاً ثَوَابِتَ لَيْثاً تَتَحَرَّكُ بِأَهْلِهَا ، ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ : مَعْلُومٌ مُقَدَّرٌ .

﴿٢٠﴾ ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ﴾ - بِالْيَاءِ - مِنَ الثَّمَارِ وَالْحُبُوبِ ،

حاشية الصاوي

قوله : ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ استثناء منقطع ؛ لأنَّ ما قبل الاستثناء دخولهم السماء ، وما بعده استراقهم من خارجها ، والمعنى : أنَّ الشياطين يركب بعضهم بعضاً يُريدون الاستراق ، فتكون الشهب بالمرصاد لهم كما صرَّحت به سورة (الجن) في قوله : ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ . إلخ .

قوله : (كوكب مضيء) وقيل : الشهاب : شعلة نارٍ تنفصل من الكوكب ، وهو الصحيح .

قوله : (أو يخبله) أي : يفسد أعضاءه ، فيصير غولاً في الوادي يضلُّ الناس .

قوله : ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ (الأرض) : منصوب بفعل محذوف يفسره ﴿مَدَدْنَاهَا﴾ .

قوله : (بسطناها) أي : على الماء .

قوله : (لئلا تتحرك بأهلها) أي : لأنَّ الله لما خلقها وبسطها على الماء .. تحركت واضطربت ، فثبتها بالجبال الرواسي ، فسكنت .

قوله : (معلوم) أي : الله ، فيعلم قدر ما تحتاج إليه الخلق في معاشهم .

قوله : ﴿مَعِيشَ﴾ جمع مَعِيشَةٍ ، وهي : ما يعيش بها الإنسان ؛ من المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك .

قوله : (بالياء) أي : باتفاق السبعة ؛ لأنها في المفرد أصليَّة ، فلا تقلب في الجمع همزة ، بل تبقى على حالها ، بخلاف المدِّ الزائدة في المفرد فإنه يُقلب همزة في الجمع ، قال : ابن مالك ^(١) : [الرجز]

والمَدُّ زَيْدٌ ثَالِثٌ فِي الْوَاحِدِ هَمْزاً يُرَى فِي مِثْلِ كَالْقَلَائِدِ

وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقَيْنَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾

﴿و﴾ جَعَلْنَا لَكُمْ ﴿مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقَيْنَ﴾ مِنَ الْعَبِيدِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ، فَإِنَّمَا يَرْزُقُهُمُ اللَّهُ. ﴿٢١﴾ ﴿وَإِنْ﴾ : مَا ﴿مِنْ﴾ - زَائِدَةٌ - ﴿شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ : مَفَاتِيحُ خَزَائِنِهِ، ﴿وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ عَلَى حَسَبِ الْمَصَالِحِ.

حاشية الصاوي

وقرئ شذوذاً بالهمز على التشبيه بـ (شمائل) ^(١).

قوله: ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقَيْنَ﴾ مشى المفسر على أنه معطوف على ﴿مَعِيشٍ﴾؛ حيث قدر قوله: (جعلنا لكم).

قوله: (من العبيد) أي: والخدم وغيرهم، فأنتم تتفعون بتلك الأشياء ولستم برازقين لها، وإنما يرزقها على خالقها.

قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ كالدليل لقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقَيْنَ﴾، فهو إعلامٌ بسعة فضله سبحانه وتعالى، وقوله: ﴿شَيْءٍ﴾ نكرة في سياق التثني فتعم كل شيء كان، في الدنيا أو الآخرة، جليلاً أو حقيراً.

قوله: ﴿إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ أي: إلا يوجد الله إذا تعلقت قدرته وإرادته به، ففي الكلام مجازاً؛ حيث شبه سرعة إيجاده الأشياء بحصولها بالفعل وجعلها في خزائن، والجامع بينهما سرعة الحصول في كل، فالمعنى: بيده الأشياء كلها خيرها وشرها، جليلها وحقيرها، فإذا أراد الله شيئاً.. حصل، فحينئذٍ: فلا يطلب الإنسان من غيره، بل يطلب المفاتيح ممن بيده الخزائن. والمفاتيح كناية عن التسهيل؛ فمن أراد الله له شيئاً.. أعطاه مفتاحه؛ بمعنى: سهل أسبابه.

قوله: ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ أي: فيُسعدُ هذا، ويُشقى هذا، ويفقر هذا، ويغني هذا؛ على حسب ما قدره الله، إذا علمت ذلك.. فالمناسب للمفسر أن يقول: على حسب تقدير الله؛ فإن الله تعالى ليس مراده مقيداً لمصالح عباده، بل أفعاله على حسب ما أَرَادَهُ وعلمه، فَتَجِدُ الْكَافِرَ يَطُولُ عَمْرُهُ وهو في فقر ومرض، ثم يُخْتَمُ لَهُ بِالْكَفْرِ، ويكون في النار، وأيُّ مصلحة في ذلك؟!

(١) وهي قراءة خارجة بن مصعب عن نافع. انظر «الدر المصون» (٥/٢٥٨).

وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ فَاَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾

﴿٢٢﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ: تُلَقِّحُ السَّحَابَ فَيَمْتَلِئُ مَاءً، ﴿فَاَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾: السَّحَابِ ﴿مَاءً﴾: مَطْرًا ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ أي: لَيْسَتْ خَزَائِنُهُ بِأَيْدِيكُمْ. (﴿٢٣﴾ - ﴿٢٥﴾) ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾: الْبَاقُونَ، نَرِثُ جَمِيعَ الْخَلْقِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ﴾ جمع رِيح، وهو: جِسْمٌ لَطِيفٌ مُنْبِتٌ فِي الْجَوِّ، سَرِيعُ الْمُرُورِ.

قوله: ﴿لَوْفِحَ﴾ (إِذَا جَمَعَ (مُلْقِح) مِنْ: (أَلْقَحَ)، وَحِينَئِذٍ: فَجَمَعَهُ (مَلَاقِحَ)، حَذَفَتْ الْمِيمُ تَخْفِيفًا، أَوْ جَمَعَ (لَاقِحَ) مِنْ: (لَقَّحَ)، يُقَالُ: لَقَحْتُ الرِّيحَ: إِذَا حَمَلَتْ الْمَاءَ إِلَى السَّحَابِ.

واعلم: أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَرْسِلُ الرِّيحَ الْأَرْبَعَةَ لِخِدْمَةِ الْمَطَرِ؛ فَرِيحُ الصَّبَا تُثِيرُ السَّحَابَ مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ، وَرِيحُ الشَّمَالِ تَجْمَعُهُ، وَرِيحُ الدَّبُورِ تُفَرِّقُهُ، وَالْجَنُوبُ تُدْرِئُهُ.

قوله: (تُلَقِّحُ السَّحَابَ) أي: تَمِجُّ الْمَاءَ فِيهِ.

قوله: (السَّحَابِ) أي: فَالْمُرَادُ بِالسَّمَاءِ: كُلُّ مَا عَلَا وَارْتَفَعَ، وَيَصَحُّ أَنْ يُرَادَ بِالسَّمَاءِ حَقِيقَتُهَا؛ لِأَنَّ أَصْلَ مَاءِ الْمَطَرِ مِنَ السَّمَاءِ.

قوله: ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ (الْكَافُ: مَفْعُولٌ أَوَّلٌ، وَالْهَاءُ: مَفْعُولٌ ثَانٍ، وَالْمَعْنَى: جَعَلْنَاهُ سَقِيًّا لَكُمْ وَلَأَرْضَكُمْ وَمَوَاشِيَكُمْ).

قوله: (أي: لَيْسَتْ خَزَائِنُهُ بِأَيْدِيكُمْ) أي: بَلْ خَزَائِنُهُ عِنْدَ اللَّهِ، فَهُوَ مِنْ مَشْمُولَاتِ قَوْلِهِ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: ٢١].

قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي﴾ (أي: جَمِيعُ الْخَلْقِ، وَ(إِنَّ): حَرْفُ تَوْكِيدٍ وَنَصْبٍ، وَ(نَا): اسْمُهَا، وَجُمْلَةُ ﴿نُحْيِي﴾: خَبَرُهَا، وَقَوْلُهُ: ﴿لَنَحْنُ﴾: ضَمِيرٌ مُنْفَصِلٌ تَوْكِيدٌ لَ(نَا)، لَا ضَمِيرٌ فَصْلٌ؛ لِمَا تَقَدَّمَ أَنَّهُ مُرَدُّدٌ بِأَنَّ ضَمِيرَ الْفَصْلِ لَا يَقَعُ إِلَّا بَيْنَ اسْمَيْنِ، وَهَذَا لَيْسَ كَذَلِكَ^(١).

قوله: ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ (الْوَارِثُ فِي الْأَصْلِ هُوَ: الَّذِي يَأْخُذُ الْمَالَ بَعْدَ مَوْتِ مُوَرِّثِهِ، ثُمَّ أُطْلِقَ

(١) وَلَعَلَّ الْمَفْسِّرَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَبَعَ الْجَرْجَانِيَّ وَمِنْ وَافَقَهُ فِي تَجْوِيزِ وَقُوعِ ضَمِيرِ الْفَصْلِ قَبْلَ الْفِعْلِ. انْظُرْ «مَغْنِي اللَّيْبِ»

وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ﴾ أي: مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْخَلْقِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾: الْمُسْتَأْخِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ فِي صُنْعِهِ، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِخَلْقِهِ.

(﴿٢٦﴾ - ﴿٢٧﴾) ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾: آدَمَ ﴿مِنْ صَلْصَلٍ﴾: طِينٍ يَابِسٍ يُسْمَعُ لَهُ صَلْصَلَةٌ إِذَا نُقِرَ، ﴿مِنْ حَمَلٍ﴾: طِينٍ أَسْوَدَ ﴿مَسْنُونٍ﴾: مُتَغَيَّرٍ،

حاشية الصاوي

الإرث وأريد لازمه وهو البقاء بعد فناء غيره؛ فإنه يلزم من أخذ الوارث مال المورث بقاؤه بعد موت صاحبه، فهو سبحانه وتعالى وارث جميع الخلق، بمعنى: أنه يبقى بعد فنائهم.

قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ﴾ أي: علماً تفصيلياً، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

قوله: (المستأخرين) أشار بذلك إلى أنَّ السنين والتاء في (المستقدمين) و(المستأخرين) زائدتان، والمعنى: أنَّ علمه محيط بجميع خلقه، مُسْتَقْدِمُهُمْ وَمُسْتَأْخِرُهُمْ، طَائِعُهُمْ وَعَاصِيُهُمْ، لا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه.

قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ أي: يَجْمَعُهُمْ لِلْحِسَابِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَنْقَسِمُونَ فَرِيقَيْنِ: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ.

قوله: ﴿مِنْ صَلْصَلٍ﴾ الصلصال بمعنى: المصلصل؛ كالزلزال بمعنى: المزلزل، ووزنه (فعلال) بتكرار اللام، فقلبت الأولى منهما من جنس فاء الكلمة.

والصلصال: طورٌ رابعٌ من أطوار آدم الطينية؛ لأنه أولاً كان تراباً، ثم عُجِنَ بأنواع المياه فصار طيناً، ثم ترك حتى أُنْتِنَ واسودَّ فصار حمأً مسنوناً، ثم يَبَسَ بعد تصويره فصار صلصالاً، ثم نفخ فيه الروح بعد مئة وعشرين سنة؛ أربعين وهو طين، وأربعين وهو حمأً مسنون، وأربعين وهو صلصال مُصَوَّرٌ، وهكذا أطوار أولاد آدم؛ تمكث النطفة في الرحم أربعين يوماً، ثم تصير عُلقة مثل ذلك، ثم تصير مُضغَةً مثل ذلك، ثم تنفخ فيه الروح بعد مئة وعشرين يوماً.

قوله: (متغير) أي: من طول مكثه حتى يتخمر.

وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾

﴿وَالْجَانَّ﴾: أبا الجنِّ وهو إبليس، ﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل خلقِ آدم ﴿مِنْ نَّارِ السَّمُومِ﴾ هي نَارٌ لَا دُخَانَ لَهَا تَنْفُذٌ مِنَ الْمَسَامِ.

﴿٢٨ - ٢٩﴾ ﴿و﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ: أَتَمَمْتُهُ ﴿وَنَفَخْتُ﴾: أَجَرَيْتُ ﴿فِيهِ مِنْ رُّوحِي﴾ فَصَارَ حَيًّا، وإضافةُ الرُّوحِ إِلَيْهِ تَشْرِيفٌ لِآدَمَ، ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ سُجُودَ تَحِيَّةٍ بِالْإِنْحِنَاءِ.

حاشية الصاوي

قوله: (أبا الجن، وهو إبليس) هذا أحد قولين، وقيل: هو أبو الشياطين فرقة من الجن لم يؤمن منهم أحد، والجان هو أبو الجن، وعلى هذا تكون الأصول ثلاثة: آدم وهو أبو البشر، وإبليس وهو أبو الشياطين، والجان وهو أبو الجن، وعلى ما مشى عليه المفسر يكونان أصليْن فقط: آدم، وإبليس. قوله: (هي نَارٌ لَا دُخَانَ لَهَا) أي: ومنها تكون الصَّوَاعِقُ.

قوله: (تنفذ في المسام) أي: تدخل منها؛ لِلطَّفِ الْمَسَامِ وَشِدَّةِ حَرَارَةِ النَّارِ، فَإِذَا دَخَلَتْ فِي الْإِنْسَانِ.. قَتَلَتْهُ.

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ (إِذْ): ظرف معمول لمحذوف، قَدَّرَهُ الْمَفْسِّرُ بِقَوْلِهِ: (اذْكُرْ).

قوله: ﴿مِّن صَلْصَلٍ﴾ ﴿مِّن﴾: لا ابتداء الغاية.

قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ أي: صَوَّرْتَهُ إِنْسَانًا كَامِلًا مُعْتَدِلَ الْأَعْضَاءِ وَالطَّبَائِعِ.

قوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي﴾ أي: أَفْضَيْتُ عَلَيْهِ رُوحًا مِنَ الْأَرْوَاحِ الَّتِي خَلَقْتُهَا، فَصَارَ بِهَا حَيًّا، وليس المراد: النفخ حقيقة؛ لِاسْتِحَالَتِهِ عَلَى اللَّهِ.

قوله: (وإضافة «الروح» إليه) أي: كما يقال: بيثُ الله، وناقَ الله.

قوله: ﴿فَقَعُوا﴾ الفاء: واقعة في جواب (إِذَا)، و(قَعُوا): فعل أمر من: وَقَعَ يَقَعُ؛ بِمَعْنَى: سَقَطَ وَخَرَّ.

قوله: (بالإنحناء) أي: لا بوضع الجبهة، وهذا أحد قولين، وقيل: المراد: بالسجود حقيقته، وآدم كالقابلة، والسجود لله، أو يقال: إِنَّ السَّجُودَ لِذَاتِ آدَمَ، وَقَوْلُهُمْ: السَّجُودُ لِغَيْرِ اللَّهِ كُفْرٌ.. محلُّه: فِي غَيْرِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَأَمَّا فِي مِثْلِ هَذَا.. فَالْكُفْرُ فِي الْمَخَالَفَةِ.

فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَبْنَئِيسَ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾

(٣٠ - ٣١) ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ - فِيهِ تَأْكِيدَانِ - ، ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾
هو أَبُو الْحِجْنِ كَانَ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ ﴿أَبَى﴾ : امْتَنَعَ مِنْ ﴿أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ .
﴿٣٢﴾ ﴿قَالَ﴾ تَعَالَى : ﴿يَبْنَئِيسَ مَا لَكَ﴾ : مَا مَنَعَكَ ﴿أَنْ﴾ ن ﴿لَا﴾ - زائدة - ﴿تَكُونَ مَعَ
السَّاجِدِينَ﴾ ؟

حاشية الصاوي

قوله : (فيه تأكيدان) أي : للمبالغة وزيادة الاعتناء ؛ فبال تأكيد الأول اندفع توهم المجاز ، وبالثاني استفيد أنهم سجدوا جملة واحدة^(١) .

قوله : (كان بين الملائكة) أشار بذلك إلى صحة الاستثناء ، ثم هو يحتمل أن يكون منقطعاً ؛ لأنه لم يكن منهم حقيقة ، أو مُتصلاً باعتبار أنه كان متصفاً بصفاتهم^(٢) ، وقيل : إنه منهم^(٣) ، والتحقيق : خلافه .

قوله : ﴿أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ استئناف مبين لكيفية عدم السجود .

قوله : ﴿قَالَ﴾ تَعَالَى (إن قلت : إِنَّ مكالمة الله تعالى بدون واسطة شرفٌ وتعظيمٌ وإبليس ليس من أهل ذلك؟!)

أجيب : بأن محل كونها شرفاً : إن كانت على سبيل الإكرام ، وأما كلام الله لإبليس . . فهو على سبيل الإهانة والطرْد ، فلم يكن تشريفاً .

قوله : (ما منعك . . إلخ) حمله على هذا التفسير قوله في الآية الأخرى : ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا

(١) (أجمعون) تفيد الاجتماع في الوقت إذا كانت مع (كل)، أما بدونها . . فتفيد التأكيد المجرد ، وهو ألا يخرج أحد من الفعل ، فلم يكن الاجتماع في وقت واحد ، بل الاجتماع في الفعل . أفاده بعض الحواشي عن الشيخ عبد القاهر . «فتوحات» (٣/٦١٤) .

(٢) لأنه كان جنيئاً واحداً بين أظهر الألوف من الملائكة مغموراً بهم ، فغلبوا عليه في قوله : ﴿فَسَجَدُوا﴾ ، ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم . انظر «الكشاف» (١/١٥٦) .

(٣) وبه قال جماعة من العلماء كالبغي والواحي والبيضاوي ، كذا نقله العلامة الجمل في «فتوحاته» (١/٤١) عن الكرخي في «حاشيته على الجلالين» .

قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِإِشْرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَصلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾

﴿٣٣﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ: لا ينبغي لي أن أسجد ﴿لِإِشْرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَصلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾.

﴿٣٤ - ٣٥﴾ ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا﴾ أي: مِنَ الْجَنَّةِ، وَقِيلَ: مِنَ السَّمَاوَاتِ، ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾: مَطْرُودٌ، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾: الْجَزَاءُ.

﴿٣٦ - ٣٨﴾ ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: النَّاسُ، ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ: وَقْتُ النَّفْخَةِ الْأُولَى.

حاشية الصاوي

خَلَقْتُ بِيَدَيَّ [ص: ٧٥]؛ ولذا قال: («لا»: زائدة)، ويصح أن تكون غير زائدة، والمعنى: أي شيء ثبت لك في عدم كونك مع الساجدين؟!

قوله: (لا ينبغي) أي: لا يصح ولا يليق.

قوله: ﴿لِإِشْرٍ خَلَقْتَهُ﴾... إلخ) أي: وَخَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ، فَأَنَا خَيْرٌ مِنْهُ؛ لِأَنَّ النَّارَ: جِسْمٌ لَطِيفٌ نَوْرَانِيٌّ، وَالصَّلَصال: جِسْمٌ كَثِيفٌ ظُلُمَانِيٌّ، وَالنَّوْرَانِيُّ خَيْرٌ مِنَ الظُّلُمَانِيِّ، هَذَا وَجْهٌ تَكْبُرُهُ عَنِ السُّجُودِ وَادِّعَائِهِ الْخَيْرِيَّةِ، وَهِيَ مَرْدُودَةٌ: بِأَنَّ آدَمَ مُرَكَّبٌ مِنَ الْعَنَاصِرِ الْأَرْبَعِ، بِخِلَافِ إِبْلِيسَ، وَأَيْضاً: فَالْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُعْطِيهِ لِمَنْ يَشَاءُ.

قوله: (وقيل: من السماوات) وهذا الخلاف مرتبٌ على الخلاف في أَنَّ السُّجُودَ لِآدَمَ هَلْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ أَوْ خَارِجَهَا؟ فَمَنْ قَالَ بِالْأَوَّلِ.. جعل الضمير في ﴿مِنْهَا﴾ عائداً على الجنة، ومن قال بالثاني.. جعله عائداً على السماوات.

قوله: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾) أي: مرجوم، والرَّجْمُ كما في «القاموس»: اللعن والسَّتم والطَّرد والهجران^(١).

قوله: ﴿إِنَّ يَوْمَ الدِّينِ﴾) أي: وبعد ذلك يزداد عذاباً على اللعنة التي هو فيها.

قوله: ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾) قصد اللعين بذلك أنه لا يموت أبداً؛ لأنه إذا أمهل إلى يوم

(١) «القاموس المحيط» (١/١١١)، مادة: (الرجم).

قَالَ رَبِّ يَا أَغْوَيْتَنِي لِأُرِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَّتَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرْطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾

(٣٩ - ٤٠) ﴿قَالَ رَبِّ يَا أَغْوَيْتَنِي﴾ أي: بإغوائك لي، - والباء للقسَم، وجوابه -: ﴿لَأُرِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ المعاصي ﴿وَلَاغْوِيَّتَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ أي: المؤمنين.

(٤١ - ٤٢) ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿هَذَا صِرْطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ أي: المؤمنين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾: قُوَّة، ﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ ﴿مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾: الكافرين.

حاشية الصاوي

البعث الذي هو يوم النفخة الثانية.. فقد أمهل إلى الأبد؛ لانقطاع الموت حينئذ، وقصد أيضاً: الفسحة في الأجل؛ لأجل الإغواء، فأجابه الله إلى الثانية دون الأولى.

قوله: (وقت النفخة الأولى) أي: فيموت في جملة الخلائق، ثم يُبعث مع الناس، فمدّة موته أربعون سنة، ولم يكن هذا الإمهال إكراماً له، بل إهانة وشقاوة؛ ليزداد عذاباً.

قوله: (والباء: للقسَم) وقيل: للسببية.

قوله: ﴿لَأُرِيَنَّ لَهُمْ﴾ (الضمير عائذ على أولاد آدم وإن لم يتقدّم لهم ذكر؛ للعلم بهم).

قوله: ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ أي: الذين أخلصوا في أعمالهم؛ فلا تسلّط لي عليهم.

قوله: ﴿قَالَ هَذَا صِرْطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: هذا دينٌ مستقيم لا اعوجاج فيه؛ فعليّ حفظه تفضلاً وإحساناً.

قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ حاصل ذلك: أَنَّ إبليس لما قال: ﴿لَأُرِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَّتَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾.. أوهم بذلك أَنَّ له سلطاناً على غير المخلصين، فبيّن تعالى أنه ليس له سلطانٌ على أحدٍ من العباد؛ لا من المخلصين، ولا من غيرهم، بل من اتّبعه.. فهو مِنْ طَرْدِ الله له، لا من سلطنة إبليس، ويؤيّد قوله في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

قوله: (لكن) أشار بذلك إلى أَنَّ الاستثناء منقطع.

وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾

(٤٣ - ٤٤) ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: مَنْ اتَّبَعَكَ مَعَكَ، ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾: أطباقٍ ﴿لِكُلِّ بَابٍ﴾ مِنْهَا ﴿مِنْهُمْ جُزْءٌ﴾: نَصِيبٌ ﴿مَقْسُومٌ﴾.

(٤٥ - ٤٦) ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾: بَسَاتِينٍ ﴿وَعُيُونٍ﴾: تَجْرِي فِيهَا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ أي: وأعلاها جَهَنَّمَ وهي لِعَصَاةِ الْمُؤْمِنِينَ، ثم لظي لليهود، ثم الحطمة للنصارى، ثم السعير للصابئين، ثم سقر للمجوس، ثم الجحيم لِعِبَادِ الْوثن، ثم الهاوية لِلْمُنَافِقِينَ.

قوله: ﴿لِكُلِّ بَابٍ﴾ أي: طبقة من أطباقها.

قوله: ﴿جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ أي: حِزْبٌ مُعَدٌّ لَهَا.

قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: الَّذِينَ اتَّقَوْا الشَّرْكَ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَلَوْ عَصَاءٌ؛ لِأَنَّ الْمُتَّقِيَ هُوَ الْآتِي بِالتَّقْوَى وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً، غَيْرَ أَنَّ الْعَاصِيَ إِذَا مَاتَ مُصِرًّا عَلَى الْمَعَاصِي.. تَحْتَ الْمَشِيشَةِ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.. عَذَّبَهُ مُدَّةً، ثُمَّ يَعْفُو عَنْهُ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِنْ شَاءَ.. لَمْ يُعَذَّبْ، وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

وقال أبو هاشم الجبائي وجمهور المعتزلة: إِنَّ الْمُتَّقِينَ هُمْ: الَّذِينَ اتَّقَوْا جَمِيعَ الْمَعَاصِي فَلَا يَثْبِتُ دُخُولُ الْجَنَّةِ إِلَّا لِمَنْ تَرَكَ جَمِيعَ الْمَعَاصِي، وَهَذَا مَذْهَبٌ بَاطِلٌ؛ لِتُخَالَفَتِ النُّصُوصُ الْقُرْآنِيَّةُ وَالْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ، وَالَّذِي يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ: أَنَّ الْجَنَّةَ تَمْلِكُ بِالمَوْتِ عَلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَلَوْ صَحَبَهَا أَمْثَالُ الْجِبَالِ مِنَ الْمَعَاصِي، غَيْرَ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ مَرَاتِبٌ.

قوله: ﴿وَعُيُونٍ﴾: يَحْتَمِلُ أَنْ الْمُرَادُ بِهَا: الْأَنْهَارُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ فِيهَا: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ...﴾ [محمد: ١٥] الْآيَةِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ زِيَادَةً عَلَيْهَا، وَهَلْ كُلُّ مُؤْمِنٍ لَهُ عِدَّةٌ بَسَاتِينٍ وَعِدَّةٌ أَنْهَارٍ أَوْ كُلُّ لَهُ بُسْتَانٌ وَنَهْرٌ؛ لِمُقَابَلَةِ الْجَمْعِ بِالْجَمْعِ؟^(١)

(١) عبارة الإمام الرازي في السؤال وجوابه: (فإن قيل: أتقولون إنَّ كل واحد من المتقين يختص بعينٍ، أو تجري تلك العيون من بعض إلى بعض؟ قيل: لا يمتنع كل واحد من الوجهين؛ فيجوز أن يختص كل واحد بعينٍ، ويتنفع به كل من في خدمته من الحور والولدان، ويكون ذلك على قدر حاجتهم وعلى حسب شهواتهم، ويحتمل أن يكون يجري من بعضهم إلى بعض؛ لأنهم مُطَهَّرُونَ عَنِ الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ). انظر «مفاتيح الغيب» (١٤٧/١٩).

أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ

وَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ أي: سَالِمِينَ مِنْ كُلِّ مَخُوفٍ، أو مع سَلَامٍ، أي: سَلِّمُوا وادْخُلُوا ﴿ءَامِينَ﴾ مِنْ كُلِّ فَرْعٍ.

(٤٧ - ٤٨) ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ﴾: حَقْدٍ

حاشية الصاوي

قوله: (ويقال لهم) أي: إذا أرادوا الانتقال من محلٍّ إلى آخر، وإلا... فهم مُسْتَقَرُّون فيها، فأمرهم حينئذ بالدخول تحصيل حاصل، والقائل يحتمل أن يكون الملائكة، أو الله تعالى.

قوله: ﴿بِسَلَامٍ﴾ الجارُّ والمجرور متعلق بمحذوف حال من الواو في ﴿أَدْخُلُوهَا﴾ أي: ادْخُلُوهَا حال كونكم مصحوبين بسلامة من الله من جميع المخاوف والمكاره، وهذا على المعنى الأول الذي ذكره المفسر، ويقال على المعنى الثاني: ادْخُلُوهَا مصحوبين بسلام من بعضكم لبعض ومن الملائكة؛ أي: يُسَلِّم بعضكم على بعض، وتسَلِّم الملائكة عليكم.

قوله: (أي: سَلِّمُوا) تفسير للمعنى الثاني.

قوله: ﴿ءَامِينَ﴾ قدَّر المفسر (ادخلوا)؛ إشارة إلى أنه حال ثانية، وهي مُرَادِفَةٌ لِلأُولَى، ولا حاجة لهذا التقدير^(١).

قوله: (من كل فرع) أي: ومنه زوال ما هُم فيه من النِّعَمِ المقيم، وقوله: ﴿بِسَلَامٍ ءَامِينَ﴾ زيادة في سرور أهل الجنة؛ لأنَّ النِّعَمِ إذا لُوْحِظ فيه عدم الانقطاع... كان في غاية السرور، ولا شكَّ أنَّ الجنة كذلك، بخلاف الدنيا؛ فَإِنَّ نَعِيمَهَا ملاحظ فيه الانقطاع عند حُصُولِهِ؛ فَلِذَلِكَ كانت دَارَهُمْ وغمٌ.

قوله: ﴿مِّنْ غِلٍّ﴾ الغِلُّ هو: أمراض القلب كالحسد والكبر والعجب والشحناء والبغضاء. روي: (أن المؤمنين يوقفون على باب الجنة وقفةً، فيقتض بعضهم من بعض، ثم يؤمر بهم إلى الجنة وقد نَقَّى الله قلوبَهُمْ من الغِلِّ والغشِّ والحقد والحسد)^(٢)، فهم يحبُّون بعضهم بحبِّهم لربِّهم، وشأنُ المحبِّ ألا يكون لمحجوبه غِلٌّ في قلبه، بل بينهم الصفاء والوفاء.

(١) للتصريح به في الآية، فكان عليه أن يُعْرَبه - أي: ﴿ءَامِينَ﴾ - حالاً من الواو في ﴿أَدْخُلُوهَا﴾. «فتوحات» (٥٧٤/٢) نقلاً عن شيخه العلامة الأجهوري.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٣٩) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾

﴿إِخْوَانًا﴾ - حال من (هم) - ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ - حال أيضاً - أي: لا يَنْظُرُ بعضهم إلى قفا بعضٍ لِدَوْرَانِ الْأَسْرَةِ بِهِمْ، ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾: تَعَبٌ، ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ أبداً.

(﴿٤٩﴾ - ﴿٥٠﴾) ﴿نَبِّئْ﴾ خَبِّرْ يَا مُحَمَّدُ ﴿عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ، ﴿الرَّحِيمُ﴾

بِهِمْ،

حاشية الصاوي

قوله: (حال من «هم») أي: من ضمير ﴿صُدُّورِهِمْ﴾ المضاف إليه، والشرط موجود؛ لأنَّ المضاف جزء المضاف إليه، والمعنى: نزعنا ما في صدورهم من غِلٍّ حال كونهم متآخين في المودة والمحبة.

قوله: ﴿عَلَى سُرُرٍ﴾ جمع سرير، وهو - كما قال ابن عباس - من ذهب مُكَلَّلٌ بالزبرجد والدرُّ والياقوت، والسرير مثل ما بين صنعاء إلى الجابية^(١).

قوله: (حال أيضاً) أي: من الضمير في ﴿إِخْوَانًا﴾^(٢).

قوله: (لدوران الأسرّة بهم) أي: إنهم إذا اجتمعوا وتلاقوا ثم أرادوا الانصراف.. يدور سرير كل واحد منهم؛ بحيث يبقى مقابلاً بوجهه لمن كان عنده، وقفاه إلى الجهة التي يسير لها السرير، وهذا أبلغ في الأناة والإكرام.

قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ أي: إعياء، بخلاف الدنيا؛ ففيها الإعياء والتعب، والكدورات والمشقات.

قوله: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ أي: بل هم خالِدون فيها، لا يزولون ولا يحولون؛ فالجنة خلود بلا زوال، وبقاء بلا فناء، وكمال بلا نقصان.

قوله: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ﴾... إلخ) أي: أخبر يا محمد عبادي المؤمنين العاصين بأني أنا الغفور

(١) انظر «زاد المسير» (٥٣٦/٢).

(٢) ويجوز أن يتعلّق بمحذوفٍ على أنه صفةٌ لـ(إخواناً)، ويجوز أن يتعلّق بـ(متقابلين) أي: متقابلين على سُرُرٍ. انظر

«الدر المصون» (١٦٣/٧).

وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾

﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾ لِلْعَصَاةِ ﴿هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾: الْمُؤْلِمُ.

﴿٥١﴾ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ وَهُمْ مَلَائِكَةُ اثْنَا عَشَرَ أَوْ عَشْرَةٌ أَوْ ثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ

جِبْرِيلُ.

حاشية الصاوي

الرحيم؛ فلا يقنطون من رحمتي، ولا يخافون عذابي، وهذا من الله تعطف لعباده، واستجلابهم للتوبة، وقد أكد هذه الجملة بألفاظ ثلاثة: أولها: ﴿أَنِّي﴾، وثانيها: ﴿أَنَا﴾، وثالثها: تعريف الجملة بـ(أل)، ولما ذكر العذاب.. لم يقل: وأني أنا المعذب، وهذا يدل على أن الرحمة تغلب الغضب؛ فلا يستبعد العاصي رحمة الله، بل يقبل على سيده بالتوبة والإنابة؛ فإنه هو الغفور الرحيم، فمتى كان في العبد أوصافٌ متعددة تقتضي الغضب ووصفٌ واحدٌ يقتضي الرحمة.. فإن وصف الرحمة يغلب.

قوله: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ أتى بهذه الآية؛ لمناسبة ذكر النار أولاً؛ فقد ذكر النار والجنة، ثم ذكر ما يناسب كلياً على سبيل اللف والنشر المشوِّش، واستفيد من هذه الآية: أن العبد يكون بين الرجاء والخوف؛ ففي الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لو يعلم العبد قدر عفو الله.. ما تورع عن حرام، ولو يعلم قدر عذابه.. لجمع نفسه إلى قتله»^(١)، وعنه ﷺ: أنه مرَّ بنفر من أصحابه وهم يضحكون، فقال: «أتضحكون وبين أيديكم النار؟! فنزل ﴿نَبِّئْ عِبَادِي...﴾»^(٢).

قوله: ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ معطوف على قوله: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي...﴾ إلخ، والمعنى: وأخبر عبادي عن قصة ضيوف إبراهيم... إلخ.

واعلم: أنه في السورة أثبت نبوة سيدنا محمد ﷺ أولاً، ثم أتبع ذلك بذكر أدلة التوحيد، ثم خلق آدم وما يتعلق به، ثم بين أهل السعادة وأهل الشقاوة، ثم أتبع ذلك بذكر قصص بعض الأنبياء؛ ليكون عبرة للمعتبرين، وأوقع في نفس المتعطين، وقد ذكر هنا أربع قصص: قصة إبراهيم،

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (٦٥)، وفيه: (لبخع نفسه) بدل (لجمع نفسه). وفي «القاموس» (٧٠٢/١): (بخع نفسه: قتلها غمًا).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٤/١٣)، والبراز في «مسنده» (١٧٤/٦) عن سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بِشَرِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾

﴿عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ - حال - أي: مع مسّه إياي؟ ﴿فِيمَ﴾: في أي شيء؟ ﴿تُبَشِّرُونَ﴾؟ - استفهام تعجب -.

﴿٥٥﴾ ﴿قَالُوا بِشَرِّكَ بِالْحَقِّ﴾: بالصدق ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾: الـآيسين.

﴿٥٦﴾ ﴿قَالَ وَمَنْ﴾ أي: لا ﴿يَقْنَطُ﴾ - بكسر النون وفتحها - ﴿مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾: الكافرون.

﴿٥٧﴾ - ﴿٦٠﴾ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾: شأنكم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾: كافرين، أي: قوم لوط لإهلاكهم، ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ حاشية الصاوي

قوله: ﴿عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ أي: فكان عمره إذ ذاك مئة واثنى عشرة سنة.

قوله: ﴿فِيمَ تُبَشِّرُونَ﴾ الجار والمجرور متعلق بـ﴿تُبَشِّرُونَ﴾، وقدم؛ لأن الاستفهام له صدر الكلام.

قوله: (استفهام تعجب) أي: من أن يكون له ولد مع مس الكبر إياه، وتعجب بالنظر للعادة، لا بالنظر لقدرة الله تعالى؛ ولذا دفع ذلك بقوله: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾.

قوله: ﴿قَالُوا بِشَرِّكَ بِالْحَقِّ﴾ أي: اليقين الذي لا لبس فيه.

قوله: (أي: لا يقنط) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي.

قوله: (بكسر النون وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيتان، وقرئ شذوذاً بضم النون^(١).

قوله: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي: الذي أرسلتم لأجله سوى البشارة؛ فإن البشارة يكفي فيها واحد، فلا تحتاج لعدد.

قوله: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ يحتمل أن يكون مستثنى من الإرسال، والمعنى: إنا أرسلنا إلى قوم

(١) قرأ أبو عمرو والكسائي بكسر النون، والباقون بفتحها، وقرأ زيد بن علي والأشهب بضمها. انظر «الدر المصون» (١٦٦/٧).

إِلَّا أَمْرَاتُهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَيْرِ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾

لإيمانهم، ﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَيْرِ﴾: الباقيَن في العذاب ليُكْفِرَها.

﴿٦١﴾ - ﴿٦٢﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ﴾ أي: لوطاً ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ لا أعرفكم.

﴿٦٣﴾ - ﴿٦٤﴾ ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا﴾ أي: قومك ﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾: يَشْكُونَ وهو العذاب. ﴿وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في قولنا.

حاشية الصاوي

مجرمين إلا آل لوط فلم تُرسل لهلاكهم، بل أرسلنا لنجاتهم، وحينئذ: يكون الاستثناء متصلاً، أو مستثنى من ﴿قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ فهو منقطع؛ لأنهم لم يدخلوا في القوم المجرمين، ويُشير للثاني قول المفسر: (لإيمانهم).

قوله: ﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ﴾ الأقرب: أنه مستثنى من ضمير (مُنْجُوهُمْ).

قوله: ﴿قَدَرْنَا﴾ إسناد التقدير للملائكة مجازاً؛ إذ المقدر حقيقة هو الله تعالى، وهذا كما يقول خواص الملك: أَمَرْنَا بكذا، والامر هو الملك.

قوله: (الباقيَن في العذاب) أي: فيقال: غَبَرَ الشيء: بقي، ويقال أيضاً: مَضَى، فهو من الأضداد.

قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ﴾ أي: بعد أن خرجوا من عند إبراهيم وسافروا لقرية لوط، وكان بينهما أربعة فراسخ.

قوله: (أي: لوطاً) أشار بذلك إلى أن لفظة ﴿آلَ﴾ زائدة؛ بدليل الآية الأخرى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ [هود: ٧٧].

قوله: ﴿مُنْكَرُونَ﴾ أي: تُنكركم نفسي وتجزع منكم، وإنما جزع منهم؛ لـخوفه من قومه عليهم؛ بدليل آية (هود): ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: ٧٧].

قوله: ﴿وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ﴾ الباء للملابسة؛ أي: مُلتبسِينَ بالحق.

فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾
وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْحِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَتُولَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾

- ﴿٦٥﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ: امشِ خَلْفَهُمْ، ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾
لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم، ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ وهو الشام.
﴿٦٦﴾ وَقَضَيْنَا: أَوْحَيْنَا ﴿إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ وهو ﴿أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْحِحِينَ﴾
- حال - أي: يَتِمُّ اسْتِصَالُهُمْ فِي الصَّبَاحِ.
﴿٦٧﴾ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ: مَدِينَةُ سَدُومَ، وَهُمْ قَوْمٌ لُوطٌ لَمَّا أُخْبِرُوا أَنَّ فِي بَيْتِ لُوطٍ
مُرْدًا حَسَنًا وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ، ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ - حال - طَمَعًا فِي فِعْلِ الْفَاحِشَةِ بِهِمْ.
﴿٦٨﴾ - ﴿٦٩﴾ ﴿قَالَ﴾ لُوطٌ: ﴿إِنَّ هَتُولَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ ﴿٦٨﴾

حاشية الصاوي

- قوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ أي: وهم بنتاه، فلم يخرج من قريته إلا هو وبنتاه.
قوله: ﴿بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ أي: في جزء منه.
قوله: (امشِ خلفهم) أي: لِيَتَطَمَّنَّ عَلَيْهِمْ.
قوله: (لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم) أي: فينزِعُ من ذلك.
قوله: (وهو الشام) أي: فطوى الله لهم الأرض في الوقت حتى نجوا ووصلوا إلى إبراهيم.
قوله: (أوحينا) أشار بذلك إلى أن (قضينا) ضمَّن معنى (أوحينا) فعُدِّي بما تعدَّى به.
قوله: ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾ الواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً؛ فإنَّ هذا المجيء قبل إعلام
الملائكة له بأنهم رُسل الله، فالقصة هنا على خلاف الترتيب الواقعي، بخلافها في (هود).
قوله: (مدينة سدوم) بالسين المهملة والذال المعجمة، وأخطأ من قال: بالمهملة.
قوله: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي: يُبَشِّرُ بعضهم بعضاً بأضياف لوط، وتقدَّم: أَنَّ الْمَخْبِرَ لَهُمُ بِالضِّيُوفِ
امرأة لوط.
قوله: ﴿فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ أي: لا تسيئونني فيهم.

وَأَنفُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَنُوكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَةٍ يَمَعَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهَا

وَأَنفُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ بِقَصْدِكُمْ إِيَّاهُمْ بِفِعْلِ الْفَاحِشَةِ بِهِمْ.

(٧٠ - ٧١) ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ عن إضافتهم؟ ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾

ما تُرِيدُونَ مِنْ قَضَاءِ الشَّهْوَةِ فَتَزَوُّجُوهُنَّ، قال تعالى:

﴿٧٢﴾ لَعَنُوكَ ﴿خِطَابَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَي: وَحَيَاتِكَ﴾ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَةٍ يَمَعَهُونَ: يَتَرَدَّدُونَ.

(٧٣ - ٧٤) ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ﴾: صَيْحَةُ جِبْرِيلَ ﴿مُشْرِقِينَ﴾: وَقْتُ شُرُوقِ الشَّمْسِ،

﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا﴾ أَي: قَرَاهُمُ ﴿سَافِلَهَا﴾ بِأَنْ رَفَعَهَا جِبْرِيلُ إِلَى السَّمَاءِ وَأَسْقَطَهَا مَقْلُوبَةً

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَنفُوا اللَّهَ﴾ (أَي: خَافُوا عِقَابَهُ).

قوله: ﴿الْعَالَمِينَ﴾ (أَي: عَنْ تَضْيِيفِ أَحَدٍ مِنَ الْغُرَبَاءِ، وَكَانُوا يَمْنَعُونَهُ مِنْ مَخَالَطَةِ النَّاسِ

وَإِضَافَتِهِمْ؛ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُؤْلَفَهُمْ وَيَسْتَعِينُوا بِهِمْ عَلَيْهِمْ).

قوله: (فَتَزَوُّجُوهُنَّ) أَي: إِنْ أَسْلَمْتُمْ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ كَانَ فِي شَرِيعَتِهِ يَحِلُّ تَزَوُّجُ الْكَافِرِ بِالْمُسْلِمَةِ،

وَتَقَدَّمَ فِي (هُودٍ): أَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ: نِسَاءَ أُمَّتِهِ.

قوله: ﴿لَعَنُوكَ﴾ بفتح العين: لَعَنَ فِي الْعُمَرِ بضمّتين، وَهُوَ: مُدَّةُ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا، وَلَكِنْ

لَمْ يَرِدِ الْقِسْمُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا بِالْفَتْحِ.

قوله: ﴿إِنَّهُمْ﴾ (أَي: قَوْمُ لُوطٍ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ: قَرِيشٌ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَهَذِهِ الْجُمْلَةُ مُعْتَرِضَةٌ

بَيْنَ قِصَّةِ قَوْمِ لُوطٍ.

قوله: (أَي: وَقْتُ شُرُوقِ الشَّمْسِ) أَي: طُلُوعُهَا، وَهَذَا بَيَانٌ لَانْتِهَاءِ الْعَذَابِ، وَابْتِدَاؤُهُ كَانَ

وَقْتُ الصَّبَاحِ.

قوله: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا﴾ (أَي: وَجْهَ الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ).

قوله: (أَي: قَرَاهُمُ) أَي: وَكَانَتْ أَرْبَعَةٌ، فِيهَا أَرْبَعُ مِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، وَقِيلَ: خَمْسَةٌ، وَفِيهَا أَرْبَعَةُ

آلَافٍ أَلْفٍ.

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ
إلى الأرض، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ : طِينٌ طُبِخَ بِالنَّارِ.

(﴿٧٥﴾ - ﴿٧٦﴾) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ : دَلَالَاتٍ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ ﴿لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ : لِلنَّاطِرِينَ الْمُعْتَبِرِينَ، ﴿وَإِنَّهَا﴾ أَي : قُرَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿لِّسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ : طَرِيقِ قُرَيْشٍ إِلَى الشَّامِ لَمْ تَنْدَرِسْ، أَفَلَا يَعْتَبِرُونَ بِهِمْ؟
(﴿٧٧﴾ - ﴿٧٨﴾) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ : لَعِبْرَةٌ ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَإِنْ﴾ - مُخَفَّفَةٌ - أَي : إِنَّهُ ﴿كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ هِيَ غَيْضَةُ شَجَرٍ بِقُرْبِ مَدْيَنَ وَهُمْ قَوْمُ شُعَيْبٍ
حاشية الصاوي

قوله : ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ (تقدّم في (هود)) : أنه يحتمل أن المطر كان على من كان غائباً عن القرى، ويحتمل أنه عليهم بعد قلبها بهم^(١).

قوله : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور (أَي : مِن قصة إبراهيم ولوط).

قوله : ﴿لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ (أَي : المتفكرين الذين يتأملون في الشيء فيعرفون حقيقته).

قوله : (لم تندرِس) أَي : آثارهم.

قوله : (لعبرة ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾) خَصُّوا بالذكر؛ لأنهم المتفعون بذلك.

قوله : ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ شروع في ذكر قصة شعيب مع قومه أصحاب الأيكة، وذكرت هنا مختصرة، وسيأتي بسطها في سورة (الشعراء)^(٢).

قوله : (مخففة) أَي : واسمها ضمير الشأن، و﴿كَانَ﴾ : ناقصة، و﴿أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ : اسمها، و﴿لِّظُلَّامِينَ﴾ : خبرها، واللام : للتوكيد، والجملة خبر (إِنْ).

قوله : (هي غيضة) شَجَرُ الْغَيْضَةِ فِي الْأَصْلِ : اسْمٌ لِلشَّجَرِ الْمَلْتَفِّ، والمراد بها هنا : المكان الذي فيه الشجر الكثير، ونُسبوا لها؛ لملازمتهم لها وإقامتهم عندها، وكان عامّة شجرهم المُقْل؛ أَي : الدَّوْم.

(١) انظر (٣/٣٠٨-٣٠٩).

(٢) انظر (٥/٤٤-٤٧).

لظَّالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لِيَإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾
وَأَيَّلْنَاهُمْ ءَايَتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾

﴿لَظَّالِمِينَ﴾ بِتَكْذِيبِهِمْ شُعَبِيًّا .

﴿٧٩﴾ ﴿فَإِنْقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بِأَنْ أَهْلَكْنَاهُمْ بِشِدَّةِ الْحَرِّ، ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ أَي: قُرَى قَوْم لُوطِ وَالْأَيْكَةِ
﴿لِيَأْمُرَ﴾: طَرِيقِ ﴿مُبِينٍ﴾: وَاضِحٌ فَلَا تَعْتَبِرُونَ بِهِمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ .

﴿٨٠﴾ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ﴾: وَادٍ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ وَهُمْ ثُمُودٌ ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾
بِتَكْذِيبِهِمْ صَالِحًا؛ لِأَنَّهُ تَكْذِيبٌ لِبَاقِي الرُّسُلِ؛ لِإِشْتِرَاكِهِمْ فِي الْمَجِيءِ بِالتَّوْحِيدِ .

﴿٨١﴾ - ﴿٨٢﴾ ﴿وَأَيَّلْنَاهُمْ ءَايَتِنَا﴾ فِي النَّاقَةِ ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ لَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهَا،

حاشية الصاوي

قوله: (بتكذيبهم شعبيًّا) أي: وبخسهم الكيل والميزان، وقطعهم الطريق .

قوله: (بشدة الحرِّ) أي: فسلبها الله عليهم سبعة أيام حتى قربوا من الهلاك، فبعث الله لهم
سحابة كالظلة، فالتجؤوا إليها واجتمعوا تحتها للتظلل بها، فبعث الله عليهم منها نارا، فأحرقهم
جميعاً، فأهلكهم أولاً بشدة الحرِّ، وثُمَّ بالظلة، وأما أهل مَدِينِ . . فأهلكوا بالصيحة كما تقدّم
في سورة (هود) من أنه أرسل لأهل مَدِينِ ولأصحاب الأيكة .

قوله: (طريق ﴿مُبِينٍ﴾) أي: ويسمى الطريق إماماً؛ لأنه يُؤمُّ ويتَّبَعُ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَرَادَ
الانتقال من موضع لآخر . . فإنه يأتُمُّ بالطريق حتى يصل إلى الموضع الذي يُريده .

قوله: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ﴾ شروعٌ في قِصَّةِ صَالِحٍ .

قوله: (وادٍ بين المدينة والشام) أي: وآثاره باقية يمرُّ عليها الذاهب من الشام للحجاز .

قوله: (لأنه تكذيب لباقي الرسل) جوابٌ عمّا يقال: لم جمع (المرسلين) مع أنهم لم يكذبوا
إلا رسولاً واحداً؟

قوله: ﴿وَأَيَّلْنَاهُمْ﴾ أضاف الإيتاء لهم وإن كان لصالح؛ لأنه مُرْسَلٌ لهم .

قوله: (في الناقة) أشار بذلك إلى أَنَّ النَّاقَةَ وَإِنْ كَانَتْ آيَةً وَاحِدَةً إِلَّا أَنَّهَا اشْتَمَلَتْ عَلَى آيَاتٍ
كخروجها من الصخرة، وعِظَمُ جَشَّتِهَا، وَغَزَارَةُ لَبْنِهَا، وَوِلَادَتُهَا فَصِيلاً قَدَرَهَا .

قوله: (لا يفكرون) أي: لا يتأملون ولا ينظرون .

وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمْ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ﴿٨٥﴾

﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمْ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ: وقت الصَّباح.

﴿٨٤﴾ ﴿فَمَا أَغْنَىٰ﴾: دَفَعَ ﴿عَنْهُمْ﴾ العَذَابَ ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من بِنَاءِ الْحُصُونِ وَجَمْعِ الْأُمُوالِ.

﴿٨٥﴾ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ لا مَحَالَةَ فَيُجَازَى كُلُّ أَحَدٍ بِعَمَلِهِ
حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾﴾ أي: يَنْقَرُونَ الجبال بالمعاويل حتى تصير بيوتاً من غير بنیان.

قوله: ﴿﴿ءَامِنِينَ﴾﴾ أي: من وصول اللُّصوص لهم، ومن تخريب الأعداء لِبُيُوتِهِمْ؛ لشدَّةِ إِتْقَانِهَا.

قوله: ﴿﴿فَأَخَذَتْهُمْ الصَّيْحَةُ﴾﴾ أي: من السماء، والزلزلة من الأرض لما عَقَرُوا الناقة، وتقدَّم في (هود): أن صالحاً قال لهم قبل نزول العذاب بهم: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥] ^(١).
قوله: (وقت الصَّباح) أي: بعد مُضِيِّ الثلاثة الأيام.

قوله: ﴿﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾﴾ ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو مَصْدَرِيَّة، أو نكرة موصوفة، فاعل ﴿أَغْنَى﴾، والتقدير: الذي كانوا يكسبونه، أو كسبهم، أو شيء يكسبونه.
قوله: (من بِنَاءِ الْحُصُونِ...) إلخ) بيان لـ(ما).

قوله: ﴿﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾﴾ أي: إلا خلقاً مُلتَبِساً بالحكمة والمصلحة والمنافع للعباد، ودلائل على وحدانيَّة الله.

قوله: ﴿﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ﴾﴾ أي: القيامة.

قوله: (فيجَازي كُلُّ أَحَدٍ بِعَمَلِهِ) أي: فيستقيم من المسيء، ويُنعم على المحسن.

فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي

﴿فَاصْفَحَ﴾ يا مُحَمَّدٌ عَنْ قَوْمِكَ ﴿الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ أَعْرِضْ عَنْهُمْ إِعْرَاضاً لَا جَزَعَ فِيهِ، وَهَذَا مَنْسُوخٌ بِآيَةِ السَّيْفِ.

﴿٨٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ لِكُلِّ شَيْءٍ، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِكُلِّ شَيْءٍ.

﴿٨٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ قَالَ ﷺ: «هِيَ الْفَاتِحَةُ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ؛

حاشية الصاوي

قوله: (وهذا منسوخ) أي: قوله: ﴿فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾، وهو أحد قولين، والثاني: أَنَّ الْآيَةَ مُحْكَمَةٌ، وَلَا يَنَافِي أَمْرُهُ بِالْقِتَالِ؛ فَإِنَّ الْمَقْصُودَ أَمْرُهُ بِأَنْ يَصْفَحَ عَنِ الْخَلْقِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ، وَيُعَامِلَهُمْ بِالْخَلْقِ الْحَسَنِ؛ فَيَعْفُو عَنِ الْمَسِيءِ، وَيُسَامِحَ الْمَذْنِبَ وَإِنْ كَانَ مَأْمُوراً بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، فَقِتَالُهُ لِلْأَمْرِ بِهِ، لَا لَهْوٍ نَفْسِهِ؛ وَلِذَا قَالَ الْبُوصَيْرِيُّ^(١): [الخفيف]

وَلَوْ أَنَّ انْتِقَامَهُ لَهْوَى النَّفْسِ سِ لَدَامَتْ قَطِيعَةٌ وَجَفَاءُ

قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾) سبب نزولها: (أَنَّ سَبْعَ قَوَافِلٍ أَتَتْ مِنْ بَصْرَى وَأَذْرَعَاتٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ لِّيَهُودِ قَرِيطَةَ وَالنَّضِيرِ، فِيهَا أَنْوَاعٌ مِنَ الْبَرِّ وَالطَّيِّبِ وَالْجَوَاهِرِ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَمْوَالُ لَنَا.. لَتَقَرَّبْنَا بِهَا وَأَنْفَقْنَاهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَنَزَلَتْ^(٢)، وَالْمَعْنَى: قَدْ أُعْطِيتُكُمْ سَبْعَ آيَاتٍ هِيَ خَيْرٌ مِنْ سَبْعِ قَوَافِلٍ.

إِنْ قُلْتَ: إِنَّ مَقْضَى ذَلِكَ أَنَّ تَكُونَ الْآيَةُ مَدْنِيَّةً مَعَ أَنَّهُ تَقَدَّمَ أَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ؟

أَجِيب: بِأَنَّهُ لَا مَانِعَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً بِمَكَّةَ، وَمَرَّةً بِالْمَدِينَةِ.

قوله: (هي الفاتحة) أي: لأنها سبع آيات؛ فَمِنْ عَدِّ الْبِسْمَلَةِ آيَةً مِنْهَا.. تَكُونُ الْآيَةُ الْآخِرَةُ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ...﴾ إلخ، وَمَنْ لَمْ يَعُدَّهَا آيَةً.. تَكُونُ السَّابِعَةُ قَوْلُهُ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الرَّاجِحُ، وَعَلَيْهِ: فَيَكُونُ عَطْفُ قَوْلِهِ: ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ مِنْ عَطْفِ الْكُلِّ عَلَى الْجُزْءِ، أَوْ مِنْ عَطْفِ الْعَامِ عَلَى الْخَاصِّ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِ(السَّبْعِ الْمَثَانِي): الْحَوَامِيمُ، وَقِيلَ: السَّبْعُ الطُّوَالُ: أُولَاهَا: (البقرة)، وَآخِرُهَا: مَجْمُوعُ (الأنفال) مَعَ (براءة)، وَقِيلَ: جَمِيعُ الْقُرْآنِ، وَعَلَيْهِ: يَكُونُ الْعَطْفُ مُرَادِفاً.

(١) كما في قصيدته «الهمزية».

(٢) انظر «زاد المسير» (٢/٥٤١).

وَالْقُرَّاتِ الْعَظِيمِ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ
وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾

لأنها تُثنَى في كُلِّ رَكْعَةٍ، ﴿وَالْقُرَّاتِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿٨٨﴾ ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾: أصنافاً ﴿مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: إن لم يؤمنوا، ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾: أَلِنْ جَانِبَكَ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿٨٩﴾ ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ﴾: مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْكُمْ، ﴿الْمُبِينُ﴾: البَيِّنُ الإِنْذَارِ.

حاشية الصاوي

قوله: (لأنها تُثنَى في كل ركعة) أي: تُعاد في كل ركعة، وهذا أحد الوجوه في سبب تسميتها بـ(المثنائي)، وقيل: سُميت بذلك؛ لأنها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين؛ فنصفها الأول ثناء على الله، ونصفها الثاني دعاء، وقيل: لأن كلماتها مُثناة مثل قوله: ﴿الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إلى آخرها، وقيل: لأنها نزلت مرتين: مرة بمكة، ومرة بالمدينة، معها سبعون ألف ملك.

قوله: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ لا ترغب فيما مَتَّعْنَا بِهِ أصنافاً من الكُفَّار؛ فإنه مستحقٌّ، وفي الحديث عن أبي بكر: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أُوتِيَ الْقُرْآنَ فَرَأَى أَنْ أَحَدًا أُوتِيَ مِنَ الدُّنْيَا أَفْضَلَ مِمَّا أُوتِيَ.. فَقَدْ صَغُرَ عَظِيمًا، وَعَظُمَ صَغِيرًا»^(١).

قوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لأجلهم.

قوله: (أَلِنْ جَانِبَكَ) أي: تواضع لهم وارحمهم؛ كالطائر الذي يخفض جناحه على أفراخه رحمة بها وشفقة عليها، وقد فعل ﷺ ما أمر به، قال البوصيري في هذا المعنى^(٢): [البسيط]

أَحْلَأَ أُمَّتَهُ فِي حِرْزٍ مَلَّتِهِ كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الْأَشْبَالِ فِي أَجَمٍ

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٦٤٩/١٣)، والبيهقي في «الشعب» (٢٣٥٢) عن سيدنا عبد الله بن عمرو، وانظر «الفتح السماوي» (٧٥٠/٢).

(٢) كما في برده المشهورة.

كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾

(٩٠ - ٩١) ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا﴾ الْعَذَابَ ﴿عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ﴾ أَي: كُتِبَتْهُمْ الْمُنْزَلَةُ عَلَيْهِمْ ﴿عِضِينَ﴾: أَجْزَاءً، حَيْثُ آمَنُوا بِبَعْضٍ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِمُ الَّذِينَ اقْتَسَمُوا طُرُقَ مَكَّةَ يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ حَاشِيَةُ الصَّائِلِينَ

قوله: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا﴾ الكاف: حرف تشبيه وجر، و(ما): اسم موصول في محل جر، والجار والمجرور متعلق بمحذوف، والتقدير: وقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ لَكُمْ بِالْعَذَابِ كَالْعَذَابِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ، وَالْمَاضِي بِمَعْنَى الْمُسْتَقْبَلِ؛ إِذِ الَّذِي نَزَلَ بِأَهْلِ الْكِتَابِ لَمْ يَكُنْ وَقَعًا حِينَ نُزُولِ الْآيَةِ، بَلْ وَقَعَ بَعْدَ الْهَجْرَةِ، وَكَذَا مَا وَقَعَ لِلْمُقْتَسِمِينَ طَرُقَ مَكَّةَ لَمْ يَكُنْ وَقَعًا حِينَئِذٍ، بَلْ وَقَعَ يَوْمَ بَدْرٍ.

إِنْ قُلْتَ: إِنَّ الْعَذَابَ الْمُنْذَرَ بِهِ يَنْبَغِي تَشْبِيهَهُ بِشَيْءٍ قَدْ وَقَعَ؛ لِيَحْصَلَ بِهِ الْإِتَاعُ.

أُجِيبُ: بِأَنَّهُ سَهْلٌ ذَلِكَ تَحْتُمُ نَزُولَهُ، فَكَأَنَّهُ وَقَعَ وَلَا بَدَّ، وَقَدْ تَحَقَّقَ ذَلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ.

قوله: (اليهود والنصارى) أي: حيث اقتسموا كُتِبَتْهُمْ؛ فَأَمَنُوا بِبَعْضِهَا الَّذِي وَافَقَ دَعْوَاهُمْ، وَكَفَرُوا بِالْبَعْضِ الَّذِي خَالَفَهُ.

قوله: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا﴾ بَيَانُ لـ ﴿الْمُقْتَسِمِينَ﴾.

قوله: ﴿الْقُرْآنَ﴾ الْمُرَادُ بِهِ عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ: مَعْنَاهُ اللَّغْوِيُّ؛ فَحِينَئِذٍ: صَحَّ تَفْسِيرُ الْمَفْسَّرِ لَهُ بِ: كُتِبَتْهُمْ الْمُنْزَلَةُ عَلَيْهِمْ.

قوله: ﴿عِضِينَ﴾ جَمْعُ عِضَةٍ، وَأَصْلُهَا: قِيلَ: عِضْوٌ، وَقِيلَ عِضَةٌ؛ فَعَلَى الْأَوَّلِ: يَكُونُ مِنْ: عِضَى الشَّاةِ: إِذَا جَعَلَهَا أَعْضَاءً؛ أَي: أَجْزَاءً مُتَفَرِّقَةً، وَعَلَى الثَّانِي: يَكُونُ مِنْ: عِضَةٍ: إِذَا كَذَبَ، وَالْمَعْنَى: جَعَلُوا الْقُرْآنَ أَجْزَاءً مُتَفَرِّقَةً، أَوْ جَعَلُوهُ أَكَاذِيبَ.

قوله: (وقيل: المراد بهم الذين اقتسموا طرق مكة) أي: وَهُمْ سِتَّةٌ عَشَرَ رَجُلًا بَعَثَهُمُ الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ أَيَّامَ الْمَوْسِمِ، فَاقْتَسَمُوا أَعْقَابَ مَكَّةَ وَأَنْقَابَهَا وَفَجَاجَهَا، يَقُولُونَ لِمَنْ سَلَكَهَا: لَا تَغْتَرُّوا بِهَذَا الْخَارِجِ فِينَا يَدَّعِي النَّبُوَّةَ؛ فَإِنَّهُ مَجْنُونٌ، وَرَبِّمَا قَالُوا: سَاحِرٌ، وَرَبِّمَا قَالُوا: شَاعِرٌ، وَرَبِّمَا قَالُوا: كَاهِنٌ، وَسُمُّوا الْمُقْتَسِمِينَ لِأَنَّهُمْ اقْتَسَمُوا هَذِهِ الطَّرِيقَ، فَأَمَاتَهُمُ اللَّهُ شَرًّا مِيتَةً، وَكَانُوا نَصَبُوا الْوَلِيدَ بْنَ

فَوَرَبِّكَ لَسَأَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ
الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾

في القرآن: سِحْرٌ، وَبَعْضُهُمْ: كَهَانَةٌ، وَبَعْضُهُمْ: شِعْرٌ.

(٩٢ - ٩٣) ﴿فَوَرَبِّكَ لَسَأَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ سؤال توبيخ ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَاصْدَعْ﴾ يا مُحَمَّد ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾ به أي: اجهرْ به وأمضه، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ هذا قبل الأمر بالجهاد.

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ بك بإهلاكنا كُلًّا مِنْهُمْ بِآفَةٍ،

حاشية الصاوي

المغيرة حكماً على باب المسجد، فإذا سأله عن النبي ﷺ . قال: صدق أولئك. وما ذكره المفسر قولان من سبعة ذكرها القرطبي^(١).

قوله: (وقال بعضهم) معطوف على (اقتسموا)؛ فالضمير في (بعضهم) عائذ على (الذين اقتسموا)، وهو إشارة إلى أن المراد بالقرآن على هذا القول: الكتاب المنزل على سيدنا محمد، فجعلوه أجزاء حيث اختلفت أقوالهم فيه، فقال بعضهم: سِحْرٌ، وبعضهم: كهانة، أو المراد: جعلوه أكاذيب فلم يؤمنوا به.

قوله: (سؤال توبيخ) جوابٌ عما يقال: إنه أثبت سؤالهم هنا ونفاه في سورة (الرحمن)؛ حيث قال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]، فحاصل الجواب: أَنَّ المنفيَّ هناك سؤال الإكرام والاحترام، والمثبت هنا سؤال التوبيخ والتقريع.

قوله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ سبب نزولها: أَنَّ رسول الله ﷺ أوَّل أمره كان يدعو إلى الله مختفياً ويأمر كلَّ مَنْ آمَن به بالاختفاء، فلما نزلت هذه الآية.. أظهر أمره وبالع في إظهاره^(٢).

قوله: (هذا قبل الأمر بالجهاد) أي: فتكون الآية منسوخة، وقيل: ليست منسوخة، بل هي محكمة، والمعنى: لا تلتفت لهم ولا تُبال بهم.

قوله: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ أي: وهم جماعة من قومه كانوا يسخرون به ويبالغون في إيذائه،

(١) تفسير القرطبي (٥٨/١٠).

(٢) انظر زاد المسير (٥٤٥/٢).

وَهُمُ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ وَالْعَاصِي بْنُ وَائِلٍ وَعَدِيُّ بْنُ قَيْسٍ وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثٍ.

حاشية الصاوي

وإنما عجلت لهؤلاء العقوبة؛ لشدة إيدائهم لرسول الله وبُغضهم له، وإلا... فالمستهزئون كثيرٌ كأبي لهب وزوجته وولده وأبي جهل.

قوله: (وهم الوليد بن المغيرة) أي: وقد مرَّ برجلٍ نبالٍ وهو يجرُّ إزاره، فتعلَّقت قطعةٌ من النبل بإزار الوليد، فَمَنَعَهُ الكِبَرُ أَنْ يُطَاطَى رأسه وَيَنزَعَهَا، فجعلت تضربه في ساقه، فخدشته، فمرض منها فمات، وقوله (والعاص بن وائل) خرج على راحلته يتنزّه، فنزل شعباً، فدخلت شوكةٌ في أخمص رجله، فانتفخت حتى صارت مثل عُنق البعير، فمات مكانه، وقوله (وعدي بن قيس) الصواب: الحارث بن قيس بن الطلائة - كما ذكره في «الهمزية» وشرحها والخازن وغيرهم من كتب التفسير^(١) - هَلَكَ بَأَن صار القيح يجري من أنفه وعينه وفيه حتى مات، وقوله (والأسود بن المطلب) رماه جبريل بورقة خضراء، فذهب بصره، ووجعت عينه، فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك، وقوله: (والأسود بن عبد يغوث) أصابه مرض الاستسقاء، فمات به، وقيل: إن النبيَّ شكاه هؤلاء الخمسة لجبريل عليه السلام، فكفاه الله شرَّهم، وقد أجاد صاحب «الهمزية» حيث قال في حقهم:

[الخفيف]

وَكَفَاهُ الْمُسْتَهْزِئِينَ وَكَمْ سَا	ءَ نَبِيًّا مِنْ قَوْمِهِ اسْتَهْزَأَ
وَرَمَاهُمْ بِدَعْوَةٍ مِنْ فَنَاءِ الْ	بَيْتٍ فِيهَا لِلظَّالِمِينَ فَنَاءُ
خَمْسَةٍ كُلُّهُمْ أُصِيبُوا بِدَاءِ	وَالرَّدى مِنْ جُنُودِهِ الْأَدْوَاءِ
فَدَهَى الْأَسْوَدَ بْنَ مُطَّلِبٍ أَيُّ	عَمَّى مَيِّتٌ بِهِ الْأَحْيَاءِ
وَدَهَى الْأَسْوَدَ بْنَ عَبْدِ يَغُوثٍ	أَنْ سَقَاهُ كَأْسَ الرَّدى اسْتِسْقَاءُ ^(٢)
وَأَصَابَ الْوَلِيدَ خَدَشَةٌ سَهْمٍ	قَصَّرَتْ عَنْهَا الْحَيَّةُ الرَّقْطَاءُ
وَقَضَتْ شَوْكَةً عَلَى مُهْجَةِ الْعَا	صِي فَلَلَّ النَّقْعَةُ الشُّوكَاءُ
وَعَلَى الْحَارِثِ الْقُيُوحُ وَقَدْ سَا	لَ بِهَا رَأْسُهُ وَسَاءَ الْوِعَاءُ

(١) «المنح المكية» (ص ٢٣٤)، و«تفسير الخازن» (٣/ ٦٤).

(٢) مرض الاستسقاء: داء خبيث على أنواع، والمراد منها هنا الرُّقْي، وهو: امتلاء الأمعاء بالماء الفاسد المبطل للحرارة الغريزية، المفضي إلى الهلاك عن قرب. وانظر شرح الأبيات في «المنح المكية» (ص ٢٣٣).

الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْنِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

﴿٩٦﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴿٩٦﴾ - صفة، وقيل: مُبتدأ، وَلِتَضْمِنَهُ مَعْنَى الشَّرْطِ دَخَلْتَ الْفَاءُ فِي خَبَرِهِ وَهُوَ: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم.

﴿٩٧﴾ - ﴿٩٩﴾ ﴿وَلَقَدْ﴾ - لِلتَّحْقِيقِ - ﴿نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ مِنَ الْاسْتِهْزَاءِ وَالتَّكْذِيبِ، ﴿فَسَبِّحْ﴾ مُلْتَبِسًا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أَي: قُل: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾: الْمُصَلِّينَ، ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْنِيَكَ الْيَقِينُ﴾: الْمَوْتُ.

حاشية الصاوي

خَمْسَةٌ طُهِرَتْ بِقَطْعِهِمُ الْأَرْضُ ضُفُفَتْ الْأَذْيُ بِهِمْ شَلَاءُ

قوله: ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ أي: يُشْرِكُونَ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ غَيْرِهِ.

قوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ هذا تهديد ووعد لهم.

قوله: ﴿بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: بِسَبَبِ قَوْلِهِمْ وَتَكَلُّمِهِمْ فِي شَأْنِكَ؛ فَإِنَّ شَأْنَ ذَلِكَ يَضِيقُ مِنْهُ الصَّدْرُ بِحَسَبِ الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ.

قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: فَافْزَعْ إِلَى رَبِّكَ وَالتَّجَوَّعْ إِلَيْهِ.. يَكْفِيكَ مَا يَهْمُكَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ فَفِي الْحَدِيثِ: «اعْمَلْ لَوَجْهِ وَاحِدٍ.. يَكْفِيكَ كُلَّ الْأَوْجِهَةِ»^(١).

قوله: (أي: قل: سبحان الله وبحمده) أي: تنزيهاً له عن كلِّ نقصٍ، واتصافاً له بكلِّ كمالٍ.

قوله: (المُصَلِّينَ) أشار بذلك إلى أَنَّ الْكَلَامَ فِيهِ مَجَازٌ؛ مِنْ: إِطْلَاقِ الْجُزْءِ عَلَى الْكُلِّ، وَخَصَّ السُّجُودَ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ أَشْرَفُ أَرْكَانِهَا.

قوله: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ﴾ عطف عام على خاص، والمعنى: دُمَّ عَلَى عِبَادَتِهِ.

قوله: ﴿حَتَّى يَأْنِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أي: اعبد ربَّكَ فِي جَمِيعِ زَمَنِ حَيَاتِكَ، وَلَا تُخَلِّ لِحِظَةً مِنْ عَمْرِكَ مِنْ غَيْرِ عِبَادَةٍ؛ فَإِنَّ الْعَمْرَ سَاعَةٌ، فَاجْعَلْهُ طَاعَةً، وَهَذَا الْخُطَابُ وَإِنْ كَانَ لِلنَّبِيِّ إِلَّا أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ الْعَمُومُ.

قوله: (الموت) أي: وَسَمِّيَ يَقِينًا؛ لِأَنَّهُ مُتَيَقِّنُ الْوُقُوعِ وَالتَّزْوُلِ.

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (٤٩/٧)، والمصنف في «الجامع الصغير» (٢٨٩٤)، وقوله: (يكفيك كل الأوجه) لم يجزمه في جواب الأمر؛ لأنه لم يقصد السببية، بل المراد الاستئناف، كأنه قيل: لم أعمل لوجه واحد؟ قال: لأنه يكفيك.



مَكِّيَّةٌ إِلَّا ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ...﴾ إِلَى آخِرِهَا، مِائَةٌ وَثَمَانٌ وَعِشْرُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ لَمَّا اسْتَبْطَأَ الْمُشْرِكُونَ الْعَذَابَ نَزَلَ:

حاشية الصاوي

سُورَةُ النَّحْلِ

(مَكِّيَّةٌ) سَمَّيْتُ بِذَلِكَ؛ لِذِكْرِ قِصَّةِ النَّحْلِ فِيهَا عَلَى سَبِيلِ الْعِبْرَةِ الْعَظِيمَةِ، وَتَسَمَّى أَيْضاً: سُورَةُ النَّعْم؛ لِكثْرَةِ تَعْدَادِ النَّعْمِ فِيهَا.

وَالْقَصْدُ مِنْ ذِكْرِ هَذِهِ السُّورَةِ: الدَّلَالَةُ عَلَى اتِّصَافِهِ تَعَالَى بِكُلِّ كَمَالٍ، وَتَنْزِيهِهِ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، وَأَدْلُ مَا فِيهَا عَلَى هَذَا الْمَعْنَى: أَمْرُ النَّحْلَةِ وَشَأْنُهَا فِي دِقَّةِ فَهْمِهَا، وَاتِّخَاذُهَا الْبَيْتَ، وَاخْتِلَافُ أَلْوَانِ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَجَعْلُهُ شِفَاءً، مَعَ أَكْلِهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ النَّافِعَةِ وَالضَّارَّةِ، الْحُلُوهِ وَالْمَرَّةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ: (إِلَّا ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾) أَي: فَإِنَّهَا نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ فِي قَتْلِ الْحُمَزَةِ^(١)، وَظَاهِرُ الْمَفْسَّرِ: أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَدَنِيٌّ إِلَّا تِلْكَ الْآيَاتُ، وَهُوَ الْمَشْهُورُ، وَقِيلَ: مَكِّيَّةٌ إِلَّا خَمْسَ آيَاتٍ؛ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ: (لَمَّا اسْتَبْطَأَ الْمُشْرِكُونَ الْعَذَابَ... إلخ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةِ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].) قَالَ الْكَفَّارُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ يَزْعُمُ أَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَرُبَتْ، فَأَمْسَكُوا عَنْ بَعْضِ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ حَتَّى نَنْظُرَ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُ لَا يَنْزِلُ شَيْءٌ... قَالُوا: مَا نَرَى شَيْئاً، فَنَزَلَ: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١]، فَأَشْفَقُوا، فَلَمَّا امْتَدَّتِ الْأَيَّامُ...

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَلَعَلَّ الْأَوَّلَى حَذَفَ (ال)؛ لِأَنَّهَا لَا تَدْخُلُ عَلَى الْأَعْلَامِ إِلَّا سَمَاعاً.

﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ

﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: الساعة، وأتى بصيغة الماضي لتحقق وقوعه أي: قَرُبَ، ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾: تَطْلُبُوهُ قَبْلَ حِينِهِ فَإِنَّهُ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ، ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيهاً له، ﴿وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به غَيْرُهُ.

﴿٢﴾ ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾ أي: جِبْرِيلَ ﴿بِالرُّوحِ﴾: بِالْوَحْيِ ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾: بِإِرَادَتِهِ ﴿عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وَهُمْ الْأَنْبِيَاءُ، ﴿أَنْ﴾ - مَفْسَّرَةٌ -

حاشية الصاوي

قالوا: يا محمد؛ ما نرى شيئاً ممّا تُخَوِّفُنَا بِهِ، فنزل: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾، فَوَثَبَ النَّبِيُّ ﷺ، ورفع الناس رُؤُوسَهُمْ، وظنُّوا أنها قد جاءت حقيقة، فنزل: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، فاطمأنوا^(١).

قوله: (أي: الساعة) مشى المفسر على أن المراد بـ(أمر الله): القيامة، وهو أحد قولين، وقيل: المراد بـ(أمر الله): عُقُوبَةُ الْمَكْذِبِينَ فِي الدُّنْيَا بِالسَّيْفِ.

قوله: (وأتى بصيغة الماضي) أي: على سبيل المجاز؛ ففي الكلام استعارة تبعية؛ حيث شبه الإتيان في المستقبل بالإتيان في الماضي بجامع تحقق الحصول في كلٍّ، واستعير اسمُ المشبه به للمشبه، واشتقَّ من الإتيان في الماضي (أتى) بمعنى (يأتي).

قوله: (فإنه واقع لا محالة) أي: ولا مَفَرَّ لَكُمْ مِنْهُ.

قوله: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تنازعه كلٌّ من ﴿سُبْحَنَهُ﴾ و﴿تَعَالَى﴾، وقوله: (غيره) قدَّره؛ إشارةً إلى أن مفعول ﴿يُشْرِكُونَ﴾ محذوف.

قوله: (أي: جبريل) أي: وَجُمِعَ تَعْظِيماً لَهُ.

قوله: (بالوحي) أي: وَسَمِّيَ رُوحاً؛ لأنه حياةُ القلوب الناشئ عنه السعادة الأبدية، ومن حاد عنها.. فهو هالكٌ؛ كما أن الروح بها حياةُ الأجسام، وهي بدونها هالكة.

قوله: (بإرادته) أشار بذلك إلى أن المراد بـ(الأمر): الإرادة، و(من) بمعنى الباء.

قوله: ﴿أَنْ﴾ مَفْسَّرَةٌ أي: وضابطها: تقدُّمُ جُمْلَةٍ فِيهَا مَعْنَى الْقَوْلِ دُونَ حُرُوفِهِ، وهو قوله: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾.

أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّثِينٌ ﴿٤﴾

﴿أَنْذِرُوا﴾: خَوْفُوا الكافرين بِالْعَذَابِ وَأَعْلِمُوهُمْ ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾: خَافُونَ.
﴿٣﴾ ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: مُحَقًّا، ﴿تَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: بِه مِنْ الْأَصْنَامِ.

﴿٤﴾ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾: مَنِىٍّ إِلَى أَنْ صَيَّرَهُ قَوِيًّا شَدِيدًا، ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾: شَدِيدُ الْخُصُومَةِ، ﴿مُثِينٌ﴾: بَيْنَهَا فِي نَفْيِ الْبَعْثِ قَائِلًا: ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨].

حاشية الصاوي

قوله: (خَوْفُوا الكافرين) أي: بعد إعلامهم بالتوحيد.

قوله: (بالعذاب) قدره؛ إشارة إلى أَنَّ معمول الإنذار محذوف، وقوله: ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ معمول لمحذوف، قدره المفسر بقوله: (وأعلموهم).

قوله: ﴿فَاتَّقُونِ﴾ أي: امثلوا أوامري، واجتنبوا نواهي؛ ففيه تنبيه على الأحكام الفرعية بعد التنبيه على التوحيد.

قوله: (أي: مُحَقًّا) أشار بذلك إلى أَنَّ الجارَّ والمجرور في محل نصب على الحال.

قوله: ﴿تَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تنزَّه عن إشراكهم به غيره.

قوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ أي: غير آدم.

قوله: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾: لا ابتداء الغاية، وقوله: (إلى أَنْ صَيَّرَهُ قَوِيًّا شَدِيدًا) قدره؛ جواباً عما يقال: إِنَّ كونه خَصِيمًا مَبِينًا لا يكون عقب خَلْقِهِ مِنْ نُطْفَةٍ، بل بعد قُوَّتِهِ وَشِدَّتِهِ.

قوله: (في نفي البعث) (في): للسببية، والمعنى: أنه يُخَاصِمُ ويجادل بسبب كونه منكراً للبعث.

قوله: (قائلاً): ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظَمَ﴾... إلخ) أشار بذلك إلى ما روي: أَنَّ أَبِي بن خلف جاء بالعظم الرميم إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد؛ أَتَظُنُّ أَنَّ الله يُحْيِي هذا بعد ما رَمَّ؟! فقال ﷺ: «نعم»^(١)؛ ففي هذه الآية ردٌّ على هذا الكافر وَمَنْ حَذَا حَذْوَهُ.

وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفٌّ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تَرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

﴿٥﴾ وَالْأَنْعَمَ: الإبل والبقر والغنم، ونصبه بفعلٍ مُقَدَّرٍ يُفَسِّرُهُ: ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ من جملة الناس، ﴿فِيهَا دَفٌّ﴾: ما تستدفئون به من الأكسية والأردية من أشعارها وأصوافها، ﴿وَمَنْفَعٌ﴾ من النسل والدرّ والركوب، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ - قَدَّمَ الظرف للفاصلة ..

﴿٦ - ٧﴾ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾: زينة ﴿حِينَ تَرِيحُونَ﴾: تَرُدُّونَهَا إِلَى مُرَاحِهَا بِالْعَشِيِّ ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: تُخْرِجُونَهَا إِلَى الْمَرْعَى بِالْعَدَاةِ،
حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا﴾ هذا من جملة أدلة توحيده وتعداد نعمه، وذلك: أَنَّ الله تعالى لما ذكر خلق السماوات والأرض.. أتبعه بذكر خلق الإنسان، ثم بذكر ما يحتاج إليه في ضروراته؛ من أكل ولبس، فذكر الأنعام التي يكون منها ذلك.

قوله: (في جملة الناس) أشار بذلك إلى أَنَّ الخطاب في ﴿لَكُمْ﴾ لقريش، ولو حُمِلَ على العموم كما هو الواقع.. لاستغنى عن ذلك.

قوله: ﴿فِيهَا دَفٌّ﴾ هو بوزن (جَمَل)، يطلق على كلِّ ما يُستدْفَأُ به من ملبوس وماكول.

قوله: (وأصوافها) أي: وأوبارها.

قوله: ﴿وَمَنْفَعٌ﴾ عطف عامٌّ على خاصٍّ.

قوله: (والدرّ) أي: اللبن.

قوله: (والركوب) أي: بالنسبة للمجموع.

قوله: (للفاصلة) أي: لا للحصر؛ فَإِنَّ الإنسان قد يأكل من غيرها وليس منهياً عنه، قال تعالى:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

قوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ أي: الأنعام.

قوله: ﴿حِينَ تَرِيحُونَ﴾ قَدَّمَ الإراحة على التسريح مع أنه خلاف الواقع؛ لِأَنَّ الْجَمَالَ

في الرِّوَا حِ أَعْظَمُ منه في وقت التسريح؛ لِأَنَّ النِّعَمَ تُقْبَلُ من المرعى مملوءة البطون، حافلة الضروع، فيفرح أهلها بها، بخلاف تسريحها إلى المرعى؛ فإنها تخرج جائعة البطون، ضامرة الضروع، وأكثر ما تكون هذه الإراحة أيام الربيع؛ لحسن النِّعَمِ إذ ذاك.

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمَّ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوُفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْإِبَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾: أحمالكم ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمَّ تَكُونُوا بَلِغِيهِ﴾: واصِلين إليه على غير الإبل، ﴿إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾: بجهدِها، ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوُفٌ رَّحِيمٌ﴾: بكم حيث خلقها لكم. ﴿٨﴾ ﴿وَالْخَيْلَ وَالْإِبَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾: مفعول له، والتعليلُ بهما بتعريف النعم لا ينافي خلقها لغير ذلك، كالأكل في الخيل الثابت
حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَتَحْمِلُ﴾ (أي: النعم، والمراد بها: خصوص الإبل).

قوله: ﴿أَثْقَالَكُمْ﴾ جمع ثقل وهو: ما يحتاج إليه من آلات السفر والأحمال الثقيلة.

قوله: ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمَّ تَكُونُوا بَلِغِيهِ﴾... إلخ) المراد: أيُّ بلد بعيد، مكة أو غيرها، وقال ابن عباس: أريد بها: اليمن ومصر والشام^(١)، وقال عكرمة: مكة^(٢)، والظاهر: أنه عامٌ لكل بلد بعيد كما علمت.

قوله: ﴿إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ (أي: تعبها).

قوله: ﴿وَالْخَيْلَ﴾ معطوف على (الأنعام)؛ ولذا قدر المفسر (خلق).

قوله: ﴿وَالْإِبَالَ﴾ جمع بغل وهو: المتولد بين الخيل والحمير.

قوله: (مفعول له) أي: لأجله، وجُزَّ الأول باللام؛ لأنَّ الفاعل مختلف؛ ففاعل الخلق هو الله، وفاعل الركوب المخلوق.

قوله: (بهما) أي: الركوب والزينة.

قوله: (لا ينافي خلقها لغير ذلك) أي: فلا يُفيد الحصر في الركوب والزينة، بل خلقها للأكل أيضاً، وبذلك أخذ الشافعي، وأما عند الأئمة الثلاثة.. فأكل الخيل حرامٌ كباقي الدواب، واستدلوا: بأنَّ منفعة الأكل أعظم من منفعة الركوب؛ فلو كان أكل لحوم الخيل جائزاً.. لكان أولى بالذكر، فلمَّا لم يذكره الله.. عَلِمْنَا تحريمه، ولأنَّ الله خصَّ الأنعام بالأكل حيث قال: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾، وخصَّ هذه بالركوب فقال: ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾، فعَلِمْنَا أنها مخلوقة للركوب لا للأكل،

(١) انظر «تفسير الخازن» (٦٨/٣).

(٢) انظر «زاد المسير» (٥٥١/٢).

وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَّكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

بِحَدِيثِ «الصَّحِيحِينَ»، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مِنْ الْأَشْيَاءِ الْعَجِيبَةِ الْغَرِيبَةِ.

﴿٩﴾ ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أَي: بَيَانُ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، ﴿وَمِنْهَا﴾ أَي: السَّبِيلِ
﴿جَايِزٌ﴾: حَائِذٌ عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ، ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ هِدَايَتُكُمْ ﴿لَهَدَّكُمْ﴾ إِلَى قَصْدِ السَّبِيلِ
﴿أَجْمَعِينَ﴾ فَتَهْتَدُونَ إِلَيْهِ بِاخْتِيَارٍ مِنْكُمْ.

﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾

حاشية الصاوي

وفي الحقيقة: الآية ليست صريحة في نهْيٍ ولا جوازٍ، وإنما مُسْتَدَّةُ الْأُثْمَةِ السَّنَةِ؛ فَمَنْ حَرَّمَ الْخَيْلَ..
حَمَلَ الْحَدِيثَ الصَّحِيحَ عَلَى النِّسْخِ، أَوْ الْإِضْطِرَّارِ، وَمَنْ جَوَّزَهَا.. قَالَ: الْأَصْلُ: عَدَمُ الْإِضْطِرَّارِ،
أَوْ النِّسْخِ.

قوله: (بحديث «الصحيحين») أي: وهو ما روي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت:
(نحرنّا على عهد رسول الله ﷺ فرساً ونحن بالمدينة فأكلناه)^(١).

قوله: (من الأشياء العجيبة) أي: كالطيور والسباع والوحوش وغيرها من الحيوانات.

قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ أي: تفضلاً وإحساناً.

قوله: (أي: الطريق المستقيم) أي: طريق الهدى والحق، وتبيينها بإرسال الرسل، وإنزال
الكتب.

قوله: ﴿وَمِنْهَا جَايِزٌ﴾ أي: سبيلٌ جائزٌ، وهو سبيل الضلال والكفر، والجور: العُدُولُ عَنِ
الاستقامة.

قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: وصلّكم إلى الطريق المستقيمة بأجمعكم، ولكنه لم
يشأ ذلك، فلم يحصل؛ لما سبق في علمه أَنَّ الْجَنَّةَ لَهَا أَهْلٌ، وَأَنَّ النَّارَ لَهَا أَهْلٌ.

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ لما ذكر سبحانه وتعالى مِنْتَهُ عَلَى بَنِي آدَمَ بِخَلْقِ
الحيوانات الخاصة بهم.. أعقبه بذكر نعمة عامّة لكلّ الحيوانات؛ آدميين وغيرهم، وهي: إنزال

(١) «صحيح البخاري» (٥٥١٠)، و«صحيح مسلم» (١٩٤٢).

لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ
وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾

لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ ﴿١٠﴾ تَشْرَبُونَهُ، ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ يَنْبُتُ بِسَبَبِهِ ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾: تَرَعُونَ دَوَابَّكُمْ،
﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴿الْمَذْكُورِ
﴿لَآيَةً﴾ دَالَّةٌ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ تَعَالَى ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فِي صُنْعِهِ فَيُؤْمِنُونَ.

حاشية الصاوي

الماء من السماء الناشئ عنه النباتات التي بها يَتَنَفَّع جميع الحيوانات.

قوله: ﴿لَكُمْ﴾ الجارُّ والمجرور صفة لـ ﴿مَاءٍ﴾، وقوله: ﴿مِنْهُ شَرَابٌ﴾ مبتدأ وخبرٌ.

إن قلت: إنه ليس خاصًا ببني آدم، بل هو عامٌّ لكل حيوان؟

أجيب: بأنَّ بني آدم هم المقصودون بالذات، وغيرهم بالتبع. والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ عائدٌ
على الماء؛ أي: تشربون من ماء السماء.

إن قلت: إنَّ غالب الشرب يكون من البحار والأنهار والعيون وهي بالأرض؟

أجيب: بأنَّ أصل الماء الكائن في الأرض من السماء؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ
فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْآرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨].

قوله: ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ المراد بالشجر هنا: مُطلق النبات؛ سواء كان له ساق أم لا.

قوله: (ينبت بسببه) أشار بذلك إلى أنَّ (من) الثانية للسببية، وأما الأولى.. فهي ابتدائية.

قوله: ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ﴾ المراد به: الحبُّ الذي يُقْتَات، وقَدَّمه؛ لأنَّ به قِوَامَ البدن، وثَنَى
بالزيتون؛ لأنه إدامٌ ودهنٌ، وثَلَّثَ بذكر النخيل؛ لأنه غذاءٌ وتفكُّهٌ، وأَخَّرَ الأعناب؛ لأنها تُشبه النخيل
في ذلك.

قوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ عطف عامٌّ على خاصٍّ.

قوله: (المذكور) أي: من إنزال الماء، وإنباتِ النبات.

قوله: ﴿لَآيَةً﴾ ذكر لفظ (الآية) في هذه السورة سبع مرات: خمس بالإفراد، وثنان بالجمع،
والحكمة في ذلك: أنَّ ما جاء بلفظ الإفراد.. فباعتبار المدلول، وما جاء بلفظ الجمع.. فباعتبار
الدليل؛ فإنَّ في كلِّ شيء آيةٌ تدلُّ على أنه الواحد.

وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ

﴿١٢﴾ «وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ» - بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى مَا قَبْلَهُ، وَالرَّفْعِ مُبْتَدَأً - «وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ» - بِالْوَجْهَيْنِ - «مُسَخَّرَاتٌ» - بِالنَّصْبِ حَالٌ، وَالرَّفْعِ خَبَرٌ - «بِأَمْرِهِ» : بِإِرَادَتِهِ، «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» يَتَدَبَّرُونَ.

﴿١٣﴾ «وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ» : خَلَقَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ

حاشية الصاوي

قوله : «وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» لما ذكر النعم الكائنة في العالم السفلي . . أعقبه بذكر النعم الكائنة في العالم العلوي، وكل ذلك لنفع العالم وتمام نظامه.

قوله : (بالنصب . . إلخ) أي : ففي (الشمس) و(القمر) و(النجوم) و(مُسَخَّرَات) قراءتان سبعيتان : الرفع، والنصب^(١).

قوله : «مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ» أي : مُذَلَّلَاتٌ بِإِرَادَتِهِ، فهو سبحانه وتعالى المؤثر في العالم العلوي والسفلي ؛ فلا تتحرك ذرة في الدنيا ولا تسكن إلا بتأثير الله فيها، وإنما هذه الأشياء أسبابٌ عاديةٌ يوجد النفع عندها لا بها ؛ ففي هذه الآية ردٌّ على القائلين : إنَّ العالم العلويَّ هو المؤثر في العالم السفليَّ بطبع أو علة.

قوله : (بالنصب حال) أي : مؤكدة لعاملها، وهو (سَخَّرَ).

قوله : «لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» عبَّرَ هنا بالعقل ؛ إشارةً إلى أنَّ العالم العلويَّ مُغَيَّبٌ عن الأبصار، فيحتاج المتأمل فيه لمزيد العقل، بخلاف العالم السفلي ؛ فهو مشاهدٌ، فيكفي فيه أدنى تأمل وتعقل. والأسلم أن يقال : إنَّ التغيرات في هذا وما قبله وما بعده تفتنُّ في التعبير ؛ دفعاً للثقل، وإشارةً إلى أنه من اتصف بواحد منها . . فقد اتَّصف بجميعها.

قوله : «وَمَا ذَرَأَ» معطوف على «اللَّيْلَ» ؛ ولذا قدَّر المفسر الفعل.

قوله : (من الحيوانات والنبات) أي : فهي مُذَلَّلَةٌ لبني آدم يَنْتَفِعُونَ بها ولا يعجزون عنها.

(١) قرأ ابن عامر بالرفع على الابتداء والخبر، ووافقه حفص في الاثنين الأخيرين لا غير، والباقون بالنصب. انظر «السراج المنير» (٢/ ٢٢٠).

مُخَلِّفًا الْوَعْدَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا

وغير ذلك، ﴿مُخَلِّفًا الْوَعْدَ﴾ كأحمر وأصفر وأخضر وغيرها، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾: يتعظون.

﴿١٤﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ: دَلَّلَهُ لِرُكُوبِهِ وَالغَوْصِ فِيهِ، ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك، ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هي اللؤلؤ والمرجان، ﴿وَتَرَى﴾: تُبْصِرُ ﴿الْفَلَكَ﴾: السفن ﴿مَوَاجِرَ فِيهِ﴾: تمخر الماء أي: تشقه بجريها فيه مُقْبِلَةً وَمُدْبِرَةً بِرِيحٍ وَاحِدَةٍ، ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾ - عطف على ﴿لِتَأْكُلُوا﴾ -: تَطْلُبُوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ تعالى بِالتَّجَارَةِ، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ذلك.

(١٥ - ١٦) ﴿وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا﴾: جبالاً ثوابت

حاشية الصاوي

قوله: (وغير ذلك) أي: كالأحجار والمعادن والأنهار.

قوله: ﴿مُخَلِّفًا الْوَعْدَ﴾ أي: وطُعمومه.

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ أي: عذاباً ومِلْحاً.

قوله: (لركوبه) أي: بالسفن والعموم.

قوله: (والغوص) أي: النزول فيه.

قوله: ﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾ وصف بالطراوة؛ لأنه يُسرِعُ إليه الفساد، وحكمة ذلك: انتفاع الناس به، وعدم عزّته عن الفقراء، وإلا؛ فلو كان يَمَكُثُ من غير فساد.. لا دّخره الأغنياء، وحُرم منه الفقراء.

قوله: ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ﴾ أي: البحر، وهو المِلْحُ فقط.

قوله: (والمرجان) هو: عُروق حمر تطلع من البحر كأصابع الكف.

قوله: (عطف على ﴿لِتَأْكُلُوا﴾) أي: وما بينهما اعتراض.

قوله: (بالتجارة) أي: فيسافرون لها في البحر، ويقدمون في أقلّ زمن.

أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ وَسْبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾
أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ
لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾

لِـ ﴿أَنْ﴾ لَا ﴿تَمِيدَ﴾: تَتَحَرَّكَ ﴿بِكُمْ وَ﴾ جَعَلَ فِيهَا ﴿أَنْهَرَ﴾ كَالنَّيْلِ ﴿وَسْبُلًا﴾: طُرُقًا
﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إِلَى مَقَاصِدِكُمْ، ﴿وَعَلَّمَتِ﴾ تَسْتَدِلُّونَ بِهَا عَلَى الطُّرُقِ كَالْجِبَالِ بِالنَّهَارِ،
﴿وَبِالنَّجْمِ﴾ بِمَعْنَى النُّجُومِ ﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إِلَى الطُّرُقِ وَالْقِبْلَةِ بِاللَّيْلِ.

﴿١٧﴾ ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ﴾ وَهُوَ اللَّهُ ﴿كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ وَهُوَ الْأَصْنَامُ، حَيْثُ تُشْرِكُونَهَا مَعَهُ
فِي الْعِبَادَةِ؟ لَا، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ هَذَا فَتُؤْمِنُونَ؟

﴿١٨ - ١٩﴾ ﴿وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾: تَضْبِطُوهَا فَضْلًا أَنْ تُطَبِّقُوهَا
شُكْرَهَا، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ حَيْثُ يُنْعِمُ عَلَيْكُمْ مَعَ تَقْصِيرِكُمْ وَعِصْيَانِكُمْ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَنْ تَمِيدَ﴾ (قَدَّرَ الْمَفْسِّرُ (لَا) لِيَصِحَّ الْكَلَامُ؛ لِأَنَّ جَعَلَ الْجِبَالِ فِي الْأَرْضِ لِأَجْلِ عَدَمِ
الْمَيْدِ، لَا لِأَجْلِ حَصُولِهِ، وَالْمَرَادُ بِالْمَيْدِ: الْمِيلُ وَالتَّحَرُّكُ وَالْاضْطِرَابُ.

قوله: (طُرُقًا) أَي: فِي الْجِبَالِ.

قوله: ﴿وَعَلَّمَتِ﴾ (أَي: أَمَارَاتُ).

قوله: ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾ (الْمَرَادُ بِهِ: الثُّرَيَّا، وَبَنَاتُ نَعَشٍ، وَالْفَرْقَدَانِ، وَالْجَدْيُ؛ فَيَهْتَدِي بِهَا
إِلَى الطَّرِيقِ وَالْقِبْلَةِ).

قوله: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ (أَي: أَتُسَوُّونَ بَيْنَ الْخَالِقِ لَتِلْكَ الْأَشْيَاءِ الْعَظِيمَةِ وَالنُّعْمِ
الْفَخِيمَةِ وَبَيْنَ مَنْ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِ؟! وَالْكَلَامُ عَلَى الْقَلْبِ، وَالتَّقْدِيرُ:
أَفَمَنْ لَا يَخْلُقُ كَمَنْ يَخْلُقُ؛ لِأَنَّهُمْ يُشَبِّهُونَ مَنْ لَا يَخْلُقُ بِمَنْ يَخْلُقُ فِي الْعِبَادَةِ، وَإِنَّمَا أَتَى بِالْعِبَارَةِ
مَقْلُوبَةً؛ زِيَادَةً فِي التَّشْنِيعِ عَلَيْهِمْ.

قوله: (لَا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْاسْتِفْهَامَ إِنكَارِي.

قوله: ﴿وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ هَذَا تَذَكِيرٌ إِجْمَالِيٌّ بَعْدَ تَفْصِيلِ بَعْضِ النُّعْمِ.

قوله: (حَيْثُ يَنْعَمُ عَلَيْكُمْ مَعَ تَقْصِيرِكُمْ) أَي: وَلَمْ يَقْطَعْ نِعْمَهُ عَنْكُمْ بِسَبَبِ ذَلِكَ، بَلْ وَسَّعَهَا

عَلَيْكُمْ.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

﴿٢٠﴾ ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ - بِالنَّاءِ والياء -: تَعْبُدُونَ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وَهُمْ الْأَصْنَامُ ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾: يُصَوِّرُونَ مِنَ الْحِجَارَةِ وَغَيْرِهَا.

﴿٢١﴾ ﴿أَمْوَاتٌ﴾ لَا رُوحَ فِيهِمْ - خَبَرُ ثَانٍ - ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ - تَأْكِيدٌ - ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: الْأَصْنَامُ ﴿أَيَّانَ﴾: وَقْتُ ﴿يُبْعَثُونَ﴾ أي: الْخَلْقُ، فَكَيْفَ يُعْبَدُونَ؟ إِذْ لَا يَكُونُ إِلَهًا إِلَّا الْخَالِقُ الْحَيُّ الْعَالِمُ بِالْغَيْبِ.

﴿٢٢﴾ ﴿إِلَهُكُمْ﴾ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ مِنْكُمْ ﴿إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ لَا نَظِيرَ لَهُ فِي ذَاتِهِ وَلَا صِفَاتِهِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ أي: مَا تُخْفُونَهُ مِنَ الْعَقَائِدِ وَالْأَعْمَالِ، وَمَا تُظْهِرُونَهُ مِنْ ذَلِكَ.

قوله: (بالياء والناء) أي: فهما قراءتان سبعتان في قوله: ﴿تَدْعُونَ﴾ فقط^(١)، وأما ﴿تُسْرُونَ﴾ و﴿تُعْلِنُونَ﴾.. فبالنَّاءِ الفوقية سبعة، والياء التحتية شاذة^(٢).

قوله: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ليس تكراراً مع قوله: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾؛ لَأَنَّهُ أَوَّلًا أَفَادَ أَنَّهُمْ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا، وَهنا أَفَادَ أَنَّهُمْ مَعَ كَوْنِهِمْ لَمْ يَخْلُقُوا شَيْئًا هُمْ مَخْلُوقُونَ؛ ففیه زیادة فائدة.

قوله: (خبر ثانٍ) أي: والأول قوله: ﴿يَخْلُقُونَ﴾، وقوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ خبر ثالث.

قوله: (أي: الخلق) ويصح أن يعود الضمير على الأصنام، والمعنى: أَنَّ الْأَصْنَامَ لَا تَشْعُرُ مَتَى يَبْعَثُهَا اللَّهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْعَثُ الْأَصْنَامَ لَهَا أَرْوَاحَ وَمَعَهَا شَيَاطِينُهَا، فَتَتَبَرَّأُ مِنْ عَابِدِيهَا، فَيُؤَمَّرُ بِالْكَلِّ إِلَى النَّارِ^(٣).

قوله: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ هذا نتيجة ما قبله؛ أي: فحيث ثَبَتَ أَنَّهُ الْخَالِقُ لَتِلْكَ الْأَشْيَاءِ الْمَتَقَدِّمِ ذَكَرَهَا.. فَقَدْ تَقَرَّرَ أَنَّهُ الْمَعْبُودُ الْمُتَّصِفُ بِالْوَحْدَةِ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ، فَلَا شَرِيكَ لَهُ فِيهَا.

(١) قرأ عاصم بالياء على الغيبة، والباقون بالناء على الخطاب. انظر «السراج المنير» (٢/٢٢٤).

(٢) وبها قرأ أبو جعفر. انظر «الدر المصون» (٧/٢٠٥).

(٣) انظر «زاد المسير» (٢/٥٥٤).

فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنْ اللَّهُ يَعْلَمَ مَا يُسْرُوتَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾

وهو الله تعالى، ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ﴾: جاحدة لِلوَحْدَانِيَّةِ، ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾: مُتَكَبِّرُونَ عن الإيمان بها.

﴿٢٣﴾ ﴿لَا جَرَمَ﴾: حَقًّا ﴿أَنْ اللَّهُ يَعْلَمَ مَا يُسْرُوتَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: فَيُجَازِيهِمْ بِذَلِكَ، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ بِمَعْنَى أَنَّهُ يُعَاقِبُهُمْ.

﴿٢٤﴾ ونزل في النَّضْرِ بن الحَارِث:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: لَا يُصَدِّقُونَ بها وبما يَحْصُلُ فيها من بعث وحساب وجزاء، وهذا نتيجة قوله: ﴿أَنْ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، وحينئذ: فيكون المعنى: أتى أمر الله فَأَمِنُوا وَصَدَّقُوا أَخْبَارَنَا وَلَا تُنْكِرُوهَا؛ فالذين لَا يُؤْمِنُونَ... إلخ.

قوله: ﴿لَا جَرَمَ﴾ تقدم أَنَّ فيها ثلاثة أوجه: أحسنها: أن (لا) نافية، وَمَنْفِيهَا محذوف، و(جرم) فعل ماضٍ بمعنى: حَقٌّ وثبت، و(أَنَّ) وما دخلت عليه في محل رفع فاعل^(١)، وحينئذ يصير المعنى: لا عبرة بإنكار الكفار واستكبارهم، بل حَقٌّ وثبت علم الله بما يُسْرُونَهُ وما يعلنونه، وعلى هذا: فقول المفسر: (حقًا) مفعولٌ مطلقٌ لفعل محذوف، تقديره: حَقٌّ حَقًّا.

قوله: (بمعنى: أنه يعاقبهم) روي عن الحسين بن علي: أنه مرَّ بمساكين قد قَدَّمُوا كسرًا لهم وهم يأكلون، فقالوا: الغداء يا أبا عبد الله، فنزل وجلس معهم وقال: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾، ثم أكل، فلمَّا فرغوا... قال: قد أجبتكم؛ فأجيبوني، فقاموا معه إلى منزله، فأطعمهم وسقاهم وأعطاهم، فانصرفوا^(٢)، وفي الحديث: «إن المتكبرين يُحْشَرُونَ أمثال الذرِّ يوم القيامة تَطَّوَّهُم الناس بأقدامهم؛ لِتَكْبَرِهِمْ»^(٣).

قوله: (ونزل في النضر بن الحارث) أي: في شأنه وسببه، وكان عنده كتب التواريخ، ويزعم أنَّ حديثه أحسنُ مما أنزل على محمد.

(١) انظر (٢٧٢/٣).

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (٩٥/١٠).

(٣) رواه الكلاباذي في «معاني الأخبار» (ص ٢٧٢)، وينحوه عند الإمام أحمد في «المسند» (١٧٨/٢)، والترمذي (٢٤٩٢)، والنسائي في «الكبرى» (١١٨٢٧) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا﴾ - استفهامية - ﴿ذَا﴾ - موصولة - ﴿أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ على مُحَمَّد؟ ﴿قَالُوا﴾: هو ﴿أَسَاطِيرُ﴾: أكاذيب ﴿الْأَوَّلِينَ﴾: إضلالاً للناس.

﴿٢٥﴾ ﴿لِيَحْمِلُوا﴾ في عاقبة الأمر ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾: ذُنُوبُهُمْ ﴿كَامِلَةً﴾ لَمْ يُكَفِّرْ مِنْهَا شَيْءٌ ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ﴾: بعض ﴿أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ القائل: يحتمل أن يكون المسلمين، أو الوافد عليهم، أو بعضهم لبعض على سبيل التهكم؛ فإنَّ الكفار لا يقرُّون بأنه منزلٌ من عند الله.

قوله: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ جمع أسطورة؛ كـ (أحاديث وأكاذيب وأعاجيب) جمع: أحدث، وأكذوبة، وأعجوبة.

قوله: (إضلالاً للناس) علة للقول.

قوله: (في عاقبة الأمر) أشار بذلك إلى أنَّ اللام في ﴿لِيَحْمِلُوا﴾ لامُ العاقبة والصيرورة، والمعنى: أنهم لما وصفوا القرآن بكونه أساطير الأولين.. كان عاقبتهم بذلك حملهم ذنوبهم.

قوله: ﴿كَامِلَةً﴾ أي: وبلاياهم التي أصابتهم في الدنيا لا تكفّر عنهم شيئاً يوم القيامة، بل يُعاقبون على جميع أوزارهم، بخلاف بلايا المؤمنين؛ فإنَّما تكفيرٌ لذنوبهم، أو رفعٌ درجاتٍ لهم، فالْبلايا للمجرمين عقوبات، وللأبرار مكفّرات، وللعارفين درجات؛ فقد يكون السابق في علمه تعالى أنَّ العارف لا ينال تلك الدرجة إلا بِمحنة، فيوصلها الله له؛ لينال تلك الدرجة.

قوله: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾ أي: ويحصل للرؤساء الذين أضلوا غيرهم بعض أوزار الأتباع وهو السبب، هذا ما قرّره المفسر تبعاً للبيضاوي^(١)، وهو خلاف التحقيق، بل التحقيق: أنَّ (من) بمعنى: مثل، والمعنى: أنَّ على الرؤساء مثل أوزار الأتباع، ويشهد لذلك قوله ﷺ: مَنْ دَعَا إِلَى هَدًى.. كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يُنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ.. كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يُنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً^(٢).

(١) تفسير البيضاوي (٣/٢٢٤).

(٢) رواه مسلم (٦٩٠١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا سَاءَ مَا يَزُرُّوكَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَنَهُمْ
مِنَ الْقَوَاعِدِ

بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴿٢٥﴾ لِأَنَّهُمْ دَعَوْهُمْ إِلَى الضَّلَالِ فَاتَّبَعُوهُمْ، فَاشْتَرَكُوا فِي الْإِثْمِ، ﴿وَلَا سَاءَ﴾: بِئْسَ
﴿مَا يَزُرُّوكَ﴾: يَحْمِلُونَهُ حَمْلُهُمْ هَذَا.

﴿٢٦﴾ ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وَهُوَ نَمْرُودُ، بَنَى صَرْحاً طَوِيلاً لِيَصْعَدَ مِنْهُ
إِلَى السَّمَاءِ لِيُقَاتِلَ أَهْلَهَا، ﴿فَأَتَى اللَّهَ﴾: قَصَدَ ﴿بُنْيَنَهُمْ مِنْ الْقَوَاعِدِ﴾: الْأَسَاسِ،
فَأَرْسَلَ عَلَيْهِ الرِّيحَ وَالزَّلْزَلَةَ فَهَدَمَتْهُ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ إما حال من المفعول؛ أي: يُضِلُّونَ الْآتِبَاعَ حال كون الْآتِبَاعَ غير عالمين
بأنَّ الرُّسَاءَ فِي ضَلَالٍ، بَلْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ عَلَى خَيْرٍ حَيْثُ قَلَّدُوهُمْ؛ أَوْ مِنَ الْفَاعِلِ، وَالْمَعْنَى: يُضِلُّونَ
غَيْرَهُمْ حَالِ كَوْنِهِمْ غَيْرَ عَالِمِينَ بِمَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنَ الْعَذَابِ فِي مُقَابَلَةِ ضَلَالِهِمْ وَإِضْلَالِهِمْ.

قوله: ﴿فَاشْتَرَكُوا فِي الْإِثْمِ﴾ أي: الْعُقُوبَةُ؛ فَعُقُوبَةُ الْمَتَّبِعِينَ بِضَلَالَتِهِمْ وَإِضْلَالَتِهِمْ، وَعُقُوبَةُ
التَّابِعِينَ بِالمُطَاوَعَةِ وَالتَّقْلِيدِ، وَلَا يُعْذَرُونَ بِالْجَهْلِ.

قوله: ﴿وَلَا سَاءَ مَا يَزُرُّوكَ﴾ ﴿سَاءَ﴾: فَعَلَ مَاضٍ لِإِنْشَاءِ الذَّمِّ ك: بئس، و﴿مَا﴾: اسْمُ
مَوْصُولٍ، و﴿يَزُرُّوكَ﴾: صِلَتُهُ، أَوْ نَكْرَةٌ مَوْصُوفَةٌ و﴿يَزُرُّونَ﴾: صِفَةُ لَهَا، وَالْعَائِدُ عَلَى كُلِّ مُحذُوفٍ،
وَالْتَقْدِيرُ: يَزِرُونَهُ، وَالْمَخْصُوصُ بِالذَّمِّ مُحذُوفٌ؛ كَمَا أَشَارَ لَهُ الْمَفْسِّرُ بِقَوْلِهِ: (حَمْلُهُمْ هَذَا).

قوله: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هَذَا تَسْلِيَةٌ لَهُ ﷺ.

قوله: (وَهُوَ نَمْرُودُ) بضم النون والذال المعجمة، وهو ابن كنعان، وكان يدَّعي الألوهية،
وكان أعظم أهل الأرض تجبراً.

قوله: (بنى صرحاً طويلاً) أي: ببابل، وكان طوله لجهة السماء خمسة آلاف ذراع، وقيل:
كان طوله فرسخين.

قوله: (الإِسَاسُ) بكسر الهمزة جمع: أُسٌّ بضمها ك: رِمَاح جمع: رُمُح، أَوْ فَتَحَهَا جَمْعُ:
أُسُس بضمَّتَيْنِ ك: عُتُق وَأَعْنَاق.

قوله: (فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمتها) أي: فقصفته وألقت رأسه في البحر، وخرَّ عليهم
الباقى فأهلكهم وهم تحته.

فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَنْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ أَتُنْشِقُونَ فِيهِمْ قَالِ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْآخِرَىٰ أَلْوَمَ وَالسَّوَاءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾

﴿فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ أي: وهم تحته، ﴿وَأَنْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من جهة لا تخطر ببالهم، وقيل: هذا تمثيل لإفساد ما أبرموه من المكر بالرُّسل.

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِبُهُمْ﴾: يُذِلُّهُمْ ﴿وَيَقُولُ﴾: اللَّهُ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ الْمَلَائِكَةِ تَوْبِيخًا: ﴿أَتُنْشِقُونَ فِيهِمْ﴾ بَزَعِيكُمْ ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَقُّونَ﴾: تُخَالِفُونَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿فِيهِمْ﴾: فِي شَأْنِهِمْ؟ ﴿قَالَ﴾: أَي: يَقُولُ ﴿الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ﴾ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ: ﴿إِنَّ الْآخِرَىٰ أَلْوَمَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ﴾ أي: سَقَطَ وَنَزَلَ عَلَيْهِمْ.

قوله: (أي: وهم تحته) تفسير لقوله: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾، ودفع بقوله: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ ما يُتَوَهَّمُ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا تحته.

قوله: (وقيل: هذا تمثيل لإفساد ما أبرموه) أي: فالآية محمولة على العموم، وليس هناك بناء حقيقة، بل هو مثل ضربه الله للذين مكروا بأنبياء الله، فأهلكهم الله بمكرهم، فمثلهم بقوم بنوا بنياناً شديداً، فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم، فأهلكهم.

قوله: (على لسان الملائكة) مُرَوِّرٌ مِنْهُ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يَكَلِّمُ الْكَافِرَ، وقيل: إِنَّ اللَّهَ يَكَلِّمُهُمْ، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [البقرة: ١٧٤] أي: كَلَامَ رَحْمَةٍ وَتَعْظِيمٍ.

قوله: ﴿أَتُنْشِقُونَ فِيهِمْ﴾ أي: مَا لَهُمْ لَا يَحْضُرُونَ مَعَكُمْ؛ لِيَدْفَعُوا عَنْكُمْ مَا نَزَلَ بِكُمْ مِنَ الْعَذَابِ؟!

قوله: ﴿تُنْشِقُونَ﴾ بفتح النون وكسرهما، قراءتان سبعيتان، وقرئ شذوذاً بكسر النون مع التشديد، والأصل: تشاقوني، فأدغم^(١).

قوله: (تخالفون المؤمنين) أي: تُنَازِعُونَهُمْ فِي شَأْنِهِمْ.

قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ﴾ أي: وَهُمْ فِي الْمَوْقِفِ.

(١) قرأ نافع بكسر النون خفيفة، والباقون بفتحها خفيفة، وقرأت فرقة بتشديدها مكسورة. انظر «الدر المصون» (٧/٢١١).

الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فليَنسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ
لِلَّذِينَ اتَّقَوْا
يَقُولُونَهُ شِمَاتَةٌ بِهِمْ.

(٢٨ - ٢٩) ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ﴾ - بِالتَّاءِ والياءِ - ﴿الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ بِالْكَفْرِ،
﴿فَأَلْقَوْا السَّلَامَ﴾: انْقَادُوا وَاسْتَسَلَّمُوا عِنْدَ الْمَوْتِ قَائِلِينَ: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾: شِرْكٌ،
فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: ﴿بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فَيُجَازِيكُم بِهِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿فَادْخُلُوا
أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فليَنسَ مَثْوَى﴾: مَأْوَى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.
﴿٣٠﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا الشُّرَكَ
حاشية الصاوي

قوله: (شِمَاتَةٌ بِهِمْ) أي: قدحاً بما حصل لهم؛ جزاء لاستهزائهم بالمؤمنين في الدنيا، فإذا كان
يوم القيامة وظهر أهل الحق وأُكْرِمُوا بأنواع الكرامات، وعذَّب أهل الباطل بأنواع العذاب.. فعند
ذلك يفرح المؤمنون بذلك، ويقول رؤساء المؤمنين: إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ.
قوله: (بِالْيَاءِ والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيتان، لكنه مع الياء يقرأ بالإمالة^(١)، و﴿الْمَلَائِكَةُ﴾:
فاعل، والمراد بهم: عزرائيل وأعوانه، وإنما أنث الفعل على قراءة التاء؛ لأنَّ لفظ الجمع مؤنَّث.
قوله: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ إنما أنكروا ذلك رجاء أن يُقبلوا.

قوله: (ويقال لهم) أي: عند خروج أرواحهم، وحينئذ: فيكون المراد بالدخول: شهود
أرواحهم دار العذاب، أو يوم القيامة، والدخول على حقيقته.

قوله: ﴿أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ أي: طبقاتها، والمعنى: ليدخل كلُّ صنف الطبقة التي أُعدَّت له.

قوله: ﴿فليَنسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أي: مقامهم ومنزلهم، والمخصوص بالذم محذوف، تقديره:

هو.

قوله: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ مقابل قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذًا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا اسْطِئِرُّ الْأَوَّلِينَ﴾،
والقائل وفود العرب القادمين على مكة للبحث عن حال القرآن وحال محمد، فكانوا إذا صادفوا

(١) قرأ حمزة بالياء، والباقون بالتاء. انظر «السراج المنير» (٢/٢٢٧).

مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ.....

﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالإيمان ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾: حياة طيبة،
﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا وما فيها،

حاشية الصاوي

المسلمين.. سألوهم وقالوا لهم: ماذا أنزل ربكم؟ قالوا: خيراً، وإذا صادفوا الكفار.. سألوهم وقالوا: ماذا أنزل ربكم؟ قالوا: أساطير الأولين، فكل إناء بالذي فيه ينضح^(١).

قوله: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ «ماذا» بتمامها: اسم استفهام، مفعول مقدم لـ ﴿أَنْزَلَ﴾، وحينئذ: فتكون الجملة فعلية، وهو أنسب؛ ليُطابق الجواب السؤال؛ فإنَّ الجواب جملة فعلية أيضاً؛ لأن ﴿خَيْرًا﴾ مفعول بفعل محذوف تقديره: أنزل خيراً، بخلاف ما تقدّم^(٢)؛ فإن (ما): اسم استفهام، و(ذا): اسم موصول، و﴿أَنْزَلَ﴾: صلته، فالجملة اسمية؛ لمطابقة الجواب؛ فإنه مرفوع باتفاق السبع، وما هنا منصوب باتفاق السبع، والحكمة في رفع الأول ونصب الثاني: الفرق بين جواب المقر؛ حيث طابق بين السؤال والجواب، فجعلهما من جنس واحد، وجواب الجاحد؛ حيث عدل عن السؤال فقال: هو أساطير الأولين، وليس من الإنزال في شيء.

قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ هذا بيان لقوله: ﴿خَيْرًا﴾، كأنهم قالوا: أنزل ربنا: مَنْ أحسن في الدنيا بالطاعة.. فله حسنة في الدنيا وحسنة في الآخرة.

قوله: (حياة طيبة) أي: وهي تختلف باختلاف الإقبال على الله وعدمه؛ فكلما زاد العبد في الإقبال على ربه.. طابت حياته، فيزداد ترقياً في القرب والمحبة والعلوم والمعارف والمشاهدة وغير ذلك من الكرامات التي تحصل له في الدنيا، وما خفي كان أعظم، قال تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤].

قوله: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ اللام: موطئة لقسم محذوف^(٣)، أو للابتداء مؤكدة.

قوله: ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا وما فيها) أي: ولو حصل له في الدنيا غاية الرفعة والعز.

واسم التفضيل على بابِه إن أعطي العبد النعيم في الجنة، وليس على بابِه إن لم يكن من أهل

(١) انظر «زاد المسير» (٥٥٧/٢).

(٢) أي: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا اسْطِيفِرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

(٣) اللام واقعة في جواب قسم.

وَلَنِعَمَ دَارَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ
كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ نَوَقَلَهُمُ الْمَلَائِكَةُ

قال تعالى فيها: ﴿وَلَنِعَمَ دَارَ الْمُتَّقِينَ﴾ هي.

﴿٣١﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ: إقامة، - مُبتدأ خبره: - ﴿يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ كَذَلِكَ ﴿الْجَزَاءِ﴾ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ.

﴿٣٢﴾ الَّذِينَ: نعت - ﴿نَوَقَلَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾

حاشية الصاوي

الجنة؛ إذ لا خير في لذّة بعدها النَّارُ، بل كلُّ مَنْ عظم تنعمه في الدنيا ولم يكن مرضياً عليه.. فتَنَعُّمه زيادةً في عذابه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

قوله: (قال تعالى) إنما قال ذلك؛ إشارةً إلى أن جواب المؤمنين تمّ بقوله: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾.

قوله: ﴿وَلَنِعَمَ دَارَ الْمُتَّقِينَ﴾ ثناءً ومدحٌ من الله لدار الآخرة التي هي خيرٌ.

قوله: (هي) قدره؛ إشارةً إلى أن المخصوص بالمدح محذوف.

قوله: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ أي: إقامة، لا يطرأ عليها زوال ولا فناء، بل دائمة بأهلها على سبيل التأييد.

قوله: ﴿يَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: من تحت قصورها وغرفها، قال تعالى: ﴿مِنْ فَوْقِهَا عُرُفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الزمر: ٢٠]، والمراد بـ(الأنهار): المذكورة في قوله تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ...﴾ [محمد: ١٥] إلخ.

قوله: ﴿مَا يَشَاءُونَ﴾ أي: يطلبون مما تشتهي الأنفس وتلذُّ الأعين.

قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ الكاف: بمعنى مثل، نعت لمصدر محذوف معمول لـ ﴿يَجْزِي﴾، والتقدير:

يجزي الله المتقين جزاءً مثل ذلك الجزاء.

قوله: ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ أي: الذين اجتنبوا الشرك، و(أل) في ﴿الْمُتَّقِينَ﴾: للاستغراق.

قوله: (نعت) أي: لـ ﴿الْمُتَّقِينَ﴾.

قوله: ﴿نَوَقَلَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: تقبض أرواحهم.

طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ

طَيِّبِينَ ﴿٣٢﴾: طاهرين من الكفر ﴿يَقُولُونَ﴾ لهم عند الموت: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾، ويُقال لهم في الآخرة: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿٣٣﴾ هَلْ: ما ﴿يَنْظُرُونَ﴾: يَنْتَظِرُ الْكُفَّارُ ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ - بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿طَيِّبِينَ﴾ (حال من ضمير ﴿تَوَفَّيَهُمْ﴾)، وحينئذ: تبشّره الملائكة عند قبض أرواحهم بالرضوان والجنة والكرامة، فيحصل لهم عند ذلك السرور والفرح، فيسهل عليهم قبض أرواحهم، ويطيب لهم الموت على هذه الحالة؛ فلو خيّر المؤمن بين الرجوع إلى الدنيا ويُعطى جميع ما يشتهي فيها وبين الموت.. لاختر الموت، ولا يرجع إلى الدنيا؛ لشهوته حقارة الدنيا بالنسبة لما رآه مهياً له.

قوله: (عند الموت) أي: لما ورد: «إذا أشرف العبد المؤمن على الموت.. جاءه ملك فقال: السلام عليك يا وليّ الله، الله يُقرئك السلام، ويبشّرك بالجنة»^(١).

قوله: (في الآخرة) هذا أحد قولين، وقيل: إنّ القول المذكور يكون عند خروج الروح، ويكون الأمر بالدخول للروح دون الجسم، ويشهد له قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَنَّهَا نَفَسٌ مُطْمَئِنَّةٌ﴾ ﴿٢٧﴾ أَرْجَى إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً... ﴿[الفجر: ٢٧-٢٨] الآية بناءً على أنّ هذه المقالة تقال للمؤمن عند خروج روحه.

قوله: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الباء: سببية، و(ما): اسم موصول، والعائد محذوف، والتقدير: بسبب الذي كنتم تعملونه.

قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ (الاستفهام إنكاري بمعنى النفي؛ ولذا فسره بـ(ما) النافية، والمعنى: لا ينتظر الكفار إلا أحد أمرين: إما نزول الموت لهم، أو حلول العذاب. و(أو): مانعة خلوّ تجوّز الجمع.

قوله: (بالنَّاءِ وَالْيَاءِ) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٤٤٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٩٨) بنحوه من حديث محمد بن كعب القرظي.

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالياء، والباقون بالناء. انظر «الدر المصون» (٢١٧/٧).

الْمَلَيْكَةِ أَوْ يَأْتِي أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا.....

﴿الْمَلَيْكَةِ﴾ لِقَبْضِ أرواحِهِمْ، ﴿أَوْ يَأْتِي أَمْرُ رَبِّكَ﴾: الْعَذَابُ أَوْ الْقِيَامَةُ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَيْهِ، ﴿كَذَلِكَ﴾ كَمَا فَعَلَ هَؤُلَاءِ ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ مِنَ الْأُمَمِ، كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ فَأُهْلِكُوا، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بِإِهْلَاكِهِمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بِالْكَفْرِ.

﴿٣٤﴾ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ أَي: جَزَاؤُهَا، ﴿وَحَاقَ﴾: نَزَلَ ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أَي: الْعَذَابُ.

﴿٣٥﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ:.....

حاشية الصاوي

قوله: (أو القيامة) «أو» لحكاية الخلاف.

قوله: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ مرتب على محذوف، قدّره المفسّر بقوله: (كذبوا رسلهم فأهلكوا).

قوله: ﴿فَأَصَابَهُمْ﴾ معطوف على ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، وما بينهما اعتراض.

قوله: (أي: جزاؤها) أشار بذلك إلى أَنَّ الكلام على حذف مضاف، والأصل: فأصابهم جزاء سيئات ما عملوا.

قوله: ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: جزاء الذي كانوا يستهزئون به.

قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾... إلخ) هذا كلامٌ صحيحٌ في حدِّ ذاته، لكنهم توصّلوا به إلى أمر باطل، وحاصل ذلك: أنهم قالوا: لو شاء الله عدم عبادتنا لغيره.. لحصل، لكن وقعت هنا العبادة لغيره، فهي بمشيئته، فهو راضٍ بها، واعتقدوا أَنَّ الإرادة لازمة للرضا في حقّه تعالى، وهو اعتقادٌ باطلٌ.

وحاصل الردّ عليهم أن يقال: إِنَّ الإرادة لا تستلزم الرضا، بل قد يريد شيئاً ولا يرضى به؛ لتنزّهه عن الأغراض في الأفعال والأحكام، فلا تُقاس أفعال الله على أفعال العباد، وذلك لأنَّ ما يغضب الله.. لا يصل له منه ضررٌ، وما يرضيه.. لا يصل له منه نفعٌ، بل معنى ذلك: أنه يُعاقب على ما يغضبه، ويثيب على ما يرضيه، بخلاف العباد، فرضاهم لازم لإرادتهم؛

لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ
كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ
أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ
عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ

﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ مِنْ
الْبَحَائِرِ وَالسَّوَائِبِ، فَأَشْرَاكُنَا وَتَحْرِيمُنَا بِمَشِئَتِهِ، فَهُوَ رَاضٍ بِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أَي: كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ فِيمَا جَاءُوا بِهِ، ﴿فَهَلْ﴾: فَمَا ﴿عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ
الْمُبِينُ﴾: الْإِبْلَاغُ الْبَيِّنُ، وَلَيْسَ عَلَيْهِمُ الْهِدَايَةُ.

﴿٣٦﴾ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ كَمَا بَعَثْنَاكَ فِي هَؤُلَاءِ، ﴿أَنْ﴾
أَي: بِأَنْ ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: وَحُدُّوهُ ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾: الْأَوْثَانَ أَنْ تَعْبُدُوهَا، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ
هَدَى اللَّهُ﴾ فَاْمَنْ، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ﴾: وَجَبَتْ ﴿عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ فِي عِلْمِ اللَّهِ فَلَمْ يُؤْمِنْ،
حاشية الصاوي

لأنَّ ما يرضيهم.. يحصل لهم به النفع، فهو واقع منهم بإرادتهم، وما يُغضبهم.. يحصل لهم به
الضرر، فهو واقع بإرادتهم، والكفار قد سوَّوا بين الخالق والمخلوق فقالوا ما قالوا، والمقصود من
هذه الشبهة: إبطال إرسال الرسل، وجعله عبثاً، تعالى الله عن ذلك.

قوله: ﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (من): الأولى ابتدائية، والثانية: زائدة.

قوله: (فهو راضٍ به) هذا هو محطُّ شُبْهَتِهِمُ الَّتِي رَتَّبُوا مَا ذَكَرَ عَلَيْهَا.

قوله: (الإبلاغ البين) أشار بذلك إلى أن (البلاغ) مصدر بمعنى: الإبلاغ.

قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ أَي: فَلَا خُصُوصِيَّةَ لَكَ.

قوله: (أَي: بِأَنْ ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾) أشار بذلك إلى أن (أن) مصدرية، ويصح جعلها تفسيريَّة، والضابط
موجود؛ لِتَضَمُّنِ الْبَعْثِ مَعْنَى الْقَوْلِ.

قوله: ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ أَي: تَبَاعَدُوا عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَالْمُرَادُ بِ(الطَّاغُوتِ): قِيلَ:

كُلُّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَقِيلَ: الشَّيْطَانُ.

قوله: (فلم يؤمن) أفرد باعتبار لفظ (مَنْ)، وفي نسخة: (فلم يؤمنوا) بالجمع؛ مراعاة للمعنى.

فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾

﴿فَسِيرُوا﴾ يا كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ رُسُلُهُمْ مِنَ الْهَلَاكِ. ﴿٣٧﴾ ﴿إِنْ تَحَرَّصَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿عَلَى هُدَاهُمْ﴾ وَقَدْ أَضَلَّهُمُ اللَّهُ لَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي﴾ - بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ وَلِلْفَاعِلِ - ﴿مَنْ يُضِلُّ﴾: مَنْ يُرِيدُ إِضْلَالَهُ، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾: مَا نَعِينُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿فَسِيرُوا﴾﴾ أمرٌ لأهل مكة بالسير والنَّظَرِ في أحوال مَنْ تقدَّمهم.

قوله: ﴿﴿كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾﴾ أي: مآلهم وآخر أمرهم على أيِّ كيفية؟

قوله: (رسلهم) قدره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾﴾ مفعوله محذوف.

قوله: (وقد أضلهم الله) الجملة حالية.

قوله: (لا تقدر على ذلك) هذا هو جواب الشرط، وقوله: (فإن الله...) إلخ) تعليلٌ للجواب.

قوله: ﴿﴿لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾﴾ الجملة خبر (إن)، والرباط: ضمير مقدرٌ في (يضل)، تقديره: من يضلّه، والظاهر: أن هذا الرباط هو فاعل (يضل) العائد على (الله)، وأما الضمير المفعول الذي هو الهاء... فإنه عائد على (مَنْ)، ولا رَبط فيه.

قوله: (بالبناء للفاعل والمفعول) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١)، والمعنى: أن مَنْ أراد الله إضلاله... فلا تمكن هدايته، فلا تتعب نفسك في هداه.

إن قلت: إنَّ التكليف لمن أراد الله عدم هداه بالهدى تكليفٌ بالمستحيل؟

أجيب: بأنه لا يُسأل عما يفعل.

قوله: ﴿﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾﴾ أي: من يُريد إضلاله... لا مانع له من عذاب الله إذا نزل به.

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الدال، والباقون بضم الياء وفتح الدال على البناء للمفعول. انظر «السراج المنير» (٢/ ٥٣٠).

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا
كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾

﴿٣٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ ﴿٣٨﴾ أي: غايةَ اجتهادهم فيها، ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ﴾ يَبْعَثُهُمْ ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ - مصدران مؤكدان منصوبان بفعليهما المقدّر - أي: وعد ذلك وحقه حقًا، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: أهل مَكَّة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿٣٩﴾ لِيُبَيِّنَ ﴿٣٩﴾ - مُتَعَلِّقٌ بِ(يَبْعَثُهُم) الْمُقَدَّر - ﴿لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ﴾ مع المؤمنين ﴿فِيهِ﴾ من أمر الدين بتعذيبهم وإثابة المؤمنين، ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾ في إنكار البعث.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ أي: حلفوا به، وقوله: ﴿جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾ أي: لأنهم كانوا يحلفون بأبائهم وآلهتهم، فإذا كان الأمر عظيمًا.. حلفوا بالله.

قوله: (أي: غاية اجتهادهم) أي: فالمراد بـ: الجهد بالفتح: الطاقة، فقولهم: الجهد بالفتح: المشقة، وبالضم: الطاقة.. بحسب الغالب.

قوله: (قال تعالى) أي: ردًا لمقاتلتهم.

قوله: (مصدران مؤكدان) أي: للجملة المقدّرة بعد ﴿بَلَىٰ﴾.

قوله: (أي: وعد ذلك) الأوضح أن يقول: أي: وعد ذلك وعدًا وحقه حقًا.

قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ (ذلك) أي: أنهم يُبْعَثُونَ؛ لجهلهم.

قوله: (المقدّر) أي: بعد ﴿بَلَىٰ﴾.

قوله: (من أمر الدين) أي: وهو البعث.

قوله: (بتعذيبهم... إلخ) متعلق بـ(يُبَيِّنُ)، والمعنى: ليميز لهم الأمر الذي يختلفون فيه بإثابة المطيع، وتعذيب العاصي.

قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ معطوف على ﴿لِيُبَيِّنَ﴾.

إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوتَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

﴿٤٠﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ: أي: أَرَدْنَا إِيجَادَهُ، - و﴿قَوْلُنَا﴾: مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ: - ﴿أَنْ نَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يَكُونُ، - وفي قِرَاءَةِ بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى ﴿نَقُولَ﴾ - وَالْآيَةُ لِتَقْرِيرِ الْقُدْرَةِ عَلَى الْبَعْثِ.

﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ: لِإِقَامَةِ دِينِهِ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ بِالْأَذَى مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، ﴿لَنَبُوتَنَّهُمْ﴾: نُنْزِلَنَّهُمْ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ دَارًا ﴿حَسَنَةً﴾ هِيَ الْمَدِينَةُ، ﴿وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ﴾ أي: الْجَنَّةُ ﴿أَكْبَرُ﴾: أَعْظَمُ ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: الْكُفَّارُ أَوْ الْمُتَخَلِّفُونَ عَنِ الْهَجْرَةِ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ مِنَ الْكِرَامَةِ لَوَافَقُوهُمْ.

﴿٤٢﴾ هُمْ ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ عَلَى أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْهَجْرَةِ لِإِظْهَارِ الدِّينِ، ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فَيَرْزُقُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَشَيْءٍ﴾ تسميته شيئاً؛ باعتبار ما يؤول، وإلا.. فالمعذوم لا يسمى شيئاً.
قوله: (والآية لتقرير القدرة على البعث) أي: فهي ردُّ على مَنْ قال: إِنَّ اللَّهَ لَا يَبْعَثُ مَنْ يَمُوتُ، والأمر كناية عن سرعة الإيجاد عند تعلُّق الإرادة بالإيجاد، وليس ثم كاف ولا نون، وإلا.. لزم إما خطاب المعذوم حال عدمه، وهو لا يُعقل، أو تحصيل الحاصل إن كان الخطاب له بعد وجوده، وكلا الأمرين محالاً.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ أي: انتقلوا من مكة للمدينة.

قوله: (لإقامة دينه) أشار بذلك إلى أن (في) بمعنى اللام، والكلام على حذف مضافين.

قوله: ﴿أَكْبَرُ﴾ أي: من دار الدنيا.

قوله: (أو المتخلفون) تفسير ثان للضمير في ﴿يَعْلَمُونَ﴾.

قوله: (لوافقوهم) جواب الشرط.

قوله: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ خبرٌ لمحدوف، قدَّره المفسر بقوله: (هم).

قوله: ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: يَتَّقُونَ به، ويفوضون أمورهم إليه.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْٓ اِلَيْهِمْ فَنَسْتَلُوْا اَهْلَ الذِّكْرِ اِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ﴾ (٤٣)

﴿٤٣﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْٓ اِلَيْهِمْ﴾ لا مَلَائِكَةً، ﴿فَنَسْتَلُوْا اَهْلَ الذِّكْرِ﴾: الْعُلَمَاءُ بِالتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿اِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ﴾ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُوْنَهُ، وَأَنْتُمْ إِلَى تَصْدِيْقِهِمْ أَقْرَبُ مِنْ تَصْدِيْقِ الْمُؤْمِنِيْنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ.

حاشية الصاوي

والتعبير بالمضارع؛ لاستحضار الحال الماضية؛ إشارة إلى أن توكلهم كان أعظم توكل، وذلك أنهم خرجوا عن أموالهم وأنفسهم في مَرَضَاةِ رَبِّهِمْ، ورضوا بالذل بدل العز، وبالفقر بدل الغنى، فجازاهم الله بإبدال الذل عزًا، والفقر غنى، فصاروا سادات الناس في الدنيا والآخرة، قال البوصيري رحمه الله^(١): [الخفيف]

مَا لِمُوسَى وَلَا لِعِيسَى حَوَارِيٌّ وَنَ فِي فَضْلِهِمْ وَلَا نُقَبَاءُ

قوله: (فيرزقهم من حيث لا يحتسبون) نتيجة التوكل، وليست معنى التوكل.

قوله: ﴿﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾﴾ سبب نزولها: أَنَّ كُفَّارَ مَكَّةَ قَالُوا: مَا كَانَ اللَّهُ أَنْ يُرْسِلَ رَسُولًا مِنَ الرِّجَالِ، بَلِ اللَّاتِقُ أَنْ يُرْسِلَ مَلَكًا^(٢).

قوله: ﴿﴿فَنَسْتَلُوْا اَهْلَ الذِّكْرِ﴾﴾ جواب شرط مقدر، دلَّ عليه قوله: ﴿﴿اِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ﴾﴾، تقديره: اِنْ شَكَكْتُمْ فِي ذَلِكَ.. فاسألوا.

قوله: ﴿﴿اِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ﴾﴾ أي: على سبيل الفرض والتقدير، وإلَّا.. فهم عالمون بذلك، وإنما كفرهم عناد.

قوله: (أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد) أي: لأنَّ كُفَّارَ مَكَّةَ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ بِالْكِتَابِ الْقَدِيمَةِ، وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رُسُلًا كَمُوسَى وَعِيسَى وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَغَيْرِهِمْ، وَكَانُوا بَشَرًا، فَإِذَا سَأَلُوهُمْ.. فَلَا بَدَّ أَنْ يَجِيبُوا أَنَّ الرُّسُلَ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ كَانُوا بَشَرًا، فَحِينَئِذٍ يَزُولُ عَنْ قُلُوبِهِمُ الرَّيْبُ وَالشَّكُّ.

(١) كما في قصيدته «الهمزية».

(٢) انظر «زاد المسير» (٢/٥٦١).

بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾

﴿٤٤﴾ بِالْبَيِّنَاتِ - مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ - أَي: أَرْسَلْنَاهُمْ بِالْحُجَجِ الْوَاضِحَةِ، ﴿وَالزُّبُرِ﴾: الْكُتُبِ، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾: الْقُرْآنَ ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ فِيهِ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فِي ذَلِكَ فَيَعْتَبِرُونَ.

﴿٤٥﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا الْمَكْرَاتِ ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي دَارِ النَّدْوَةِ مِنْ تَقْيِيدِهِ أَوْ قَتْلِهِ أَوْ إِخْرَاجِهِ كَمَا ذُكِرَ فِي الْأَنْفَالِ، ﴿أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ كَقَارُونَ، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أَي: مِنْ جِهَةٍ لَا تَخْطُرُ بِأَلَيْهِمْ،

حاشية الصاوي

قوله: (متعلق بمحذوف) أي: جواباً لسؤال مقدر، كأنه قال: بم أرسلوا؟ فقليل: أرسلوا بالبينات والزبر، وهذا أحسن ما قيل هنا^(١).

قوله: (القرآن) إنما سمي القرآن ذكراً؛ لأنه مشتمل على المواعظ التي بها يتذكر العاقل، ويتنبه الغافل.

قوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: ما أُجْمِلَ من الأحكام، فبيان المجمل من القرآن تكفل به رسول الله ﷺ، فأحاديثه كالشرح والتفسير للقرآن.

قوله: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ﴾ الهمزة: داخله على محذوف، والفاء: عاطفة على ذلك المحذوف، تقديره: أعموا ولم يتفكروا فأمن الذين... إلخ؟

قوله: ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ صفة لمصدر محذوف، قدره المفسر بقوله: (المكرات) بفتح الكاف: جمع مكر بسكونها: المرة من المكر.

قوله: ﴿أَنْ يَخْسِفَ﴾ «أن» وما دخلت عليه: في تأويل مصدر معمول لـ(أمن)، والتقدير: أفأمنوا خسف الله بهم الأرض؟

(١) لتعليق الجار في (بالبينات) ثمانية أوجه، ذكرها السمين الحلبي في «الدر المصون» (٧/٢٢٣ - ٢٢٤)؛ منها: أنه متعلق بمحذوف صفة لـ(رجالاً) أي: رجالاً مُلتبسِينَ بالبينات، ومنها: أنه متعلق بـ(أرسلنا)، ومنها: أنه متعلق بـ(نوحى)... إلى غير ذلك.

أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي ثَقَلِيهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾

وقد أهلكوا يبدل ولم يكونوا يُقدِّرون ذلك .

(٤٦ - ٤٧) ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي ثَقَلِيهِمْ﴾ في أسفارهم للتجارة، ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: بفائتين العذاب، ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾: تنقص شيئاً فشيئاً حتى يهلك الجميع - حال من الفاعل أو المفعول -، ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ حيث لم يُعاجِلْهم بالعقوبة .

حاشية الصاوي

قوله: (وقد أهلكوا يبدل) أي: أهلك صناديدهم، وهم: الذين اجتمعوا في دار الندوة .

قوله: (يقدِّروا ذلك) أي: الهلاك؛ أي: يعتقدوه ويظنُّوه، وهو بدلٌ من (يكونوا)، والمبدل من المجزوم مجزومٌ، أو حُذِفَتِ النون تخفيفاً .

قوله: ﴿فِي ثَقَلِيهِمْ﴾ أي: حال كونهم مُثْقَلِينَ في أسفارهم .

قوله: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ أي: يُهلكهم في حال خوفهم، أو المراد بـ(التخوُّف): التنقص كما قال المفسر؛ من: (تخوَّفته): إذا تنقصته . روي: أنَّ عمر رضي الله عنه قال على المنبر: ما تقولون فيها؟ فسكتوا، فقام شيخٌ من هذيل فقال: هذه لُغتنا، التخوُّف: التنقص، فقال: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم، قال شاعرنا أبو بكر ^(١) يصف ناقته: [البسيط]

تَخَوُّفُ الرَّحْلِ مِنْهَا تَامِكاً قَرِداً كما تَخَوُّفُ عَوْدِ النَّبْعَةِ السَّفَنِ

فقال عمر: عليكم بديوانكم لا تضلُّوا، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية؛ فإنَّ فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم ^(٢) .

والرحل بالحاء المهملة: رحل الناقة، والتامك بالفوقية: السنام، والقَرْدُ بفتح القاف وكسر الراء هو: المرتفع أو المتراكم، والنبع: شجر يُتخذ منه القسي، والسَفَنُ بفتح السين وهو: المبرد أو القدوم، والمعنى: أن الرحل أثّر في سنام تلك الناقة، فأكله وانتقصه؛ كما ينتقص المبرد أو القدوم العودَ من الشجر .

(١) كذا في الأصول، والذي في كتب اللغة والتفسير نسبةُ هذا البيت إلى أبي كبير، أو زهير، أو ذي الرمة، أو ابن مقبل، وانظر «تاج العروس» للزبيدي (٢٣/٢٩٢) .

(٢) انظر «الدر المصون» (٧/٢٢٥) .

أَوَّلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعِيوُنَا ظِلُّهُ، عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾

﴿٤٨﴾ ﴿أَوَّلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ لَهُ ظِل كَشَجَرَةٍ وَجِبِلٍ، ﴿تَنْفَعِيوُنَا﴾: تَتَمَيَّلُ ﴿ظِلُّهُ، عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَائِلِ﴾: جَمَعَ شِمَالٍ، أَي: عَنْ جَانِبَيْهِمَا أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ، ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ حَالُ أَي: خَاضِعِينَ لَهُ بِمَا يُرَادُ مِنْهُمْ، ﴿وَهُمْ﴾ أَي: الظَّلَالُ ﴿دَاخِرُونَ﴾: صَاغِرُونَ، نُزِّلُوا مَنَزَلَةَ الْعُقَلَاءِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿أَوَّلَمْ يَرَوْا﴾﴾ الهمزة: داخله على محذوف، والواو: عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أعموا ولم يروا؟ والاستفهام للتوبيخ.

قوله: (له ظل) خرج الملك والجن.

قوله: ﴿﴿تَنْفَعِيوُنَا﴾﴾^(١) أَي: تنتقل من جانب إلى آخر، واختلف في الفيء؛ فقليل: هو مطلق الظل قبل الزوال أو بعده، وهو الموافق لمعنى الآية هنا، وقيل: الظل: ما كان قبل الزوال، والفيء: ما كان بعده، وقيل غير ذلك.

قوله: ﴿﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَائِلِ﴾﴾ أَي: يمين المستقبل للقبلة وشماله، وذلك: أَنَّ الشمس إذا طلعت من المشرق وَأَنْتَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى الْقِبْلَةِ.. كَانَ ظِلُّكَ عَنْ يَمِينِكَ، وَإِذَا ارْتَفَعَتْ وَاسْتَوَتْ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ.. كَانَ ظِلُّكَ خَلْفَكَ، فَإِذَا حَالَتْ إِلَى الْغُرُوبِ.. كَانَ ظِلُّكَ عَنْ يَسَارِكَ. وَأَفْرَدَ (اليَمِينِ)، وَجَمَعَ (الشَّمَائِلِ)؛ تَفْنَأُ.

قوله: (أَي: عن جانبيهما) أشار بذلك إلى أَنَّ الكلام على حذف مضاف.

قوله: (حال) أَي: من قوله: ﴿ظِلُّهُ﴾.

قوله: (بما يراد منهم) أَي: من طول وقصر وتحول من جانب لآخر.

قوله: ﴿﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾﴾ الجملة حالية من الضمير في ﴿سُجَّدًا﴾.

قوله: (نُزِّلُوا) أَي: في جمعهم بالواو والنون كالعُقَلَاءِ؛ وذلك لاتصافها بالطاعة والانقياد لله، وذلك من وصف العقلاء، فُجِّعَتْ بِالْوَاوِ وَالنُّونِ.

(١) كذا في الأصول بالتاء، وهي قراءة حمزة والكسائي، وقرأ الباقون بالياء. انظر «السراج المنير» (٢/ ٢٣٤).

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾
يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ
.....

(٤٩ - ٥٠) ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾ أي: نَسْمَةٌ تَدِبُ عَلَيْهَا، أي: يَخْضَعُ لَهُ بِمَا يُرَادُ مِنْهُ، وَغَلَبَ فِي الْإِتْيَانِ بِ(مَا) مَا لَا يَعْقِلُ لِكَثْرَتِهِ، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ خَصَّصَهُم بِالذِّكْرِ تَفْضِيلاً، ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: يَتَكَبَّرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ، ﴿يَخَافُونَ﴾ أي: الْمَلَائِكَةُ - حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ - ﴿رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ - حَالٌ مِنْ (هُمْ) - أي: عَالِياً عَلَيْهِمْ بِالْقَهْرِ، ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ بِهِ.

﴿٥١﴾ ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ - تَأْكِيدٌ -
.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: طَوْعاً وَكَرْهاً، فَسُجُودُ الْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِ الْعَاقِلِ طَوْعاً فَقَطْ، وَسُجُودُ الْآدَمِيِّينَ وَالْجِنِّ طَوْعاً مِنْ مُؤْمِنِهِمْ، وَكَرْهاً مِنْ كَافِرِهِمْ^(١).

قوله: (أي: يَخْضَعُ لَهُ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالسُّجُودِ: مَعْنَاهُ اللَّغْوِيُّ.

قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ عَطَفَ عَلَى (مَا) فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾.

قوله: (تَفْضِيلاً) أي: تَشْرِيفاً وَتَعْظِيماً.

قوله: (يَتَكَبَّرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ) أي: لَا يَتْرَكُونَ عِبَادَةَ رَبِّهِمْ، وَلَا يَتَكَبَّرُونَ عَنْهَا.

قوله: (حَالٌ مِنْ «هُمْ») صَوَابُهُ: (مِنْ رَبِّهِمْ)؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: (عَالِياً... إلخ)، وَالْمَعْنَى: يَخَافُونَ اللَّهَ حَالُ كَوْنِهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُسْتَعَالِياً عَلَيْهِمْ وَقَاهِراً لَهُمْ، فَالْمُرَادُ بِالْفَوْقِيَّةِ: الِاسْتِعْلَاءُ وَالْقَهْرُ، لَا الْجَهَّةُ؛ لِأَنَّهَا مُسْتَحِيلَةٌ عَلَيْهِ تَعَالَى.

قوله: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ أي: فَلَا يَعْصُونَ رَبَّهُمْ أَبَداً، بَلْ هُمْ مُمْتَثِلُونَ لِأَمْرِهِ، مُجْتَنِبُونَ لِنَهْيِهِ.

قوله: ﴿وَقَالَ اللَّهُ﴾ أي: لِعِبَادِهِ.

قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ ﴿لَا﴾: نَاهِيَةٌ، وَ﴿تَتَّخِذُوا﴾: مُجْزُومٌ بِحَذْفِ النُّونِ، وَالْوَاوُ: فَاعِلٌ، وَ﴿إِلَهَيْنِ﴾: مَفْعُولٌ أَوَّلٌ، وَ﴿اثْنَيْنِ﴾: تَأْكِيدٌ لَهُ، وَالْمَفْعُولُ الثَّانِي مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: مَعْبُوداً، وَيُعْلَمُ مِنَ النَّهْيِ عَنْ اتِّخَاذِ اثْنَيْنِ النَّهْيُ عَنْ اتِّخَاذِ الْأَكْثَرِ بِالْأَوَّلَى.

(١) لَا يَخْفَى أَنَّ الْخَبَرَ مَحْذُوفٌ وَجُوباً؛ لِسُدِّ الْحَالِ مَسْدَهُ.

إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا

﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَحِدٌ﴾ أتى به لإثبات الإلهية والوحدانية، ﴿فَأِنِّي فَارْهَبُونَ﴾: خافون دون غيري. وفيه التفات عن الغيبة.

﴿٥٢﴾ ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً، ﴿لَهُ الدِّينُ﴾: الطاعة ﴿وَاصِبًا﴾: دائماً - حال من ﴿الدِّينُ﴾، والعامل فيه معنى الظرف -،
حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَحِدٌ﴾ أتى به لإثبات الألوهية والوحدانية، والمعنى: أن المعبود لا يكون إلا واحداً، وإلا... لم يوجد شيء من العالم، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

قوله: ﴿فَأِنِّي فَارْهَبُونَ﴾ (إياي): مفعول لفعل محذوف يفسره قوله: (ارهبون) أي: ارهبوا إياي فارهبون، والمعنى: لا تخافوا غيري؛ فإن النفع والضرب بيدي، والألوهية وصفي، فلا تخشوا غيري، ولا ترهبوا^(١) غيري.

قوله: (وفيه التفات عن الغيبة) أي: إلى التكلم؛ لأنه أبلغ في التخويف.

قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيه التفات من التكلم للغيبة، وهذا دليل على أنه المنفرد بالألوهية والوحدانية؛ إذ غيره لا يخلو إما أن يكون في السماوات أو الأرض، وكل بما فيها مملوك لله؛ فلا يصح ولا يليق اتخاذ غيره إلهاً.

قوله: (ملكاً وخلقاً وعبيداً) أي: فجميع ما في السماوات وما في الأرض مملوكون مخلوقون له، يتصرف فيهم كيف شاء.

قوله: ﴿لَهُ الدِّينُ﴾ أي: التدين والانقياد، لا لغيره؛ فالطاعة لا تكون إلا له وحده، وطاعة الرسول والوالدين وأولي الأمر... من طاعة الله؛ لأمره بها.

قوله: (والعامل فيه معنى الظرف) أي: الاستقرار المفهوم من الجار والمجرور، والمعنى: استقر الدين له حال كونه دائماً، وهذا ظاهر على أن ﴿الدِّينُ﴾ فاعل بالجار والمجرور^(٢)،

(١) في (ط٢): (ولا ترجوا).

(٢) وهذا على مذهب الأخفش الذي لا يشترط الاعتماد.

أَفَغَيْرَ اللَّهِ نَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُم مِّنْ نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ.....

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ نَتَّقُونَ﴾ وهو الإله الحق ولا إله غيره؟ والاستفهام للإنكار والتوبيخ.
 (٥٣ - ٥٤) ﴿وَمَا يَكُم مِّنْ نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ لا يأتي بها غيره، - و(ما) شرطية
 أو موصولة - ﴿تُمْ إِذَا مَسَّكُمْ﴾: أصابكم ﴿الضَّرُّ﴾: الفقر والمرض.....

حاشية الصاوي

وأما إن جعل ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ مؤخرًا والجار والمجرور خبراً مقدماً.. فلا يصح ما قاله المفسر؛ لأنَّ العامل في الحال هو العامل في صاحبها، والمبتدأ ليس معمولاً للخبر، فالأولى: أن يُجعل حالاً من الضمير الكائن في الظرف، والتقدير: والذين ثابت له حال كونه واصباً.

قوله: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ نَتَّقُونَ﴾ الهمزة: داخله على محذوف، تقديره: أتركتم عبادة الله ومخافته فغير الله تتقون؟!

قوله: (والاستفهام للإنكار) أي: والمعنى: لا يليق منكم أن تتقوا غيره ولا تُطيعوا غيره إلا إذا كان الأمر بذلك هو الله كطاعة الوالد والرسول؛ ففي الحقيقة: التقوى لله.
 قوله: ﴿وَمَا يَكُم مِّنْ نَّعْمَةٍ﴾ أي: دنيوية أو أخروية.

قوله: (و«ما»: شرطية) أي: وفعل الشرط محذوف، والتقدير: وأيّما نزل بكم، وقوله: ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾: جواب الشرط، وقوله: ﴿مِّنْ نَّعْمَةٍ﴾: بيان لـ(ما)، ويرد عليه: أنه لا يحذف فعل الشرط إلا بعد (إن) في موضعين: الأول: في باب الاشتغال نحو: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ [التوبة: ٦].

الثاني: أن تكون (لا) النافية تالية لـ(إن) مع وجود ما يدل على الشرط؛ كقول الشاعر^(١):

[الوافر]

فَطَلَّقَهَا فَلَسْتُ لَهَا بِكُفٍّ وَإِلَّا يَعْلُ مَفْرَقُكَ الْحَسَامُ
 فإن لم توجد (لا) أو كانت الأداة غير (إن).. لم يُحذف إلا لضرورة؛ فالأحسن: الإعراب الثاني.

قوله: (أو موصولة) أي: بمعنى (الذي)، والجار والمجرور متعلق بمحذوف صلة (ما)، و﴿مِّنْ نَّعْمَةٍ﴾: بيان لـ(ما)، وهو مبتدأ، وخبره قوله: ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾، والفاء: زائدة في الخبر؛ لتضمن المبتدأ

(١) وهو الأحوص بن محمد الأنصاري، كما في «ديوانه» (ص ١٨٤) أي: وإن لا تطلقها.

فَالِئِهِ يَجْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَشُنْأَنَ ...

﴿فَالِئِهِ يَجْتَرُونَ﴾: ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون غيره. ﴿ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿٥٥﴾ ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ من النعمة، ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ بإجماعكم على عبادة الأصنام، أمرٌ تهديد، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ذلك.

﴿٥٦﴾ ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ أي: المشركون ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنها تضر ولا تنفع وهي الأصنام ﴿نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الحرث والأنعام بقولهم: هذا لله وهذا لشركائنا، ﴿تَاللَّهِ لَشُنْأَنَ﴾ سؤال توبيخ، - وفيه التفات عن الغيبة -

حاشية الصاوي

معنى الشرط، والمعنى: أن الله مُولي النعم لا غيره، وتسمية غيره منعماً؛ باعتبار أن النعم أجريت على يده، وهو مظهرٌ لها.

قوله: ﴿يَجْتَرُونَ﴾ من: الجوار، بوزن: غراب، وهو: رفع الصوت بالدعاء في كشف ما نزل من الضر.

قوله: ﴿ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضَّرُّ عَنْكُمْ﴾ أي: أزاله بإيصال النفع لكم.

قوله: ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ اللام: لام كي، وهي متعلقة بـ﴿يُشْرِكُونَ﴾، أو لام العاقبة والضرورة، أو لام الأمر للتهديد.

قوله: (أمر تهديد) أي: تخويف.

قوله: (عاقبة ذلك) أي: وهي الخلود في النار.

قوله: (أنها لا تضر ولا تنفع) أشار بذلك إلى أن مفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾ محذوف.

قوله: (وهي الأصنام) تفسير لـ(ما)، والمعنى: ويجعل المشركون للأصنام التي لا يعلمون منها نفعاً ولا ضرراً نصيباً.

قوله: (من الحرث) بيان لـ(ما)، والمراد بالحرث: الزرع.

قوله: (بقولهم) متعلق بـ(يجعلون).

قوله: (وفيه التفات عن الغيبة) أي: لزيادة التوبيخ عليهم.

عَمَّا كُنْتُمْ تَقْرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ
بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ

﴿عَمَّا كُنْتُمْ تَقْرُونَ﴾ على الله من أنه أمركم بذلك .

﴿٥٧﴾ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ بِقَوْلِهِمْ : الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ ، ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تَنْزِيهًا لَهُ عَمَّا زَعَمُوا ،
﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ هـ أي : الْبَنُونَ ، - وَالْجُمْلَةُ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ أَوْ نَصْبٍ بِ(يَجْعَلُ) - الْمَعْنَى :
يَجْعَلُونَ لَهُ الْبَنَاتِ الَّتِي يَكْرَهُونَهَا وَهُوَ مُنْزَعٌ عَنِ الْوَلَدِ ، وَيَجْعَلُونَ لَهُمُ الْبَنَاءَ الَّذِينَ يَخْتَارُونَهَا
فِيخْتَصُّونَ بِالْأُسْنَى ، كَقَوْلِهِ : ﴿فَأَسْتَفْتِيهِمُ الرِّبَا الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ [الصافات : ١٤٩] .

﴿٥٨﴾ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ﴾ تُولَدُ لَهُ ﴿ظَلَّ﴾ :

حاشية الصاوي

قوله : (بقولهم : الملائكة بنات الله) أي : وليس المراد بالبنات : بناتهن التي يلدونها ؛ لأنهم
يعترفون بأنها منسوبةٌ لهم ، فلا يُضيفونها لله ، وإنما البنات التي يضيفونها لله هي الملائكة ، والقائل
ذلك : كنانة وخزاعة^(١) .

قوله : (والجملة في محل رفع) المناسب أن يقول : (مستأنفة) ؛ لأن (لهم) : خبرٌ مقدَّم ، و(ما) :
مبتدأ مؤخر ، ولا محل لها من الإعراب .

قوله : (أو نصب بـ«يجعل») أي : بالعطف على معمول (يجعل) ؛ فإنَّ قوله : (لهم) : معطوف
على (الله) ، و(ما) : معطوفة على (البنات) مسلَّطٌ عليهما (يجعل) ، وفيه العطف على معمولي عامل
واحد ، وهو جائزٌ باتفاق^(٢) .

قوله : (بالأسنى) أي : الأرفع والأشرف .

قوله : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ﴾ الجملة في محل نصب حال من الواو في (يجعلون) ، والمراد
بالبشارة : الإخبار .

(١) يحتمل أنهم لجهلهم زعموا تأنيثها وبنوتها ، ويحتمل - كما قاله الإمام - أنهم سمَّوها بنات ؛ لاستئثارها كالنساء . انظر
«حاشية الشهاب على البيضاوي» (٣٣٩/٥) .

(٢) على ما جَوَّزَه الفراء والحوفي والزمخشريُّ وأبو البقاء ، ولكنه ممتنعٌ في الظاهر ؛ إذ لا يتعدى فعل الضمير المتصل
إلى ضميره المتصل إلا في باب : ظن ، وفقد ، وعدم ، وجَوَّزَه البيضاوي في المعطوف . انظر «مغني اللبيب»
(ص ٥١٨) ، و«الدر المصون» (٢٤٢/٧) ، و«تفسير البيضاوي» (٣٢٠/٣) .

وَجْهَهُ، مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءٍ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمَسِكُهُ عَلَى هُوٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ

صار ﴿وَجْهَهُ، مُسَوِّدًا﴾: مُتَغَيِّرًا تَغْيِيرَ مُغْتَمٍّ، ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مُمْتَلِئٌ غَمًّا، فكيف تُنسب البنات إليه تعالى؟

﴿٥٩﴾: يَخْتَفِي ﴿مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي: قَوْمِهِ ﴿مِنْ سُوءٍ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ خَوْفًا مِنَ التَّعْيِيرِ مُتَرَدِّدًا فِيمَا يَفْعَلُ بِهِ، ﴿أَيْمَسِكُهُ﴾: يَتْرَكُهُ بِلا قَتْلٍ ﴿عَلَى هُوٍ﴾: هَوَانٌ وَذُلٌّ، ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ بَأَن يَدُسُّهُ، ﴿أَلَا سَاءَ﴾ بِئْسَ ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ حُكْمُهُمْ هَذَا، حَيْثُ نَسَبُوا لِخَالِقِهِمُ الْبَنَاتِ اللَّاتِي هُنَّ عِنْدَهُمْ بِهَذَا الْمَحَلِّ.

﴿٦٠﴾: لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: الْكُفَّارِ ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾ أي: الصِّفَةُ السُّوْأَى بِمَعْنَى الْقَبِيحَةِ، وَهِيَ وَأَذْهَمُ الْبَنَاتِ مَعَ احْتِيَاجِهِمْ إِلَيْهِنَّ لِلنِّكَاحِ،
حاشية الصاوي

قوله: (صار) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿ظَلَّ﴾ ليست على بابها؛ من أنها تدل على الإقامة على تلك الصفة نهاراً، بل المراد بها: الانتقال من حالة لأخرى.

قوله: ﴿مِنْ سُوءٍ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ أي: من أجل سُوءِ الْأُنْثَى التي بُشِّرَ بها، وسوؤها من حيث إنه يخاف عليها الزنا، ويتحمل عارها، وكونها لا تكتسب، وغير ذلك.

قوله: (متردداً) قدره؛ إشارة إلى أن قوله: ﴿أَيْمَسِكُهُ...﴾ إلخ معمولٌ لحالٍ محذوفٍ، ولا يصلح أن يكون حالاً؛ لأنه جملةٌ طلبيةٌ.

قوله: ﴿عَلَى هُوٍ﴾ حال من المفعول، والمعنى: أَيْمَسِكُهُ مُهِيناً لَهُ.

قوله: ﴿أَمْ يَدُسُّهُ﴾ أي: يُخْفِيهِ.

قوله: (بأن يدسه) الوأد: دفنُ البنتِ حَيَّةً.

قوله: (بهذا المحل) أي: الرتبة، وهي الحقارة والذلُّ.

قوله: (أي: الصفة السُّوْأَى) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾ من إضافة الموصوف لصفته، والسُّوْأَى: بضم السين والقصر، بوزن: طُوبَى.

وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُوَاسِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَفْخِرُونَ

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾: الصِّفَةُ الْعُلْيَا، وهو أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في مُلْكِهِ ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خَلْقِهِ.

﴿٦١﴾ ﴿وَلَوْ يُوَاسِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾ بِالْمَعَاصِي ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ أَي: الْأَرْضِ ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾: نَسَمَةٌ تَدْبُ عَلَيْهَا، ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَفْخِرُونَ عَنْهُ حَاشِيَةُ الصَّاوِي

قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ (أي: فصِفات الله أعلى الصفات، وصفات الكفار أخسها؛ حيث ينسبون لله ما يكرهونه لأنفسهم مع كونه منزهاً عن صفات الحوادث.

قوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ (في ملكه) أي: الغالب؛ فلا يُعجزه شيء.

قوله: ﴿الْحَكِيمُ﴾ (في خلقه) أي: يضع الشيء في محله.

قوله: ﴿وَلَوْ يُوَاسِئُ اللَّهُ النَّاسَ﴾... إلخ) أي: لو يعجل الله للناس العقوبة بسبب عصيانهم.. لم يبق أحداً.

قوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ الضمير عائدٌ على الأرض المفهومة من السياق؛ لأنَّ الدَّابَّةَ ما دبَّ على وجه الأرض.

قوله: ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ (مِنْ): زائدة في المفعول، ووجه هلاك الجميع: أَنَّ الله تعالى يمسك السماء عن المطر، والأرض عن النبات؛ فإذا حصل ذلك.. هلك كلُّ مرزوق؛ لأنَّ كلَّ دَابَّةٍ محتاجةٌ للِقْوَام، فإذا أمسك قوامها.. هلكت عن آخرها، وهو أقرب ما يقال في ذلك^(١).

قوله: ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (أي: ولكن سبقت حكمة الله بأنَّ الدنيا تصير عماراً إلى أن تنقضي المدة التي قدرها الله تعالى، فإذا كان كذلك.. فلا يُعاجلهم بالعقوبة، بل يُوفيهم أرزاقهم وآجالهم؛ لغلبة الرحمة على الغضب، فلو عاجلهم بالعقوبة.. لكان الغضب غالباً على الرحمة، وهو خلاف ما سبق به علمه.

(١) وقيل: لو أهلك الآباء بكفرهم لم تكن الأبناء، وقيل: المراد بالآية العموم؛ أي: لو أخذ الله الخلق بما كسبوا.. ما ترك على ظهر هذه الأرض من دابة من نبي ولا غيره، وهذا قول الحسن، وقال ابن مسعود وقرأ هذه الآية: لو أخذ الله الخلائق بذنوب المذنبين.. لأصاب العذاب جميع الخلق حتى يجعلان في حجرها، ولكن الله يأخذ بالعرفو والفضل. «تفسير القرطبي» (١٠/١١٩).

سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ
الْحُسْنَ

﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ عَلَيْهِ .

﴿٢٢﴾ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ لَأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْبَنَاتِ وَالشَّرِيكِ فِي الرِّيَاسَةِ وَإِهَانَةِ الرُّسُلِ، ﴿وَتَصِفُ﴾: تَقُولُ ﴿أَلَسِنْتُهُمْ﴾ مع ذَلِكَ ﴿الْكَذِبَ﴾ وهو ﴿أَنْ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾ عِنْدَ اللَّهِ، أَي: الْجَنَّةَ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَى﴾ [فصلت: ٥٠]، قال تعالى:

حاشية الصاوى

قوله: ﴿وَلَا يَسْتَفِيدُونَ﴾ أي: لا يتقدمون على الأجل المعين الذي حضر.

إن قلت: إنه لا يحسن ترتبه على الشرط؛ لأنَّ الأجل إذا جاء.. لا يتوهم التقدم عليه؛ إذ هو مستحيلٌ، ولا ينفي إلا ما يتوهم ثبوته؟

أجيب: بأن قوله: ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ معطوفٌ على جملة الشرط وجوابه، كأنه قال: فإذا جاء أجلهم.. لا يستأخرون عنه ساعة، وإذا لم ينجئ.. لا يستقدمون عليه.

قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ (هذا من جملة صفات السوء).

قوله: (والشريك في الرياسة) أي: وهي الأصنام، جعلوها شركاء لله في الألوهية التي هي أعلى أوصاف الرياسة.

قوله: (وإهانة الرسل) أي: كما أهانوا رسول الله، فهم يكرهون البنات، والشريك في الرئاسة، وإهانة رسلهم، ويجعلون ما يكرهون لله، فينسبون لله البنات، ويشركون مع الله في الألوهية غيره، ويُهينون رسول الله.

قوله: ﴿الْكُذِبَ﴾ (مفعول به، وقوله ﴿أَبْ لَهُمُ الْحَسَنُ﴾ بدل كل من كل، والمعنى: وتقول ألسنتهم زيادة على ما سبق منهم: إِنَّ لَهُمُ الْحَسَنَى.

قوله: (لقوله) دليل لقوله: (عند الله).

قوله: (قال تعالى) أي: ردًا عليهم وتبكيًا لهم.

لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾

﴿لَا جَرَمَ﴾: حَقًّا ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾: مَتَرُوكُونَ فِيهَا أَوْ مُقَدَّمُونَ إِلَيْهَا، - وفي قراءة بِكسرِ الرَّاءِ أي: مُتَجَاوِزُونَ الْحَدَّ..

﴿٦٣﴾ ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ رُسُلًا ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ السَّيِّئَةَ فَرَأَوْهَا حَسَنَةً فَكَذَّبُوا الرُّسُلَ، ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾: مُتَوَلَّى أُمُورِهِمْ ﴿الْيَوْمَ﴾ أي: فِي الدُّنْيَا، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤَلِّمٌ فِي الْآخِرَةِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْيَوْمِ يَوْمُ الْقِيَامَةِ عَلَى حِكَايَةِ الْحَالِ الْآتِيَةِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَا جَرَمَ﴾ (تَقَدَّمَ أَنَّ (لَا) نَافِيَةٌ لِمَعْنَى مَا قَبْلَهَا، وَ(جَرَمَ) بِمَعْنَى: حَقٌّ وَثَبَتَ، وَ(أَنَّ) وَمَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ: فِي مَحَلِّ رَفْعِ فَاعِلٍ، وَالْمَعْنَى: لَا عِبْرَةَ بِقَوْلِهِمُ الْكَذْبَ، بَلْ حَقٌّ وَثَبَتَ كَوْنُ النَّارِ لَهُمْ وَتَرَكَّهُمْ فِيهَا، وَتَقَدَّمَ أَنَّ قَوْلَ الْمَفْسَّرِ: (حَقًّا) مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ لِفِعْلِ مَحذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: حَقٌّ حَقًّا^(١).

قوله: (أَوْ مُقَدَّمُونَ إِلَيْهَا) أي: مُعَجَّلُونَ إِلَيْهَا قَبْلَ غَيْرِهِمْ.

قوله: (وَفِي قِرَاءَةٍ) أي: وَهِيَ سَبْعِيَّةٌ أَيْضًا^(٢).

قوله: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ شُرُوعٌ فِي تَسْلِيَتِهِ ﷺ.

قوله: ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: جَعَلَهَا حَسَنَةً لِيُضِلَّهُمْ بِهَا.

قوله: (أي: فِي الدُّنْيَا) هَذَا أَحَدُ قَوْلَيْنِ ذَكَرَهُمَا الْمَفْسَّرُ، وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ: فَلَا يَحْتَاجُ لِتَأْوِيلٍ؛ لِأَنَّ مَدَّةَ الدُّنْيَا كَالْوَقْتِ الْحَاضِرِ بِالنِّسْبَةِ لِلْآخِرَةِ.

قوله: (وَقِيلَ: الْمُرَادُ بـ«الْيَوْمِ»: يَوْمُ الْقِيَامَةِ... إلخ) أي: وَعَلَيْهِ: فَالْيَوْمُ مُسْتَعْمَلٌ فِي غَيْرِ مَعْنَاهِ الْأَصْلِيِّ؛ لِأَنَّهُ حَقِيقَةٌ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ الْمَقَارَنِ لِلتَّكَلُّمِ؛ وَلِذَا أَوَّلَهُ الْمَفْسَّرُ بِقَوْلِهِ: (عَلَى حِكَايَةِ الْحَالِ الْآتِيَةِ) أي: فَعَبَّرَ عَنِ الزَّمَانِ الَّذِي لَمْ يَحْصُلْ بِمَا هُوَ مَوْضُوعٌ لِلْحَاضِرِ الْمَقَارَنِ؛ لِتَحَقُّقِ حَصُولِهِ، فَكَأَنَّهُ حَاضِرٌ الْآنَ.

(١) انظر (٢٧٢/٣).

(٢) قرأ نافع بكسر الراء، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٢٤٧/٧).

وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾

أي: لا وليَّ لهم غيرُه، وهو عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصرهم؟

﴿٦٤﴾ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ ﴿الْكِتَابَ﴾: الْقُرْآنَ ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾: لِلنَّاسِ ﴿الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ، ﴿وَهُدًى﴾ - عطف على ﴿لِتُبَيِّنَ﴾ - ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ . به .

﴿٦٥﴾ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بِالنَّبَاتِ ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: يُبْسِهَا، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورَ ﴿لَآيَةً﴾ دَالَّةٌ عَلَى الْبَعْثِ ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سَمَاعٌ تَدَبَّرُ .

حاشية الصاوي

قوله: (أي: لا وليَّ لهم) أي: لا ناصر ولا مُغيث لهم غيره .

قوله: (وهو عاجز... إلخ) الجملة حالية .

قوله: (فكيف ينصرهم) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بـ(الولي) على هذا القول الثاني: الناصر، وأما على الأول... فمعناه: القرين المتولي إغواءهم .

قوله: (﴿وَمَا أُنزِلْنَا﴾... إلخ) هذا من جملة تسليته ﷺ .

قوله: (من أمر الدين) أي: كالتوحيد وأحكام العبادات والمعاملات وغير ذلك .

قوله: (﴿وَهُدًى﴾) أي: من الضلال .

قوله: (﴿وَرَحْمَةً﴾) أي: إحساناً .

قوله: (﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾) خَصَّهُمْ؛ لأنهم المنتفعون به دون غيرهم، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢] .

قوله: (﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾) شروع في ذكر أدلة توحيده سبحانه وتعالى .

قوله: (دالة على البعث) أي: لأنَّ القادر على إحياء الأرض بالماء بعد يُبْسِهَا... قادرٌ على إعادة الأجسام بعد نفوقها وانعدامها .

قوله: (سماع تدبّر) أي: فالمراد بالسماع: سماع القلوب، لا سماع الآذان .

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِبًا
لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾

﴿٦٦﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً: اعتباراً ﴿نُسْقِيكُمْ﴾ بيان للعبرة ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ أي: الأنعام، ﴿مِنْ﴾ - لِبِلَابِتْدَاءِ مُتَعَلِّقَةٍ بِـ ﴿نُسْقِيكُمْ﴾ - ﴿بَيْنِ فَرْثٍ﴾: نُفْلُ الْكَرْشِ ﴿وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا﴾ لا يَشُوبُهُ شَيْءٌ مِنَ الْفَرْثِ وَالدَّمِ مِنْ طَعْمٍ أَوْ رِيحٍ أَوْ لَوْنٍ وَهُوَ بَيْنَهُمَا، ﴿سَائِبًا لِلشَّارِبِينَ﴾: سَهْلَ الْمُرُورِ فِي حَلِقِهِمْ لَا يُعَصُّ بِهِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ﴾ (في): للسببية، والمعنى: وَإِنَّ لَكُمْ بِسَبَبِ الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً... إلخ.
قوله: ﴿لَعِبْرَةً﴾ (أي): اتِّعَازًا وَتَذَكُّارًا يَعْتَبَرُ بِهَا الْمَعْتَبَرُ وَيَسْتَدِلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
الْفَعَالُ لَمَّا يَرِيدُ.

قوله: (بيان للعبرة) أي: لمتعلّقها، وهو المعتبر به.

قوله: ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ (مِنْ): للتبعيض، وقوله ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ﴾ (مِنْ): ابتدائية كما قال المفسّر، والمعنى: نسقيكم بعض الذي في بطونه لبناً خالصاً ناشئاً من بين فرث ودم، وذَكَرَ الضمير في ﴿بُطُونِهِ﴾ هنا؛ مراعاةً للفظ (الأنعام)، وأنّهُ في سورة (المؤمنون)؛ مراعاةً للمعنى الذي هو جماعة الأنعام؛ لأنّ (الأنعام) اسم جمع.

قوله: (نُفْلُ الْكَرْشِ) بضم المثلثة وسكون الفاء، والكَرْشُ: بوزن (كبد).

قوله: ﴿لَبْنَا﴾ (مفعول ثانٍ لـ ﴿نُسْقِيكُمْ﴾)، والأول هو الكاف.

قوله: (وهو بينهما) وذلك لأنّ البهيمة إذا أكلت العلف... طبّخه الكرّش، فيجعل الله أسفله فرثاً، وأوسطه لبناً خالصاً لا يشوبه شيء، وأعلاه دماً، وبينهما حاجز بقدره الله تعالى، ثم يُسَلِّطُ الكبد عليه، فتجري الدم في العروق، واللبن في الصُّرُوع، ويبقى الفرث في الكرّش، فينزّل من مخرجه رَوْتاً.

قوله: (سهل المرور) أي: ولذا جعل غذاءً لصغار الحيوانات التي تُرَضِعُهَا أمّهاتها، ولعظم مزيّته يقال عقب أكله: (اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه)، بخلاف غيره من الأطعمة فيقال: (وعوّضنا خيراً منه)^(١).

(١) روى أبو داود (٣٧٣٠)، والترمذي (٣٤٥٥)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٤٥)، وابن ماجه (٣٣٢٢) عن سيدنا =

وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ

﴿٦٧﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ ثَمَرٌ ﴿نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾: خَمْرًا يُسَكِّرُ، سُمِّيَتْ بِالمَصْدَرِ، وَهَذَا قَبْلَ تَحْرِيمِهَا، ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ كَالثَّمَرِ وَالزَّيْبِ وَالخَلِّ والدَّبْسِ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورِ ﴿لَآيَةً﴾ دَالَّةٌ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى، ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يَتَدَبَّرُونَ. ﴿٦٨﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ﴾ (خبرٌ مقدَّم، والمبتدأ محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (ثمر)، و﴿نَتَّخِذُونَ﴾: نَعَتْ لذلِكَ المحذوف، والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ عائِدٌ على ذلِكَ المحذوف. قوله: (خمرًا) أي: وقيل: إنه اسمٌ للخلِّ بلُغَةِ الحبشة، وقيل: اسمٌ للعصير ما دام حُلُوءًا، وتسميته (سكرًا)؛ باعتبار ما يؤول إليه، وعلى هذين التفسيرين: فالامتنان به باقٍ لم يُنسخ. قوله: (سُمِّيَتْ بالمصدر) أي: فالسَّكْر مصدر: سَكِرَ، من باب (فَرَح). قوله: (وهذا قبل تحريمها) أي: لأنَّ هذه السورة مَكِّيَّة، وتحريم الخمر كان بالمدينة، نَزَلَتْ به سورة (المائدة)، وهي مدنيَّة.

قوله: (والدَّبْس) وهو: عسل الرطب، ويُطْلَق على عسل العنب. قوله: (المذكور) أي: من إخراج اللبْن على هذه الكيفيَّة، واتخاذ السَّكْرِ والرزق من الثمرات. قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ لما ذكر سبحانه وتعالى ما يدلُّ على باهر قدرته، وعظيم حِكْمَتِهِ؛ من إخراج اللبن من بين فَرْث ودم، وإخراج السَّكْرِ والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعنان. ذكر إخراج العسل الذي جعله شفاءً للناس من النحل - وهي دَابَّةٌ ضعيفة - لما فيه من العجائب البديعة، والأمور الغريبة، وكلُّ هذا يدلُّ على وحدانيَّة الصانع وقُدْرَتِهِ وعظمتِهِ.

قوله: ﴿إِلَى النَّحْلِ﴾ هو: اسم جنس جمعي، يُفْرَق بينه وبين واحده بالتاء؛ ك: نمل ونملة، وشجر وشجرة، ويذكَر ويؤنث؛ فَمِنْ التَّأْنِيثِ قوله هنا: ﴿أَنَّا أَنْحِذِي﴾، ويجوز في غير القرآن تذكيره فيقال: أَنَّا أَنْحِذْ.

= ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أكل أحدكم طعاماً.. فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وأطعمنا خيراً منه، وإذا سقي لبناً.. فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وزدنا منه؛ فإنه ليس شيء يجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن».

أَنْ أَخْذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا

وَحْيِ إلهام ﴿أَنْ﴾ - مُفسِّرة أو مصدرية - ﴿أَخْذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ تأوين إليها، ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ﴾ بُيُوتًا، ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ أي: النَّاسُ: يَبْنُونَ لَكَ مِنَ الْأَمَاكِنِ وَإِلَّا لَمْ تَأْوِي إِلَيْهَا.

﴿٦٩﴾ ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي: ادْخُلِي ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾: طُرُقَهُ فِي طَلَبِ الْمَرْعَى، ﴿ذُلُلًا﴾ جَمْعُ (ذُلُول) - حَالٍ مِنَ (السُّبُل) - أي: مُسَخَّرَةً لَكَ، فَلَا تَغْشُرْ عَلَيْكَ

حاشية الصاوي

قوله: (وحي إلهام) أي: هداية ورُشد، لا وحي نبوة؛ إذ هي مستحيلة على غير المختصين من بني آدم، فَمَنْ أَتَبَّهَا لغير النوع الإنساني.. فقد كفر.

قوله: (مفسرة) أي: لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه، وهو قوله: (أوحى).

قوله: (أو مصدرية) أي: فهي وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء، والتقدير: أوحى ربك إلى النحل باتخاذها.

قوله: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ أي: أَمَاكِنَ، و(مِنْ) بمعنى (فِي) أي: اتخذِي فِي الْجِبَالِ أَمَاكِنَ تَأْوِي إِلَيْهَا، وَمِنْ عَجِيبِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى: أَنْ أَلْهَمَهَا اتِّخَاذَ بُيُوتٍ عَلَى شَكْلِ مَسَدَسٍ مِنْ أَضْلَاعٍ مُتَسَاوِيَةٍ لَا يَزِيدُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَلَيْسَ فِيهِ فَرْجٌ خَالِيَةٌ وَلَا خَلَلٌ، وَأَلْهَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ تَجْعَلَ عَلَيْهَا أَمِيرًا كَبِيرًا نَافِذًا حَكْمَهُ فِيهَا، وَهِيَ تُطِيعُهُ، وَهَذَا الْأَمِيرُ أَكْبَرُهَا جِثَّةً، وَأَعْظَمُهَا خِلْقَةً، يُسَمَّى يَعْسُوبَ، وَأَلْهَمَهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ تَجْعَلَ عَلَى بَابِ كُلِّ خَلِيَّةٍ بَوَّابًا لَا يُمْكِنُ غَيْرَ أَهْلِهَا مِنَ الدَّخُولِ إِلَيْهَا، وَأَلْهَمَهَا أَنْهَا تَخْرُجُ مِنْ بَيُوتِهَا فَتَدُورُ وَتَرْعَى، ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى بَيُوتِهَا وَلَا تَضِلُّ عَنْهَا.

قوله: ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ أي: وَفِيمَا يَبْنُونَ لَكَ؛ أي: فَالنَّحْلُ تَارَةً تَبْنِي بَيُوتَهَا الَّتِي هِيَ مِنَ الشَّمْعِ وَالْمَاءِ؛ تَارَةً فِي الْجِبَالِ، وَتَارَةً فِي الْأَشْجَارِ، وَذَلِكَ فِي النَّحْلِ الْوَحْشِيِّ، وَتَارَةً تَبْنِيهِ فِي الْخَلَايَا، وَهَذَا فِي النَّحْلِ الْأَهْلِيِّ.

قوله: (وإلا.. لم تأو إليها) أي: وَإِلَّا؛ بَأَنْ لَمْ يُلْهَمْهَا اللَّهُ اتِّخَاذَ الْبُيُوتِ فِي الْأَمَاكِنِ الثَّلَاثَةِ.. لَمْ تَأْوِ إِلَيْهَا؛ فَيَضِيعُ عَسْلُهَا، وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ.

قوله: ﴿وَمِنَ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ أي: حُلُوهَا وَمَرْهَاهَا، طَيِّبُهَا وَرَدِيئُهَا.

يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ

وإن تَوَعَّرَتْ، ولا تَضَلِّي عن العود منها وإن بَعُدَتْ، - وقيل: من الضَّمِير في (اسْلُكِي) -
أي: مُنْقَادَةً لِمَا يُرَادُ مِنْكَ، ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ هو الْعَسَلُ ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ
لِلنَّاسِ﴾ من الأوجاع، قيل: لِبَعْضِهَا كما دَلَّ عليه تَنْكِيرُ ﴿شِفَاءٌ﴾، أو لِكُلِّهَا بِضَمِّمَتِهِ إِلَى
غَيْرِهِ، أقول: وَبِدُونِهَا بِنَيْتِهِ،

حاشية الصاوي

قوله: (وإن تَوَعَّرَتْ) أي: صَعُبَتْ.

قوله: (ولا تَضَلِّي) معطوف على قوله: (فلا تعسر عليك).

قوله: (أي: مُنْقَادَةً لِمَا يُرَادُ مِنْكَ) أي: مِمْتَثِلَةٌ؛ ولذا يُقَسَّمُ يعسوبها أعمالها بينها، فالبعض
يعمل الشمع، والبعض يعمل العسل، والبعض يأتي بالماء وَيَصُبُّهُ فِي الْبَيْتِ، والبعض يَبْنِي الْبُيُوتَ.
قوله: ﴿شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ﴾ أي: ما بين أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من ألوان العسل،
واختلف في سبب اختلاف ألوانه؛ فقليل: بسبب اختلاف المرعى، وقيل: بسبب اختلاف سنِّ
النحل؛ فالأبيض لصغيرها، والأصفر لكهلها، والأحمر لمسنِّها، وردَّ هذا: بأنه لا دليل عليه.

قوله: (قيل: لِبَعْضِهَا) أي: الأوجاع؛ كالبَلْغَمِ والبرودة وباقي الأمراض الباردة.

قوله: (أو لِكُلِّهَا) أي: الأوجاع جميعها، فالأمراض التي شأنها البرودة هو نافع لها بنفسه،
والأمراض التي شأنها الحرارة ينفع فيها مضموماً لغيره؛ ولذلك تجد غالبَ المعاجين لا تخلو عنه.

قوله: (أقول: وبدونها بِنَيْتِهِ) أي: بِنَيْتِ الشِّفَاءِ الْجَازِمَةِ أَنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ الشِّفَاءَ عِنْدَ اسْتِعْمَالِهِ؛ لإخباره
تعالى بذلك، فَتَحَصَّلَ: أَنَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ أقوال^(١) ثلاثة: قيل: شِفَاءٌ لِبَعْضِ
الأوجاع التي شأنها البرودة، وقيل: شِفَاءٌ لَجَمِيعِهَا، لكن في الأمراض الباردة يُسْتَعْمَلُ وَحْدَهُ خَالِصاً،
والحرارة يُسْتَعْمَلُ مَشُوباً بغيره، وقيل: شِفَاءٌ لَجَمِيعِهَا بِالنِّيةِ فِي كُلِّ حَالٍ وَلِكُلِّ أَحَدٍ؛ ولذا روي عن ابن
عمر: أَنَّهُ كَانَ لَا يَشْكُو قَرَحَةً وَلَا شَيْئاً إِلَّا جَعَلَ عَلَيْهَا عَسْلاً؛ حَتَّى الدَّمْلُ إِذَا خَرَجَ.. طَلَى عَلَيْهِ عَسْلاً،
وَحَكَى النِّقَاشَ عَنْ أَبِي وَجَرَةٍ: أَنَّهُ كَانَ يَكْتَحِلُ بِالْعَسَلِ، وَيَتَنَشَّقُ بِالْعَسَلِ، وَيَتَدَاوَى بِالْعَسَلِ^(٢).

(١) كذا في الأصول؛ بالرفع، فيكون اسم (أن) ضمير شأن محذوفاً؛ كقوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ
عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَصُورُونَ» كما رواه النسائي في «المجتبى» (٢١٦/٨)، والأصل: إنه؛ أي: الشأن. انظر «مغني
اللييب» (ص ٥٦).

(٢) انظر الخبرين في «تفسير القرطبي» (١٣٦/١٠).

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَنْوَفِّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَّا أَزْدِلِ الْعُمُرُ ..

وقد أمر به ﷺ مَن اسْتَطَلَقَ عَلَيْهِ بَطْنُهُ، رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فِي صُنْعِهِ تَعَالَى.

﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا، ﴿ثُمَّ يَنْوَفِّكُمْ﴾ عِنْدَ انْقِضَاءِ أَجَالِكُمْ، ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَّا أَزْدِلِ الْعُمُرُ﴾ أَي: أَخْسَهُ مِنَ الْهَرَمِ وَالْخَرْفِ؛
حاشية الصاوي

قوله: (وقد أمر به ﷺ... إلخ) قد اختصر المفسر الحديث، ونصّه: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه، فقال رسول الله ﷺ: «اسقه عسلاً»، فسقاه، ثم جاء فقال: إني سقيته عسلاً فلم يَزِدْهُ إِلَّا اسْتَطْلَاقًا، فقال له ثلاث مرات، ثم جاءه الرابعة فقال: «اسقه عسلاً»، فقال: لقد سقيته فلم يَزِدْهُ إِلَّا اسْتَطْلَاقًا، فقال رسول الله ﷺ: «صدق الله، وكذب بطن أخيك»، فسقاه، فبرئ^(١)، ولا عبرة باعتراض الملحدين الذين في قلوبهم مرضٌ على هذا الحديث؛ حيث قالوا: إن الأطباء مجمعون على أن العسل مُسهل، فكيف يوصف لمن به إسهال؛ لأنَّ الإسهال يكون من أنواع كثيرة منها: الإسهال الحادث من التخم والأخلاط، وقد أجمع الأطباء على أن علاجه بالمعِين على الإسهال؛ إذ حبس الطبيعة مضرًا، فهذا الحديث محمولٌ على ذلك؛ ولذا نفعه آخرًا حين نظفت المَعِدَةُ وخلصت من الغش.

قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ أي: دلالة على وحدانية الصانع الحكيم القادر.

قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ أي: أنشأكم وأوجدكم.

قوله: ﴿ثُمَّ يَنْوَفِّكُمْ﴾ أي: يُمَيِّتُكُمْ.

قوله: ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ﴾... إلخ معطوفٌ على محذوف، والتقدير: فمنكم من يَبْقَى على قوة جسمه وعقله إلى أن يموت ومنكم... إلخ.

قوله: ﴿إِلَّا أَزْدِلِ الْعُمُرُ﴾ أي: أضعفه، قال العلماء: عُمرُ الإنسان له أربع مراتب: أولها: سنُّ النشوء والنماء، وهو من أول العمر إلى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة، وهو غاية سنِّ الشباب وبلوغ الأشد، ثم المرتبة الثانية: سنُّ الوقوف، وهو من ثلاث وثلاثين سنة إلى أربعين سنة، وهو غاية القوة وكمال العقل، ثم المرتبة الثالثة: سنُّ الكهولة، وهي من الأربعين إلى ستين سنة، وفي هذه

(١) «صحيح البخاري» (٥٦٨٤)، و«صحيح مسلم» (٥٨٢٣).

لَيْكُنْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا.....

﴿لَيْكُنْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ قال عِكْرِمَةُ: مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ لَمْ يَصِرْ بِهَذِهِ الْحَالَةِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بِتَدْبِيرِ خَلْقِهِ، ﴿قَدِيرٌ﴾ عَلَى مَا يُرِيدُهُ.

﴿٧١﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴿فَمِنْكُمْ غَنِيٌّ وَفَقِيرٌ وَمَالِكٌ وَمَمْلُوكٌ﴾، ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾ أي: الموالى.....

حاشية الصاوي

المرتبة يَشْرَعُ الإنسان في النقص غير أنه يكون خفياً، ثم المرتبة الرابعة: سُنُّ الشيخوخة والانحطاط، من الستين إلى آخر العمر، وفيه يتبين النقص، ويكون الهرم والخرف، وقد استعاذ منه ﷺ حيث قال: «اللهم؛ إني أعوذ بك من البخل والكسل، وأرذل العمر، وعذاب القبر، وفِتنة المحيا والممات»^(١).

قوله: ﴿لَيْكُنْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ اللام: لام التعليل، و(كي): مصدرية، و(لا): نافية، و﴿شَيْئًا﴾: تنازعه الفعل والمصدر، فأعمل الثاني، وأضمر في الأول وحذف، والمعنى: لأجل انتفاء علمه بالأشياء التي كان يَعْلَمُها قبل هذه الحالة، فيرجع إلى مَبْدئه في عدم المعرفة والعلم كالطفل الذي لا يَدْرِي شيئاً.

قوله: (من قرأ القرآن) أي: عاملاً به، وكذلك العلماء العاملون لا يَصِيرُونَ بهذه الحالة، بل كلما ازدادوا في العمر.. ازدادوا في العلم والمعرفة والعقل؛ كما هو مشاهد؛ ولذا قالوا: أعلى كلام العارفين ما صدر منهم في آخر عمرهم، بل قالوا: الرُّدُّ لأرذل العمر يكون للكفار والمنهمكين في الشهوات من عوام المؤمنين.

قوله: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ المقصود من ذلك: الرُّدُّ على الكفار؛ حيث جعلوا الله شريكاً في ألوهيته، كأنه قال: الله جعل منكم أغنياء وفقراء، فالأغنياء لا ترضى أن تشرك الفقراء في أوصافهم، فكيف يجعلون الله شريكاً في صفاته مع أنه الغني المطلق عَمَّن سِوَاهُ؟! وهذا من ثمرات قوله: ﴿وَيَعْمَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾.

قوله: (أي: الموالى) المراد بهم: السادة.

(١) رواه البخاري (٤٧٠٧)، ومسلم (٦٩٧٥) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

بِرَّادِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً

﴿بِرَّادِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: بِجَاعِلِي مَا رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَغَيْرِهَا شَرَكَةً بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَمَالِيكِهِمْ ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ أي: الْمَمَالِيكِ وَالْمَوَالِي ﴿فِيهِ سَوَاءٌ﴾: شُرَكَاءُ، الْمَعْنَى: لَيْسَ لَهُمْ شُرَكَاءُ مِنْ مَمَالِيكِهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ فَكَيْفَ يَجْعَلُونَ بَعْضَ مَمَالِيكَ اللَّهِ شُرَكَاءَ لَهُ؟ ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: يَكْفُرُونَ حَيْثُ يَجْعَلُونَ لَهُ شُرَكَاءَ.

﴿٧٢﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا فَخَلَقَ حَوَاءَ مِنْ ضِلْعِ آدَمَ، وَسَائِرَ النَّاسِ مِنْ نُطْفِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾: أَوْلَادَ الْأَوْلَادِ،

حاشية الصاوي

قوله: (المعنى: ليس لهم شركاء) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ حُذِفَ مِنْهُ أَدَاءُ الاستفهام، والتقدير: أفهم فيه سواء؟ ومعناه النفي؛ أي: ليسوا مُستَوِينَ فِيهِ؛ أي: لا تَرْضَى الْأَغْنِيَاءُ بِتَسْوِيَةِ الْفُقَرَاءِ مَعَهُمْ فِي غَنَاهُمْ، وَلَا الْمَوَالِي بِتَسْوِيَةِ الْعَبِيدِ مَعَهُمْ فِي سَيَادَتِهِمْ؛ فَكَيْفَ يَجْعَلُونَ وَصْفَ الْأُلُوهِيَّةِ لغيره تعالى؟!

قوله: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾ الهمزة: داخلية على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، وهي داخلية على الفعل، والمعنى: أيُشْرِكُونَ بِهِ فَيَجْحَدُونَ نِعْمَتَهُ؟

قوله: (يكفرون) أشار بذلك إلى أنه ضَمَّنَ ﴿يَجْحَدُونَ﴾ معنى (يكفرون) فعَدَّاهُ بِالْبَاءِ، وَإِلَّا... فَالْجَحْدُ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ.

قوله: ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: نَوْعَكُمْ وَجَنْسَكُمْ.

قوله: (فخلق حواء من ضلع آدم) أي: الْأَيْسَرِ الْقَصِيرِ.

قوله: ﴿بَنِينَ﴾ لم يذكر البنات؛ لكرهتهم لهنَّ، فلم يمتنَّ عليهم إلا بما يحبونه.

قوله: (أولاد الأولاد) أي: وَسَمُّوا حَفَدَةً؛ لِأَنَّهُمْ يَخْدُمُونَ أَجْدَادَهُمْ وَيُسَارِعُونَ فِي طَاعَتِهِمْ؛

لأنَّ الْحَافِدَ مَعْنَاهُ: الْخَادِمَ.

وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفِيَالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعَمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ

﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ من أنواع الثمار والحبوب والحيوان، ﴿أَفِيَالْبَاطِلِ﴾: الصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِعَمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ بإشراكهم؟

﴿٧٣﴾ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ﴾ بالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿شَيْئًا﴾ - بدل من ﴿رِزْقًا﴾ - ، ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: يقدرون على شيء وهو الأصنام.

﴿٧٤﴾ ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ أي: لا تجعلوا لله أشباهاً تُشركونهم به، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَفِيَالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ يقال فيه ما قيل فيما قبله، فيكون التقدير: أبعد تحقق ما ذكر من الله يؤمنون بالباطل؟ وهو استفهام توبيخ وتقريع.

قوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ عطف على ﴿يَكْفُرُونَ﴾.

قوله: ﴿مَا لَا يَمْلِكُ﴾ أي: أصناماً لا تستطيع جلب نفع، ولا دفع ضرر.

قوله: (بالمطر) أي: بإنزاله.

قوله: (بدل من ﴿رِزْقًا﴾) أي: على أن الرزق اسم عين بمعنى المرزوق، وفيه أن البدل إمّا للتوكيد، أو للبيان، و﴿شَيْئًا﴾ لا يصلح لذلك، وحينئذ: فالمناسب جعله صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق لقوله: ﴿يَمْلِكُ﴾، والتقدير: ما لا يملك لهم ملكاً شيئاً؛ أي: قليلاً أو كثيراً، جليلاً أو حقيراً.

قوله: (تشركونهم به) أي: فإن ضرب المثل تشبيهه حال بحال، والله منزّه عن الأحوال والكيفيات، وأمّا ضرب المثل بمعنى: تشبيه حال بعض المخلوقات بحال بعض؛ لأجل الاستدلال على اتصافه بالكمالات.. فلا يُنهي عنه، بل ذكره الله في كتابه، وعلمنا كيفية ضربه، قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا...﴾ إلخ، وقال هنا: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾.

وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا

أن لا مثل له، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿٧٥﴾ ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ - وَيُبَدِّلُ مِنْهُ -: ﴿عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ صِفَةُ تُمَيِّزُهُ مِنَ الْحُرِّ؛ فَإِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ لِعَدَمِ مُلْكِهِ، ﴿وَمَنْ﴾ - نَكْرَةُ مَوْصُوفَةٍ - أَي: حُرًّا ﴿رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ أَي: يَتَصَرَّفُ فِيهِ كَيْفَ يَشَاءُ، وَالْأَوَّلُ مَثَلُ الْأَصْنَامِ وَالثَّانِي مَثَلُهُ تَعَالَى،
حاشية الصاوي

قوله: (أن لا مثل له) وقيل: المراد: إن الله يعلم كيفية ضرب الأمثال، وأنتم لا تعلمون كيفيةها.

قوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ هذا مرْتَّبٌ عَلَى قوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾؛ لَأَنَّ الْمُنْهَى عَنْهُ الْأَمْثَالُ الَّتِي تَفِيدُ تَشْبِيهَ اللَّهِ بغيره، وَأَمَّا الْمَثَلُ الَّذِي يَفِيدُ التَّوْحِيدَ. فقد ضربه الله بقوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا...﴾ إلخ.

قوله: (صفة تميزه من الحر) جوابٌ عَمَّا يُقَالُ: إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ مَمْلُوكٌ لِلَّهِ؛ حُرًّا كَانَ أَوْ عَبْدًا، فَأَجَابَ: بِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ: الرقيق؛ إذ الحرُّ لَا يَسْمَى مَمْلُوكًا عَرَفًا وَإِنْ كَانَ يَسْمَى عَبْدًا لِلَّهِ.

قوله: ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ أَي: من التصرفات، واختلف العلماء في العبد؛ هل يملك ما تحت يده من الأموال أو لا يملكها؟ فقال مالك: إنه يملك غير أن ملكه غير تام، وقال الشافعي: لا يملك أصلاً، وإنما الذي تحت يده ملك لسيده^(١)، والآية مفروضة في عبد لا يقدر على شيء، وكون العبد يملك أو لا شيء آخر.

قوله: ﴿وَمَنْ﴾ معطوف على ﴿عَبْدًا﴾.

قوله: ﴿حَسَنًا﴾ أَي: حلالاً.

قوله: (والأول: مثل الأصنام، والثاني: مثله تعالى) أَي: فالمقصود من ذلك: التوصل إلى إبطال الشريك، والردُّ على الكفار؛ كأنَّ الله يقول: أنتم لا تُسَوِّون العبد المملوك العاجز بالحرِّ

(١) انظر «بلغة السالك لأقرب المسالك» (٥٨٧/١)، و«الأم» (٤٤/٥).

هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ

﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ أي: العبيد العجزة والحرر المتصرفون؟ لا، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.
﴿٧٦﴾ ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ - ويبدل منه -: ﴿رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ وُلِدَ أَخْرَسَ ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ لِأَنَّهُ لَا يَفْهَم وَلَا يُفْهَم، ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾: ثَقِيلٌ ﴿عَلَى مَوْلَاهُ﴾: وَلِيِّ أَمْرِهِ، ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهُهُ﴾: يَصْرِفُهُ ﴿لَا يَأْتِ﴾ مِنْهُ

حاشية الصاوي

الغني الذي يتصرف في ماله كيف يشاء؛ فكيف تُشركون الأصنام التي هي صنف من العبد المملوك مع الله القادر المتصرف في خلقه؟!

قوله: ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ أي: في الإجلال والتعظيم، ولم يقل: (يستويان)؛ نظراً إلى تعدد أفراد كل قسم، وإنما لم يُجمع الحر كما جمع العبيد؛ إشارة إلى أنه مثل متوصل به إلى توحيد الله، والله تعالى واحد، فأفرده؛ تأدباً.

قوله: (لا) هو جواب الاستفهام.

قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هذا حمد من الله لنفسه في مقام الرد على المشركين؛ أي: هو المستحق لجميع المحامد، المنعم، المتفضل، الخالق، الرازق، وأما هذه الأصنام.. فلا تستحق ذلك؛ لأنها أداة عاجزة، لا تنفع ولا تضر.

قوله: (فيشركون) أي: يعبدون غير الله مع ظهور البراهين والحجج الدالة على وحدانية الله تعالى.

قوله: ﴿أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ أي: والآخر ناطق قادرٌ خفيفٌ على مولاه، أينما يوجهه.. يأت بخير، وقد حذف هذا المقابل؛ لدلالة قوله: ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ...﴾ إلخ عليه.

قوله: (ولد أخرس) المناسب: تفسيره بالذي لا يسمع ولا يبصر؛ ليظهر قوله: (لأنه لا يفهم ولا يفهم).

قوله: ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهُهُ﴾... إلخ (أين): اسم شرط جازم، و﴿يُوَجِّهُهُ﴾: فعل الشرط، وقوله: ﴿لَا يَأْتِ﴾: جواب الشرط، مجزومٌ بحذف الياء.

يُخَيِّرُ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾

﴿يُخَيِّرُ﴾: يُنْجِجُ، وهذا مثلُ الكافر، ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ﴾ أي: الأَبْكُمْ المَذْكُور ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ﴾ أي: وَمَنْ هُوَ نَاطِقٌ نَافِعٌ لِلنَّاسِ حَيْثُ يَأْمُرُ بِهِ وَيَحُثُّ عَلَيْهِ، ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ﴾:
طَرِيقٌ ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو الثَّانِي الْمُؤْمِن؟ لا، وَقِيلَ: هذا مَثَلُ اللَّهِ وَالْأَبْكُمْ لِلْأَصْنَامِ،
والذي قَبْلَهُ فِي الْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ.

﴿٧٧﴾ ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: عِلْمُ مَا غَابَ فِيهِمَا، ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا
كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ بِلَفْظِ (كُنْ فَيَكُونُ)، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (يُنْجِجُ) بضم النون بوزن (قُفِلَ) أي: لم يأتِ بشيءٍ نافعٍ.

قوله: (﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾) معطوف على الضمير في ﴿يَسْتَوِي﴾، والشرط مَوْجُودٌ،
وهو الفصل بالضمير المنفصل.

قوله: (وقيل: هذا) أي: مَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ.

قوله: (والذي قبله) أي: وهو قوله: ﴿عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ و﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ﴾، وقيل: كُلُّ فِي الْكَافِرِ
وَالْمُؤْمِنِ، وقيل: كُلُّ فِي الْمَعْبُودِ بِحَقِّ وَالْمَعْبُودِ بِيَاظٍ، فتكون الأقوال أربعةً.

قوله: (الكافر والمؤمن) قيل: محمولٌ على العموم، وقيل: المراد بالكافر: أَبُو جَهْلٍ،
والمؤمن: النَّبِيُّ ﷺ، وقيل غير ذلك.

قوله: (﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ﴾) هذا دليلٌ على كمالِ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ.

قوله: (أي: علم ما غاب) أي: خفي وبطن.

قوله: (﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾) أي: قيام الخلق من القبور.

قوله: (﴿إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾) أي: انطباقي جفن العين، أو فتحه.

قوله: (لأنه بلفظ: «كن» فيكون) فيه تسامح؛ إذ ليس ثَمَّ كاف ولا نون، بل المراد: سرعة
الإيجاد، فإذا أراد شيئاً.. أوجده سريعاً.

وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمُ

﴿٧٨﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا - الْجُمْلَةُ حَالٌ - ، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ بِمَعْنَى الْأَسْمَاعِ ، ﴿وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ : الْقُلُوبُ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هـ عَلَى ذَلِكَ فَتُؤْمِنُونَ .

﴿٧٩﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ : مُذَلَّلَاتٍ لِلطَّيْرَانِ ﴿فِي جَوْ السَّمَاءِ﴾ أَي : الْهَوَاءِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ﴾ عِنْدَ قَبْضِ أَجْنِحَتَيْهِنَّ أَوْ بَسْطِهَا أَنْ يَقَعْنَ ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ بِقُدْرَتِهِ ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ، هِيَ خَلْقُهَا بِحَيْثُ يُمَكِّنُهَا الطَّيْرَانُ ، وَخَلَقَ الْجَوْ بِحَيْثُ يُمَكِّنُ الطَّيْرَانُ فِيهِ وَإِمْسَاكُهَا .

﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا : مَوْضِعًا تَسْكُنُونَ فِيهِ ، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾

حاشية الصاوي

قوله : ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ (أَي : لَا تَعْرِفُونَ .

قوله : (حَال) أَي : مِنْ الْكَافِ فِي ﴿أَخْرَجَكُمْ﴾ .

قوله : ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ أَفْرَدَهُ بِاعْتِبَارِ كَوْنِهِ مُصَدَّرًا فِي الْأَصْلِ ^(١) .

قوله : ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ (أَي : يَنْظُرُوا بِأَبْصَارِهِمْ .

قوله : ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ هُوَ حَالٌ مِنْ ﴿الطَّيْرِ﴾ .

قوله : ﴿فِي جَوْ السَّمَاءِ﴾ الْجَوْ : الْفَضَاءُ الْكَائِنُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، قَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ :

إِنَّ الطَّيْرَ يَرْتَفِعُ فِي الْجَوْ مَسَافَةَ اثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا ، وَلَا يَرْتَفِعُ فَوْقَ ذَلِكَ .

قوله : (عِنْدَ قَبْضِ أَجْنِحَتَيْهِنَّ) هَذَا يُفِيدُ أَنَّهَا فِي حَالِ الطَّيْرَانِ تَقْبِضُ أَجْنِحَتَيْهَا ، مَعَ أَنَّهُ خِلَافُ

(١) أَوْ نَقُولُ : إِنَّمَا وَحَّدَهُ لِفَهْمِ الْمَعْنَى ، كَقَوْلِهِ :

كُلُّوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعَفُّوا فَإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنٌ خَوِيسٌ

انظر «تفسير النسفي» (١/٥٣) .

مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَمِ يُبُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا

مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَمِ يُبُوتًا ﴿٨٠﴾ كَالخِيَامِ وَالْقِيَابِ، ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ لِلْحَمْلِ ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾: سَفَرِكُمْ، ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا﴾ أَي: الْغَنَمِ ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ أَي: الْإِبِلِ ﴿وَأَشْعَارِهَا﴾ أَي: الْمَعَزِ ﴿أَثْنَا﴾: مِئَةً لِيُبُوتَكُمْ، كِبُسُطٍ وَأَكْسِيَّةٍ، ﴿وَمِئَةً﴾ تَمْتَعُونَ بِهِ ﴿إِلَى حِينٍ﴾ يَبْلَى فِيهِ.

﴿٨١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ﴿٨١﴾ مِنَ الْبُيُوتِ وَالشَّجَرِ وَالْغَمَامِ ﴿ظِلَالًا﴾: جَمْعُ (ظِلٍّ) تَقِيكُمْ حَرَّ الشَّمْسِ، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾: جَمْعُ (كِنٍّ)، وَهُوَ مَا يُسْتَكْنَى فِيهِ

حاشية الصاوي

المشاهد، فالمناسب أن يقول: ما يمسكن في حال طيرانهنَّ إلا الله؛ فَإِنَّ ثِقَلَ أَجْسَادِهَا يَقْتَضِي سَقُوطَهَا وَلَا عِلَاقَةً فَوْقَهَا، وَلَا شَيْءَ تَحْتَهَا يُمَسِكُهَا.

قوله: ﴿مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَمِ يُبُوتًا﴾ أَي: وَذَلِكَ فِي بَعْضِ النَّاسِ كَالسُّودَانِ؛ فَإِنَّهُمْ يَتَّخِذُونَ خِيَامَهُمْ مِنَ الْجُلُودِ.

قوله: (كَالْخِيَامِ) جَمْعُ خَيْمَةٍ، وَالْقِيَابِ: جَمْعُ قُبَّةٍ، وَهِيَ: دُونُ الْخَيْمَةِ.

قوله: ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ أَي: يَخْفُفُ عَلَيْكُمْ حَمْلُهَا فِي رَحِيلِكُمْ وَإِقَامَتِكُمْ؛ فَلَا يَثْقُلُ عَلَيْكُمْ حَمْلُهَا فِي الْحَالَتَيْنِ.

قوله: ﴿وَمِنْ أَصْوَابِهَا﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَمِ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿أَثْنَا﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿يُبُوتًا﴾، وَلَمْ يَذْكُرِ الْقَطْنَ وَالْكُتَّانَ؛ لِأَنَّهُمَا لَمْ يَكُونَا بِبِلَادِ الْعَرَبِ.

قوله: (كِبُسُطٍ) بَضْمُ الْبَاءِ وَالسِّينِ، وَقَدْ تَسَكَّنَ.

قوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ أَي: مَا تَسْتَظِلُّونَ بِهِ، وَذَكَرَ فِي مَقَامِ الْاِمْتِنَانِ؛ لِأَنَّ بِلَادَ الْعَرَبِ شَدِيدَةُ الْحَرِّ، فَحَاجَتُهُمْ لِلظَّلَالِ وَمَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ شِدَّةَ الْحَرِّ وَقُوَّتَهُ... أَكْثَرُ.

قوله: (وَالْغَمَامِ) أَي: السَّحَابِ.

قوله: (جَمْعُ كِنٍّ) أَي: غَطَاءٍ، وَالْأَكْنَةُ: الْأَغْطِيَّةُ، وَمِنْهُ: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ [الأنعام: ٢٥].

وَجَعَلَ لَكُمْ سَرِيلَ تَفِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرِيلَ تَفِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ

كالغارِ والسَّربِ، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرِيلَ﴾: قُصْصاً ﴿تَفِيكُمُ الْحَرَّ﴾ أي: والبرد، ﴿وسَرِيلَ تَفِيكُمُ بَأْسَكُمْ﴾: حَرْبِكُمْ أي: الطَّعْنَ والضَّرْبَ فِيهَا كَالدُّرُوعِ والجَوَاشِينِ، ﴿كَذَلِكَ﴾ كما خَلَقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ ﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بِخَلْقِ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يَا أَهْلَ مَكَّةَ ﴿تُسْلِمُونَ﴾: تُوحِّدُونَهُ.

﴿٨٢﴾ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: أَعْرَضُوا عَنِ الْإِسْلَامِ ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾: الْإِبْلَاجُ الْبَيِّنُ، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ.

﴿٨٣﴾ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ أي: يُقَرِّونَ بِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِهِ

حاشية الصاوي

قوله: (أي: والبرد) أشار بذلك إلى أنَّ فِيهِ حَذْفَ الْوَائِ مَعَ مَا عَطَفْتَ، وَيُسَمَّى عِنْدَ أَهْلِ الْمَعَانِي اكْتِفَاءً^(١).

قوله: (كالدروع) أي: دُرُوعُ الْحَدِيدِ، وَقَوْلُهُ: (وَالجَوَاشِينِ) جَمْعُ جَوْشَنَ وَهُوَ: الدَّرْعُ، فَالْعَطْفُ لِلتَّفْسِيرِ.

قوله: ﴿﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾﴾ أي: دَامُوا عَلَى التَّوَلَّى وَالْإِعْرَاضِ.

قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) مراده: أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ، وَفِيهِ: أَنَّهُ لَا يَظْهَرُ إِلَّا لَوْ قُدِّرَ جَوَابُ الشَّرْطِ: فَلَا تُقَاتِلُهُمْ مِثْلًا، وَأَمَّا لَوْ قُدِّرَ: فَلَا عَتَبَ عَلَيْكَ وَلَا مُوَاخَذَةً؛ لِأَنَّكَ لَا قُدْرَةَ لَكَ عَلَى خَلْقِ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِهِمْ.. فَلَا يَظْهَرُ النِّسْخُ؛ لِأَنَّهُ لَا يُنَافِي الْأَمْرَ بِقِتَالِهِمْ.

قوله: ﴿﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾﴾ أي: مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إِلَى هُنَا مِنَ النِّعَمِ الْعَظِيمَةِ يُقَرِّونَ بِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَا يَصْرَفُونَهَا فِي مَصَارِفِهَا.

(١) أَوْ اكْتَفَى بِأَحَدِ الضَّدَّيْنِ؛ لِأَهْمِيَّتِهِ عِنْدَهُمْ؛ لِأَنَّ الْحَرَّ عَلَى أَهْلِ الْحِجَازِ أَشَدُّ مِنَ الْبَرْدِ، وَنَظِيرُهُ: ﴿يَدُوكَ الْغَيْرُ﴾ أي: وَالشَّرُّ؛ لِأَنَّ الْخَيْرَ مَطْلُوبُ الْعِبَادِ مِنْ رَبِّهِمْ دُونَ الشَّرِّ، أَوْ لَتَقَدَّمَ وَقَايَةُ الْبَرْدِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفٌّ﴾. «فتوحات» (٦١٩/٢) نقلًا عن «حاشية العلامة الكرخي على الجلالين».

ثُمَّ يُكْرِوْنَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا

﴿ثُمَّ يُكْرِوْنَهَا﴾ بإشراكهم، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿٨٤﴾ ﴿و﴾ اذْكُرْ ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ هو نبيُّها يشهد لها وعليها وهو يومُ القيامة، ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار
حاشية الصاوي

قوله: ﴿ثُمَّ يُكْرِوْنَهَا﴾ أتى بـ(ثم)؛ إشارةً إلى أن إنكارهم مستبعدٌ بعد المعرفة؛ لأنَّ مَنْ عرف النعمة.. فحَقُّه ألا يُنكرها بعد ذلك.

قوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ أي: يموتون كفاراً، وأقلُّهم يهتدي للإسلام؛ فإنَّ أكثرَ صناديدهم مات كافراً، والأقل منهم أسلم.

قوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ﴾ (يوم): منصوب بفعل محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (اذْكُرْ)، والمعنى: اذكر يا محمد لِقَوْمِكَ يوم نَجْعَلُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا، أو المراد بالبعث: الإحياء؛ أي: يوم نُحْيِي مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا، والأقرب: الأول.

قوله: (يشهد عليها) أي: بالكذب والكفر، وقوله: (ولها) أي: بالتصديق والإيمان.

قوله: (وهو يوم القيامة) أي: لأنه ورد: أنه يُؤْتَى بِالْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَأَنْبِيَائِهِمْ، فيقال للأنبياء: هل بَلَّغْتُمْ أُمَّمَكُمْ؟ فيقولون: نعم بَلَّغْنَا، فيقال للأمم: هل بَلَّغْتُمْ رُسُلَكُمْ، فيقولون: يا ربنا؛ ما جاءنا من نذير، فيؤْتَى بِالْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، فتشهد للأنبياء بالتبليغ، وعلى الأمم بالكذب، فتقول الأمم: من أين أتى لكم ذلك وأنتم آخر الأمم؟ فيقولون: أخبرنا نبيُّنا بذلك عن ربِّنا، وهو صادقٌ عن صادقٍ، فيأتي رسول الله ﷺ، فيزكي أُمَّتَهُ^(١).

وأما الكفار من أُمَّتِهِ؛ فحين يقول: «يا ربُّ؛ قد بَلَّغْتَهُمْ».. تنقطع حجَّتُهُمْ، فهو مخصوصٌ بأنه مقبولُ الشهادة من غير مُزَكٍّ له.

قوله: ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اختلف في مُتعلق الإذن المنفي؛ فقال المفسِّر:

(١) رواه النسائي في «الكبرى» (١٠٩٤٠)، وابن ماجه (٤٢٨٤) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفي «البخاري» (٣٣٣٩) شهادة النبي ﷺ وأُمَّتِهِ لِسَيِّدِنَا نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٥﴾
وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا.....

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: لا يُطْلَبُ مِنْهُمْ الْعُتْبَى أَي: الرَّجُوعُ إِلَى مَا يُرْضِي اللَّهَ.

﴿٨٥﴾ ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كَفَرُوا ﴿الْعَذَابَ﴾: النَّارَ ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾: الْعَذَابُ ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾: يُمَهِّلُونَ عَنْهُ إِذَا رَأَوْهُ.

﴿٨٦﴾ ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾: مِنَ الشَّيَاطِينِ وَغَيْرِهَا ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا﴾: نَعْبُدُهُمْ.....

حاشية الصاوي

(في الاعتذار)، ويدل له قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾، وقيل: لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فِي كَثْرَةِ الْكَلَامِ، وقيل: في الرجوع إلى الدنيا والتكليف، وقيل: في التكلم وَقْتُ شَهَادَةِ الشُّهُودِ، بل يسكتون وقتها، ولا يقدر أحدٌ منهم على التكلم إِذْ ذَاكَ.

قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا تُزَالُ عَتَابُهُمْ، وهي: ما يعتبون ويُلامون عليها، يقال: استعبت فلاناً بمعنى: أزلت عتبه، فالسين والتاء للسلب^(١)؛ نظير الهمزة في: أعذر إليه على ألسنة المرسلين.

قوله: (إلى ما يرضي الله) أي: من الرجوع إلى الدنيا والعبادة فيها.

قوله: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ أي: فهم لا يخفف عنهم، وإنما احتيج لتقدير المبتدأ؛ لصحة دخول الفاء؛ لأنَّ الفعل المضارع الصالح لمباشرة الأداة.. لا يُقَرَّنُ بِالفَاءِ، فاحتيج لجعلها جملةً اسميةً؛ لوجود الفاء.

قوله: (العذاب) تفسير للضمير المستتر في الفعل.

قوله: ﴿وَإِذَا رَأَى﴾ أي: أبصر.

قوله: ﴿شُرَكَاءَهُمْ﴾ مفعول به، والإضافة لأدنى ملازمة؛ لكون الإشراك نشأ منهم، وكذا يقال في قوله: ﴿هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا﴾.

قوله: ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا﴾ إنما قصدوا بذلك توزيع العذاب بينهم.

(١) في (أ): (لطلب)، والمثبت من (ط٢)، وهو المناسب للمعنى الذي بيَّنه المصنف، وأمَّا على ما بيَّنه المفسر.. فتكون السين والتاء للطلب، وذكر المعنيين العلامة السمين في «الدر المصون» (٧/٢٧٨).

مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ

﴿مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾ أي: قالوا لهم: ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في قولكم: إِنَّكُمْ عَبْدْتُمُونَا كما في آية أخرى: ﴿مَا كَانُوا إِلَّا نَارًا يَتَّبِعُونَ﴾ [القصص: ٦٣]، ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ [مريم: ٨٢].
 ﴿٨٧﴾ ﴿وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ﴾ أي: استسلموا لحكمه، ﴿وَضَلَّ﴾: غاب ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من أن آلهتهم تشفع لهم.

﴿٨٨﴾ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾ النَّاسَ ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دِينِهِ ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ الَّذِي اسْتَحَقُّوه بِكُفْرِهِمْ، قال ابن مسعود:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾ المعنى: فيخلق الله الحياة والعقل والنطق في تلك الأصنام، ويقولون: إنكم كذبتكم في عبادتكم لنا؛ فإنكم ما عبدتمونا، بل عبدتم هواكم، وإنما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم؛ لأن الأوثان لم يكونوا راضين بذلك، فكانهم لم يعبدوهم.
 قوله: ﴿أي: استسلموا﴾ أي: انقادوا بعد أن كانوا في الدنيا متكبرين، ولكن هذا الانقياد لا ينفعهم.

قوله: ﴿من أن آلهتهم تشفع لهم﴾ أي: حيث قالوا: ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى.

قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مبتدأ، خبره قوله: ﴿زِدْنَاهُمْ﴾.

قوله: ﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: منعو الناس عن الدخول في الإيمان، وهذه الآية تعم من يحمل الناس على الكفر ولو كان يقول: لا إله إلا الله.

قوله: ﴿قال ابن مسعود﴾ أي: في تفسير العذاب الزائد، وقال سعيد بن جبير: حيات كالبخت، وعقارب أمثال البغال، تلسع إحداهن اللسعة، فيجد صاحبها ألمها أربعين خريفاً.

قال ابن عباس ومقاتل: يعني بزيادة العذاب: خمسة أنهار من أصفر مذاب كالنار، يسيل من تحت الفرش، يعذبون بها؛ ثلاثة على مقدار الليل، واثنان على مقدار النهار.

بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا

عَقَارِبُ أَنْبِيَائِهَا كَالنَّخْلِ الطَّوَالِ، ﴿بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ بِصَدِّهِمُ النَّاسَ عَنِ الْإِيمَانِ. ﴿٨٩﴾ ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ اذْكُرْ ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ هُوَ نَبِيُّهُمْ، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ أَي: قَوْمِكَ، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: الْقُرْآنَ ﴿تِبْيَانًا﴾: بَيَانًا

حاشية الصاوي

وقيل: إنهم يخرجون من حرِّ النار إلى بردِ الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير إلى النار مُسْتَغِيثِينَ بِهَا^(١).

قوله: (أَنْبِيَائِهَا كَالنَّخْلِ الطَّوَالِ) أَي: وَجَسَمُهَا بِالنِّسْبَةِ لِأَنْبِيَائِهَا كَجِسْمِ أَحَدِنَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَابِهِ، فَتَكُونُ عَظِيمَةً الْجِثَّةَ جَدًّا، أَجَارَنَا اللَّهُ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْهَا.

قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ (الباء: للسببية، و(ما): مصدرية؛ أَي: بِسَبَبِ كَوْنِهِمْ مُفْسِدِينَ. قوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ﴾ كُرِّرَ لزيادة التهديد.

قوله: (أَي: قَوْمِكَ) هَذَا أَحَدُ تَفْسِيرَيْنِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِ﴿هَؤُلَاءِ﴾: الْأَنْبِيَاءُ؛ لِاسْتِجْمَاعِ شَرْعِهِ لَشَرَائِعِهِمْ، وَأَمَّا كَوْنُهُ شَهِيدًا عَلَى أُمَّتِهِ.. فَقَدْ عَلِمَ مِمَّا تَقَدَّمَ، فَحَمَلَهَا عَلَيْهِ فِيهِ تَكَرُّرًا، إِلَّا أَنْ يُقَالَ: الْمُرَادُ بِشَهَادَتِهِ عَلَى أُمَّتِهِ: تَرْكِتُهُ وَتَعْدِيلُهُ لَهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا عَلَى تَبْلِيغِ الْأَنْبِيَاءِ، وَهَذَا لَمْ يُعْلَمْ مِمَّا مَرَّ، مَعَ أَنَّهُ الْوَارِدُ فِي الْحَدِيثِ^(٢).

قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ﴾ أَي: فِي الدُّنْيَا، فَهُوَ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ.

قوله: ﴿تِبْيَانًا﴾ (حَال، أَوْ مَفْعُولٌ لِأَجْلِهِ، وَهُوَ مُصَدَّرٌ، وَلَمْ يَجِئْ مِنَ الْمَصْدَرِ عَلَى وَزْنِ (تَفْعَالٍ) بِالْكَسْرِ إِلَّا (تَبْيَانٍ) وَ(تَلْقَاءُ)، وَفِي الْأَسْمَاءِ كَثِيرٌ نَحْوُ: التَّمْسَاحِ، وَالتَّمْثَالِ.

قوله: (بَيَانًا) أَي: بَيَانًا شَافِيًا بَلِيغًا؛ لِأَنَّ زِيَادَةَ الْبِنَاءِ تَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ الْمَعْنَى.

(١) انظر الأقوال في «زاد المسير» (٥٧٨/٢)، و«تفسير البغوي» (٣٨/٥)، وفيهما: (تحت العرش) بدل (تحت الفرش)، و(صفر) وهو النحاس بدل (أصفر).

(٢) المارُّ سابقاً، الذي رواه النسائي في «الكبرى» (١٠٩٤٠)، وابن ماجه (٤٢٨٤) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدَى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَمْرِ الشَّرِيعَةِ، ﴿وَهْدَى﴾ مِنَ الضَّلَالَةِ ﴿وَرَحْمَةً وَبُشْرَى﴾ بِالْجَنَّةِ ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ الْمُوَحِّدِينَ.

﴿٩٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ : التَّوْحِيدِ أَوْ الْإِنْصَافِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ محتاج إليه من أمر الشريعة) إن قلت: إنا نجد كثيراً من أحكام الشريعة لم يُعلم من القرآن تفصيلاً؛ كعدد ركعات الصلاة، ونصاب الزكاة، وغير ذلك؛ فكيف يقول الله: ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾؟

أجيب: بأن البيان إما في ذات الكتاب، أو بإحاليته على السنة، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، أو بإحاليته على الإجماع، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ [النساء: ١١٥] الآية، أو على القياس، قال تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَأْأُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢]، والاعتبار: النظر والاستدلال اللذان يحصل بهما القياس، فهذه أربعة طرق لا يخرج شيء من أحكام الشريعة عنها، وكلُّها مذكورة في القرآن، فكان تبيانا لكل شيء بهذا الاعتبار.

قوله: ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ تنازعه كل من: (هدى) و(رحمة) و(بشرى).

قوله: (الموحدون) أي: وأما الكفار.. فهم في خسران وعذاب وإنذار.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ هذه الآية من ثمرات قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ حتى قال العلماء: إن لم يكن في القرآن غير هذه الآية.. لكفت في البيان والهدى والرحمة؛ لأنها آمرة بكل خير، ناهية عن كل شر.

قوله: (التوحيد) أي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهذا التفسير وارد عن ابن عباس، وفي رواية عنه أيضاً: (العدل): خلع الأنداد، (والإحسان): أن تعبد الله كأنك تراه، وأن تحب للمرء ما تحب لنفسك؛ فإن كان مؤمناً.. تحب أن يزداد إيماناً، وإن كان كافراً.. تحب أن يكون أخاك في الإسلام، وفي رواية: (العدل): التوحيد، (والإحسان): الإخلاص^(١).

وكل هذا أفاده المفسر بقوله: (التوحيد والإنصاف) أي: في كل الأمور؛ فالإنصاف

(١) انظر الروايات في «تفسير البغوي» (٣٨/٥).

وَالْإِحْسَنَ

﴿وَالْإِحْسَنَ﴾: أداء الفرائض، أو أن تعبد الله كأنك تراه كما في الحديث،

حاشية الصاوي

في التوحيد: اعتقاد أن الله متَّصفٌ بكلِّ كمالٍ، منزَّهٌ عن كلِّ نقصٍ؛ والإنصاف في الاعتقاد: نسبةُ الأفعال كُلِّها لله، ونسبةُ الكسب للعبيد، خلافاً للجبرية والمعتزلة؛ فالفرقة الأولى نفت الكسب أصلاً وقالوا: العبيد كالخيوط المعلقة في الهواء؛ لا فعل له أصلاً، وتعذيب الله له ظلمٌ، وهؤلاء كفارٌ؛ والفرقة الثانية قالوا: العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية، وهؤلاء فساق. وكلا المذهبين جورٌ، والإنصاف: نسبةُ الأفعال كُلِّها لله خيرها وشرُّها، ظاهرها وباطنها، ولكن من الأفعال ما هو جبريٌّ، وهذه لا كسبَ للعبد فيها؛ ولذا لا يثاب عليها ولا يعاقب، ومنها: ما هو اختياريٌّ، وهذه للعبد فيها نوعٌ كسبٍ؛ ولذا يثاب عليه إن كان خيراً، ويعاقب عليه إن كان شراً، وهذا مذهبُ أهل السنة، خرج من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين^(١).

والإنصاف في العبادات: عدمُ التفريط والإفراط فيها، بل يكونُ بين ذلك قواماً.

والإنصاف في النفقات: ألا يُسرف ولا يقتِر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩].

والإنصاف بين عباد الله: يقسم لزوجاته، وينصر المظلوم على الظالم، ويُعامل الخلق باللطف والرفق وغير ذلك.

قوله: ﴿وَالْإِحْسَنَ﴾ أي: مع الله، ومع عباده؛ فالإحسان مع الله: أداء فرائضه على الوجه الأكمل، والإحسان مع عباده: أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك.

قوله: (كما في الحديث) أي: فقد سأل جبريل رسول الله ﷺ عن الإحسان، فقال له عليه الصلاة والسلام: «أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه.. فإنه يراك»^(٢)، والمعنى: أن تعبد الله ملاحظاً لجلاله كأنك تراه ببصرك، وهذا مقامُ المشاهدة، فإن لم تصل لهذه المرتبة.. فلاحظ أنه يراك، وأنت في حضرة، وهذا مقامُ المراقبة، فمثل المشاهد كالْبَصِيرِ الجالس في حضرة الملك، فأدبُه من جهتين: كونه رائيًا للملك، وكون الملك رائيًا له، ومثل المراقب كمثل الأعمى الجالس في حضرة الملك، فأدبه من جهة ملاحظته كون الملك رائيًا له.

(١) انظر «شرح المصنف على الجوهرة» (ص ٢٤٠) وما بعدها.

(٢) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (١) عن سيدنا عمر رضي الله عنه.

وَإِنِّي ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾

﴿وَإِنِّي﴾: إعطاء ﴿ذِي الْقُرْبَى﴾: القرابة، خَصَّهُ بالذكر اهتماماً به، ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾: الزنى ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ شرعاً من الكفر والمعاصي، ﴿وَالْبَغْيِ﴾: الظلم للناس، خَصَّهُ بالذكر اهتماماً كما بدأ بالفحشاء كذلك، ﴿يَعِظُكُمْ﴾ بالأمر والنهي ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: تتعظون، - وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال - وفي «المستدرک» عن ابن مسعود: وهذه أجمع آية في القرآن للخير والشر.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَإِنِّي ذِي الْقُرْبَى﴾ أي: التصديق على القريب، وهو أكد من التصديق على غيره؛ لأن فيه صدقة وصلّة، قال عليه الصلاة والسلام: «إن أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم»^(١).

قوله: (من الكفر والمعاصي) أي: فیدخل فيه الزنا وغيره، فهو تعميم بعد تخصيص.

قوله: (اهتماماً به) أي: لأنه أعظم المعاصي بعد الكفر؛ ولذا قال بعض العلماء: أعجل العقوبة على المعاصي العقوبة على البغي، وفي الحديث: «لو أن جبلين بغى أحدهما على الآخر.. لانتقم الله من الباغي»^(٢)، وفيه أيضاً: «الظلمة وأعاونهم كلاب النار»^(٣).

قوله: (كما بدأ بالفحشاء كذلك) أي: اهتماماً به؛ لأن فيه ضياع الأنساب والأعراض، ويترتب عليه المقت والعقوبة من الله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

قوله: ﴿يَعِظُكُمْ﴾ (حال من فاعل) (يأمر) و(ينهى) أي: يأمركم وينهاكم حال كونه واعظاً لكم.

قوله: (في الأصل) أي: فأصله: تذكرون، قلبت التاء ذالاً، وأدغمت في الذال^(٤).

قوله: (هذه أجمع آية... إلخ) روي: أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية على الوليد بن المغيرة فقال: أعدها يا محمد، فلمّا قرأها.. قال: إنَّ له حلاوة، وإن عليه طلاوة، وإنَّ أعلاه لمثمر، وإنَّ أسفله لمغدق، وما هو بقول البشر^(٥)، وليكونها أجمع آية استعملها الخطباء في آخر الخطبة.

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤٤٠) عن سيدنا أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن وهب في «الجامع في الحديث» (٢٤٧) موقوفاً على سيدنا ابن عباس رضي الله عنه، وانظر «تفسير الخازن» (٩٥/٣).

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢١/٤) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٤) وقرأ حفص وحزمة والكسائي بتخفيف الذال. انظر «السراج المنير» (٢٥٧/٢).

(٥) رواه البيهقي في «الشعب» (١٣٣) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنه.

وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا

﴿٩١﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ﴿٩١﴾ مِنَ الْبَيْعِ وَالْأَيْمَانِ وَغَيْرِهَا ﴿٩١﴾ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا: تَوْثِيقِهَا، ﴿٩١﴾ وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴿٩١﴾ بِالْوَفَاءِ حَيْثُ حَلَفْتُمْ بِهِ، - وَالْجُمْلَةُ حَالٌ -، ﴿٩١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ تَهْدِيدٌ لَهُمْ.

﴿٩٢﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ: أَفْسَدَتْ ﴿٩٢﴾ غَزْلَهَا: مَا غَزَلَتْهُ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ هذا من جملة المأمور به على سبيل التفصيل، وبدأ بالأمر بالوفاء بالعهد؛ لأنه أكد الحقوق، وهذه الآية نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام، ولكن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

قوله: (من البيع) بكسر الباء، جمع بيعّة، وهي: المعاهدة على أمرٍ شرعيّ.

قوله: (والأيمان) جمع يمين؛ أي: وأوفوا بما حلّفتُم عليه، ولا تحنثوا في أيمانكم إذا كان فيها صلاح، وإلا... فالحنث خير؛ لقوله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا... فَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَلْيُكْفِرْ عَنْ يَمِينِهِ»^(١)، فهو عامٌّ مخصوصٌ.

قوله: (وغيرها) أي: كالمواعيد، فالمراد من (العهد): كلُّ ما يلزم الإنسان الوفاء به، سواءً أوجبه الله على الشخص، أو التزمه الشخص من نفسه؛ كعهود المشايخ التي يأخذونها على المريدين بأنهم يلازمون طاعة الله ولا يُخالِفونهم في أمرها، فالواجب على المريدين الوفاء بها حيث كانت المشايخ موزونين بميزان الشرع، متّصفين بالأخلاق الحميدة، والأفعال السديدة.

قوله: ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ أي: تغليظها، والتوكيد: مصدر: (وَكَّدَ) بالواو، ويقال: أَكَّدَ بالهمزة، فمصدره: التأكيد، وهما لُغَتَانِ.

قوله: ﴿كَفِيلًا﴾ أي: شهيداً.

قوله: (والجملة حال) أي: من فاعل ﴿تَنْقُضُوا﴾.

قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ أي: لا تَنْقُضُوا العهود التي عاهدتم عليها الخالق أو المخلوق في غير معصية؛ فتكونوا كالتي نقضت غزلها.

مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكُنَّا نَتَّخِذُونَ أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ ...

﴿مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾: إحكام له وبرم ﴿أَنْكُنَّا﴾ - حال - جمع نكث وهو ما يُنكث أي: يُحلُّ إحكامه، وهي امرأة حمقاء مِنْ مَكَّةَ كَانَتْ تَغْزِلُ طُولَ يَوْمِهَا، ثُمَّ تَنْقُضُهُ، ﴿نَتَّخِذُونَ﴾ - حال مِنْ ضَمِيرِ ﴿تَكُونُوا﴾ - أي: لا تَكُونُوا مِثْلَهَا فِي اتِّخَاذِكُمْ ﴿أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا﴾ هو ما يَدْخُلُ فِي الشَّيْءِ وَلَيْسَ مِنْهُ، أي: فَسَادًا وَخَدِيعَةً، ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بِأَنْ تَنْقُضُوهَا ﴿أَنْ﴾ أي: لِأَنَّ ﴿تَكُونَ أُمَّةً﴾: جَمَاعَةٌ ﴿هِيَ أَرْبَى﴾: أَكْثَرُ ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ وَكَانُوا يُحَالِفُونَ الْحُلَفَاءَ، فَإِذَا وَجَدُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَعَزَّ نَقْضُوهَا

حاشية الصاوي

قوله: (حال) أي: أو منصوب على المصدرية؛ لأنَّ معنى ﴿نَقَضَتْ﴾: نَكَثَتْ، فهو مطابق لعامله في المعنى.

قوله: (جمع نكث) بكسر النون.

قوله: (وهي امرأة حمقاء) أي: واسمها ريطة بنت سعد بن تيم، قُرْشِيَّةٌ قد اتَّخَذَتْ مَغْزَلًا قَدَرُ ذِرَاعٍ، وَسِنَارَةٌ مِثْلُ الْأَصْبَعِ، وَفَلَكَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَى قَدْرِهَا، فَكَانَتْ تَغْزِلُ هِيَ وَجَوَارِيهَا مِنَ الْغَدَاةِ إِلَى الظَّهْرِ، ثُمَّ تَأْمُرُهُنَّ فَيَنْقُضْنَ مَا غَزَلْنَهُ. وقوله: (حمقاء) أي: قليلة العقل.

قوله: (كانت تغزل) أي: الصوف والوبر والشعر.

قوله: ﴿نَتَّخِذُونَ﴾ (أي: تُصَيِّرُونَ، و﴿أَيْمَنَكُمْ﴾: مفعول أول، و﴿دَخَلًا﴾: مفعول ثان.

قوله: ﴿دَخَلًا﴾ (أصل الدَّخَلَ: العيبُ؛ فَإِنَّ شَأْنَهُ أَنْ يَدْخُلَ فِي الشَّيْءِ وَلَيْسَ مِنْ جِنْسِهِ، والمراد به هنا: الفساد والخديعة كما قال المفسر.

قوله: (أي: لأن تكون) أشار بذلك إلى أَنَّ النصب على وجه التعليل؛ أي: لأجل أن تكون، و﴿أُمَّةً﴾: فاعل ﴿تَكُونُ﴾ على أنها تامة، أو اسمها على أنها ناقصة، وجملة ﴿هِيَ أَرْبَى﴾ خبرها^(١).

قوله: (وكانوا) أي: قريش، وهو مشاهد في أهل زَمَنَّا حيث يلتجئون لأرباب المناصب ما داموا في مناصبهم، فإذا عُزِّلُوا أو نَقِصَتْ مَرَاتِبُهُمْ... تركوهم ولم يلتفتوا لهم وكانهم لم يعرفوهم، وليس هذا من الإيمان، بل الإيمان الوفاء بالعهد، وعدم نقضه إن لم يكن في بقائه عصيان لله.

قوله: (فإذا وجدوا أكثر منهم) أي: مالا أو جاهاً.

(١) وعلى الإعراب الأول: فالجملة في محل رفع صفة لـ (أُمَّةً).

إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

حَلَفَ أَوْلَئِكَ وَحَالِفُوهُمْ، ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ﴾: يَخْتَبِرُكُمْ ﴿اللَّهُ بِهِ﴾ أَي: بِمَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ لِيَنْظُرَ الْمُطِيعُ مِنْكُمْ وَالْعَاصِي، أَوْ يَكُونَ أُمَّةً أَرَبَى لِيَنْظُرَ أَتَقُونَ أَمْ لَا؟ ﴿وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَمْرِ الْعَهْدِ وَغَيْرِهِ، بِأَنْ يُعَذِّبَ النَّاكِثَ وَيُثِيبَ الْوَافِي.

﴿٩٣﴾ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: أَهْلَ دِينٍ وَاحِدٍ، ﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سُؤَالَ تَبَكُّيْتِ ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لِتُجَازَوْا عَلَيْهِ.

حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: (حلف أولئك) الحلف بكسر فسكون: العهد يكون بين القوم.

قوله: (لينظر المطيع) أي: ليظهر لكم المطيع من غيره؛ فإنَّ المطيع يدوم على العهد والود وإن ذهب من حليفه حظوظ المظاهر، وغيره يدور مع المظاهر.

قوله: (أو يكون) معطوف على قوله: (بما أمر به)، وعليه: فالضمير عائد على المصدر المنسبك من ﴿أَنْ تَكُونُ﴾، والمعنى: لا تتخذوا عهودكم حيلةً وخدعاً^(١) من أجل كون تلك الأُمَّة التي عاهدتموها ذات مالٍ وجاهٍ، فإن انتقل المال أو الجاه لغيرهم.. نقضتم عهود الأوائِل، فصاحب هذه الأوصاف خائنٌ لله ولعباده.

قوله: ﴿فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾ أي: تترددون.

قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ هذا تسليةٌ له ﷺ.

قوله: (سؤال تبكيت) أي: لا تفهم، وقد أشار بذلك إلى وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿فَيَوْمِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]؛ فالمثبت سؤال التبكيت، والمنفي سؤال التفهم.

وَلَا تَنَٰخِذُوا أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَزَلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا أَلْسُوَّةَ يَمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْرَوْا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا

﴿٩٤﴾ وَلَا تَنَٰخِذُوا أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ - كَرَّرَهُ تَأْكِيداً - ﴿فَزَلَ قَدَمٌ﴾ أي: أقدامكم عن مَحَبَّةِ الإسلام ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾: اسْتِقَامَتِهَا عَلَيْهَا، ﴿وَتَذُوقُوا أَلْسُوَّةَ﴾ أي: العذاب ﴿يَمَا﴾ صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أي: بِصَدُّكُمْ عن الوفاء بِالْعَهْدِ، أو بِصَدُّكُمْ غَيْرَكُمْ عنه؛ لِأَنَّهُ يَسْتَنُّ بِكُمْ، ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخِرَةِ.

﴿٩٥﴾ وَلَا تَشْرَوْا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا مِنْ الدُّنْيَا

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَا تَنَٰخِذُوا أَيْمَٰنَكُمْ﴾ أي: عهودكم.

قوله: ﴿دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ أي: فساداً وخديعة.

قوله: (كَرَّرَهُ تَأْكِيداً) أي: كَرَّرَ النِّهْيَ عن اتخاذ الأيمان خديعة وحيلة؛ تأكيداً للإشارة إلى أن هذا أمرٌ فظيعٌ جداً؛ فَإِنَّ نَقْضَ الْعَهْدِ فِيهِ فِسَادُ الدِّينِ وَالْدُنْيَا وَالْعِرْضِ، وَالْوَفَاءُ بِهِ فِيهِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قوله: ﴿فَزَلَ قَدَمٌ﴾ (منصوب بإضمار (أَنْ) في جواب النهي، وأفرد (القدم) ونكره؛ إشارةً إلى أن زلة القدم ولو مرةً واحدةً أو أيَّ قدم.. مَضْرَةٌ؛ لِأَنَّ مِنْ زَلٍّ قَدَمُهُ.. فَقَدْ طُرِدَ عَنْ بَابِ اللَّهِ.

قوله: (عن محبة الإسلام) أي: طريقه، ومثل ذلك: من زلَّ به القدم في عهد شيخه فنقضه، فإنه مطرودٌ عن طريقته، ومتى طُرِدَ عن طريقته.. فَقَدْ سُلِبَ ما وهبه الله له من النور الإلهي؛ فلا يُرجى له الفتح في طريقةٍ أخرى؛ لِأَنَّ غَايَةَ الطَّرِيقِ وَاحِدَةٌ، وَهُوَ قَدْ طُرِدَ عَنْ الْغَايَةِ.

قوله: (العذاب) أي: في الدنيا؛ بدليل قوله: ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة.

قوله: ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: دينه الموصل لمرضاته.

قوله: (أي: بصدكم عن الوفاء) هو من (صدَّ) اللّازم؛ أي: امتناعكم وإعراضكم عن الوفاء.

قوله: (أو بصدكم غيركم) هو من (صدَّ) المتعدي؛ أي: منعكم غيركم.

قوله: (لأنه) أي: ذلك الغير.

قوله: (يستنُّ) أي: يقتدي بكم في نقض العهود.

قوله: ﴿وَلَا تَشْرَوْا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: لا تتركوا عهد الله في نظير عرض قليل تأخذونه.

إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

بأن تنقضوه لأجله، ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما في الدنيا، ﴿إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فلا تنقضوا.

﴿٩٦﴾ ﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾ من الدنيا ﴿يَنْفَدُ﴾: يَفْنَى ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾: دائم، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُ﴾ - بالياء والنون - ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الوفاء بالعهود ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ حاشية الصاوي

قوله: (بأن تنقضوه) أي: العهد، وقوله: (لأجله) أي: الثمن القليل، وظاهره: ولو من حلال، وإذا كان نقض العهد لأجل القليل من الحلال مذموماً.. فالحرام أولى بالذم، والمراد بالثمن القليل: أعراض الدنيا وإن كثرت.

قوله: ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ علة لما قبله، و(إن): حرف توكيد ونصب، و(ما): اسم موصول اسمها، و﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾: صلته، وجملة ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ خبرها، وقوله: (من الثواب) بيان ل(ما).

قوله: ﴿إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ شرط حذف جوابه، وقدّره المفسر بقوله: (فلا تنقضوا).

قوله: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ﴾ مبتدأ وخبر، والنَّفَاد بالفتح: الفناء والذهاب، يقال: نَفَدَ بالكسر، يَنْفَدُ بالفتح: فني وفرغ، وأما نَفَذَ بالفتح والمعجمة، يَنْفُذ بالضم.. فمعناه: مضى، يقال: نَفَذَ حكم الأمير، بمعنى: مضى.

قوله: ﴿بَاقٍ﴾ يصح الوقف عليه بثبوت الياء، وحذفها مع سكون القاف، قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (دائم) أي: لا يفرغ ولا يفنى.

قوله: (بالياء والنون) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: (على الوفاء بالعهود) أي: والمراد: مشاق التكليف.

قوله: ﴿أَجْرَهُمْ﴾ مفعول ثانٍ ل(يجزي)، وقوله: ﴿بِأَحْسَنِ﴾ الباء: بمعنى (على).

(١) قرأ ابن كثير بالياء وقفاً، والباقون بغير ياء. انظر «السراج المنير» (٢/ ٢٦٠).

(٢) قرأ ابن كثير وعاصم وابن ذكوان بالنون، والباقون بالياء. انظر «الدر المصون» (٧/ ٢٨٤).

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

(أَحْسَنَ) بِمَعْنَى حَسَنَ.

﴿٩٧﴾ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ قِيلَ: هِيَ حَيَاةُ الْجَنَّةِ، وَقِيلَ: فِي الدُّنْيَا بِالقَنَاعَةِ أَوْ الرِّزْقِ الْحَلَالِ، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (أَحْسَنَ بِمَعْنَى: حَسَنَ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ (أَفْعَلَ) التَّفْضِيلَ لَيْسَ عَلَى بَابِهِ، وَدَفَعَ بِذَلِكَ مَا يَتَوَهَّمُ مِنْ قَصْرِ الْمَجَازَاةِ عَلَى الْأَحْسَنِ الَّذِي هُوَ الْوَاجِبَاتِ، مَعَ أَنَّهُمْ يُجَازَوْنَ عَلَى الْوَاجِبَاتِ وَالْمَنْدُوبَاتِ.

وَهُنَاكَ تَقْرِيرٌ آخَرُ فِي الْآيَةِ، وَهُوَ: أَنَّ (أَحْسَنَ) صِفَةٌ لِّمُوصُوفٍ مَّحْذُوفٍ؛ أَي: بِثَوَابِ أَحْسَنَ مِنْ عَمَلِهِمْ؛ أَي: أَكْثَرَ مِنْهُ تَفْضُلًا وَإِحْسَانًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الْأَنْعَام: ١٦٠]، وَالْبَاءُ لِمَجْرَدِ التَّعْدِيَةِ.

قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ (مَنْ): اسْمٌ شَرْطٌ مُبْتَدَأٌ، وَ﴿عَمِلَ﴾: فَعْلٌ الشَّرْطُ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ﴾ جَوَابُهُ.

قوله: (قِيلَ: هِيَ حَيَاةُ الْجَنَّةِ) هَذَا الْقَوْلُ لِمَجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ، وَرَوَاهُ عَوْفٌ عَنِ الْحَسَنِ، وَقَالَ: لَا يَطِيبُ لِأَحَدٍ الْحَيَاةَ إِلَّا فِي الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّهَا حَيَاةٌ بِلَا مَوْتٍ، وَغْنَى بِلَا فَقْرٍ، وَصِحَّةٌ بِلَا سَقَمٍ، وَمَلِكٌ بِلَا هَلَاكِ، وَسَعَادَةٌ بِلَا شَقَاوَةٍ^(١).

قوله: (وَقِيلَ: فِي الدُّنْيَا بِالقَنَاعَةِ) هَذَا الْقَوْلُ لِلْحَسَنِ، وَقَوْلُهُ: (أَوْ الرِّزْقِ الْحَلَالِ) هُوَ لِسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَعِطَاءٍ، وَزَيْدٌ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْمَفْسِّرُ مَا قِيلَ: هِيَ حِلَاوَةُ الطَّاعَةِ، وَقِيلَ: رِزْقٌ يَوْمَ بَيَوْمٍ.

وَقِيلَ: الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ تَحْصُلُ فِي الْقَبْرِ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَرِيحُ بِالمَوْتِ مِنْ نَكْدِ الدُّنْيَا وَتَعَبِهَا، وَقِيلَ: مَا هُوَ أَعَمُّ؛ فَالْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ فِي الدُّنْيَا بِالتَّوْفِيقِ لِلطَّاعَةِ وَالرِّزْقِ الْحَلَالِ، وَفِي الْقَبْرِ بِالرَّاحَةِ مِنَ النَّكَدِ وَالنَّصَبِ، وَفِي الْجَنَّةِ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ^(٢).

قوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (أَي: فِي الْجَنَّةِ، وَاسْتُفِيدَ مِنْ هَذَا:

(١) انظر «زاد المسير» (٥٨٢/٢)، و«تفسير الخازن» (٩٧/٣).

(٢) انظر الروايات في تفسير الحياة الطيبة في «تفسير الطبري» (٢٩٠/١٧).

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾

(٩٨ - ١٠٠) ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ أي: أردت قراءته، ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أي: قل: أعوذ بالله
حاشية الصاوي

أن الحياة الطيبة ليست هي الجزاء؛ لأنه قد قيل بأنها تكون في الدنيا، أو القبر، وليست الراحة الدنيوية في ذلك بجزاء^(١)، بل الجزاء ما كان في الآخرة بالجنة وما فيها.

قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ حكمة التفريع على ما تقدّم: أن قراءة القرآن من أفضل الأعمال، فطلب الاستعاذة عند قراءته؛ ليحفظ من الضياع المترتب على الوسوس الشيطانية، والمعنى: إذا علمت مما تقدّم أن عظيم الجزاء على محاسن الأعمال.. فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن الذي هو أحسن الأعمال وأزكاها.

قوله: (أي: أردت قراءته) أشار بذلك إلى أن الأمر بالاستعاذة قبل القراءة، وإليه ذهب أكثر الفقهاء والمحدثين، ووجهه: أن الاستعاذة تذهب الوسوسة، فتقديمها أولى، وذهب الأقل إلى إبقاء الآية على ظاهرها، وأن الأمر بالاستعاذة بعد تمام القراءة، ووجهه: بأن القارئ يستحق الثواب العظيم على قراءته، وربما حصلت له الوسوسة في قلبه؛ هل حصل له ذلك أم لا؟ فأمر بالاستعاذة؛ لتذهب تلك الوسوسة، ويبقى الثواب خالصاً؛ لأن التردد في صدق الوعد بالثواب من أسباب منعه.

قوله: ﴿فَاسْتَعِذْ﴾ السين والتاء للطلب؛ أي: اطلب من الله التعوذ والتحصن من شره، والأمر للاستحباب، وظاهر الآية: أن الاستعاذة مطلوبة عند قراءة القرآن مطلقاً؛ في الصلاة وغيرها، وبه أخذ الشافعي، ووافقه مالك في النفل، وكره الاستعاذة في صلاة الفرض؛ للدليل أخذه من السنة^(٢).

قوله: (أي: قل: أعوذ بالله... إلخ) هذا بيان للأفضل، وإلا.. فامتثال الأمر يحصل بأي صفة كانت، وعن ابن مسعود رضي الله عنه: قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم، فقال: «قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، هكذا أقرأني جبريل عن القلم

(١) في (ط): (وليس النعيم في ذلك بجزاء).

(٢) انظر «المجموع» (٣/٣٢٦)، و«بلغة السالك لأقرب المسالك» (١/٣٣٧)، والدليل الذي يستدل به السادة المالكية: خبر «مسلم» (٨٢٢): قال أنس: (صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم أجمعين؛ فكانوا يستفتحون بـ «أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ») كما ذكره القرافي في «الذخيرة» (١٨١/٢)، وغيره.

إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ قَالُوا

مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَنٌ﴾: تَسَلَّطَ ﴿عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ، بِطَاعَتِهِ، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ﴾ أي: الله ﴿مُشْرِكُونَ﴾. ﴿١٠١﴾ ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ بِنَسْخِهَا وَإِزَالِ غَيْرِهَا لِمَصْلَحَةِ الْعِبَادِ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ قَالُوا﴾ أي: الْكُفَّارُ لِلنَّبِيِّ ﷺ:

حاشية الصاوي

عن اللوح المحفوظ^(١)، وأراد بالقلم: الذي نُسخ به من اللوح المحفوظ، ونزل به جبريل دُفْعَةً إِلَى سماء الدنيا، وليس المراد به القلم الذي كُتِبَ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ؛ فَإِنَّهُ مُقَدِّمُ الرِّبَّةِ عَلَى اللُّوحِ.

قوله: (مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) مِن: شَطَنَ: إِذَا بَعُدَ، أَوْ مِن: شَاطَ: إِذَا احْتَرَقَ، وَالرَّجِيمُ بِمَعْنَى: الْمَرْجُومُ؛ أَي: الْمَطْرُودُ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

قوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَنٌ﴾ تعليل لمحذوف، والتقدير: فَإِذَا اسْتَعَدَّتْ بِاللَّهِ.. كُفِّيتْ شَرُّهُ، وَدَخَلَتْ فِي أَمَانِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ... إلخ.

قوله: (تَسَلَّطَ) أَي: اسْتَيْلَأَ وَفَهَّرَ.

قوله: ﴿عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ مقابل قوله: ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ مقابل قوله: ﴿عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

قوله: (أَي: اللَّهُ) أشار بذلك إلى أَنَّ الضمير راجع لـ ﴿رَبِّهِمْ﴾، والباء للتعدي، ويصح أن يعود على الشيطان، وتكون الباء سببية، وهو أولى؛ لعدم تشبث الضمائر.

قوله: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا ءَايَةً﴾... إلخ سبب نزولها: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ قَالُوا: إِنْ مُحَمَّدًا يَسْخَرُ بِأَصْحَابِهِ، يَأْمُرُهُمُ الْيَوْمَ بِأَمْرٍ، وَبِنَهَايِهِمْ عَنْ غَدَا، مَا هَذَا إِلَّا مَفْتَرٍ يَقُولُهُ مِنْ تَلَقَّاءِ نَفْسِهِ^(٢).

قوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ﴾ هذه الجملة مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الشَّرْطِ وَجَوَابِهِ، أَتَى بِهَا؛ تَسْلِيَةً لَهُ ﷺ، وَالْمَعْنَى: وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ؛ لِيَكْفِيكَ عِلْمُهُ؛ فَلَا يَحْزَنُكَ مَا قَالُوهُ.

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٤١/٦) مسلسلاً.

(٢) انظر «زاد المسير» (٥٨٣/٢).

إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ.....

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ : كَذَّابٌ تَقُولُهُ مِنْ عِنْدِكَ، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حَقِيقَةُ الْقُرْآنِ وَفَائِدَةُ النَّسخ.

﴿١٠١﴾ ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ : ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ : جِبْرِيلُ ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ - مُتَعَلِّقٌ بِ(نَزَّلَ) - ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بِإِيمَانِهِمْ بِهِ، ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿١٠٢﴾ ﴿وَلَقَدْ﴾ - لِلتَّحْقِيقِ - ﴿نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ﴾ الْقُرْآنَ ﴿بَشَرٌ﴾ وَهُوَ قَيْنٌ نَصْرَانِيٌّ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْخُلُ عَلَيْهِ،

حاشية الصاوي

قوله : (تقوله من عندك) أي : تختلقه من عند نفسك، وليس بقرآن.

قوله : (حقيقة القرآن) أي : وهو أنه اللفظ المنزل من عند الله على محمد ﷺ ؛ للإعجاز بأقصر سورة منه، المتعبد بتلاوته.

قوله : (وفائدة النسخ) أي : وهي المصالح التي تعود على العباد.

قوله : ﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾ (بضم الدال وسكونها، قراءتان سبعيتان^(١)) ؛ أي : الروح المقدس ؛ بمعنى : المطهر المنزه عن الرذائل، فهو من إضافة الموصوف للصفة.

قوله : ﴿بِالْحَقِّ﴾ (الباء : للملابسة ؛ أي : نزلته تنزيلاً ملتبساً بالحق).

قوله : (بإيمانهم به) أي : بسبب إيمانهم بالقرآن.

قوله : ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (أي : وأما لغيرهم .. فهو خسران لا يزيدون به إلا ضللاً، فهو تعريضٌ بحصول ضد ذلك لغير المسلمين).

قوله : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ﴾ (أي : علماً مستمراً لا تجدّد فيه).

قوله : ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ﴾ (﴿إِنَّمَا﴾ : أداة حصر ؛ أي : لا يُعَلِّمُ محمداً القرآن إلا بشرٌ، لا جبريل كما يقول.

قوله : (وهو قَيْنٌ) أي : حداد، وكان رومياً، وفي نسخة : (قَيْنٌ) أي : عبد، واسمه : جبر، وهو غلام

(١) قرأ ابن كثير بإسكان الدال، والباقون بضمّها. انظر «الدر المصون» (١/٢٥٩).

لِسَانُ الَّذِي يُلْحَدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِثَايَتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِثَايَتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾

قال تعالى: ﴿لِسَانُ﴾: لُغَةٌ ﴿الَّذِي يُلْحَدُونَ﴾: يَمِيلُونَ ﴿إِلَيْهِ﴾: أَنَّهُ يُعَلِّمُهُ ﴿أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا﴾: الْقُرْآنُ ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾: ذُو بَيَانٍ وَفَصَاحَةٍ، فَكَيْفَ يُعَلِّمُهُ أَعْجَمِيٌّ؟! ﴿١٠٤﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِثَايَتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤَلِّمٌ. ﴿١٠٥﴾ ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِثَايَتِ اللَّهِ﴾: الْقُرْآنِ، بِقَوْلِهِمْ: هَذَا مِنْ قَوْلِ الْبَشَرِ، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾، وَالتَّأَكِيدُ بِالتَّكْرَارِ وَ(إِنَّ) وَغَيْرُهُمَا رَدٌّ لِقَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾.

حاشية الصاوي

عامر بن الحضرمي، وقيل: يعنون جبراً ويساراً، كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل باللغة التي نزل بها، وكان الرسول ﷺ يمرُّ عليهما ويسمع ما يقرآن؛ لِيَتَسَلَّى بِمَا وَقَعَ لِلْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ^(١)، وَعَلَى كُلِّ فَقْدٍ وَرَدَ: أَنَّهُ أَسْلَمَ ذَلِكَ الْبَشَرُ الَّذِي نَسَبُوا لِرَسُولِ اللَّهِ التَّعَلُّمَ مِنْهُ^(٢).

قوله: (قال تعالى) أي: ردّاً عليهم.

قوله: (يميلون إليه) أي: ينسبون إليه أنه يتعلّم منه.

قوله: ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾: الْأَعْجَمِي: الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ بِالْعَرَبِيَّةِ.

قوله: ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾: أي: وَلَا يَكُونُ الْعَرَبِيَّ مُتَلَقِيًّا مِنَ الْعَجَمِيِّ.

قوله: (فكيف يعلمه أعجمي؟!): أي: لَا يَصَحُّ وَلَا يَلِيْقُ ذَلِكَ؛ لِاسْتِحَالَتِهِ عَادَةً.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِثَايَتِ اللَّهِ﴾: أي: فِي عِلْمِهِ، وَقَوْلُهُ: ﴿لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾

أي: فِي الْخَارِجِ.

قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾: أي: فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ.

قوله: (والتأكيد) مبتدأ، وقوله: (ردّ) خبر.

(١) انظر «زاد المسير» (٢/ ٥٨٥).

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٣/ ٩٩).

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ

﴿١٠٦﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ ﴿﴾ عَلَى التَّلَفُّظِ بِالْكَفْرِ فَتَلَفَّظَ بِهِ،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ﴾) نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر، وذلك: أنه من جملة السبعة السابقين للإسلام، وهم: عمار، وأبوه ياسر، وأمه سمية، وصُهيْب، وبلال، وخبَّاب، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك: أنَّ الكفار أخذوهم وعذبوهم؛ ليرجعوا عن الإيمان، فأما سمية أمُّ عمار.. فربطوها بين بعيرين، وضربها أبو جهل بحربة في فَرْجِها، فماتت، وقُتِلَ زوجها ياسر، وهما أول قَتِيلَيْن في الإسلام، وأما عمار.. فإنه أعطاهم بعض ما أرادوا بلسانه مكرهاً وقلبه كاره لذلك، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنَّ عماراً كفر، فقال: «كلا، إنَّ عماراً ملئَ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه»، فأتى عمار وهو يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما وراءك؟»، فقال: شرُّ يا رسول الله، نِلْتُ منك وذكرت، فقال: «فكيف وجدت قلبك؟»، قال: مُطمئن بالإيمان، فجعل النبي يمسح عينيه وقال: «إنَّ عادُوا لك.. فقل لهم ما قلت»^(١).

وأما بلال.. فكانوا يُعذبونه وهو يقول: أحدُّ أحدُّ، حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه، وأما خبَّاب.. فقد أوقدوا له ناراً، فلم يطفئها إلا وَدَكُ ظهره، وأما أبو بكر.. فحَفِظَ الله بقومه وعشيرته^(٢).

وفيما فعل عمار دليلٌ على جوازه عند خوفِ القتل، ولكن القتل أجمل؛ كما وقع من أبويه، ولما روي: أنَّ مُسيلمة أخذ رجلين فقال لأحدهما: ما تقول في محمد؟، قال: رسول الله، قال: ما تقول فيِّي؟ قال: أنت أيضاً، فخلَّاه، وقال للآخر: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله، قال: ما تقول فيِّي؟ قال: أنا أصمُّ، فأعاد عليه ثلاثاً، فأعاد جوابه، فقتله، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أما الأول.. فقد أخذ برُخصة الله، وأما الثاني.. فقد صدَّع بالحق، فهنيئاً له»^(٣).

قوله: (على التَّلَفُّظِ بِالْكَفْرِ) أي: أو فعله.

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٣٥٨/٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣٦٢/٨) عن سيدنا عمار رضي الله عنه بنحوه، وانظر «تفسير الخازن» (١٠٠/٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣٨٢/٦)، وابن ماجه (١٥٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وليس فيهما ذكر قصة سيدنا خباب رضي الله عنه، وقد رواها أبو نعيم في «الحلية» (١٤٣/١).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٠٣٧) عن الحسن مرسلًا.

وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾

﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ - و﴿مَنْ﴾ مُبتدأ أو شرطية، والخبر أو الجواب: لَهُمْ وَعِيدٌ شَدِيدٌ، دَلٌّ عَلَى هَذَا: - ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ لَهُ، أَي: فَتَحَهُ وَوَسَّعَهُ بِمَعْنَى: طَابَتْ بِهِ نَفْسُهُ، ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿١٠٧﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ الْوَعِيدُ لَهُمْ ﴿بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: اخْتَارُوهَا ﴿عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (والخبر أو الجواب... إلخ) الأولى: تقدير هذا قبل الاستثناء.

قوله: (لهم وعيد) الأولى: أن يقدره بالفاء؛ لأنَّ الجواب إذا وقع جملة اسمية.. يقرن بالفاء، والمبتدأ الذي يشبه الشرط.. يُقرن خبره بالفاء أيضاً؛ ليشبهه بالشرط.

قوله: (دَلٌّ عَلَى هَذَا) أَي: عَلَى الْجَوَابِ، أَوِ الْخَبَرِ.

قوله: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ﴾ أتى بالاستدراك؛ لأنه ربما يُتوهم من قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾: أنه حين الإكراه يجوز التكلم بالكفر ولو انشرح صدره له في بعض الأحيان، فدفع ذلك التوهم بالاستدراك، ولا يُبعد الوهم قوله: ﴿مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾.

و﴿مَنْ﴾: إما شرطية، أو موصولة، ولا يلزم تقدير مبتدأ قبل ﴿مَنْ﴾، وما قيل: إن الاستدراك لا يقع في الشروط.. ممنوع.

قوله: (بمعنى: طابت به نفسه) أَي: قِيلَهُ وَمَالَ إِلَيْهِ.

قوله: ﴿فَعَلَيْهِمْ﴾ جُمِعَ؛ مِرَاعَاةً لِمَعْنَى ﴿مَنْ﴾.

قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ أَي: حَاصِلٌ وَثَابِتٌ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ... إلخ، فاسم الإشارة: مُبتدأ، والجارُّ والمجرور: فِي مَحَلِّ رَفْعِ خَبَرِهِ.

قوله: ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ أَي: لَا يُوَصِّلُهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ، وَلَا يَعَصِمُهُم مِنَ الزَّيْغِ.

أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾
لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنَّا
بَعْدَ مَا فُتِنُوا

(١٠٨ - ١٠٩) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ عما يُراد بهم. ﴿لَا جَرَمَ﴾: حَقًّا ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لِمَصِيرِهِمْ إِلَى النَّارِ الْمُؤَبَّدَةِ عَلَيْهِمْ.

﴿ثُمَّ إِنَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴿مِنَّا بَعْدَ مَا فُتِنُوا﴾: عَذَّبُوا وَتَلَفَّظُوا بِالْكَفْرِ، - وفي قراءة بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ أَي: كَفَرُوا أَوْ فُتِنُوا النَّاسَ عَنِ الْإِيمَانِ -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾... إلخ) أي: جعل عليها غلافًا معنويًا؛ بحيث لَا تَدْعُنَ لِلْحَقِّ وَلَا تَسْمَعُهُ وَلَا تَبْصُرُهُ.

قوله: ﴿الْخَاسِرُونَ﴾) أي: لأنهم ضَيَّعُوا أَعْمَارَهُمْ فِي غَيْرِ مَنَفْعَةٍ تَعُودُ عَلَيْهِمْ، والموجبُ لخسرانهم: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَهُمْ بِسِتِّ صِفَاتٍ تَقَدَّمَتْ: الغضب، والعذاب العظيم، واختيار الدنيا على الآخرة، وحرمانهم من الهدى، والطَّعْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ، وَجَعَلَهُمْ مِنَ الْغَافِلِينَ. قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾) نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي عِيَّاشِ بْنِ رَبِيعَةَ وَكَانَ أَخَا أَبِي جَهْلٍ مِنَ الرِّضَاعَةِ - وَقِيلَ: مِنْ أُمِّهِ - وَفِي أَبِي جَنْدَلِ بْنِ سَهْلٍ بْنِ عَمْرٍو، وَالْوَلِيدِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ، وَسَلَمَةَ بْنِ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَسَدِ الثَّقَفِيِّ؛ فَتَنَّهُمُ الْمُشْرِكُونَ وَعَذَّبُوهُمْ، فَأَعْطَوْهُمْ بَعْضَ مَا أَرَادُوا؛ لِيَسْلَمُوا مِنْ شَرِّهِمْ، ثُمَّ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا^(١).

قوله: ﴿لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾) متعلق بمحذوف هو خبر (إن) أي: لَغَفُورٍ رَحِيمٍ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا، وهذا معنى قوله الآتي: (وخبر «إن» الأولى... إلخ).

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سَبْعِيَّةٌ أَيْضًا^(٢)، وعليها: فَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْفِعْلَ لَا زَمَّ؛ فَيَكُونُ مَعْنَى (فُتِنُوا): افْتَنُّوا؛ بِمَعْنَى: قَامَتْ بِهِمُ الْفِتْنَةُ، وَقَدْ أَشَارَ لَهُ الْمَفْسِّرُ بِقَوْلِهِ: (أي: كفروا)، أَوْ مُتَعَدِّ كَمَا قَالَ: (أَوْ فُتِنُوا النَّاسَ عَنِ الْإِيمَانِ).

(١) انظر «الدر المثور» (٥/١٧٣)، و«زاد المسير» (٢/٥٨٨).

(٢) قرأ ابن عامر بالبناء للفاعل، والباقون بالبناء لما لم يسمَّ فاعله. انظر «السراج المنير» (٢/٢٤٦).

ثُمَّ جَهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ
بُجْدِلٍ عَنْ نَفْسِهَا

﴿ثُمَّ جَهَدُوا وَصَبَرُوا﴾ على الطَّاعَةِ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: الْفِتْنَةِ ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لَهُمْ، ﴿رَحِيمٌ﴾ بِهِمْ، - وَخَبَرٌ ﴿إِنَّ﴾ الْأُولَى دَلٌّ عَلَيْهِ خَبَرُ الثَّانِيَةِ ..
﴿١١١﴾ اذْكُرْ ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بُجْدِلٍ﴾: تُحَاجُّ ﴿عَنْ نَفْسِهَا﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ ﴿يَوْمَ﴾: ظرف معمول لمحذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (اذكر)، والأمر للنبي ﷺ؛ أي: اذكر يا محمد لقومك أهوال الآخرة وما يقع فيها؛ لعلهم يعتبرون.
قوله: (تحاجُّ) أي: تُخاصم وتسعى في خلاصها.
قوله: ﴿عَنْ نَفْسِهَا﴾ (إن قلت: إن ظاهر الآية مشكل؛ لأنه يقتضي أن النفس لها نفس وليس كذلك).

أجيب: بأن المراد بالنفس الأولى: الإنسان المركب من جسم وروح وحقيقة، والمراد بالنفس الثانية: الذات المركبة من جسم وروح غير ملاحظ فيها الحقيقة، فاختلفاً بالاعتبار، فكأنه قال: يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته ولا يهتُم به غيره.

والمراد بالمجادلة: الاعتذار بما لا يُقبل منهم؛ كقولهم: ﴿وَاللَّهُ رَئِيًّا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، روي عن ابن عباس أنه قال: ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى يُخاصِم الروح الجسد؛ فيقول الروح: يا رب؛ لم يكن لي يد أبطش بها، ولا رجل أمشي بها، ولا عين أبصر بها، فضَعُف عليه العذاب، فيقول الجسد: يا رب؛ أنت خلقتني كالخشبة ليس لي يد أبطش بها، ولا رجل أمشي بها، ولا عين أبصر بها، فجاء هذا الروح كشُعاع النور فيه نطق لساني، وبه أبصرت عينا، وبه مشيت رجلاي، فيضرب الله لهم مثلاً أعمى ومقعداً دخلاً حائطاً - أي: بستاناً - فيه ثمار؛ فالأعمى لا يُبصر الثمر، والمقعّد لا يتناوله، فحمل الأعمى المقعد، فأصابا الثمر، فعلى من يكون العذاب؟ قال: عليهما، قال: عليكما جميعاً العذاب^(١).

إذا علمت ذلك.. تعلم أن هذا الوعيد خاصٌّ بالكافر، وأمّا المؤمن.. فهو في أمنٍ وأمان؛ لا يحزنه الفزع الأكبر وإن كان يحصل له الخوف من جلال الله وهيبته؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى

(١) انظر «تفسير البغوي» (٤٨/٥).

وَتُوفِّيَ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ

لا يُهْمُّهَا غَيْرُهَا، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، ﴿وَتُوفِّيَ كُلُّ نَفْسٍ﴾ جَزَاءُ ﴿مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شَيْئًا.

﴿١١٢﴾ ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ - وَيُبَدِّلُ مِنْهُ -: ﴿قَرْيَةً﴾ هِيَ مَكَّةُ وَالْمُرَادُ أَهْلُهَا، ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ مِنَ الْغَارَاتِ لَا تُهَاجُ، ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾ لَا يُحْتَاجُ إِلَى الْإِنْتِقَالِ عَنْهَا لِضِيقِ أَوْ خَوْفٍ، ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾: وَاسِعًا ﴿مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ بِتَكْذِيبِ النَّبِيِّ ﷺ،

حاشية الصاوي

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَتَجَلَّى بِالْجَلَالِ عَلَى عِبَادِهِ؛ فَيَخَافُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ، فَالْمُشْرِكُونَ يَخَافُونَ مِنَ الْعَذَابِ الْآخِرِ لَهُمْ، وَالْمُسْلِمُونَ يَخَافُونَ مِنْ هَيْبَتِهِ تَعَالَى وَإِنْ كَانُوا مُطْمَئِنِّينَ بِالْإِيمَانِ.

قوله: (لا يهّمها غيرها) ليشغلها بهّمها.

قوله: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (شيئاً) أي: لا يُعَذَّبُونَ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ، أَوْ الْمُرَادُ: لَا يُنْقَصُونَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى؛ لِأَنَّ نَفْيَ النِّقْصِ مِنَ الْأَجْرِ عُلِمَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَتُوفِّيَ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾.

قوله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ المثل: تَشْبِيهُ قَوْلٍ بِآخَرٍ بَيْنَهُمَا مُشَابَهَةٌ؛ لِيَتَبَيَّنَ أَحَدُهُمَا وَيُظْهِرَ.

قوله: (هي مكة) هذا هو المشهور بين المفسرين، وهو الصحيح، وعليه: فالآية مدنيّة؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصَفَ الْقَرْيَةَ بِصِفَاتٍ سِتٍّ كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ فِي أَهْلِ مَكَّةَ حِينَ كَانَ النَّبِيُّ بِالْمَدِينَةِ، وَعَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهَا مَكِّيَّةٌ: يَكُونُ إِخْبَارًا بِالْغَيْبِ؛ تَنْزِيلًا لِّمَا سَيَقَعُ مِنْزِلَةُ الْوَاقِعِ؛ لِتَحَقُّقِ الْحَصُولِ.

قوله: ﴿رَغَدًا﴾ بفتح الراء والغين المعجمة، يقال: رَغَدَ الْعَيْشُ - بِالضَّمِّ - رَغَادَةً: اتَّسَعَ.

قوله: ﴿مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: مِنْ كُلِّ جِهَةٍ مِنَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ.

قوله: ﴿بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ (جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء؛ كدِرْعٍ وَأَدْرُعٍ^(١))، أَوْ جَمْعُ نَعْمَاءٍ؛ كَأَبْؤُسٍ وَبَأْسَاءٍ.

قوله: (بتكذيب النبي) الباء: للسببية.

(١) فلا تجمع (نعمة) على (أنعم) إلا بتقدير إسقاط التاء، وتكسیر (فَعْلَةٌ) على (أَفْعُلْ) قليلٌ عزيزٌ وليس بالأصل. انظر

فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾

﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ﴾ فَقَحَطُوا سَبْعَ سِنِينَ، ﴿وَالْخَوْفِ﴾ بِسَرَايَا النَّبِيِّ ﷺ ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ أي: وذلك أن الله ابتلاهم بالجوع سبع سنين، فقطع عنهم المطر، وقطعت العرب عنهم الميرة حتى جهدوا، فأكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب والميتة، وشربوا الدماء، واشتدَّ بهم الأمر حتى كان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه الدخان، ثم إن رؤساء مكة كلَّموا رسول الله ﷺ في ذلك وقالوا: ما هذا دأبك، عَادَيْتَ الرجال، فما بال النساء والصبيان؟ فأذن رسول الله ﷺ في حمل الطعام إليهم^(١).

وفي رواية: أنهم أرسلوا إليه أبا سفيان بن حرب في جماعة، فَقَدِمُوا عليه المدينة وقال له أبو سفيان: يا محمد؛ إنك جئت تأمر بصلة الرحم والعفو، وإن قومك قد هلكوا؛ فادعُ الله لهم، فدعا لهم رسول الله ﷺ، وأذن للناس بحمل الطعام إليهم، وهم بعدُ مُشْرِكُونَ^(٢).

واعلم: أن العلماء ذكروا في هذه الآية ثلاث استعارات:

الأولى: تصريحية أصلية في الجوع والخوف من حيث إضافة اللباس إليهما، وتقريرها أن يقال: شبه ما غشيهم من اصفرار اللون وتحوُّل البدن وسوء الحال باللباس بجامع الظهور في كلٍّ، واستعير اسم المشبه به للمشبه.

الثانية: مكنية، وتقريرها أن يقال: شبه ما غشيهم من اصفرار اللون والتحوُّل وسوء الحال من حيث الكراهية بالطعم المرّ البشع، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه، وهو الإذاقة، فإثباتها تخيل.

الثالثة: تبعية، وتقريرها أن يقال: شبه الابتلاء بالإذاقة، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتقَّ من الإذاقة (أذاقهم) بمعنى: ابتلاهم.

قوله: (بسرايا النبي) الباء: للسبيية، والمراد بسراياه: جماعته التي كان يبعثها للإغارة عليهم، فكان أهل مكة يخافونهم.

قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ أي: بسبب صنعمهم، أو بسبب الذي كانوا يصنعونه.

(١) انظر «زاد المسير» (٢/ ٥٩٠)، وأصل الخبر في «صحيح البخاري» (٤٨٢٢)، و«صحيح مسلم» (٢٧٩٨).

(٢) رواها البخاري (١٠٢٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِزْيِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾

﴿١١٣﴾ ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾: الْجُوعُ والخَوْفُ ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

﴿١١٤﴾ - ﴿١١٥﴾ ﴿فَكُلُوا﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿١١٤﴾ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِزْيِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ أي: أهل مكة.

قوله: ﴿رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ أي: من جنسهم.

قوله: ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ الجملة حالية، والمراد بالظالمين: الكافرون.

قوله: ﴿فَكُلُوا﴾ مفرّع على التمثيل؛ أي: فإذا علمتم ما حصل للكفار من الحرمان وما حلّ بهم بسبب كفر النعم.. فدوموا أيها المؤمنون على حالتكم المرضية وكُلوا... إلخ.

قوله: ﴿حَلَالًا طَيِّبًا﴾ حالان من (ما) أي: كُلُوا من الذي رزقكم الله به حال كونه حلالاً طيباً.

قوله: ﴿تَعْبُدُونَ﴾ أي: تُطيعون.

قوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ...﴾ إلخ) شروع في ذكر المحرمات؛ ليعلم أن ما عدا

ذلك حلال طيب.

قوله: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ﴾ أي: خارج على الإمام كالْبُغَاةِ، وقوله: ﴿وَلَا عَادٍ﴾

أي: قاطع للطريق؛ فلا يُباح لهم تعاطي الميتة إذا اضطروا ما لم يتوبوا، وأما المضطر غير ما ذكر.. فيحلُّ له الأكل منها والشبع والتزوّد عند مالك، وعند الشافعي: لا يحلُّ له إلا ما يسدُّ رمقه^(١).

(١) انظر «بلغة السالك لأقرب المسالك» (٢/١٨٤)، و«الأم» (٢/٢٧٦).

وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا مَا فَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

﴿١١٦﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ﴿١﴾ أَي: لِيُوصَفِ أَلْسِنَتُكُمْ ﴿٢﴾ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ ﴿٣﴾ لِمَا لَمْ يُحِلَّهُ اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهُ؛ ﴿٤﴾ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴿٥﴾ بِنِسْبَةِ ذَلِكَ إِلَيْهِ، ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٧﴾.

﴿١١٧﴾ لَهُمْ ﴿٨﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ ﴿٩﴾ فِي الدُّنْيَا، ﴿١٠﴾ وَلَهُمْ ﴿١١﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿١٢﴾ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٣﴾: مُؤْلِمٌ.

﴿١١٨﴾ ﴿١٤﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا ﴿١٥﴾ أَي: الْيَهُودَ ﴿١٦﴾ حَرَّمًا مَا فَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ﴿١٧﴾ فِي آيَةٍ: ﴿١٨﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ... ﴿١٩﴾ [الأنعام: ١٤٦] إِلَى آخِرِهَا، ﴿٢٠﴾ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ ﴿٢١﴾ بِتَحْرِيمِ ذَلِكَ ﴿٢٢﴾ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٢٣﴾ بِارْتِكَابِ الْمَعَاصِي الْمَوْجِبَةِ لِذَلِكَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا﴾ (لا): ناهية، والفعل مجزوم بحذف النون، والواو فاعل، وقوله: ﴿هَذَا حَلَلٌ...﴾ إلخ مقول القول، وقوله: ﴿لِمَا تَصِفُ﴾ اللام: للتعليل، و(ما): مصدرية، و﴿الْكَذِبُ﴾: مفعول لـ﴿تَصِفُ﴾، وقوله: ﴿لِّتَفْتَرُوا﴾ بدل من التعليل الأول، والمعنى: لا تقولوا: هذا حلال، وهذا حرام؛ لأجل وصف ألسنتكم الكذب افتراءً على الله بنسبة ذلك إليه.

قوله: (بنسبة ذلك) أي: التحليل والتحريم.

قوله: ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ أي: لا يَفُوزُونَ ولا يظفرون بمطلوبهم، لا في الدنيا ولا في الآخرة، والوقف هنا، وقوله: ﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ﴾ كلامٌ مستأنفٌ.

قوله: ﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ﴾ مبتدأ، خبره محذوف، قدَّره المفسر بقوله: (لهم)، وقدَّره مقدماً؛ ليكون مسرَّعاً للابتداء بالنكرة.

قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ شروعٌ في ذكر ما يَخُصُّ اليهود من التحريم إثر بيان ما يحل لأهل الإسلام وما يحرم عليهم.

وتحريم الشيء؛ إما لضررٍ فيه، أو لبغْيِ المحرَّم عليهم، فأشار للأول بقوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ...﴾ إلخ، وأشار للثاني بقوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا...﴾ إلخ.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً

﴿١١٩﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ﴾: الشُّرْكُ ﴿بِجَهَلَةٍ ثُمَّ تَابُوا﴾: رَجَعُوا ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾: عَمَلَهُمْ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾: أَي: الْجَهَالَةَ أَوْ التَّوْبَةَ ﴿لَغَفُورٌ﴾ لَهُمْ ﴿رَحِيمٌ﴾ بِهِمْ.

﴿١٢٠﴾ - ﴿١٢١﴾ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾: إِمَاماً قُدْوَةً جَامِعاً لِخِصَالِ الْخَيْرِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾ لما بالغ في تهديد المشركين وبين ما أحلَّ وما حُرِّم. ذكر أن فعل تلك القبائح لا تمنع من التوبة والرجوع والإنابة، بل باب التوبة مفتوح لكل كافر ما لم يُعْرِغْ، فهو ترغيب للكافر في الإسلام، وللعاصي في التوبة والإقلاع عن الذنوب.

قوله: ﴿لِلَّذِينَ﴾ متعلق بمحذوف دلَّ عليه خبر (إِنَّ) الآتية، تقديره: ثم إِنَّ رَبَّكَ لغفور رحيم للذين عملوا سوء... إلخ.

قوله: ﴿بِجَهَلَةٍ﴾ أي: بسبب جهل العواقب وجلال الله؛ إذ لا يقع الذنب إلا من جاهل بالعواقب، أو جاهل بجلال الله، ولو علم قدر العقاب المدَّخر للعاصي.. ما قدم على معصية قط.

قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: الشرك.

قوله: (أو التوبة) (أو): لتنوع الخلاف في مرجع الضمير.

قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ للمفسرين في معنى هذه اللفظة أقوال: قيل: الأُمَّة: مُعَلِّم الخير؛ أي: إنه كان معلماً للخير يأتى به أهل الدنيا، وقيل: إنه كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار؛ فلهذا المعنى كان أُمَّةً وحده، وقيل: الأُمَّة: الذي يُقْتَدَى ويؤْتَمُّ به؛ لأنه كان إماماً يقتدى به، وفي الأصل: الأُمَّة: الجماعة، وإطلاق الأُمَّة بمعنى الجماعة عليه؛ لِجَمْعِهِ أوصاف الكمالات التي تفرقت في الخلق، ومنه: قول الشاعر^(١): [السريع]

وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ

وقد ذكر الله في هذه الآيات من صفات إبراهيم عشرة أوصاف حميدة.

(١) وهو أبو نواس، كما في «ديوانه» (ص ٨٧).

فَإِنَّا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجْتَبَنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ...

﴿فَإِنَّا﴾ : مُطِيعاً ﴿لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ : مائلاً إلى الدين القيم، ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجْتَبَنَاهُ : اصْطَفَاهُ ﴿وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ .

﴿١٢٢﴾ ﴿وَأَتَيْنَاهُ﴾ - فِيهِ التَّفَاتُ عَنْ الْغِيَةِ - ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ : هِيَ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ فِي كُلِّ أَهْلِ الْأَدْيَانِ، ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الَّذِينَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى .

﴿١٢٣﴾ ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ
 حاشية الصاوي

قوله : (مائلاً إلى الدين القيم) أي : تاركاً لما عداه من الأديان الباطلة .

قوله : ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ هذا الوصف قد عُلم التزاماً من قوله : ﴿حَنِيفًا﴾ ، وإنما ذكره ردّاً على المشركين حيث زعموا أنهم على ملة إبراهيم .

قوله : ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ﴾ أي : صارفاً جميع ما أنعم الله به عليه إلى ما خُلق لأجله ، فهو معصومٌ عن الغفلة ، وعن كلِّ شاغلٍ يشغله عن الله ظاهراً وباطناً .

قوله : ﴿أَجْتَبَنَاهُ﴾ أي : اختاره من دُون خلقه ، وهذا الوصف وما بعده ناشئٌ عن الله خاصّة ، لم يكن له كسبٌ ؛ إشارةً إلى أنَّ ما نشأ منه من الأخلاق الحميدة والأفعال الجميلة باختيار الله له ، لا بنفسه .

قوله : ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي : دين قويم لا اعوجاج فيه .

قوله : (فيه التفات عن الغيبة) أي : إلى التكلّم ؛ إشارةً إلى زيادة الاعتناء بشأنه .

قوله : (هي الثناء الحسن) أي : الذكر بخير .

قوله : (في كلِّ أهل الأديان) أي : عند كلِّ أهل الملل ؛ فجميعهم يترضّون عنه ، ولا يكفرون به ، ويَزعمون أنهم على ملّته .

قوله : ﴿لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي : من أكملهم وأعلاهم درجة ، وهذا تميمٌ لقوله : ﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ ؛ فَإِنَّ حَسَنَةَ الدُّنْيَا لَا تَتِمُّ إِلَّا بِحَسَنَةِ الْآخِرَةِ .

قوله : ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ هذا هو الوصف العاشر ، ولما كان أعلى الأوصاف لإبراهيم وأجلّها وأكملها اتباع رسول الله ﷺ ملّته . . فضله عما قبله حيث عطف به (ثم) .

أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ

﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ﴾: دِينَ ﴿إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كُرِّرَ رَدًّا عَلَى زَعَمِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَنَّهُمْ عَلَى دِينِهِ.

﴿١٢٤﴾ ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾: فُرِضَ تَعْظِيمُهُ ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ عَلَى نَبِيِّهِمْ وَهُمْ الْيَهُودُ، أَمَرُوا أَنْ يَتَفَرَّغُوا لِلْعِبَادَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالُوا: لَا نُرِيدُهُ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَنِ اتَّبِعْ﴾ (يَصَحُّ أَنْ تَكُونَ (أَنْ) تَفْسِيرِيَّةً، أَوْ مَصْدَرِيَّةً؛ فَتَكُونُ مَعَ مَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ فِي مَحَلِّ نَصْبِ مَفْعُولٍ لِقَوْلِهِ: ﴿أَوْحَيْنَا﴾.

قوله: ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ (أَي: شَرِيعَتَهُ، وَمَعْنَى اتِّبَاعِ النَّبِيِّ فِيهَا: اتِّبَاعُهُ فِي الْأَصُولِ، وَهِيَ عَقَائِدُ التَّوْحِيدِ؛ فَرَسُولُ اللَّهِ أَمَرَ بِاتِّبَاعِ إِبْرَاهِيمَ، بَلْ وَبِاتِّبَاعِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي التَّوْحِيدِ؛ لِأَنَّهُمْ مُشْتَرِكُونَ فِيهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا...﴾ [الشورى: ١٣] الْآيَةُ.

قوله: ﴿حَنِيفًا﴾ (حَالُ مَنْ ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ مُضَافًا إِلَيْهِ إِلَّا أَنَّ شَرْطَهُ مَوْجُودٌ وَهُوَ أَنَّ الْمُضَافَ كَالْجُزْءِ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ يَصَحُّ الْاسْتِغْنَاءُ بِالثَّانِي عَنِ الْأَوَّلِ^(١).

قوله: (رَدًّا عَلَى زَعَمِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى) الْمُنَاسِبُ أَنْ يَقُولَ: رَدًّا عَلَى الْمُشْرِكِينَ؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَمْ يَكُونُوا مَدَّعِينَ الْإِشْرَاقِ.

قوله: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾... (إِلَخ) هَذَا رَدُّ عَلَى الْيَهُودِ؛ حَيْثُ كَانُوا يَدَّعُونَ أَنَّ تَعْظِيمَ السَّبْتِ مِنْ شَرِيعَةِ إِبْرَاهِيمَ وَهُمْ مُتَّبِعُونَ لَهُ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ: بِأَنَّهُ لَيْسَ السَّبْتُ مِنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ مُتَّبِعُونَ لَهَا، بَلْ كَانَ مِنْ شَرِيعَتِهِ تَعْظِيمُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ؛ وَلِذَا اخْتَارَهُ اللَّهُ لِلْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ يَوْمُ تَمَامِ النِّعْمَةِ، وَيَوْمُ الْمَزِيدِ فِي الْجَنَّةِ.

قوله: ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (أَي: خَالَفُوا رَبَّهُمْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ أَنْ يَعْظُمُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِالتَّضَرُّعِ لِلْعِبَادَةِ فِيهِ، فَأَبَوْا وَاخْتَارُوا السَّبْتَ، فَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ بِتَحْرِيمِ الْإِصْطِيَادِ فِيهِ عَلَيْهِمْ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالْإِخْتِلَافِ: أَنَّ بَعْضَهُمْ رَضِيَ بِهِ وَبَعْضٌ لَمْ يَرْضَ، بَلِ الْمُرَادُ: امْتِنَاعُ الْجَمِيعِ.

(١) فيصح أن يقال: أن اتبع إبراهيم حنيفاً.

وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.....

واختاروا السَّبْتَ فشدَّ عليهم فيه، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمره، بأن يُثَبِّبَ الطَّائِعَ وَيُعَذِّبَ الْعَاصِيَ بِإِتِهَافِ حُرْمَتِهِ.

﴿١٢٥﴾ ﴿أَدْعُ﴾ النَّاسَ يَا مُحَمَّدُ ﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾: دِينِهِ ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾: بِالْقُرْآنِ ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾: مَوَاعِظُهُ.....

حاشية الصاوي

قوله: (واختاروا السبت) أي: وقالوا: لأنه تعالى فرغ فيه من خلق السماوات والأرض وما فيهما، فنحن نوافق ربنا في ترك الأعمال يوم السبت، واختارت النصارى يوم الأحد وقالوا: لأنه مبدأ الخلق فنجعله عيداً لنا.

قوله: (من أمره) أي: السبت.

قوله: (بأن يثيب الطائع) أي: وهو مَنْ لَمْ يَصْطِدْ فِيهِ وَعَظْمُهُ.

قوله: (ويعذب العاصي) أي: وهو مَنْ صَنَعَ الْحِيلَةَ وَاصْطَادَ فِيهِ، فَعَذَّبُوا فِي الدُّنْيَا بِمَسْخِهِمْ قُرْدَةً وَخَنَازِيرَ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْعَذَابِ الدَّائِمِ.

قوله: ﴿أَدْعُ﴾ فعلٌ أمر، وفاعله مستتر وجوباً تقديره: أَنْتَ، ومفعوله محذوف، قَدَّرَهُ الْمُفَسِّرُ بِقَوْلِهِ: (النَّاسَ)، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ بَعْثَتَهُ عَامَّةً، وَعَبَّرَ بِ(النَّاسِ) وَإِنْ كَانَ دَاعِيًا لِلْجَنِّ أَيْضًا؛ بِاعْتِبَارِ مَا ظَهَرَ لَنَا فَقَطْ.

قوله: (دينه) سَمِّيَ الدِّينُ سَبِيلًا؛ لِأَنَّهُ مُوَصَّلٌ لِإِدَارِ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَالسِّيَادَةِ السَّرْمَدِيَّةِ.

قوله: (بالقرآن) أي: وَسَمِّيَ حِكْمَةً؛ لِأَنَّهَا الْعِلْمُ النَّافِعُ.

قوله: ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ عطفٌ خاصٌّ على عامٍّ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ مُشْتَمِلٌ عَلَى مَوَاعِظَ وَغَيْرِهَا، وَالْمُرَادُ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ: التَّرْغِيبُ وَالتَّرْهِيْبُ، وَالْحِكْمَةُ فِي ذِكْرِ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ: التَّشْوِيقُ لِلْعِبَادَةِ، وَالنَّشَاطُ لَهَا، وَسَهُولَةُ الْبَعْدِ عَنِ الْمَخَالَفَاتِ؛ لَمَّا فِي الْحَدِيثِ: (كَانَ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ أحياناً؛ مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا) ^(١) أي: يَخْلُلُ كَلَامَهُ بِالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ؛ لِثَلَا يَحْصُلَ لَنَا

(١) رواه البخاري (٦٨)، ومسلم (٧٢٢٩) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَجَدِلْهُمْ بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾

أو القول الرفيق، ﴿وَجَدِلْهُمْ بِآلَتِي﴾ أي: المُجَادَلَةُ الَّتِي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ بِآيَاتِهِ والدُّعَاءِ إِلَى حُجَجِهِ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عَالِمٌ ﴿بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فَيُجَازِيهِمْ،

حاشية الصاوي

الملل من توالي الأمر والنهي وتتابُعهما من غير تخلُّلٍ بينهما بشيء يُرَوِّحُ النفوس ويشوّقها ويحثُّها على فعل الطاعات واجتناب المنهيات.

قوله: (أو القول الرفيق) تفسيران لـ (الموعظة الحسنة)، والمراد بالقول الرفيق: الألفاظ التي فيها الرفق واللين؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣]، وقوله تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَقُولُ مَا لِيَ أَذْغَبُكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ...﴾ [غافر: ٤١] الآيات. قوله: ﴿بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: لِيَتَرْتَّبَ عَلَى ذَلِكَ حُصُولُ الْفَائِدَةِ لَهُمْ إِلَى الْانْقِيَادِ لِلطَّرِيقِ الْقَوِيمِ.

قوله: (بآياته) أي: كقصة إبراهيم مع قومه؛ حيث قال لهم حين جنَّ عليه الليل ورأى كوكباً: ﴿هَذَا رَبِّي...﴾ [الأنعام: ٧٦] إلخ.

قوله: (والدعاء إلى حججه) أي: براهينه ودلائله، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ [يونس: ١٠١] الآية.

قوله: (أي: عالم) أشار بذلك إلى أنَّ اسم التفضيل ليس على بابِه، ودفع بذلك ما يقال: إنَّ اسم التفضيل يقتضي المشاركة مع أنَّ صفات الله قديمة لا مُشَارَكَ لَهُ فِيهَا.

قوله: ﴿بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي: حَادَ وَزَاغَ عَنْهُ.

قوله: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ حكمة التعبير في جانب أهل الهدى بصيغة الاسم، وفي جانب أهل الضلال بالفعل: الإشارة إلى أنَّ أهل الهدى استمروا على الفطرة الأصلية، وأهل الضلال غيَّروا تلك الفطرة وبدَّلوها بإحداثِ الضلال.

إن قلت: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِرٌ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ [العصر: ٢-٣] إلخ يقتضي أنَّ الأصل في الإنسان الضلال، والهدى طارئٌ عليه؟

وهذا قبل الأمر بالقتال.

﴿١٢٦﴾ وَنَزَلَ لِمَا قُتِلَ حَمْزَةُ وَمُثِّلَ بِهِ فَقَالَ ﷺ وَقَدْ رَأَاهُ:

حاشية الصاوي

أجيب: بأنه محمول على العالم الجسماني؛ أي: إن الأصل في الإنسان باعتبار عالم الأجساد: الخسران والضلال، والهدى طارئ ببعثة الرسل، وما في هذه الآية محمول على عالم الأرواح، وهو الأصل الأصيل؛ لأن الله لما خاطب الأرواح في عالم الذر وقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾.. قالوا جميعاً: ﴿بَلَى﴾ فالمهتدي في عالم الأجساد استصحب ذلك الأصل، ومن ضل في عالم الأجساد.. فقد نسي ذلك العهد، وأتبع شهوات نفسه.

ثم اعلم: أن مقتضى حل المفسر يقتضي أن المدعو بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن واحد، وقال بعضهم: الناس خلُقوا ثلاثة أقسام:

الأول: العلماء الراسخون، فهم المشار إليهم بقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾ أي: بالعلم النافع؛ لينتفعوا وينفعوا الناس.

الثاني: الذين لم يبلغوا حد الكمال وكانوا دون الأوائل، وهم المشار إليهم بقوله: ﴿وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ﴾.

الثالث: الكفار أصحاب الجدال والخصام، وهم المشار إليهم بقوله: ﴿وَجَدَلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: لينقادوا للحق ويرجعوا إليه.

قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) أشار بذلك إلى أن الآية منسوخة، وقيل: ليست منسوخة؛ لأن الأمر بالمجادلة الحسنة ليس فيه نهْي عن القتال، بل المراد: ادْعُهُمْ وجادلهم برفق في أول الأمر؛ فإن امتثلوا.. فواضح، وإلا.. فشيء آخر.

قوله: (ونزل) أي: بالمدينة.

قوله: (لما قتل حمزة) أي: في السنة الثانية في أحد، وحمزة: عم رسول الله وأخوه من الرضاع وقريبه من الأم أيضاً، وكان أسن من النبي ﷺ بستين.

قوله: (ومثّل به) أي: مثل به المشركون، فقطعوا أنفه وأذنيه وذكره وأنثيه، وفجروا بطنه.

قوله: (وقد رآه) الجملة حالّة.

وَأَصْبِرْ ۖ إِنَّا صَبَرْنَا بِمَا عُوِّقْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ ۖ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۖ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾

«لَأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ مَكَانَكَ»: ﴿وَأَصْبِرْ ۖ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۖ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الصَّبْرُ ﴿لَهُوَ﴾ أي: الصَّبْرُ ﴿خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾، فكفَّ ﷺ وكفَّر عن يمينه، رواه البزار. ﴿١٢٧﴾ ﴿وَأَصْبِرْ ۖ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۖ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الكفار إن لم يؤمنوا لِحِرْصِكَ على إيمانهم، ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (والله لأُمَثِّلَنَّ... إلخ) في كلام المفسر اختصار للحديث، ولفظه: «أما والله؛ لئن ظفرتني الله بهم لأُمَثِّلَنَّ... إلخ»^(١).

قوله: ﴿وَأَصْبِرْ ۖ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۖ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أردتُم المعاقبة.

قوله: ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ أي: عفوئُم وتركتم القصاص.

قوله: ﴿لَهُوَ﴾ بضم الهاء وسكونها، قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: (فكفَّ) أي: عن التمثيل بهم.

قوله: ﴿وَأَصْبِرْ ۖ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۖ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ الخطاب للنبي، والمراد منه: العموم؛ تعليمًا للأمة حُسن الأدب.

قوله: ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۖ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: بإقداره لك عليه، لا بنفسك؛ فإنَّ الصبر كالحبِّ والبغض قائم بالقلب، والقلب بيد الله يقلِّبه كيف يشاء، فمَنْ خلق الله فيه الصبر.. صبر، ومن لا.. فلا، فليس للعبد مدخل فيه.

قوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تتأسف على إعراضهم عن الهدى.

قوله: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ بفتح الضاد وكسرهما، قراءتان سبعيتان^(٣)؛ أي: لا يكن فيك ضيقٌ، فالكلام على القلب، وإنما أتى به مقلوباً؛ إشارةً إلى أن الضيق إذا اشتدَّ.. كان كالشيء

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (١٩٧/٣)، والبيهقي في «الشعب» (٩٢٥٣)، والطبراني في «الكبير» (١٤٣/٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قرأ قالون وأبو عمرو والكسائي بسكون الهاء، والباقون برفعها. انظر «السراج المنير» (٢٧٢/٢).

(٣) قرأ ابن كثير بكسر الضاد، والباقون بالفتح. انظر «الدر المصون» (٣٠٧/٧).

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

أي: لا تهتَم بِمَكْرِهِمْ؛ فأنا ناصِرُكَ عَلَيْهِمْ.
﴿١٢٨﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا الْكُفْرَ وَالْمَعَاصِيَ، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ بِالطَّاعَةِ وَالصَّبْرِ، بِالْعَوْنِ وَالنَّصْرِ.



حاشية الصاوي

المحيط، وأتى هنا بحذف نون (تك)، وفي (النمل) بإثباتها تفنُّناً؛ لأنَّ حذفها للتخفيف، وهو حذفٌ غير لازم، قال ابن مالك^(١): [الرجز]

وَمِنْ مُضَارِعٍ لـ «كَانَ» مُنَجَزِمٌ تُحَذَفُ نُونٌ، وَهُوَ حَذَفُ مَا التُّزِمَ
لأن أصل (يك): (يَكُونُ)، دخل الجازم، فسكن النون، فالتقى ساكنان، حُذفت الواو
لالتقاءهما، وحذفت النون؛ تخفيفاً.

قوله: (لا تهتَم بِمَكْرِهِمْ) أشار بذلك إلى أنَّ (ما) مصدرية تُسبَك مع ما بعدها بمصدر.
قوله: (بالعون والنصر) أشار بذلك إلى أنَّ المعية مع المتقين والمحسين معيةٌ معنويةٌ خاصةٌ، وهذا لا ينافي قوله تعالى: ﴿وَلَا أَدْرِي مِنْ ذَلِكَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنَّمَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]؛ لأنَّ المعية خاصةٌ وعامةٌ؛ فالعامة بالتصريف والتدبير لكلِّ مخلوق، والخاصة بالإعانة والنصر والرضا للمتقين والمحسين أحياءً وأمواتاً؛ فرضا الله على المتقين والمحسين دائمٌ مستمرٌّ لا ينقطع، فإذا كان كذلك.. فينبغي زيارة الصالحين وخدمتهم؛ لكونهم في حضرة الرضا أحياءً وأمواتاً لا ينقطع عنهم مدد ربهم، وقوله في الحديث: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث؛ علم يتفَع به... إلخ»^(٢) المراد: ثواب أعمالهم المتجدِّد، فلا يتجدَّد لهم ثواب عمل، وأمَّا ما ثبت لهم في نظير العمل السابق.. فهو دائمٌ مستمرٌّ، وإنما يتجدد لهم ثواب علم خلفوه أو ولد صالح... إلى آخر ما في الحديث، ومن هنا: زيارة الصالح الحيِّ أفضلُ من زيارة الصالح الميت؛ لأنَّ الحيَّ أعماله كُلُّها مستمرة الصعود ما دام حياً، ويتجدَّد له ثوابها؛ ولذلك تضرُّ روح الصالح بالحياة، فلا تحب الموت؛ لأنَّ فيه عزلها من خدمة ربها التي هي أشرف الأشياء وأفضلها.



(١) «الخلاصة»، باب: (كان وأخواتها).

(٢) رواه الترمذي (١٣٧٦)، والنسائي في «المجتبى» (٢٥١/٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.



فهرس السور



٥	سُورَةُ الْأَنْفَالِ
٦١	سُورَةُ التَّوْبَةِ
١٧٣	سُورَةُ يُسُفَا
٢٥٧	سُورَةُ هُودٍ
٣٣٣	سُورَةُ يُسُفَا
٤١٥	سُورَةُ الرَّعْدِ
٤٥٨	سُورَةُ الْأَنْعَامِ
٤٩٥	سُورَةُ الْحَجِّ
٥٢٩	سُورَةُ النَّازِعَاتِ

